

الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ

لِلْحَافِظِ عِمَادِ الدِّينِ أَبِي الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلَ

أَبْنِ عَمْرِ بْنِ كَثِيرٍ الْقُرَشِيِّ الدَّمَشَقِيِّ

٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تَحْقِيقُ

الدُّكْتُورُ عَبْدُ بَنِي عَبْدِ الْحَكِيمِ التُّرْكِيُّ

بِالتَّعَاوُنِ مَعَ

مَرْكَزِ الْبَحْثِ وَالدرَاسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ

بِدَارِ هَجْرٍ

الْجُزْءُ السَّابِعُ عَشَرَ

هَجْرٌ

لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالْإِعْلَانِ

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة

٣٢٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٢٥١٧٥٦

المطبعة : ٢، ٦ ش عبد الفتاح الطويل

أرض اللواء - ٣٢٥٢٩٦٣

ص . ب ٦٣ إمبابة

البَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة ست وستمئة

فى المحرم^(١) وصل نجم الدين خليل شيخ الحنفية من دمشق إلى بغداد فى الرسلية عن العادل، ومعه هدايا كثيرة، وتناظر هو وشيخ النظامية مجتد الدين يحيى بن الربيع فى مسألة وجوب الزكاة فى مال اليتيم والمجنون، وأخذ الحنفى يستدل على عدم وجوبها، فاعترض عليه الشافعى، فأجاد كل منهما فى الذى أوردته، ثم خلع على الحنفى وأصحابه بسبب الرسالة، وكانت المناظرة بحضرة نائب الوزير ابن أمسينا^(٢).

وفى يوم السبت خامس جمادى الآخرة وصل الجمال يونس بن بدران الميصرى رئيس الشافعية بدمشق إلى بغداد فى الرسلية عن الملك العادل، فتلقاه الجيش مع حاجب الحجاب، ودخل معه ابن أخى صاحب إربل مظفر الدين كوكبرى^(٣)، والرسالة تتضمن الاعتذار عن صاحب إربل، والسؤال فى الرضا عنه، فأجيب إلى ذلك.

(١) الكامل ٢٨٤/١٢، والجامع المختصر لابن الساعى ٢٨٣/٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣.

(٢) فى م: «شكر».

(٣) فى الأصل، م: «كوكرى». وانظر سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٣٤.

وفيهما ملك العادل الخابور ونصيبين، وحاصر مدينة سنجار^(١) مدة، فلم
يتمكّن منها، ثم صالح صاحبها، ورجع عنها.

ومن توفّي فيها من المشاهير والأعيان:

القاضي الأسعد بن ممتي: أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعيد مَهْدَبِ
ابن مينا^(٢) بن زكريا بن أبي قدامة بن أبي مَليح ممتي المصري، الكاتب
الشاعر، أسلم في الدولة الصّلاحية، وتولّى نظَر الدّواوين بمصر مدة.

قال ابن خَلْكَان^(٣): له فضائل عديدة، ومُصَنَّفَات كثيرة، ونظم سيرة
صلاح الدين وكتاب «كَلِيلَة وَدَمْنَة»، وله ديوان شعر، ولما تولّى الوزير ابن شُكْرٍ
هرب منه إلى حلب، فمات بها في هذه السنة وله ثنتان وستون سنة، فَمِن شعره
في ثَقِيل رآه^(٤) بدمشق:

حكي نهرين ما في الأر ض من يحكيهما أبدا
حكي في خلقه ثوري وفي أخلاقه بردى^(٥)

أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عبد السلام
اللّمغاني^(٦)، أحد الأعيان من الحنفية ببغداد، سَمِع الحديث، ودُرّس بجامع

(١) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة. معجم البلدان ١٥٨/٣.

(٢) في الأصل، ص: «سينا». وانظر ترجمته في: معجم الأدياء ١٠٠/٦، وإنباه الرواة ٢٣١/١،
والتكملة لوفيات النقلة للمندري ٢٨٩/٣، ووفيات الأعيان ٢١٠/١، وسير أعلام النبلاء ٤٨٥/٢١،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٠١، ونهاية الأرب ٥١/٢٩.

(٣) وفيات الأعيان ٢١٠/١.

(٤) في الأصل، م: «زاره».

(٥) ثوري وبردى: نهران بدمشق. معجم البلدان ٥٥٦/١، ٩٣٨.

(٦) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٨/٣، والجامع المختصر ٢٩٥/٩، والجواهر المضية ٦٢٠/٣، وتاريخ =

السلطان، وكان مُعْتَرِياً في الأصول، بارعاً في الفروع، اشْتَغَلَ على أبيه وعمّه،
وَأَتَقَنَ الخِلافَ وعِلْمَ المناظرة، وقَارَبَ التسعين، رحمه الله.

أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسين^(١)، المعروف بابن الخراساني،
المُحَدِّثُ الناسخ، كَتَبَ كثيراً من الحديث، وجمع حُطَباً له ولغيره، وخطّه جيداً
مشهوراً، رحمه الله تعالى.

أبو المواهب مَعْتَوْقُ بْنُ مَنِيعِ بْنِ مَوَاهِبَ، الخطيبُ البغدادي^(٢)، قرأ النحو
واللغة على ابن الخشاب [٣٣٥/٩]، وجمع حُطَباً كان يخطبُ منها، وكان
شيخاً فاضلاً أديباً، له ديوان شعر، فمنه قوله:

ولا تَرْجُو الصَّدَاقَةَ مِنْ عَدُوٍّ يُعَادِي نَفْسَهُ سِرّاً وَجَهْراً
فلو أجدت مَوَدَّتَهُ انْتِفَاعاً لكان النِّفْعُ مِنْهُ إِلَيْهِ أُخْرَى^(٣)

ابن خُرُوفٍ شارحُ «كتابِ سَيِّئِيهِ»: علي بن محمد بن يوسف، أبو الحسنِ
ابن خُرُوفٍ الأندلسيُّ النَّحْوِيُّ^(٤)، شرح «سَيِّئِيهِ»، وقَدَّمَهُ إلى صاحبِ المغربِ
فأعطاه ألفَ دينارٍ، وشرح «جَمَلَ الزُّجَاجِيِّ»، وكان يَنْتَقِلُ في البلادِ، ولا

= الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣٨.

(١) التكملة لوفيات النقلة ٢٩٣/٣، والجامع المختصر ٢٩٦/٩، والوفاء بالوفيات ١٤٥/١.

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٢٩٧/٣، والجامع المختصر ٢٩٦/٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ -

- ٦١٠) ص ٢٣١.

(٣) في م: «أجراً».

(٤) معجم الأدياء ٧٥/١٥، وإنباه الرواة ١٨٦/٤، والجامع المختصر ٣٠٦/٩ وفيه: «ابن خروفة
الأندلسي»، ووفيات الأعيان ٣٣٥/٣ وفيه: «علي بن محمد بن علي»، وسير أعلام النبلاء ٢٦/٢٢،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٣٩، وجاءت وفاته في وفيات الأعيان وسير
أعلام النبلاء في سنة عشر وستمائة، وفي تاريخ الإسلام جاء في وفيات سنة تسع وستمائة.

يَشْكُنْ إِلَّا فِي الْخَنَاتِ ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ قَطُّ وَلَا تَسْرَى ^(١) ، وَقَدْ تَغَيَّرَ عَقْلُهُ فِي آخِرِ عَمْرِهِ ، فَكَانَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ مَكْشُوفَ الرَّأْسِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً .

أَبُو عَلِيٍّ يَحْيَى بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ سَلِيمَانَ بْنِ حَرْازٍ الْوَاسِطِيُّ ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ ^(٢) ، اسْتَعْلَ بِالنِّظَامِيَّةِ عَلَى ابْنِ ^(٣) فَضْلَانَ ، وَأَعَادَ عِنْدَهُ ^(٤) ، وَسَافَرَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى ، فَأَخَذَ عَنْهُ طَرِيقَتَهُ فِي الْخِلَافِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ ، ثُمَّ صَارَ مُدَرِّسًا بِالنِّظَامِيَّةِ ، وَنَازِلًا فِي أَوْقَافِهَا ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَكَانَتْ لَدَيْهِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ ، وَمَعْرِفَةٌ حَسَنَةٌ بِالْمَذْهَبِ ، وَلَهُ تَفْسِيرٌ فِي أَرْبَعِ مُجَلَّدَاتٍ كَانَ يُدْرَسُ مِنْهُ ، وَاخْتَصَرَ «تَارِيخَ الْخَطِيبِ» وَ«الذَّيْلَ» عَلَيْهِ لَابْنِ السَّمْعَانِيِّ ، وَقَارَبَ الثَّمَانِينَ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

ابْنُ الْأَثِيرِ صَاحِبُ «جَامِعِ الْأُصُولِ» وَ«الْثَّهَابَةِ» : الْمُبَارَكُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ ، مَجْدُ الدِّينِ أَبُو السَّعَادَاتِ الشَّيْبَانِيُّ الْجَزَرِيُّ الشَّافِعِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَثِيرِ ^(٥) ، وَهُوَ أَخُو الْوَزِيرِ الْأَفْضَلِ ضِيَاءِ الدِّينِ نَصْرِ اللَّهِ ، وَأَخُو الْحَافِظِ عِزِّ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ صَاحِبِ «الْكَامِلِ فِي

(١) بعده في الأصل ، م : «ولذلك علة تغلب على طباع الأراذل» .

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٣/٣٠٦ ، والذيل على الروضتين ص ٦٩ ، والجامع المختصر ٩/٢٩٧ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٤٨٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٩٣ .

(٣) سقط من : م .

(٤) أعاد عنده : المعيد : من ألقاب أرباب الوظائف من العلماء ، وهو ثاني رتبة المدرّس ، وأصل موضوعه أنه إذا ألقى المدرس الدرس ثم انصرف ، أعاد للطلبة ما ألقاه المدرس إليهم ؛ ليفهموه ويحسنوه . انظر صبح الأعشى ٥/٤٦٣ ، ٤٦٤ .

(٥) معجم الأدباء ١٧/٧١ ، وإنباه الرواة ٣/٢٥٧ ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/٣٠٨ ، والذيل على الروضتين ص ٦٨ ، والجامع المختصر ٩/٢٩٩ ، ووفيات الأعيان ٤/١٤١ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٤٨٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٢٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٦٦ .

التاريخ». وُلِدَ أَبُو السَّعَادَاتِ الْمُبَارَكُ فِي أَحَدِ الرَّيَّعَيْنِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَأَتَقَنَ عُلُومَهُ وَحَرَزَ عُلُومًا جَمَّةً، وَكَانَ مُقَامُهُ بِالْمَوْصِلِ، وَقَدْ جَمَعَ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ كُتُبًا مُفِيدَةً، مِنْهَا «جَامِعُ الْأَصُولِ» السُّتَيْ؛ «الْمَوْطَأُ» وَ«الصَّحِيحَانِ» وَ«سَنَنُ أَبِي دَاوُدَ» وَ«النِّسَائِيُّ» وَ«التِّرْمِذِيُّ»، وَلَمْ يَذْكُرِ ابْنُ مَاجَهٍ فِيهَا، وَلَهُ كِتَابُ «النِّهَائَةِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ»، وَلَهُ «شَرْحُ مَسْنَدِ الشَّافِعِيِّ» وَ«التَّفْسِيرُ» فِي أَرْبَعِ مُجَلَّدَاتٍ، وَغَيْرُ ذَلِكَ فِي فُنُونٍ شَتَّى.

وَكَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، مُعَظَّمًا عِنْدَ مُلُوكِ الْمَوْصِلِ، فَلَمَّا آلَ الْمَلِكُ إِلَى نُورِ الدِّينِ أَرْسَلَ نَ شَاهَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِي، أَرْسَلَ إِلَيْهِ تَمْلُوكَهُ لِيُؤَلِّفَ يَحْرَضُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَوِزَّهُ فَأَتَى، فَكَبَّ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ فَامْتَنَعَ أَيْضًا، وَقَالَ لَهُ: قَدْ كَبِّرْتَ سِنِّي، وَاسْتَهْزَتْ بِنَشْرِ الْعِلْمِ، وَلَا يَصْلُحُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا بِشَيْءٍ مِنَ الْعَسْفِ وَالظُّلْمِ، وَلَا يَلِيقُ بِي ذَلِكَ. فَأَغْفَاه.

قَالَ أَبُو السَّعَادَاتِ^(١): كُنْتُ أَقْرَأُ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى سَعِيدِ بْنِ الدَّهَّانِ، وَكَانَ يَأْمُرُنِي بِصَنْعَةِ الشَّعْرِ، فَكُنْتُ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا تُوفِّيَ الشَّيْخُ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي، فَأَمَرَنِي بِذَلِكَ، فَقُلْتُ: ضَعْ لِي مِثَالًا أَعْمَلُ عَلَيْهِ. فَقَالَ:

* جُبِ الْفَلَا مُدْمِنًا إِنْ فَاتَكَ الظُّفْرُ *

فَقُلْتُ أَنَا:

* وَخُذْ خَدَّ الثَّرَى وَاللَّيْلُ مُغْتَكِرٌ *

(١) الجامع المختصر ٣٠٠/٩.

فالعزُّ في صَهَوَاتِ الخيلِ مَرْكَبُهُ والمجدُّ يُنتِجُهُ الإِسْرَاءُ والسَّهْرُ

فقال : أَحْسَنْتَ . ثم اسْتَيْقَظْتُ ، فَأَتَمَّمْتُ عَلَيْهَا نَحْوًا مِنْ عَشْرِينَ بَيْتًا .
كانت وفاته في سَلَخِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ ثَلَاثِينَ وَسِتِّينَ سَنَةً ، [٣٣٦/٩]
رَحِمَهُ اللَّهُ . وقد تَرْجَمَهُ أَخُوهُ فِي « الْكَامِلِ »^(١) فقال : كان عالماً في عِدَّةِ عُلُومٍ ؛
مِنْهَا الْفَقْهُ وَعِلْمُ الْأُصُولِ وَالنَّحْوِ وَالْحَدِيثِ وَاللُّغَةُ ، وَلَهُ تَصَانِيفٌ مَشْهُورَةٌ فِي
التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ وَالْحِسَابِ وَغَرِيبِ الْحَدِيثِ ، وَلَهُ رَسَائِلٌ مُدَوَّنَةٌ ، وَكَانَ
كَاتِبًا مُفْلِقًا يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ ، ذَا دِينٍ مَتِينٍ وَلُزُومٍ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضَى
عَنْهُ ، فَلَقَدْ كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الزَّمَانِ .

قال ابن الأثير^(٢) : وفيها تُوفِّي :

المجدُّ المَطْرُزِيُّ النَخْوِيُّ الْخَوَارِزْمِيُّ^(٣) ، كان إمامًا في النحْوِ ، له فيه تَصَانِيفٌ
حَسَنَةٌ .

قال أبو شامة^(٤) : وفيها تُوفِّي الْمَلِكُ الْمُغِيثُ فَتْحُ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ الْمَلِكِ
الْعَادِلِ ، وَدُفِنَ بِتَرْبَةِ أَخِيهِ الْمُعْظَمِ بَسْفَحِ قَاسِيُونِ .

وَالْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ مَسْعُودُ بْنُ صَلاحِ الدِّينِ^(٥) بِمَدِينَةِ رَأْسِ الْعَيْنِ ، فَحُمِلَ إِلَى

(١) في الأصل ، م : « الذيل » . وانظر الكامل ٢٨٨/١٢ .

(٢) الكامل ٢٨٨/١٢ .

(٣) معجم الأدباء ٢١٢/١٩ ، وإنباه الرواة ٣٣٩/٣ ، ووفيات الأعيان ٣٦٩/٥ ، وسير أعلام النبلاء ٢٨/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٩١ ، والجواهر المضية ٥٢٨/٣ .
وفي هذه المصادر أنه توفي سنة عشر وستمائة .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٦٧ .

(٥) الكامل ١٧١/١٢ ، والذيل على الروضتين ص ٦٧ ، ونهاية الأرب ٥/٢٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٣٠ .

حلب ، فدُفِنَ بها .

وفيهما تُوفِّي الفخرُ الرازيُّ المتكلِّمُ ، صاحبُ التفسيرِ والتصانيفِ : محمدُ ابنُ عمرَ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ القُرشيِّ التِّيميِّ البُكرِيِّ الإمامِ ، أبو عبدِ اللَّهِ وأبو المعالي المعروفُ بالفخرِ الرازيُّ^(١) ، ويقالُ له : ابنُ خطيبِ الرِّيِّ . الفقيهُ الشافعيُّ أحدُ المشاهيرِ بالتَّصانيفِ الكبارِ والصُّغارِ نحوِ مِنْ مائتَيْ مُصَنَّفٍ ؛ فمن ذلك « التَّفْسِيرُ » الحافلُ و « المطالبُ العالِيَّةُ » و « المباحثُ المَشْرِقيَّةُ »^(٢) و « الأُزْبَعين » ،^(٣) و « شرحُ الإشاراتِ » ، وغيرها في علمِ الكلامِ ومذاهبِ الأوائلِ وأقوالِ الناسِ ، وله في^(٤) أصولِ الفقهِ « المَحْصُولُ » وغيرُهُ ، وصنَّفَ ترجمةَ الشافعيِّ في مُجلَّدٍ مُفيدٍ ، وفيهِ غُرَائِبُ^(٥) ، ويُنسَبُ إليه أشياءٌ عَجِيبَةٌ ، وقد استقصيْتُ ترجمَتَهُ في « طبقاتِ الشافعية » ، وقد كان مُعَظَّمًا عندَ مُلُوكِ الخُوَازَمِيَّةِ وغيرِهِم ، وُئِيَّتْ لَهُ مَدَارِسُ كثيرةٌ في بُلْدانِ شَتَّى ، ومَلَكَ مِنَ الذَّهَبِ العَيْنِ ثمانينَ ألفَ دينارٍ ، وغيرَ ذلك مِنَ الأُمُتَةِ والمَراكِبِ والأثاثِ والملابسِ ، وكان لَهُ خمسُونَ تَمَلُوكًا مِنَ الثُّرُكِ ، وقد كان يَعمِدُ مجلسَ الوعظِ فيَحْضُرُ عنده المُلُوكُ والوُزراءُ والعلماءُ والأُمراءُ والفُقهَاءُ والعَامَّةُ والعَوَّغَاءُ ، وكانت لَهُ عِبَادَاتٌ وأُورَادٌ ، وقد وَقَعَ بينَهُ وبينَ الكَرَامِيَّةِ في أَوَاقِ شَتَّى ، فكان يُبَغِّضُهُم وَيُبَغِّضُونَهُ وَيبالغُ في ذَمِّهِم وَيُبالغون في الحَطِّ عَلَيْهِ ، وقد ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ ذلكَ فيما تَقَدَّمَ ، وكان معَ غَزارةِ

(١) الجامع المختصر ٣٠٦/٩ ، والذيل على الروضتين ص ٦٨ ، ووفيات الأعيان ٢٤٨/٤ ، ونهاية الأرب ٥١/٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ٥٠٠/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢١١ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨١/٨ ، وطبقات المفسرين ٢١٣/٢ .

(٢) في م : « الشريعة » ، وفي ص : « الشريعة » . وانظر كشف الظنون ١٥٧٧/٢ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) بعده في م : « لا يوافق عليها » .

عليه وتَبَحَّرِه في فنِّ الكلام يقولُ : مَنْ لَزِمَ مذهبَ العَجائزِ كان هو الفائزُ . وقد ذَكَرْتُ وصيَّتَه عندَ موته ، وأنه رَجَعَ فيها إلى طَريقَةِ السَّلَفِ وتسليمِ ما وَرَدَ على الوجهِ المرادِ اللَّائِقِ بِجَلالِ اللَّهِ تعالى .

وقال الشيخُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ في « الذَّيْلِ » ^(١) في ترجمته : كان يَعِظُ وَيَنالُ مِنَ الكَرَامَةِ ، وَيَنالون منه سَبًّا وتَكْفِيرًا ، وقيل : إنهم وَضَعُوا عليه مِنْ سَقاه السُّمَّ فمات ففَرَحُوا بموته ، وكانوا يَزُمُونَهُ بالكِبائِرِ . قال : وكانت وفاته في ذِي الحِجَّةِ ، ولا كلامَ في فضله ، وإنما ^(٢) الشَّناعاتُ عليه قائمةٌ بأشياء منها ؛ أنه كان يَقُولُ : قال مُحَمَّدُ التَّارِزِيُّ ^(٣) - يعني العربيَّ ، يُريدُ النَّبِيَّ ﷺ ^(٤) - وقال مُحَمَّدُ الرَّازِيُّ . يعني نفسه ، ومنها أنه كان يُقَرِّرُ الشُّبُهَةَ مِنْ جِهَةِ الخُصُومِ بعباراتٍ كثيرةٍ ، ويُجِيبُ عن ذلك [٣٣٦/٩ ظ] بأدنى إشارة . قال : وبلغني أنه خَلَّفَ مِنْ الذهبِ العَيْنِ ثمانينَ ألفَ دينارٍ غيرَ ما كان يَمْلِكُهُ مِنَ الدَّوابِّ والثيابِ والعقارِ والآلاتِ ، وخَلَّفَ وَلَدَيْنِ ، أَخَذَ كُلُّ واحدٍ منهما أربعمِئةَ ألفَ دينارٍ . وكان ابْنُهُ الأكبرُ قد تَجَنَّدَ في حَيَاتِهِ وخدمَ السُّلطانَ مُحَمَّدَ بْنَ تَيْكَشَ .

وقال ابنُ الأثيرِ في « الكاملِ » ^(٥) : وفيها تُؤَفَّى فخرُ الدينِ أبو الفضلِ مُحَمَّدُ ابنُ عَمَرَ بْنِ خَطِيبِ الرَّيِّ ، الفقيهُ الشافعيُّ صاحبُ التَّصانيفِ المشهورةِ في ^(٦)

(١) الذيل على الروضتين ص ٦٨ .

(٢) في م : « ولا فيما كان يتعاطاه ، وقد كان يصحب السلطان ويحب الدنيا ويتسع فيها اتساعًا زائدًا وليس ذلك من صفة العلماء ولهذا وأمثاله كثرت » .

(٣) في الأصل : « الباري » ، وفي م : « البادي » .

(٤) بعده في م : « نسبة إلى البادية » .

(٥) الكامل ٢٨٨/١٢ .

(٦) في النسخ : « و » . والمثبت من الكامل .

الفقيه والأصوليين^(١) وغيره، وكان إمام الدنيا في عصره. وبلغني أن مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

ومن شعره قوله :

إليك إله الخلق وجهي ووجهتي وأنت الذي أَدْعُوكَ في السرِّ والجهرِ
وأنت غيائي عند كلِّ مُلِمَّةٍ وأنت معاذي في حياتي وفي قَبْرِي

وروى ذلك ابن الساعي^(٢) عن ياقوت الحموي، عن ابن لفخر الدين عنه، وبه قال : أنشدنا :

تَبَيَّنَتْ أَبْوَابُ السَّعَادَةِ لِلخَلْقِ بِذِكْرِ جَلَالِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْحَقِّ
مُدَبَّرِ كُلِّ الْمُعْكِنَاتِ بِأَسْرِهَا وَمُبْدِعِهَا بِالْعَدْلِ وَالْقَصْدِ وَالصِّدْقِ
أَجَلُ جَلَالِ اللَّهِ عَنْ شِبْهِ خَلْقِهِ وَأَنْصُرُهُ هَذَا الدِّينَ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ
إِلَهَ عَظِيمِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالْعَلَا هُوَ الْمُؤَشِّدُ الْمُغْوِي هُوَ الْمُسْعِدُ الْمُشْقِي

وما كان يُنْشِئُهُ^(٣) في بعض مصنفاته^(٤) :

نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ^(٥)
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَخْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذَى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طَوْلَ عَمْرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا
ثُمَّ يَقُولُ^(٥) : لَقَدْ اخْتَبَرْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ وَالْمَنَاهِجَ الْفَلَسَفِيَّةَ فَلَمْ أَجِدْهَا

(١) في الأصل ، م : «الأصول» .

(٢) الجامع المختصر ٣٠٧/٩ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) وفيات الأعيان ٢٥٠/٤ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٥٠١/٢١ .

تَزَوَّى غَلِيلاً وَلَا تَشْفِي غَلِيلاً ، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطَّرِيقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ ، أَقْرَأُ فِي الْإِثْبَاتِ
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾
[فاطر: ١٠] وَفِي النَّفْيِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿هَلْ تَعْلَمُ
لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] .

ثم دخلت سنة سبع وستمائة

ذكر الشيخ شهاب الدين في «الذيل»^(١) أن في هذه السنة تملأت ملوك الجزيرة؛ صاحب الموصل وصاحب سنجار وصاحب إربل و^(٢) معهم ابن أخيه^(٣) الظاهر صاحب حلب وملك الروم أيضًا، على مخالفة العادل ومنابدته ومقاتلته واضطلام الملك من يده، وأن تكون الخطبة في بلادهم بذلك للملك كيخسرو^(٤) ابن قليج أرسلان صاحب الروم، وأرسلوا إلى الكرج ليقدّموا لحصار خلائط وأخذها من يد الملك الأوحّد نجم الدين أيوب بن العادل، ووعدهم النصر والمعاونة عليه - قلت: وهذا بغى وغدوان ينهى الله عنه - فأقبلت الكرج بملكهم إيوانى^(٥)، فحاصروا خلائط، فضاق بهم الأوحّد ذرعًا، وقال: هذا يوم عصيب. فقدر الله تعالى أن في يوم الاثنين تاسع عشر ربيع الآخر اشتدّ حصارهم للبلد، وأقبل ملكهم إيوانى وهو راكب على جواده وهو سكران، فسقط به جواده في بعض الحفر التي قد أعدت مكيدة حول البلد، فبادر إليه رجال البلد، فأخذوه أسيرًا حقيرًا، فأسقط في أيدي الكرج، فلما أوقف بين يدي الأوحّد أطلقه ومنّ عليه، وأكرمه وأحسن إليه، وفاداه على مائتي^(٥) ألف دينار وألفى

(١) الذيل على الروضتين ص ٧٥، ٧٦.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) في م: «كنجر». وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/٢٢.

(٤) في الذيل على الروضتين: «إيوانى».

(٥) كذا في الأصل، م، وفي ص: «مائة»، وفي الذيل على الروضتين، وتاريخ الإسلام (حوادث

وفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١: «ثمانين».

أَسِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَسْلِيمٍ إِحْدَى وَعَشْرِينَ [٣٣٧/٩] قَلْعَةً مُتَاجِمَةً لِبِلَادِ
الْأَوْحِدِ ، وَأَنْ يُزَوِّجَ ابْنَتَهُ مِنْ أَخِيهِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ مُوسَى ، وَأَنْ يَكُونَ عَوْنًا لَهُ عَلَى
مَنْ يُحَارِبُهُ . فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ ، فَأُخِذَتِ الْأَيْمَانُ مِنْهُ بِذَلِكَ ، وَبَعَثَ الْأَوْحِدُ
إِلَى أَبِيهِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَالْعَادِلُ نَازِلٌ بِظَاهِرِ حِرَّانَ فِي أَشَدِّ خَيْرَةٍ مِمَّا قَدْ
دَهَمَهُ مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَاهُ هَذَا الْأَمْرُ الْهَائِلُ وَالتَّدْبِيرُ مِنْ
عَزِيزٍ حَكِيمٍ ، ^(١) لَمْ يَكُنْ فِي بَالِهِ وَلَا فِي حَسَابِهِ ^(٢) ، فَكَادَ يَذْهَلُ فَرَحًا وَسُرُورًا ،
وَأَجَازَ جَمِيعَ مَا فَعَلَهُ وَلَدُهُ ، وَطَارَتِ الْأَخْبَارُ بِمَا وَقَعَ بَيْنَ الْمُلُوكِ ، فَخَضَعُوا وَذَلُّوا
عِنْدَ ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ كُلُّ مِنْهُمْ يَتَعَذَّرُ مِمَّا تُسَبِّحُ إِلَيْهِ ، وَيُجِيلُ عَلَى غَيْرِهِ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ
اغْتِنَارَاتِهِمْ ، وَصَالَحَهُمْ صَلَاحًا أَكِيدًا ، وَاسْتَقْبَلَ الْمَلِكُ عَقْدًا جَدِيدًا . وَوَفَّى مَلِكُ
الْكُوجِ لِلْأَوْحِدِ بِجَمِيعِ مَا شَرَطَهُ عَلَيْهِ ، وَتَزَوَّجَ الْأَشْرَفُ ابْنَتَهُ . وَمِنْ غَرِيبٍ مَا
ذَكَرَهُ الشَّيْخُ أَبُو شَامَةَ فِي هَذِهِ الْكَائِنَةِ أَنَّ قِسْيَسَ الْمَلِكِ كَانَ حَزَاءً ^(٣) يَنْظُرُ فِي
النَّجُومِ ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ قَبْلَ ذَلِكَ يَوْمٍ : اغْلَمْ أَنَّكَ تَدْخُلُ غَدًا إِلَى قَلْعَةٍ خِلَاطٌ وَلَكِنْ
بِزَيٍّ غَيْرِ زَيْكَ أَذَانَ الْعَصْرِ . فَوَافَقَ دَخُولُهُ إِلَيْهَا أَسِيرًا وَقَدْ أَذَانَ الْعَصْرِ .

ذِكْرُ وَفَاةِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ نُورِ الدِّينِ ^(٣)

أَرْسَلَ الْمَلِكُ نُورَ الدِّينِ شَاهُ بْنُ عِزِّ الدِّينِ مَسْعُودَ بْنَ قُطْبِ الدِّينِ مَوْدُودَ بْنَ

(١ - ١) فِي م : « لَا مِنْ حَوْلِهِمْ وَلَا مِنْ قُوَّتِهِمْ وَلَا كَانَ فِي بَالِهِمْ » .

(٢) سَقَطَ مِنْ : م .

(٣) الْكَامِلُ ٢٩١/١٢ ، وَمَرَاةُ الزَّمَانِ ٥٤٦/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي) ، وَبَغِيَّةُ الطَّلَبِ ٣٨١/٣ ، وَالدِّيلُ عَلَى
الرُّوضَتَيْنِ ص ٧٠ ، وَوَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ ١٩٣/١ ، ٢٠٣/٥ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٤٩٦/٢١ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ
(حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٤١ .

زَنْكِي صاحبُ المؤَصِّلِ يَخْطُبُ ابنةَ السلطانِ الملكِ العادلِ ، وأُرْسِلَ وكيَلَهُ لِقَبُولِ
العَقْدِ على ثلاثين ألفَ دينارٍ . فاتَّفَقَ موْتُ نورِ الدينِ ووَكيلُهُ في أثناءِ الطريقِ ،
فَعَقِدَ العَقْدُ بعدَ وفاتِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وقد أَتَى عليه ابنُ الأثيرِ في « كامِلِهِ » كثيرًا
وشَكَرَ منه ومنَ عدلِهِ وشهامتِهِ ، وهو أعلمُ به ، وذكرَ أنَ مدَّةَ مُلكِهِ سبعَ عَشْرَةَ
سَنَةً وأحدَ عَشَرَ شَهْرًا . وأما أبو المظفَّرُ السَّبْطُ فإنه قال : كانَ جبارًا ظالمًا بَخِيلًا
سَفَّاكًا للدماءِ . فاللَّهُ أعلمُ . وقامَ في الملكِ مِن بَعْدِهِ ولَدُهُ القاهرُ عِزُّ الدينِ
مسعودُ ، وجعلَ لابنِهِ عمادِ الدينِ زَنْكِي - وكانَ الأصغرُ - بعضَ البلادِ ، وجعلَ
تَدييرَ مَمْلَكَتِهِ إلى غُلامِهِ بدرِ الدينِ لُؤْلُؤَ الذي صارَ المُلْكُ إليه فيما بعدُ كما سيأتي .

قال أبو شامة^(١) : وفي سابعِ شوالٍ شُرعَ في عِمارةِ المِصَلَّى ؛ بُنِيَ لَهُ أربَعُ جُدرانٍ
مُشْرِفَةٍ ، وجُعِلَ لَهُ أبوابٌ صَوْنًا لِمَكَانِهِ مِنَ المِيتاتِ ونزولِ القوافِلِ ، وجُعِلَ في قِبَلَتِهِ
مِخْرَابٌ مِنْ حِجَارَةٍ وَمِنْبَرٌ مِنْ حِجَارَةٍ ، وعُقِدَتِ فوقَ ذلكَ قُبَّةٌ ، ثمَ في سَنَةِ ثلاثِ
عَشْرَةِ عُمِلَ في قِبَلَتِهِ رِواقانِ ، وعُمِلَ لَهُ مِنْبَرٌ مِنْ خَشَبٍ ، ورُتِبَ لَهُ خَطِيبٌ رَاتِبٌ
وإمامٌ رَاتِبٌ ، وماتَ العادلُ ولم يَتِمَّ الرِّواقُ الثاني مِنْهُ ، وذلكَ كُلُّهُ على يَدِ الوَزيزِ
صَفِيِّ الدينِ بِنِ شُكْرِ . قال : وفي « حادِي عَشَرَ »^(٢) شوالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ جُدِّدَتِ
أبوابُ الجامعِ الأُمويِّ مِنْ نَاحِيَةِ بابِ البَرِيدِ بالثُّحاسِ الأصغرِ ، ورُكِّبَتِ في
أَماكِنِهَا .

وفي شوالٍ أيضًا شُرعَ في إِصلاحِ الفَوَّارَةِ والشاذِرِوانِ والبِرْكَةِ وعُمِلَ عِنْدَها
مَسْجِدٌ ، وجُعِلَ لَهُ إمامٌ رَاتِبٌ ، وأوَّلُ مَنْ تَوَلَّاهُ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ : النَفِيسُ المِصرِيُّ .

(١) الذيل على الروضتين ص ٧٦ .
(٢ - ٢) في الأصل ، م : « ثاني » . وانظر المصدر السابق .

وكان يقال له : بُوقُ الجامع . لطيبِ صوته إذا قرأ على الشيخ أبي منصور الضَّريرِ
المُصدِّر ، فيجتمِعُ عليه الناسُ الكثيرُ .

وفى ذى الحِجَّةِ من هذه السنة توجَّهت مراكِبُ من عكا [٣٣٧/٩ ظ] فى
البحرِ إلى ثَغْرِ دِمياطَ وفيها ^(١) مَلِكُ قُبْرُصَ المُسمَّى البَال ^(٢) ، لعنه الله ، فدخَلَ الثَّغْرَ
ليلاً ، وأغار على بعضِ البلادِ ، فقتَلَ وسبى وغنم ، وكرَّ راجعاً ، فركب مراكبه ،
فلم يُذِرْكَه الطَّلَبُ . وقد تقدَّمت له سابقةٌ بمثلها قبلَ هذه ، وهذا شىءٌ لم يتَّفَقْ
لغيره .

وفى هذه السنة عاثت الفِرْجُ بنواحي القدس الشريف ، فبرز إليهم الملكُ
المُعْظَمُ فى عساكره ، وجلس الشيخ شمس الدين أبو المظفر بن قزغلى الحنْفى ،
وهو سبطُ الشيخ أبي الفرج بن الجوزى ابن ابنته رابعة ، وهو صاحبُ « مِرْآةِ
الزَّمانِ » وكان فاضلاً فى فنون كثيرة ، حسنَ الشَّكْلِ ، طيبَ الصوتِ ، وكان
يَتَكَلَّمُ فى الوَعْظِ جيداً ، وتُحِبُّه العامةُ على صِيتِ جدِّه ، وقد رحل من بغداد ،
فنزل دمشق وأكرمته ملوكُها ، وولى التَّدَارِيسَ الكبارَ بها ، وكان يجلسُ كلَّ يومٍ
سبتٍ عند بابِ مَشْهَدٍ على زَيْنِ العابدين إلى السارية التى يجلسُ عندها الوُعَاظُ
فى زماننا هذا ، فكان يكثرُ الجمعُ عنده حتى يَكُونُوا من بابِ الناطِفائيين إلى بابِ
المَشْهَدِ وإلى بابِ الساعاتِ غيرِ الوقوفِ ، فحُزِرَ جمعه فى بعضِ الأيامِ بثلاثين ألفاً من
الرجالِ والنساءِ ، وكان الناسُ يبيتون ليلةَ السبتِ بالجامعِ فى الصيفِ - ويتركون
البساتينَ والفرحَ - فى حَتَمَاتٍ وأذكارٍ لتحصيلِ الأماكنِ بميعاده ، فإذا فرغ من

(١) أى فى المراكب .

(٢) فى الأصل : « البان » ، وفى م : « إيان » . وانظر الذيل على الروضتين ص ٧٧ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٣ .

وَعَظِهِ خَرَجُوا إِلَى بَسَاتِينِهِمْ ، وَلَيْسَ لَهُمْ كَلَامٌ إِلَّا فِيمَا قَالَ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ ^(١) .
وَيُخَضِّرُ عِنْدَهُ الْأَكَابِرُ ، حَتَّى الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْيَمَنِ الْكِنْدِيُّ كَانَ يَجْلِسُ فِي
الْقُبَّةِ الَّتِي عِنْدَ بَابِ الْمَشْهَدِ هُوَ وَوَالِي الْبَلَدِ الْمُعْتَمِدُ وَوَالِي الْبَرِّ ابْنُ ثَمِيرِكَ ^(٢)
وغيرهم . فلما جلس يوم السبت خامس ربيع الأول بالجامع - كما ذكرنا -
حَثَّ النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ مَا كَانَ قَدْ تَحْصَّلَ عِنْدَهُ مِنْ شُعُورِ
التَّائِبِينَ ، وَقَدْ عَمِلَ مِنْهُ شِكَايَاتٍ ^(٣) يَحْمِلُهَا الرِّجَالُ ، فَلَمَّا رَأَاهَا النَّاسُ ضَجُّوا
صُجَّةً وَاحِدَةً ، وَتَبَاكَوْا بُكَاءً كَثِيرًا ، وَقَطَعُوا مِنْ شُعُورِهِمْ نَحْوَهَا ، فَلَمَّا انْقَضَى
الْمَجْلِسُ ، نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ ، فَتَلَقَّاهُ الْوَالِي مُبَارِزُ الدِّينِ الْمُعْتَمِدُ إِبْرَاهِيمُ ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ
النَّاسِ ، فَمَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى بَابِ النَّاطِفَانِيِّينَ يَغْضُدُهُ حَتَّى رَكِبَ فَرَسَهُ ، وَالنَّاسُ
بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، فَخَرَجَ مِنْ بَابِ الْفَرَجِ وَبَابِ الْمُصَلَّى ، ثُمَّ رَكِبَ مِنَ الْغَدِ فِي
النَّاسِ إِلَى الْكُسُوفِ ^(٤) ، وَمَعَهُ خَلَائِقُ كَثِيرُونَ بَنِيَّةُ الْجِهَادِ بِيَلَادِ الْقُدْسِ ، وَكَانَ مِنْ
جَمَلَةٍ مَنْ مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ زَمْلُكَا ^(٥) بِالْعُدَدِ التَّامَّةِ . قَالَ : فَجِئْنَا عَقَبَةَ أَفِيْقٍ ،
وَالطَّيْرُ لَا يَتَجَاسَّرُ أَنْ يَطِيرَ مِنْ خَوْفِ الْفَرْنَجِ ، فَلَمَّا وَصَلْنَا نَابُلُسَ تَلَقَّانَا الْمُعْظَمُ .
قَالَ : وَلَمْ أَكُنْ اجْتَمَعْتُ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَأَى الشُّكَايَاتِ مِنْ شُعُورِ التَّائِبِينَ
جَعَلَ يَقْبَلُهَا ، وَيُمِرُّعُهَا عَلَى وَجْهِهِ وَيَتَكَبَّرُ . وَعَمِلَ أَبُو الْمُظَفَّرِ مِيعَادًا بِنَابُلُسَ ،
وَحَثَّ عَلَى الْجِهَادِ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، ثُمَّ سَارُوا صُحْبَةً الْمُعْظَمِ إِلَى نَاحِيَةِ بِلَادِ

(١) بعده في م : « أجمع يقولون : قال الشيخ ، وسمعنا من الشيخ . فيحثهم ذلك على العمل الصالح والكف عن المساوي » .

(٢) في م : « تميرك » ، وفي ص : « يميرك » .

(٣) الشكال : العقال . اللسان (ش ك ل) .

(٤) الكسوة : قرية هي أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر . انظر معجم البلدان ٤ / ٢٧٥ .

(٥) زملاكا : قرية بغوطة دمشق . معجم البلدان ٢ / ٩٤٥ .

الفرنج، فقتلوا خلقاً، وخربوا أماكن كثيرة، وغنموا وعادوا سالمين، وشرع المعظم في تحصين جبل الطور وبناء قلعة فيه؛ ليكون ألماً على الفرنج، فغرم أموالاً كثيرة في ذلك، فبعثت الفرنج إلى العادل يطلبون منه الأمان والمصالحة، فهاذتهم وبطلت تلك العِمارة، وضاع [٣٣٨/٩] ما كان المعظم غرم عليها.

ومن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ أبو عمر بنى المدرسة بسفح قاسيون للقراء، رحمه الله^(١).

محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة، الشيخ الصالح أبو عمر المقدسي، بنى المدرسة التي يُقرأ فيها القرآن بسفح قاسيون، وهو أخو موفق الدين عبد الله ابن أحمد بن محمد بن قدامة، وكان الشيخ أبو عمر أسيراً منه؛ لأنه وُلد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بقرية الساويا، وقيل: بجَمَاعِيل^(٢). وهو ربي الشيخ موفق الدين، وأحسن إليه وزوجه، وكان يقوم بمصالحه^(٣)، وهو الذي قديم بهم من تلك البلاد^(٤) فنزلوا بمسجد أبي صالح ثم انتقلوا منه إلى السفح، وليس به من العِمارة سوى دَيْرِ الحوراني، قال: فقيل لنا: الصالحيون. نسبة إلى مسجد أبي صالح، لا أنا صالحون، وسُميت هذه البقعة من ذلك الحين بالصالحية نسبة إلينا. فقرأ الشيخ أبو عمر القرآن على رواية أبي عمرو، وحفظ «مختصر الخرقى» في الفقه، وهو الذي شرحه أخوه، فكتب شرحه بيده، وكتب «تفسير البغوي»،

(١) مرآة الزمان ٥٤٦/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٣/٣٢٦، والذيل على الروضتين ص ٧١، وسير أعلام النبلاء ٥/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٦٦، والوافي بالوفيات ١١٦/٢، والذيل على طبقات الحنابلة ٥٢/٢.

(٢) جماعيل: قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين. معجم البلدان ١١٣/٢.

(٣ - ٣) في م: «فلما قدم من الأرض المقدسة».

و«الحلية» لأبى نعيم، و«الإبانة» لابن بطة، وكتب مصاحف كثيرة للناس ولأهله لا بأجرة، وكان كثير العبادة والتَّهَجُّد، يصوم الدهر،^(١) حسن الشكل، نحيل الجسم، عليه أنوار العبادة^(٢)، لا يزال مُتَبَسِّمًا، وكان يقرأ كل يوم سبعة بين الظهر والعصر، ويصلي الضحى ثمانين ركعات يقرأ فيهن ألف مرة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وكان يزور مغارة الدم^(٣) في كل يوم اثنين وخميس، ويجمع في طريقه الشيخ، فيعطيه الأرامل والمساكين، ومهما تهياً له من فتوح وغيره يؤثّر به أهله والمساكين، وكان مُتَقَلِّلاً في اللبس، وربما مضت عليه مدة لا يلبس فيها سراويل ولا قميصاً، ويقطع من عمامته قطعاً يتصدق بها، أو في تكميل كف من يعوز كفته، وكان هو وأخوه وابن خالهم الحافظ عبد الغنى وأخوه الشيخ العماد لا ينقطعون عن غزاة يخرج فيها الملك صلاح الدين إلى بلاد الفرنج، وقد حضروا معه فتح القدس الشريف وغيرها، وجاء الملك العادل أبو بكر يوماً إلى خيمتهم لزيارة الشيخ أبى عمر، وهو قائم يصلي، فما قطع صلاته ولا أجزأها، بل استمر فيها، وهو الذى شرع فى بناء الجامع أولاً بمال رجل من الناس فنجد ما كان بيده، وقد ارتفع البناء قائماً، فبعث صاحب إربل الملك المظفر كوكبرى^(٤) مალأ فكمّل، وولى خطابته الشيخ أبو عمر، فكان يخطب به وعليه لباسه الضعيف، وعليه أنوار الخشية والتقوى^(٥)، وإنما كان المنبر الذى فيه ثلاث مراق، والرابعة للجلوس كما كان المنبر النبوى.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) مغارة الدم مشهورة بأنها المكان الذى قتل قابيل أخاه هابيل عندها. انظر ما تقدم فى ٢١٩/١.

(٣) سقط من: ص. وفى الأصل، م: «كوكرى». وانظر ما تقدم فى صفحة ٥.

(٤) بعده فى م: «والخوف من الله عز وجل، والمسك كيف خبأته ظهر عليك وبان».

وقد حكى أبو المظفر أنه حضر يوماً عنده الجمعة، وكان الشيخ عبد الله اليونيني^(١) حاضراً هناك، فلما انتهى الشيخ أبو عمر إلى الدعاء للسلطان قال: اللهم أصلي على عبدك الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب. فنهض الشيخ عبد الله وترك الجمعة، فلما فرغنا ذهبنا إليه فقلنا له: ماذا نقمت؟ فقال: يقول لهذا الظالم: العادل؟! فبينما نحن في الحديث إذ أقبل الشيخ [٣٣٨/٩ ظ] أبو عمر ومعه رغيف وخيارتان، فكسر ذلك وقال: الصلاة. ثم قال: قال النبي ﷺ: «بُعِثْتُ فِي زَمَنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ كِسْرَى»^(٢). فتبسّم الشيخ عبد الله، ومدّ يده فأكل، فلما قام الشيخ أبو عمر قال لى: يا سيدنا، ما ذا إلا رجل صالح. قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة^(٣): كان الشيخ عبد الله من الصالحين الكبار، وقد رأيته، وكانت وفاته بعد أبى عمر بعشر سنين، فلم يُسامح الشيخ أبا عمر في تساهله مع ورعه، ولعله كان مُسافِراً لا جمعة عليه، وغدُرَ الشيخ أبى عمر أن هذا قد جرى مجرى الأعلام؛ العادل، الكامل، الأشرف، ونحوه، كما يقال: سالم، وغانم، ومسعود، ومحمود. وقد يكون المسمى بذلك على الضد من هذه الأسماء^(٤)،

(١) فى الأصل، ص، والذيل على الروضتين: «اليونانى»، وفى م: «البوتانى». واليونينى نسبة إلى قرية من قرى بعلبك يقال لها: يُونين. وستأتى ترجمته فى صفحة ١٠٢.

(٢) ذكره البيهقى فى الشعب (٥١٩٥) مبطلا له بلفظ: «ولدت فى زمن الملك العادل» يعنى أنوشروان. وذكره العجلونى فى كشف الخفا بلفظ: «بعث فى زمن الملك العادل». والحديث باطل لا أصل له (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٩٩٧). وسأتى كلام المصنف عليه قريباً.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٧٢.

(٤) بعده فى م: «فلا يكون سالماً ولا غانماً ولا مسعوداً ولا محموداً، وكذلك اسم العادل ونحوه من أسماء الملوك وألقابهم والتجار وغيرهم كما يقال: شمس الدين وبدر الدين وعز الدين وتاج الدين ونحو ذلك قد يكون معكوساً على الضد والانقلاب ومثله الشافعى والحنبلية وغيرهم، وقد تكون أعماله ضد ما كان عليه إمامه الأول من الزهد والعبادة ونحو ذلك».

وكذلك إطلاق العادل ونحوه قد دخل إطلاقه على المشرك^(١) ، فهذا أولى .

قلت : هذا الحديث الذى احتج به الشيخ أبو عمر لا أصل له ، وليس هو فى شيء من الكتب المشهورة ، وعجبتا له ولأبى المظفر ، ثم لأبى شامة فى قبول هذا وأخذه عنه مسلماً ! والله أعلم .

ثم شرع أبو المظفر فى ذكر مناقب أبى عمر وكراماته ، وما رآه هو وغيره من أحواله الصالحة ، قال : وكان على مذهب السلف الصالح ، حسن العقيدة ، متمسكاً بالكتاب والسنة والآثار المزوية ، يمرها كما جاءت من غير طعن على أئمة الدين وعلماء المسلمين ، وينهى عن ضعبة المتبذعين ، ويأمر بضعبة الصالحين^(٢) . قال : ربما أنشدنى لنفسه فى ذلك^(٣) :

أوصيكم بالقول فى القرآن	بقول أهل الحق والإثقان
ليس بمخلوق ولا بفان	لكن كلام الملك الديان
آياته مشرقة المعانى	مثلوة لله باللسان
مخفوظة فى الصدر والجنان	مكتوبة فى الصحف بالبتان
والقول فى الصفات يا إخوانى	كالذات والعلم مع البيان
إمرازها من غير ما كُفران	من غير تشبيه ولا غطلان ^(٤)

قال : وأنشدنى لنفسه :

ألم يك ملهاة عن اللهو أننى بدالى شيب الرأس والضعف والألم

(١) فى الأصل ، م : « المشترك » . وانظر مصدر التخريج .

(٢) بعده فى م : « الذين هم على سنة سيد المرسلين وخاتم النبيين » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٧٤ .

(٤) فى الأصل ، ص : « عدوان » .

أَلَمْ يَ الْخَطْبُ الَّذِي لَوْ بَكَيْتُهُ حَيَاتِي حَتَّى يَذْهَبَ الدَّمْعُ لَمْ أَلَمْ

قال : ومريض أياماً ، فلم يترك شيئاً مما كان يفعله من الأوراد ، حتى كانت وفاته وقت السحر في ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الأول ، فغسل بالذير ، وحمل إلى مقبرته في خلقي كثير لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، ولم يبق أحد من الدولة والأمراء والعلماء والقضاة وغيرهم إلا حضر جنازته ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان الحر شديدًا ، فأظلت الناس سحابة من الحر كان يسمع منها كدوى النحل ، وكاد الناس ينتهبون أكفانه ، وقد رثاه الشعراء بمرث حسنة ، ورثيت له منامات صالحة ، رحمه الله ، وترك من الأولاد ثلاثة ذكور^(١) ؛ عمر ، وبه كان يكتنى ، والشرف عبد الله ،^(٢) وقد ولي الخطابة بعد أبيه ، وهو والد العز ، و^(٣) أحمد ، ولما توفي الشرف عبد الله^(٤) صارت الخطابة لأخيه شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر ، وكان من أولاد أبيه الذكور ، وكان له من الإناث بنات كما قال الله تعالى : ﴿ مُسْلِمَتٍ مُّؤْمِنَةٍ قَنَئِتٍ تَتَّبِعُ عِدَّتِ سَلَحَتِ تَبَيَّتْ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحریم : ٥] . [٣٣٩/٩] قال : وقبره في طريق مغارة الجوع في الرقاق المقابل للدير الحوراني . رحمه الله وإيانا .

ابن طبرزد شيخ الحديث : عمر بن محمد بن معمر بن يحيى المعروف بأبي حفص بن طبرزد البغدادي الدارقزي^(٤) ، ولد سنة عشر^(٥) وخمسمائة ،

(١) كذا في النسخ . والصحيح أنهم أربعة كما سيأتي وكما في مرآة الزمان والذيل على الروضتين .

(٢) - سقط من : ص .

(٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من الذيل على الروضتين ص ٧٤ .

(٤) الكامل ٢٩٥/١٢ ، ومرآة الزمان ٥٣٨/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/٣٣٤ ،

والذيل على الروضتين ص ٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ٥٠٧/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ -

٦١٠) ص ٢٥٩ .

(٥) في م : « خمس عشرة » .

وسمع الكثير وأسمع، وكان خليعاً ظريفاً ماجناً، وكان يُؤدّب الصبيانَ بدارِ القزِّ^(١)، قديم مع حنبل بن عبد الله المكبّر^(٢) إلى دمشق، فسمع أهلها عليهما، وحصل لهما أموال، وعادا إلى بغداد، فمات حنبل سنة ثلاث، وتأخر هو إلى هذه السنة^(٣)، فمات فيها وله سبع وتسعون سنة، وترك مالا جيدا، ولم يكن له وارث إلا بيت المال، ودُفن بباب حرب.

السلطان الملك العادل أرسلان شاه نور الدين^(٤) أبو الحارث أرسلان شاه ابن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي^(٥) صاحب الموصل، وهو ابن أخى نور الدين الشهيد، وقد ذكرنا من سيرته فى الحوادث ما فيه كفاية، وكان شافعي المذهب، ولم يكن بينهم شافعي سواه، وبني للشافعية مدرسة عظيمة بالموصل، وبها تُرثته، قال ابن خلّكان^(٦): وكانت وفاته ليلة الأحد التاسع والعشرين من رجب من هذه السنة.

ابن سَكِينَة: عبد الوهاب بن علي^(٧) ضياء الدين أبو محمد المعروف بابن سَكِينَة الصوفي، كان يُعَدُّ من الأبدال، سمع الكثير، وأسمع بيلاذ شتى، وكان مولده فى سنة تسع عشرة وخمسمائة، وكان صاحباً للشيخ أبى الفرج بن

(١) دار القز: محلة كبيرة ببغداد فى طرف الصحراء. معجم البلدان ٢/ ٥٢٢.

(٢) المكبّر: من يبلغ تكبير الإمام إلى الناس إذا كثروا. انظر الأنساب ٥/ ٣٧٢.

(٣) بعده فى م: «فى تسع شهر رجب».

(٤ - ٥) سقط من: م.

(٥) وفيات الأعيان ١/ ١٩٣.

(٦) بعده فى الأصل، ص: «بن». وانظر ترجمته فى: الكامل ١٢/ ٢٩٥، والذيل على الروضتين ص

٧٠، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٢، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٥٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٥٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٣٢٤. وجاءت كتيبه فى المصادر -

عدا الذيل على الروضتين - «أبو أحمد».

الجَوَزِيُّ مُلَازِمًا لِمَجْلِسِهِ ، وكان يَوْمُ جِنَازَتِهِ مشهودًا ؛ لكثرة ما كان فيه مِنَ الخاصَّةِ
والعامَّةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

مُظَفَّرُ بْنُ شَاشِيرٍ^(١) الواعظُ الصُّوفِيُّ البَغْدَادِيُّ ، وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ
وخمسمائةً ، وسمع الحديثَ ، وكان يَعِظُ فِي الْأَغْزِيَةِ والمساجِدِ والقُرَى ، وكان
ظَرِيفًا مَطْبُوعًا ، قام إِلَيْهِ إنسانٌ وهو يَعِظُ فقال له فيما بينه وبينه : أنا مريضٌ
جائعٌ . فقال : احمَدُ رَبِّكَ فقد عُوفيتَ . واجتاز على قَصَابٍ يَبِيعُ لحمًا ضعيفًا ،
وهو يقولُ : أينَ مَنْ حَلَفَ لَا يُعْبَرُ^(٢) ؟ فقال له : حتى تُحْبِثَهُ !؟ قال : وَعَمِلْتُ مرَّةً
مَجْلِسًا يَبْعَثُونَ^(٣) ، فجعلَ هذا يقولُ : عندى للشيخِ نِصْفِيَّةٌ . وهذا يقولُ مثله ،
حتى عُدُوا نحوًا مِنْ خمسينِ نِصْفِيَّةً . فقلتُ فى نفسى : استَغْنَيْتُ اللَّيْلَةَ ، فَأَرْجِعْ
إِلَى الْبَلَدِ تاجرًا . فلما أَصْبَحْتُ إِذَا صُبْرَةٌ مِنْ شَعِيرٍ فى المسجدِ ، فقيل : هذه
النِّصَافى . وَإِذَا هى مِكِيلَةٌ يُسْمُونَهَا النِّصَافى . وَعَمِلْتُ مرَّةً مَجْلِسًا بِبَاجِسْرَا^(٤) ،
فجَمَعُوا لى شَيْئًا لا أَدْرِ ما هو ، فلما أَصْبَحْنَا إِذَا شَيْءٌ مِنْ صُوفِ الْجَوَامِيسِ
وَقُرُونِهَا ، فقام رجلٌ يُنادى عليها : كم فى صُوفِ الشَّيْخِ وَقُرُونِهِ ؟ فقلتُ : لا
حاجةَ لى بهذا ، وأنتم فى جِلٍّ مِنْهُ . ذَكَرَهُ أَبُو شَامَةَ^(٥) .

(١) فى الأصل : « شاسير » ، وفى م : « ساسير » . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٥٥٣/٨ (القسم
الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/٣٣٧ ، والذيل على الروضتين ص ٧٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث
ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٨٢ .

(٢) يغبن : يغلب فى البيع . انظر الوسيط (غ ب ن) .

(٣) بعقوبًا : قرية كبيرة كالمدينة ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من أعمال طريق خراسان ، وهى كثيرة
الأنهار والبساتين . معجم البلدان ١/٦٧١ .

(٤) فى م : « بياصرا » . وباجسرا : بُلَيْدَةٌ فى شرقى بغداد بينها وبين حلوان ، على عشرة فراسخ من
بغداد . معجم البلدان ١/٤٥٤ .

(٥) الذيل على الروضتين ص ٧٧ .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وستمائة

استَهَلَّتْ^(١) والعاذلُ مُقِيمٌ على الطَّوْرِ لِعِمَارَةِ حَصْنِهِ، وجاءت الأخبارُ من بلادِ المغربِ بأن ابنَ^(٢) عبدِ المؤمنِ قد كسرَ الفِرْنَجَ بَطُلَيْطُلَةً كَثْرَةً عَظِيمَةً، وربما فَتَحَ البلدَ غَنَوَةً، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا عَظِيمًا.

وفيهما كانت زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ شَدِيدَةٌ هَدَمَتْ بِمَصْرَ والقاهرةَ دُورًا [٣٣٩/٩ ظ] كثيرةً، وكذلك بِمَدِينَةِ الكَرْكِ والشُّوبَلِكِ هَدَمَتْ مِنْ قَلْعَتِهَا أُبْرَاجًا، وماتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الصَّيَّيَانِ والتُّشَوَّانِ تَحْتَ الهَدْمِ. ورُئِيَ دُخَانٌ نَازِلٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ^(٣) فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ عِنْدَ قَبْرِ عَاتِكَةَ غَرْبِيٍّ دِمَشْقَ^(٤).

وفيهما أَظْهَرَتِ الْبَاطِنِيَّةُ الْإِسْلَامَ، وَأَقَامَتِ الْحُدُودَ عَلَى مَنْ يَتَعَاطَى الْحَرَامَ، وَبَنَوْا الْجَوَامِعَ وَالْمَسَاجِدَ، وَكَتَبُوا إِلَى إِخْوَانِهِمْ بِالشَّامِ بِمَصْيَابِ^(٥) وَأَمْثَالِهَا بِذَلِكَ، وَكَتَبَ زَعِيمُهُمْ جَلَالُ الدِّينِ إِلَى الْخَلِيفَةِ يُعَلِّمُهُ بِذَلِكَ، وَقَدِمَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ إِلَى بَغْدَادَ لِأَجْلِ الْحَجِّ فَأُكْرِمُوا وَعُظِّمُوا بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانُوا بِعَرَافَاتِ ظَفَرِ^(٥)

(١) الكامل ٢٩٦/١٢ - ٢٩٩، ومرة الزمان ٥٥٥/٨ - ٥٥٧ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ٧٧ - ٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٤ - ٣٦.
(٢) سقط من: الأصل، م.

(٣ - ٣) كذا في النسخ. وفي الذيل: «فيما بين الغرب والقبلة بنواحي أرض عاتكة ظاهر دمشق وقت العصر». (٤) سقط من: ص. وفي الأصل: «بمصيبت»، وفي م: «بمضات». ومصيبات: حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس، وبعضهم يقول: مصيبات. معجم البلدان ٥٥٦/٤.
(٥) في الأصل: «ظهر». قال الأخفش: تقول العرب: ظفر عليه. بمعنى ظفر به. اللسان (ظ ف ر).

واحدٌ منهم على قريبٍ لأُميرِ مكةَ قَتَادَةَ الحُسَيْنِيِّ ، فَقَتَلَهُ ظَانًّا أَنَّهُ قَتَادَةُ ، فَتَارَتْ
فِتْنَةً بَيْنَ سُودَانِ مكةَ وَرَكِبَ العِرَاقَ ، وَنُهِبَ الرِّكْبُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ .
وفِيهَا اشْتَرَى المَلِكُ الأَشْرَفُ جَوَاسِقَ الرِّيسِ مِنَ النَّيِّرِبِ ^(١) مِنْ ابْنِ عَمِّهِ
الظَّافِرِ ^(٢) خَضِرِ بْنِ صَلاَحِ الدِّينِ ، وَبَنَاهُ بِنَاءً حَسَنًا ، وَهُوَ المُسَمَّى فِي زَمَانِنَا
بِالدهْشَةِ ^(٣) .

وَمَنْ تُوفِيَ فِيهَا مِنَ الأَعْيَانِ :

الشيخُ عِمَادُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ المَوْصِلِيُّ ^(٤) ، صَاحِبُ
التَّصَانِيفِ والفُنُونِ الكَثِيرَةِ ، كَانَ رَئِيسَ الشَّافِعِيَةِ بِالمَوْصِلِ ، وَبُعِثَ رَسُولًا إِلَى
بَغدَادَ بَعْدَ مَوْتِ نُورِ الدِّينِ أَرْسَلَانِ ، وَكَانَ عِنْدَهُ وَسْوَسةٌ كَثِيرَةٌ فِي الطَّهَّارَةِ ،
وَكَانَ يُعَامِلُ فِي الأَمْوَالِ بِمَسْأَلَةِ العَيْنَةِ ^(٥) - وَلَوْ عَكْسَ الأَمْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ - فَلَقِيهِ
يَوْمًا قَضِيبُ البَانِ ^(٦) المَوْلَى ، فَقَالَ لَهُ : يَا شَيْخُ ، بَلَّغْنِي عَنْكَ أَنَّكَ تَغْسِلُ العُضْوَ مِنْ

(١) الجوسق : القصر الصغير . والحصن . والنيرب : قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط
البيساتين . معجم البلدان ٨٥٥ / ٤ .

(٢) في الأصل : « الظاهر » ، وفي م : « الظاهر » . وانظر الوافي بالوفيات ٣٢٩ / ١٣ .

(٣) في ص : « بالرسه » .

(٤) الكامل ٢٩٨ / ١٢ ، ومرة الزمان ٥٥٨ / ٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣٦٨ / ٣ ،
والذيل على الروضتين ٨٠ ، ووفيات الأعيان ٢٥٣ / ٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤٩٨ / ٢١ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١٠ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٠٩ / ٨ .

(٥) بعده في الأصل ، م : « كما قيل : تصفون البعوض من شرابكم وتستربطون الجمال بأحمالها » .
والعينة : هو أن يبيع من رجلٍ سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى ، ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذي
باعها به . النهاية ٣٣٣ / ٣ .

(٦) هو أبو عبد الله الحسين بن أبي القاسم بن الحسين ، من أهل الموصل ، كان من المعمرين ، له كرامات
تحكى عنه مشهورة يتداولها الناس تنافى العقل والشرع ، توفي سنة نيف وسبعين . انظر تاريخ إربل ١ /
٣٧١ .

أَعْضَائِكَ بِأَبَارِيقَ مِنَ الْمَاءِ ، فلم لَا تَسْتَنْظِفُ اللَّقْمَةَ الَّتِي تَأْكُلُهَا ^(١) لِيَسْتَنْظِفَ قَلْبُكَ وَبَاطِنُكَ ^(٢) ؟! فَفَهِمِ الشَّيْخُ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَرَكَ الْمَاعِمَلَةَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْمَوْصِلِ فِي رَجَبٍ عَنْ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً .

ابْنُ حَمْدُونِ تَاجُ الدِّينِ أَبُو سَعْدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَمْدُونِ ^(٣) ، وَلَدُ ^(٤) صَاحِبِ « التَّذَكُّرَةِ الْحَمْدُونِيَّةِ » ، كَانَ فَاضِلًا بَازِعًا ، اِغْتَنَى بِجَمْعِ الْكُتُبِ الْمُنَسُوبَةِ وَغَيْرِهَا ، وَوَلَّاهُ الْخَلِيفَةُ الْمَارِسْتَانُ الْعَضُدِيُّ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْمَدَائِنِ ، وَحُمِلَ إِلَى مَقَابِرِ قَرِيشٍ .

وَفِيهَا تُوفِّيَ صَاحِبُ الرُّومِ خُشْرُوشَاهُ بْنُ قَلِيجٍ ^(٥) أَرْسَلَانِ ، وَقَامَ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ كَيْكَائُوسُ ، فَلَمَّا تُوفِّيَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةَ مَلِكًا أَخُوهُ كَيْقُبَادُزُ .

صَارُمُ الدِّينِ بُزْغَشُ الْعَادِلِيُّ ^(٦) ، نَائِبُ الْقَلْعَةِ بِدَمَشَقَ ، مَاتَ فِي صَفَرٍ ، وَدُفِنَ بِتَرْبَتِهِ غَرْبِيَّ الْجَامِعِ الْمُظْفَرِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي نَفَى الْحَافِظَ عَبْدَ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيَّ إِلَى مِصْرَ ، وَبَيَّنَ يَدِيهِ كَانَ عَقْدُ الْمَجْلِسِ ^(٧) ، وَكَانَ فِي جَمَلَةٍ مَن قَامَ عَلَيْهِ ابْنُ الزُّكَيْكِيِّ وَالْخَطِيبُ الدَّوْلَعِيُّ ، وَقَدْ تُوفُّوا أَرْبَعَتُهُمْ وَغَيْرُهُمْ مَن قَامَ عَلَيْهِ ، وَاجْتَمَعُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ الْحَكَمِ الْعَدْلِ سَبْحَانَهُ ^(٨) .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) معجم الأدباء ٩/ ١٨٤ ، والكامل ١٢/ ٢٩٩ ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٥٧ ، والذيل على الروضتين ٧٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٩١ ، والوافي بالوفيات ١٢/ ٢٢١ .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٤) في م : « قليج » ، وفي ص : « مليح » . وانظر مصدرى ترجمته ؛ الذيل على الروضتين ص ٨٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٩٢ .

(٥) الذيل على الروضتين ص ٨٠ ، ونهاية الأرب ٢٩/ ٥٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٩٠ ، والمقفى الكبير ٢/ ٤١١ وفيه وفي نهاية الأرب : « برغش » . وانظر تبصير المنتبه ٤/ ١٤٨٩ ، وتاج العروس (برغش) .

الأمير فخر الدين سرکس^(١) ، ويقال له : جهاز كس . أحد أمراء الدولة الصلاحية ، وإليه تُنسب قباب سرکس بالسفح تجاه تربة خاتون ، وبها قبره . قال ابن خلکان^(٢) : وهو الذي بنى القيسارية الكبرى بالقاهرة المنسوبة إليه ، وبنى فى أعلاها مسجداً معلقاً وربّعا ، وقد ذكر جماعة من الثّجار أنهم لم يروا لها نظيراً فى البلدان فى حسنّها وعظمتها وإحكام بنائها . قال : وجهاز كس بمعنى أربعة أنفس .

[٣٤٠/٩] قلت : وقد كان نائباً للعدل على بانياس و^(٣) تينين وهونين^(٣) ، فلما توفى ترك ولداً صغيراً ، فأقرّه العدل على ما كان يليه أبوه ، وجعل له مذبّراً وهو الأمير صارم الدين خطيباً^(٤) التّينينى ، ثم استقلّ بها بعد موت الصبي إلى سنة خمس عشرة .

الشيخ الكبير المعمر الرّحلة أبو القاسم أبو بكر أبو الفتح منصور بن عبد المّنع بن عبد الله بن محمد بن الفضل الفّراوى^(٥) التّيسابورى ، سجع أباه وجدّ أبيه وغيرهما ، وعنه ابن الصّلاح وغيره ، وكانت وفاته بتيسابور فى شعبان هذه

(١) وفيات الأعيان ٣٨١ / ١ .

(٢) مرآة الزمان ٥٥٨/٨ (القسم الثانى) وفيه : « شرکس » ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/٣٨٩ ، والذيل على الروضتين ص ٧٩ ، ووفيات الأعيان ٣٨١ / ١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٩٠ .

(٣ - ٣) فى م : « تينين وهوين » . وتينين : بلدة فى جبال بنى عامر ، المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور . وهونين : بلد فى جبال عاملة ، مّطل على نواحي مصر . معجم البلدان ١/٨٢٤ ، ٤/٩٩٦ .

(٤) فى م : « قطلبا » ، وفى ص : « خطبا » .

(٥) فى الأصل ، ص : « الفّراوى » . والفّراوى نسبة إلى فراوة : بليدة من أعمال نسا . معجم البلدان ٣/٨٦٦ ، وانظر ترجمته فى : ذيل تاريخ بغداد ١٥/٣٥٣ ، ومرآة الزمان ٨/٧٥٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ٨٠ ، والتكملة لوفيات النقلة ٣/٣٧١ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٤٩٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣١٢ .

السنة عن خمسٍ وثمانين سنةً .

قاسم الدين التزكمانى العَقَبِيّ^(١) ، والدُ والى البلد^(٢) ، كانت وفاته فى شوالٍ من هذه السنة . والله أعلم .

(١) الذيل على الروضتين ص ٨٠ .

(٢) أى دمشق . كما فى الذيل .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعٌ وَسِتْمِائَةٌ

فيها^(١) اجْتَمَعَ العادلُ وأولاده ؛ الكاملُ والمُعْظَمُ والفائزُ بدمياطَ من بلادِ مصرَ في مُقاتِلَةِ الفِرْنَجِ ، فاعْتَنَمَ غَيبَتَهُمْ سَامَةٌ^(٢) الجبَلِيُّ أَحَدُ أَكابرِ الأُمراءِ ، وكانت بيده قَلْعَةُ عجلونَ وَكَوْكَبِ ، فساقَ مُسرِعًا إلى الشامِ لِيَسْتَلِمَ البلدَينِ ، فأرْسَلَ العادلُ في إثرِهِ ولَدَهُ المُعْظَمَ صاحِبَ الشامِ فسبِقَهُ إلى القُدسِ الشَريفِ ، وحَمَلَ إليه ، فرَسَمَ عليه في كَنِيسَةٍ صَهيونَ ، وكان شَيْخًا كَبِيرًا قد أَصابَهُ التَّقَرُّسُ ، فشرَعَ يَزُدُّهُ إلى الطاعةِ بِالْمُلاطَفَةِ ، فلم يَنْفَعْ فيه ، فاستَوَلَى على حَواصِلِهِ وأَمْلَاكِهِ وأموالِهِ ، وأرْسَلَهُ فاعتقلَهُ بِقَلْعَةِ الكَرْكِ ، وكان قِيَمَةُ ما أَخَذَ مِنْهُ قَرِيبًا مِنْ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ ، مِنْ ذَلِكَ دَارُهُ وَحَمَّائِهِ دَاخِلَ بابِ السَّلَامَةِ ، ودَارُهُ هِيَ الَّتِي جَعَلَهَا البادَرائِيُّ مَدْرَسَةً لِلشَّافِعِيَةِ ، وَخَرَّبَ حَصْنَ كَوْكَبِ ، وَنُقِلَتْ حَواصِلُهُ إلى حَصَنِ الطُّورِ الَّذِي اسْتَجَدَّهُ العادلُ وَلَدَهُ المُعْظَمُ .

وفيها عُزِلَ الوَزيْرُ صَفِيُّ الدِّينِ بَنُ شُكْرِ ، واخْتِيطَ على أُمُوَالِهِ وَنُفِيَ إلى الشَّرْقِ ، وَهُوَ الَّذِي كانَ قد كَتَبَ إلى الدِّيارِ المِصْريَةِ بَنَفِي الحَافِظِ عَبْدِ الغَنِيِّ إلى المَغْرِبِ ، فَتَوَقَّى الحَافِظُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ كِتَابُهُ ، وَكَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَنَفِيهِ إلى الشَّرْقِ .

(١) الكامل ٣٠٠/١٢ ، ومروءة الزمان ٥٦٠/٨ - ٥٦٣ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ٨٠ - ٨٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٧ - ٣٩ .
(٢) كذا في النسخ وتاريخ الإسلام . وفي الكامل ومروءة الزمان والذيل : «أسامة» .

وفيهما استَوَلَى صاحبُ قُبُورَسَ ، لعنه الله ، على مدينةِ أَنْطَاكِيةَ ، فحصل بسببه شرٌّ عظيمٌ ، وتمكَّن من الغاراتِ على بلادِ المسلمين ، لاسيما على التُّراكِمين الذين حولَ بلدةِ أَنْطَاكِيةَ ؛ قتل منهم خلقًا كثيرًا ، وغنم من أغنامهم شيئًا كثيرًا ، فقدَّر الله عز وجل ، أن أمكنهم منه في بعضِ الأودِيَةِ ، فقتلوه وطاقوا برأسه في تلك البلادِ كُلِّها ، ثم أَرْسلوه إلى الملكِ العادلِ بالديارِ المِصرِيَةِ ، فطِيفَ به هنالك ، وهو الذى كان قد أغار على بلادِ مِصرَ من ثَغْرِ دِمِياطَ مرتين ، فقتل وسبى .

وفى ربيعِ الأولِ منها تُوفِّيَ الملكُ الأُوحدُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُوبُ بنُ العادلِ^(١) صاحبُ خِلاطَ ، يقالُ : إنه قد سَفَكَ الدَّمَاءَ ، وأساءَ السَّيْرَةَ إلى أهلِها ، فقَصَفَ اللهُ عمره ، ووليها بعده أخوه الملكُ الأَشْرَفُ موسى بنُ العادلِ ، وكان محمودَ السَّيْرَةِ ، جيّدَ السَّريَةِ ، فأحسَنَ إليهم ، فأحبَّوه كثيرًا .

وفيهما تُوفِّيَ فقيهُ الحَرَمِ الشَّريفِ بِمَكَّةَ ، مُحَمَّدُ بنُ إِسماعيلَ بنِ أبى الصَّيْفِ اليَمَنِى^(٢) ، رَحِمَهُ اللهُ .

وأبو إِسحاقَ إبراهيمَ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ أبى بَكْرِ القَفْصَى^(٣) المُقَرِّئُ المُحدِّثُ ، كَتَبَ كثيرًا ، وسمعَ الكثيرَ ، وذُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَةِ ، [٣٤٠/٩ ظ] رَحِمَهُ اللهُ .

(١) مرآة الزمان ٥٦٠/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ٨١ ، ونهاية الأرب ٦٢/٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٣١/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٢٧ ، والوفاء بالوفيات ٣٦/١٠ .

(٢) فى ص : «الضيف الضبى» . وانظر ترجمته فى : الكامل ٣٠٠/١٢ ، والتكملة لوفيات النقلة ٤٦/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٤٣ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤٦/٨ .

(٣) مرآة الزمان ٥٦١/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ١٦/٤ ، والذيل على الروضتين ص ٨٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٢٤ .

أبو الفتح محمد بن سعيد بن محمد الدياجي^(١)، من أهل مَرْو، له كتاب
«المَحْصَل» في شرح «المَفْصَل» للزَّمْخَشَرِي في النحو، وكان ثقةً عالماً، سَمِعَ
الحديث، تُوفِّي في هذه السنة عن ثنتين وتسعين سنة.

الشيخ الصالح الزاهد العابد^(٢) أبو الشاء^(٣) محمود بن عثمان بن مَكَارِمَ
النَّعَالِ الحَنْبَلِي، له عبادات ومجاهدات وسياحات، وبني رباطاً بباب الأَزَجِ^(٤)
يَأْوِي إليه أهل العلم من المقدسة وغيرهم، وكان يُؤَثِّرُهُمْ ويُحْسِنُ إليهم، وقد
سَمِعَ الحديث، وقرأ القرآن، وكان يَأْمُرُ بالمعروفِ وَيَنْهَى عن المنكرِ. وكانت
وفاته في هذه السنة وقد جاوز الثمانين.

(١) إنباه الرواة ١٣٩/٣، والتكملة لوفيات النقلة ٧/٤، والذيل على الروضتين ص ٨٢، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٤٥، والوافي بالوفيات ٨٩/٣.

(٢ - ٢) في النسخ: «أبو البقاء». والمثبت من مصادر ترجمته؛ مرآة الزمان ٥٦٢/٨ (القسم الثاني)،
والتكملة لوفيات النقلة ٥/٤، والذيل على الروضتين ص ٨٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ -
٦١٠) ص ٣٤٨، وذيل طبقات الحنابلة ٦٣/٢.

(٣) باب الأَزَج: محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار في شرقي بغداد. معجم البلدان ١/٢٣٢.

ثم دَخَلَتْ سنة عشرٍ وستُمائةٍ

فيها^(١) أمر العادل أيام الجمع بوضع سلاسل على أفواه الطُّرُق إلى الجامع لئلا تصل الخيول إلى قريب الجامع صيانةً للمسلمين عن التَّأذى بهم ، والتضييق عليهم .

وفيها وُلِدَ الملك العزيز^(٢) «بْنُ الظاهر» غازي صاحب حلب ، وهو والدُ الملك الناصر صاحب دمشق واقف الناصريَّتين^(٣) الذي أسره هلاوون ملك التَّار . وفيها قُدم بالفيل من الديار المصرية ، فحُمِلَ هديةً إلى صاحب^(٤) الكُوج ، فتعجَّب أهل دمشق منه ، ومن بديع خِلقته .

وفيها قُدم الملك الظافر خَضِرُ بْنُ السلطان صلاح الدين من حلب لقصد الحج ، فتلقاه الناس ، وأكرمه ابن عمه المُعَظَّم صاحب دمشق ، فلما لم يَتَقَّ بينه وبين مكة إلا مَراحِلُ يسيرةً تلقَّته حاشيةُ الكامل صاحب مصر ، وصدَّوه عن الدُّخول إلى مكة ، وقالوا : إنما جئت لأخذ اليمين . فقال لهم : قَيِّدُونِي وَذَرُونِي

(١) الكامل ١٢ / ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ورملة الزمان ٨ / ٥٦٤ - ٥٦٩ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ٨٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٤٠ - ٤٢ .
(٢ - ٣) في الأصل ، م : « للظاهر » .

(٣) بعده في م : « داخل دمشق لإحداهما داخل باب الفرديس والأخرى بالسفح ذات الحائط الهائل والعمارة المتينة التي قيل : إنه لا يوجد مثلها إلا قليلا وهو » . والناصريتان هما المدرسة الناصرية البرانية والناصرية الجوانية . انظر الدارس ١ / ١١٥ - ١١٧ .

(٤) سقط من : الأصل ، ص ، والذيل على الروضتين . والمثبت موافق لما في تاريخ الإسلام .

أَقْضَى الْمَنَاسِكَ . فقالوا : ليس معنا مَرْسُومٌ وإنما أَمَرْنَا بِرَدِّكَ وَصَدَّكَ . فَهَمَّ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ بِقِتَالِهِمْ ، فَخَافَ مِنْ وَقُوعِ فِتْنَةٍ ، فَتَحَلَّلَ مِنْ حَجِّهِ ، وَرَجَعَ إِلَى الشَّامِ ، وَتَأَسَّفَ النَّاسُ عَلَى مَا فَعَلَ بِهِ ، وَتَبَاكَوْا مِنْ أَجْلِهِ لَمَّا وَدَّعَهُمْ ، تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ .

وفيهما وصل كتاب من بعض فقهاء الحنفية بخراسان إلى الشيخ تاج الدين الكِنْدِيُّ يُخْبِرُ فِيهِ أَنَّ السُّلْطَانَ خُوارِزْمَ شاه محمد بن يَكِشَ تَنَكَّرَ فِي ثَلَاثَةِ نَفَرٍ ، وَدَخَلَ بِلَادَ التَّتَرِ لِيَكْشِفَ أَخْبَارَهُمْ بِنَفْسِهِ ، فَأَنْكَرُوهُمْ فَقَبَضُوا عَلَيْهِمْ ، فَضَرَبُوا مِنْهُمْ اثْنَيْنِ حَتَّى مَاتَا ، وَلَمْ يُقَرَّ بِمَا جَاءُوا إِلَيْهِ ، وَاسْتَوْثَقُوا مِنَ الْمَلِكِ وَصَاحِبِهِ أَسْرًا ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي هَرَبَا ، وَرَجَعَ السُّلْطَانُ إِلَى مُعَسَّكَرِهِ ،^(١) فَعَادَ إِلَى مَمْلَكَتِهِ .

قلتُ : وهذه المكاتبة غير ما تقدّم من^(١) أسره في المعركة مع ابن مسعود الأمير ، والله أعلم .

^(٢) وفيها ظهرت بلاطة وهم يخفرون في خندق حلب ، فوجد تحتها من الذهب خمسة وسبعون رطلاً ، ومن الفضة خمسة وعشرون بالرطل الحلبى^(٢) .
وفيها تُوفى :

مدرس مشهد أبى حنيفة وشيخ الحنفية ببغداد ، الشيخ أبو الفضل أحمد بن مسعود بن على التُّركُستاني^(٣) ، وكان إليه المظالم ، ودُفِنَ بِالْمَشْهَدِ الْمَذْكُورِ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) الكامل ٣٠٢/١٢ ، والذيل على الروضتين ص ٨٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٥٧ ، والوفى بالوفيات ١٧٨/٨ ، والتكملة لوفيات النقلة ٦٢/٤ ، والجواهر المضية ٣٣١/١ .

والشيخ^(١) أبو محمد إسماعيل بن علي بن الحسين فخر الدين الحنبلي،
ويُعرف بابن الماشطة، ويقال له: الفخر. غلام ابن المتي. له تعلية في الخلاف،
وكانت له حلقة بجامع الخليفة، وكان يلي النظر في قرايا الخليفة، ثم عزله،
فلزم بيته فقيرًا لا شيء له إلى [٣٤١/٩] أن مات، رحمه الله، وكان ولده محمد
مُدبِّرًا شيطانًا مريدًا، كثير الهجاء والسعاية بالناس إلى أولياء الأمر بالباطل، فقطع
لسانه، وحبس إلى أن مات.

والوزير مُعزُّ الدين أبو المعالي سعيد بن علي بن أحمد بن حديدة^(٢)، من
سلالة الصَّحابي قُطبة بن عامر بن حديدة الأنصاري، ولي الوزارة للناصر في سنة
أربع وثمانين، ثم عزله عن سيفارة ابن مهدي، فهرب إلى مراغة^(٣)، ثم عاد بعد
ابن مهدي، فأقام ببغداد مُعظَّمًا مُحترَّمًا، وكان كثير الصدقات والإحسان إلى
الناس، رحمه الله.

وسنجر بن عبد الله الناصري الخليفي^(٤)، كانت له أموال كثيرة وأُملاك
واقطاعات مُتسعة، وكان مع ذلك بخيلًا ذليلاً ساقط النفس، اتفق أنه خرج أمير

(١ - ١) في م: «أبو الفضل بن». وانظر ترجمته في: الذيل على الروضتين ص ٨٤، ٨٥، ومراة
الزمان ٥٦٥/٨ (القسم الثاني)، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٢٨، والتكملة لوفيات النقلة ٤/٥٩، وتاريخ
الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٦٠، والوفاء بالوفيات ٩/١٥٧، وذيل طبقات
الحنابلة ٦٦/٢.

(٢) الكامل ٣٠٢/١٢، والذيل على الروضتين ص ٨٥، والتكملة لوفيات النقلة ٤/٦٤، ٦٥، وتاريخ
الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٦٧، والوفاء بالوفيات ١٥/١٨٠.

(٣) في ص: «مغارة». ومراغة: بلد بأذربيجان. تاج العروس (م ر غ).

(٤) في م، ص: «الخليفي». وانظر ترجمته في الذيل على الروضتين ص ٨٥، ومراة الزمان ٨/٥٦٨
(القسم الثاني)، والوفاء بالوفيات ١٥/٤٧٤.

الحاج في سنة تسع وثمانين وخمسمائة، فاعترضه بعض الأعراب في نفر يسير، وكان مع سنجر خمسمائة فارس، فدخله الدُّل من الأعرابي، فطلب منه الأعرابي خمسين ألف دينار، فجباها سنجر من الحجيج، ودفعها إليه، فلما عاد إلى بغداد أخذ الخليفة منه خمسين ألف دينار، ودفعها إلى أصحابها وعزله، وولى طاشتكين مكانه.

وقاضى السَّلامِيَّةَ ظهير الدين أبو إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر^(١)، الفقيه الشافعي الأديب، ذكره العِمَادُ في «الخريدة» وابن خَلَّكَانَ في «الوفيات»، وأثنى عليه، وأنشد من شعره في شيخ زاوية وأصحابه، فقال:

ألا قل لمكِّي قول النُّصوح	فحق النَّصِيحَةِ أن تُسْتَمَعَ
متى سَمِعَ النَّاسُ في دينهم	بأن الغِنَا سُنَّةٌ تُتَّبَعُ
وأن يأْكُلَ المرءُ أكلَ البعير	ويَرْفُصَ في الجَمْعِ حتى يَقَعَ
ولو كان طاوِي الحِشَا جائعًا	لما دار من طَرَبٍ واسْتَمَعَ
وقالوا سَكِرْنَا بِحُبِّ الإله	وما أَسْكَرَ القَوْمَ إلا القَصْعُ
كذاك الحَمِيرُ إذا أُخْصِبَتْ	يُنْقَرُّهَا ^(٢) رِيْهَا والشَّبَعُ ^(٣)

وتاج الأُمَنَاءِ أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن

(١) تاريخ إربل ٣٩٥/١، وخريدة القصر ٣٤٦/٢ (قسم شعراء الشام)، ووفيات الأعيان ٣٧/١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٥٩، وطبقات الشافعية للإسنوي ٦١/٢.
(٢) في الأصل، م: «يهيجها». والتَّقَرُّ: الوثب والقفز في مكان واحد. انظر اللسان (ن ق ز).
(٣) بعده في الأصل، م:

«تراهم يهزوا لحاهم إذا
ترنم حاديهم بالبدع
فيصرخ هذا وهذا يئن
ويس لوتليت ما انصدع»

عَسَاكِر^(١)، من بيت الحديث والرواية، وهو أكبر من أخويه زَيْنُ الْأَمْنَاءِ والفخرِ عبد الرحمن، سَمِعَ عَمِّيهِ الحافظُ أبا القاسمِ والصائِنَ، وكان صديقاً للشيخ تاج الدين الكِنْدِيُّ، وكانت وفاته يومَ الأحدِ ثانيَ رجبٍ، ودُفِنَ قِبْلَتِي مِحْرَابِ مسجدِ القدم.

وتاجُ العُلا التَّسَابُةُ الحَلَبِيُّ الحَسَنِيُّ^(٢)، اجْتَمَعَ بِأَمَدَ بالشيخ أبي الخطاب ابن دَحِيَّةَ، وكان يُنسَبُ إلى دَحِيَّةِ الكَلْبِيِّ، فقال له تاجُ العُلا: إن دَحِيَّةَ لم يُعَقَّبْ. فرماه ابنُ دَحِيَّةَ بالكذبِ في مَسَائِلِهِ الموصِلِيَّةِ.

قال ابنُ الأثيرِ في «الكامل»^(٣): وفي المحرَّمِ منها تُوفِّي المَهْدَبُ الطَّيِّبُ المشهورُ وهو عليُّ بنُ أحمدَ بنِ هَبِلٍ^(٤) الموصليُّ، سَمِعَ الحديثَ، وكان أعلمَ أهلِ زمانِهِ بالطبِّ، وله فيه تَصْنِيفٌ حسنٌ، وكان كثيرَ الصَّدَقَةِ، حَسَنَ الأخلاقِ.

^(٥)ابنُ خروفي شارحُ «سَيَرُوهِ» و«جَمَلِ الرَّجَاجِيِّ»، هو أبو الحسنِ عليُّ ابنُ محمدٍ بنِ عليٍّ الحَضْرَمِيُّ الأندلسيُّ الإشبيليُّ، أخذَ المشاهيرَ في هذه الصَّنَاعَةِ، وكتبه تدلُّ على تَقَدُّمِهِ وعِلْمِهِ وفضله، وكان شيخَه فيها ابنُ طاهرٍ، المعروفُ بالخِدْبِ الأندلسيُّ^(٥).

(١) الذيل على الروضتين ص ٨٦، والتكملة لوفيات النقلة ٧٥/٤، وسير أعلام النبلاء ٢٦/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٥٤.

(٢) في الأصل، م: «الحسيني». وانظر ترجمته في الذيل على الروضتين ص ٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٦٢، والوفاء بالوفيات ٣٧٣/١٠، ولسان الميزان ٤٤٩/١. (٣) الكامل ٣٠٢/١٢.

(٤) في النسخ: «مقبل». والمثبت من الكامل. وانظر ترجمته في؛ إنباه الرواة ٢٣١/٢، والتكملة لوفيات النقلة ٥١/٤، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٤٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٣٧٧.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م. وتقدمت ترجمته في صفحة ٧ في وفيات سنة ست وستمئة.

الجزولي صاحب المقدمة المسماة بـ « القانون » : هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي^(١) - بطن من البزير - ثم اليزدكني^(٢) النحوي المغربي^(٣) ، مُصَنِّفُ المقدمة المشهورة البديعة ، وقد شرحها هو وتلاميذته ، وكلهم يَعْتَرِفُونَ بتَقْصِيرِهِمْ عَنْ [١٣٤١/٩ ظ] فَهَمِ مُرَادِهِ فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا ، قَدِيمَ دِيَارَ مِصْرَ ، وَأَخَذَ عَنْ ابْنِ بَرِّي ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بِلَادِهِ ، وَوَلِيَ خَطَابَةَ مَرَّاكُشَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقِيلَ : قَبْلَهَا . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) إنباه الرواة ٣٧٨/٢ ، ووفيات الأعيان ٤٨٨/٣ - ٤٩١ ، وسير أعلام النبلاء ٤٩٧/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٢٦٣ . وذكر فيه في وفيات سنتي سبع وستمائة ، وعشر وستمائة ص ٢٦٣ ، ٣٨١ .

(٢) في الأصل : « البردكني » ، وفي م : « البردكني » ، وفي ص : « اليزدكني » . وفي سير أعلام النبلاء ، وتاريخ الإسلام : « اليزدكني » ، والمثبت من وفيات الأعيان ؛ فقد ضبطه ابن خلكان بالحروف فقال : بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وسكون الكاف وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها نون ، هذه النسبة إلى فخذ من جزولة .

(٣) في م : « المصري » .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وستمائة

فيها^(١) أرسل الملك خوارزم شاه أميرًا من أخصاء أمرائه عنده، وكان قبل ذلك سيروانا، فصار أميرًا خاصًا، فبعثه في جيش، ففتح له كزمان ومكران، وإلى حدود بلاد السند، وخطب الخوارزم شاه بتلك النواحي، وكان خوارزم شاه لا يُصَيِّفُ إلا بنواحي سمرقند خوفًا من التتار أصحاب كَشْلي خان أن يتوثبوا على أطراف بلاده التي تُتَاحِمُهُمْ.

قال أبو شامة^(٢): وفيها شرع في تبليط داخل الجامع^(٣)، وبدعوا بناحية السبع الكبير^(٤)، وكانت أرض الجامع قبل ذلك حُفَرًا وجُورًا^(٥). فاستراح الناس بتبليطه.

وفيها وسَّع الخندق مما يلي القِيمَازِيَّةَ، فأخربت دور كثيرة هناك، وحمائم قايماز وفُزْنُ كان وفقًا على دار الحديث الثورية وغير ذلك.

وفيها بنى المعظم الفُندُقَ المنسوب إليه بناحية قبر عاتكة ظاهر باب الجابية.

(١) الكامل ٣٠٣/١٢ - ٣٠٥، ومرة الزمان ٥٦٩/٨ - ٥٧١ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ٨٦ - ٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥ - ٧.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٨٦.

(٣) بعده في الأصل، م: «الأموى».

(٤) السبع: مكان في المسجد الأموي، يُجْعَلُ لدراسة القرآن الكريم. مختصر تاريخ دمشق ٢٧٢/١ - ٢٧٤.

(٥) الجور: جمع الجورة، وهي الحفرة وما انخفض من الأرض. محيط المحيط (ج و).

وفيها أخذ المعظم قلعة صَرْخَدَ مِنْ ابْنِ قَرَاجَا ، وَعَوَّضَهُ عَنْهَا ، وَسَلَّمَهَا إِلَى
مَمْلُوكِهِ عَزَّ الدِّينِ أَيْتُكَ الْمُعْظَمِيُّ ، فَنَبَّهَتْ فِي يَدِهِ إِلَى أَنْ انْتَرَعَهَا مِنْهُ نَجْمُ الدِّينِ
أَيُوبُ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ .

وفيها حَجَّ الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ بْنُ الْعَادِلِ ، رَكِبَ مِنَ الْكَرْكِ عَلَى الْهُجْنِ فِي حَادِي
عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَمَعَهُ ابْنُ مُوسَى وَمَمْلُوكُهُ أَيْتُكَ عَزَّ الدِّينِ أَسْتَاذُ دَارِهِ وَخَلْقٌ ،
فَسَارُوا عَلَى طَرِيقِ تَبُوكَ وَالْعَلَاءِ ، وَبَنَى الْمُعْظَمُ ^(١) الْبَرْكَةَ الْمُنْسُوبَةَ إِلَيْهِ ، وَمَصَانِعَ
أُخَرَ . فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ تَلَقَّاهُ صَاحِبُهَا سَالِمٌ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ مَفَاتِيحَهَا ، وَخَدَمَهُ
خِدْمَةً تَامَةً ، وَأَمَّا صَاحِبُ مَكَّةَ قَتَادَةُ ^(٢) ، فَلَمْ يَزِفْغْ بِهِ رَأْسًا ، وَلِهَذَا لَمَّا قَضَى
نُشْكُهُ ، وَكَانَ قَارِنًا ، وَأَنْفَقَ فِي الْمَجَاوِرِينَ مَا حَمَلَهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الصَّدَقَاتِ ، وَكَرَّرَ
رَاجِعًا اسْتَضْحَبَ مَعَهُ سَالِمًا صَاحِبَ الْمَدِينَةِ ، وَشَكَا إِلَى أَبِيهِ عِنْدَ رَأْسِ الْمَاءِ مَا لَقِيَهُ
مِنْ صَاحِبِ مَكَّةَ ، فَأَرْسَلَ الْعَادِلُ مَعَ سَالِمٍ جَيْشًا يَطْرُدُونَ صَاحِبَ مَكَّةَ عَنْهَا ،
فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهَا هَرَبَ مِنْهُمْ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْجِبَالِ وَالْبَرَارِيِّ ، وَقَدْ أَثَّرَ الْمُعْظَمُ فِي هَذِهِ
السَّنَةِ بِطَرِيقِ الْحِجَازِ آثَارًا حَسَنَةً ، أَثَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَتَقَبَّلَ مِنْهُ آمِينَ .

وفيها تَعَامَلَ أَهْلُ دِمَشْقَ بِالْقَرَّاطِيسِ ^(٣) الشُّوْدِ الْعَادِلِيَّةِ ، ثُمَّ بَطَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ
وَفُتِنَتْ .

وفيها مَاتَ صَاحِبُ الْيَمَنِ ابْنُ سَيْفِ الْإِسْلَامِ ، فَتَوَلَّاهَا سُلَيْمَانُ بْنُ شَاهِنْشَاهِ
ابْنِ تَقِيِّ الدِّينِ عَمَرُ بْنُ شَاهِنْشَاهِ بْنِ أَيُوبَ بِاتِّفَاقِ الْأَمْرَاءِ عَلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ الْعَادِلُ إِلَى

(١) سقط من : م .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، ص : « قَاسِمُ بْنُ عَزِيزٍ » .

(٣) الْقَرَّاطِيسُ : نَوْعٌ مِنَ الْفُلُوسِ النَّحَاسِيَةِ أَوْ الدِّرَاهِمِ الْمَلْفُوفَةِ عَلَى شَكْلِ إِبْصَعٍ . مَعْجَمُ دَوْرَى .

ابنه الكامل أن يُرْسَلَ وَلَدَهُ أَقْسِيسَ بْنِ الْكَامِلِ إِلَيْهَا ، فَأَرْسَلَهُ فَتَمَلَّكَهَا وَظَلَمَ بِهَا وَفَتَكَ ، وَقَتَلَ مِنَ الْأَشْرَافِ نَحْوًا مِنْ ثَمَانِمِائَةٍ ، وَأَمَّا مَنُّ عَدَاهُمْ فَكَثِيرٌ ، وَكَانَ مِنْ أَفْجَرِ الْمُلُوكِ وَأَكْثَرِهِمْ فَسَقًا وَأَقْلَهُمْ حَيَاءً ، وَقَدْ ذَكَرَ عَنْهُ مَا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الْأَبْدَانُ ، وَتُنْكِرُهُ الْقُلُوبُ ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ وَغَيْرِهِمْ :

إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ بَكْرُوسٍ ، الْفَقِيهُ الْحَنْبَلِيُّ ^(١) ، أَفْتَى وَنَظَرَ وَعَدَّلَ عِنْدَ الْحُكَّامِ ، ثُمَّ انْسَلَخَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ ، وَصَارَ شُرْطِيًّا بِيَابِ النُّوْبِيِّ ^(٢) ، يَضْرِبُ النَّاسَ وَيُؤْذِيهِمْ غَايَةَ الْأَذَى ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ [٣٤٢/٩] ضُرِبَ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَأُلْقِيَ فِي دِجْلَةٍ ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِمَوْتِهِ ، وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ رَجُلًا صَالِحًا .

الرُّكْنُ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ ^(٣) ، كَانَ أَبُوهُ صَالِحًا ، وَكَانَ هُوَ مُتَّهِمًا بِالْفَلَسَفَةِ وَمُخَاطَبَةً التُّجُومِ ، وَوُجِدَ عِنْدَهُ كِتَابٌ فِي ذَلِكَ ، وَقَدْ وَلِيَ عِدَّةَ وِلَايَاتٍ ، وَيَقَالُ لِمِثْلِهِ :

نَعَمْ الْجُدُودُ وَلَكِنْ بَسْ مَا نَسَلُوا

رَأَى أَبُوهُ عَلَيْهِ يَوْمًا ثَوْبًا بُخَارِيًّا فَقَالَ : سَمِعْنَا بِالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ، فَأَمَّا بُخَارِيٌّ وَكَافِرٌ فَهَذَا شَيْءٌ عَجَبٌ . وَكَانَ مُصَاحِبًا لِأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ

(١) مرآة الزمان ٥٧٠/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ١٠١/٤ ، والذيل على الروضتين ص ٨٧ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٦٩/٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٦٦ .

(٢) في الأصل ، م : « النوى » . وباب النوى ببغداد .

(٣) الكامل ٣٠٥/١٢ ، ومرآة الزمان ٥٧١/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ١٠٩/٤ ، والذيل على الروضتين ص ٨٨ ، وسير أعلام النبلاء ٥٥/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٧٢ ، والوافي بالوفيات ٤٢٩/١٨ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٧١/٢ .

الجوزي، وكان الآخر مديراً فاسقاً، وكانا يجتمعان على الشراب والمودان، قبحهما الله.

أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك البزاز^(١)، المعروف بابن الأخضر، البغدادي المحدث الكثير الحافظ المصنف المحرر، له كتب مفيدة متقنة، وكان من الصالحين، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً.

^(٢)الحافظ أبو الحسن علي بن الأنجب ^(٣)أبي المكارم ^(٤)المفضل اللخمي المقدسي، ثم الإسكندراني المالكي، سمع السلفي وعبد الرحيم المنذري، وكان مدرّساً للمالكية بالإسكندرية، ونائب الحكم بها، ومن شعره قوله:

أيا نفس بالمأثور عن خير مؤسلي وأصحابه والتابعين تمسكي
عساك إذا بالغت في نشر دينه بما طاب من نشر^(٥) له أن تمسكي
وخافى غداً يوم الحساب جهنماً إذا لفت^(٥) نيرانها أن تمسكي
تؤفى بالقاهرة في هذه السنة. قاله ابن خلكان^(٦).

(١) الكامل ٣٠٥/١٢، وذيل تاريخ بغداد ٢٥٧/١٥، والتكملة لوفيات النقلة ١٣٥/٤، والذيل على الروضتين ص ٨٨، والمختصر في أخبار البشر ١١٦/٣، وسير أعلام النبلاء ٣١/٢٢، وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٨٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٧٤.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣ - ٣) في الأصل: «بن». وانظر ترجمته في التكملة لوفيات النقلة ١١٥/٤، ووفيات الأعيان ٣/٢٩٠، وسير أعلام النبلاء ٦٦/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٧٩.

(٤) في م: «عرف».

(٥) في الأصل، وسير أعلام النبلاء: «نفحت». وانظر وفيات الأعيان ٣/٢٩٢.

(٦) وفيات الأعيان ٣/٢٩٢.

ثم دخلت سنة ثنتى عشرة وستمائة

فيها^(١) شُرع فى بناءِ المدرسةِ العادليةِ الكبيرةِ بدمشقَ ، وفيها عُزلَ القاضى الزكىُّ بنُ محبى الدينِ بنِ الزكىِّ ، وفُوضَ الحكمُ إلى القاضى جمالِ الدينِ بنِ الحرَّشَتانى ، وهو ابنُ^(٢) ثنتين وتسعين^٣ سنةً ، فحكَّم بالعدلِ ، وقضى بالحقِّ ، ويقالُ : إنه كان يحكمُ بالمدرسةِ المجاهديةِ التى عندَ القَوَاسينَ .

وفيها أبطلَ العادلُ ضَمَانَ الخمرِ والقِيانِ ، جزاه اللهُ خيرًا ، فزالَ عن الناسِ شرٌّ كثيرٌ .

وفيها حاصرَ الأميرُ قَتادةُ صاحبُ مكةَ المدينةَ النبويَّةَ ومَن بها ، وقطعَ نخيلًا كثيرًا ، فقاتله أهلُها ، فكرَّ خاسئًا حسيروا ، وكان صاحبُ المدينةِ بالشامِ فى خدمةِ العادلِ ، فطلبَ منه النجدةُ على أميرِ مكةَ قَتادةَ ، فأرسلَ معه جيشًا ، فأُسرعَ فى الأوثيةِ ، فمات فى أثناءِ الطريقِ ، فاجتمعَ شملُ الجيشِ على ابنِ أخيه جَمَازٍ ، فقصدَ مكةَ ، فالتقاه أميرُها بالصفراءِ ، فاقتتلوا قتالًا عظيمًا ، فهزِمَ المكيُّونَ ، وغنمَ منهم الأميرُ جَمَازَ شيئًا كثيرًا ، وهربَ قَتادةُ إلى اليَبُوعِ ، فساروا إليه ، فحَصروه بها ، وضيقوا عليه فيها .

وفيها أغارتِ الفِرْنَجُ على بلادِ الإسماعيليةِ ، فقتلوا ونهبوا وسبوا .

(١) الكامل ٣٠٦/١٢ - ٣١٢ ، ومرة الزمان ٥٧٢/٨ - ٥٧٤ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ٨٩ - ٩٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٨ - ١١ .
(٢ - ٢) فى الأصل ، م : «ثمانين أو تسعين» .

وفيها أخذ ملك الروم كَيْكَاوس مدينةً أَنْطَاكِيَّةً مِنْ أَيْدِي الْفَرَنْجِ ، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْهُ ابْنُ لَاوُنَ مَلِكُ الْأَرْمَنِ ، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْهُ إِبْرَنْسُ^(١) طَرَابُلُسَ .

^(٢) وفيها مَلِكُ السُّلْطَانِ خُوَارَزْمِ شَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ تَيْكَشَ مَدِينَةَ غَزَنَةَ بِغَيْرِ قِتَالٍ^(٣) .

وفيها كانت وفاةُ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ ،^(٤) الَّذِي كَانَ قَدْ جَعَلَهُ [٣٤٢/٩ ظ] وَلِئِ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَزَلَ عَنْ ذَلِكَ أَخَاهُ الْأَكْبَرَ^(٥) ، وَلَمَّا تُوفِّيَ حَزَنَ الْخَلِيفَةُ عَلَيْهِ حُزْنًا عَظِيمًا ، وَكَذَلِكَ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ لَكثَرَةِ صَدَقَاتِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَتَّقْ بَيْتَ بَغْدَادَ إِلَّا حَزِنُوا عَلَيْهِ ، وَكَانَ يَوْمُ جِنَازَتِهِ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَنَاحَ أَهْلُ الْبَلَدِ عَلَيْهِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَدُفِنَ عِنْدَ جَدَّتِهِ بِالْقَرْبِ مِنْ قَبْرِ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْعَاشِرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ^(٦) . وَفِي هَذَا الْيَوْمِ قُدِّمَ بِرَأْسِ مَنْكَلِي - الَّذِي كَانَ قَدْ عَصَى عَلَى الْخَلِيفَةِ وَعَلَى أَسَاتِيزِهِ - إِلَى بَغْدَادَ فَطِيفَ بِهِ فِيهَا ، وَلَمْ تَتَمَّ فَرَحَتُهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لِتَنْغِيصِهَا بِمَوْتِ وَلَدِهِ وَلِئِ الْعَهْدِ ، وَالْدُنْيَا لَا تَسُرُّ بِقَدَرٍ مَا تَضُرُّ ، وَتَرَكَ وَلَدَيْنِ وَهُمَا ؛ الْمُؤَيَّدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنُ ، وَالْمُؤَفَّقُ أَبُو الْفَضْلِ يَحْيَى .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الْحَافِظُ عَبْدُ الْقَادِرِ الرَّهَائِيُّ^(٧) : عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ ، م : « إِبْرِس » ، وَفِي الذَّيْلِ عَلَى الرُّوسْتِينَ : « أَبُوس » . وَلَعَلَّهُ الْبِرْنَسُ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ .

(٢ - ٣) سَقَطَ مِنْ : ص .

(٣ - ٤) سَقَطَ مِنْ : م .

(٤) فِي م : « صَلَاةُ الْعَصْرِ » .

(٥) تَارِيخُ إِرْبِلِ ١/ ١٣١ ، وَالْمُسْتَفَادُ مِنْ ذَيْلِ تَارِيخِ بَغْدَادَ ص ١٧١ ، وَالتَّكْمِلَةُ لَوْفِيَاتِ النُّقْلَةِ ٤/ ١٦٠ ، =

أبو محمد، الحافظ الكبير المحدث المخرّج المفيد المحرّر المتّقن البارّع المصنّف المفيد، كان مؤلّي لبعض المواصلة، وقيل: لبعض الحرّانين. اشتغل بدار الحديث بالموصل، ثم انتقل إلى حرّان، وقد رحل إلى بلدان شتى، وسمع الكثير من المشايخ شرقاً وغرباً، وأقام بحرّان إلى أن تُوفّي بها في هذه السنة، وكان مولده في سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وكان دنيّا صالحاً خيراً، رحمه الله تعالى بمهّ وكرمه.

الوجه الأعمى، أبو بكر المبارك بن سعيد بن الدهان النحوي الواسطي الملقّب بالوجه^(١)، وُلد بواسط، وقدم بغداد، فاشتغل بعلم العربية والنحو، فأتقن ذلك، وحفظ شيئاً كثيراً من أشعار العرب، وسمع الحديث، وكان حنبلياً فانتقل إلى مذهب أبي حنيفة، ثم صار شافعيّاً، وولى تدريس النحو بالنظامية، وفيه يقول الشاعر^(٢):

ألا مُبلغاً عنى الوجه رسالة وإن كان لا تجدى لديه^(٣) الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت رأى الشافعي تدنيّا ولكنما تهوى الذى هو حاصل

= والذيل على الروضتين ص ٩٠، وسير أعلام النبلاء ٧١/٢٢، وتذكرة الحفاظ ١٣٨٧/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٠٧.
(١) معجم الأدباء ٥٨/١٧، والكمال ٣١٢/١٢، وإنباه الرواة ٢٥٤/٣، ومرآة الزمان ٥٧٣/٨ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ١٧٨/٤، والذيل على الروضتين ص ٩٠، ووفيات الأعيان ١٥٢/٤، وسير أعلام النبلاء ٨٦/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢٥.
(٢) هو أبو البركات محمد بن أبى الفرج التكرتّى. وتقدمت الأبيات فى ٧٢٦/١٦ فى ترجمته ضمن وفيات سنة تسع وتسعين وخمسمائة.
(٣) فى م، ص: «إليه».

وعما قليل أنت لا شك صائرٌ إلى مالك^(١) فافطِنِ لِمَا أَنَا قائلُ
^(٢) وقد ذكرناه في سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

وكان يَحْفَظُ شيئًا كثيرًا من الحكاياتِ والأمثالِ والملحِ، ويعرفُ العربيةَ
 والتُّركيَّةَ والعجميَّةَ والرُّوميَّةَ والحَبشيَّةَ والزُّنجيَّةَ، وكان له يدٌ طولى في نَظْمِ
 الشعرِ، فمن ذلك قوله^(٣) :

ولو وقَّعت^(٤) في لجة البحرِ قَطْرَةٌ
 ولو ملك الدنيا فأضْحَى مُلوْكُها
 من المُرْنِ يومًا ثم شاءَ لمازها^(٥)
 عبيدًا له في الشرقِ والغربِ ما زها
 وقوله في التَّجْنِيسِ أيضًا^(٦) :

أطَلَّتْ ملامى في اجْتِنَابِي لِمُعْشِرِ
 طَغَامٍ لِقَامٍ لجودُهم غيرُ مُرْتَجَى
 ترى بابهم لا بَارِكَ اللَّهُ فيهم
 على طالبِ المعروفِ إنْ جاء مُرْتَجَاً^(٧)
 حَمَوْا مَالَهُم والِدَيْنِ والعِرْضُ منهم
 مُبَاحٌ فما يَخْشَوْنَ مِنْ^(٨) هَجْوٍ مَنْ هَجَا
 إذا شَرَعَ الأجوادُ في الجودِ مِنْهَجَا
 لهم شرعوا في البخلِ سبعين مِنْهَجَا
 وله مدائحُ حَسَنَةٌ وأشعارٌ رَائِقَةٌ، ويبتكرُ معانيَ فائِقَةً، وربما عارضَ شعَرَ

(١ - ١) في الأصل : « فانظر لما أنت »، وفي م : « فانظر إلى ما أنت ».

(٢ - ٢) سقط من : الأصل، م.

(٣) الأبيات في معجم الأدباء ٦٠ / ١٧.

(٤) في م : « وقفت ».

(٥) مازها : مَيَّرَهَا . انظر المحيط (م ي ز) .

(٦) معجم الأدباء ٦٧ / ١٧.

(٧) هذا البيت سقط من : م . ومرتبج : مغلق . اللسان (ر ت ج) .

(٨ - ٨) في م : « عاب أو ».

البُخْتَرِيُّ بما يُقَارِبُهُ وَيُدَانِيهِ .

قالوا^(١) : وكان لا يَعْصِبُ قُطْ . تراهن جماعة مع واحد أنه كان له [١٣٤٣/٩] كذا وكذا إن أغضبه ، فجاء إليه فسأله عن مسألة في العربية فأجابه فيها ، فقال له السائل : أخطأت أيها الشيخ . فأعاد عليه الجواب بعبارة أخرى ،^(٢) فقال له : أخطأت أيضا . وأعاد ثالثة بعبارة أخرى^(٣) ، فقال له : كذبت ، ولعلك قد نسيت النحو . فقال له الوجيه : أيها الرجل ، فلعلك لم تفهم ما أقول لك . فقال : بلى ، ولكنك تخطئ . فقال له : فقل ما عندك لنتفتيده منك . فأعْلَظَ له السائل في القول ، فتبسم ضاحكا ، وقال له الوجيه : إن كنت راهنت فقد غلبت ، إنما مثلك في هذا كمثل البقعة - يعنى الناموسة - سقطت على ظهر الفيل ، فلما أرادت أن تطير قالت له : استمسك ، فإنى أريد أن أطير . فقال لها الفيل : ما أحسست بك حين وقعت على ، فما أحتاج أن أستمسك إذا طرت . كانت وفاته رحمه الله تعالى في شعبان ، ودُفِنَ بالوزدية^(٤) .

^(٥) أبو الفتح محمد بن علي بن المبارك^(٥) ، التاجر المعروف بابن الجلاجلي ، كان يسكن بدار الخلافة ببغداد ، قرأ القرآن على الروايات ، وسمع الحديث الكثير ، ورحل إلى البلدان المتباعدة ، بلغ ثلاثا وستين سنة ، وكانت وفاته بالقدس الشريف في رمضان . رحمه الله^(٦) .

(١) معجم الأدباء ١٧/٦٤ ، ٦٥ .

(٢ - ٣) سقط من : م .

(٣) الوردية : مقبرة ببغداد . معجم البلدان ٤/٩٢٠ .

(٤ - ٥) سقط من : الأصل ، م .

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٤/١٨٢ ، والذيل على الروضتين ص ٩٩ - وذكره في وفيات السنة الآتية - ، والعبر ٥/٤٣ ، وسير أعلام النبلاء ٥٢/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢٢ ، والمقفى الكبير للمقريزي ٦/٣٢٨ . وستأني له ترجمة في السنة الآتية .

أبو محمد عبد العزيز بن المعالي^(١) بن غنيمَة بن الحسن، المعروف بابن مَينَا، وُلِدَ سنةَ خمسَ عشرةَ وخمسمائةَ، وسمعَ الكثيرَ وأسمعه، وكانت وفاته في ذى الحِجَّةِ عن سبعٍ وتسعينَ سنةً^(٢).

الشيخُ الفقيهُ كمالُ الدينِ مودودُ بنُ الشاغوريِّ الشافعيِّ^(٣)، كان يُقْرَأُ بالجامعِ الأمويِّ الفقهَ، ويشرحُ «التَّنبِيَةَ» للطلبةِ، ويتأَنَّى في تفهيمهم حتى يفهموا احتسابًا، ثَجَاةَ الْمُقْصُورَةِ. ودُفِنَ بمقابرِ بابِ الصغيرِ شماليِّ قبورِ الشُّهداءِ، وعلى قبره شعْرٌ ذكره أبو شامةَ. واللَّهُ تعالى أعلمُ.

(١) في م: «أبي المعالي»، وانظر ترجمته في: المختصر المحتاج إليه ٢٥٧/١٥، والتكملة لوفيات النقلة ٢٠٢/٤، وتذكرة الحفاظ ١٣٨٩/٤، وسير أعلام النبلاء ٣٣/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٠٧.

(٢) لم تذكر المصادر بيته وقت وفاته، وفيها أنه ولد سنة خمس وعشرين وخمسمائة.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢٩.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستماية^(١)

قال أبو شامة^(٢): فيها أُخْضِرَت الأوتادُ الخشبُ الأربعةُ لأجلِ قُبَّةِ نَشْرِ الجامع، طولُ كلِّ واحدٍ اثنانِ وثلاثون ذراعًا بالتَّجَارِ.

وفيهما شُرِعَ في تَحْرِيرِ خَنْدِقِ بابِ السَّرِّ المُقابِلِ لِدَارِ الطَّعْمِ العَتِيقَةِ إلى جانبِ باناس^(٣) - قلتُ: وهى إِضْطَبُلُ السلطانِ اليومَ - وقد نَقَلَ السلطانُ المُعَظَّمُ بِنَفْسِهِ الترابَ، ومَمَالِيكُهُ تَحْمِلُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى القَرَبُوسِ^(٤) القِفافَ مِنَ الترابِ، فيُفْرِغُونَهَا في المَيْدَانِ الأخضرِ، وكذلك أخوه الصالحُ إِسماعيلُ ومَمَالِيكُهُ، يَعمَلُ هذا يومًا وهذا يومًا.

وفيهما وَقَعَت فِتْنَةٌ بَيْنَ أَهْلِ الشاغورِ وأهْلِ العُقَيْيَةِ، اقْتَتَلُوا بِالرَّحْبَةِ والصَّيَارِفِ، فَرَكِبَ الجَيْشُ مُلَبَّسًا، وجاءَ السلطانُ المُعَظَّمُ بِنَفْسِهِ، فَحَبَسَ رَعَوْسَهُمْ.

وفيهما رُتِبَ بالمُصَلَّى خَطِيبٌ مُسْتَقِلٌّ، وأوَّلُ مَنْ بَاشَرَهَا الصَّدْرُ مُعِيدُ الفَلَكيَّةِ، ثم خَطَبَ بَعْدَهُ بَهَاءُ الدِّينِ بَنُ أَبِي اليُسْرِ، ثم بنو حَسَّانَ، وإلى الآنَ.

(١) الكامل ٣١٣/١٢ - ٣١٥، ومِرآة الزمان ٥٧٤/٨، ٥٧٥ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ٩٢، ٩٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٢ - ١٤.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٩٢.

(٣) فى الأصل: «باناس». وباناس: نهر بدمشق. معجم البلدان ٤٨٢/١.

(٤) القربوس: جنو السرج، وحنو السرج: كل عود معوج من عيدانه. اللسان (قربس)، (ح ن و).

وفيهما تُوفِّي صاحبُ حلب الملكُ الظاهرُ غازي بنُ السلطانِ صلاح الدين يوسفَ بنِ أيوب^(١)، وكان من خيارِ الملوكِ وأسَدَهم سيرةً، ولكن كان فيه عَسْفٌ، ويُعاقِبُ على الذنبِ سريعاً شديداً، وكان يُكْرِهُ العلماءَ والشعراءَ والفقراءَ، أقام في الملكِ ثلاثين سنةً، وحَضَرَ كثيراً من الغزواتِ مع أبيه، وكان ذَكِيًّا، له رأى جيدٌ، وعِبارَةٌ سادَّةٌ، وفِطْنَةٌ حسنةٌ، وعُمُرُ أربعاً وأربعين سنةً، ولَمَّا حَضَرَتْهُ الوفاةُ جعلَ الملكُ من بعده لولده الملكِ العزيزِ غياثِ الدين محمدٍ وهو ابنُ ثلاثِ سنينَ، وقد كان له أولادٌ كبارٌ، ولكنه عهدَ إلى هذا من بينهم لأنه [٣٤٣/٩] كان من بنتِ عمِّه العادلِ، وأخواله الأشرفُ والمُعَظَّمُ والكاملُ وجَدُّه العادلُ لا يُنازِعونه، وهكذا وَقَعَ سوءٌ؛ بايَعَ له جَدُّه العادلُ وخاله الأشرفُ صاحبُ حَرَآنَ والرُّها وخِلاطَ، وهُمُ الْمُعَظَّمُ بِنَقْضِ ذلك فلم يَتَّقِ له ذلك، وقام بِتَدْيِيرِ مملكته الطَّواشِي شهابُ الدين طُغرَيْل الرومِيُّ الأيُّضُ، وكان ذَيِّتًا عاقلاً عادلاً.

ومن تُوفِّي فيها من الأعيانِ والمشاهيرِ :

الشيخُ تاجُ الدين أبو اليُمْنِ زَيْدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ زَيْدِ بنِ الحُسَيْنِ بنِ سَعِيدِ ابنِ عِصْمَةَ^(٢)، الشيخُ الإمامُ العلامةُ، وَحِيدُ عصرِهِ ونَسِيحُ وَحْدِهِ، تاجُ الدينِ

(١) الكامل ٣١٣/١٢، ومرة الزمان ٥٧٩/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٢٢٤/٤، والذيل على الروضتين ص ٩٤، ووفيات الأعيان ١٧٨/٣، ونهاية الأرب ٧٥/٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٥٨.

(٢) معجم الأدباء ١٧١/١١، وإنباه الرواة ١٠/٢، ومرة الزمان ٥٧٥/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ٩٥، ووفيات الأعيان ٣٣٩/٢، وسير أعلام النبلاء ٣٤/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٤١، والوافي بالوفيات ٥٠/١٥، والجواهر المضية ٢١٦/٢، وطبقات القراء ٢٩٣/١.

أبو اليَمن الكِنْدِيُّ ، وُلِدَ بِبَغدَادَ وَنَشَأَ بِهَا ، وَاسْتَغْلَ وَحَصَّلَ ، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ فَأَقَامَ بِهَا ، وَفَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي النَّحْوِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ ، وَعَلَوُ الْإِسْنَادِ وَحُسْنِ الطَّرِيقَةِ وَالسَّيْرِ وَصَحَّةِ الْعَقِيدَةِ وَالسَّرِيرَةِ ، وَانْتَفَعَ بِهِ عُلَمَاءُ عَصَرِهِ ، وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ ، وَخَضَعُوا لَهُ . وَكَانَ حَنْبَلِيًّا ، ثُمَّ صَارَ حَنْفِيًّا . وَكَانَ مَوْلَدَهُ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ عَشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَقَرَأَ الْقُرْآنَ بِالرُّوَايَاتِ وَلَهُ عَشْرُ سِنِينَ ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَدِيثِ الْعَالِي عَلَى الشُّيُوخِ الثَّقَاتِ ، وَغُنِيَ بِذَلِكَ ، وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ وَاللُّغَةَ ، وَاسْتَهْرَ بِذَلِكَ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى الشَّامِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَسَكَنَ مِصْرَ ، وَاجْتَمَعَ بِالْقَاضِي الْفَاضِلِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَسَكَنَ بِدَرْبِ الْعَجَمِ مِنْهَا ، وَحَظِيَ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْأُمَرَاءِ ، وَتَرَدَّدَ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ وَالْكِبَرَاءُ وَالْمُلُوكُ وَأَبْنَاؤُهُمْ ، كَانَ الْأَفْضَلُ بْنُ صِلَاحِ الدِّينِ - وَهُوَ صَاحِبُ دِمَشْقَ - يَتَرَدَّدُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَأَخُوهُ الْحُسَيْنُ ، وَكَذَلِكَ الْمُعْظَمُ فِي أَيَّامِهِ عَلَى مُلْكِ دِمَشْقَ ، يَنْزِلُ إِلَيْهِ إِلَى دَرْبِ الْعَجَمِ يَقْرَأُ عَلَيْهِ فِي « الْمَفْصَلِ » لِلزَّمْخَشَرِيِّ ، وَكَانَ الْمُعْظَمُ يُعْطِي لِمَنْ حَفِظَ « الْمَفْصَلِ » ثَلَاثِينَ دِينَارًا جَائِزَةً ، وَكَانَ يَخْضُرُ مَجْلِسَهُ بِدَرْبِ الْعَجَمِ جَمِيعُ الْمَصْذَرِينَ بِالْجَامِعِ ، كَالشَّيْخِ عَلَمِ الدِّينِ السَّخَاوِيِّ ، وَيَحْيَى بْنِ مُعْطَى ، وَالْوَجِيهَ الْبُزْنِيَّ ، وَالْفَخْرَ التُّرْكِيَّ وَغَيْرِهِمْ ، وَكَانَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ فِي أَيَّامِهِ يُثْنِي عَلَيْهِ كَثِيرًا .

قَالَ السَّخَاوِيُّ^(١) : كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْعُلُومِ مَا لَا يُوجَدُ عِنْدَ غَيْرِهِ ، وَمِنْ الْعَجَبِ أَنْ سَيِّئِيَّهِ ، وَقَدْ شَرَحَتْ عَلَيْهِ « كِتَابَهُ » ، كَانَ اسْمُهُ عَمْرُو ، وَاسْمُ الشَّيْخِ أَبِي الْيَمَنِ زَيْدٌ ، فَقُلْتُ فِي ذَلِكَ :

(١) الذيل على الروضتين ص ٩٥ ، ٩٦ .

لم يَكُنْ في عهدِ عمرو مثلهُ وكذا الكِنْدِيُّ في آخِرِ عصرِ
 فهما زيْدٌ وعمرو إنما بُنِيَ النَحْوُ على زيْدٍ وعمرو
 قال أبو شامة^(١): وهذا كما قال فيه ابنُ الدَّهَّانِ المَذْكُورُ في سنةِ ثنتين
 وتسعين وخمسمائة:

يا زيْدُ زادك ربي مِنْ مَواهِبهِ نَعَمًا يُقَصِّرُ عن إدراكِها الأَمَلُ
 النَحْوُ أنتَ أَحَقُّ العالَمِينَ بهِ أليسَ بِاسِمِكَ فيه يُضْرَبُ المَثَلُ

وللشَّخاويّ فيه قصيدةٌ حَسَنَةٌ، وكذلك أَتَنَى عليه غيرُ واحدٍ، منهم أبو
 الْمُظَفَّرِ سِبْطُ ابنِ الجَوْزِيِّ فقال^(٢): قرأتُ عليه، وكان حَسَنَ العقيدةِ، ظَريفَ
 الخَلْقِ طَريفًا، لا يَسْأَلُ الإنسانُ مِنْ مُجَالَستِهِ، وله التَّوَادِرُ العَجِيبَةُ، والخطُّ المَلِيحُ،
 والشعرُ الرائقُ، وله ديوانٌ كبيرٌ، وكانت وفاته يومَ الاثنينِ سادسَ شوالٍ من
 [٣٤٤/٩] هذه السَّنةِ، وله ثلاثٌ وتسعون سنةً وشهرٌ وستةَ عَشَرَ يومًا، وصُلِّيَ
 عليه بجامعِ دِمَشقَ، ثم حُمِلَ إلى الصَّالحيةِ، فدفنَ بها.

وكان قد وَقَفَ كِتَابًا نَفِيسَةً - وهى سَبْعُمِائَةٍ وأحدٌ وستون مُجَلَّدًا - على
 مُعْتَقِهِ نَجِيبِ الدِّينِ ياقوتَ، ثم على وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ، ثم على العُلَمَاءِ فى الحديثِ
 والفقهِ واللغةِ وغيرِ ذلك، وجُعِلَتْ فى خِزانَةِ كَبِيرَةٍ بِمَقْصُورَةِ ابنِ سِنانِ الحَنْفِيَّةِ
 المُجاوِرَةِ لِمَشْهَدِ عَلِيِّ زَيْنِ العابدينَ، ثم إن هذه الكُتُبَ تَفَرَّقَتْ، وأُيِّعَ كَثِيرٌ منها،
 ولم يَبْقَ بالخِزانَةِ المُشارِ إليها إِلَّا القليلُ وهى بِمَقْصُورَةِ الحَنْفِيَّةِ^(٣)، وكانت قَدِيمًا
 يُقالُ لها: مَقْصُورَةُ ابنِ سِنانٍ. وقد تَرَكَ الشَّيْخُ تاجُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ نِعْمَةً وافرَةً،

(١) الذيل على الروضتين ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) مرآة الزمان ٥٧٦/٨ ، ٥٧٧ (القسم الثانى) .

(٣) فى النسخ: «الحليّة» . والمثبت موافق لما تقدم من السياق .

وأموالاً جزيلةً، ومماليكٍ مُتَعَدِّدَةً مِنَ التَّرِكِ، وقد كان رَقِيقَ الحَاشِيَةِ، حَسَنَ الأخلاقِ، يُعَامِلُ الطَّلَبَةَ مُعَامَلَةً حَسَنَةً، فلما كَبِرَ تَرَكَ القِيَامَ لَهُمْ، وَأَنْشَأَ اعتذاراً^(١) :

تَرَكْتُ قِيَامِي لِلصَّدِيقِ يَزُورُنِي وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا الإِطَالَةُ فِي عَمْرِي
فَإِنْ بَلَغُوا مِنْ عَشْرِ تَسْعِينَ نَصْفَهَا تَبَيَّنَ فِي تَرْكِ الْقِيَامِ لَهُمْ عُذْرِي

وقد أَسْلَفْنَا شَيْئاً مِنْ قَبْلِهِ فِي قَتْلِ عُمَارَةَ الْيَمَنِ فِي الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَةِ، فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْجِنَاسِ، وَقَدْ أَوْرَدَ ابْنُ السَّاعِي فِي تَرْجُمَتِهِ مِنْ «تَارِيخِهِ» أَشْعَاراً حَسَنَةً، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ يَمْدُحُ الْمَلِكَ الْمُظَفَّرَ شَاهِنْشَاهَ :

وَصَالَ الْعَوَانِي كَانَ أَرْوَى وَأَزَوَّجَا وَعَصُرُ التَّدَانِي كَانَ أَبْهَى وَأَبْهَجَا
لِيَالِي كَانَ الْعَمُرُ أَحْسَنَ شَافِعٍ تَوَلَّى وَكَانَ اللَّهُوْ أَوْضَحَ مِنْهَجَا
بَدَا الشَّيْبُ فَانْجَابَتْ طَمَاعِيَةُ الصَّبَا وَقُبِّحَ لِي مَا كَانَ يَسْتَحْسِنُ الْحِجَا^(٢)
بُلْهَنِيَّةٌ^(٣) وَلَتْ كَأَنَّ لَمْ أَكُنْ بِهَا بِهَا أَجْتَلِي وَجَهَ النُّعِيمِ مُسَرَّجَا
وَلَا اخْتَلْتُ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ مُجَرَّرَا ذُبُولِي إِعْجَابًا بِهِ وَتَبَرُّجَا
أَغَازِلُ^(٤) غَيْدَاءِ الْمَعَاطِفِ طَفْلَةً وَأَغْيَدَ مَعْسُولَ الْمَرَاشِفِ أَدْعَجَا^(٥)

(١) الذيل على الروضتين ص ٩٨.

(٢) الطماعية: الطمع. والحجا: العقل. اللسان (ط م ع)، (ح ج و).

(٣) البلهنية: سعة العيش. لسان العرب (بلهن).

(٤) في الأصل، م: «أعارك».

(٥) غيداء المعاطف: المرأة المثنية من اللين. والمعاطف: الأعطاف أى الجنبان. والطفلة: الناعمة. والدعج: شدة سواد العين وبياضها مع اتساعها. انظر اللسان (غ ي د) (ع ط ف) (ط ف ل)، والوسيط (د ع ج).

تَقَصَّصْتُ لِبِالِيهَا بِطِيبِ كَأَنَّهُ
فَإِنْ أُمْسٍ مَكْرُوبٍ الْفُؤَادِ حَزِينُهُ
وَحِيدًا عَلَى أُنَى بِفَضْلِي مُتَيَّمٌ
فِيَا رَبِّ ذِي وَدٍّ سَرَزْتُ وَسَرَّنِي
وَيَا رَبِّ نَادٍ قَدْ شَهِدْتُ وَمَاجِدِ
صَدَعْتُ بِفَضْلِي نَقْصَهُ فَتَرَكْتُهُ
كَأَنَّ يَانِي^(٤) فِي مَسَامِعِ حُسْدِي
حَسَامُ تَقَى الدِّينِ فِي كُلِّ مَارِقِ
وَقَالَ يَمْدَحُ أَخَاهُ عَزَّ الدِّينِ فَرُخْشَاهُ بَنَ شَاهِنْشَاهُ بَنِ أَيُوبَ^(٥) :

هَلْ أَنْتَ رَاحِمٌ عَابِرَةٌ وَتَدْلُهُ^(٦)
هِيَهَاتَ يَرْحَمُ قَاتِلٌ مَقْتُولُهُ
مَنْ بَلَّ^(٨) مِنْ دَاءِ الْغَرَامِ فَإِنَّنِي
إِنِّي بُلِيْتُ بِحَبِّ أَغْيَدَ سَاحِرِ
وَمُجِيرُ صَبٍّ عِنْدَ مَا مِنْهُ دُهِى
وَسِنَانُهُ فِي الْقَلْبِ غَيْرُ مُتَنَهِّهِ^(٧)
مُذْ حَلَّ بِي مَرَضُ الْهَوَى لَمْ أَنْقِهِ
بِلِحَاطِهِ رَخِصَ الْبَنَانِ بَرَهْرَهُ^(٩)

(١) فى الأصل : « دون » ، وفى م : « در » . والدن : وعاء ضخم للخمر ونحوه . الوسيط (د ن ن) .

(٢) فى الأصل ، م : « شهدت » . وشدة : أدهش وخيّر . انظر اللسان (ش د ه) .

(٣ - ٣) فى م : « دعوته » .

(٤) فى الأصل ، م : « ثنائى » .

(٥) الأبيات فى بغية الطلب ١٨١ / ٩ ، والوافى بالوفيات ٥٥ / ١٥ ، ضمن قصيدة أبياتها تسعة وأربعون بيتا ، أوردها بكاملها صاحب بغية الطلب ، واقتصر المصنف على إيراد أبيات الغزل من القصيدة .

(٦) فى م : « مدله » ، وفى المصدرين السابقين : « توله » . والتدله : ذهاب العقل من الهوى . اللسان (دل ه) .

(٧) التَّنَهُّة : الكفّ . والمتَّنَهُّة : المكفوف . اللسان (نهه) .

(٨) بلّ : برأ وضحّ . الوسيط (ب ل ل) .

(٩) البرَهْرَةُ : الأبيض الناعم . القاموس المحيط (ب ر ه) .

أُبغى شفاءَ تَدْلُهِى مِن دَلِّهِ ومتى يَرِقُ مُدَلِّلٌ لِمُدْلِهِ
 كم آهية لى فى هواه وأئيه لو كان يَنْفَعْنى عليه تَأْوِهِى
 [٣٤٤/٩ ط] ومآرب فى وَضْلِهِ لو أنها تُقْضَى لكانت عِنْدَ مَبْسِمِهِ الشَّهَى
 يا مُفْرَدًا بالحسنِ إنك مُنْتَهَى فيه كما أنا فى الصَّبَابَةِ مُنْتَهَى
 قد لام فىك معاشرَ أَفَانْتَهَى^(١) باللومِ عن حُبِّ الحِياةِ وأنتِ هِى
 أبكى لديه فإن أَحْسَّ بِلَوْعَةٍ وَتَشْهَقِ أَوْما بِطَرْفِ مُقْهَقِهِ
 أنا مِن محاسنِهِ وحالى عِنْدَهُ حيرانُ بَيْنَ تَفْكِيرٍ وَتَفْكِهِ
 ضِدَّانٍ قد جُمعا بلفظٍ واحدٍ لى فى هواهُ بِمَعْنَيْنِ مُوجِّهِ
 أو لستُ ربُّ فضائلٍ لو حاز أدُّ ناها وما أَزْهَى بها غِرى زُهَى
 والذى أَثْنَدَهُ الشَّيْخُ تاجَ الدينِ فى قتلِ عُمارةَ الِيمَنِى، حينَ كان مالاً
 الكُفْرَةَ والمُلْحِدِينَ على قتلِ المَلِكِ صلاحِ الدينِ وَعَوْدِ دولةِ الفاطمِيِّينَ، فظَهَرَ على
 أمرِهِ، فَصُلِبَ مع مَنْ صُلِبَ فى سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِينَ وَخَمِيسَمائَةٍ^(٢) :

عُمارةَ فى الإسلامِ أَبْدَى خِيانَةً وحالَفَ فيها بِبِيعَةٍ وَصَلِيبًا
 وَأَمْسَى شَرِيكَ الشَّرِكِ فى بُغْضِ أَحْمَدٍ وَأَصْبَحَ فى حُبِّ الصَّلِيبِ صَلِيبًا
 وَكَانَ خَبِيثَ الْمُلتَقَى إِنْ عَجَمْتَهُ^(٣) تَجِدُ مِنْهُ عُوْدًا فى النِّفاقِ صَلِيبًا
 سَيَلَقَى غَدًا ما كان يَشْعَى لأَجَلِهِ وَيُسْقَى صَدِيدًا فى لَظَى وَصَلِيبًا^(٤)

وله أيضًا :

(١) فى م : « كى أنتهى » .

(٢) تقدمت الأبيات فى ٤٧٩/١٦ .

(٣) عجمته : امتحنته واختبرته . الوسيط (ع ج م) .

(٤) هذا البيت سقط من : م .

صَحِبْنَا الدَّهْرَ أَيَّامًا حِسَانًا نَعُومُ بِهِنَ فِي اللَّذَاتِ عَوْمًا
وَكَانَتْ بَعْدَ مَا وَلَّتْ كَأَنِّي لَدَى نُقْصَانِهَا حُلْمًا وَنَوْمًا
أَنَاخَ بَى الْمَشِيبِ فَلَا بَرَاخَ وَإِنْ أَوْسَعْتُهُ عَثْبًا وَلَوْ مَا
نَزِيلٌ لَا يَزَالُ عَلَى التَّنَائِي يَسُوقُ إِلَى الرَّدَى يَوْمًا فَيَوْمًا
وَكُنْتُ أَعُدُّ لِي عَامًا فَعَامًا فَصِرْتُ أَعُدُّ لِي يَوْمًا فَيَوْمًا

العِزُّ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيِّ^(١)، وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِينَ
وخمسمائة، وأسمعه والده الكثير، ورحل بنفسه إلى بغداد، وقرأ بها «مسند
أحمد»، وكانت له حلقة بجامع دمشق، وكان من أصحاب الملك المعظم،
وكان صالحاً دنيئاً ورعاً حافظاً، رحمه الله ورحم أباه.

أبو الفتوح محمد بن علي بن المبارك الجلاجلي البغدادى^(٢)، سميع الكثير،
وكان يتردد في الرسلية بين الخليفة والملك الأشرف بن العادل، وكان عاقلاً دنيئاً
ثقة صدوقاً.

الشريف أبو جعفر يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن
علي بن أبي زيد العلوي الحسنى^(٣)، نقيب الطالبين بالبصرة بعد أبيه، كان
شيخاً أدبياً فاضلاً عالماً بفنون كثيرة، لا سيما بالأنساب وأيام العرب وأشعارها،

(١) التكملة لوفيات النقلة ٢٥٢/٤، والذيل على الروضتين ص ٩٩، وسير أعلام النبلاء ٤٢/٢٢،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٦٥، والوفاء بالوفيات ٢٦٦/٣، والذيل على
طبقات الخنابلة ٩٠/٢.

(٢) تقدمت ترجمته في وفيات السنة الماضية.

(٣) في م: «الحسيني». وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٥٨١/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات
النقلة ٢٤١/٤، والذيل على الروضتين ص ١٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠)
ص ١٧٦.

يَحْفَظُ كَثِيرًا مِنْهَا، وَكَانَ مِنْ جُلَسَاءِ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ، وَمِنْ لَطِيفِ شَعْرِهِ قَوْلُهُ:

لِيَهْنِكَ سَمْعٌ لَا يَلَائِمُهُ الْعَدْلُ وَقَلْبٌ قَرِيحٌ لَا يَمَلُّ وَلَا يَسْلُو
كَأَنَّ عَلَى الْحُبِّ أَمْسَى فَرِيضَةً فَلَيْسَ لِقَلْبِي غَيْرُهُ أَبَدًا شُغْلُ
وَإِنِّي لَأَهْوَى الْهَجَرَ مَا كَانَ أَصْلُهُ دَلَالًا وَلَوْلَا الْهَجْرُ مَا عَذَبَ الْوَصْلُ
وَأَمَّا إِذَا كَانَ الصُّدُودُ مَلَالَةً فَأَيْسَرُ مَا هَمُّ الْحَبِيبِ بِهِ الْقَتْلُ

أَبُو عَلِيٍّ مَرْيَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مَرْيَدٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْحَشَكِرِيِّ^(١)، الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ، مِنْ أَهْلِ التُّعْمَانِيَّةِ، جَمَعَ لِنَفْسِهِ دِيوَانًا، أُوْرِدَ لَهُ ابْنُ السَّاعِي قِطْعَةً مِنْ شَعْرِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

سَأَلْتُكَ يَوْمَ التَّوَى نَظْرَةً فَلَمْ تَسْمَحْ خَفَرًا لَا سَلَمَ
وَأَعْجَبْتُ كَيْفَ تَقُولِينَ لَا وَوَجْهُكَ قَدْ خُطَّ^(٢) فِيهِ نَعَمَ
أَمَّا النُّونُ يَا هَذِهِ حَاجِبٌ أَمَّا الْعَيْنُ عَيْنٌ أَمَّا الْمِيمُ فَمَ

أَبُو الْفَضْلِ رِشْوَانُ بْنُ مَنْصُورٍ بْنِ رِشْوَانَ الْكُرْدِيُّ^(٣)، الْمَعْرُوفُ بِالنَّقْفِ، [٣٤٥/٩] وُلِدَ بِإِزْبِلَ، وَخَدَمَ جُنْدِيًّا، وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا، وَخَدَمَ مَعَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ، وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ:

سَلَى عَنِّي الصَّوَارِمَ وَالرِّمَاحَا وَخِيَلًا تَسْبِقُ الْهُوجَ الرِّيَّاحَا
وَأَسْدًا جَيْشُهَا سُمُرُ الْعَوَالِي^(٤) إِذَا مَا الْأَسْدُ حَاوَلَتْ الْكِفَاحَا

(١) التكملة لوفيات النقلة ٤/١٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٩١، ١٢٧، والمشتبه ص ٥٨٣، وتبصير المنتبه ٤/١٢٧٢. وفي المصدرين الأخيرين: «اليشكري». وانظر في ذلك مقدمة تكميل إكمال الإكمال لابن الصابوني ص ٢٠.

(٢) في الأصل: «خطر»، وفي ص: «خلط».

(٣) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٤) العوالي: جمع العالية، وهي النصف الذي يلي الشنان من قناة الرمح. الوسيط (ع ل و).

فإنى ثابت عقلاً ولُبّاً إذا ما صائخ في الحربِ صاحاً
وأوردُ مُهَجَّتِي لُجَجَ المنايا إذا ماجت ولم أخفِ الجراحاً
وكم ليلٍ سَهَرْتُ وبْتُ فيه أراعى النّجْمَ أَرْتَقِبُ الصُّبَا
وكم فى قَدْفِدِ فَرْسَى ونَضْوَى^(١) بقائلةِ الهَجِيرِ غدا وراحاً
لِعَيْنِكَ فى العجاجةِ ما أُلَاقَى وأُثْبِتُ فى الكَرِيهَةِ لا بَرَا

محمد بن يحيى بن هبة الله، أبو نصر النخاس الواسطي^(٢)، كتب إلى
السَّيِّطِ^(٣) من شعره:

وقائلة لما عَمَرْتُ وصار لى ثمانون عاماً عَشَ كذا وابقِ واسلمِ
ودُمُ وانتَشِقْ رُوحَ الحياةِ فإنه لأَطِيبُ مِن بَيْتِ بَصْعَدَةِ مُظْلِمِ
فقلتُ لها عُذْرِي لَدَيْكَ مَمْهُدٌ ببَيْتِ زهيرٍ فاعْلَمِي وتعلَّمِي
سَمِئْتُ تَكاليفَ الحياةِ وَمَنْ يَعِشْ ثمانين حوْلاً لا مَحَالَةَ يَسْأَمُ^(٤)

(١) الفدغد: الفلاة التى لا شىء بها. والنضو: الدابة التى هَزَلَتْها الأسفار وأذهبت لحمها. اللسان (ن ض و).

(٢) الذيل على الروضتين ص ٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٧١ - وفيه: «النخاس» بالخاء المعجمة - والوافى بالوفيات ١٩٩/٥.

(٣) أى سبط ابن الجوزى. كما فى الذيل على الروضتين.

(٤) شرح ديوان زهير ص ٢٩.

ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمئة^(١)

فى ثالث المحرم كمل تبليط داخل الجامع الأموى ، وجاء المعتمد مبارز الدين إبراهيم المتولى بدمشق ، فوضع آخر بلاطية منه بيده وكانت عند باب الزيادة^(٢) ، فرحاً بذلك .

وفىها زادت دجلة بغداد زيادة عظيمة ، وارتفع الماء حتى ساوى السور^(٣) إلا مقدار أصبعين ، ثم طفع الماء من فوقه^(٤) ، وأيقن الناس بالهلكة ، واستمر ذلك سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً ، ثم من الله تعالى فتناقص الماء ، وذهبت الزيادة ، وقد بقيت بغداد تلوياً ، وتهذمت أكثر البنايات^(٥) ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وفىها درّس بالنظامية محمد بن يحيى بن فضالان ،^(٦) وحضر عنده القضاء والأعيان^(٧) .

(١) الكامل ٣١٦/١٢ - ٣٣٢ ، ورمّة الزمان ٥٨١/٨ - ٥٨٦ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٠٠ - ١٠٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٥ - ١٨ .
(٢) فى الذيل على الروضتين ، وهو المصدر المنفرد بذكر ذلك ؛ أنه وضع البلاطة بحضرة مقصورة الحصر .

(٣) فى الأصل ، م : « القبور » .

(٤) لم يذكر ذلك فى المصادر تصریحاً ، ولكن ذلك لازم استمراره سبع ليالٍ وثمانية أيام .
(٥) جاءت عبارته فى رمّة الزمان : « وبقيت بغداد من الجانبين تلوياً لا أثر لها » . وقد علق الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام عقبها قائلاً : « هذا من خسف أبى المظفر - يعنى سبط ابن الجوزى مصنف المرأة - فهو مجازف » .

(٦ - ٦) زيادة من النسخ ليست فى رمّة الزمان وذيل الروضتين ، وهما المصدران اللذان ذكرا ذلك .

وفيها سار الصَّدْرُ بْنُ حَمُويَه في الرِّسَالَةِ إلى بغدادٍ مِنَ العادِلِ إلى الخليفةِ .
وفيها قَدِمَ ولَدُه الفَخْرُ مِنَ الكاملِ إلى أخيه المَعْظَمِ يَخْطُبُ منه ابنته على ابنه
أَقْبَسِيسَ صاحبِ اليَمَنِ ، فَعَقِدَ العَقْدَ بدمشقَ على صَدَاقِ هائلٍ .

وفيها قَدِمَ السلطانُ علاءُ الدينِ خُوارزم شاه محمدُ بْنُ تِكشَ إلى هَمْدَانَ^(١)
قاصداً إلى بغدادَ في أربعمئة ألفٍ ، وقيل : في ستمائة ألفٍ . فاستَعَدَّ له الخليفةُ ،
واستَحْدَمَ الجيوشَ الكثيرةَ ، وأرْسَلَ إلى الخليفةِ يَطْلُبُ منه أن يَكُونَ بينَ يَدَيْهِ على
قاعدةٍ مَن تَقَدَّمَهُ مِنَ المُلُوكِ السَّلاجِقَةِ ، وأن يُخْطَبَ له ببغدادَ على منابرِها ، فلم
يُجِبْهُ الخليفةُ إلى ذلك ، وأرْسَلَ إليه الشيخُ شهابُ الدينِ الشَّهْرَزُورِيُّ ، فلما وَصَلَ
إليه شاهدَ عنده مِنَ العَظَمَةِ وكَثْرَةَ المُلُوكِ بينَ يَدَيْهِ ، وهو جالسٌ في خَرَكَاهِ مِنَ
ذهَبٍ على سَرِيرٍ سادَجٍ^(٢) وعليه قَباءٌ بُخاريٌّ ما يُساوِي خمسةَ دراهمَ ، وعلى
رأسِهِ جِلْدَةٌ ما تُساوِي درهماً^(٣) ، فسَلَّمَ فلم يَزِدْ عليه مِنَ الكِبَرِ ، ولم يَأْذُنْ له في
الجلوسِ ، فقام إلى جانبِ السَّرِيرِ ، وأخَذَ في حُطْبَةٍ هائلةٍ ، فذَكَرَ فيها فَضْلَ بَنِي
العباسِ وشَرَفَهُمْ ، وأورَدَ حديثاً في التَّنْهِيِ عن أَذاهِمْ ، والتَّزْجُمَانِ يُعِيدُ على المَلِكِ ،
فقال المَلِكُ : أمَّا ما ذَكَرْتَ [٣٤٥/٩ ظ] مِنَ فَضْلِ الخليفةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ ، ولكنني
إذا قَدِمْتُ ببغدادَ أَقَمْتُ مَن يَكُونُ بهذه الصِّفَاتِ ، وما ذَكَرْتَ مِنَ التَّنْهِيِ عن
أَذاهِمْ ، فَإِنِّي لَمْ أُؤْذِ مِنْهُمْ أَحَداً ، ولكنَّ الخليفةَ في سُجُونِهِ مِنْهُمْ طائِفَةٌ كَثِيرَةٌ

(١) في النسخ : « همدان » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) في الأصل : « سادح » ، وفي م ، ص : « ساج » . والمثبت من مرآة الزمان والذيل وتاريخ الإسلام .
ولم تُذكَرْ في الكامل لاختصاره القصة . والساذج : الخالص غير المشوب وغير المنقوش . معرب ،
فارسيته : ساده . انظر الوسيط (س ذ ج) .

(٣) في المرآة والذيل وتاريخ الإسلام ؛ أن القباء يساوي خمسة دراهم والجلدة تساوي درهما . ولم يذكر
في الكامل ذلك .

يَتَنَاسَلُونَ فِي الشُّجُونِ ، فَهُوَ الَّذِي آذَى بَنِي الْعَبَّاسِ . ثُمَّ تَرَكَهُ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ
جَوَابًا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَانْصَرَفَ الشَّهْرُ وَزِدْتُ رَاجِعًا ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمَلِكِ
وَجُنْدِهِ ثَلَاثًا عَظِيمًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى طَمَّ الْخَرَائِكُ وَالْخِيَامَ ، وَوَصَلَ إِلَى رَعُوسِ
الْأَعْلَامِ ، وَتَقَطَّعَتْ أَيْدَى رِجَالٍ وَأَرْجُلُهُمْ ، وَعَمَّهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ مَا لَا يُحَدُّ
وَلَا يُوصَفُ ، فَرَدَّاهُمْ اللَّهُ خَائِبِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَفِيهَا انْقَضَتِ الْهُدْنَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْعَادِلِ وَالْفِرْنَجِ ، وَاتَّفَقَ قَدُومُ الْعَادِلِ مِنَ
الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، فَاجْتَمَعَ هُوَ وَوَلَدُهُ الْمُعْظَمُ بَيْسَانَ ، فَزَكَبَتِ الْفِرْنَجُ مِنْ عَكَّا
وَمَقَدَّمَهُمْ وَضَجَبَتْهُمْ مُلُوكُ السَّوَاخِلِ كُلُّهُمْ ، وَسَاقُوا كُلَّهُمْ قَاصِدِينَ مُغَافَصَةً^(١)
الْعَادِلِ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ فَرَمْنَهُمْ لَكثْرَةِ جُيُوشِهِمْ وَقِلَّةِ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ
الْمُعْظَمُ : إِلَى أَيْنَ يَا أَبَتِ ؟ فَشَتَّمَهُ أَبُوهُ بِالْعَجْمِيَّةِ ، وَقَالَ لَهُ : أَقَطَّعْتَ الشَّامَ تَمَالِيكَكَ ،
وَتَرَكْتَ^(٢) مَنْ يَنْقُضُنِي مِنْ^(٣) أَبْنَاءِ النَّاسِ . فَتَوَجَّهَ الْعَادِلُ إِلَى دِمَشْقَ ، وَكَتَبَ إِلَى
وَالِيهَا الْمُعْتَمِدِ لِيُخَصِّصَهَا مِنَ الْفِرْنَجِ ، وَيُنْقَلَ إِلَيْهَا مِنَ الْعَلَّاتِ مِنْ دَارِيًّا^(٤) إِلَى
الْقَلْعَةِ ، وَيُوسِّلَ الْمَاءَ عَلَى أَرْضِي دَارِيًّا ، وَقَصِرَ حَجَّاجِ^(٥) وَالشَّاعُورِ ، فَفَزِعَ النَّاسُ
مِنْ ذَلِكَ ، وَابْتَهَلُوا إِلَى اللَّهِ بِالْذُّعَاءِ ، وَكَثُرَ ضَجِيجُهُمْ بِالْجَامِعِ ، وَأَقْبَلَ السُّلْطَانُ ،
فَنَزَلَ بِمَرْجِ الصُّفْرِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى مُلُوكِ الشَّرْقِ لِيَقْدِمُوا لِقِتَالِ الْفِرْنَجِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ
قَدِمَ صَاحِبُ حِمَصَ أَسَدُ الدِّينِ شِيرُكُوهُ ، فَتَلَقَّاهُ النَّاسُ ، فَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْفَرَجِ ،
وَجَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِ الشَّامِ بِدَارِهَا عِنْدَ الْمَارِسْتَانِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دَارِهِ ، وَلَمَّا قَدِمَ

(١) غافصه : أخذه على غرة فركبه بمساة . اللسان (غ ف ص) .

(٢ - ٣) زيادة من : ص .

(٣) داريا : قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالقوطة . معجم البلدان ٥٣٦/٢ .

(٤) قصر حجاج : محلة كبيرة في ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق ، منسوب إلى حجاج بن
عبد الملك بن مروان . معجم البلدان ١١٠/٤ .

أَسَدُ الدِّينِ سُرَّى عَنِ النَّاسِ وَأَمِنُوا فَلَمَّا أَصْبَحَ تَوَجَّهَ إِلَى السُّلْطَانِ بِمَرْجِ الصُّفْرِ ،
وَأَمَّا الْفَرْنَجُ فَإِنَّهُمْ وَرَدُوا إِلَى بَيْتَانَ ، فَنَهَبُوا مَا كَانَ بِهَا مِنَ الْغَلَّاتِ وَالذَّوَابِّ ،
وَقَتَلُوا وَأَسْرَوْا شَيْئًا كَثِيرًا ، وَكَذَلِكَ عَاثُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا يَقْتُلُونَ وَيَنْهَبُونَ
وَيَسْبُونَ مَا بَيْنَ بَيْتَانَ إِلَى بَانِيَّاسَ ، وَخَرَجُوا إِلَى أَرْضِي الْجَوْلَانِ إِلَى نَوَى ^(١)
وَحِشْفَيْنِ ^(٢) وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَسَارَ الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ ، فَنَزَلَ عَلَى عَقْبَةِ اللَّبَنِ
بَيْنَ الْقُدْسِ وَنَابُلُسَ خَوْفًا عَلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، ثُمَّ حَاصَرَ الْفَرْنَجُ حَصْنَ الطُّورِ
حِصَارًا هَائِلًا ، وَمَانَعَ عَنْهُ الَّذِينَ بِهِ مِنَ الْأَبْطَالِ مُنَاعَةً هَائِلَةً ، ثُمَّ كَرَّ الْفَرْنَجُ رَاجِعِينَ
إِلَى عَكَّا ^(٣) ، وَجَاءَ الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ إِلَى الطُّورِ ، فَخَلَعَ عَلَى الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ بِهِ ، وَطَيَّبَ
نَفْسَهُمْ ، ثُمَّ اتَّفَقَ هُوَ وَأَبُوهُ عَلَى هَدْمِهِ كَمَا سَيَأْتِي .

وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الشيخُ الْعِمَادُ أَخُو الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ ، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ
ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ سُورٍ ، الشَّيْخُ عِمَادُ الدِّينِ الْمَقْدِسِيُّ ^(٤) ، كَانَ أَصْغَرَ مِنْ أَخِيهِ
الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ بِسَنَتَيْنِ ، وَقَدِيمٌ مَعَهُمْ إِلَى دِمَشْقَ سَنَةً إِحْدَى وَخَمْسِينَ
وخمسمائةً ، وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ مَرَّتَيْنِ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَكَانَ عَابِدًا زَاهِدًا وَرِعًا ،

(١) نوى : بليدة من أعمال حوران ، وقيل : هي قصبتها . بينها وبين دمشق منزلان . انظر معجم البلدان ٨١٥/٤ .

(٢) حشفين : قرية من أعمال حوران بعد نوى في طريق مصر ، بين نوى والأردن ، وبينها وبين دمشق خمسة عشر فرسخًا . معجم البلدان ٤٤٣/٢ .

(٣) بعده في م : « ومعهم الأسارى من المسلمين » .

(٤) مرآة الزمان ٥٨٦/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣٠٠/٤ ، والذيل على الروضتين ص ١٠٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤٧/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٨٢ ، والوافي بالوفيات ٤٩/٦ ، وعنده « إبراهيم بن عبد الواحد بن سرور » ، والذيل على طبقات الخبابة ٩٣/٢ .

كثير الصلاة، كثير الصَّيام؛ يصوم [٣٤٦/٩] يوماً ويُفطر يوماً، وكان فقيهاً مُفتياً، له كتاب «الفُرُوق»^(١)، وصنّف أحكاماً ولم يُتِمّه، وكان يؤم بمحراب الحنابلة مع الشيخ المؤفّق، وإنما كانوا يُصلّون بغير محراب، ثم وُضع المحراب في سنة سبع عشرة وستمائة، وكان يؤم بالناس فيه لقضاء الفوائت، وهو أول من فعل ذلك. صلّى المغرب ذات ليلة وكان صائماً، ثم رجع إلى بيته بدمشق، فأفطر ثم مات فجأة، فصلّى عليه بالجامع الأمويّ الشيخ المؤفّق عند مُصلّاهم، ثم صعدوا به إلى السّفح، وكان يوماً مشهوداً من كثرة الخلق. قال سبط ابن الجوزي^(٢): كان الخلق من الكهف إلى مغارة الدم إلى الميَطور^(٣)، لو بُدِر السّمسم ما وقع إلا على رءوس الناس^(٤)، فلما رجعت تلك الليلة فكّرت فيه^(٥) وقلت: كان هذا رجلاً صالحاً ربّما أنه نظر إلى ربّه حين وُضع في لحده. ومَرّ بذهني أبيات الثوريّ التي أنشدّها بعد موته في المنام فقال:

نظرتُ إلى ربي كِفاحاً وقال لي هنيئاً رِضايَ عنك يا بن سعيد
فقد كنتَ قَوّاماً إذا أقبلَ الدُّجى بعبرة مُشتاقٍ وقلْبٍ عَميد
فدونك فاخترَ أيّ قَصيرٍ أرذته وزُرني فإنني منك غيرُ بَعيد
ثم قلتُ: أَرُجو أن يكونَ العِماذُ رأى ربّه كما رآه سفيانُ الثوريّ. فَنِمْتُ

(١) في النسخ: «الفروع». والمثبت من مصادر ترجمته، عدا المرأة والتكملة والوافي فلم تتعرض لذكر ذلك.

(٢) مرآة الزمان ٥٨٨/٨، ٥٨٩ (القسم الثاني).

(٣) الميَطور: من قرى دمشق. معجم البلدان ٧١٦/٤.

(٤) الذي في مرآة الزمان أنه «لورمى عليهم الإنسان الإبرة لما ضاعت». وانظر الذيل على الروضتين

ص ١٠٥، والذيل على طبقات الحنابلة ١٠٤/٢.

(٥) بعده في م: «وفي جنازته وكثرة من شهدها».

فَرَأَيْتُ الشَّيْخَ الْعِمَادَ فِي النَّوْمِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ خَضْرَاءُ، وَعِمَامَةٌ خَضْرَاءُ، وَهُوَ فِي مَكَانٍ مُتَّسِعٍ كَأَنَّهُ رَوْضَةٌ، وَهُوَ يَزَقِي فِي دَرَجٍ مُتَّسِعَةٍ^(١)، فَقُلْتُ: يَا عِمَادَ الدِّينِ، كَيْفَ بَيْتٌ فَإِنِّي وَاللَّهِ مُفَكِّرٌ فِيكَ؟ فَنَظَرَ إِلَيَّ وَتَبَسَّمَ عَلَى عَادَتِهِ^(٢)، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ إِلَهِي حِينَ أَنْزَلْتُ حُفْرَتِي وَفَارَقْتُ أَصْحَابِي وَأَهْلِي وَجِيزَتِي وَقَالَ مُجِيزَتِ الْخَيْرِ عَنِّي فَإِنِّي رَضِيتُ فِيهَا عَفْوِي لَدَيْكَ وَرَحْمَتِي دَائِبَتْ زَمَانًا تَأْمُلُ الْفَوْزَ^(٣) وَالرِّضَا فَوُقِّيتَ نِيرَانِي وَلُقِّيتَ جَنَّتِي

قال: فَانْتَبَهْتُ وَأَنَا مَدْعُورٌ، وَكَتَبْتُ الْآيَاتَ.

القاضي جمال الدين بن الحرستاني: عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل، أبو القاسم الأنصاري بن الحرستاني^(٤)، قاضي القضاة بدمشق، وُلِدَ سَنَةَ عَشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ حَرَسْتَا^(٥)، فَنَزَلَ دَاخِلَ بَابِ ثُومًا، وَأُمٌّ بِمَسْجِدِ الزَّيْنَبِيِّ، وَنَشَأَ وَلَدُهُ هَذَا نَشْأَةً حَسَنَةً، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَشَارَكَ الْحَافِظَ ابْنَ عَسَاكَرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ شُيُوخِهِ، وَكَانَ يَجْلِسُ لِإِسْمَاعِيلِ الْحَدِيثِ بِمَقْصُورَةِ الْحَضِرِ، وَعِنْدَهَا كَانَ يُصَلِّي دَائِمًا، لَا تَقْوُتُهُ الْجَمَاعَةُ بِالْجَامِعِ، وَكَانَ

(١) في المرأة: «مرتفعة». وانظر الذيل على الروضتين ص ١٠٥، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/

١٠٥، وعندهما كما في المرأة. وفي تاريخ الإسلام ص ١٨٢: «عرفات».

(٢) بعده في م: «التي كنت أعرفه فيها في الدنيا».

(٣) في م: «العفو».

(٤) مرآة الزمان ٥٨٩/٨ (القسم الثاني) وعنده «أبو القاسم الحرستاني». والمعروف «ابن الحرستاني» كما أثبتته الحافظ ابن كثير وكما في المصادر الآتية: التكملة لوفيات النقلة ٣٠٣/٤، والذيل على الروضتين ص ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ٨٠/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٠٣، والوافي بالوفيات ٤٥١/١٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٩٦/٨.

(٥) حرستا: قرية كبيرة عامرة في وسط بساتين دمشق، على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ. معجم البلدان ٢٤١/٢.

منزله بالحَوِيرة^(١) ، ودرّس بالمجاهدية ، وعُمّر دهرًا طويلًا على هذا القَدَمِ الصالح ، وناب في الحكم عن ابن أبي عَصْرُون ، ثم ترك ذلك ولزم بيته وصلاته بالجامع ، ثم عَزَلَ العادلُ القاضي ابنَ الزَّكِيِّ^(٢) الطاهر بن محيي الدين محمد بن علي القرشي ، وألزم القاضي جمال الدين بن الحرستاني هذا بولاية القضاء^(٣) ، وله ثنتان وتسعون سنة ، وأعطاه تَدْرِيسَ العزيرية . وأخذ التَّقْوِيَّةَ أيضًا من ابن الزَّكِيِّ ، وولّاهَا فخر الدين بن عساكر . قال ابن عبد السلام : وما رأيتُ أحدًا أفقه من ابن الحرستاني ، كان يَحْفَظُ « الوسيط » للغزالي . وذكر غير واحد أنه كان من أغدِلِ القضاة وأقومهم بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وكان ابنه عماد الدين يَخْطُبُ بجامع دمشق ، وولى مَشِيخَةَ الأشرافية ينوب عنه ، وكان القاضي جمال الدين يَجْلِسُ للحكم بمدرسته المجاهدية ، [٣٤٦/٩ ظ] وكان السلطان قد أرسل إليه طَرَاخَةً وَمَسْنَدًا لأجل أنه شيخ كبير ، وكان ابنه يَجْلِسُ بين يديه ، فإذا نهض أبوه جلس هو مكانه ، ثم إنه عَزَلَ ابنه عن نيابته لشيء بلغه عنه ، واستتاب شمس الدين بن الشيرازي ، وكان يَجْلِسُ تُجَاهَهُ في شرقِ الإيوان ، واستتاب أيضًا معه شمس الدين بن سَنِيّ^(٤) الدولة ،^(٥) وبُيِّنَتْ له دكة في الزاوية القبلية بغرب المدرسة^(٦) ، واستتاب شرف الدين بن المؤصلي الحنفِيّ ، فكان يَجْلِسُ في محراب

(١) في م : « بالحورية » ، وفي الوافي : « الحويرة » . والمثبت موافق لما في مرآة الزمان والذيل على الروضتين وسير أعلام النبلاء ، ولم تذكر هذه التفاصيل سائر المصادر . والحويرة : تصغير الحارة ؛ حارة بدمشق . انظر تاج العروس (ح ي ر) .

(٢ - ٢) في م : « وألزم هذا بالقضاء » .

(٣) في م : « سنا » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٧/٢٣ .

(٤ - ٤) سقط من : م . وفي الأصل : « وبُيِّنَتْ له ذكر في الرواية الغربية القبلية من المدرسة » ، وفي ص : « وبُيِّنَتْ له دكة في الرواية » ثم يباض قدر كلمتين ثم « مدرسته » . والمثبت من الذيل على الروضتين والوافي بالوفيات . ولم تذكر هذه التفاصيل في سائر المصادر .

المدرسة، واستمرَّ حاكمًا سنتين وسبعة^(١) أشهر، ثم كانت وفاته يوم السبت رابع ذى الحجة من هذه السنة وله خمس وتسعون سنة، وصُلِّي عليه بجامع دمشق، ثم دُفِن بسفح قاسيون.

الأمير بدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد الهكاري^(٢)، باني المدرسة التي بالقدس، وكان من خيار الأمراء، يَمَنَّى الشهادة دائمًا، فقتلته الفرنج بحصن الطور هذه السنة، ونُقِل إلى القدس الشريف فدفن بترتبه باملا، وترتبه تزار إلى الآن، رحمه الله.

الشجاع محمود^(٣) المعروف بالدماغ^(٤)، كان من أصدقاء العادل يُضجِّكه، فحصل أموالاً جزيلة، كانت داره داخل باب الفرج^(٥)، فجعلتها زوجته عائشة مدرسة للشافعية والحنفية، ووقفت عليها أوقافاً دارّة. رحمه الله.

الشيخة الصالحة العابدة الزاهدة، شيخة العالمات بدمشق، وتلقب بذهن اللوز^(٦).

(١) في م: «أربعة».

(٢) مرآة الزمان ٥٩٢/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٢٠، والوافي بالوفيات ٣٥٠/٤، والنجوم الزاهرة ٢٢١/٦.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٢١، والسلوك ١٨٨/١ (القسم الأول)، وشذرات الذهب ٦١/٥.

(٤) في الأصل، م: «بابن الدماغ». وفي ص: «بابن الدباغ» وكذا جاء اسمه في السلوك: «ابن الدباغ» والمثبت من سائر المصادر.

(٥) في م: «الفرنج».

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٠٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٩٥.

وفيهما توفيت بنتُ بوريجان^(١)، وهى آخرُ بناته وفاةً، وجعلت أموالها وقفًا
على تربية أختها بنتِ صفية^(٢) المشهورة^(٣).

(١) فى الأصل، م: «نورنجان»، وفى ص: «بورنجان». والمثبت من مصدر ترجمتها؛ الذيل على
الروضتين ص ١٠٨.

(٢) فى الأصل: «العصية»، وفى م: «العصبة»، وفى ص: «العصبة». والمثبت من الذيل على
الروضتين.

(٣) هنا ينتهى الجزء الثالث من النسخة المصرية المشار لها بـ «ص».

ثم دَخَلَتْ سَنَةً خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ

اسْتَهْلَتْ^(١) والعاذلُ نازلٌ بِمَرْجِ الصُّفْرِ لِمُنَاجَزَةِ الْفِرْنَجِ، وَأَمَرَ وَلَدَهُ الْمُعْظَمَ بِتَخْرِيبِ حَصَنِ الطُّورِ، فَخَرَّبَهُ وَنَقَلَ مَا فِيهِ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ إِلَى الْبُلْدَانِ خَوْفًا مِنَ الْفِرْنَجِ.

وَفِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ نَزَلَتْ الْفِرْنَجُ عَلَى دِمْيَاطَ، وَأَخَذُوا بُرْجَ السِّلْسِلَةِ فِي جُمَادَى الْأُولَى، وَكَانَ حَصْنًا مَنِيعًا، وَهُوَ قُفْلُ بِلَادِ مِصْرَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. وَفِيهَا التَّقَى الْمُعْظَمُ وَالْفِرْنَجُ عَلَى الْقَيْمُونِ^(٢)، فَكَسَرَهُمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا، وَأَسَرَ مِنَ الدَّوَائِيَّةِ^(٣) مِائَةً، فَأَدْخَلَهُمْ إِلَى الْقَدْسِ مُنْكَسَةً أَعْلَامُهُمْ.

وَفِيهَا جَرَتْ خُطُوبٌ كَثِيرَةٌ بِلَدِ الْمُؤَصِّلِ بِسَبَبِ مَوْتِ مُلُوكِهَا أَوْلَادِ قَرَا أَرْسَلَانَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَتَغَلَّبَ غَلَامٌ أَبِيهِمْ بِدُرِّ الدِّينِ لُؤْلُؤٌ عَلَى الْأُمُورِ^(٤)، وَيُذَكِّرُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَقْتُلُهُمْ فِي الْبَاطِنِ لَيْسَتْ حَوْذَ هُوَ عَلَى الْأُمُورِ^(٥)، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَفِيهَا أَقْبَلَ مَلِكُ الرُّومِ^(٥) كَيْكَاوُسُ بْنُ كَيْخُسْرُو^(٥) يَرِيدُ أَخْذَ مَمْلَكَةِ حَلَبَ،

(١) الكامل ٣٣٣/١٢ - ٣٥٣، ورمّة الزمان ٥٩٢/٨ - ٥٩٤ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٠٨ - ١١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ١٩ - ٢٤.

(٢) القيمين: حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين. معجم البلدان ٢١٨/٤.

(٣) انظر: نهاية الأرب ٨٣/٢٩. الحاشية.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥ - ٥) في م: «كيكاريس سنجر».

وساعده على ذلك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سُمَيْسَاط ، فصده عن ذلك الملك الأشرف موسى بن العادل ، وقهر ملك الروم ، وكسر جيشه ، وردّه خائباً . وفيها تملك الأشرف مدينة سنجار مُضافاً إلى ما بيده من الممالك هنالك . وفيها تُوفّي السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب^(١) ، فأخذت الفرنج ، لعنهم الله ، ثغر دِمياط ،^(٢) ثم ركبوا^(٣) ، وقصدوا بلاد مصر من ثغر دِمياط ، فحاصروه مدة أربعة أشهر ، والكمال محمد مقابلهم يُقاتلهم ويُمانعهم ويصدّهم عما يُريدونه ، فتملّكوا على المسلمين بُرْج السِّلْسِلَة ، وهو كالفُقل على ديار مصر ، وصِفَتْه في وسط جزيرة في النيل عند انتهائه إلى البحر ، ومن هذا البرج إلى دِمياط - وهو على شاطئ البحر وحافة النيل - سلسلة ، ومنه إلى الجانب - الآخر وعليه الجسر - سلسلة أخرى ؛ لِيَفْتَحَ دخول المراكب من البحر إلى النيل ، فلا يُمكن الدُّخول ، فلما ملكت الفرنج هذا البُرج شقّ ذلك على المسلمين بديار مصر وغيرها ، وحين وصل الخبر إلى الملك العادل وهو بمَرْج الصُّفَر ، تأوّه لذلك تأوُّهاً شديداً ، ودقّ بيده على صدره أسفاً وحُزناً ، ومريض من ساعته مريض الموت لأمر يُريده الله عز وجل ، فلما كان يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة تُوفّي رَحِمَهُ اللهُ بقرية عالقين^(٣) ، فجاء ولده المُعْظَمُ إليه مُسرِعاً ، فجمع خواصه ، وأرسله في

(١) الكامل ٣٥٠ / ١٢ ، ومراة الزمان ٥٩٤ / ٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣٢٦ / ٤ ، والذيل على الروضتين ص ١١١ ، ووفيات الأعيان ٧٤ / ٥ ، ونهاية الأرب ٨٢ / ٢٩ ، وسير أعلام ٢٢ / ١١٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٦٨ .

(٢ - ٢) في الأصل : « قد تقدم أنه لما أراد الفرنج مغافسته وهو جاء من الديار المصرية عند بيسان فر منهم ونزل بمَرْج الصفر وأرسل إلى العساكر من الجزيرة وغيرهم لتقدم [٣٤٧ / ٩] عليه حتى يناجز بهم الفرنج وذلك عند انقضاء هذه الهدنة فركبت الفرنج من السواحل من عكا وانضاف إليهم من شاء الله من عساكرهم البحرية » .

(٣) عالقين : قرية بظاهر دمشق . وفيات الأعيان ٧٨ / ٥ .

مِخْفَةٍ^(١) ، ومعه خادِمٌ بصفَةِ أن السلطانَ مريضٌ ، وكلما جاء أحدٌ من الأمراءِ لِيَسْلَمَ على السلطانِ بَلَّغَهُم عنه الطَّوْاشِي ، يعنى لضعفِ السلطانِ عن الردِّ عليهم ، فلما انْتَهَى به إلى القلعة المنصورة دُفِنَ بها مدّةً ، ثم حُوِّلَ إلى تربيته بمدرسةِ العادليةِ الكبيرة ، وقد كان الملكُ سيفُ الدينِ أبو بكرِ بنُ أيوبَ بنِ شاذي من خيارِ الملوكِ وأجودهم سيرةً وأحسنهم سريرةً ، دَيِّتًا عاقلاً صبوراً وقوراً ، أبطلَ المحرّماتِ والخمورَ والمعارفَ من مملكته كلّها ، وقد كانت مُمتدّةً من أقصى بلادِ مصرَ واليمنِ والشامِ والجزيرةِ إلى هَمَذَانَ كلّها ، أَخَذَهَا بعدَ أخيه صلاحِ الدينِ ، رَحِمَهُمَا اللهُ وسوى حَلَبَ ، فإنه أقرّها بيدِ ابنِ أخيه الظاهرِ غازي ؛ لأنه زوجُ ابنته صَفِيّةِ السّتِّ خاتون . وكان رحمه الله حليماً صَفْوَحاً ، صَبُوراً على الأذى ، كثيرَ الجهادِ بنفسِهِ ، وحضَرَ مع أخيه موافقَه كلّها أو أكثرها ، وله في تلك الأيامِ اليدُ البيضاءُ ، وكان رحمه الله ماسِكُ اليدِ ، لكنه أنفقَ في عامِ الغلاءِ بمصرَ أموالاً عظيمةً جداً ، وتصدَّقَ على أهلِ الحاجةِ من أبناءِ الناسِ وغيرِهِم شيئاً كثيراً ، ثم في العامِ بعده في الفَنَاءِ كَفَنَ ثلاثمائة^(٢) ألفِ إنسانٍ من الغُرباءِ ، وكان كثيرَ الصَّدَقَةِ في أيامِ مرضِهِ ، حتى كان يَخْلَعُ جميعَ ما عليه وَيَتَصَدَّقُ به وبمَزْكوبِهِ^(٣) ، وكان كثيرَ الأكلِ ، مُتَمَتِّعاً بصحّته وعافيته مع كثرةِ صيامِهِ ، يَأْكُلُ في اليومِ الواحدِ أَكْلَاتٍ جيدةً ، ثم بعدَ هذا يَأْكُلُ وقتَ النومِ رَطَلاً بالدمشقيِّ مِنَ الحَلْوَى الشُّكْرِيَةِ اليابسةِ ، وكان يَغْتَرِيهِ مرضٌ في أنْفِهِ في زمانِ الوَرْدِ ، وكان لا يَقْدِرُ على الإقامةِ بدمشقَ حتى يَفْرُغَ زمنُ الوَرْدِ ، فكان يُضْرَبُ له الوطاقُ^(٤) بِمَرْجِ الصُّفْرِ ، ثم

(١) المحفة : الهودج لا قبة له . الوسيط (ح ف ف) .

(٢) في م : «مائة» .

(٣) بعده في الأصل : «وما تحته» .

(٤) الوطاق : الخيمة الكبيرة التي تعد للعظماء . محيط المحيط (و ط ق) .

يَدْخُلُ الْبَلَدَ بَعْدَ ذَلِكَ . وَتُوفِّي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَنْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً .

[٣٤٧/٩ ظ] وكان له مِنَ الْأَوْلَادِ جَمَاعَةٌ ؛ مُحَمَّدُ الْكَامِلُ صَاحِبُ مِصْرَ ، وَعِيسَى الْمُعْظَمُ صَاحِبُ دِمَشَقَ ، وَمُوسَى الْأَشْرَفُ صَاحِبُ الْجَزِيرَةِ وَخِلَاطَ وَحَرَّانَ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَالْأَوْحَدُ أَيُّوبُ وَمَاتَ قَبْلَهُ ، وَالْفَائِزُ إِبْرَاهِيمُ ، وَالْمُظَفَّرُ غَازِي صَاحِبُ الرُّهَا ، وَالْعَزِيزُ عَثْمَانُ ، وَالْأَمْجَدُ حَسَنُ ، وَهُمَا شَقِيقَا الْمُعْظَمِ ، وَالْمَغِيثُ مُحَمَّدُ ، وَالْحَافِظُ أَرْسَلَانُ صَاحِبُ جَعْفَرٍ ^(١) ، وَالصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ ، وَالْقَاهِرُ إِسْحَاقُ ، وَمُعِيزُ الدِّينِ يَعْقُوبُ ، وَقُطُبُ الدِّينِ أَحْمَدُ ، وَخَلِيلُ ، وَكَانَ أَصْغَرَهُمْ ، وَتَقِيُّ الدِّينِ عَبَّاسُ ، وَكَانَ آخِرَهُمْ وَفَاةً ، بَقِيَ إِلَى سَنَةِ سِتِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَكَانَ لَهُ بَنَاتٌ أَشْهُرُهُنَّ السُّتُّ صَفِيَّةُ خَاتُونُ زَوْجَةِ الظَّاهِرِ غَازِي صَاحِبِ حَلَبَ وَأُمُّ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ وَالِدِ النَّاصِرِ يَوْسُفَ الَّذِي مَلَكَ دِمَشَقَ ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ النَّاصِرِيَّتَانِ بِدِمَشَقَ وَالْجَبَلِ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُ هُوَلَاوُو كَمَا سَيَأْتِي .

صَفَةُ أَخَذِ الْفِرْنَجِ دِمْيَاطَ ^(٢) لَمَّا انْتَهَى الْخَبْرُ بِمَوْتِ الْعَادِلِ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدِ الْكَامِلِ ، وَهُوَ بَنَغَرِ دِمْيَاطَ مَرَابِطُ الْفِرْنَجِ ، أَضْعَفَ ذَلِكَ أَعْضَادَ الْمُسْلِمِينَ وَفَشَلُوا ، ثُمَّ بَلَغَ الْكَامِلُ خَيْرَ آخِرٍ أَنَّ الْأَمِيرَ أَحْمَدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْمُشْطُوبِ ، وَكَانَ أَكْبَرَ أَمِيرِ بَمْبَصَرِ ، قَدْ أَرَادَ أَنْ يُبَايِعَ لِلْفَائِزِ عَوَضًا عَنِ الْكَامِلِ ، فَسَاقَ وَحْدَهُ جَرِيدَةً مِنْ دِمْيَاطَ قَاصِدًا إِلَى مِصْرَ لَاسْتِذْرَاكَ هَذَا الْخَطْبِ الْجَسِيمِ ، وَلَمَّا فَقَدَهُ الْجَيْشُ مِنْ بَيْنِهِمْ انْحَلَّ نِظَامُهُمْ ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِمَّا بَلَغَهُمْ ، فَرَكِبُوا وَرَاءَهُ ، فَدَخَلَتْ الْفِرْنَجُ حِينًا بِأَمَانٍ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَاسْتَحْوَذُوا عَلَى مُعَشَكِرِ الْكَامِلِ وَأَثْقَالِهِ وَحَوَاصِلِ الْجَيْشِ ، فَوَقَعَ أَمْرٌ عَظِيمٌ جَدًّا ، وَذَلِكَ بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَدَخَلَ

(١) جعبر: قلعة على الفرات . معجم البلدان ٨٤ / ٢ .

(٢) الكامل ٣٢٣ / ١٢ - ٣٢٦ .

الكامل مصر، فلم يَقَعْ مما ظَنَّهُ شَيْءٌ، وهَرَبَ مِنْهُ ابْنُ الْمَشْطُوبِ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ رَكِبَ فِي الْجَيْشِ إِلَى الْفِرْنَجِ، فَإِذَا الْأَمْرُ قَدْ تَزَايَدَ وَقَدْ تَمَكَّنُوا هُنَاكَ مِنَ الْبُلْدَانِ، وَقَتَلُوا خَلْقًا، وَغَنِمُوا شَيْئًا كَثِيرًا، وَعَاقَتْ هُنَاكَ أَعْرَابٌ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ بِيَلَادِ دِمْيَاطَ، فَكَانُوا أَضَرَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْفِرْنَجِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَنَزَلَ الْكَامِلُ تُجَاهَهُمْ يُبَايِعُهُمْ عَنْ دُخُولِهِمْ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَمَصْرِهِمْ بَعْدَ أَنْ كَانَ يُمَايِعُهُمْ عَنْ دُخُولِ الثُّغَرِ؛ وَكَتَبَ إِلَى إِخْوَتِهِ يَسْتَحِثُّهُمْ وَيَسْتَنْجِدُ بِهِمْ، وَيَقُولُ: الْوَحَاءُ الْوَحَاءُ^(١)، الْعَجَلُ الْعَجَلُ، أَذْرِكُوا الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ أَنْ تَمْلِكَ الْفِرْنَجُ جَمِيعَ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ. فَأَقْبَلَتِ الْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ أَخُوهُ الْأَشْرَفُ مُوسَى صَاحِبُ الْجَزِيرَةِ، يَبِضُّ اللَّهُ وَجْهَهُ، ثُمَّ الْمُعْظَمُ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَعَ الْفِرْنَجِ مَا سَنَذْكُرُ بَعْدَ هَذِهِ السَّنَةِ.

وفِيهَا وَلَى حِشْبَةَ بَغْدَادِ الصَّاحِبُ مُخَيِّ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجُوزِيِّ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَعْمَلُ مِيعَادَ الْوَعْظِ عَلَى قَاعِدَةِ أَبِيهِ، وَشُكِرَتْ مُبَاشَرَتُهُ لِلْحِشْبَةِ. وَفِيهَا فُؤِضَ إِلَى الْمُعْظَمِ النَّظَرُ فِي الثُّزْبَةِ الْبَذْرِيَّةِ تُجَاهَ الشُّبْلِيَّةِ عِنْدَ الْحِيسْرِ الَّذِي عَلَى ثُورَا^(٢)، وَيُقَالُ لَهُ: جِسْرُ كُحَيْلٍ. وَهِيَ مَنَسُوبَةٌ إِلَى ^(٣)بَدْرِ الدِّينِ ^(٣)حَسَنِ بْنِ الدَّايَةِ، كَانَ هُوَ وَإِخْوَتُهُ مِنْ أَكَابِرِ أَمْرَاءِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ زُنْكِى.

قُلْتُ^(٤): وَقَدْ جُعِلَتْ فِي حُدُودِ الْأَرْبَعِينَ [٣٤٨/٩] وَسِتْمَائَةِ جَامِعًا فِيهِ خُطْبَةُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وفِيهَا أُرْسِلَ السُّلْطَانُ عَلَاءُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ تَيْكَشَ إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ وَهُوَ مُخَيَّمٌ

(١) الوحاء: العجلة والإسراع. المحيط (و ح ي).

(٢) ثورا: اسم نهر عظيم بدمشق. معجم البلدان ٩٣٨/١.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) سقط من: م.

بمَرْج الصُّفَرِ ، فردَّ إليه مع الرسولِ خَطِيبَ دِمَشقَ جَمالَ الدينِ مُحَمَّدَ بنِ عبدِ الملكِ الدَّوْلَعِي ، واشْتَنِبَ عنه في الخطابة الشيخُ المَوْفَّقُ عَمْرُ بنُ يوسفَ خطيبِ بيتِ الآبارِ ، فأقامَ بييتَ في العَزِيزِيَّةِ^(١) يُبَايِسُهُ عنه ، حتى قَدِمَ موْتُ العادلِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

وفِيها تُوفِّيَ الملكُ القاهرُ صاحبُ المَوْصِلِ ، فَأُقِيمَ ابنُهُ الصَّغِيرُ مكانَهُ ، ثُمَّ قُتِلَ ، وَتَشَتَّتَ شَمْلُ البَيْتِ الْأَتَاكِئِي ، وَتَغَلَّبَ على الْأُمُورِ الْأَمِيرُ بَدْرُ الدينِ لُؤْلُؤُ غلامُ أبيهِم نورِ الدينِ أَرْسلان .

وفِيها كانَ عودُ الوَزِيرِ صَفِيِّ الدينِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عَلِيِّ بنِ شُكْرِ مِنْ^(٢) أَمَدَ إلى دِمَشقَ^(٣) بَعْدَ موْتِ العادلِ ، فَعَمِلَ فِيهِ الشَّيْخُ عَلَمُ الدينِ السَّخَاوِيُّ مَقامَةً يَمْدَحُهُ فِيها وَيُبَالِغُ فِي شُكْرِهِ ، وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّهُ كانَ مُتَواضِعًا يُحِبُّ^(٤) الْفُقَهَاءَ ، وَيُسَلِّمُ على النَّاسِ إِذا اجْتازَ بِهِمْ وَهُوَ رَاكِبٌ فِي أُبْهَةِ وَزارَتِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ نَكِبَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكاملَ هُوَ الَّذِي كانَ سَبَبَ طَرْدِهِ وَإِبْعادِهِ ، كَتَبَ إلى أَخِيهِ الْمُعْظَمِ فِيهِ ، فاحتاطَ على أُمُوالِهِ وَحَواصِلِهِ ، وَعَزَلَ ابْنَهُ عَنِ النَّظَرِ بِالْأَدَاوِينِ ، وَقَدْ كانَ يَنْوُبُ عَنْ أَبِيهِ فِي مَدَةِ غَيْبَتِهِ .

وفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ أَعادَ الْمُعْظَمُ ضَمَانَ الْقِيانِ وَالْخُمُورِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ الَّتِي كانَ أَبُوهُ قد أَبْطَلَهَا ، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَجاسَرُ أَنْ يَنْقُلَ خَمْرًا إلى دِمَشقَ إِلَّا بِالْحِيلَةِ الْخَفِيَّةِ^(٥) ، وَاعْتَذَرَ الْمُعْظَمُ فِي صَنْعِهِ هَذَا الْمُنْكَرَ بِقِلَّةِ الْأُمُوالِ على الْجُنْدِ ، وَاحْتِياجِهِمْ إلى التَّفَقَّاتِ فِي قِتالِ الْفِرَنْجِ .

(١) العزيرية : مدرسة بناها العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين . انظر الدارس ٣٨٢ / ١ ، ٥٤٩ .

(٢ - ٢) في م : « بلاد الشرق » .

(٣) بعده في م : « الفقراء و » .

(٤) بعده في م : « فجزى الله العادل خيرا ولا جزى المعظم خيرا على ما فعل » .

١١) وما استشعر أن^(١) هذا الصنيع يُدِيلُ عليهم الأعداء، ويُمكنُ فيهم الداء^(٢).

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْيَانِ :

السلطانُ الملكُ العادلُ أبو بكرِ بنُ أيوبَ، كما تقدَّم^(٣).

القاضي شرف الدين أبو طالب عبد الله بن زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان بن يحيى^(٤) بن علي القرشيّ الدمشقيّ^(٥)، من بني عمّ ابن الزكيّ، وكان أولَ من درّس بالشامية البرّانية وبالرواحية أيضًا، وناب في الحكم عن ابن عمّه محيي الدين بن الزكيّ. وتوفّي في شعبان من هذه السنة، ودفن عند مسجدِ القدم.

أبو سليمان داود بن أبي الغنائم أحمد بن يحيى الملهميّ^(٦) الضّريّ البغداديّ^(٧)، كان يُنسبُ إلى علمِ الأوائل^(٨)، ولكنه كان يتّسّترُ بمذهبِ الظاهرية؛ ولهذا قال فيه ابنُ الساعي: الداووديّ مذهبًا، المعريّ أدبًا واعتقادًا،

(١ - ١) في م: « وهذا من جهله وقلة دينه وعدم معرفته بالأمر فإن ».

(٢) بعده في م: « ويشط الجند عن القتال فيولون بسببه الأدبار وهذا مما يدمر ويخرب الديار ويدلّ الدول كما في الأثر: « وإذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني. وهذا ظاهر لا يخفى على فطن ».

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) في م: « اللخمى ».

(٥) مرآة الزمان ٥٩٤/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٣٣٩/٤، والذيل على الروضتين ص ١١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٤٢، والدارس في تاريخ المدارس ٢٦٧/١.

(٦) معجم الأدباء ٩٣/١١، ومرآة الزمان ٥٩٣/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٣١٠/٤، والذيل على الروضتين ص ١١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٣٧، ومعرفة القراء الكبار ٤٨٤/٢، والوافي بالوفيات ٤٥٨/١٣.

(٧) ليس هو ذلك العلم الذي يتعرف منه أوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب، والذي هو من فروع التواريخ والمحاضرات ولكن غالب الظن أنه علم الأوائل الماضين من اليونانيين وغيرهم من الأمم أصحاب علوم الفلسفة والمنطق والنجوم والموسيقى والحيل والكيمياء وغير ذلك. انظر مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٥٦/١.

وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

إِلَى الرَّحْمَنِ أَشْكُو مَا أَلَاقَى غَدَاةً غَدَّوْا عَلَى هُوجِ النَّيَاقِ
سَأَلْتُكُمْ بِمَنْ زَمَّ الْمَطَايَا^(١) أَمَرٌ بِكُمْ أَمَرٌ مِنَ الْفِرَاقِ
وَهَلْ دَاءٌ^(٢) أَشَدُّ مِنَ الثَّنَائِي وَهَلْ عَيْشٌ أَلَذُّ مِنَ الثَّلَاقِي
قَاضِي قُضَاةٍ بَغْدَادَ عِمَادُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ
الدَّامَغَانِيِّ الْحَنْفِيِّ^(٣) ، سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَتَفَقَّهَ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَوَلَّى
الْقَضَاءَ بِبَغْدَادَ مَرَّتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سَبْعِ عَشْرَةِ سَنَةً ، وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيْرِ ، عَارِفًا
بِالْحِسَابِ وَالْفَرَائِضِ وَقِسْمَةِ التَّرِكَاتِ .

[٣٤٨/٩ ظ] أَبُو الْيَمَنِ نَجَاحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَبَشِيُّ الشَّرَابِيُّ^(٤) نَجْمُ الدِّينِ^(٥) ،
مَوْلَى الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ ، وَكَانَ لَا يُفَارِقُ الْخَلِيفَةَ ، وَكَانَ يُسَمَّى سَلْمَانَ دَارِ الْخِلَافَةِ ،
وَقَدْ وَجَدَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ وَجْدًا عَظِيمًا ، وَكَانَ يَوْمَ جِنَازَتِهِ يَوْمًا مَشْهُودًا ، كَانَ بَيْنَ
يَدَيْ النُّعْشِ مَائَةُ بَقَرَةٍ وَأَلْفُ شَاةٍ وَأَحْمَالٌ مِنَ التَّمْرِ وَالْخَبْزِ وَالْمَاوِزِدِ ، وَقَدْ صَلَّى
عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ بِنَفْسِهِ تَحْتَ التَّاجِ ، وَتَصَدَّقَ عَنْهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ عَلَى الْمَشَاهِدِ ،

(١) زَمَّ الْمَطَايَا : خَطَمَ الْإِبِلَ . انْظُرِ اللِّسَانَ (ز م م) .

(٢) فِي م : « ذل » .

(٣) ذَيْلُ تَارِيخِ بَغْدَادَ (الْمُخْتَصَرُ الْمُحْتَاجُ إِلَيْهِ) ٢١٤ / ١٥ ، وَالتَّكْمِلَةُ لَوْفِيَّاتِ النُّقْلَةِ ٣٤٠ / ٤ ، وَالذَّيْلُ عَلَى
الرُّوْضَتَيْنِ ص ١١٠ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٤١ ، وَالْعَبْرُ ٥٦ / ٥ ،
وَالْوَفَى بِالْوَفِيَّاتِ ١٣٧ / ١٧ ، وَالْجَوَاهِرُ الْمُضْيئةُ ٣٠١ / ٢ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « السَّرَآئِي » ، وَفِي م : « السُّودَانِي » ، وَالثَّبُوتُ مِنْ مَصَادِرَ تَرْجَمَتِهِ ؛ مَرَّةً الزَّمَانُ ٦٠٠ / ٨
(الْقِسْمُ الثَّانِي) ، وَالذَّيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ١١٣ ، وَالتَّكْمِلَةُ لَوْفِيَّاتِ النُّقْلَةِ ٣٤٤ / ٤ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ
(حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٦٧ .

وَالشَّرَابِيُّ : نِسْبَةٌ إِلَى الشَّرَابِ ، الَّذِي يُصْنَعُ الشَّرَابُ وَيَحْفَظُهُ . انْظُرِ الْأَنْسَابَ ٤١١ / ٣ .

(٥) فِي الذَّيْلِ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ : « الدَّوْلَةُ » .

ومثلها على المجاورين بالحرمتين ، وأعتق مماليكه ، وأوقف عنه خمسمائة مجلد .

أبو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر الموصلي^(١) ، تفقه بالأنظامية ، وسمع الحديث ، ثم عاد إلى الموصل ، فساد أهل وقته ، وتقدم في الفتوى والتدريس بمدرسة بدر الدين لؤلؤ وغيرها ، وكان صالحاً ديناً ، رحمه الله .

أبو الطيب رزق الله^(٢) بن يحيى بن رزق الله بن يحيى بن خليفة بن سليمان^(٣) بن رزق الله^(٤) بن غانم بن غنّام الماحوزي^(٥) ، المحدث الجوال الرّحال الثقة الحافظ الأديب الشاعر .

أبو العباس أحمد بن برنقش^(٦) بن عبد الله العمادى ، كان من أمراء سنجان ، وكان أبوه من موالى الملك عماد الدين زنكى صاحبها ، وكان أحمد هذا أديباً^(٧) شاعراً ، ذا مالٍ جزيلٍ وأملاكٍ كثيرة ، وقد احتاط على أمواله قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى ، وأودعه سجنًا ، فنسب فيه ، ومات كمدًا ، ومن شعره :

تقول وقد ودّعْتُها ودموعُها على نحرها^(٨) من خشيةِ البينِ تلتقى
مضى أكثرُ العمرِ الذى كان نافعا رويدك فاعملْ صالحاً فى الذى بَقى

(١) الكامل ٣٥٤ / ١٢ ، وذيل تاريخ بغداد ٥٩ / ١٥ ، والتكملة لوفيات النقلة ٣٠٩ / ٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٦٠ ، والوافى بالوفيات ٩٨ / ٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨٠ / ٨ .

(٢ - ٢) سقط من الأصل . وانظر ترجمته فى : تاريخ إربل ٢١٩ / ١ ، وتكملة إكمال الإكمال ص ١٥٢ .

(٣) فى تاريخ إربل : « سلطان » .

(٤) فى م : « التأخدرى » .

(٥) فى م : « برتكش » .

(٦) فى م : « دينا » .

(٧) فى م : « خدها » .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتٌّ عَشْرَةٌ وَسِتَّمِائَةٌ

فيها^(١) أَمَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ الْجُوزِيِّ مُحْتَسِبٌ بَغْدَادَ بِإِزَالَةِ الْمُتَنَكِّرَاتِ وَكَسْرِ الْمَلَاهِي ، فَقَعِلَ ذَلِكَ فِي مَسْتَهْلٍ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

ظَهَرُوا جَنْكِزْخَانَ وَجُنُودَهُ وَعَبُورَهُمْ نَهْرَ جَيْحُونَ ، وَفِيهَا عَبَّرَتِ التَّنَّارُ نَهْرَ جَيْحُونَ ضُخْبَةً مَلِكِهِمْ جَنْكِزْخَانَ مِنْ بِلَادِهِمْ ، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ جِبَالَ طَمَغَاغٍ مِنْ أَرْضِ الصِّينِ ، وَلَعَنَتْهُمْ مُخَالَفَةُ لِلغَةِ سَائِرِ التَّنَّارِ ، وَهُمْ مِنْ أَشْجَعِهِمْ وَأَصْبِرِهِمْ عَلَى الْقِتَالِ ، وَسَبَّبَ دَخُولَهُمْ أَنَّ جَنْكِزْخَانَ بَعَثَ تُجَارًا لَهُ ، وَمَعَهُمْ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ إِلَى بِلَادِ خُوارِزْمِ شَاهٍ يَتَبَضَّعُونَ لَهُ ثِيَابًا لِلْكُشُودَةِ ، فَكَتَبَ نَائِبُهَا إِلَى السُّلْطَانِ خُوارِزْمِ شَاهٍ يَذْكُرُ لَهُ مَا مَعَهُمْ مِنْ كَثَرَةِ الْأَمْوَالِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِقَتْلِهِمْ وَبِأَخْذِ مَا مَعَهُمْ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ جَنْكِزْخَانَ وَأَرْسَلَ يَتَهَدَّدُ خُوارِزْمِ شَاهٍ ، فَأَشَارَ^(٢) مَنْ أَشَارَ عَلَى خُوارِزْمِ شَاهٍ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي شُغْلٍ بِقِتَالِ كَشْلِي خَانَ ، فَنَهَبَ خُوارِزْمِ شَاهٍ أَمْوَالَهُمْ ، وَسَبَى ذُرَارِيَهُمْ وَأَطْفَالَهُمْ ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ مَحْزُورِينَ ، فَاقْتَتَلُوا مَعَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ قِتَالًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، أَوْلَئِكَ يُقَاتِلُونَ عَنْ حَرِيمِهِمْ ، وَالْمُسْلِمُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مَتَى وَلَّوْا اسْتَأْصَلُوهُمْ ، فَقُتِلَ مِنْ

(١) الكامل ٣٥٤/١٢ - ٣٥٧ ، ومِرَاةُ الزَّمَانِ ٦٠١/٨ - ٦٠٦ (القسم الثاني) ، والذَّيْلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١١٥ - ١١٩ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٥ - ٣٣ .
(٢) فِي م : « وَلَمْ يَكُنْ مَا فَعَلَهُ خُوارِزْمِ شَاهٍ فَعَلًا جَيِّدًا ، فَلَمَّا تَهَدَّدَهُ أَشَارَ » .

الفريقين خلق كثير، حتى إن الخيول كانت تزلق في الدماء، وكان جملة من قُتل من المسلمين نحوًا من عشرين ألفًا، ومن التَّارِ أضعاف ذلك، ثم تحاجز الفريقان، وولَّى كلَّ منهم إلى بلاده، ولجأ خُوَارِزْم شاه [٣٤٩/٩] وأصحابه إلى بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ، فحَصَّنَهَا وبَالِغَ في كثرة مَنْ ترك فيها مِنَ المقاتِلَةِ، ورجع خُوَارِزْم شاه لِيَجْهَزَ الجيوشَ الكثيرةَ، فَقَصَدَتِ التَّارُ بُخَارَى وبها عشرون ألفَ مُقاتِلٍ، فحاصرها جُنُكُزْ خان ثلاثة أيامٍ، فَطَلَبَ منه أهلُها الأمانَ فَأَمَّنَهُمْ، ودخلها فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ فيهم مَكْرًا وخديعةً، وَأَمْتَنَتْ عليه القلعةُ، فحاصرها واستعمل^(١) أهلَ البلدِ في طَمِّ خَنْدَقِهَا، فكانتِ التَّارُ يَأْتُونَ بِالنَّابِرِ والرَّبْعَاتِ^(٢)، فيطرحونها في الخَنْدَقِ يَطْمُونُهُ بها، ففتَحَهَا قَسْرًا في عشرةِ أيامٍ، فقتلَ كُلَّ مَنْ كانَ بها، ثم عاد إلى البلدِ فاضطَفَى أموالَ تَجَّارِهَا، وأباحها لجنده، فقتلوا مِنْ أهلِها خلقًا لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ عز وجل، وأسروا الذريةَ والنساءَ، وفعلوا بهنَّ^(٣) الفَوَاحِشَ بحَضْرَةِ أهليهنَّ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَاتَلَ دُونَ حَرِيمِهِ حتى قُتِلَ، ومنهم مَنْ أُسِرَ فغُذِّبَ بأنواعِ العذابِ، وكَثُرَ البكاءُ والضجيجُ بالبلدِ^(٤)، ثم أَلْقَتِ التَّارُ النَّارَ في دُورِ بُخَارَى ومدارسِها ومساجِدِها، فاخْتَرَقَتْ حتى صارت بِلَاقِعَ خَاوِيَةٍ على غُرُوشِهَا، ثم كَرُّوا راجعين عنها قاصِدِينَ سَمَرْقَنْدَ، فكان مِنْ أَمْرِهِمْ فيها ما سَيَأْتِي ذَكَرُهُ في السَّيَةِ الْآتِيَةِ.

وفي مُشْتَهَلٍ هذه السَّيَةِ خُرَّبَ سُورِ بَيْتِ المقدِسِ - عَمَّرَهُ اللَّهُ بِذَكَرِهِ -

(١) في الأصل: «أشغل».

(٢) الربعات: جمع الرُبْعَةِ، وهي المصحف مجزأ ثلاثين جزءًا. الوسيط (ر ب ع).

(٣) في م: «معهن».

(٤) بعده في م: «من النساء والأطفال والرجال».

(١) «أمر بذلك السلطان المعظم خوفاً من استيلاء الفرنج عليه ، بعد مشورة من أشار بذلك ؛ فإن الفرنج إذا تمكنوا من ذلك جعلوه^(١) وسيلة إلى أخذ الشام جميعه ، فشرع في تخريب السور في أول يوم من المحرم ، فهرب منه أهله خوفاً من الفرنج أن يهجموا عليهم ليلاً أو نهاراً ، وتركوا أموالهم وأثقالهم ، وتمزقوا في البلاد كل ممزق ، حتى قيل : إنه أبيع القنطار من الزيت بعشرة دراهم ، ورطل النحاس بنصف درهم ، وضج الناس وابتهلوا إلى الله عز وجل عند الصخرة وفي الأقصى^(٢) . وقال بعضهم يهجو المعظم في ذلك :

في رجب حُلِّلَ المحرم^(٣) وأُخْرِبَ القدس في المحرم
وفيها استحوذت الفرنج ، لعنهم الله ، على مدينة دمياط ، ودخلوها بالأمان ، فغدروا بأهلها ، وقتلوا رجالها ، وسبوا نساءها وأطفالها ، وفجروا بالنساء ، وبعثوا بمنبر الجامع والربعات ورعوس القتلى إلى الجزائر ، وجعلوا الجامع كنيسة ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

وفيها تغيظ السلطان المعظم على القاضي زكي الدين بن محيي الدين بن الزكي قاضي البلد ؛ وسببه أن عمته سبت الشام بنت أيوب كانت قد مرضت في دارها التي جعلتها بعدها مدرسة ، فأرسلت إلى القاضي لتوصي إليه ، فذهب إليها

(١ - ١) في الأصل : « وذلك عن أمر السلطان المعظم عيسى بن العادل بعد مشورة من أشار عليه بذلك منهم أخوه العزيز عثمان بن العادل وأستاذ داره عز الدين أيك أن يخرباه خوفاً من استيلاء الفرنج عليه في غيبته فيتمكنون فيه ويستقرون ويجعلون ذلك » .

(٢) بعده في م : « وهى أيضاً فعلة شعاء من المعظم مع ما أظهر من الفواحش في العام الماضي » .

(٣) في م ، ومرة الزمان ، والذيل على الروضتين : « الحميا » . والحميا : بلوغ الخمر من شاربها . اللسان (ح م ي) . والحرم : كناية عن الخمر .

بشهودٍ معه ، فكتب الوصية كما قالت ، فقال المعظم : يذهب إلى عمى بغير إذن ، ويسمع هو والشهود كلامها ؟! واتفق أن القاضي طلب من جابي الغزيرة حسابها ، وضربه بين يديه بالمقارِع ، وكان المعظم يُغضُّ هذا القاضي من أيام أبيه [٣٤٩/٩ ظ] العادل ، فعند ذلك أرسل المعظم إلى القاضي بيقجة فيها قباء وكلوة^(١) ؛ القباء أبيض والكلوة صفراء . وقيل : بل كانا حمرًاوين مُدرَّنين^(٢) ، وحلف الرسول عن السلطان ليلبسَنهما ويحكم بين الخصوم فيهما ، وكان من^(٣) لطف الله أن جاءت الرسالة بهذا وهو فى دهلِيز داره التى بباب البريد ، وهو مُتَّصِب للحكم ، فلم يقدِر إلا أن ليسهما وحكم فيهما ، ثم دخل داره ، واستقبل مرض موته ، فكانت وفاته فى صفر من السنة التى بعدها ، وكان الشرف بن عُنين الزرعى الشاعر قد أظهر التَّعبُّد والتُّسك ، ويقال : إنه اعتكف بالجامع أيضًا . فأرسل إليه المعظم بخمر ونزد ليشتغل بهما ، فكتب إليه ابن عُنين :

يا أيُّها الملكُ المعظمُ سنَّةٌ أخذتُها تَبَقَى على الآبادِ
تَجْرِى الملوكُ على طريقك بعدها خَلْعُ القضاةِ وتُخَفُّ الزُّهادِ
وقد كان نُوَّابُ ابنِ الزُّكَّيِّ أربعةً ؛ شمسُ الدين بنُ الشِّيرازيِّ إمامُ مشهَدِ
علِيٍّ ، كان يَحْكُمُ به فى الشُّبَّاكِ ، وربما برز إلى طرفِ الرُّواقِ نُجاةُ البلاطةِ
السوداءِ ، وشمسُ الدين بنُ سَنَى الدولة ، كان يَحْكُمُ فى الشُّبَّاكِ الذى فى

(١) الكلوة بتشديد اللام : لفظة فارسية معناها الطاقة الصغيرة من الصوف المضربة بالقطن ، كانت غطاء الرأس فى الدولتين الأيوبيه والمملوكية ، وكانت شارة الأمراء يلبسونها بغير عمامة فوقها ، ولها كلاليب تعقد تحت الذقن . انظر : النجوم الزاهرة ٣٣٠/٧ حاشية (١) . والسلوك ٤٩٣/١ حاشية (١) .

(٢) فى الأصل : « مدرين » .

(٣) - ٣ فى الأصل : « الإلطف به » .

الكَلاسة^(١) ثُجَّة تَزُوبَةُ الْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ عِنْدَ بَابِ^(٢) الْغَزَالِيَّةِ، وَجَمَالُ^(٣) الدِّينِ الْمَصْرِيُّ وَكَيْلُ بَيْتِ الْمَالِ، كَانَ يَحْكُمُ فِي الشُّبَّاكِ الْكَمَالِيِّ بِمَشْهَدِ عُثْمَانَ، وَشَرَفُ الدِّينِ الْمُوصِلِيِّ الْحَنْفِيُّ كَانَ يَحْكُمُ بِالْمَدْرَسَةِ الطُّرُخَانِيَّةِ بِجَبْيَرُونَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَمِنْ تُوفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

سِتُّ الشَّامِ، وَاقِفَةُ الْمَدْرَسَتَيْنِ الْبَرْزَانِيَّةِ وَالْجَوَانِيَّةِ، الْخَاتُونُ الْجَلِيلَةُ سِتُّ الشَّامِ بِنْتُ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي^(٤)، أُخْتُ الْمَلِكِ وَعَمَّةُ^(٥) أَوْلَادِهِمْ، كَانَ لَهَا مِنَ الْمُلُوكِ الْحَارِمِ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ مَلَكًا، مِنْهُمْ شَقِيقُهَا الْمُعْظَمُ تُورْنِشَاهُ بْنُ أَيُّوبَ صَاحِبُ الْيَمَنِ، وَهُوَ مَذْفُونٌ عِنْدَهَا فِي تَرْبِيَّتِهَا فِي الْقَبْرِ الْقِبْلِيِّ مِنَ الثَّلَاثَةِ، وَفِي الْأَوْسَطِ مِنْهَا زَوْجُهَا وَابْنُ عَمِّهَا نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهِ بْنِ شَاذِي صَاحِبِ جِمَصَ، وَكَانَتْ قَدْ تَزَوَّجَتْهُ بَعْدَ أَبِي ابْنِهَا حُسَامِ الدِّينِ^(٦) مُحَمَّدِ بْنِ^(٧) عَمَرَ بْنِ لَاجِيْنِ، وَهِيَ وَابْنُهَا حُسَامُ الدِّينِ^(٨) مُحَمَّدُ بْنُ^(٩) عَمَرَ فِي الْقَبْرِ الثَّلَاثِ، وَهُوَ الَّذِي يَلَى مَكَانَ الدَّرْسِ، وَيُقَالُ لِلتُّزُوبَةِ وَالْمَدْرَسَةِ: الْحُسَامِيَّةُ. نَسَبَةٌ إِلَى ابْنِهَا هَذَا حُسَامِ الدِّينِ^(١٠) مُحَمَّدِ بْنِ^(١١) عَمَرَ بْنِ لَاجِيْنِ^(١٢)، وَكَانَتْ سِتُّ الشَّامِ مِنْ أَكْثَرِ

(١) الكلاسة : مدرسة جانب الجامع الأموي جهة الشمال بناها نور الدين الشهيد . الدارس ١/ ٤٤٧ .

(٢) سقط من : م . والغزالية مدرسة تنسب للشيخ نصر المقدسي والشيخ أبي حامد الغزالي . انظر الدارس ١/ ٤١٣ .

(٣) في م : « كمال » . وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٥٧ .

(٤) التكملة لوفيات النقلة ٤/ ٤٢١ ، ومراة الزمان ٨/ ٦٠٦ (القسم الثاني) والذيل على الروضتين ص

١١٩ ، ونهاية الأرب ٢٩/ ٩٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٧٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١

- ٦٢٠) ص ٢٩٠ .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م . وتقدمت ترجمته في ١٦/ ٦٣٩ .

(٧) بعده في م : « وكان من أكابر العلماء عند خاله صلاح الدين » .

النساءِ صَدَقَةً وإحساناً إلى الفقراءِ والمُحَاجِرِ ، وكانت تَعْمَلُ في كُلِّ سَنَةٍ في دارِها بألوفٍ مِنَ الذهبِ أَشْرِبَةً وَأَدْوِيَةً وَعَقَاقِيرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَتُفَرِّقُهُ عَلَى النَّاسِ . وكانت وفاتها يومَ الجمعةِ آخِرَ النَّهارِ السادسِ عَشَرَ مِن ذِي القَعْدَةِ مِن هَذِهِ السَّنَةِ في دارِها التي جَعَلَتْها مَدْرَسَةً ، ^(١) وَهِيَ عِنْدَ المَارَشَتانِ ، وَهِيَ ^(٢) الشَّامِيَةُ الجَوَانِيَّةُ ، وَنُقِلَتْ مِنْهَا إلى تُرْبَتِها بِالشَّامِيَةِ البَرَّانِيَّةِ ، وَكَانَتْ جِنَازَتُها عَظِيمَةً حَافِلَةً ، رَحِمَها اللَّهُ .

أبو البقاءِ صاحِبُ «الإعرابِ» و«اللُّبابِ» : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، الشَّيْخُ أَبُو البَقَاءِ العُكْبَرِيُّ الضَّرِيرُ النَحْوِيُّ الحَنْبَلِيُّ ^(٣) ، صاحِبُ «إعرابِ القرآنِ العَزِيزِ» وَكِتَابِ «اللُّبابِ» فِي النَحْوِ ، وَلَهُ حَوَاشٍ عَلَى «المَقَاماتِ» وَ«مُفَصِّلِ الرِّمَخَشَرِيِّ» وَ«دِيوانِ المُتَنَبِّئِ» وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَلَهُ فِي الحِسابِ وَغَيْرِهِ ، وَكَانَ صالِحاً دَيِّناً ، ماتَ وَقَدْ قَارَبَ الثَّمانينَ ، رَحِمَها اللَّهُ ، وَكَانَ إِمَاماً فِي اللُّغَةِ ^(٤) وَالحِسابِ وَالنَحْوِ ^(٥) ، فَقِيْهاً مُنَاطِراً عارِفاً بالأصْلينِ والفِقْهِ ، وَحَكَمَى القاضِي ابنُ خَلِّكانَ ^(٦) عَنْهُ أَنَّهُ ذَكَرَ فِي شَرْحِ «المَقَاماتِ» [٣٥٠/٩] أَنَّ عَنقَاءَ مُغْرِباً ^(٧) كَانَتْ تَأْتِي إلى جَبَلٍ شَاهِقٍ عِنْدَ أَصْحابِ الرُّسِّ ، فَرَبَّما اخْتَطَفَتْ بَعْضَ أَوْلادِهِمْ ، فَشَكَّوْها إلى نَبِيْهِمْ خَنْظَلَةَ بْنِ صَفْوانَ ، فدَعَا عَلَيْها فَهَلَكَتْ . قالَ : وَكَانَ وَجْهُها كَوَجْهِ الإنسانِ ، وَفِيها شَبَّةٌ مِنْ كُلِّ طائِرٍ . وَذَكَرَ الرِّمَخَشَرِيُّ فِي كِتابِ «رَبِيعِ الأَبْرارِ» ^(٨)

(١ - ١) سَقَطَ مِنْ: الأَصْل . وانظر الدارس ٣٠١/١ .

(٢) إِنْباهِ الرِوَاةِ ١١٦/٢ ، وَالتَّكْمِلَةُ لوفيات النقلة ٣٧٨/٤ ، وَالدَّيْلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١١٩ ، وَوَفِياتُ الأعيان ١٠٠/٣ ، وَسِيرُ أعلام النِّبَلَاءِ ١٢٠/٢٢ ، وَتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٩٣ ، وَالدَّيْلُ عَلَى طَبَقاتِ الحَنابِلَةِ ١٠٩/٢ .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ: م .

(٤) وَفِياتُ الأعيان ١٠١/٣ .

(٥) سَمِيتَ مَغْرِباً ، لِإِبْعادِها بَما تَذَهبُ بِهِ . المَصْدَرُ السَّابِقُ .

(٦) انظر المَصْدَرُ السَّابِقُ ١٠٢/٣ .

أنها كانت فى زمن موسى لها أربعة أجنحة من كل جانب، ووجه كوجه الإنسان، وفيها شبة كثير من سائر الحيوانات، وأنها تأخرت إلى زمن خالد بن سنان العبسى الذى كان فى الفترة، فدعا عليها فهلكت. وذكر ابن خلكان^(١) أن المعز الفاطمى جىء إليه بطائر غريب الشكل جدًا من الصعيد يقال له: عَنقَاء مُعْرِث.

قلت: وكل واحد من خالد بن سنان وحنظلة بن صفوان كان فى زمن الفترة، وكان صالحاً، ولم يكن نبياً، لقول رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه ليس بينى وبينه نبى». وقد تقدّم ذلك^(٢).

الحافظ عماد الدين أبو القاسم علي بن الحافظ بهاء الدين أبى محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبى القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى^(٣)، سَمِعَ الكثير، ورَحَلَ فَمَاتَ ببغداد فى هذه السنة، ومن لطيف شعره قوله فى المِرْوَحة^(٤):

وَمِرْوَحةٌ تُرَوِّحُ كُلَّ هَمٍّ ثلاثة أشهرٍ لا بدَّ منها
حزيرانَ وتَمُوزَ وآبَ وفى أيلولَ يُغْنِي اللّهُ عنها
ابن الدَّواميَّ الشاعِرُ^(٥)، وقد أورد ابن الساعى قطعةً صالحةً من شعره.

(١) وفيات الأعيان ١٠١/٣.

(٢) تقدم تخريجه فى ٥٢٤/٢، ٥٢٥.

(٣) الكامل ٣٥٧/١٢، وتاريخ إربل ٢٣٥/١، والتكملة لوفيات النقلة ٣٨٤/٤، والذيل على الروضتين ص ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ١٤٥/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٠٧، والوفاء بالوفيات ٣٩١/٢١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٩٦/٨.

(٤) البيتان فى تاريخ إربل.

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٣٩٤/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٨٦، والوفاء بالوفيات ٢٩٠/١٢.

وسعيد^(١) بن الرزاز^(٢)، وكان أحد المعدلين ببغداد، وسمع «البخاري» من أبي الوقت.

وأبو سعيد محمد بن محمود بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن، الموزني الأصل الهمداني الموليد البغدادي المنشأ والوفاء، كان حسن الشكل، كامل الأوصاف، له خط حسن، ويعرف فنوناً كثيرة من العلوم، شافعي المذهب، ويتكلم في مسائل الخلاف، حسن الأخلاق، ومن شعره قوله:

أرى قسَمَ الأرزاقِ أعجبَ قِسْمَةٍ لذي دَعَا «مُثِرٍ ومُكَيِّدٍ بِهِ الكَدُ»
وأحمقُ ذو مالٍ وأحمقُ مُعَدَمٌ وعقلٌ بلا حِظٍّ وعقلٌ له جَدُّ
يَعْمُ الغِنَى والفقرُ ذا الجهلِ والحِجَا وللهُ مِن قَبْلِ الأمورِ وَمِن بَعْدُ

أبو زكريا يحيى بن القاسم بن المقرج^(٣) بن دِرْع بن الخضر الشافعي، الشيخ تاج الدين التكريتي، قاضيه، ثم درّس بنظامية بغداد، وكان متقناً لعلوم كثيرة؛ منها التفسير والفقه والأدب والنحو واللغة، وله المصنفات في ذلك كله،

(١) في النسخ: «أبو سعيد». والمثبت من مصادر ترجمته؛ التكملة لوفيات النقلة ٣٦٩/٤، وذيل تاريخ بغداد (المختصر المحتاج إليه) ١٥/١٩٥، وسير أعلام النبلاء ٩٧/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٩٢، والعبر ٦١/٥.

(٢) في م: «الوزان». وانظر مصادر ترجمته السابقة.

(٣ - ٣) سقط من: م. وانظر ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ٤/٤٠٥، والذيل على الروضتين ص ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٢٠، والوافي بالوفيات ١/٢١٢. وفيه وفي الذيل على الروضتين: محمد بن محمد....

(٤ - ٤) في م: «ومكيدة لذي كد». ويقال: أكدى الرجل: ألح في المسألة.

(٥) في النسخ: «الفرج». والمثبت من مصادر ترجمته؛ معجم الأدباء ٢٩/٢٠ - وفيه: «وَزَع» - ومرة الزمان ٨/٦٠٨، والتكملة لوفيات النقلة ٤/٤١٠، والذيل على الروضتين ص ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٢٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٥٦، وطبقات المفسرين للدوادى ٢/٣٧٣.

وجَمَعَ لِنَفْسِهِ تَارِيخًا حَسَنًا ، وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ ^(١) :

لَا بَدَّ لِلْمَرْءِ مِنْ ضَيْقٍ وَمِنْ سَعَةٍ وَمِنْ سُورٍ يُؤَافِيهِ وَمِنْ حَزَنِ
وَاللَّهُ يَطْلُبُ مِنْهُ شُكْرَ نِعْمَتِهِ مَا دَامَ فِيهَا وَيَتَغَيَّ الصَّبْرُ فِي الْحَزَنِ
فَكُنْ مَعَ اللَّهِ فِي الْحَالَيْنِ مُعْتَنِقًا فَرَضِيكَ هَذِينَ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ
فَمَا عَلَى شِدَّةٍ يَتَّقَى الزَّمَانُ ^(٢) فَكُنْ جَلْدًا وَلَا ^(٣) نِعْمَةً تَبْقَى عَلَى الزَّمَنِ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

لَوْ كَانَ قَاضِي الْهَوَى عَلَيَّ وَلِي مَا جَارَ فِي الْحَكَمِ مَنْ عَلَيَّ وَلِي
يَا يَوْسُفِيُّ الْجَمَالِ عَبْدُكَ ^(٤) لَمْ تَبْقَ لَهُ حِيلَةٌ مِنَ الْحِيلِ
إِنْ كَانَ قَدْ الْقَمِيصُ مِنْ دُبُرٍ فَفِيكَ قَدْ الْفَوَازُ مِنْ قُبُلِ
صَاحِبُ « الْجَوَاهِرِ » الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ جَلَالُ ^(٥) الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَجْمِ بْنِ شَاسِ بْنِ نِزَارِ بْنِ عَشَائِرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شَاسِ
الْجُذَامِيِّ السَّعْدِيِّ ، الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ ، مُصَنِّفُ كِتَابِ « الْجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ فِي مَذْهَبِ
عَالِمِ الْمَدِينَةِ » ، وَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ الْكُتُبِ فَوَائِدُ فِي الْفُرُوعِ ، رَتَّبَهُ عَلَى طَرِيقَةِ « الْوَجِيزِ »
لِلْغَزَّالِيِّ . قَالَ ابْنُ خُلْكَانَ ^(٦) : وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى غَزَارَةِ عِلْمِهِ وَفَضْلِهِ ، وَالطَّائِفَةُ الْمَالِكِيَّةُ
بِمَصْرَ عَاكِفَةٌ عَلَيْهِ لِحْسَنِهِ وَكَثْرَةِ فَوَائِدِهِ ، وَكَانَ مُدَرِّسًا بِمَصْرَ ، وَتَوَفَّى بِدِمِشَاطَ .

(١) الأبيات في طبقات الشافعية .

(٢ - ٢) في الأصل ، م : « يكن ولا على » .

(٣) في م : « عندك » .

(٤) في م : « جمال » . وانظر ترجمته في : التكملة لوفيات النقلة ٤ / ٣٩٤ ، والذيل على الروضتين ص

١٢٠ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٦١ ، ونهاية الأرب ٢٩ / ١٠٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢ / ٩٨ ، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٢٩٦ ، وشجرة النور الزكية ص ١٦٥ .

(٥) وفيات الأعيان ٣ / ٦١ .

[١٠١/١ ظ] ^(*) ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعُ عَشْرَةَ وَسْتُمِائَةَ

فى هذه السَنَةِ ^(١) عَمَّ البَلَاءُ، وعَظُمَ العَزَاءُ بِجَنَكِزْخَانَ المُسَمَّى بِتَمُوجِينَ ^(٢)،
لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ التَّارِ، قَبَّحَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ، وَاسْتَفْخَلَ أَمْرَهُمْ،
وَامْتَدَّ إِفْسَادُهُمْ مِنْ أَقْصَى بِلَادِ الصِّينِ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى بِلَادِ الْعِرَاقِ وَمَا حَوْلَهَا
حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى إِزْبِلَ وَأَعْمَالِهَا، فَمَلَكُوا فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ هَذِهِ السَّنَةُ، سَائِرُ
الْمَمَالِكِ إِلَّا الْعِرَاقَ وَالْجَزِيرَةَ وَالشَّامَ وَمِصْرَ، وَقَهَرُوا جَمِيعَ الطَّوَائِفِ الَّتِي بَتَلَكَ
النَّوَاحِي؛ الْخَوَازِمِيَّةَ وَالْقَفْجَاقِ وَالْكُزْجَ وَاللَّانَ وَالْخَزَرَ وَغَيْرِهِمْ، وَقَتَلُوا فِي هَذِهِ
السَّنَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ فِي بُلْدَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ كِبَارٍ وَصَغَارٍ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا
يُوصَفُ، وَبِالْجُمْلَةِ فَلَمْ يَدْخُلُوا بِلَدًا إِلَّا قَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ فِيهِ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَالرَّجَالِ،
وَكَثِيرًا مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ، وَأَتْلَفُوا مَا فِيهِ بِالنَّهْبِ إِنْ اخْتَجَاوْا إِلَيْهِ، وَبِالْحَرِيقِ إِنْ
لَمْ يَخْتَجَاوْا إِلَيْهِ، حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يَجْمَعُونَ الْحَرِيرَ الْكَثِيرَ الَّذِي يَعْجِزُونَ عَنْ
حَمَلِهِ، فَيَطْلِقُونَ فِيهِ النَّارَ فَيَحْرِقُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَيُخَرَّبُونَ الْمَنَازِلَ، وَمَا عَجَزُوا
عَنْ تَخْرِيبِهِ أَحْرَقُوهُ، وَأَكْثَرُ مَا يُحَرِّقُونَ الْمَسَاجِدَ وَالْجَوَامِعَ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى،
وَكَانُوا يَأْخُذُونَ الْأَسَارَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيُقَاتِلُونَ بِهِمْ، وَيُحَاصِرُونَ بِهِمْ، وَإِنْ لَمْ
يَنْصَحُوا فِي الْقِتَالِ قَتَلُوهُمْ.

(*) مِنْ هُنَا بَدَايَةُ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ مَخْطُوطَةِ الْمَكْتَبَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ وَالْمَشَارِ إِلَىهَا بِ (الأَصْل)، وَالْجُزْءُ التَّاسِعُ لَمْ يَنْتَهَ وَمُسْتَهْتَقٌ فِي صَفْحَةِ ١١١ وَقَدْ اعْتَمَدْنَا فِي الْفُرُوقِ عَلَى الْجُزْءِ الْعَاشِرِ.

(١) الْكَامِلُ ٣٥٨/١٢ - ٤٠٠، وَرَأَى الزَّمَانُ ٦٠٨/٨ - ٦١١ (الْقِسْمُ الثَّانِي)، وَالذَّيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ١٢١ - ١٢٨، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٤ - ٥٢.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «تَمْرُجِي».

وقد بسط ابن الأثير في «كامله»^(١) خبرهم في هذه السنة بَسْطًا حَسَنًا مُفَصَّلًا، وقَدَّم على ذلك كلامًا هائلًا في تعظيم هذا الخطب العجيب، قال: فنقول: هذا فصلٌ يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ الحادثة العظيمة والمصيبة الكبرى التي عَقِمَتْ الأيام والليالي عن مثلها، عَمَّتِ الخلائق، وخصَّت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلق الله آدم وإلى الآن، لم يُتَلَوْا بمثلها. لكان صادقًا؛ فإن التواريخ لم تَتَضَمَّنْ ما يُقَارِبُها ولا ما يُدَانِيها، ومن أعظم ما يَذْكُرُون من الحوادث ما فعل بُحْتَنَصَرُ بنى إسرائيل من القتلِ وتَخريبِ البيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خَرَّبَ هؤلاء الملاحين من البلاد، التي كلُّ مدينةٍ منها أضعافُ البيت المقدس؟! وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى مَنْ قَتَلُوا؟ فإن أهلَ مدينةٍ واحدةٍ مَن قَتَلُوا أَكْثَرَ من بنى إسرائيل، ولعل الخلق لا يَرَوْنَ مثلَ هذه الحادثة إلى أن يَنْقَرِضَ العالم وتَفْنَى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج، وأما الدَّجَالُ فإنه يُنْقِى على مَنْ اتَّبَعَهُ وَيُهْلِكُ مَنْ خالفه، وهؤلاء لم يُثَقِّوا على أحد، بل قَتَلُوا الرجال والنساء والأطفال، وشَقُّوا بَطُونَ الحوامل، وقَتَلُوا الأجنَّة، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العليُّ العظيم، لهذه الحادثة التي اسْتَطَارَ شرُّها وعمَّ ضرُّها، وسارت في البلاد كالسَّحابِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فإن قومًا خَرَجُوا من أطرافِ الصين، فقَصَدُوا بلادَ تُرْكِسْتانَ مثلَ كاشغَرِ وَبَلَّاساغُون^(٢)، ثم منها إلى بلادٍ ما وراءَ النهرِ مثلَ سَمَرْقَنْدَ وَبُخَارَى وغيرهما، فيَمْلِكُونَهَا [٢/١٠] وَيَفْعَلُونَ بأهلها ما نَذَرْنَاهُ، ثم تَعْبُرُ طائفةٌ منهم إلى خُرَاسَانَ، فيَفْرَغُونَ منها مُلْكًا وتَخْرِيبًا وَقَتْلًا ونَهَبًا، ثم يُجَاوِزُونَهَا إلى الرُّىِّ وَهَمْدَانَ وبلدِ الجبلِ وما فيه من البلادِ إلى

(١) الكامل ٣٥٨/١٢ - ٣٩٨.

(٢) في الأصل: «بلاد ساعون».

حَدَّ الْعِرَاقِ، ثُمَّ يَقْصِدُونَ بِلَادَ أَذْرَبِيْجَانَ وَأَرَّانَ^(١)، وَيُخَرِّبُونَهَا وَيَقْتُلُونَ أَكْثَرَ أَهْلِهَا، وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا الشَّرِيدُ النَّادِرُ فِي أَقَلِّ مِنْ سَنَةٍ، هَذَا مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ.

ثُمَّ سَارُوا إِلَى دَرْبَنْدِ شَرْوَانَ، فَمَلَكُوا مَدَنَهُ،^(٢) وَلَمْ يَسْلَمْ غَيْرُ قَلْعَتِهِ الَّتِي بِهَا مَلِكُهُمْ، وَعَبَرُوا عِنْدَهَا^(٣) إِلَى بَلَدِ اللَّانِ وَاللَّكْزِ^(٤)، وَمَنْ فِي ذَلِكَ الصُّقْعِ مِنَ الْأُمَمِ الْمُخْتَلَفَةِ^(٥)، فَأَوْسَعُوهُمْ قَتْلًا وَنَهَبًا وَتَخْرِيبًا، ثُمَّ قَصَدُوا بِلَادَ قَفْجَاقَ، وَهُمْ مِنْ أَكْثَرِ التُّرْكِ عِدَدًا، فَقَتَلُوا كُلَّ مَنْ وَقَفَ لَهُمْ، وَهَرَبَ الْبَاقُونَ إِلَى الْغِيَاضِ، وَمَلَكُوا عَلَيْهِمْ بِلَادَهُمْ. وَسَارَتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى إِلَى غَزَنَةَ وَأَعْمَالِهَا وَمَا يُجَاوِزُهَا مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ وَسِجِسْتَانَ وَكَزْمَانَ، فَفَعَلُوا فِيهَا مِثْلَ أَفْعَالِ هَؤُلَاءِ وَأَشَدَّ.

هَذَا مَا لَمْ يَطْرُقِ الْأَسْمَاعُ مِثْلُهُ، فَإِنَّ الْإِسْكَندَرَ الَّذِي اتَّفَقَ الْمُؤَرِّخُونَ عَلَى أَنَّهُ مَلِكُ الدُّنْيَا، لَمْ يَمْلِكْهَا فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، إِنَّمَا مَلَكَهَا فِي نَحْوِ عَشْرِ سِنِينَ، وَلَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا، بَلْ رَضِيَ مِنَ النَّاسِ بِالطَّاعَةِ، وَهَؤُلَاءِ قَدْ مَلَكُوا أَكْثَرَ الْمَعْمُورِ مِنَ الْأَرْضِ وَأَطْيَبَهُ وَأَحْسَنَهُ عِمَارَةً وَأَكْثَرَهُ أَهْلًا، وَأَعْدَلَهُمْ أَخْلَاقًا وَسِيرَةً فِي^(٦) نَحْوِ سَنَةٍ، وَلَمْ يَتَّفِقْ لِأَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْبِلَادِ الَّتِي لَمْ يَطْرُقُوا بِقَاءَ إِلَّا وَهُوَ خَائِفٌ مُتَرَقِّبٌ^(٧) وَصَوْلَهُمْ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ، وَلَا يُحَرِّمُونَ شَيْئًا، وَيَأْكُلُونَ مَا وَجَدُوهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْمَيْتَاتِ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

قَالَ: وَإِنَّمَا اسْتَقَامَ لَهُمْ هَذَا الْأَمْرُ لِعَدَمِ الْمَانِعِ؛ لِأَنَّ السُّلْطَانَ خُورَازْمِ شَاهَ مُحَمَّدًا كَانَ قَدْ قَتَلَ الْمُلُوكَ مِنْ سَائِرِ الْمَمَالِكِ، وَاسْتَقْلَّ بِالْأُمُورِ، فَلَمَّا انْتَهَزَ مِنْهُمْ

(١) فِي م، وَالْكَامِلُ: «أَرَانِيَّة». وَانْظُرْ مَعْجَمَ الْبُلْدَانِ ١/١٨٣.

(٢ - ٣) فِي الْأَصْلِ: «ثُمَّ».

(٣) فِي الْأَصْلِ: «الْبَلْعَر». وَاللَّكْزُ: بَلِيدَةٌ خَلْفَ الدَّرْبَنْدِ تَتَاخَمُ خَزْرَانَ. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٤/٣٦٤.

(٤) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ: «الْأَلْسَنُ وَالْأَلْوَانُ».

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلِ.

فى العامِ الماضى ، وضعف عنهم ، وساقوا وراءه فهرب ، فلا يُدْرِى أين ذهب ، وهلك فى بعض جزائر البحر ، خلت البلاد ، ولم يَتَقَ لها من يَحْمِيها ، لِيَقْضَى اللهُ أمرا كان مفعولا ، وإلى الله تُرْجَعُ الأمورُ .

ثم شرع فى تَفْصِيلِ ما ذكره مُجْمَلًا ، فذكر أولاً ما قَدَّمنا ذكره فى العامِ الماضى من بعثِ جُنُكِرْخان أولئك التُّجَّارِ بمالٍ له يأتونه بثمانه كُشوةً ولباسًا ، وأخذَ خُوَارْزَم شاه تلك الأموال ، فحقيق عليه جُنُكِرْخان ، وأرسل يتهدده ، فسار إليه خُوَارْزَم شاه بنفسه ومجنوده ، فوجد التُّنَّارَ مشغولين بقتالِ كَشلى خان ، فنهَبَ أثقالهم ونساءهم وأطفالهم ، فرجعوا وقد انتصروا على عدوهم ، وازدادوا حنقًا وغيظًا ، فتوافقوا هم وإياه مع ابنِ جُنُكِرْخان ثلاثة أيام ، فقتل من الفريقين خلق كثيرٌ ، ثم تحاجزوا ، ورجع خُوَارْزَم شاه إلى أطرافِ بلاده ، فحصنها ثم كرَّ راجعًا إلى مقرِّ ملكه وهى مدينةُ خُوَارْزَم ، فأقبل جُنُكِرْخان ، فحصر بُخارى كما ذكرنا ، فافتتحها صلحًا ، وغدر بأهلها حين افتتح قلعتها قهرا ، وقتل الجميع ، وأخذ الأموال ، وسبى النساء والأطفال ، وخرَّب الدورَ والمحالَّ ، وقد كان بها عشرون ألفَ مُقاتِلٍ ، فلم يُغنِ عنهم شيئا ، ثم سار منها إلى سَمَرْقَنْدَ ، فحاصرها فى أوَّلِ محرِّمِ هذه السنة ، وبها خمسون ألفَ مُقاتِلٍ من الجندِ فنكلوا ، وبرز إليهم سبعون ألفًا من العامة ، فقتل الجميع فى ساعة واحدة ، وألقى إليه الخمسون ألفًا السِّلَمَ ، فسلبهم سلاحهم ، وما يمتنعون به ، وقتلهم فى ذلك اليوم ، واستباح البلدَ ، فقتل الجميع ، وأخذ الأموال ، وسبى الذرِّيةَ ، وحرَّقه وتركه بلاقع ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، [٢٧/١٠] وأقام ، لعنه الله ، هنالك وأرسل السرايا إلى البلدان ، فأرسل سريةً إلى بلادِ خُراسانَ ، وتسميها التُّنَّارُ المَغْرِبَةُ ، وأرسل أخرى وراء خُوَارْزَم شاه ، وكانوا عشرين ألفًا ، قال : اطلبوه فأذركوه ولو تعلَّقَ بالسماءِ .

فساقوا في طلبه، فأذركوه وبينهم وبينه نهرٌ جَيحونٌ، وهو آمنٌ بسببه، فلم يجدوا سَفُنًا، فعملوا لهم أخواضًا يَحْمِلُونَ عليها الأَسْلِحَةَ، ويُزِيلُ أحدهم فرسه، ويأخذُ بذنبيها، فتَجُرُّهُ الفرسُ بالماءِ، وهو يَجُرُّ الحوضَ الذي فيه سلاحه، حتى صاروا كلُّهم في الجانبِ الآخرِ، فلم يَشْعُرْ بهم خُوَارِزْمُ شاهٍ إلا وقد خالطوه، فهرب منهم إلى نَيْسابورَ، ثم منها إلى غيرها، وهم في أثره لا يُمِهلونه حتى يَجْمَعَ لهم، فصار كلما أتى بلدًا لِيَجْتَمَعَ فيه عساكره يُدْرِكونه، فيهربُ منهم، حتى ركب في بحرِ طَبْرِستانَ، وسار إلى قلعةٍ في جزيرةٍ فيه، وكانت فيها وفاته، وقيل: إنه لا يُعْرَفُ بعدَ رُكوبه في البحرِ ما كان من أمره، بل ذهب فلا يُدْرَى أين ذهب ولا كيف سلك، ولا إلى أيِّ مَقَرٍّ هرب. ومَلَكَتِ السُّرُ حَواصله، فوجدوا في خِزانته عَشْرَةَ آلافِ ألفِ دينارٍ، وألفَ جِمَلٍ مِنَ الأَطْلَسِ^(١)، وعشرين ألفَ فرسٍ وبُغْلٍ، ومن الغِلْمَانِ والجَوَارِي والحِيَامِ شَيْئًا كثيرًا، وكان له عَشْرَةُ آلافِ مَمْلُوكٍ، كُلُّ واحدٍ مثلُ مَلِكٍ، فَتَمَزَّقَ ذلك كُلُّهُ في أَقَلِّ من سنةٍ، وقد كان خُوَارِزْمُ شاهَ فقيهاً فاضلاً، له مُشَارَكَاتٌ في فُنُونٍ مِنَ العِلْمِ، يَفْهَمُ جيداً، وقد مَلَكَ بلادًا مُتَّسِعَةً ومَمَالِكَ مُتَّعَدَّةً إحدى وعشرين سنةً وشهورًا، ولم يَكُنْ بعدَ مَمْلُوكٍ بنى سَلْجُوقَ أَكْبَرُ حُزْمَةٍ ولا أَعْظَمُ مُلْكًا منه؛ لأنه إنما كانت هِمَّتُهُ في المَلِكِ لا في اللَّذَاتِ والشَّهَوَاتِ، ولهذا قَهَرَ المَمْلُوكَ بتلك الأَرْضِ، وأَحْلَى بِالخِطَا^(٢) بأسًا شديدًا، حتى لم يَبْقَ بِلَادُ خُرَاسَانَ وما وراءَ النهرِ وكذلك عِرَاقُ الْعَجَمِ وغيرها مِنَ المَمَالِكِ سُلْطَانًا سِوَاهُ، وَجَمِيعُ البِلَادِ تَحْتَ يَدِ نُؤَابِهِ. ثم ساروا إلى مازَنْدَرَانَ، وَقَلَاعِهَا مِنَ أَمْنَعِ القِلَاعِ، بِحَيْثُ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ

(١) الأطلس: ثوب من حرير منسوج، ليس بعربي. تاج العروس (ط ل س).

(٢) الخِطَا: جنس من الترك، بلادهم في متاخمة بلاد الصين. صبح الأعشى ٤/٤٨٣.

يَفْتَتِحُهَا إِلَّا فِي سَنَةِ تِسْعِينَ فِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَفَتَحَهَا هَؤُلَاءِ فِي أَيْسَرِ مَدَّةٍ ، وَنَهَبُوا مَا فِيهَا ، وَقَتَلُوا أَهْلَهَا ، وَسَبَّوْا وَأَحْرَقُوا ، ثُمَّ تَرَخَلُوا عَنْهَا نَحْوَ الرَّيِّ ، فَوَجَدُوا فِي الطَّرِيقِ أُمَّ حُورَزْمِ شَاهٍ ، وَمَعَهَا أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ جَدًّا ، فَأَخَذُوهَا وَفِيهَا مِنْ كُلِّ غَرِيبٍ وَنَفِيسٍ مِمَّا لَمْ يُشَاهَدْ مِثْلُهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَغَيْرِهَا ، ثُمَّ قَصَدُوا الرَّيَّ فَدَخَلُوهَا عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ، فَقَتَلُوهُمْ وَنَهَبُوهُمْ وَسَبَّوهُمْ وَأَسْرَوْهُمْ ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى هَمْدَانَ ، فَمَلَكُوهَا ثُمَّ إِلَى زَنْجَانَ ^(١) ، فَقَتَلُوا وَسَبَّوْا ، ثُمَّ قَصَدُوا قَزْوِينَ فَنَهَبُوهَا ، وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، ثُمَّ تَيَمَّمُوا بِلَادَ أَذَرَبَيْجَانَ ، فَصَالَحَهُمْ مَلِكُهَا أَوْزُبَكُ بْنُ الْبَهْلَوَانِ عَلَى مَالٍ حَمَلَهُ إِلَيْهِمْ ؛ لَشُغْلِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الشُّكْرِ وَازْتِكَابِ السَّيِّئَاتِ وَالْإِنْهَمَاكِ عَلَى الشَّهَوَاتِ ، فَتَرَكَوهُ وَسَارُوا إِلَى مُوقَانَ ^(٢) ، فَقَاتَلَهُمُ الْكُرْجُ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مُقَاتِلٍ ، فَلَمْ يَقِفُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى انْهَزَمَتِ الْكُرْجُ ، ^(٣) وَقَتَلَتْ التَّارُ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثُمَّ قَصَدُوا تَقْلَيْسَ وَهِيَ أَكْبَرُ مَدَنِ الْكُرْجِ وَاجْتَمَعَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْكُرْجُ ^(٤) [٣/١٠] فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِمْ بِحَدِّهِمْ وَحَدِيدِهِمْ ، فَكَسَرَتِهِمُ التَّارُ مَرَّةً ثَانِيَةً أَقْبَحَ كَسْرَةً وَأَشْنَعَهَا . وَهَلْهَنَا قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ ^(٥) : وَلَقَدْ جَرَى لَهُؤُلَاءِ الشَّرُّ مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ ؛ طَائِفَةٌ تَخْرُجُ مِنْ حُدُودِ الصِّينِ لَا تَنْقَضِي عَلَيْهِمْ سَنَةٌ حَتَّى يَصِلَ بَعْضُهُمْ إِلَى حُدُودِ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ ، وَيُجَاوِزُونَ الْعِرَاقَ مِنْ نَاحِيَةِ هَمْدَانَ ، وَتَالَلَّهِ لَا أَشْكُ أَنْ مَنْ يَجِيءُ بَعْدَنَا إِذَا بَعُدَ الْعَهْدُ ، وَيَرَى هَذِهِ الْحَادِثَةَ مَسْطُورَةً يُنْكِرُهَا وَيَسْتَبْعِدُهَا ، وَالْحَقُّ بِيَدِهِ ، فَمَتَى اسْتَبْعَدَ ذَلِكَ فَلْيَنْظُرُوا أَنَا سَطَرُنَا ^(٦) نَحْنُ وَكُلُّ مَنْ جَمَعَ التَّارِيخَ فِي أَزْمَانِنَا هَذِهِ ^(٧)

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَرْغَان » وَانْظُرِ الْكَامِلَ ٣٧٤ / ١٢ .

(٢) مُوقَانَ : وَلَايَةُ بَازَرَبَيْجَانَ فِيهَا قَرْيٌ وَمَرْجٌ كَثِيرَةٌ . انْظُرِ مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٦٨٦ / ٤ .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : م .

(٤) الْكَامِلَ ٣٧٥ / ١٢ .

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنَ الْأَصْلِ .

فى وقت كل من فيه يعلّم هذه الحادثة ، قد استوى فى معرفتها العالم والجاهل لشهرتها ، يشر الله للمسلمين والإسلام من يحفظهم ويحوطهم ، فلقد دُفِعوا من العدو إلى عظيم ، ومن الملوك المسلمين إلى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه ، وقد عُذِم سلطان المسلمين خوارزم شاه .

قال ^(١) : وانقضت هذه السنة وهم فى بلاد الكرج ، فلما رأوا منهم ثماعة ومقاتلة يطول عليهم بها المطال عدلوا إلى غيرهم ، وكذلك كانت عادتهم ، فساروا إلى تيريز ، فصالحهم أهلها بمال . قال : ثم ساروا إلى مراغة ، فحصروها ونصبوا عليها المجانيق ، وتترسوا بالأسارى من المسلمين ، وعلى البلد امرأة - و« لن يُفْلِح قوم ولو أمرهم امرأة » ^(٢) - ففتحوا البلد بعد أيام ، وقتلوا من أهله خلقا لا يعلّم عدتهم إلا الله عز وجل ، وغنموا منه شيئا كثيرا ، وسبوا وأسروا على عادتهم ، لعنهم الله لعنة تدخل معهم نار جهنم ، وقد كان الناس يخافون منهم خوفا عظيما جدا حتى إنه دخل رجل منهم إلى دُرب من هذه البلدة وبه مائة رجل لم يستطع واحد منهم أن يتقدم إليه ، وما زال يقتلهم واحدا بعد واحد حتى قتل الجميع ، ولم يرفع منهم أحد يده إليه ، ونهب ذلك الدُرب وحده . ودخلت امرأة منهم فى زى رجل إلى بيت فقتلت كل من فى ذلك البيت وحدها ، ثم استشعر أسير معها أنها امرأة ، فقتلها ، لعنها الله .

ثم قصدوا مدينة إزبل ، فضاقت المسلمون لذلك دُزعا ، وقال أهل تلك النواحي : هذا أمر عَصيب . وكتب الخليفة إلى أهل الموصل والملك الأشرف صاحب الجزيرة يقول : إني قد جهّزت عسكرا ، فكونوا معه لقتال هؤلاء الشر .

(١) الكامل ٣٧٧/١٢ .

(٢) تقدم تخريجه فى ٣٣١/٢ . ومعناه فى ٤٨٨/٦ .

فَأَرْسَلَ الْأَشْرَفُ يَعْتَذِرُ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِأَنَّهُ مُتَوَجِّهُ نَحْوَ أَخِيهِ الْكَامِلِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ
بِسَبَبِ مَا قَدْ دَهَمَ الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ مِنَ الْفِرْنَجِ ، وَأَخَذَهُمْ دِمْيَاطُ التِّي قَدْ أَشْرَفُوا
بِأَخْذِهَا عَلَى أَخْذِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ قَاطِبَةً ، وَكَانَ أَخُوهُ الْمُعْظَمُ قَدْ قَدِمَ عَلَيْهِ إِلَى حَرَآنَ
يَسْتَنْجِدُهُ لِأَخِيهِمَا الْكَامِلِ لِيَتَحَاجَزُوا الْفِرْنَجَ بِدِمْيَاطَ ، وَهُوَ عَلَى أَهْبَةِ الْمَسِيرِ إِلَى
الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، فَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى مُظَفَّرِ الدِّينِ صَاحِبِ إِرْبِلَ لِيَكُونَ هُوَ الْمُقَدَّمُ عَلَى
الْعَسَاكِرِ الَّتِي يَتَعَثُّهَا الْخَلِيفَةُ ، وَهِيَ عَشْرَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ ، فَلَمْ يَتَقَدَّمْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ
غَيْرُ ثَمَانِمِائَةٍ فَارِسٍ ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعُوا ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَلَكِنْ
سَلَّمَ اللَّهُ بِأَنْ صَرَفَ هِمَّةَ التَّارِ إِلَى نَاحِيَةِ هَمْدَانَ ، فَصَالَحَهُمْ أَهْلُهَا ، وَتَرَكَ التُّرُ
عِنْدَهُمْ شِخْنَةً^(١) ، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى شِخْنَتِهِمْ ، فَرَجَعُوا إِلَيْهِمْ ، فَحَاصَرُوهُمْ [٣/١٠ ظ]
حَتَّى فَتَحُوهَا قَسْرًا ، وَقَتَلُوا أَهْلَهَا عَنْ آخِرِهِمْ ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى أَدْرَبِيجَانَ ، فَفَتَحُوا
أَزْدَبِيلَ ، ثُمَّ تَبَرَّزَ ، ثُمَّ إِلَى بَيْلِقَانَ^(٢) ، فَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا كَثِيرًا وَجَمًّا غَفِيرًا ،
وَحَرَقُوهَا ، وَكَانُوا يَفْجُرُونَ بِالنِّسَاءِ ، ثُمَّ يَقْتُلُونَهُنَّ وَيَشْقُونَهُنَّ بِطُونَهُنَّ عَنِ الْأَجْنَةِ .
ثُمَّ عَادُوا إِلَى بِلَادِ الْكُرْجِ^(٣) ، وَقَدْ اسْتَعَدَّتْ لَهُمُ الْكُرْجُ ، فَافْتَتَلُوا مَعَهُمْ ،
فَكَسَرُوهُمْ أَيْضًا كَسْرَةً فَظِيعَةً ، ثُمَّ فَتَحُوا بُلْدَانًا كَثِيرَةً يَقْتُلُونَ أَهْلَهَا ، وَيَسْبُونَ
نِسَاءَهَا ، وَيَأْسِرُونَ مِنَ الرِّجَالِ مَا يُقَاتِلُونَ بِهِمُ الْحُصُونِ ، يَجْعَلُونَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
ثَرَسًا يَتَّقُونَ بِهِمُ الرِّمَى وَغَيْرَهُ ، وَمَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ ، ثُمَّ
سَارُوا إِلَى بِلَادِ اللَّانِ وَالْقَفْجَاقِ ، فَافْتَتَلُوا مَعَهُمْ قِتَالًا عَظِيمًا ، فَكَسَرُوهُمْ وَقَصَدُوا

(١) الشحنة : رئيس الشرطة . المعجم الذهبى ص ٣٦٩ . وشحنة الكورة : من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان . اللسان (ش ح ن) .
(٢) بيلقان : مدينة قرب الدربند الذى يقال له باب الأبواب ، تعد فى أرمينية الكبرى . معجم البلدان ٧٩٧/١ .
(٣) الكامل ٣٨٣/١٢ .

أكبر مدائن القفجاق ، وهى مدينة سوداق^(١) ، وفيها من الأمتعة والثياب والتجائر من البرطاسى والقندز والسنباب^(٢) شىء كثير جدًا ، ولجأت القفجاق إلى بلاد الروس ، وكانوا نصارى ، فاتفقوا معهم على قتال التتر ، فالتقوا معهم ، فكسرتهم التتار كسرة فظيعة منكرة جدًا ، ثم ساروا نحو بلغار^(٣) فى حدود العشرين وستماية ، ففرغوا من ذلك كله ، ثم عادوا إلى نحو ملكهم جنكيزخان ، لعنه الله وإياهم . هذا ما فعلته هذه السرية المعربة ، وكان جنكيزخان قد أرسل سرية فى هذه السنة إلى^(٤) « ترمذ فأخذتها » ، وأخرى إلى فرغانة فملكوها ، وجهاز جيشا آخر نحو خراسان ، فحاصروا بلخ ، فصالحهم أهلها ، وكذلك صالحوا مدنا كثيرة أخرى ، حتى انتهوا إلى الطالقان ، فأعجزتهم قلعها ، وكانت حصينة ، فحاصروها ستة أشهر حتى عجزوا ، فكتبوا إلى جنكيزخان ، فقدم بنفسه ، فحاصرها أربعة أشهر أخرى حتى فتحها قهرا ، ثم قتلوا من فيها ومن فى البلد بكما له من الخاصة والعامة ، ثم قصدوا مدينة مرو مع جنكيزخان ، وقد عسكر بظاهرها نحو من مائتى ألف مقاتل من العرب وغيرهم ، فافتتلوا معهم قتالا عظيما حتى انكسر المسلمون ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، ثم حصروا البلد خمسة أيام ، واستنزلوا نائبها خديعة ، ثم غدروا به وبأهل البلد ، فقتلوهم وغنموهم

(١) فى الأصل : « قفجاق » . وسوداق على بحر الخزر ، وهو بحر قزوين . انظر الكامل ٣٨٦ / ١٢ .
(٢) البرطاسى والقندز والسنباب : أنواع من الفراء ، الأول ينسب إلى برطاس وهى اسم أمة لهم ولاية واسعة تعرف بهم ، وهم متاخمون للخزر .

والقندز - والقدس - والسنباب حيوانات يتخذ من جلدتهما الفراء . انظر معجم البلدان ٥٦٧ / ١ ،
وحياة الحيوان الكبرى ٥٧٥ / ١ ، ٢٣١ / ٢ .

(٣) فى م « بلقار » . وبلغار : مدينة الصقالبة ضاربة فى الشمال شديدة البرد . معجم البلدان ٧٢٢ / ١ .
(٤ - ٤) فى م : « كلانة » . وكلاهما صواب ؛ لأنه أرسل سرايا ؛ إحداها إلى بلاد فرغانة وأخرى إلى ترمذ ، والثالثة إلى كلانة . انظر الكامل ٣٨٩ / ١٢ .

وسبّوهم ، وعاقبوهم بأنواع العذاب^(١) ، حتى إنهم قتلوا منهم فى يومٍ واحدٍ سبعمائة ألفٍ إنسانٍ ، ثم ساروا إلى نيسابورَ ، ففعلوا فيها قريبًا مما فعلوا بأهلِ مَرَوْ ، ثم إلى طوسَ ، فقتلوا وخزّبوا مَشْهَدَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى والرشيْدِ وتركوه خرابًا ،^(٢) ثم ساروا إلى هَرَاةَ فقتلوا خلقًا واستنابوا عليها^(٣) ، ثم ساروا إلى غَزَنَةَ ، فقاتلهم جلالُ الدينِ بنُ خُوَارَزْمِ شاهَ فكسّروهم ،^(٤) فعادوا إلى هَرَاةَ ، فإذا أهلُها قد نَقَضُوا ، فقتلوه عن آخرهم^(٥) ، ثم عادوا إلى ملكهم جِنْكِزْخانَ ، لعنه الله وإياهم ، وأرسل جِنْكِزْخانَ طائفةً أخرى إلى مدينةِ خُوَارَزْمِ ، فحاصروها حتى فتحوا البلدَ قهْرًا ، فقتلوا من فيها قتلاً ذريعًا ، ونهبوها وسبّوا أهلها ، وأرسلوا الجيْشَ الذى يَمْنَعُ ماءَ جَيْحُونَ عنها ، فغرقت دُورُها ، وهلك جميعُ أهلها . ثم عادوا إلى ملكهم جِنْكِزْخانَ وهو مُخَيَّمٌ على الطالْقانِ ، [١٠ / ٤١٠] فجَهَّزَ منهم طائفةً إلى غَزَنَةَ ، فاقتتل معهم جلالُ الدينِ بنُ خُوَارَزْمِ شاهَ ، فكسّروهم جلالُ الدينِ كسرةً عظيمةً ، واستنقذ منهم خلقًا من أسارى المسلمين ، ثم كتب إلى جِنْكِزْخانَ يَطْلُبُ منه أن يَبْرُزَ بنفسه لقتاله ، فقصدَه جِنْكِزْخانَ فتواجهَا ، وقد تفرّق على جلالِ الدينِ بعضُ جيشه ، ولم يَبْقَ بُدٌّ مِنَ الْقِتَالِ ، فاقتتلوا ثلاثةَ أيامٍ لم يُعْهَدْ مثلُها قبلها من قتالهم ، ثم ضعف أصحابُ السلطانِ جلالِ الدينِ بنِ خُوَارَزْمِ شاهَ ، فذهبوا فركبوا فى بحرِ الهندِ ، فسارت السَّارُ إلى غَزَنَةَ ، فأخذوها بلا كُلفةٍ ولا مُمانعةٍ ، كلُّ هذا أو أكثره وقع فى هذه السنة .

وفى هذه السنة أيضًا ترك الأشرفُ موسى بنُ العادلِ لأخيه شِهَابِ الدينِ

(١) فى الأصل : « الثلاث » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

غازى مُلْكَ خِلَاطَ وَمِيَّافَارِقِينَ وَبِلَادَ أَرْمِينِيَّةَ^(١) وَحَانِي^(٢)، وَاعْتَاضَ بِالرُّهَا
وَسَرُوجَ، وَذَلِكَ لِاسْتِغَالِهِ عَنْ حِفْظِ تِلْكَ التَّوَاحِي بِمُسَاعَدَةِ أَخِيهِ الْكَامِلِ وَتُضْرِيهِ
عَلَى الْفَرْنَجِ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ.

وَفِي الْحَرَمِ مِنْهَا^(٣) هَبَّتْ رِيَّاحُ بَيْغَدَادَ، وَجَاءَتْ بُرُوقٌ، وَشُمِعَتْ رُعُودٌ
شَدِيدَةٌ، وَسَقَطَتْ صَاعِقَةٌ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ عَلَى الْمَنَارَةِ الْمُجَاوِرَةِ^(٤) لَعَرِوْ مَعِينٍ^(٥)
فَتَلَمَّتْهَا، ثُمَّ أَصْلَحَتْ، وَغَارَتْ الصَّاعِقَةُ فِي الْأَرْضِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ نُصِبَ مِخْرَابُ الْحَنَابِلَةِ بِالرُّوَقِ الثَّالِثِ الْغَرْبِيِّ مِنْ جَامِعِ
دِمَشْقَ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ لَهُمْ، وَلَكِنْ سَاعَدَهُمْ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ فِي نَصْبِهِ
لَهُمْ، وَهُوَ الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ الْمُعْظَمِيُّ، وَصَلَّى فِيهِ الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ بَنُ قُدَامَةَ.

قُلْتُ: ثُمَّ رُفِعَ فِي حُدُودِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَغَوَّضُوا عَنْهُ بِالْمِخْرَابِ الْغَرْبِيِّ
عِنْدَ بَابِ الزِّيَارَةِ، كَمَا غَوَّضَ الْحَنْفِيَّةُ عَنْ مِخْرَابِهِمُ الَّذِي كَانَ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ
مِنْ الْجَامِعِ بِالْمِخْرَابِ الْمُجَدِّدِ لَهُمْ شَرْقِيَّ بَابِ الزِّيَارَةِ، حِينَ جُدِّدَ الْحَائِطُ الَّذِي هُوَ
فِيهِ فِي الْأَيَّامِ التَّنَكُّرِيَّةِ، عَلَى يَدَيِ نَازِرِ الْجَامِعِ تَقِيَّ الدِّينِ بْنِ مَرَاجِلَ، أَثَابَهُ اللَّهُ
تَعَالَى، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَفِيهَا قَتَلَ صَاحِبُ سِنْجَارَ أَخَاهُ، فَمَلَكَهَا مُسْتَقِلًّا بِهَا الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ بَنُ
الْعَادِلِ.

وَفِيهَا نَافَقَ الْأَمِيرُ عِمَادُ الدِّينِ بَنُ الْمَشْطُوبِ عَلَى الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ، وَكَانَ قَدْ

(١ - ١) سقط من: م، وفي الأصل «رحاى». والمثبت من الكامل. وحاني: مدينة بديار بكر. انظر
معجم البلدان ١٨٨/٢.

(٢) هذا الخبر والخبر التالي لم نقف لهما على مصدر.

(٣ - ٣) كذا في الأصل. وفي م: «لعون ومعين».

آواه ، وحفظه من أذى أخيه الكامل له حين أراد أن يُبايع للفائز ، ثم إنه سعى في الأرض فسادًا في بلاد الجزيرة ، فسجنه الأشرف حتى مات كمدًا وذلاً وعُزًا^(١) .

وفيهما أوقع الكامل بالفريخ الذين على دميّاط بأسًا شديدًا ، فقتل منهم عشرة آلاف ، وأخذ خيولهم وأموالهم . ولله الحمد .

وفيهما عزل المعظم المعتمد مبارز الدين إبراهيم عن ولاية دمشق ، وولّاها للعزير خليل ، ولما خرج الحاج إلى مكة ، شرفها الله تعالى ، كان أميرهم المعتمد ، فحصل به خير كثير ، وذلك أنه كف عبيد مكة عن نهب الحاج بعد قتلهم أمير حاج العراقيين آقباش الناصري ، وكان من أكبر الأمراء عند الخليفة الناصر ، وأخصهم عنده ؛ وذلك لأنه قديم معه بخلع للأمير حسن^(٢) بن أبي عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعين بن عبد الكريم العلوي الحسني^(٣) الزيدي بولايته لإمرة مكة بعد أبيه ، وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة ، فنارَعَ في ذلك راجح ، وهو أكبر أولاد قتادة ، وقال : لا يتأمر عليها غيري . فوقعت فتنة أفضى الحال إلى قتل آقباش غلطًا . وقد كان قتادة من أكابر الأشراف [٤١٠ / ظ] الحسينيين الزيديين ، وكان عادلاً منصفًا متعمًا ، نعمة على عبيد مكة والمفسدين بها ، ثم عكس هذا السير ، فظلم وجدّد المكوس ، ونهب الحاج غير مرة ، فسلب الله عليه ولده حسنًا ، فقتله وقتل عمّه وأخاه أيضًا ، فلهذا لم يُهيل الله حسنًا هذا ، بل سلبه الملك ،^(٤) وشرّده في البلاد ، وقيل : بل قُتل كما ذكرنا . وكان قتادة شيخًا

(١) في م : « عذابا » .

(٢) في م : « حسين » . وانظر الذيل على الروضتين ص ١٢٣ .

(٣) سقط من : الأصل . وفي الذيل على الروضتين : « الحسيني » .

(٤) - ٤) سقط من : الأصل .

طويلاً مهيباً لا يخاف من أحدٍ من الخلفاء ولا الملوك ، ويرى أنه أحقُّ بالأمر من كلِّ أحدٍ ، وكان الخليفة يؤدُّ لو حضر عنده ليكرمه ، وكان يأتي من ذلك ويمتنع منه أشدَّ الامتناع ، ولم يَفِدْ إلى أحدٍ قطُّ ، ولا ذلَّ لخليفة ولا ملك ، وكتب إليه الخليفة مرةً يستدعيه ، فكتب إليه ^(١) :

ولى كفَّ ضرغامٍ أذلَّ بيطشها وأشرى بها بينَ الورى وأبيع
وكلُّ ^(٢) ملوكِ الأرض تلثمُ ظهرها وفى وسطها للمُجدين ^(٣) ربيع
أجعلها تحت الرّحى ثم أبتغى خلاصاً لها إنى إذا لرقيع
وما أنا إلا المِسكُ فى كلِّ بُقعةٍ يَضُوعُ وأما عندكم فيضيع
وقد بلغ قتادة من السنِّ سبعين سنةً ، وقد ذكر ابنُ الأثير وفاته فى سنة ثمانى عشرة . فالله أعلم .

ومن تُوفى فيها من الأعيان :

الملك الفائزُ غياثُ الدين إبراهيم بنُ العادل ^(٤) ، كان قد انتظم له الأمرُ فى الملك بعد أبيه ، على الديارِ المصرية على يدى الأميرِ عمادِ الدين بنِ المشطوب ، لولا أن الكاملَ تدارك ذلك سريعاً ، ثم أرسله أخوه فى هذه السنة إلى أخيهما الأشرفِ موسى يستحثه فى سرعة المسيرِ إليهم بسببِ الفِرنج ، فمات بينَ سنجارَ

(١) الأبيات فى مرآة الزمان ٦١٨/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٦٠ .

(٢) فى م : تظل . وانظر الذيل على الروضتين ص ١٢٣ .

(٣) فى الأصل : « للمجدين » . وفى حاشية الأصل : « للمحلىين » .

(٤) مرآة الزمان ٦١٠/٨ (القسم الثانى) والتكملة لوفيات النقلة ٤٠/٥ ، والذيل على الروضتين ١٢٢ ، ونهاية الأرب ١٠٧/٢٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٣٠ ، والوفى بالوفيات ١٢٥/٦ .

والمَوْصِلِ ، وقيل : إنه سُمِّ . فُرِدَّ إلى سِنْجَارَ ، فُدِّنَ بها ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى .

شيخُ الشيوخِ صدرُ الدينِ أبو الحسنِ محمدُ بنُ شيخِ الشيوخِ عمادِ الدينِ عمر^(١) بنِ حَمَوَيْهِ الجَوْنِيّ ، مِن بَيْتِ رِياسَةِ وإمْرِعةَ عِنْدَ بَنِي أَيْوبَ ، وقد كان صدرُ الدينِ هذا فقيهاً فاضلاً ، دَرَسَ بالشافعيِّ ، وبمَشْهَدِ الحَسِينِ ، وولى مَشِيخَةَ سَعِيدِ الشَّعْداءِ والنظرَ فيها ، وكانت له حُزْمَةٌ وإفْرَةٌ عِنْدَ الملوِكِ ، أَرْسلَهُ الكامِلُ إلى الخليفةِ يَسْتَنْصِرُهُ على الفِرْنَجِ ، فمات بالموصلِ بالإسْهالِ ، ودُفِنَ بها عِنْدَ قَضِيبِ البانِ^(٢) عن ثلاثٍ وسبعين سنةً .

صاحبُ حَماءَ الملكِ المنصورِ محمدُ بنُ الملكِ الْمُظْفَرِ تَقَيَّ الدينِ عمرَ بنِ شاهنشاهِ بنِ أَيْوبَ^(٣) ، وكان فاضلاً ، له تاريخٌ في عَشْرِ مُجَلِّداتٍ سَمَّاهُ « المِضْمَارَ » ، وكان شجاعاً فارساً ، فقام بالملكِ بعْدَهُ ولَدَهُ الناصرُ قَلِيحُ أَرْسلانَ ، ثم عَزَلَهُ عنها الكامِلُ ، وحَبَسَهُ حتى مات ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى ، وولَّى أخاه الْمُظْفَرَ ابنَ المنصورِ .

صاحبُ آمِدَ ، الملكِ الصالحِ ناصرُ الدينِ محمودُ بنُ محمدِ بنِ قَرَا أَرْسلانَ بنِ أَرْتُقَ^(٤) ، وكان شجاعاً مُجَبِّناً للعلماءِ ، وكان مُصاحِباً للأشرفِ

(١) في الأصل ، م : « محمود » ، وفي الذيل على الروضتين ص ١٢٥ : « محمد » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ التكملة لوفيات النقلة ١٨/٥ ، وسير أعلام النبلاء ٧٩/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٧٦ ، والوافي بالوفيات ٢٥٩/٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٩٦/٨ .

(٢) انظر ما تقدم في صفحة ٢٨ حاشية « ٦ » .

(٣) التكملة لوفيات النقلة ٤١/٥ ، والذيل على الروضتين ص ١٢٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٤٦/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٧٧ ، ونهاية الأرب ١١٠/٢٩ ، والوافي بالوفيات ٢٥٩/٤ .

(٤) في الأصل : « أيوب » . وانظر ترجمته في : الكامل ٤١٢/١٢ ، ذكره ابن الأثير في حوادث =

موسى بن العادل يَجِيءُ إلى خدمته مِرَارًا ، ومَلِكٌ بعده ولَدُه المَلِكُ المسعودُ^(١) ، وكان بَخِيلًا فاسقًا ،^(٢) فَأَخَذَ الكَامِلُ آمِدًا^(٣) وحَبَسَهُ بِمَصْرَ ثم أَطْلَقَهُ ، فَأَخَذَ أَمْوَالَهُ ، وسارَ إلى التَّنَّارِ ، فَأَخَذَتْ مِنْهُ^(٤) .

الشيخ عبد الله اليوناني^(٥) الملقَّبُ أسدَ الشامِ ، رَجِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ ، مِنْ قَرْيَةٍ بِبَغْلَبَكْ يُقَالُ لَهَا : يُونِينَ . وكانت له زاويةٌ يُقَصِّدُ فِيهَا لِلزِّيَارَةِ ، وكان مِنْ الصَّالِحِينَ الْكِبَارِ المشهورين بالعبادة والرياضة والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ ، له هِمَّةٌ عَالِيَةٌ فِي الزَّهْدِ وَالْوَرَعِ ، بحيث إنه كان لَا يَقْتَنِي شَيْئًا ، وَلَا يَمْلِكُ [١٠/٥٠] مَالًا وَلَا ثِيَابًا ، بَلْ يَلْبَسُ عَارِيَّةً ، وَلَا يَتَجَاوَزُ قَمِيصًا فِي الصَّيْفِ ، وَفَرْوَةً فَوْقَهُ فِي الشِّتَاءِ ، وَعَلَى رَأْسِهِ قُبْعًا مِنْ جُلُودِ الْمَغِزِ ، شَعْرُهُ إِلَى ظَاهِرِهِ ، وَكَانَ لَا يَنْقَطِعُ عَنْ غَزَاةٍ مِنَ الْغَزَوَاتِ ، وَيَزِمِي عَنْ قَوْسٍ زَنْثُهُ ثَمَانُونَ رَطْلًا ، وَكَانَ يُجَاوِزُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِجَبَلِ لُبْنَانَ ، وَيَأْتِي فِي الشِّتَاءِ إِلَى عُيُونِ الْفَاسْرِيَا^(٦) فِي سَفْحِ الْجَبَلِ الْمُطَلِّ عَلَى قَرْيَةٍ دُومَةَ شَرْقَى دِمَشَقَ ؛ لِأَجْلِ سُخُونَةِ الْمَاءِ ، فَيَقْصِدُهُ النَّاسُ لِلزِّيَارَةِ هُنَاكَ ، وَيَجِيءُ تَارَةً إِلَى دِمَشَقَ ، فَيَنْزِلُ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ عِنْدَ الْمَقَادِسَةِ^(٧) ، وَكَانَتْ لَهُ أَحْوَالٌ

= ووفيات سنة تسع عشرة وستمائة ، والذيل على الروضتين ص ١٢٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٨٢ وذكره ضمن وفيات سنة ثمان عشرة وستمائة ص ٤٣٠ ، ونهاية الأرب ١١١/٢٩ .

(١) فِي الْأَصْلِ : «السعيد» .

(٢ - ٢) فِي م : «فأخذه مع الكامل» .

(٣ - ٣) فِي الْأَصْلِ : «فأحدث فتنة» .

(٤) فِي الْأَصْلِ ، وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ ١١١/٢٩ : «اليوناني» . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٦١٢/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٢٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٠١/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٣٨ ، ونهاية الأرب ١١١/٢٩ ، والوفاء بالوفيات ٣١٦/١٧ .

(٥) فِي م : «العاسرياء» ، وَفِي مَرَّةِ الزَّمَانِ : «الفاسرب» .

(٦) فِي م : «القادسية» .

ومُكَاشَفَاتٍ صَالِحَةٍ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : أَسَدُ الشَّامِ .

حَكَى الشَّيْخُ أَبُو الْمُظَفَّرِ سِبْطُ بْنُ الْجَوْزِيِّ^(١) عَنِ الْقَاضِي جَمَالِ الدِّينِ يَعْقُوبَ الْحَاكِمِ بِكَرْكِ الْبِقَاعِ ، أَنَّهُ شَاهَدَ مَرَّةً الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ مِنْ ثَوْرٍ^(٢) عِنْدَ الْجِسْرِ الْأَبْيَضِ ، إِذْ مَرَّ نَصْرَانِيٌّ وَمَعَهُ حِمْلٌ بَغْلٍ خَمْرًا ، فَعَثَرَتِ الدَّابَّةُ عِنْدَ الْجِسْرِ فَسَقَطَ الْحِمْلُ فَرَأَى الشَّيْخُ وَقَدْ فَرَّغَ مِنْ وُضُوئِهِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ ، وَاسْتَعَانَ بِهِ عَلَى رَفْعِ الْحِمْلِ ، فَاسْتَدْعَانِي الشَّيْخُ فَقَالَ : تَعَالَى يَا فَقِيهٌ فَتُسَاعِدُنَا عَلَى تَحْمِيلِ ذَلِكَ الْحِمْلِ عَلَى الدَّابَّةِ . وَذَهَبَ النَّصْرَانِيٌّ ، فَتَعَجَّبْتُ^(٣) مِنْ ذَلِكَ ، وَتَبِعْتُ الْحِمْلَ وَأَنَا ذَاهِبٌ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَانْتَهَى بِهِ إِلَى الْعُقَيْبَةِ^(٤) ، فَأَوْرَدَهُ إِلَى الْخَمَّارِ بِهَا ، فَإِذَا هُوَ خَلٌّ ، فَقَالَ لَهُ الْخَمَّارُ : وَيْحَكَ ! هَذَا خَلٌّ . فَقَالَ النَّصْرَانِيٌّ : أَنَا أَغْرِفُ مِنْ أَيْنَ أُتَيْتُ . ثُمَّ رَبَطَ الدَّابَّةَ فِي الْخَانِ ، وَرَجَعَ إِلَى الصَّالِحِيَّةِ ، فَسَأَلَ عَنِ الشَّيْخِ ، فَعَرَفَهُ فَجَاءَ إِلَيْهِ ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ .

وَلَهُ أَحْوَالٌ وَكِرَامَاتٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا ، وَكَانَ لَا يَقُومُ لِأَحَدٍ دَخْلَ إِلَيْهِ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَكَانَ الْأُمَجْدُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَيَقُولُ لَهُ : يَا مُجِيدُ^(٥) ، فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا . وَيَأْمُرُهُ بِمَا يَأْمُرُهُ ، وَيَنْهَاهُ عَمَّا يَنْهَاهُ عَنْهُ ، وَهُوَ يَمْتَنِلُ جَمِيعَ مَا يَقُولُهُ لَهُ ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لَصَدَقِهِ فِي زَهْدِهِ وَوَرَعِهِ وَطَرِيقِهِ ، وَكَانَ يَقْبَلُ الْفُتُوخَ ، وَلَا يَدْخِرُ مِنْهُ شَيْئًا لَغَدٍ ، وَإِذَا اسْتَدَّ جُوعُهُ أَخَذَ مِنْ وَرَقٍ

(١) مرآة الزمان ٦١٣/٨ (القسم الثاني) .

(٢) ثورا : بالفتح والقصر ، اسم لنهر عظيم بدمشق . معجم البلدان ٩٣٨/١ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « فَتَعَجَّبَ » .

(٤) فِي م : « الْعُقْبَةُ » .

(٥) فِي م : « أُمَجْد » . وَانْظُرِ الْخَيْرَ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ ص ٣٤٢ .

اللُّوزِ ، ففَرَكَه واستَقَفَه ، وشَرِبَ فوقَه الماءَ الباردَ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى وأَكْرَمَ مَنَواه .
 وذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ يَحُجُّ فِي بَعْضِ السَّنِينَ فِي الْهَوَاءِ ، وَقَدْ وَقَعَ هَذَا لَطَائِفَةٍ
 كَثِيرَةٍ مِنَ الزُّهَّادِ وَصَالِحِي الْعُبَادِ ، وَلَمْ يَتَلَعَّنَا هَذَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ أَكْبَارِ الْعُلَمَاءِ ، وَأَوَّلُ
 مَنْ يُذَكِّرُ عَنْهُ هَذَا حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، ثُمَّ مَنْ
 بَعْدَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

فلما كان يومُ جمعةٍ من عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ صَلَّى الشَّيْخُ^(١)
 عَبْدُ اللهِ الْيُونَنِيُّ صَلَاةَ^(٢) الْجُمُعَةِ بِجَامِعِ بَغْلَبَتُكْ ، وَكَانَ قَدْ دَخَلَ الْحَمَّامَ يَوْمَئِذٍ قَبْلَ
 الصَّلَاةِ وَهُوَ سَوِيٌّ صَحِيحٌ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ لِلشَّيْخِ دَاوُدَ الْمُؤَدِّنِ
 وَكَانَ يُغَسِّلُ الْمَوْتَى : انْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ غَدًا . ثُمَّ صَعِدَ الشَّيْخُ إِلَى زَاوِيَتِهِ ، فَبَاتَ
 يَذْكُرُ اللهُ تعالى تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَيَذْكُرُ أَصْحَابَهُ وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَلَوْ بِأَذْنَى شَيْءٍ ،
 وَيَدْعُو لَهُمْ ، فَلَمَّا دَخَلَ وَقْتُ الصَّبْحِ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ ، ثُمَّ اسْتَدَّ يَذْكُرُ اللهُ تعالى
 وَفِي يَدِهِ مِسْبَحَتُهُ ، فَمَاتَ وَهُوَ كَذَلِكَ [١٠/٥ هـ] جَالِسٌ لَمْ يَسْقُطْ ، وَلَمْ تَسْقُطِ
 الشُّبْحَةُ مِنْ يَدِهِ ، فَلَمَّا انْتَهَى الْخَبْرُ إِلَى الْمَلِكِ الْأُمَجْدِ صَاحِبِ بَغْلَبَتُكْ ، جَاءَ إِلَيْهِ ،
 فَعَايَنَهُ كَذَلِكَ فَقَالَ : لَوْ بَنَيْنَا عَلَيْهِ بُنْيَانًا وَهُوَ هَكَذَا ؛ لَيُشَاهِدَ النَّاسُ مِنْهُ آيَةً . فَقِيلَ
 لَهُ : لَيْسَ هَذَا مِنَ السَّنَةِ . فَتُحَى وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ ، وَدُفِنَ تَحْتَ اللَّوْزَةِ
 الَّتِي كَانَ يَجْلِسُ تَحْتَهَا يَذْكُرُ اللهُ تعالى ، رَحِمَهُ اللهُ وَنَوَّرَ ضَرْيَحَهُ .

وكانت وفاته يوم السبت ، وقد جاوز ثمانين سنةً ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى وأَكْرَمَ
 مَنَواه ، وَكَانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْفَقِيهُ الْيُونَنِيُّ مِنْ جَمَلَةِ تَلَامِيذِهِ ، وَمَنْ يَلُودُ بِهِ ، وَهُوَ

(١) فِي م : « الصَّبْحِ » .

(٢) فِي م : « صَلَاةِ » .

جَدُّ هَؤُلَاءِ الْمَشَايخِ بِمَدِينَةِ بَغْلَبَتِكَ .

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ^(١) الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ^(٢) الْمَجْلِيُّ ^(٣) الْمَوْصِلِيُّ ،
وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْجُهَنِيِّ ، شَابٌّ فَاضِلٌ ، وَلِي كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ لِبَدْرِ الدِّينِ لَوْلُؤُ زَعِيمِ
الْمَوْصِلِيِّ ، وَمِنْ شَعْرِهِ :

نَفْسِي فِدَاءُ الَّذِي فَكَّرْتُ فِيهِ وَقَدْ غَدَوْتُ أَغْرَقْتُ فِي بَحْرِ مِنَ الْعَجَبِ
يَتَدَوُّ بَلِيلٌ عَلَى صُبْحٍ عَلَى قَمَرٍ عَلَى قَضِيبٍ عَلَى وَهْمٍ عَلَى كَتَبٍ

(١) بعده في الأصل: « بن » ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢) في الأصل: « المجلي » .

ثم دَخَلَتْ سَنَةً ثَمَانُ عَشْرَةَ وَسِتَّمِائَةٍ

فيها^(١) اسْتَوَلَتِ الشَّارُّ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ كَمَرَاغَةَ^(٢) وَهَمْدَانَ وَأَرْدَبِيلَ وَتَبْرِيزَ وَكَنْجَةَ^(٣) ، وَقَتَلُوا أَهْلِيهَا ، وَنَهَبُوا مَا فِيهَا ، وَاسْتَأْسَرُوا ذُرَارِيَّهَا ، وَاقْتَرَبُوا مِنْ بَغدَادَ ، فَأَنْزَعَجَ الْخَلِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ ، وَحَصَّنَ بَغدَادَ ، وَاسْتَعْدَمَ الْأَجْنَادَ ، وَقَتَّتِ النَّاسَ فِي الصَّلَوَاتِ وَالْأَوْرَادِ .

وفيهما قَهَرُوا الْكُرْجَ وَاللَّانَ ، ثُمَّ قَاتَلُوا الْقَفْجَاقَ^(٤) ، فَكَسَرُوهُمْ ، وَكَذَلِكَ الرُّوسُ ، وَنَهَبُوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ هَؤُلَاءِ وَيَسْبُونَ ذُرَارِيَّهِمْ وَنِسَاءَهُمْ .

وفيهما سَارَ الْمُعْظَمُ إِلَى أَخِيهِ الْأَشْرَفِ ، فَاسْتَعْظَفَهُ عَلَى أَخِيهِ الْكَامِلِ ، وَكَانَ فِي نَفْسِهِ مَوْجِدَةً عَلَيْهِ ، فَأَزَالَهَا وَسَارَا جَمِيعًا نَحْوَ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ لِمُعَاوَنَةِ الْكَامِلِ عَلَى الْفَرِنجِ الَّذِينَ قَدْ أَخَذُوا ثَغَرَ دِمْيَاطَ ، وَاسْتَحْكَمَ أَمْرُهُمْ هُنَاكَ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ ، وَغَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْأَوَاقَاتِ أَنْ يُرَدُّ إِلَيْهِمْ بَيْتُ الْمَقْدِسِ وَجَمِيعُ مَا كَانَ صِلَاحُ الدِّينِ فَتَحَهُ مِنْ بِلَادِ السَّاحِلِ ، وَيَتْرَكُوا دِمْيَاطَ ، فَامْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ ،

(١) الْكَامِلُ ٤٠١/١٢ - ٤٠٥ ، وَمَرَاةُ الزَّمَانِ ٦١٨/٨ - ٦٢٣ (الْقِسْمُ الثَّانِي) ، وَالذِّيلُ عَلَى الرُّوسِيِّينَ ص ١٢٨ - ١٣١ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٣ - ٥٧ .
(٢) فِي م : « بَكَلَادَةَ » . وَمَرَاغَةُ : بَلَدَةٌ مَشْهُورَةٌ عَظِيمَةٌ وَأَشْهُرُ بِلَادِ أَذْرَبَيْجَانِ . مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٤/ ٤٧٦ .

(٣) كَنْجَةُ : مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَهِيَ قَصْبَةُ بِلَادِ أَرَّانَ ، وَأَهْلُ الْأَدَبِ يَسْمُونَهَا جَنْزَةَ وَكَنْجَةَ مِنْ نَوَاحِي لُرِّسْتَانِ بَيْنَ خَوْزِسْتَانِ وَأَصْبِهَانَ . انْظُرْ مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٤/ ٣٠٨ .

(٤) فِي م : « الْقَبْجَاقُ » .

ولم يَقْعِلُوا ، فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَقْوَاتُ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ مَرَاكِبُ فِيهَا مِيرَةٌ لَهُمْ ، فَأَخَذَهَا الْأُسْطُولُ الْبَحْرِيُّ ، وَأَرْسَلَتْ الْمِائَةُ عَلَى أَرَاضِي دِمْيَاطَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَلَمْ يُمَكِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَتَصَرَّفُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ، وَحَصَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْجِهَةِ الْأُخْرَى حَتَّى اضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَاقِ الْأَمَاكِنِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَنَابُوا إِلَى الْمُصَالِحَةِ بِلا مُعَاوَضَةٍ ، فَجَاءَ مُقَدِّمُوهُمْ إِلَيْهِ ، وَعِنْدَهُ أَخُوهُ الْمُعَظَّمُ عِيسَى وَمُوسَى الْأَشْرَفُ ، وَكَانَا قَائِمَيْنِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا وَأَمْرًا مَحْمُودًا ، فَوُقِعَ الصُّلْحُ عَلَى مَا أَرَادَ الْكَامِلُ مُحَمَّدٌ ، بِيُضِ اللَّهِ وَجْهَهُ ، وَمَلُوكِ الْفَرِجِ وَالْعَسَاكِرِ كُلِّهَا وَاقِفَةً بِحَضْرَتِهِ ، وَمَدَّ سِمَاطًا عَظِيمًا ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَقَامَ رَاجِعُ الْحِلْيَةِ الشَّاعِرُ فَأَنْشَدَ :

هَنِيئًا فَإِنَّ السَّعْدَ رَاحَ مُخَلَّدًا	وَقَدْ أَنْجَزَ الرَّحْمَنُ بِالنَّصْرِ مَوْعِدًا
حَبَانَا إِلَهُ الْخَلْقِ فَتَحَا بَدَا لَنَا	مُبِينًا وَإِنْعَامًا وَعِزًّا مُؤَبَّدًا
تَهَلَّلْ وَجْهُ الدَّهْرِ بَعْدَ قُطُوبِهِ	وَأَصْبَحْ وَجْهُ الشُّرْكِ بِالظُّلَمِ أَسْوَدًا
وَلَمَّا طَعَى الْبَحْرُ الْخِضْمَ بِأَهْلِهِ الطُّ	غَاةٍ وَأَضْحَى بِالْمَرَاكِبِ مُزِيدًا
أَقَامَ لِهَذَا [١٠/٦٠] الدِّينِ مَنْ سَلَّ عِزَّمَهُ	صَقِيلًا كَمَا سَلَّ الْحُسَامُ مُجَرَّدًا
فَلَمْ يَنْجُ إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ مُجَدَّلٍ	ثَوَى مِنْهُمْ أَوْ مَنْ تَرَاهُ مُقَيَّدًا
وَنَادَى لِسَانُ الْكَوْنِ فِي الْأَرْضِ رَافِعًا	عَقِيرَتَهُ فِي الْخَافِقِينَ وَمُنْشِدًا
أَعْبَادَ عِيسَى إِنْ عِيسَى وَجِزْبَهُ	وَمُوسَى جَمِيعًا يَخْذُمُونَ مُحَمَّدًا

قال أبو شامة^(١) : وَبَلَّغَنِي أَنَّهُ أَشَارَ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الْمُعَظَّمِ عِيسَى وَالْأَشْرَفِ

(١) الذيل على الروضتين ص ١٣٠.

موسى والكامل محمد . قال : وهذا من أحسن شئ اتفق . وكان ذلك يوم الأربعاء تاسع عشر رجب من هذه السنة ، وتراجعت الفرج إلى عكا وغيرها من البلدان ، ورجع المعظم إلى الشام ، واضطلع الأشرف والكامل على أخيهما المعظم .

وفيهما ولّى الملك المعظم قضاء دمشق لجمال الدين المصيرى الذى كان وكيل بيت المال بها ، وكان فاضلاً بارعاً ، يجلس فى كل يوم الجمعة قبل الصلاة بالعادية وبعد فراغها لإثبات المحاضر ، ويحضر عنده فى المدرسة جميع الشهود من كل المراكز حتى يتيسر على الناس إثبات كتبهم فى الساعة الواحدة ، جزاه الله خيراً .

ومن توفى فيها من الأعيان :

ياقوت الكاتب الموصلى^(١) ، رحمه الله ، أمين الدين ، المشهور بطريقة ابن البواب . قال ابن الأثير^(٢) : لم يكن فى زمانه من يقاربه فى خطه ، وكانت لديه فضائل جمّة ، والناس متفقون على الثناء عليه ، وكان نعم الرجل ، وقد قال فيه نجيب الدين الواسطى قصيدة يمدحه بها :

جامع شارد العلوم ولولا ه لكانت أم الفضائل ثكلى
ذو يراع تخاف زبيته^(٣) الأسد د وتغنو له الكتاب ذلاً

(١) الكامل ٤٠٥/١٢ ، ومعجم الأدياء ٣١٢/١٩ ، ووفيات الأعيان ١١٩/٦ ، ونهاية الأرب ٢٩/١١٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٤٩/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٣٤ ، ومراة الجنان ٤٢/٤ .

(٢) الكامل ٤٠٥/١٢ .

(٣) فى م : « ريقته » . وفى مصدر ترجمته : « سطوته » .

وَإِذَا أَفْتَرَّ ثَغْرُهُ عَنْ سَوَادٍ فِي بَيَاضٍ فَالْبَيْضُ وَالشُّمْرُ خَجَلِي
أَنْتَ بَدَرٌ وَالْكَاتِبُ ابْنُ هَلَالٍ كَأَبِيهِ لَا فَخْرَ فِيمَنْ تَوَلَّى
إِنْ يَكُنْ أَوْلاً فَإِنَّكَ بِالتَّقَى ضَيْلٍ أَوْلَى فَقَدْ سَبَقَتْ وَصَلَّى^(١)

جَلالُ الدِّينِ الحُسَيْنِ^(٢) ، مِنْ أَوْلَادِ الحُسَيْنِ بْنِ الصَّبَّاحِ مُقَدِّمِ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ ،
وَكَانَ قَدْ أَظْهَرَ فِي قَوْمِهِ شَعَائِرَ الإِسْلَامِ ، وَحَفِظَ الحُدُودَ وَالْحُرُمَاتِ وَالْقِيَامَ فِيهَا
بِالزَّوَاجِرِ الشَّرْعِيَّةِ .

الشَّيْخُ الصَّالِحُ شِهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ رَاجِحِ المَقْدِسِيِّ^(٣) ،
الْحَنْبَلِيُّ الزَّاهِدُ الْعَابِدُ النَّاسِكُ ، كَانَ يَقْرَأُ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْحَدِيثَ
النَّبَوِيَّ ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى أَسْفَلِ مِثْبَرِ الخُطَابَةِ بِالجَامِعِ الْمُظَفَّرِيِّ ، وَقَدْ سَمِعَ الكَثِيرَ ،
وَرَحَلَ وَحَفِظَ « مَقَامَاتِ الحَرِيرِيِّ » فِي خَمْسِينَ لَيْلَةً ، وَكَانَتْ لَهُ فُنُونٌ كَثِيرَةٌ ،
وَكَانَ ظَرِيفًا مَطْبُوعًا ، رَجِمَهُ اللَّهُ .

وَالْخَطِيبُ مُوَفَّقُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَمْرُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَمْرِ بْنِ
كَامِلِ المَقْدِسِيِّ^(٤) ، خَطِيبُ بَيْتِ الآبَارِ ، وَقَدْ نَابَ بِدَمَشَقَ عَنِ الخَطِيبِ جَمَالِ
الدِّينِ الدَّوْلَعِيِّ حِينَ سَارَ فِي الرِّسَالَةِ إِلَى خُورَازْمَ شَاهٍ ، حَتَّى عَادَ .

الْمُحَدِّثُ الْبَارِعُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو طَاهِرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسَنِ

(١) صلى : تلا السابق . القاموس المحيط (ص ل ي) .

(٢) الكامل ١٢/٤٠٥ ، والتكملة لوفيات النقلة ٩٨/٤ ، والمختصر في أخبار البشر ١٣١/٣ ، وسير أعلام

النبلاء ٢٢/١٥٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٣٩٨ .

(٣) مرآة الزمان ٨/٦٢٢ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٥١/٥ ، والذيل على الروضتين ص

١٣٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/١٥٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤١٩ ،

والوفاي بالوفيات ٣/٤٥ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/١٢٤ .

(٤) التكملة لوفيات النقلة ٥/٧٦ ، والذيل على الروضتين ص ١٣١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٦١١ - ٦٢٠) ص ٤١٥ .

ابن الأَتماطي^(١)، قرأ الحديث، ورَحَلَ وكتبه، وكان حسنَ الخطِّ مُتَقِنًا في علوم الحديث، حافظًا له، وكان الشيخُ تقي الدين بنُ الصَّلاح يُثْنِي عليه ويمدِّحه، وكانت كتبه بالبيتِ الغَزِيّ من الكَلَّاسَةِ الذي كان للملكِ المُحَسِّن بن صلاح الدين، ثم أخذ من ابن الأَتماطي وسُلِّم إلى الشيخ عبد الصَّمدِ الدكائِي، واستمرَّ بيد أصحابه بعد ذلك، وكانت وفاته بدمشق، ودُفِنَ بمقابر الصُّوفِيَّة، وصَلَّى عليه بالجامعِ الشيخ مُوَفَّقُ الدين، وبيابِ النصرِ الشيخُ فَخْرُ الدين بن عساكر، وبالمَقْبَرَةِ قاضي القضاة جمالُ الدين المِصْرِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

أبو الغيثِ شُعَيْبُ بنُ أَبِي طَاهِرٍ بنِ كُلَيْبٍ بنِ مُقْبِلٍ^(٢) الصَّرِيرُ [٦/١٠ ظ] الفقيهُ الشافعيُّ، أقام ببغدادَ إلى أن تُوفِّي، وكانت لديه فضائلُ وله رسائلُ، ومن شعره قوله:

إذا كنتم للناسِ أهلَ سياسةٍ فسوسوا كرامَ الناسِ بالجودِ والبذلِ
وسوسوا لِإِثَامِ الناسِ بالذُّلِّ يَصْلُحُوا عليه فإن الذلُّ أَصْلَحُ لِلذُّلِّ
أبو العِزِّ مُشَرَّفُ^(٣) بنُ عَلِيٍّ بنِ أَبِي جَعْفَرٍ بنِ كَامِلٍ الخَالِصِيُّ المَقْرِيُّ
الصَّرِيرُ الفقيهُ الشافعيُّ، تفقَّه بالنُّظامِيَّة، وسمعَ الحديثَ ورواه، وأنشد عن
الحسين بن عمرو الحلبي:

(١) مرآة الزمان ٦٢٢/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٣١، والتكملة لوفيات النقلة ٥/١١٥، وسير أعلام النبلاء ١٧٣/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٤٣.
(٢) الوافي بالوفيات ١٦٣/١٦، ونكت الهميان ص ١٦٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٥١/٨.
(٣) في النسختين: «شرف». والمثبت من مصادر ترجمته؛ المختصر المحتاج إليه ٣٥٨/١٥، والتكملة لوفيات النقلة ٥/٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٣٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٧١/٨.

تَمَثَّلْتُمْ لى والديارُ بَعِيدَةً فُحِّيلَ لى أَن الفُؤَادَ لَكُمْ مَعْنَى
 وناجاكم قَلْبى على البُعْدِ بَيْنَنَا فأَوْحَشْتُمْ لفظًا وَأَنَسْتُمْ مَعْنَى
 أبو سليمانَ داوُدُ بنُ إبراهيمَ الجِيلِيِّ^(١) ، أَحَدُ المَعِيدِينَ بالمدرسةِ النُظامِيَّةِ ،
 ومما أَنشده .

أيا جامعا أُمِسِكَ عَنانَكَ مقصرا فَإِنَّ مَطايا الدَّهْرِ تَكُوبُ وتُقْصِرُ
 سَتَقَرُّعُ سِنًا أو تَعَضُّ نَدَامَةً يَدِيكَ^(٢) إِذا خانَ الزمانُ وتُبْصِرُ
 وَيَلْقَاكَ رُشْدٌ بَعْدَ غَيِّكَ واعظ ولكنَّه يَلْقَاكَ والأمرُ مُدْبِرُ
 أبو المظفَّرِ عبدُ الوُدودِ بنُ محمودِ بنِ المَبَارِكِ بنِ عليِّ بنِ المَبَارِكِ بنِ
 الحُسَيْنِ^(٣) ، الواسِطِيُّ الأَصْلُ البَغدادِيُّ الدَّارِ والمَوْلَدُ ، كمالُ الدينِ المَعروفُ والدُّه
 بالْحَجِيرِ ، تَفَقَّهَ على أبيه ، وقرأَ عليه عِلْمَ الكلامِ ، ودرَّسَ بمدرستِهِ عِنْدَ بابِ الأَزْجِ ،
 ووَكَّلَهُ الخليفةُ الناصرُ ، واشتَهَرَ بالدِّيانَةِ والأمانَةِ ، وبأشَرِ مَناصِبِ كِبارًا ، وحجَّ
 مرارًا عديدةً ، وكان مُتواضِعًا حَسَنَ الأخلاقِ ، وكان يقولُ :

وما تَرَكْتُ سِتًّا وستونَ حِجَّةً لنا حُجَّةً أَن نَرُكِبَ اللَهُوَ مَرْكَبًا
 وكان يُنْشِدُ :

العلمُ يَأْتى كُلَّ ذى خَفِضٍ وَيَأْبى كُلَّ أبى
 كالماءِ يَنْزِلُ فى الوِها دِ وَليسَ يَضَعُدُ فى الرِّوايِ

(١) فى الأصل : « بن منذر الحنبلى » ، وفى م : « بن مندار الجبلى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛
 المختصر المحتاج إليه ١٨٢/١٥ ، والتكملة لوفيات النقلة ٧٥/٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١
 - ٦٢٠) ص ٤٠٠ ، والوفاء بالوفيات ١٣/٤٦٠ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٤٤ .

(٢) سقط من : م .

(٣) التكملة لوفيات النقلة ٧٢/٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤١١ ،
 والوفاء بالوفيات ١٩/٢٨٩ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣١٧ .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة

فيها^(١) نُقِلَ تابوتُ العادلِ مِنَ القلعةِ إلى تُرْبَتِهِ بالعاديةِ الكبيرةِ ، فَصُلِّيَ عَلَيْهِ أَوَّلًا تَحْتَ النَّشْرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ ، ثُمَّ جَاءُوا بِهِ إِلَى التُّرْبَةِ الْمَذْكُورَةِ ، فَدُفِنَ بِهَا ، وَلَمْ تَكُنِ الْمَدْرَسَةُ كَمَلَتْ بَعْدُ ، وَقَدْ تَكَامَلُ بِنَاؤُهَا فِي «السَّنةِ الْآتِيَةِ»^(٢) أَيْضًا ، وَذَكَرَ الدَّرَسَ بِهَا الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ الْمَصْرِيُّ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ السُّلْطَانُ الْمُعْظَمُ ، فَجَلَسَ فِي الصُّدْرِ ، وَعَنْ شِمَالِهِ الْقَاضِي ، وَعَنْ يَمِينِهِ جَمَالُ^(٣) الدِّينِ الْحَصِيرِيُّ^(٤) شَيْخُ الْحَنْفِيَّةِ ، وَكَانَ فِي الْمَجْلِسِ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ الصَّلَاحِ إِمَامُ السُّلْطَانِ ، وَالشَّيْخُ سَيْفُ الدِّينِ الْآمِدِيُّ إِلَى جَانِبِ الْمُدْرَسِ ، وَإِلَى جَانِبِهِ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ سَنَى الدَّوْلَةِ ، وَيَلِيهِ النَّعْجُمُ خَلِيلُ قَاضِي الْعَسْكَرِ ، وَتَحْتَ الْحَصِيرِيِّ شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ الشَّيْرَازِيِّ ، وَتَحْتَهُ مُعْهِي الدِّينِ بْنُ الرَّكِيِّ ، وَفِيهِ خَلَقُ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَكَابِرِ ، وَفِيهِمْ فَخْرُ الدِّينِ بْنُ عَسَاكِرَ .

وَفِيهَا أَرْسَلَ الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ الصَّدْرَ الْبَكْرِيَّ^(٥) مُخْتَصِبًا دِمَشْقَ إِلَى جَلَالِ الدِّينِ

(١) الكامل ٤٠٦/١٢ - ٤١٢ ، ومِرَاةُ الزَّمَانِ ٦٢٣/٨ ، ٦٢٤ (القسم الثاني) ، وَالذَّيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ

ص ١٣١ - ١٣٣ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٨ - ٦١ .

(٢) ٢ - ٢) فِي م : « هَذِهِ السَّنَةُ » . وَانْظُرِ الدَّارِسَ ٣٦٠ / ١ ، ٣٦١ .

(٣) فِي الْأَصْلِ ، م : « صَدْر » . وَالمُثَبِّتُ مِنَ الذَّيْلِ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ . وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ فِي الْمَصْدَرَيْنِ الْآخَرَيْنِ .

(٤) هُنَا وَفِيمَا يَأْتِي ، فِي الْأَصْلِ : « الْحَصِيرِي » .

(٥) فِي م : « الْكُشَهْنِي » .

ابن خُوَارِزْم شاه يَسْتَعِينُهُ على أَخُوِيهِ الكَامِلِ والأَشْرَفِ اللّٰذِينَ قد تَمَالَأَ عليه ، فَأُجَابَهُ إِلَى ذلكَ بِالسَّمْعِ والطَّاعَةِ ، ولَمَّا عادَ البَكْرِيُّ أَضَافَ إِلَيْهِ مَشِيخَةً الشُّيُوخِ .

وَحَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْمَلِكُ الْمَشْعُودُ أَفْسَيْسُ بْنُ الْكَامِلِ صَاحِبُ الْيَمَنِ ، فَبَدَتْ مِنْهُ أَعْمَالٌ نَاقِصَةٌ [٧/١٠٠] بِالْحَرَمِ الشَّرِيفِ مِنْ سُكْرِ وَرَشْقِ حَمَامِ الْمَسْجِدِ بِالْبُنْدُقِ مِنْ أَعْلَى قُبَّةِ زَمْرَمَ ، وَكَانَ إِذَا نَامَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ يُضْرَبُ الطَّائِفُونَ بِالْمَسْعَى بِأَطْرَافِ السِّيُوفِ لِفَلَا يُشَوِّشُوا عَلَيْهِ وَهُوَ نَوْمٌ سَكِرٌ ، قَبَّحَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَكِنْ كَانَ مَعَ هَذَا كُلِّهِ مَهِيئًا مُحْتَرَمًا ، وَالْبَلَادُ بِهِ آمِنَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ ، وَقَدْ كَانَ يَزْفَعُ سَنْجَقَ^(١) أَبِيهِ يَوْمَ عَرَفَةَ عَلَى سَنْجَقِ الْخَلِيفَةِ ، فَجَرَى بِسَبَبِ ذَلِكَ فَتْنَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَمَا مُكِّنَ مِنْ طُلُوعِهِ وَضُعُودِهِ إِلَى الْجَبَلِ إِلَّا فِي آخِرِ النَّهَارِ بَعْدَ جَهْدٍ جَهِيدٍ .

وَفِيهَا كَانَ بِالشَّامِ جَرَادٌ كَثِيرٌ أَكَلَ الزَّرْعَ وَالثَّمَارَ وَالْأَشْجَارَ .

وَفِيهَا وَقَعَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَ الْقَفْجَاقِ وَالْكُرْجِ ، وَقَتَالَ كَثِيرٌ بِسَبَبِ ضَيْقِ بِلَادِ الْقَفْجَاقِ عَلَيْهِمْ .

وَفِيهَا وَلَّى قَضَاءُ الْقُضَاةِ بِيغْدَادَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ فَضْلَانَ^(٢) ، وَلَيْسَ الْخِلْعَةَ فِي^(٣) دَارِ نَائِبِ^(٣) الْوِزَارَةِ مُؤَيَّدِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقُمِّيِّ^(٤) بِحَضْرَةِ الْأَغْيَانِ وَالْكُبَرَاءِ ، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ بِحَضْرَتِهِمْ ، وَسَاقَهُ ابْنُ السَّاعِي بِحُرُوفِهِ .

(١) السنجق : اللواء . الوسيط (سنجق) .

(٢) فِي م : « فُلَان » .

(٣ - ٣) فِي م : « بَابِ دَار » .

(٤) فِي م : « الْقَمِيق » . وَانْظُرْ سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٣٤٦/٢٢ ، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ١/١٤٧ .

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ دَاوُدَ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْوَاسِطِيُّ^(١)، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ الْمَلَقَّبُ
بِالْحَبِّ، اسْتَقَلَّ بِالنِّظَامِيَّةِ دَهْرًا، وَاشْتَغَلَ بِهَا، وَكَانَ فَاضِلًا دَيِّتًا صَالِحًا، وَمَا
أَنْشَدَهُ مِنَ الشَّعْرِ قَوْلُهُ :

الْفَرْقَدَانِ^(٢) كِلَاهُمَا شَهِدَا لَهُ وَالبَدْرُ لَيْلَةً تَمُّهُ بِشَهَادِهِ
دَيْفٌ^(٣) إِذَا اعْتَبَقَ الظَّلَامُ تَضَرَّعَتْ نَارُ الْجَوَى فِي صَدْرِهِ وَفَوَادِهِ
فَجَرَتْ مَدَامُ جَفْنِهِ فِي خَدِّهِ مِثْلَ الْمَسِيلِ يَسِيلُ مِنْ أَطْوَادِهِ^(٤)
شَوْقًا إِلَى مُضْنِيهِ لَمْ أَرْ هَكَذَا مُشْتَاقٌ مُضْنِي جَسَمِهِ بِيَعَادِهِ
لَيْتَ الَّذِي أَضْنَاهُ سِخْرُ جُفُونِهِ قَبْلَ الْمَمَاتِ يَكُونُ مِنْ عُوَادِهِ
أَبُو طَالِبٍ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْيَعْقُوبِيُّ^(٥)، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ، أَحَدُ الْمُعِيدِينَ^(٦)
بِغَدَادَ، كَانَ شَيْخًا مَلِيحَ الشَّيْبَةِ، جَمِيلَ الْوَجْهِ، كَانَ يَلِي بَعْضَ الْأَوْقَافِ، وَمَا
أَنْشَدَهُ لِبَعْضِ الْفُضَلَاءِ :

لَحْمٌ تِهَامِيَةٌ وَجِبَالٍ أُخِذَ وَمَاءُ الْبَحْرِ يُنْقَلُ بِالزَّبِيلِ^(٧)
وَنَقْلُ الصَّخْرِ فَوْقَ الظَّهْرِ يَوْمًا^(٨) لِأَهْوَنَ مِنْ مَجَالَسَةِ الثَّقِيلِ

(١) التكملة لوفيات النقلة ١٠٩/٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٥٢،
وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٧٩/٨.

(٢) الفرقَد: نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريبًا، ولذا يهتدى به، وهو المسمى: النجم
القطبي، وبقره نجم آخر مماثل له وأصغر منه؛ وهما فرقَدان. الوسيط (فرقد).

(٣) ديف المريض: اشتد مرضه وأشفى على الموت. الوسيط (د ن ف).

(٤) في م: «أطواره». والأطواد: جمع طَوْد، وهو الجبل العظيم. انظر الوسيط (ط و د).

(٥) التكملة لوفيات النقلة ١١٢/٥.

(٦) في الأصل: «المتعبدین».

(٧) الزبيل: القُمَّة. انظر اللسان (ز ب ل).

(٨) في م: «عريا».

ولبعضهم أيضًا ، ^(١) وهو مما أنشدته المذكور :

وإذا مضى للمرء من أعوامه خمسون ^(٢) وهو إلى الثقى لا يَجْنَحْ
عَكَفَتْ عليه المخزباتُ بقولها حالفتنا فأقم كذا لا تَبْرَحْ
وإذا رأى الشيطانُ غُرَّةَ وجهه حيًا وقال فدَيْتُ من لا يُفْلِحْ
اتَّفَقَ أنه طُولِبَ بشيءٍ من المالِ ، فلم يَقْدِرْ عليه ، فاشتغل شئًا من الأفيونِ
المِصْرِيِّ ، فمات من يومه ، ودفن بالوزدية .

وفيها تُوفِّي قُطْبُ الدين بنُ ^(٣) العادلِ بالفيومِ ، ونُقِلَ إلى القاهرة .

وفيها تُوفِّي إمامُ الحنابلةِ بمكةَ الشيخُ نصرُ بنُ أبي الفرجِ المعروف بابنِ
الحُضْرِيِّ ^(٤) ، جاور بمكةَ مدةً ^(٥) ، ثم ساقته المنيَّةُ إلى اليمنِ ، فمات بها في هذه
السنة ، وقد سمع الحديثَ من جماعةٍ من المشايخِ .

وفيها في ربيعِ الأولِ تُوفِّي بدمشقَ الشَّهابُ عبدُ الكريمِ بنُ نَجْمٍ ^(٦) بنِ
الحنبلِيِّ ^(٧) ، أخو البهائمِ والناصحِ ، وكان فقيهاً مُناظراً بصيراً بالمحاکماتِ ، وهو
الذي أخرجَ مسجدَ الوزيرِ من يدِ الشيخِ عَلَمِ الدينِ السَّخَاوِيِّ .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) بعده في الأصل : « حجة » .

(٣) سقط من : م . وقد جاء الاسم عند صاحب المرأة « قطب الدين العادلي » . وفي الحاشية جاءت

« العادل » بدل « العادلي » . والمثبت من الأصل هو الصواب والموافق لما ذكر في الذيل على الروضتين .

انظر ترجمته في : مرآة الزمان ٦٢٥/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٣٣ .

(٤) المختصر المحتاج إليه ٣٦٨/١٥ ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢٤١/١٩ ، والتكملة لوفيات النقلة

١٠١/٥ ، والذيل على الروضتين ص ١٣٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٦٣/٢٢ ، وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٨٢ ،

وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٦٦ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/١٣٠ ،

وغاية النهاية ٢/٣٣٨ .

(٥) بعده في م : « لم يسافر » .

(٦ - ٦) في م : « النيلي » . وانظر ترجمته في : التكملة لوفيات النقلة ١٠٤/٥ ، والذيل على =

ثم دخلت سنة عشرين وستمائة

فيها^(١) عاد الأشرف موسى بن العادل من عند أخيه الكامل صاحب مصر إلى الشام، فتلّقاه أخوه المعظم، وقد فهم [٧/١٠ ظ] أنهما تَمَلَّأا عليه، فبات ليلة بدمشق، وسار من آخر الليل، ولم يشعر أخوه بذلك، فسار إلى بلاده، فوجد أخاه الشهاب غازي الذي استنابه على خِلاط وميافارقين قد قوى رأسه، وكاتبه المعظم وصاحب إربل، وحسنوا له مخالفة الأشرف، فكتب إليه الأشرف ينهاه عن ذلك، فلم يقبل، فجمع له العساكر ليقاتله.

وفيها سار أقيس الملك المسعود صاحب اليمن بن الكامل من اليمن إلى مكة، شرفها الله تعالى، فقاتله حسن بن قتادة بطن مكة بين الصفا والمروة، فهزّمه أقيس وشرّده، واستقلّ بمكّة مع اليمن، وجرت أمور فظيعة، وتشرد حسن بن قتادة قاتل أبيه وعمّه وأخيه في تلك الشعاب والأودية.

ومن توفى فيها من الأعيان :

الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي^(٢)، مصنف « المعنى » في الفقه،

= الروضتين ص ١٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٥٢، والذيل على طبقات الحنابلة ١٣٢/٢، وشذرات الذهب ٨٥/٥.

(١) الكامل ٤١٣/١٢ - ٤١٨، ومروءة الزمان ٦٢٥/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٣٣، ١٣٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٦٢.

(٢) المختصر المحتاج إليه ٢١٢/١٥، ومروءة الزمان ٦٢٧/٨ (القسم الثاني) والتكملة لوفيات النقلة =

عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ^(١) بنِ قدامة، الشيخُ موفقُ الدينِ أبو محمدٍ المقدسي، إمامُ عالمٍ بارِعٍ، لم يَكُنْ في عصرِهِ بل ولا قبلَ دهرِهِ بمدةٍ، أفقَهُ منه، وُلِدَ بِجَمَاعِيلَ في شعبانَ سنةٍ إحدى وأربعين وخمسمائة، وقَدِمَ مع أهله إلى دمشق في سنةٍ إحدى وخمسين، وقرأ القرآنَ، وسمع الحديثَ الكثيرَ، ورحلَ مرتين إلى العراق؛ إحداهما في سنةٍ إحدى وستين مع ابنِ خالَتِهِ^(٢) الحافظِ عبدِ الغني، والأخرى سنةً سبعٍ وستين، وحنَّ في سنةٍ ثلاثٍ وسبعين، وتفقَّه ببغدادَ على مذهبِ الإمامِ أحمدَ، وبرِعَ وأفتى وناظرَ، وتبحَّرَ في فنونٍ كثيرةٍ، مع زُهْدٍ وعبادةٍ، وورعٍ وتواضعٍ، وحسنِ أخلاقٍ، وجُودٍ وحَياءٍ وحُسنِ سَمَتٍ، ونورٍ وبهاءٍ، وكثرةٍ تلاوةٍ وصلاةٍ وصيامٍ وقيامٍ، وطريقةٍ حسنةٍ وأتباعٍ للسَّلَفِ الصالحِ، وكانت له أحوالٌ ومُكاشفاتٌ، وقد قال الشافعي^(٣)، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: إن لم يَكُنِ العلماءُ العاملين^(٤) أولياءَ اللَّهِ فلا أَعْلَمُ لِلَّهِ وَلِيًّا.

وكان يُؤمُّ الناسَ للصلاة في مِخْرَابِ الحَنَابِلَةِ هو والشيخُ العِمَادُ، فلما تُوفِّيَ

= ١٥٨/٥، والذيل على الروضتين ص ١٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٦٥/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٨٣، وفوات الوفيات ١٥٨/٢، والوفاء بالوفيات ٣٧/١٧، والذيل على طبقات الحنابلة ١٣٣/٢.

(١) بعده في فوات الوفيات: «بن أحمد».

(٢) في الأصل: «عمته»، وفي م: «عمه». وفي سير أعلام النبلاء: «خاله». والمثبت من تاريخ الإسلام وفوات الوفيات والوفاء بالوفيات وذيل طبقات الحنابلة، وهي المصادر التي ذكرت النسبة بينهما. وما في السير تحريف، وانظر أيضًا تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠) ص ٤٤٣.

(٣) أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي ١٥٥/٢ بسنده عن الشافعي، بلفظ «الفقهاء» بدلًا من «العلماء».

(٤) في م: «العاقلون».

الْعِمَادُ اسْتَقَلَّ هُوَ بِالْوِظَافَةِ ، فَإِنْ غَاب صَلَّى عَنْهُ أَبُو سَلِيمَانَ ^(١) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَافِظِ عَبْدُ الْغَنِيِّ ، وَكَانَ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ بِالْقَرَبِ مِنْ مِخْرَابِهِ ، فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ بِدَرْبِ الدُّوْلَعِيِّ بِالرَّصِيفِ ، وَأَخَذَ مَعَهُ مِنَ الْفُقَرَاءِ مَنْ تَيَسَّرَ ؛ يَأْكُلُونَ مَعَهُ مِنْ طَعَامِهِ ، وَكَانَ مَنَزَلُهُ الْأَصْلِيُّ بِقَايَسِيُونَ ، فَيَنْصَرِفُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي بَعْدَ الْعِشَاءِ إِلَى الْجَبَلِ ، فَاتَّفَقَ ^(٢) فِي بَعْضِ اللَّيَالِي أَنْ خَطَفَ رَجُلٌ عِمَامَتَهُ ، وَكَانَ فِيهَا كَاغِدٌ فِيهِ رَمْلٌ ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : خُذِ الْكَاغِدَ ، وَأَلْقِ الْعِمَامَةَ . فَظَنَّ الرَّجُلُ أَنْ فِي الْكَاغِدِ مَالًا ، فَأَخَذَهُ وَأَلْقَى الْعِمَامَةَ ، ^(٤) فَأَخَذَهَا الْمَوْفِقُ ثُمَّ ذَهَبَ . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى ذِكَايَ مُفْرِطٍ وَاسْتِخْضَارِ حَسَنِ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ ، حَتَّى خَلَصَ عِمَامَتَهُ مِنْ يَدِهِ بِتَلَطُّفٍ .

وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ عَدِيدَةٌ مَشْهُورَةٌ ، مِنْهَا « الْمَغْنَى » فِي شَرْحِ « مُخْتَصَرِ » ^(٥) الْخَرْقِيِّ « فِي عَشْرَةِ مُجَلَّدَاتٍ ، وَ« الْكَافِي » ^(٦) فِي « أَرْبَعَةِ مُجَلَّدَاتٍ » ^(٧) وَ« الْمُقْنِعُ » لِلْحَفِظِ ، وَ« الرُّوضَةُ » فِي أَصُولِ الْفَقْهِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ التَّصَانِيفِ الْمُفِيدَةِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقَدْ بَلَغَ الثَّمَانِينَ ، وَكَانَ يَوْمَ سَبْتٍ ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَدُفِنَ بِتَرْبِيتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، وَرُئِيَتْ لَهُ مَنَامَاتٌ

(١) بعده في م : « بن الحافظ » .

(٢) انظر الذيل على الروضتين ص ١٤٠ ، والذيل على طبقات الخنابلة ١٣٦/٢ .

(٣) عبارة مصدري التخریج أوضح ، ففيهما أنه كان يجعل في عمامته ورقة مصرورة فيها رمل يرمل به ما يكتبه للناس .

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل .

(٥) زيادة من : م .

(٦) في م : « الشافي » .

(٧ - ٧) في الأصل ، م : « مجلدين » . والمثبت من مصادر ترجمته ، عدا مرآة الزمان والتكملة والذيل على الروضتين فلم تذكر ذلك .

صالحه، رحمه الله تعالى، وكان له أولادٌ ذكورٌ وإناثٌ، فماتوا في حياته. ولم يُعْقِبْ منهم سوى ابنه عيسى ولدَين، ثم ماتا وانقَطَعَ نَسْلُهُ، قال أبو المظفَّر [٨٠/١٠] السَّبْطُ^(١) : نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الشَّيْخِ مُوَفَّقِ الدِّينِ :

لَا تَجْلِسَنَّ بَبَابَ مَنْ يَأْبَى عَلَيْكَ دُخُولَ^(٢) دَارِهِ
وَتَقُولُ حَاجَاتِي إِلَيْهِ يَعْوُقُهَا^(٣) إِنْ لَمْ أُدَارِهِ
وَأَثْرُكِهِ وَأَقْصِدْ رُبَّهَا تُقْضَى وَرَبُّ الدَّارِ كَارِهِ
وَمَا أَنْشَدَهُ الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ لِنَفْسِهِ^(٤) ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَرَضِيَ عَنْهُ قَوْلُهُ :

أَبْغَدَ بِيَاضِ الشَّعْرِ أَعْمُرُ مَسْكَنًا سَوَى الْقَبْرِ إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ لِأَحْمَقُ
يُخْبِرُنِي شَيْبَى بِأَنِّي مَيِّتٌ وَشَيْكَا وَيَنْتَعَانِي إِلَيَّ فَيَضْدُقُ
يُحَرِّقُ عُمْرِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَهَلْ «أَسْتَطِيعُ رَفَعَ» مَا يَتَحَرَّقُ
^(٦) كَأَنِّي بِجَسْمِي ^(٧) فَوْقَ نَعْشِي ^(٨) مُمَدَّدًا فَمِنْ سَاكِبٍ أَوْ مُعْوِلٍ يَتَحَرَّقُ^(٩)

(١) ذكره عنه أبو شامة في الذيل على الروضتين ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ولم نجده في نسخة مرآة الزمان المطبوعة التي بين أيدينا .

(٢) في م : « وصول » .

(٣) في الأصل : « أعوقها » .

(٤) انظر مرآة الزمان ٦٣٠/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٤١ .

(٥ - ٥) في الأصل : « يستطيع رفوا » ، وفي م : « استطاع رفع » ، وفي الذيل على الروضتين : « يستطيع رفو » . والمثبت من مرآة الزمان .

(٦ - ٦) في الأصل :

« كَأَنِّي بِقَوْمٍ يَتَبِعُونَ جَنَازَتِي وَأَعْيُنُهُمْ تَذَرِي الدَّمْعَ وَتَدْفُقُ »

(٧) في مرآة الزمان : « بنفسى » .

(٨) في الذيل : « نعش » .

إِذَا سُئِلُوا^(١) عَنِ أَجَابُوا وَعَوَّلُوا وَأَذْمَعُهُمْ تَنْهَلُ هَذَا الْمُوقُّ
وَعُيِّنَتْ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ ضَبِّقُ وَأُودِعْتُ^(٢) لَحْدًا فَوْقَهُ الصَّخْرُ^(٣) مُطْبِقُ
وَيَحْثُو عَلَى الثَّرْبِ أَوْثَقُ صَاحِبِ وَيُسَلِّمُنِي لِلْقَبْرِ^(٤) مَنْ هُوَ مُشْفِقُ
فَيَارِبُّ كُنْ لِي مُؤْنِسًا يَوْمَ وَحْشَتِي فَإِنِّي بِمَا أَنْزَلْتَهُ لَمُصَدِّقُ^(٥)
وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي إِلَى اللَّهِ صَائِرُ وَمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِي أَبْرُ وَأَرْفُقُ
فَخَرُّ الدِّينِ بِنُ عَسَاكِرُ^(٦): عَبْدُ الرَّحْمَنِ^(٧) بِنُ مُحَمَّدٍ^(٨) بِنِ الْحَسَنِ بْنِ هَبِةَ
اللَّهُ بِنِ عَسَاكِرُ، فَخَرُّ الدِّينِ أَبُو مَنْصُورِ الدَّمَشْقِيِّ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ بِهَا، وَأُمُّهُ
أَسْمَاءُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ بِنِ الْحَسَنِ بِنِ طَاهِرِ الْقَرِيشِيَّةِ^(٩) - الْمَعْرُوفُ وَالذُّهَاءُ بِأَبِي
الْبَرَكَاتِ بِنِ الرَّائِي^(١٠)، وَهُوَ الَّذِي جَدَّدَ مَسْجِدَ الْقَدَمِ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ
وخمسمائة، وَبِهِ قَبْرُهُ وَقَبْرُهَا^(١١)، وَدُفِنَ هُنَاكَ طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ - وَهِيَ
أَخْتُ آمِنَةَ وَالِدَةِ الْقَاضِي مُعْصِي الدِّينِ مُحَمَّدٍ بِنِ عَلِيِّ بِنِ الرَّكِيِّ.

(١) فِي الذَّيْلِ: «سَأَلُوا».

(٢ - ٣) فِي مَرَاةِ الزَّمَانِ: «فِي لَحْدٍ بِهِ التَّرْب».

(٣) فِي مَرَاةِ الزَّمَانِ: «لِلتَّرْب».

(٤ - ٥) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْل.

(٥) مَرَاةِ الزَّمَانِ ٦٣٠/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي)، وَالتَّكْمِلَةُ لَوْفِيَّاتِ النُّقْلَةِ ١٥٢/٥، وَالذَّيْلِ عَلَى الرَّوْضَتَيْنِ ص ١٣٦، وَوَفِيَّاتِ الْأَعْيَانِ ١٣٥/٣، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٨٧/٢٢، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٠٠، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسَّبْكِ ١٧٧/٨.

(٦ - ٧) سَقَطَ مِنْ: م.

(٧) فِي م: «الْقَدْسِيَّة».

(٨) فِي الْأَصْلِ: «الْمَرَار»، وَفِي م: «الْمَرَان». وَالتَّحْدِثُ مِنَ الذَّيْلِ عَلَى الرَّوْضَتَيْنِ، وَلَمْ تَذْكُرْهُ سَائِرُ الْمَصَادِرِ.

(٩) لَيْسَ فِي الذَّيْلِ عَلَى الرَّوْضَتَيْنِ - وَهُوَ الْمَصْدَرُ الْوَحِيدُ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّذِي ذَكَرَ اسْمَ الْأُمِّ وَالْجَدِّ وَبَقِيَّةَ الْقِصَّةِ - تَصْرِيحًا بِأَنَّ هُنَاكَ قَبْرَهَا، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَصْنَفُ اسْتِفَادَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ فِي الذَّيْلِ: لِأَنَّ بِهِ - =

اشْتَغَلَ الشَّيْخُ فَخْرُ الدِّينِ مِنْ صِغَرِهِ بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ عَلَى شَيْخِهِ قُطْبِ الدِّينِ
مَسْعُودِ النَّيْسَابُورِيِّ، وَتَزَوَّجَ بَابَتِهِ، وَدَرَّسَ مَكَانَهُ بِالْجَارُوحِيَّةِ^(١)، وَبِهَا كَانَ
يَسْكُنُ فِي إِحْدَى الْقَاعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَنْشَأَهُمَا، وَبِهَا تُؤْفَى غُرْبَى الْإِيوَانِ، ثُمَّ تَوَلَّى
تَدْرِيسَ الصَّلَاحِيَّةِ النَّاصِرِيَّةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ، ثُمَّ وَلَّاهُ الْعَادِلُ تَدْرِيسَ التَّقْوِيَّةِ^(٢)،
وَكَانَ عِنْدَهُ أَغْيَانُ الْفَضْلَاءِ، ثُمَّ تَفَرَّغَ^(٣)، فَلَزِمَ الْمُجَاوِرَةَ فِي الْجَامِعِ فِي الْبَيْتِ
الصَّغِيرِ إِلَى جَانِبِ مِخْرَابِ الصُّحَابَةِ، يَخْلُو فِيهِ لِلْعِبَادَةِ وَالْمُطَالَعَةِ وَالْفَتَاوَى،
وَكَانَتْ الْفَتَاوَى تَقْدُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَقْطَارِ، وَكَانَ كَثِيرَ الذِّكْرِ، حَسَنَ السَّمْتِ، وَكَانَ
يَجْلِسُ تَحْتَ قُبَّةِ النَّشْرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ مَكَانَ عَمِّهِ لِإِسْمَاعِيلِ الْحَدِيثِ بَعْدَ
الْعَصْرِ، فَيَقْرَأُ عَلَيْهِ «دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ» وَغَيْرُهُ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَشِيخَةَ دَارِ الْحَدِيثِ
الثُّورِيَّةِ، وَمَشْهَدَ ابْنِ^(٤) غَزْوَةَ أَوَّلَ مَا فَتِحَ، وَقَدْ اسْتَدْعَاهُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ بَعْدَ مَا عَزَلَ
قَاضِيَهُ زَكَّى الدِّينِ^(٥)، فَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ وَقَتَ السَّمَاطِ، وَسَأَلَ مِنْهُ أَنْ يَلِيَ

= يعنى مسجد القدم - قبر جده لأمه ومن سلف من بيته . فأخذ المصنف رحمه الله ذلك من قوله : «
ومن سلف من بيته » .

(١) فى م : « بالجاروخية » . وكذا تأتى فى الموضع القادم فى م . والجاروخية : مدرسة للشافعية داخل بابى
الفرج والفراديس ، لصيقة المدرسة الإقبالية الحنفية شمالى الجامع الأموى والظاهرية الجوانية . قال ابن
شداد : بانيها جاروخ التركمانى يلقب بسيف الدين . انظر الدارس ٢٢٥/١ .

(٢) التقوية : مدرسة للشافعية أيضاً ومن أجل مدراس دمشق ، داخل باب الفراديس شمالى الجامع شرقى
الظاهرية والإقباليين ، بانيها فى سنة أربع وسبعين وخمسمائة الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن
أيوب . المصدر السابق ٢١٦/١ .

(٣) عبارته فى الذيل على الروضتين - وهو الذى ذكر ذلك وحده - : « وكان إذا فرغ من التدريس يظل
بجامع دمشق فى البيت الصغير بمقصورة الصحابة يخلو فيه للعبادة ... ثم يرجع إلى مكانه والناس
معتكفون عليه » . وهى لا تفيد التفرغ المطلق - كما فى عبارة الأصل وم هنا - لكن مجرد فراغ بعد
انتهاء تدريسه فى المدرسة .

(٤) فى الذيل : « أبى » . وانظر ما يأتى فى ترجمة ابن عروة هذا .

(٥) هو زكى الدين الطاهر بن محبى الدين ، كما فى الذيل على الروضتين ، وهو المصدر الوحيد الذى
ذكر ذلك .

القضاء بدمشق، فقال: حتى أَسْتَحْيِرَ اللَّهَ تعالى. ثم اِمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، فَشَقَّ عَلَى السُّلْطَانِ اِمْتِنَاعَهُ، وَهَمَّ أَنْ يُؤْذِيَهُ، فَقِيلَ لَهُ: اِحْمَدِ اللَّهَ الَّذِي فِي بِلَادِكَ مِثْلُ هَذَا. وَلَمَّا تَوَفَّى الْعَادِلُ، وَأَعَادَ ابْنُهُ الْمُعْظَمُ الْخُمُورَ أَنْكَرَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ فَخَرَّ الدِّينَ، فَبَقِيَ فِي نَفْسِهِ مِنْهُ، فَانْتَزَعَ مِنْهُ تَدْرِيسَ «الصَّلَاحِيَّةِ الَّتِي بِالْقُدْسِ وَتَدْرِيسَ»^(١) التَّقْوِيَّةَ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ سِوَى الْجَارُوحِيَّةِ وَدَارِ الْحَدِيثِ الثُّورِيَّةِ، وَمَشْهَدِ ابْنِ عُزُوزَةَ^(٢). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ بَعْدَ الْعَصْرِ^(٣) عَاشَرَ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَلَهُ خَمْسٌ وَسِتُونَ سَنَةً، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَحُمِلَتْ جِنَازَتُهُ إِلَى مَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ، فَدُفِنَ بِهَا، فِي أُولَاهَا قَرِيبًا مِنْ قَبْرِ شَيْخِهِ قُطَيْبِ الدِّينِ مَسْعُودٍ.

ابْنُ عُزُوزَةَ^(٤) «شَرَفُ الدِّينِ» مُحَمَّدُ بْنُ عُزُوزَةَ [٨/١٠] الْمُؤَصِّلِي، الْمُنْسُوبُ إِلَيْهِ مَشْهَدُ ابْنِ عُزُوزَةَ - «وَيَقُولُ النَّاسُ: مَشْهَدُ عُزُوزَةَ» - بِالْجَامِعِ الْأُمُوِيّ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَهُ، وَكَانَ مَشْهُودًا بِالْحَوَاصِلِ الْجَامِعِيَّةِ، وَبَنَى فِيهِ الْبِرْكَةَ، وَوَقَّفَ فِيهِ عَلَى الْحَدِيثِ دَرْسًا، وَوَقَّفَ خَزَائِنَ كُتُبٍ فِيهِ، وَكَانَ مُقِيمًا بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مِنْ خَوَاصِّ أَصْحَابِ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ، فَانْتَقَلَ إِلَى

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) فِي الذَّيْلِ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ. وَهُوَ الْمَصْدَرُ الْوَحِيدُ الَّذِي ذَكَرَ تَوْلِيهِ التَّدْرِيسَ بِتِلْكَ الْمَدَارِسِ، وَبَدَارِ الْحَدِيثِ وَالْمَشْهَدِ - أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ بِيَدِهِ إِلَّا الْمَدْرَسَةُ الْجَارُوحِيَّةُ. فَلَعَلَّ قَصْدَهُ فِي الذَّيْلِ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ بِيَدِهِ مِنَ الْمَدَارِسِ.

(٣) نَقَلَ صَاحِبُ الذَّيْلِ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ عَمَّنْ حَضَرَ وَفَاةَ الْفَخْرِ أَنَّهُ تَوَفَّى بَعْدَ صَلَاحَةِ الظَّهْرِ ثُمَّ ذَكَرَ وَفَاتَهُ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ: «وَكَانَتْ وَفَاتُهُ آخِرَ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ». وَقَدْ نَقَلَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ فِي سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ لَصَاحِبِ الذَّيْلِ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ. وَبَاقِي الْمَصَادِرِ لَمْ تَذَكَرِ الْوَقْتَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَثْنَاءَ الْيَوْمِ.

(٤) مَرَاةُ الزَّمَانِ ٦٣٢/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي)، وَالذَّيْلِ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٣٦، وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥١٠، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٩٤/٤.

(٥ - ٥) فِي م: «سَيْفُ الدِّينِ».

دمشق حين خرب سور بيت المقدس إلى أن تُوفى بها ، وقبره عند قباب أتابك
طغتكين قبلئ المصلى ، رحمه الله تعالى .

الشيخ أبو الحسن الروزبهاري^(١) ، دُفن بالمكان المنسوب إليه بين السورين
عند باب الفراديس .

الشيخ عبد الرحمن اليمنى^(٢) كان مقيماً بالمنارة الشرقية ، كان صالحاً زاهداً
ورعاً ، ودُفن بمقابر الصوفية .

الرئيس عز الدين المظفر بن أسعد بن حمزة التميمي بن القلانسي^(٣) ، أحد
رؤساء دمشق^(٤) وكبرائها ، وجدّه أبو يغلى حمزة ، له تاريخ ذيل به على ابن
عساكر^(٥) ، وقد سمي عز الدين هذا الحديث من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر
وغيره ، ولزم مجالسة الكندي^(٦) وانتفع به .

الأمير الكبير أحد حجاب الخليفة ، محمد بن سليمان^(٧) بن قتلش بن

(١) الذيل على الروضتين ص ١٣٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥١٨ .
والدراس ١٥٠/٢ ، ١٥١ وقع عنده : «الروزنهاري» .
(٢) في الأصل : «الذى» . وانظر ترجمته فى : مرآة الزمان ٦٣١/٨ (القسم الثانى) وعنده «عبد الله»
بدل «عبد الرحمن» ، والذيل على الروضتين ص ١٣٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ -
٦٢٠) ص ٥٠٣ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٣٥ .

(٤) فى الذيل على الروضتين أنه أحد رؤساء الشام .

(٥) فى الذيل أنه صاحب ذيل التاريخ لملوك الشام إلى آخر زمنه .

(٦) هو الشيخ تاج الدين الكندى ، كما فى الذيل .

(٧) معجم الأدياء ٢٠٥/١٨ وعنده «قطر مش» ، وكنيته «أبو نصر» ، والذيل على الروضتين ص

١٣٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥٠٨ وعنده «قترمش» ، والوافى

بالوفيات ١٢٥/٣ ، وبغية الوعاة ١١٥/١ وعنده مثل ما فى تاريخ الإسلام .

تَزَكَّاهُ، أَبُو^(١) منصور السَّمَرَقَنْدِيُّ، وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ الْأُمَرَاءِ، وَوَلَّى حَاجِبَ الْحُجَّابِ بِالْذِّيَّانِ الْعَزِيزِ الْخَلِيفَتِيِّ، وَكَانَ يَكْتُبُ جَيِّدًا جَدًّا، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ حَسَنَةٌ بِلُغَةٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا الْأَدَبُ وَعِلْمُ الرِّيَاضَةِ، وَعُمَرُ دَهْرًا، وَلَهُ شَعْرٌ حَسَنٌ، وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ^(٢):

سَمِئْتُ تَكَالِيفَ هَذِي الْحَيَاةِ وَكَرَّ^(٣) الصَّبَاحِ بِهَا وَالْمَسَاءِ
وَقَدْ كُنْتُ كَالطِّفْلِ فِي عَقْلِهِ^(٤) قَلِيلَ الصُّوَابِ كَثِيرَ الْهَرَاءِ
أَنَا إِذَا كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ وَأَشْهَرُ عِنْدَ دُخُولِ الْغِنَاءِ
وَقَصَّرَ خَطْبِي قَيْدُ^(٥) الْمَشِيبِ وَطَالَ عَلَيَّ مَا عَنَانِي عِنَاءِ
وَعُودِي كَالْفَرْخِ فِي عُشِّهِ وَخَلَّفْتُ حُلْمِي وَرَاءَ وَرَاءِ
وَمَا جَرَّ ذَلِكَ غَيْرُ الْبَقَاءِ فَكَيْفَ^(٦) تَرَى فَعَلَ سَوْءِ^(٧) الْبَقَاءِ
وَلَهُ أَيْضًا:

إِلَهِي يَا كَثِيرَ الْعَفْوِ عَفْرًا^(٨) لِمَا أَسْلَفْتُ فِي زَمَنِ الشَّبَابِ
فَقَدْ سَوَّدْتُ بِالْآثَامِ وَجْهَهَا ذَلِيلًا خَاضِعًا لَكَ فِي التَّرَابِ
فَبَيَّضُهُ بِحَسَنِ الْعَفْوِ عَنِّي وَسَامِخْنِي وَخَفِّفْ مِنِّي حَسَابِي^(٩)

(١) فِي م: «بَن».

(٢) انْظُرِ الذِّيلَ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٣٥، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ١٢٥/٣.

(٣) فِي م: «كَذَا».

(٤) فِي الْأَصْلِ: «غَفْلَةٌ».

(٥) فِي الْأَصْلِ: «قَبْل».

(٦ - ٧) فِي الْأَصْلِ: «تَرَى بِسَوْءِ فَعَلَ»، وَفِي م: «بَدَأَ سَوْءَ فَعَلَ»، وَفِي الْوَافِي: «تَرَى سَوْءَ فَعَلَ».

وَالْمَثْبُوتُ مِنَ الذِّيلِ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ.

(٨) فِي م: «عَفْوًا».

(٩) فِي م: «عَذَابِي».

ولما تُؤْفَى ^(١) صُلِّيَ عليه بالنَّظامية ^(٢) ، ودُفِن بالشُّونيزية .

ورآه بعضهم في المنام فقال : ما فعل بك ربُّك ؟ فقال :

تَحَاشَيْتُ ^(٣) اللَّقَاءَ لِسُوءِ فِعْلى وخوفًا فى المَعَادِ مِنَ النَّدَامَةِ
فلما أن قَدِمْتُ على إلهى وحَاقَّقَ فى الحِسَابِ على قُلامَةٍ
وكان العدلُ أن أَصْلَى جَحيماً نَعَطَّفَ بالمَكَارِمِ والكِرَامَةِ
ونادانى لسانُ العَفْوِ منه ألا يا عبدُ تَهْنِيكِ السَّلَامَةِ
أبو على الحَسَنُ بنُ أبى المَحَاسِنِ ^(٤) زُهْرَةَ بنِ الحَسَنِ ^(٥) بنِ زُهْرَةَ العَلَوِىِّ
الحُسَيْنِىِّ الحَلْبِىِّ ، نَقِيبُ الأَشْرَافِ بها ، كان لديه فَضْلٌ وعِلْمٌ بالأدبِ والعَرِيبَةِ
وأخبارِ الناسِ والتَّوَارِيخِ والسِّيَرِ والحَدِيثِ ، حَافِظًا للقرآنِ المَجِيدِ ، وله شِعْرٌ جَيِّدٌ ،
فمنه قولُه ^(٦) :

قد رَأَيْتُ المَغشُوقَ وهو مِنَ الهَجْجِ بِرِ بحالٍ تَنْبُو التَّوَاطُرُ عَنْهُ
أثرُ الدهرِ فيه آثارَ سَوءٍ وأدَالَتْ يَدُ الحَوَادِثِ مِنْهُ
عاد مُسْتَبْدَلًا ومُسْتَبْدَلًا عِزًّا بذُلٍّ كَأَنَّهُ لَمْ يَصُنَّهُ
أبو على يَحْيَى ^(٧) بنُ مُحَمَّدٍ بنِ على ^(٨) بنِ المُبَارَكِ بنِ الجَلَّاجِىِّ ^(٩) ، مِنْ أبنَاءِ

(١ - ١) زيادة من : الأصل ، م . ليست فى مصادر الترجمة .

(٢) فى الأصل : « تخافيت » .

(٣) بغية الطلب ٣٨٩/٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٧٧ ، والوفى بالوفيات ١٨/١٢ .

(٤) فى الأصل ، م : « على » . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٥) انظر بغية الطلب ٣٩٠/٥ .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته : المختصر المحتاج إليه ٣٩٤/١٥ ، والتكملة لوفيات النقلة ١٥٥/٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠) ص ٥١٥ .

(٧) فى الأصل : « الخلاخلى » .

التُّجَّارِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ جَمِيلَ الْهَيْئَةِ، يَشْكُنُ بَدَارَ الْخِلَافَةِ، وَكَانَ عِنْدَهُ
[٩/١٠] عِلْمٌ، وَلَهُ شَعْرٌ حَسَنٌ، فَمِنْهُ قَوْلُهُ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمُرِّ	وَأَيْنَ الشَّرِيكُ فِي الْمُرِّ أَيْنَا
الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي الْقَوِّ	مَ وَإِنْ غِيبْتَ كَانَ أَدْثَا وَعَيْنَا
مِثْلُ «سَرِّ الْعَقِيَانِ» ^(١) إِنْ مَسَّهُ النَّا	رُ «جَلَاةُ الْجَلَاءِ» ^(٢) فَازْدَادَ زَيْنَا
وَأَخُو السَّوْءِ إِنْ «يَغِيبُ عَنْكَ» ^(٣) يَشْتَقُّ	كَ وَإِنْ يَخْتَضِرُ ^(٤) يَكُنْ ذَاكَ شَيْنَا
جَبِيبُهُ غَيْرُ نَاصِحٍ وَمُنَاهُ	أَنْ يَصِيبَ الْخَلِيلُ إِفْكَاً وَمَيْنَا
«فَاخْشَ مِنْهُ» ^(٥) وَلَا تَلْهَفْ عَلَيْهِ	إِنَّ «عُزْمَا لَهُ» ^(٥) كَنَقْدِكَ دَيْنَا

-
- (١ - ١) فِي م : « الْعَقِيقُ ». وَسَرُّ الْعَقِيَانِ : السَّرُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : أَكْرَمُهُ وَخَالَصُهُ . وَالْعَقِيَانِ : ذَهَبٌ
مُتَكَاثِفٌ فِي مَنَاجِمِهِ ، خَالِصٌ مِمَّا يَخْتَلِطُ بِهِ مِنَ الرَّمَالِ وَالْحِجَارَةِ . الْوَسِيطُ (س ر ر) ، (ع ق ي) .
(٢ - ٢) فِي الْأَصْلِ : « جَلَاوُهُ بِالْجَلَاءِ » .
(٣ - ٣) فِي الْأَصْلِ : « تَغِيبُ عَنْهُ يَشْرِكُ وَإِنْ تَحْضُرُ » .
(٤ - ٤) فِي الْأَصْلِ : « فَاصِرُ مِنْهُ » .
(٥ - ٥) فِي الْأَصْلِ : « صَزَمَا عَلَيْهِ » .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَعَشْرِينَ وَسِتَّمِائَةٍ

فيها^(١) وَصَلَتْ سَرِيَّةٌ مِنْ جَهَةِ جُنْكُزْخَانَ غَيْرِ الْأَوَّلَيْنِ إِلَى الرَّيِّ، وَكَانَتْ قَدْ عُمِّرَتْ قَلِيلًا، فَقَتَلُوا أَهْلَهَا أَيْضًا، ثُمَّ سَارُوا إِلَى سَاوَةِ^(٢)، ثُمَّ إِلَى قُمَّ وَقَاشَانَ^(٣)، وَلَمْ تَكُنَا طَرِيقَتَا إِلَّا هَذِهِ الْمَرَّةَ، فَفَعَلُوا بِهَا مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى هَمْدَانَ، فَقَتَلُوا أَيْضًا وَسَبَّوْا، ثُمَّ سَارُوا خَلْفَ الْخُوَارَزْمِيَّةِ إِلَى أَذْرَبَيْجَانَ، فَكَبَسُوهُمْ^(٤) وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، فَهَرَبُوا مِنْهُمْ إِلَى تَبْرِيزَ، فَلَحِقَهُمْ وَكَتَبُوا إِلَى ابْنِ الْبَهْلَوَانِ: إِنْ كُنْتَ مُصَالِحًا لَنَا فَابْعَثْ إِلَيْنَا بِالْخُوَارَزْمِيَّةِ، وَإِلَّا فَأَنْتَ مِثْلُهُمْ. فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا، وَأَرْسَلَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَيْهِمْ، مَعَ تُخَفٍ وَهَدَايَا^(٥) كَثِيرَةٍ، هَذَا كُلُّهُ وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ، وَالْخُوَارَزْمِيَّةُ وَأَصْحَابُ الْبَهْلَوَانِ^(٦) أَضْعَافَ أَضْعَافِهِمْ، وَلَكِنْ أَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْخِذْلَانَ وَالْفُشْلَ، فَبَايَعُوا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وفيهَا مَلِكٌ غِيَاثُ الدِّينِ بَنْ^(٧) خُوَارَزْمِ شَاهِ بِلَادِ فَارَسَ مَعَ مَا فِي يَدِهِ مِنْ

(١) الكامل ٤١٩/١٢ - ٤٢٤، ومرة الزمان ٦٣٢/٨، ٦٣٣ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين

ص ١٤٢ - ١٤٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٥ - ٧.

(٢) ساوه: مدينة بين الري وهمدان. معجم البلدان ٢٤/٣.

(٣) في م: «قاسان». ذكر ياقوت البلدان قاسان وقاشان، وأن قاشان مدينة قرب أصفهان، وأنها تُذكر

مع قم. انظر معجم البلدان ١٣/٤، ١٥.

(٤) في م: «فكسروهم».

(٥) سقط من: الأصل.

(٦) سقط من: الأصل.

مَمْلُوكَةٍ أَصْفَهَانِ وَهَمْدَانِ .

وفيهما اشتعاد الملك الأشرف مدينة خِلاطٍ مِنْ أخيه شهاب الدين غازي ،
وكان قد جعلها إليه مع جميع بلادِ أَرَمِينِيَّةَ وَمِيَّافَارِقِينَ وَحَانِي ^(١) وَجَبِلِ جُورَ ^(٢) ،
وجعله وليَّ عهده مِنْ بعده ، فلَمَّا عَصَى عليه وَتَشَعَّبَ ^(٣) دِمَاغُهُ بِمَا ^(٤) كَتَبَ إليه
المُعْظَمُ مِنْ تَحْسِينِهِ لَهُ مُخَالَفَتَهُ ، فَرَكِبَ إليه وَحَاصِرَهُ بِخِلاطٍ ، فَسَلَّمَتْ إليه ،
وَامْتَنَعَ أَخُوهُ فِي الْقَلْعَةِ ، فلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ نَزَلَ إِلَى أَخِيهِ مُعْتَذِرًا ، فَقَبِلَ عُذْرَهُ وَلَمْ
يُعَاقِبْهُ ، بَلْ أَقَرَّهُ عَلَى مِيَّافَارِقِينَ وَحَدَّهَا ، وَكَانَ صَاحِبُ إِزْبِلَ وَالْمُعْظَمُ مُتَّفِقَيْنِ مَعَ
الشُّهَابِ غَازِي عَلَى الْأَشْرَفِ ، فَكَتَبَ الْكَامِلُ إِلَى أَخِيهِ الْمُعْظَمِ يَتَهَدَّدُهُ ، لَنْ
سَاعِدَ عَلَى الْأَشْرَفِ ^(٥) لِيَأْخُذَنَّ بِلَادَهُ ، وَكَانَ بَدْرُ الدِّينِ لُؤْلُؤُ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ
مَعَ الْأَشْرَفِ ، فَرَكِبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ إِزْبِلَ ، فَحَاصِرَهُ بِسَبَبِ قَلْعَةِ جُنْدِهِ ؛ لِأَنَّهُ
أَرْسَلَهُمْ إِلَى الْأَشْرَفِ حِينَ نَازَلَ خِلاطٍ ، فَلَمَّا انْفَصَلَتِ الْأُمُورُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا نَدِمَ
صَاحِبُ إِزْبِلَ وَالْمُعْظَمُ بِدَمَشْقٍ أَيْضًا .

وفيهما أُرْسِلَ الْمُعْظَمُ وَلَدَهُ النَّاصِرُ دَاوُدَ إِلَى صَاحِبِ إِزْبِلَ تَقْوِيَةً ^(٦) عَلَى مُخَالَفَةِ
الْأَشْرَفِ ، وَأُرْسِلَ صُوفِيًّا مِنَ الشَّمْسِيَّاتِ ^(٧) يَقَالُ لَهُ : الْمَلِكُ . إِلَى جَلَالِ الدِّينِ بْنِ
خُوارزم شاه - وَكَانَ قَدْ أَخَذَ أَذْرَبَيْجَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقَوِيَ جَأْشُهُ - يَتَّفِقُ مَعَهُ

(١) فِي الْأَصْلِ ، م : « جَاي » . وَالتَّبَيُّنُ مِنَ الْكَامِلِ . وَانْظُرْ مَعْجَمَ الْبُلْدَانِ ١٨٨ / ٢ .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، م : « حُور » . وَالتَّبَيُّنُ مِنَ الْكَامِلِ ، وَانْظُرْ مَعْجَمَ الْبُلْدَانِ ١٤٦ / ٢ .

(٣) فِي م : « تَشَعَّبَ » .

(٤) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ .

(٥ - ٥) فِي م : « لِيَأْخُذَنَّهُ بِبِلَادِهِ » .

(٦) الَّذِي فِي مَرَأَةِ الزَّمَانِ وَالذَّيْلِ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْمُعْظَمَ بَعَثَ وَلَدَهُ دَاوُدَ إِلَى صَاحِبِ
إِزْبِلَ رَهِينَةً .

(٧) فِي م : « الشَّمْسِيَّاتِ » .

على أخيه الأشرف ، فوعده النصر والرّفاة .

وفيها قديم الملك المسعود أقيسي^(١) صاحب اليمن على أبيه الكامل بالديار المصرية ، ومعه شيء كثير من الهدايا والتحف ، من ذلك مائتا خادم وثلاثة أفيلة هائلة ، وأحمال غويد ونّد ومِسْكِ وعَنْبَرٍ ، وخرج أبوه الكامل لتلقيه ، ومن ينة أقيسي أن ينتزع الشام من يد عمه المعظم .

وفيها كمل عِمارة دار الحديث الكاملية بمصر ، وولى مشيختها الحافظ أبو الخطاب بن دحية الكلبي ، وكان مكثرا ، كثير الفنون ، وعنده فوائد وعجائب ، رحمه الله تعالى .

ومن تُوفى فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن علي القادسي^(٢) الصّريّ الحنبلي ، والد صاحب «الذيل على تاريخ ابن الجوزي» ، وكان القادسي هذا يُلازم حضور مجلس الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ويُرْهِرُهُ ؛ لما يسمعه من الغرائب ، ويقول : والله إن ذا مليخ . [١٠ / ٩١ ط] فاستقرض منه الشيخ مرة عشرة دنانير ، فلم يُعْطِه ، وصار يحضُر ولا يتكلّم ، فقال الشيخ مرة : هذا القادسي لا يُقرضنا شيئا ، ولا يقول : والله إن ذا مليخ . رحمه الله تعالى ، وقد طُلب القادسي مرة إلى دار المُستَضَى ليُصلّي بالخليفة التّراويخ ، ف قيل له والخليفة يسمع : ما مذهبك ؟ فقال : حنبلي . ف قيل^(٣) له : لا تُصلّ بدار الخلافة وأنت حنبلي . فقال : أنا حنبلي ، ولا أُصلّي

(١) في الذيل على الروضتين : «أطيس» . ولم يتعرض لذكره في الكامل .

(٢) هنا وفيما يأتي : في الأصل : «الفارسي» . وانظر ترجمته في الذيل على الروضتين ص ١٤٣ ، والتكملة لوفيات النقلة ٥ / ١٩٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٥٤ .

(٣) في م : «فقال» .

بكم . فقال الخليفة : اتركوه ، لا يُصَلَّى بنا إلا هو . "فصلَّى بهم" .

أبو الكَرَمِ الْمُظَفَّرُ بْنُ الْمُبَارَكِ بْنِ أَحْمَدَ ^(٢) بْنِ مُحَمَّدٍ ^(١) الْبَغْدَادِيُّ الْحَقْفِيُّ ،
شَيْخٌ مَشْهُدٌ أَبِي حَنِيْفَةٍ وَغَيْرِهِ ، وَلِىَ الْحِشْبَةَ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ ، وَكَانَ
فَاضِلًا ذَيِّتًا ^(٣) شَاعِرًا ، وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

فَضُنُّ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ نَفْسَكَ وَاعْتَنِمَ	شَرِيفَ الْمَزَايَا لَا يَفُتُّكَ ثَوَابُهَا
تَعِشْ ^(٤) سَالِمًا وَالْقَوْلُ فَيْكَ مُهَذَّبٌ	كَرِيمًا وَقَدْ هَانَتْ عَلَيْكَ صِعَابُهَا
وَتَنْدَرِجُ الْأَيَّامُ وَالْكُلُّ ذَاهِبٌ	يُمُورُ ^(٥) وَيَقْنَى عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مَرٌّ يَوْمَ وَلِيلَةٍ	وَمَا الْعَمْرُ إِلَّا طَيْهَا وَذَهَابُهَا
وَمَا الْحَزْمُ إِلَّا ^(٦) فِي إِخَاءٍ ^(٧) عَزِيمَةٍ	فَنَيْلُ ^(٨) الْمَعَالَى صَفْوُهَا وَلُبَابُهَا
وَدَغَ عَنْكَ الْإِلَامُ ^(٩) الْأَمَانِي فَإِنَّهُ	سَيُسْفِرُ يَوْمًا غِيَّهَا وَصَوَابُهَا

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَرَجِ ^(١٠) بْنِ مَعَالَى ^(١١) بْنِ بَرَكَةَ ، الشَّيْخُ فَخْرُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالَى

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وانظر ترجمته في : التكملة لوفيات النقلة ١٨٠/٥ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٧٩ ، والجواهر المضية ٤٨٨/٣ .

(٣) في الأصل : «أديا» .

(٤) في م : «وعش» .

(٥) في م : «قليل» .

(٦ - ٦) في الأصل : «ادخار» .

(٧) في م : «وفيك» .

(٨) في م : «أحلام» .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر الترجمة : المختصر المحتاج إليه ٩٦/١٥ ، والتكملة
لوفيات النقلة ١٩٠/٥ ، وفيه : «ابن أبي المعالي» ، ومعرفة القراء الكبار ٤٨٩/٢ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٧٨ ، والوافي بالوفيات ٣١٩/٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى
للسبكي ١١٤/٨ .

المُوصِّلِي، قديم بغداد، واشتغل بالنظامية، وأعاد بها، وكانت له معرفة بالقراءات، وصنّف كتابًا في مَخارج الحُرُوف، وأَسند الحديث، وله شعر لطيف.

أبو بكر بن حلبة المَوَازِينِي البَغْدَادِي^(١)، كان فَرْدًا في علمِ الهَنْدَسَةِ وصناعة المَوَازِينِ، يَخْتَرِعُ أَشْيَاءَ غَرِيبَةً^(٢) عَجِيبَةً، مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ ثَقَّبَ حَبَّةَ خَشْخَاشٍ سَبْعَةَ ثُقُوبٍ، وَجَعَلَ فِي كُلِّ ثَقْبٍ شَعْرَةً، وَكَانَتْ لَهُ حُظُوءٌ عِنْدَ الدَّوْلَةِ.

أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ^(٣) بْنِ أَحْمَدَ^(٤) بْنِ مُحَمَّدٍ، أَبُو الْعَبَّاسِ الدُّبَيْثِيُّ^(٥) الْبَيْعِيُّ الْوَاسِطِيُّ، شَيْخٌ أَدِيبٌ فَاضِلٌ، لَهُ نَظْمٌ وَنَثْرٌ، عَارِفٌ بِالْأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ، وَعِنْدَهُ كُتُبٌ جَيِّدَةٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ شَرْحٌ قَصِيدَةٍ لِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ فِي ثَلَاثِ مُجَلَّدَاتٍ، وَقَدْ أَوْرَدَ لَهُ ابْنُ السَّاعِي شَعْرًا حَسَنًا فَصِيحًا حُلُوءًا، لَذِيذًا فِي السَّمْعِ، لَطِيفًا فِي الْقَلْبِ.

(١) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(٢) زيادة من: الأصل.

(٣ - ٤) سقط من: الأصل. وانظر ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ١٧٩/٥، والوفاء بالوفيات ٦/٢٨٣، وفوات الوفيات ١/٦٢، وفيه وفي الوفاء أنه توفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وهي سنة ميلاده في التكملة.

(٥) في الأصل: «الزنبلي»، وفي م: «الدبيبي». والمثبت من مصادر ترجمته.

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وستمائة

فيها^(١) عاثت الخوارزمية حين قدموا مع جلال الدين بن خوارزم شاه من بلاد غزنة مَقهورين من التَّارِ إلى بلاد خُورِسْتان ونواحي العراق ، فأفسدوا فيه ، وحاصروا مُدَنَّهُ ، ونهبوا قُراه .

وفيها استَحَوذ جلال الدين بن خوارزم شاه على بلاد أذربيجان وكثير من بلاد الكُرج ، وكَسَرَ الكُرج ، وهم في سبعين ألفَ مُقاتِل ، فقتل منهم عشرين ألفاً من المُقاتِلَةِ ، واستَفْجَلَ أمرُه جدًّا ، وعَظُم شأنُه ، وفتح تَفْلِيسَ ، فقتل منها ثلاثين ألفاً . وزعم أبو شامة^(٢) أنه قتل من الكُرج سبعين ألفاً في المعركة ، وقتل من تَفْلِيسَ تمام المائة ألف ، وقد اسْتَعَلَ بهذه الغزوة عن قصدِ بَغدادَ ، وذلك أنه لما حاصر دَقوقاً^(٣) سبَّه أهلُها^(٣) ، ففتَحها قَهْرًا ، وقتل من أهلها خلقًا كثيرًا ، وخَرَّب سورَها ، وعَزَم على قصدِ [١٠ / ١٠] الخليفةِ ببغدادَ ؛ لأنه فيما زعم عَمِل على أبيه حتى هَلَكَ ، واستَوَلَّت الشُّرُ على البلادِ ، وكتب إلى المُعَظَّمِ بنِ العادلِ يَسْتَدْعِيهِ لِقِتالِ الخليفةِ ، ويُحَرِّضُهُ على ذلك ، فامْتَنَعَ المُعَظَّمُ من ذلك ، ولما عِلِم الخليفةُ بقصدِ جلال الدين بن خوارزم شاه بغدادَ انزعَجَ لذلك ، وحصَّن بغدادَ ، واستَحَدَمَ

(١) الكامل ٤٢٥/١٢ - ٤٤٩ ، ومراة الزمان ٦٣٤/٨ - ٦٣٩ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٤٤ - ١٤٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٨ - ١٢ .
(٢) الذيل على الروضتين ص ١٤٤ . وفيه أنه قتل في فتح تفلّيس سبعين ألفاً . وهو خطأ ، والصواب ثلاثون ألفاً . كما في مراة الزمان .
(٣ - ٣) في الأصل : « سنة » .

الجُيُوشَ والأَجُنَادَ، وَأَتَّفَقَ فِي النَّاسِ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَ جَلَالُ الدِّينِ قَدْ بَعَثَ جَيْشًا إِلَى الْكُرْجِ، فَكَتَبُوا^(١) إِلَيْهِ أَنْ أَدْرِكُنَا قَبْلَ أَنْ نَهْلِكَ عَنْ آخِرِنَا، وَبَغْدَادُ مَا تَفُوتُ. فَسَارَ إِلَيْهِمْ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا ذَكَرْنَاهُ.

وَفِيهَا كَانَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِالْعِرَاقِ وَالشَّامِ بِسَبَبِ^(٢) قَلَةِ الْأَمْطَارِ وَانْتِشَارِ الْجَرَادِ، ثُمَّ أَغْقَبَ ذَلِكَ فَنَاءً كَثِيرٌ بِالْعِرَاقِ وَالشَّامِ أَيْضًا، مَاتَ بِسَبَبِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ فِي الْبُلْدَانِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وفاة الخليفة الناصر لدين الله وخلافة ابنه الظاهر^(٣)

لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ آخِرُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ تُوُفِّيَ الْخَلِيفَةُ النَّاصِرُ لَدَيْنِ اللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُسْتَضَيِّ بِأَمْرِ اللَّهِ^(٤) أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ الْمُسْتَجِدِّ بِاللَّهِ^(٥) أَبِي الْمُظَفَّرِ يَوْسُفَ بْنِ الْمُقْتَضَى لِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ^(٥) أَبِي الْعَبَّاسِ^(٥) أَحْمَدَ بْنِ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي الْقَاسِمِ

(١) فِي الْأَصْلِ: «فَبَعَثُوا».

(٢) لَمْ يَجِدْ سَبَبَ الْغَلَاءِ فِيمَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ مَصَادِرَ.

(٣) الْكَامِلُ ٤٣٨/١٢ - ٤٤٤، وَانْظُرْ تَرْجُمَةَ النَّاصِرِ فِي: الْمُخْتَصَرِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ ١٥/١٠٢، وَرَمَاةُ الزَّمَانِ ٦٣٥/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي)، وَالتَّكْمِلَةُ لَوْفِيَاتِ النُّقْلَةِ ٥/٢٤٠، وَالدَّيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ١٤٥، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٩٢/٢٢، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٨٣، وَالْوَفَايُ بِالْوَفَايَاتِ ٣١٠/٦.

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلِ، م. وَالمُثَبَّتُ مِنْ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ، وَمِمَّا سَيَأْتِي صَفْحَةُ ٢٦٣.

(٥ - ٥) فِي م: «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ».

عبد الله بن الذخيرة^(١) محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله
أبي العباس^(٢) أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله
أبي العباس أحمد بن الموفق أبي أحمد محمد بن المتوكل على الله جعفر بن
المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن عبد الله
أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب
الهاشمي العباسي ، أمير المؤمنين ، وُلِدَ ببغدادَ عاشرَ رَجَبِ سنة ثلاث وخمسين
وخمسمائة ، وتُوبِعَ له بالخِلافة بعد موت أبيه سنة خمس وسبعين ، وتُوفِّيَ في
هذه السنة وله من العمر تسع وستون سنة وشهران وعشرون يومًا ، وكانت مدة
خِلافته سبعًا وأربعين سنة إلا شهرًا ، ولم يَقُمْ أحدٌ من الخلفاء العباسيين في الخِلافة
هذه المدة الطويلة ، ولم تَطُلْ مدة أحدٍ من الخلفاء مطلقًا أكثر من المُستنصر
العبيدي ، أقام بمصرَ حاكمًا بها ستين سنة ، وقد انتظم في نسبه أربعة عشر خليفة
ووليَّ عهدٍ على ما رأيت ، وبقية الخلفاء العباسيين كلهم من أعمامه وبنى عمه ،
وكان مرضه قد طال به ، وجمهوره من عسارِ البول ، مع أنه قد كان يُجَلِّبُ له
الماء من مَراحِلَ عن بغدادَ لِيَكُونَ أَضْفَى ، وشقَّ ذَكَرُه مراتٍ بسبب ذلك ، ولم
يُغْنِ عنه هذا الحَذَرُ^(٣) شيئًا ، وكان الذي وليَ غَسَلَه مُحْيِي الدين يوسف بن
الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، وصُلِّيَ عليه ودُفِنَ في دارِ الخِلافة ، ثم نُقِلَ إلى
الثَّربِ من الرِّصافة في ثاني ذى الحِجَّة من هذه السنة ، وكان يومًا مشهودًا .

قال ابن الساعي : أما سيرته فقد تقدَّمت في الحوادث . وأما ابن الأثير في

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) في الأصل : « الحدث »

« كامله » فإنه قال^(١) : وبقي الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلاً عن الحركة بالكلية ، وقد ذهبت إحدى عينيه ، والأخرى يُبصرُ بها إِبْصارًا ضَعِيفًا ، وآخر الأمرِ أصابه دوسنطارية عشرين يومًا ومات ، ووزر له عِدَّةُ وزراء ، وقد تقدَّم ذكرهم ، ولم يُطْلَقْ في أيامِ مرضه ما كان أخذته^(٢) من الرسومِ الجائرة ، وكان قَبِيحَ السَّيْرَةِ في رَعِيَّتِهِ ظالمًا لهم ، فخرَّب في أيامه العراق ، وتفرَّق أهله في البلاد ، وأخذ أموالهم وأملاكهم ، وكان يَفْعَلُ الشَّيْءَ وضدَّه ؛ فَمِنْ ذلك أنه عمِلَ دُورَ الإفطارِ في رمضانَ ودُورًا لضيافةِ الحُجَّاجِ ، ثم أبطل ذلك ، وكان قد أسقط [١٠ / ١٠] مَكُوسًا ثم أعادها ، وجعل جُلَّ همِّه في رَمِي البُنْدُقي ، والطَّيُورِ المناسيبِ ، وسراويلاتِ الفُتُوَّةِ .

قال ابنُ الأثير^(٣) : وإن كان ما يَنْسِبُهُ العَجَمُ إليه صحيحًا مِنْ أنه هو الذي أَطْمَعَ النَّصارَى في البلادِ وراسلهم ، فهو الطَّامَّةُ الكبرى التي يَصْغُرُ عندها كُلُّ ذَنْبٍ عَظِيمٍ .

قلتُ : وقد ذُكِرَ عنه أَشْيَاءُ غَرِيبَةٌ ؛ مِنْ ذلك أنه كان يَقُولُ للرسلِ الوافدين عليه : فَعَلْتُمْ في مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، وفي المَوْضِعِ الفُلَانِيِّ كَذَا . حتى ظَنَّ بعضُ الناسِ أو أكثرهم أنه كان يُكاشِفُ ، أو أن جَنِيًّا يَأْتِيهِ بِذلك^(٤) . واللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) الكامل ١٢ / ٤٤٠ .

(٢) في الأصل : « أخذته » .

(٣) المصدر السابق ١٢ / ٤٤٠ .

(٤) رجح هذا الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٨٧ ، وسير

أعلام النبلاء ٢٥ / ١٩٦ ، ١٩٧ .

(١) خلافة الظاهر بن الناصر

لما تُوفِّي الخليفة الناصر لدين الله كان قد عهد إلى ابنه أبي نصر محمد هذا ، ولقبه بالظاهر ، وخطب له على المنابر ، ثم عزله عن ذلك بأخيه علي ، فتُوفِّي في حياة أبيه سنة ثنتي عشرة ، فاحتاج إلى إعادة هذا إلى ولاية العهد ، فخطب له ثانيًا ، فحين تُوفِّي أبوه بُيع له بالخلافة ، وعمره يومئذ ثنتان وخمسون سنة ، فلم يَلِ الخلافة أحدٌ من بنى العباس أسنُّ منه ، وكان عاقلاً وقوراً دَيِّناً عادلاً مُحْسِناً ، ردَّ مظالم كثيرة ، وأسقط مَكُوسًا كان قد أخذها أبوه ، وسار في الناس سيرة حسنة ، حتى قيل : إنه لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز أعَدَلُ منه لو طالت مدته . لكنه لم يَحُلْ عليه الحول ، بل كانت مدته تسعة أشهر ، أسقط الخراج الماضي عن الأراضى التى قد تعطلت ، ووضع عن أهل بلدة واحدة - وهى بعقوبا - سبعين ألف دينار كان أبوه قد زادها عليهم فى الخراج ، وكانت صنجةُ الخَزَنِ تزيد على صنجةِ البلد نصف دينار فى كلِّ مائة إذا قبضوا ، وإذا أقْبَضُوا دفعوا بصنجةِ البلد ، فكتب إلى الديوان : ﴿ وَبَلِّغِ الْمُطَفِّينَ ① الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ④ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ⑥ ﴾ [المطففين : ١ : ٦] فكتب إليه بعضُ الكتاب يقول : يا أمير المؤمنين ، إن تفاوت هذا عن العام الماضى خمسة وثلاثون ألفاً . فأرسل يُنكِرُ عليه ويقول : هذا يترك وإن كان تفاوته ثلاثمائة ألف

(١) الكامل ١٢ / ٤٤١ ، ومرة الزمان ٦٣٦ / ٨ (القسم الثانى) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٦٢١ - ٦٣٠) ص ١١ .

وخمسين ألفاً . رحمه الله تعالى .

وأمر القاضى أن كلَّ مَنْ ثَبَتَ لَهُ حَقٌّ بِطَرِيقٍ شَرْعِيٍّ يُوصَلُّ إِلَيْهِ بِلا مُرَاجَعَةٍ ،
وأقام فى النَّظَرِ على الأموالِ الحَشْرِيَّةِ ^(١) رجلاً صالحاً ، واشتَخَصَ على القَضَاءِ
الشيخَ العَلَّامةَ عِمَادَ الدِّينِ أبا صالحٍ نصرَ بنَ عبدِ الرَّزَّاقِ بنِ الشيخِ عبدِ القادرِ
الجيليِّ ، الحنبليِّ ، فى يومِ الأربعاءِ ثامنِ ذى الحِجَّةِ ، وكان من خيارِ المسلمين ومن
خيارِ القَضَاءِ العادِلين ، رَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعين . ولما عُرضَ عليه القَضَاءُ لم يَقْبَلْهُ إلا
بشرطٍ أن يُورَثَ ذَوَى الأَرْحامِ ، فقال : أعطِ كلَّ ذى حَقٍّ حَقَّهُ ، واتَّقِ اللهَ ولا
تَتَّقِ سِوَاهُ . وكان من عادةِ أبيه أن يَرْفَعَ إِلَيْهِ حُرَّاسُ الدُّرُوبِ فى كلِّ صَبَاحٍ بما كان
عندهم فى الحِمَالِ مِنَ الاجتماعاتِ الصالحةِ والطالحةِ ، فلما ولى الظاهرُ أمرَ بِنَبْطِيلِ
ذلك كُلِّهِ وقال : أىُّ فائدةٍ فى كشفِ أحوالِ الناسِ وهتِكِ أَسْتارِهِمْ؟! فقليلٌ له :
إن تركَ ذلكَ يُفْسِدُ الرِّعْيَةَ . فقال : نحن [١١٠/١١٠] ندْعُو اللهَ لَهُمُ أن يُصْلِحَهُمْ .
وأطلقَ مَنْ كان فى السجونِ مُعْتَقَلاً على الأموالِ الدِّيوانِيَّةِ ، وردَّ عليهم ما كان
استُخْرِجَ منهم قَبْلَ ذلكَ مِنَ المَظالِمِ ، وأرْسَلَ إلى القاضى بِعَشْرَةِ آلافِ دِينَارٍ يُوفَّى
بها دُيُونُ مَنْ فى سجونِهِ مِنَ المَدِينينَ الذينَ لا يَجِدُونَ وَفَاءً . وفَرَّقَ فى العُلَماءِ بَقِيَّةَ
المائَةِ أَلْفٍ ^(٢) ، وقد لَامَهُ بعضُ الناسِ فى هذه التَّصَرُّفاتِ فقال : إِنَّمَا فَتَحْتُ الدُّكَانَ
بَعْدَ العَصْرِ ، فَذَرُونى أَعْمَلُ صالِحاً وَأَفْعَلُ خَيْرَ ، فكم مَقْدارُ ما بَقِيَْتُ أَعِيشُ؟ ولم
تَزَلْ هذه سِيرَتُهُ حَتَّى تُوفِّى فى العامِ الآتِى كما سَيَأْتِى . وَرَخَّصَتِ الأَسْعازُ فى
أَيامِهِ ، وقد كانت قَبْلَ ذلكَ فى غايَةِ الشَّدَّةِ والعَلَاءِ ، حَتَّى إِنَّهُ فىما حَكَى ابنُ

(١) فى م : « الجردة » . وانظر ما تقدم فى ٢٨٧/١٥ .

(٢) ذلك أنه تصدق وأنفق فى ليلة الفطر أو النحر - على خلاف ما فى الكامل والسير - مائة ألف دينار
على العلماء وأهل الدين . انظر الكامل ٤٤٤/١٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٢٦٥ .

الأثير^(١) - أُمِّكَلَتِ الْكِلاَبُ وَالسَّنَانِيْرُ وَالْمَيْتَاتُ بِيلاَدِ الْجَزِيْرَةِ وَالْمَوْصِلِ ، فزَال ذَلِك
فِي أَيَّامِهِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ، وَكَانَ هَذَا الْخَلِيفَةُ الظَّاهِرُ حَسَنَ الشَّكْلِ ، مَلِيحَ الْوَجْهِ ،
أَبْيَضَ مُشْرِبًا حُمْرَةً ، حُلُوَ الشَّمَائِلِ ، شَدِيدَ الْقُوَى .

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ - الْمَلَقْبُ بِالْمَلِكِ الْأَفْضَلِ - نَوْرُ الدِّينِ بَنُ السُّلْطَانِ صَلَاحِ
الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ^(٢) ، كَانَ وَلِيَّ عَهْدِ أَبِيهِ ، وَقَدْ مَلَكَ دِمَشْقَ بَعْدَهُ مَدَّةَ
سَنْتَيْنِ ، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْهُ عَمُّهُ الْعَادِلُ ، ثُمَّ كَادَ أَنْ يَمْلِكَ الدِّيَارَ الْمَصْرِيَّةَ بَعْدَ أَخِيهِ
الْعَزِيزِ عَثْمَانَ ، فَأَخَذَهَا مِنْهُ أَيْضًا عَمُّهُ الْعَادِلُ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ اقْتَصَرَ عَلَى صَرْحَدَ ،
فَأَخَذَهَا مِنْهُ عَمُّهُ الْعَادِلُ ، ثُمَّ آلَ بِهِ الْحَالُ أَنْ مَلَكَ سُمَيْسَاطَ ، وَبِهَا تُؤْفَى فِي هَذِهِ
السَّنَةِ ، وَكَانَ فَاضِلًا شَاعِرًا ، جَيِّدَ الْكِتَابَةِ ، وَنُقِلَ إِلَى مَدِينَةِ حَلَبَ فَدُفِنَ
بِظَاهِرِهَا ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ خَلِّكَانَ^(٣) أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ
لَدَيْنَ اللَّهِ يَشْكُو إِلَيْهِ عَمَّهُ أَبَا بَكْرٍ وَأَخَاهُ عَثْمَانَ ، وَكَانَ النَّاصِرُ شَيْعِيًّا مِثْلَهُ فَقَالَ :

مَوْلَايَ إِنْ أَبَا بَكْرٍ وَصَاحِبَهُ	عَثْمَانٌ قَدْ غَضَبَا بِالسَّيْفِ حَقًّا عَلَى
وَهُوَ الَّذِي كَانَ قَدْ وَلَّاهُ وَالِدُهُ	عَلَيْهِمَا فَاسْتَقَامَ الْأَمْرُ حِينَ وَلِيَ
فَخَالَفَاهُ وَحَلَّاهُ عَقْدَ بَيْعَتِهِ	وَالْأَمْرُ بَيْنَهُمَا وَالنَّصُّ فِيهِ جَلِي
فَانْظُرْ إِلَى حَظِّ هَذَا الْإِسْمِ كَيْفَ لَقِيَ	مِنْ الْأَوَاخِرِ مَا لَاقَى مِنَ الْأَوَّلِ

(١) الكامل ٤٤٧/١٢ .

(٢) الكامل ٤٢٨/١٢ ، ومِرَاةُ الزَّمَانِ ٦٣٧/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٢٠٨/٥ ،
والذيل على الروضتين ص ١٤٥ ، ووفيات الأعيان ٤١٩/٣ ، ونهاية الأرب ١٣٧/٢٩ ، وسير أعلام
النبلاء ٢٩٤/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٢٣ .

(٣) وفيات الأعيان ٤٢٠/٣ .

الأمير سيف الدين علي بن الأمير علم الدين بن سليمان بن جندري^(١) ،
 وكان من أكابر الأمراء بحلب ، وله الصدقات الكثيرة ، ووقف بها مدرستين ؛
 إحداهما على الشافعية ، والأخرى على الحنفية ، وبنى الخانات والقناطر وغير
 ذلك من سبل الخيرات والغزوات ، رحمه الله .

الشيخ علي الكزدئي المؤله^(٢) المقيم بظاهر باب الجابية . قال الشيخ أبو
 شامة^(٣) : وقد اختلفوا فيه ؛ فبعض الدماشقة يزعم أنه كان صاحب كرامات ،
 وأنكر ذلك آخرون وقالوا : ما رآه أحد يصلي^(٤) ولا يصوم^(٥) ولا لبس مداسا ، بل
 كان يدوس الثجاسات ،^(٦) ويدخل المسجد على حاله^(٧) . وقال آخرون : كان له
 تابع من الجن يتحدث على لسانه .

وحكى السبط^(٨) عن امرأة قالت : جاء خبر عن أُمى باللاذقية أنها ماتت ،
 وقال لي بعضهم : إنها لم تمت . قالت : فمررت به وهو قاعد عند المقابر ،
 فوقف عندة ، فرفع رأسه وقال : ماتت ماتت ، أئش تعملين ؟ فكان كما قال .
 قال : وحكى لي عبد الله صاحبي قال : جعت^(٩) يوما وما كان معي شيء ،

(١) في الأصل : « حيدر » . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٦٣٧/٨ ، (القسم الثاني) ، والذيل على
 الروضتين ص ١٤٥ . وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١١٩ .

(٢) مرآة الزمان ٦٣٨/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٤٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث
 ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٢٦ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٤٦ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥ - ٥) في الأصل : « ويول على ثيابه » وانظر الذيل على الروضتين ص ١٤٦ .

(٦) مرآة الزمان ٦٣٨/٨ (القسم الثاني) .

(٧) في م : « صبحت » . وانظر الذيل على الروضتين ص ١٤٦ .

فاجْتَرَتْ به ، فدفعَ إلى نصفِ درهمٍ وقال : يَكْفِي هذا للخبزِ والعنبريس^(١) .

قال : ودخل يوماً على الخطيبِ جمال^(٢) الدين الدَّوْلَعِي فقال له : يا شيخُ عليّ ، قد أَكَلْتُ اليومَ كُسِيرَاتِ يَابَسَةٍ ، وشَرِبْتُ عليها الماءَ ، فكفّنتني . فقال له الشيخُ [١١ / ١٠ ط] عليّ الكُرْدِيُّ : وما تَطْلُبُ نفسك شيئاً آخرَ غيرَ هذا ؟ قال : لا . فقال : يا مِسْكِينُ ، مَنْ يَقْنَعُ بِكُسْرَةٍ يَابَسَةٍ يَحْبِسُ نفسه في هذه المَقْصُورَةِ^(٣) ، ولا يَقْضِي ما فرضه الله عليه من الحجِّ !

الفَخْرُ ابنُ تَيْمِيَّةَ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي القاسمِ بنِ محمدٍ ، الشيخُ فخرُ الدين أبو عبد الله بنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِي^(٤) ، عالمها^(٥) ومُفْتِيها^(٦) وخطيبها وواعظها ، اشتغل على مذهب الإمام أحمد ، وبرع فيه وبرز وحصل ، وجمع تفسيراً حافلاً في مُجَلَّدَاتٍ كثيرة ، وله الخطبُ المشهورةُ المنسوبةُ إليه ، وهو عمُّ الشيخِ مَجْدِ الدين صاحبِ « المُتَقَى » في الأحكام ، قال أبو المظفر سبطُ ابنِ الجوزي^(٧) : سمعته يومَ جمعةٍ بعدَ الصلاة وهو يعِظُ الناسَ يُنْشِدُ :

أحبابنا قد نذرت مُقْلَتِي ما تَلْتَقِي بالنومِ أو^(٨) نَلْتَقِي
رفقاً بقلبٍ مُعْزَمٍ واغْطِفُوا على سِقَامِ الجسدِ المحرقِ

(١) في م : « الفت بدبس » ، وفي الذيل على الروضتين : « السعتربس » . والمثبت موافق لما في مرآة الزمان .

(٢) في الأصل : « كمال » .

(٣) بعده في الأصل : « ويحصر نفسه هذا الحصر » .

(٤) التكملة لوفيات النقلة ٢٠٦/٥ ، والذيل على الروضتين ص ١٤٦ ، ووفيات الأعيان ٣٨٦/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٣٣ .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٤٦ .

(٧) في الأصل : « إذ » .

كم تَمُطِّلُونِي بِلِيَالِي اللَّقَا قد ذَهَبَ العَمْرُ وَلَمْ نَلْتَقِ
وقد ذَكَرْنَا أَنَّهُ قَدِيمَ بَغْدَادَ حَاجًّا بَعْدَ وَفَاةِ شَيْخِهِ أَبِي الفَرَجِ بْنِ الجَوْزِيِّ،
ووعَظَ بِهَا فِي مَكَانِ شَيْخِهِ^(١).

الوزيرُ ابنُ شُكْرِ، صَفِيُّ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الخَالِقِ
ابنِ شُكْرِ^(٢)، وُلِدَ بِالْديَارِ المِصْرِيَّةِ بِدَمِيرَةٍ^(٣) بَيْنَ مِصْرَ والإِسْكَندَرِيَّةِ سَنَةَ أَرْبَعِينَ
وخمسمائة، وَدُفِنَ بِتَرْبِيَّتِهِ عِنْدَ مَدْرَسَتِهِ بِمِصْرَ، وَقَدْ وَزَرَ لِلْمَلِكِ العَادِلِ، وَعَمِلَ
أَشْيَاءَ^(٤) فِي أَيَّامِهِ، مِنْهَا تَبْلِيغُ جَامِعِ دِمَشْقَ، وَأَحَاطَ سُورَ المُصَلَّى عَلَيْهِ، وَعَمِلَ
الفَوَّارَةَ وَمَسْجِدَهَا وَعِمَارَةَ جَامِعِ المِزَّةِ، وَقَدْ نُكِبَ وَغُزِلَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ
وَسِتِّمِائَةَ، وَبَقِيَ مَغْزُولًا إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَانَتْ فِيهَا وَفَاتُهُ، وَقَدْ كَانَ مَشْكُورَ
السَّيْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: كَانَ ظَالِمًا. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ المُظَفَّرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ، المَعْرُوفُ بِابْنِ البَزْنِيِّ،
الوَاعِظُ البَغْدَادِيُّ^(٥)، أَخَذَ الفَنَّ عَنْ شَيْخِهِ أَبِي الفَرَجِ بْنِ الجَوْزِيِّ، وَسَمِعَ
الحَدِيثَ الكَثِيرَ، وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ فِي الزَّهْدِ:

(١) فِي م: «وعظه».

(٢) مَرَاةُ الزَّمَانِ ٦٧٧/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٥/٢٣٤، والذيل على الروضتين ص ١٤٧، ونهاية الأرب ٢٩/١٣٠، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٢٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٠٩، والوفاء بالوفيات ١٧/٣٢٧.

(٣) دَمِيرَةُ: قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ بِمِصْرَ قَرِبَ دِمَاطَ، وَهِيَ دَمِيرَتَانِ إِحْدَاهُمَا تَقَابِلُ الأُخْرَى عَلَى شَاطِئِ النِّيلِ فِي طَرِيقٍ مِنْ يَرِيدِ دِمَاطَ. وَمِصْرَ: الفسْطَاط. مَعْجَمُ البُلْدَانِ ٢/٩٠٢، ٣/٨٩٦.

(٤) فِي الأَصْلِ: «أَنْشَاء».

(٥) تَارِيخُ إِرْبِلِ ١/١٥٥، وَتَكْمِلَةُ الإِكْمَالِ لِابْنِ نَقِطَةَ ١/٣٧٦، وَالتَّكْمِلَةُ لَوْفِيَّاتِ النُّقْلَةِ ٥/٢٠٢، وَتَارِيخُ الإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٩٩، وَالْوَفَاءُ بِالْوَفِيَّاتِ ٦/١٤٧، وَالذَّيْلُ عَلَى طَبَقَاتِ الحَنَابِلَةِ ٢/١٤٩.

ما هذه الدنيا بدارٍ مَسْرَّةٍ فتَحَوُّفِي مَكْرًا لَهَا وَخِداً
 بينا الفَتَى فيها يُسَرُّ بِنَفْسِهِ وبِمَالِهِ يَسْتَمْتِعُ اسْتِمْتاعاً
 حتى سَقَتَهُ مِنَ المَنِيَّةِ شَرْبَةً وَحَمَتَهُ مِنْهُ ^(١) بَعْدَ ذَاكَ رِضَاعاً
 فَعَدَا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهِينَةً لَا يَسْتَطِيعُ لِمَا عَرَاهُ دِفَاعاً
 لو كَانَ يَنْطِقُ قَالٍ مِنَ تَحْتِ الثَّرَى فَلْيُحْسِنِ العَمَلَ الفَتَى مَا اسْطَاعَا
 البَهَاءُ السُّنْجَارِيُّ، أَبُو السَّعَادَاتِ أَسْعَدُ بْنُ يَحْيَى ^(٢) بْنِ مُوسَى، الْفَقِيهُ
 الشَّافِعِيُّ الشَّاعِرُ، قَالَ ابْنُ خُلَّكَانَ ^(٣): كَانَ فَقِيْهًا، وَتَكَلَّمَ فِي الْخِلَافِ، إِلَّا أَنَّهُ
 غَلَبَ عَلَيْهِ الشَّعْرُ، فَأَجَادَ فِيهِ، وَاشْتَهَرَ بِهِ، وَخَدَمَ بِهِ الْمُلُوكَ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ الْجَوَائِزَ،
 وَطَافَ الْبِلَادَ، وَلَهُ دِيْوَانٌ بِالثُّزْبَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ بِدَمَشَقَ، وَمِنْ رَقِيْقِ شَعْرِهِ وَرَائِقُهُ قَوْلُهُ:
 وَهَوَاكَ مَا خَطَرَ السُّلُوْ بِبَالِهِ وَلَأَنْتَ أَغْلَمُ فِي الْغَرَامِ بِحَالِهِ
 وَمَتَى وَشَى وَاشِ إِلَيْكَ بِأَنَّهُ سَالٍ هَوَاكَ فَذَاكَ مِنْ عُدَّالِهِ
 أَوْلَيْسَ لِلْكَلِفِ الْمَعْنَى شَاهِدٌ مِنْ حَالِهِ يُغْنِيكَ عَنْ تَسْأَلِهِ
 جَدَّدْتَ ثَوْبَ سَقَامِهِ وَهَتَكَتَ سَتَ رَ غَرَامِهِ وَصَرَمْتَ حَبْلَ وَصَالِهِ
 وَهِيَ قَصِيْدَةٌ طَوِيلَةٌ امْتَدَحَ فِيهَا قَاضِي الْقَضَاةِ كَمَالَ الدِّينِ الشَّهْرَزُورِيَّ.
 وَلَهُ:

لَلَّهِ أَيَّامِي عَلَى رَامَةٍ وَطَيْبُ أَوْقَاتِي عَلَى حَاجِرٍ

(١) فِي م: «فِيهِ».

(٢) فِي النسخ «مُحَمَّد». وَالمُثَبِّتُ مِنْ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ؛ خَرِيْدَةُ الْقَصْرِ (قِسْمُ شَعْرَاءِ الشَّامِ) ٢/ ٤٠١، وَالتَّكْمِلَةُ لَوْفِيَاتِ النَّقْلَةِ ٥/ ٢٠٥، وَبَغِيَّةُ الطَّلَبِ ٤/ ٧١، وَوَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ١/ ٢١٤، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٢٢/ ٣٠٢، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٠١، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسَّبْكِ ٨/ ١٢٩.

(٣) وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ١/ ٢١٤.

تَكَادُ لِلشُّرْعَةِ فِي مَرِّهَا أَوَّلُهَا يَعْثُرُ بِالْآخِرِ
وكانت وفاته في هذه السنة عن تسعين سنة .

عثمانُ بنُ عيسى بنِ دُرْبَاسِ بنِ فَيْرٍ^(١) بنِ جَهْمِ بنِ عُبدُوسِ الهذباني
المَارَانِيُّ ضِيَاءُ الدِّينِ ، أَخُو الْقَاضِي صَدْرِ الدِّينِ عَبْدِ الْمَلِكِ حَاكِمِ الدِّيَارِ [١٠/١٢
المصرية في الدولة الصَّلاحية ، وَضِيَاءُ الدِّينِ هَذَا هُوَ شَارْحُ « الْمُهَذَّبِ » ،
وَصَلَ فِيهِ إِلَى كِتَابِ الشَّهَادَاتِ فِي نَحْوِ مِنْ عَشْرِينَ مُجَلَّدًا ، وَشَرَحَ « اللَّمَعَ » فِي
أَصُولِ الْفَقْهِ وَ« التَّنْبِيْهِ » لِلشُّيرَازِيِّ ، وَكَانَ بَارِعًا عَالِمًا بِالْمَذْهَبِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ
تعالى .

أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الرَّازِيُّ ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ الْوَاعِظُ^(٢) ، عِنْدَهُ فَضَائِلُ ،
وَلَهُ شَعْرٌ حَسَنٌ ، فَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي الزُّهْدِ :

اسْتَعِدِّي يَا نَفْسُ لِلْمَوْتِ وَاسْعِي لِنَجَاةٍ فَالْحَازِمُ الْمُسْتَعِدُّ
قَدْ تَبَيَّنَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيِّ خُلُودٌ وَلَا مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ
إِنَّمَا أَنْتَ مُسْتَعِيرَةٌ مَا سَوْ فِ تَرْدِّينَ وَالْعَوَارِي تُرَدُّ
أَنْتِ تَسْهِيْنِ وَالْحَوَادِثُ لَا تَسُدُّ هُوَ وَتَلْهِيْنِ وَالْمَنَايَا تَجَدُّ

(١) في م : « قسر » . وانظر ترجمته في : التكملة لوفيات النقلة ١٣٦/٣ ، ووفيات الأعيان ٢٤٢/٣ ،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠) ص ٩٧ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/
٣٣٧ ، ومروءة الجنان ٣/٤ .

وجاءت وفاته في هذه المصادر سنة ثنتين وستمائة ، ولعل المصنف أراد أن يترجم لابنه إبراهيم بن
عثمان ، فهو الذي توفي في هذه السنة ، أي سنة ثنتين وعشرين وستمائة .

وانظر ترجمة ابنه في : التكملة لوفيات النقلة ٢٤٧/٥ ، وتاريخ إربل ٢١٥/١ ، وسير أعلام النبلاء
٢٢/٢٩٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٩٨ .

(٢) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

لا تُرَجِّى البَقَاءَ فِي مَعْدِنِ المَوِ تِ "وَدَارِ حُتُوفُهَا لَكَ" وَرَدُّ
أَيُّ مُلْكٍ فِي الأَرْضِ أَمْ أَيُّ حَظٍّ لَامِرِيَّ حَظُّهُ مِنَ الأَرْضِ لَحْدُ
كَيْفَ يَهْوَى امْرُؤٌ لَذَاذَةً أَيَّ إِمٍ عَلَيْهِ الأنْفَاسُ فِيهَا تُعَدُّ
أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ ^(١) الزَيْتُونِيِّ البَوَازِيجِيِّ ^(٢) ثُمَّ البَغْدَادِيُّ،
شَيْخٌ فَاضِلٌ، لَهُ رِوَايَةٌ، وَمَا أَنْشَدَهُ:

ضَيِّقُ العَذْرِ فِي الضَّرَاعَةِ أَنَا لَوْ قَنِعْنَا بِقَسَمِنَا لَكَفَانَا
مَا لَنَا نَعْبُدُ العِبَادَ إِذَا كَانَ إِلَى اللَّهِ فَقَرْنَا وَغِنَانَا
أَبُو الفَضْلِ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ ^(٣) نَصْرِ اللَّهِ ^(٤) بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مَنْصُورٍ بْنِ الكَيَّالِ
الوَاسِطِيِّ، مِنْ بَيْتِ الفَقْهِ والقَضَاءِ، وَكَانَ أَحَدَ المَعْدِّلِينَ ببَغْدَادَ، وَمِنْ شَعْرِهِ:
فَتَبًّا لَدُنْيَا لَا يَذُومُ نَعِيمُهَا تَشُرُّ يَسِيرًا ثُمَّ تُبْذِي المَسَاوِيَا
تُرِيكَ جَمَالًا ^(٥) فِي الثَّقَابِ وَزُخْرُفًا وَتُسْفِرُ عَنْ شَوْهَاءَ طَخِيَاءَ عَامِيَا
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

إِنْ كُنْتُ بَعْدَ الطَّاعِنِينَ ^(٦) تَسَامَحْتُ بِالْغَمَضِ ^(٧) أَجْفَانِي فَمَا أَجْفَانِي
أَوْ كُنْتُ مِنْ بَعْدِ الأَحِبَّةِ نَاطِرًا حُسْنًا بِإِنْسَانِي ^(٨) فَمَا أَنْسَانِي

(١ - ١) فِي م: «وَلَا أَرْضًا بِهَا لَكَ».

(٢ - ٢) فِي الأَصْل «الرَّمُوى التَّوَارِيجِي»، وَفِي م: «الرَّسُوى البَوَارِيجِي». وَالمُثَبَّتُ مِنْ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ؛ التَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النُّقْلَةِ ٢١٢/٥، وَتَارِيخُ الإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١١٢، وَالدَّبِيلُ عَلَى طَبَقَاتِ الحَنَابِلَةِ ١٦٢/٢.

(٣ - ٣) فِي الأَصْل: «نَصْر». وَلَمْ نَجِدْ لَهُ تَرْجُمَةً.

(٤) فِي م: «زُؤَاء». وَالرَّوَاءُ: الْمَنْظَرُ الْحَسَنُ.

(٥) فِي م: «الطَّاعَتِينَ».

(٦) فِي م: «بِالْفَحْص».

(٧) الإِنْسَانُ هُنَا: إِنْسَانُ الْعَيْنِ، وَهُوَ المِثَالُ الَّذِي يُرَى فِي السَّوَادِ. اللِّسَانُ (أَنْ س).

الدهر مغفور له زَلَّاثُهُ إن حاد^(١) أوطاني على أوطاني
 أبو عليّ الحسن بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن عمّار بن
 فِهْر بن وقاح الياسري^(٢)، نسبة إلى عمّار بن ياسر، شيخ بغداديّ فاضل، له
 مُصَنَّفَاتٌ في التفسير والفرائض، وله خُطَبٌ ورسائل وأشعار حسنة، وكان
 مقبول الشهادة عند الحكام.

أبو بكر^(٣) محمد بن يوسف بن الطّباخ الواسطيّ البغداديّ الصوفيّ،
 باشر بعض الولايات ببغداد، وما أنشدّه:

ما وهب الله لامرئ هبةً أحسن من عقله ومن أدبه
 هما^(٤) جمال الفتى فإن فقدنا فقدناه للحياة أجمل به
 ابن يونس شارح «التنبيه»^(٥) أبو الفضل أحمد بن الشيخ العلامة كمال
 الدين أبي الفتح موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد
 ابن سعيد بن عاصم بن عابد بن كعب بن قيس بن إبراهيم الإزبليّ الأصل، ثم
 الموصلّي، من بيت العلم بها والرياسة، اشتغل على أبيه في فنونه وعُلوّمه، فبرع
 وتقدّم ودرّس، وشرح كتاب «التنبيه»، واختصر «إحياء علوم الدين» للغزاليّ

(١) في م: «عاد».

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٠٤، والوفاء بالوفيات ١٦٨/١٢، وطبقات الشافعية للسبكي ٦٥/٧.

(٣) بعده في الأصل: «بن». وانظر ترجمته في تاريخ إربل ١٩٧/١.

(٤) في م: «نعما».

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٢١٧/٥، ووفيات الأعيان ١٠٨/١ - وجاء نسبه تاما، وفيه: «عائد» بدل «عابد» - وسير أعلام النبلاء ٢٢/٢٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٩٤، ومروءة الجنان ٢٥٠/٤، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٩/٨، وطبقات الشافعية للإسنوي ٥٧٢/٢.

مرتّين صغيرًا وكبيرًا، وكان يُدرّسُ منه .

قال ابنُ خُلُكَّانَ^(١) : وقد ولى بإزبِلَ مدرسةَ الملكِ المظفّرِ بعدَ موتِ والدى
فى سنةٍ عشرٍ وستّمائةٍ ، وكنْتُ أخضُرُ عنده وأنا صغيرٌ ، ولم أَرِ أحدًا يُدرّسُ
مثله ، ثم صار إلى بلده سنةَ سبعٍ عشرةٍ ، ومات فى يومِ الاثنينِ الرابعِ والعشرينِ
مِن ربيعِ الآخرِ مِن هذه السنةِ عن سبعٍ وأربعينِ سنةً ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

(١) وفیات الأعیان ١٠٨/١ .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة

فيها^(١) التقى الملك جلال الدين بن خوارزم شاه الخوارزمي مع الكرج، فكسروهم كسرة عظيمة، وصمد إلى أكبر معاقليهم تفليس، ففتحها عنوة، وقتل من فيها من الكفرة، وسبى ذراريهم،^(٢) ولم يتعرض لأحد من المسلمين الذين كانوا بها^(٣)، واستقر ملكه عليها، وقد كان الكرج أخذوها من المسلمين في سنة خمس عشرة وخمسمائة، وهي بأيديهم إلى الآن حتى استنفذها منهم جلال الدين هذا، فكان فتحاً عظيماً، ولله الحمد والمثنة.

وفيها سار إلى خِلَاطَ ليأخذها من نائب الملك الأشرف، فلم يتمكن من أخذها، وقاتله أهلها [١٠/١٢٠ظ] قتالاً عظيماً، فرجع عنهم بسبب اشتغاله بعصيان نائيه بمدينة كزمان وخلافه له، فسار إليه^(٣) وتركهم.

وفيها اضطلع الملك الأشرف مع أخيه المعظم، وسار إليه إلى دمشق، وقد كان المعظم مماليكاً عليه مع جلال الدين وصاحب إربل وصاحب ماردين وصاحب الروم، وكان مع الأشرف أخوه الكامل وصاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ، ثم اشتمال أخاه المعظم إلى ناحيته فقوى جانبه.

(١) الكامل ٤٥٠/١٢ - ٤٦٨، ومرة الزمان ٦٢٩/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٤٧، ١٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٣ - ١٩.
(٢) في الكامل ٤٥١/١٢: «ووصل إلى المسلمين الذين بها بعض الأذى من قتل ونهب وغيره».
(٣) في م: «إليهم».

وفيهما كان قتالٌ كبيرٌ بينَ بَرْنَسٍ^(١) أنطاكيةَ وبينَ الأُرْمَنِ، وجرتْ خُطوبٌ كثيرةٌ بينهم.

وفيهما أَوْقَعَ الملكُ جلالُ الدينِ بالثُّوكمانِ الإيوانيةَ بأسًا شديدًا، وكانوا يَقْطَعُونَ الطريقَ على المسلمين.

وفيهما قَدِمَ مُحْيِي الدينِ يوسُفُ بنُ الشَّيخِ جَمالِ الدينِ بنِ الجَوْزِيِّ مِنْ بَغدَادَ فِي الرِّسَالَةِ إِلَى الملكِ الْمُعْظَمِ بِدَمَشَقَ، وَمَعَهُ الْخَلْعُ وَالتَّشَارِيفُ لِأَوْلَادِ الْعَادِلِ مِنَ الْخَلِيفَةِ الظَّاهِرِ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَمُضْمُونُ الرِّسَالَةِ نَهْيُهُ عَنْ مُوَالَاةِ جَلالِ الدينِ بنِ خُوَارِزْمِ شاهٍ، فَإِنَّهُ خَارِجِيٌّ،^(٢) مِنْ عَزْمِهِ^(٣) قِتالُ الْخَلِيفَةِ وَأَخْذُ بَغدَادَ مِنْهُمْ، فَأَجابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَرَكِبَ الْقَاضِي مُحْيِي الدينِ بنُ الجَوْزِيِّ إِلَى الملكِ الْكاملِ بِالْديارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ قُدُومِهِ إِلَى الشَّامِ وَمِصْرَ، وَحَصَلَ لَهُ جَوَائِزُ كَثِيرَةٌ مِنَ الْمُلُوكِ، مِنْهَا كَانَ بِنَاءُ الْمَدْرَسَةِ الْجَوْزِيَّةِ بِالنَّشَّابِينَ بِدَمَشَقَ.

وفيهما وَلِيَ تَدْرِيسَ الشُّبْلِيَّةِ بِالسَّفْحِ شَمْسُ الدينِ يوسُفُ^(٤) بنُ فِرْغَلِي سِبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ بِمَرْسُومِ الملكِ الْمُعْظَمِ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ أَوَّلَ يَوْمِ الْقَضَاءِ وَالْأَعْيَانُ.

وفاةُ الْخَلِيفَةِ الظَّاهِرِ بِأَمْرِ اللَّهِ^(٥) وَخِلافةُ ابْنِهِ الْمُسْتَنْصِرِ

كَانَتْ وَفاةُ الْخَلِيفَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، يَوْمَ الْجُمُعَةِ ضُحَى الثَّلاثِ عَشَرَ مِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ: «أَفْرِيس»، وَفِي م: «إِبْرَنْش». وَالمُثَبَّتُ مِنَ الْكاملِ ١٢/٤٦٤، وَتاريخُ الْإِسْلَامِ ص ١٥.

(٢ - ٢) فِي الْأَصْلِ: «حِينَ عَزَمَ عَلَيَّ».

(٣) فِي م: «مُحَمَّد».

(٤) الْكاملِ ١٢/٤٥٦، وَمرآةُ الزَّمانِ ٨/٦٤٢ (القسمُ الثَّانِي)، وَالتَّكْمِلَةُ لوفياتِ النُّقْلَةِ ٥/٢٧٣، =

رجب من هذه السنة، أغنى سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ولم يعلم الناس بموته إلا بعد الصلاة، فدعا له الخطباء يومئذ على المنابر على عاديهم، وكانت خلافته تسعة أشهر^(١) وأربعة عشر يوماً^(٢)، وعمره ثنتان وخمسون سنة، وكان من أجود بنى العباس سيرة، وأحسنهم سريرة، وأكثرهم عطاءً، وأحسنهم منظرًا وزواءً^(٣)، ولو طالت مدته لصلحت الأمة صلاحًا كثيرًا على يديه، ولكن أحب الله تقريته وإزلافه لديه، فاختار له ما عنده وأجزل له إحسانه ورفقه، وقد ذكرنا ما اعتمده في أول ولايته من إطلاق الأموال الديوانية، ورد المظالم، وإسقاط المكوس، وتخفيف الخراج عن الناس، وأداء الديون عمّن عجز عن قضائها، والإحسان إلى العلماء والفقراء، وتولية ذوى الديانة، وقد كان كتب كتابًا لولاة الرعية، فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، اعلموا أنه ليس إمنهالنا إهمالًا، ولا إغضاؤنا احتمالًا^(٤)، ولكن لبئلوكم أيكم أحسن عملاً، وقد غفرنا لكم ما سلف من إخراج البلاد، وتشريد الرعايا، وتقيبج الشمعة^(٥)، وإظهار الباطل الجلي في صورة الحق الخفي حيلة ومكيدة، وتسمية الاستيصال والاجتياح استيفاء واستدراكًا، لأغراض انتهزتم فرصها، مختلسة من برائن ليث باسل، وأنياب أسيد مهيب، تتفقون^(٥) بالفاظ مختلفة على معنى واحد، وأنتم أمناؤه وثقاته،

= والذيل على الروضتين ص ١٤٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٢٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٦٥، والوافى بالوفيات ٩٥/٢.

(١ - ١) في الكامل «وأربعة وعشرين يومًا».

(٢) في الأصل: «رؤيا».

(٣) كذا في الأصل، م. وفي الكامل ١٢/٤٥٦: «إغفالًا».

(٤) في الأصل: «الشيعه»، وفي م: «الشرعة». والمثبت من الكامل ١٢/٤٥٧.

(٥) في الأصل: «تنفقون»، وفي م: «تنفقون». والمثبت من الكامل.

فَتَمِيلُونَ رَأْيَهُ إِلَى هَوَاكُمْ، وَتَمْرُجُونَ^(١) باطلكم بحقه، فَيُطِيعُكُمْ وَأَنْتُمْ لَهُ عَاصُونَ، وَيُؤَافِقُكُمْ وَأَنْتُمْ لَهُ مُخَالِفُونَ، وَالْآنَ قَدْ بَدَّلَ اللَّهُ بِخَوْفِكُمْ أَمْنًا، وَبِفَقْرِكُمْ غِنًى، وَبِبَاطِلِكُمْ حَقًّا، وَرَزَقَكُمْ سُلْطَانًا يُقِيلُ الْعَثْرَةَ، وَلَا يُؤَاخِذُ [١٣/١٠] إِلَّا مَنْ أَصَرَ، وَلَا يَنْتَقِمُ إِلَّا مَنْ اسْتَمَرَ، يَأْمُرُكُمْ بِالْعَدْلِ وَهُوَ يُرِيدُهُ مِنْكُمْ، وَيَنْهَاكُمْ عَنِ الْجَوْرِ وَهُوَ يَكْرَهُهُ لَكُمْ، يَخَافُ اللَّهُ تَعَالَى فَيَخَوْفُكُمْ مَكْرَهُ، وَيَرْجُو اللَّهُ تَعَالَى وَيُرْغَبُكُمْ فِي طَاعَتِهِ، فَإِنْ سَلَكَتُمْ مَسَالِكَ خُلَفَاءِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَأَمْنَائِهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَإِلَّا هَلَكْتُمْ، وَالسَّلَامُ.

وَوُجِدَ فِي دَارِهِ رِقَاعٌ مَخْتُومَةٌ^(٢) لَمْ تُفْتَحْ، فِيهَا سِعَايَاتٌ إِلَيْهِ بِسَبَبِ أَنَاسٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْوَلَاةِ وَغَيْرِهِمْ^(٣)، لَمْ يَفْتَحْهَا سَتَرًا لِلنَّاسِ وَدَرْءًا عَنْ أَغْرَاضِهِمْ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَدْ خَلَفَ مِنَ الْأَوْلَادِ عَشْرَةَ ذَكَورًا وَإِنَاثًا، مِنْهُمْ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ الَّذِي بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ، وَلُقِّبَ بِالْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ، وَغَسَلَهُ مُحَمَّدٌ الْحَيَّاطُ الْوَاعِظُ، وَدُفِنَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى الثَّرْبِ مِنَ الرُّصَافَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

خِلَافَةُ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي جَعْفَرٍ

مَنْصُورِ بْنِ الظَّاهِرِ مُحَمَّدِ بْنِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ

بُويِعَ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ مَاتَ أَبُوهُ يَوْمَ جُمُعَةٍ ثَلَاثَ عَشَرَ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، اسْتَدْعَوْا بِهِ مِنَ التَّاجِ، فَبَايَعَهُ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ مِنْ

(١) فِي الْكَامِلِ: «تَمْرُجُونَ». وَهِيَ بَمَعْنَى.

(٢ - ٣) سَقَطَ مِنْ: م.

أهلِ الحَلِّ والعَقْدِ ، وكان يوماً مشهودًا ، وكان عمره يومئذٍ خمسًا وثلاثين سنةً وخمسة أشهرٍ وأحدَ عشرَ يومًا ، وكان من أحسنِ الناسِ شكلًا وأبهاهم منظرًا ، وهو كما قال القائلُ :

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهِ وَفِي خَدِّهِ الشُّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْقَمَرُ
وَفِي نَسَبِهِ الشَّرِيفِ خَمْسَةٌ عَشَرَ خَلِيفَةً ، مِنْهُمْ خَمْسَةٌ مِنْ آبَائِهِ ، وَلَوْ أَنْزَلْنَا ،
وَتَلَقَّى هُوَ الْخِلَافَةَ عَنْهُمْ وَرِاثَةً كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَتَّفِقْ لِأَحَدٍ مِنْ
الْخُلَفَاءِ قَبْلَهُ ، وَسَارَ فِي النَّاسِ كَسِيرَةٌ أَبْيَهُ الظَّاهِرِ فِي الْجُودِ وَحَسَنِ السَّيْرِ
وَالْإِحْسَانِ إِلَى الرِّعِيَّةِ ، وَبَنَى الْمَدْرَسَةَ الْكَبِيرَةَ الْمُسْتَنْصَرِيَّةَ الَّتِي لَمْ تُبْنَ مَدْرَسَةٌ فِي
الدُّنْيَا مِثْلُهَا ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَاسْتَمَرَّ أَرْبَابُ
الْوِلَايَاتِ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَهْدِ أَبِيهِ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ
خُطِبَ لِلْإِمَامِ الْمُسْتَنْصَرِ بِاللَّهِ عَلَى الْمَنَابِرِ ، وَنُثِرَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ ،
وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَأَنْشَدَ الشُّعْرَاءُ الْمَدَائِحَ وَالْمَرَاتِي ، وَأُطْلِقَتْ لَهُمُ الْخُلُوعُ
وَالْجَوَازُ .

وَقَدِيمُ رَسُولٍ مِنْ صَاحِبِ الْمُؤَصِّلِ يَوْمَ غُرَّةِ شَعْبَانَ مَعَ الْوَزِيرِ ضِيَاءِ الدِّينِ أَبِي
الْفَتْحِ نَصْرِ اللَّهِ بْنِ الْأَثِيرِ ، فِيهَا التَّهْنِئَةُ وَالتَّغْزِيَةُ بِعِبَارَةٍ فَصِيحَةٍ بَلِيغَةٍ .

ثُمَّ إِنَّ الْمُسْتَنْصَرِ بِاللَّهِ كَانَ يُوَظَّفُ عَلَى حُضُورِ الْجُمُعَةِ رَاكِبًا ظَاهِرًا لِلنَّاسِ ،
وَإِنَّمَا مَعَهُ خَادِمَانِ وَ"رَكْبُ دَارٍ" ، وَخَرَجَ مَرَّةً وَهُوَ رَاكِبٌ ، فَسَمِعَ ضَجَّةً
عَظِيمَةً ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقِيلَ لَهُ : التَّأْذِينُ . فَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ ، وَسَعَى مَاشِيًا ، ثُمَّ

(١ - ١) فِي م : « رَاكِبُ دَارٍ » . وَالرَّكْبُ دَارٌ وَاحِدُ الرَّكْبِ دَارِيَّةٌ ، وَهُمْ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ غَاشِيَةَ السَّرَجِ
بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ عِنْدَ الرُّكُوبِ فِي الْمَوَاقِبِ . انْظُرْ صَبْحَ الْأَعْشَى ٧/٤ ، ١٢ .

صار يُذْمَنُ الْمَشَى إِلَى الْجُمُعَةِ رَغْبَةً فِي التَّوَضُّعِ وَالْخُشُوعِ ، وَيَجْلِسُ قَرِيبًا مِنَ
الإمام ، وَيَسْتَمِعُ الْخُطْبَةَ ، ثُمَّ أَصْلَحَ لَهُ الْمُطْبِقُ ، فَكَانَ يَمْنَحِي مِنْهُ إِلَى الْجُمُعَةِ ،
وَرَكِبَ فِي الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ رُكُوبًا ظَاهِرًا لِلنَّاسِ عَامَّةً ، وَلَمَّا كَانَتْ أَوَّلُ
لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ تَصَدَّقَ بِصَدَقَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الدَّقِيقِ وَالْغَنَمِ وَالتَّقَفَاتِ عَلَى الْعُلَمَاءِ
وَالْفُقَرَاءِ وَالْحَاوِيجِ ، إِعَانَةً لَهُمْ عَلَى الصَّيَامِ ، وَتَقْوِيَةً لَهُمْ عَلَى الْقِيَامِ .

وَفِي يَوْمِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ نُقِلَ تَابُوتُ أَبِيهِ الظَّاهِرِ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ
إِلَى الثَّرْبِ مِنَ الرُّصَافَةِ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ الْمُشْتَنَصِرُ يَوْمَ الْعِيدِ
صَدَقَاتٍ كَثِيرَةً وَإِنْعَامًا جَزِيلًا إِلَى الْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَةِ وَأُئِمَّةِ الْمَسَاجِدِ ، [١٠ / ١٣١ ط]
عَلَى يَدَيِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ الْجَوَازِيِّ .

وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ ^(١) أَنَّهُ كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، هَدَمَتْ شَيْئًا كَثِيرًا
مِنَ الْقُرَى وَالْقِلَاعِ بِلَادِهِمْ . وَذَكَرَ أَنَّهُ ذَبَحَ رَجُلٌ شَاةً بِلَدِهِمْ ، فَوَجَدَ لَحْمَهَا مُرًّا
حَتَّى رَأْسَهَا وَأَكَارِعَهَا ^(٢) وَمَعَالِيقَهَا وَجَمِيعَ أَجْزَائِهَا ^(٣) .

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الْخَلِيفَةُ الظَّاهِرُ كَمَا تَقَدَّمَ .

الْجَمَالُ الْمِصْرِيُّ يُونُسُ بْنُ بَدْرَانَ بْنِ فَيْرُوزَ ، جَمَالُ الدِّينِ الْمِصْرِيُّ ^(٤) ، قَاضِي
الْقَضَاةِ بِدِمَشْقَ فِي هَذَا الْحِينِ ، اشْتَغَلَ وَحَصَّلَ وَبَرَعَ ، وَاخْتَصَرَ كِتَابَ « الْأُمِّ »

(١) الكامل ٤٦٧/١٢ ، ٤٦٨ .

(٢ - ٣) سقط من : الأصل .

(٣) مرآة الزمان ٦٤٣/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/٢٦٠ ، والذيل على الروضتين ص ١٤٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٢٥٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٧٨ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٦٦ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/٤٤٧ .

للإمام الشافعي ، وله كتاب مُطَوَّلٌ في الفرائض ، وولى تَدْرِيسَ الأَمِينِيَّةِ بَعْدَ التَّقِيّ الضَّرِيرِ الذِي قَتَلَ نَفْسَهُ ، وَلَآه إِيَاها الوَزِيرُ صَفِيُّ الدِّينِ بَنُ شُكْرِ ، وَكَانَ مُعْتَنِيًا بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ وَلِيَ وَكَالَةَ بَيْتِ المَالِ بِدَمَشَقَ ، ^(١) وَتَرَسَّلَ إِلَى المُلُوكِ وَالحُلَفَاءِ عَنِ صَاحِبِ دَمَشَقَ ، ثُمَّ وَلَآه المَعْظُمُ قَضَاءَ القَضَائِ بِدَمَشَقَ ^(٢) بَعْدَ عَزْلِهِ الزَّكِّيَّ بَنَ الزَّكِّيِّ ، وَوَلَآه تَدْرِيسَ العَادِلِيَّةِ الكَبِيرَةِ حِينَ كَمَلَ بِنَاؤُهَا ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دَرَسَ بِهَا ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الأَغْيَانُ كَمَا ذَكَرْنَا . وَكَانَ يَقُولُ أَوَّلًا دَرَسًا فِي التَّفْسِيرِ حَتَّى أَكْمَلَ التَّفْسِيرَ إِلَى آخِرِهِ ، ثُمَّ تَوَفَّى عَقِبَ ذَلِكَ ، وَيُقَالُ : دَرَسَ الفَقْهَ بَعْدَ التَّفْسِيرِ . وَكَانَ يَغْتَمِدُ فِي أَمْرِ إِثْبَاتِ السَّجَلَاتِ اعْتِمَادًا حَسَنًا ، وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ بُكْرَةً وَيَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ، وَيَسْتَحْضِرُ عِنْدَهُ فِي إِيَوَانِ العَادِلِيَّةِ جَمِيعَ شُهَدَاءِ البَلَدِ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ كِتَابٌ يُثَبِّتُهُ حَضَرَ وَاسْتَدْعَى شُهوَدَهُ ، فَأَدَّوْا عَلَى الحَاكِمِ ، وَثَبَتَ ذَلِكَ سَرِيعًا ، وَكَانَ يَجْلِسُ كُلَّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ فِي الشُّبَّاكِ الكَمَالِيِّ بِمَشْهَدِ عَثْمَانَ ، فَيَحْكُمُ حَتَّى يُصَلِّيَ المَغْرِبَ ، وَرَبَّمَا مَكَثَ حَتَّى يُصَلِّيَ العِشَاءَ أَيضًا ، وَكَانَ كَثِيرَ المَذَاكِرَةِ لِلْعِلْمِ ، كَثِيرَ الاِشْتِغَالِ ، حَسَنَ الطَّرِيقَةِ ، لَمْ يُنْقَمَ عَلَيْهِ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا لِأَحَدٍ .

قَالَ أَبُو شَامَةَ ^(٣) : وَإِنَّمَا كَانَ يُنْقَمُ عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يُشِيرُ عَلَى بَعْضِ الوَرَثَةِ بِمُصَالِحَةِ بَيْتِ المَالِ ، وَأَنَّهُ اسْتَنَابَ وَلَدَهُ التَّاجَ مُحَمَّدًا ، وَلَمْ يَكُنْ مَرْضِيًّا الطَّرِيقَةَ ، وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ غَفِيْفًا فِي نَفْسِهِ نَزْهًا مَهِيْبًا . قَالَ أَبُو شَامَةَ ^(٤) : وَكَانَ يَدَّعِي أَنَّهُ قُرَشِيٌّ شَيْبِيٌّ ، فَتَكَلَّمَ النَّاسُ فِيهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ ، وَتَوَلَّى القَضَاءَ بَعْدَهُ شَمْسُ الدِّينِ

(١ - ١) سَقَطَ مِنْ : الأَصْلِ .

(٢) الذِّيلُ عَلَى الرُّوَضَتَيْنِ ص ١٤٨ .

أحمدُ بنُ الحَلِيلِيّ الحُوَيْثِيُّ^(١).

قلتُ : وكانت وفاته في ربيعِ الأولِ من هذه السّنة ، ودُفِنَ في دارِهِ التي في رأسِ دَرْبِ الرّيحانِ من ناحيةِ الجامعِ ، ولتُزِيتهِ شُباكُ شرقيّ المدرسةِ الصّدريةِ اليومَ ، وقد قال فيه ابنُ عُثَيْنٍ ، وكان هَجاهُ^(٢) :

ما قصّر المِصْرِيُّ في فعلِهِ إذ جعلَ التُّربةَ^(٣) في دارِهِ
«أراحَ للأحياءِ»^(٤) من رَجْمِهِ وأبعدَ^(٥) الأمواتِ من نارِهِ
المُعْتَمِدُ والي دِمَشقَ المَبَارِزُ إبراهيمُ^(٦) ، المَعْرُوفُ بالمُعْتَمِدِ والي دِمَشقَ ،
وكان من خيارِ الوُلاةِ وأعفَّهُم وأحسنَهُم سيرةً وأجودَهُم سريرةً ، أصلُهُ من
الموصلِ ، وقديمُ الشّامِ ، فخدمَ قُرُخْشاها بنَ شاهنشاهِ بنِ أيوبَ ، ثم استنابه البُدُرُ
مُودودُ أخو قُرُخْشاها ، وكان شِحنةَ دِمَشقَ ، فحُمِدَتِ سيرتُهُ في ذلكَ ، ثم صارَ
هو شِحنةَ دِمَشقَ أربعينَ سنةً ، فجرتَ في أيامِهِ عجائبٌ وغرائبٌ ، وكان كثيرَ
السَّخَرِ على ذَوِي الهَيْئَاتِ ، ولا سيما مَنْ كان من أبناءِ^(٧) النّاسِ وأهلِ البيوتاتِ .
وأتَّفَقَ في أيامِهِ أن رجلاً حائِكًا كان له ابنٌ صغيرٌ ، في آذانه حَلَقٌ ، فعدا عليه
رجلٌ من جيرانِهِم ، فقتله غيلةً ، وأخذ ما عليه من الحُلِيِّ ، ودفنه في بعضِ المقابرِ ،

(١) في الأصل : « النحوى » ، وفي م : « الجوينى » . والمثبت من الذيل على الروضتين .

(٢) ديوان ابن عنين ص ٢٣٨ .

(٣) في الديوان : « الحفرة » .

(٤ - ٤) في الأصل : « أراح الأحياء » ، وفي الديوان : « فخلّص الأحياء » .

(٥) في الديوان : « خلص » .

(٦) مرآة الزمان ٦٣٩/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٥٠ - وفيه : « المبارك » - وتاريخ

الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٤٦ ، والوافي بالوفيات ١٥١/٦ .

(٧) في الأصل : « بنات » .

فَاشْتَكَوْا عَلَيْهِ فَلَمْ يُقِرَّ بِشَيْءٍ، وَتَأَلَّتْ وَالدُّهُ مِنْ ذَلِكَ، وَسَأَلَتْ زَوْجَهَا أَنْ يُطَلِّقَهَا، فَطَلَّقَهَا، فَذَهَبَتْ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي قَتَلَ وَلَدَهَا، وَسَأَلَتْهُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، وَأُظْهِرَتْ لَهُ أَنَّهَا قَدْ أَحْبَبَتْهُ فَتَزَوَّجَهَا، وَمَكَثَتْ عِنْدَهُ حِينًا، ثُمَّ سَأَلَتْهُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ [١٠/١٤] عَنْ وَلَدِهَا الَّذِي اشْتَكَوْا عَلَيْهِ بِسَبَبِهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا قَتَلْتُهُ. فَقَالَتْ: أَشْتَهِي أَنْ تُرِينِي قَبْرَهُ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ. فَذَهَبَ بِهَا إِلَى قَبْرِ خَشْخَاشَةٍ^(١)، فَفَتَحَهُ فَنَظَرَتْ إِلَى وَلَدِهَا، فَاسْتَعْبِرَتْ وَقَدْ أَخَذَتْ مَعَهَا سِكِّينًا أَعَدَّتْهَا لِهَذَا الْيَوْمِ، فَضَرَبَتْهُ حَتَّى قَتَلَتْهُ، وَدَفَنْتَهُ مَعَ وَلَدِهَا فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ، فَجَاءَ أَهْلُ الْمَقْبَرَةِ، فَحَمَلُوهَا إِلَى الْوَالِي الْمُعْتَمِدِ هَذَا، فَسَأَلَهَا فَذَكَرَتْ لَهُ خَبَرَهَا، فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ مِنْهَا، وَأَطْلَقَهَا وَأَحْسَنَ إِلَيْهَا^(٢).

وَحَكَى هُوَ لِلْسَّبْطِ قَالَ^(٣): بَيْنَمَا أَنَا يَوْمًا خَارِجٌ مِنْ بَابِ الْفَرَجِ، فَإِذَا بِرَجُلٍ يَحْمِلُ طَبْلًا وَهُوَ سَكْرَانٌ، فَأَمَرْتُ بِهِ فَضَرَبَ الْحَدَّ، وَأَمَرْتُهُمْ فَكَسَرُوا الطَّبْلَ، وَإِذَا رِكْوَةٌ كَبِيرَةٌ خَمْرًا فَشَقُّوْهَا، وَكَانَ الْعَادِلُ قَدْ مَنَعَ أَنْ يُعْصَرَ خَمْرٌ وَيُحْمَلَ إِلَى دِمَشْقَ شَيْءٌ مِنْهُ بِالْكَلِيَّةِ، فَكَانَ النَّاسُ يَتَحَيَّلُونَ بِأَنْوَاعِ الْحَيَلِ وَلَطَائِفِ الْمَكْرِ. قَالَ السَّبْطُ: فَسَأَلْتُهِ: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ أَنَّ فِي الطَّبْلِ شَيْئًا. فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَمْشِي وَتَرْجُفُ سَاقَاهُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَحْمِلُ شَيْئًا ثَقِيلًا فِي الطَّبْلِ.

وَلَهُ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ غَرَائِبٌ، وَقَدْ عَزَلَهُ الْمُعْظَمُ، وَكَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْهُ، وَسَجَنَهُ فِي الْقَلْعَةِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِ سِنِينَ، وَنَادَى عَلَيْهِ فِي الْبَلَدِ، فَلَمْ يَجِبْ أَحَدٌ ذَكَرَ أَنَّهُ

(١) فِي م: «خَشْنَكَاشَةٍ». وَالْخَشْخَاشَةُ: مَكَانٌ يَدْفَنُ فِيهِ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ.

(٢) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ: «وَرَجَعْتُ إِلَى زَوْجِهَا الْأَوَّلِ» وَالَّذِي فِي الْمَصَادِرِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَ زَوْجَهَا الثَّانِي.

(٣) مَرَأَةُ الزَّمَانِ ٦٤٠/٨ الْقِسْمُ الثَّانِي.

أَخَذَ مِنْهُ حَبَّةَ خَزْدَلٍ ، وَلَمَّا مَاتَ ، رَجِمَهُ اللَّهُ ، دُفِنَ فِي تَرْبَتِهِ الْمُجَاوِرَةِ لِمَدْرَسَةِ أَبِي
عَمَرَ مِنْ شَامِهَا ^(١) « قِبْلَى السُّوقِ » ، وَلَهُ عِنْدَ تَرْبَتِهِ مَسْجِدٌ يُعْرَفُ بِهِ ، رَجِمَهُ اللَّهُ .

وَاقِفُ الشُّبْلِيَّةِ الَّتِي بِطَرِيقِ الصَّالِحِيَّةِ ، شَبْلُ الدَّوْلَةِ كَافُورُ الْحُسَامِيِّ ^(٢) ،
نَسَبُهُ إِلَى حُسَامِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ لَاجِينَ وَلَدِ سِتِّ الشَّامِ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ
مُسْتَعِجًا عَلَى عِمَارَةِ الشَّامِيَّةِ الْبَرْزَانِيَّةِ لِمَوْلَاتِهِ سِتِّ الشَّامِ ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الشُّبْلِيَّةَ
لِلْحَنْفِيَّةِ وَالْحَانَقَاةِ عَلَى الصُّوفِيَّةِ إِلَى جَانِبِهَا ، وَكَانَتْ مَنْزَلَهُ ، وَوَقَفَ الْقَنَاةَ وَالْمَصْنَعَ
وَالشَّابَاطَ ، وَفَتَحَ لِلنَّاسِ طَرِيقًا مِنْ عِنْدِ الْمَقْبَرَةِ غَرْبِيَّ الشَّامِيَّةِ الْبَرْزَانِيَّةِ إِلَى طَرِيقِ عَيْنِ
الْكِرْشِ ، وَلَمْ يَكُنِ النَّاسُ لَهُمْ طَرِيقٌ إِلَى الْجَبَلِ مِنْ هُنَاكَ ، إِنَّمَا كَانُوا يَسْلُكُونَ مِنْ
عِنْدِ مَسْجِدِ الصُّفِيِّ بِالْعُقَيْيَةِ ، رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَجَبٍ ، وَدُفِنَ
فِي تَرْبَتِهِ الَّتِي كَانَتْ مَدْرَسَةً ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى الْكِئُودِيِّ وَغَيْرِهِ .

وَاقِفُ الرُّوَاخِيَّةِ بِدَمَشَقَ وَحَلَبَ ، أَبُو الْقَاسِمِ هَبَةُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ رَوَاحَةَ ^(٣) ، كَانَ أَحَدَ التُّجَّارِ وَذَوَى الثَّرْوَةِ وَالْمُعَدِّلِينَ
بِدَمَشَقَ ، وَكَانَ فِي غَايَةِ الطُّوْلِ وَالْعُرْضِ ، وَلَا لَحِيَّةَ لَهُ ، وَقَدْ ابْتَنَى الْمَدْرَسَةَ
الرُّوَاخِيَّةَ دَاخِلَ بَابِ الْفَرَادِيسِ وَوَقَفَهَا عَلَى الشَّافِعِيَّةِ ، وَفَوَّضَ نَظَرَهَا وَتَدْرِيسَهَا
إِلَى الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ الصَّلَاحِ الشَّهْرَزُورِيِّ ، وَلَهُ بِحَلَبَ مَدْرَسَةٌ أُخْرَى مِثْلُهَا ،
وَقَدْ انْقَطَعَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ فِي الْمَدْرَسَةِ الَّتِي بِدَمَشَقَ ، وَكَانَ يَسْكُنُ الْبَيْتَ الَّذِي فِي

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ : « قِبْلَ الشَّرْقِ » .

(٢) مَرَاةُ الزَّمَانِ ٦٤٢/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي) ، وَالذَّلِيلُ عَلَى الرُّوسْتَيْنِ ص ١٥٠ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٣٧/٢٩ ،
وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٦٤ .

(٣) التَّكْمَلَةُ لَوْفَايَاتِ النُّقْلَةِ ٢٢٧/٥ ، وَالذَّلِيلُ عَلَى الرُّوسْتَيْنِ ص ١٤٩ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ
وَوَفَايَاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٣٨ ، وَالْدَّارَسُ ٢٦٥/١ . وَجَاءَتْ وَفَاتُهُ فِي التَّكْمَلَةِ وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ سَنَةَ
ثَنَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتَّمِائَةً .

إيوانها من الشرق ، ورغب فيما بعد أن يُدفن فيه إذا مات ، فلم يُمكن من ذلك ، بل دُفن بمقابر الصوفية ، وبعد وفاته شهد مُحبي الدين بن عَرَبِي الطائفي ، وتَقِي الدين خَزَعَل النَّحَوِي المصريُّ المقدسيُّ ثم الدمشقيُّ إمامَ مَشْهَدِ عَلِيٍّ ، شهدا على ابنِ رَواحَةَ بأنه عزَّل الشيخَ تَقِيَّ الدين عن هذه المدرسة ، فجرت خُطوبٌ طَوِيلَةٌ ، ولم يَنْتَظِمْ ما راموه ، ومات خَزَعَلٌ في هذه السَنة أيضًا ، فبَطَلَ ما سَلَكوهُ .

أبو محمدٍ محمودُ بنُ مَؤدودِ بنِ محمودِ بنِ بَلَدجِي الحَنَفِيَّ الموصليُّ ^(١) ، وله بها [١٠ / ١٤٤ ظ] مدرسة تُعرَفُ به ، وكان من أبناءِ التُّركِ ، وصار من مَشايخِ العلماءِ الحنَفيَّةِ ، وله دِيْنٌ مَتِينٌ ، وشعرٌ حسنٌ جيّدٌ ، فمنه قولُه :

مَنْ ادَّعى أن له حالَةً تُخْرِجُه عن مَنَهِجِ الشُّرعِ
فلا تَكُونَنَّ له صاحِبًا فإنَّهُ خُزَّةٌ ^(٢) بلا نَفْعِ
كانت وفائهُ بالموصِلِ في السَّادِسِ والعشرين من جُمادى الآخِرَةِ من هذه السَنةِ ، وله نحوٌ من ثمانين سَنَةً رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

ياقوتٌ ويقالُ له : يعقوبُ بنُ عبدِ اللهِ ، نَجيبُ الدين ^(٣) ، مولى الشيخِ تاجِ الدينِ الكِنْدِيِّ . وقد وَقَفَ عليه الشَّيْخُ الكَتَبُ التي بالخِزانَةِ بالزَّاويَةِ الشرقيَّةِ الشَّمالِيَّةِ مِن جامِعِ دِمَشقَ ، وكانت سَبعمائَةٍ وأحدًا وستين مُجَلَّدًا ، ثم على وَلَدِهِ مِن بَعْدِهِ ، ثم على العلماءِ ، فَتَمَحَّصَتْ هذه الكُتُبُ ، وبيعَ أَكثَرُها ، وقد كان ياقوتٌ هذا لديه فَضِيلَةٌ وأدبٌ وشعرٌ جيّدٌ ، وكانت وفائهُ ببَغدادَ في مُسْتَهَلِّ رَجَبٍ ، ودُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الحَيَّزُرانِ بِالقَرَبِ مِن مَشْهَدِ أُمَيَّ حَنيفَةَ . رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

(١) الجواهر المضية ٤٥٢ / ٣ .

(٢) في الأصل : « ضر » . والخزء : القذرة . اللسان (خ ر أ) .

(٣) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

ثم دَخَلَتْ سنةٌ أربعٍ وعشرين وستُمائةٍ

فيها^(١) كَاتَبَ عَامَّةُ أَهْلِ تَفْلَيْسَ الْكَرْجِ ، فَجَاءُوا إِلَيْهِمْ فَدَخَلُوهَا ، فَقَتَلُوا الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ ، وَنَهَبُوا وَسَبُّوا وَخَرَّبُوا وَأَحْرَقُوا ، وَخَرَجُوا عَلَى حِمِيَّةٍ^(٢) ، وَبَلَغَ ذَلِكَ جَلَالَ الدِّينِ ، فَسَارَ سَرِيعًا لِيُذِرَ كَهِمَهُمْ ، فَلَمْ يُذِرْ كَهِمَهُمْ .

وَفِيهَا قَتَلَتِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ أَمِيرًا كَبِيرًا مِنْ نُوَابِ جَلَالِ الدِّينِ بْنِ خُوَارَزْمِ شَاهٍ ، فَسَارَ إِلَى بِلَادِهِمْ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَخَرَّبَ مَدِينَتَهُمْ ، وَسَبَّى ذُرَارِيَهُمْ ، وَنَهَبَ أَمْوَالَهُمْ ، وَقَدْ كَانُوا ، قَبَّحَهُمُ اللَّهُ ، مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَمَّا قَدِمَ التَّنَارُ إِلَى النَّاسِ ، وَكَانُوا أَضَرَّ عَلَى النَّاسِ مِنْهُمْ .

وَفِيهَا تَوَاعَعَ جَلَالُ الدِّينِ وَطَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ التَّنَارِ ، فَهَزَمَهُمْ وَأَوْسَعَهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا ، وَسَاقَ وَرَاءَهُمْ أَيَّامًا ، فَقَتَلَهُمْ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الرَّيِّ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ طَائِفَةً قَدْ جَاءُوا الْقَصْدِيَّةَ ، فَأَقَامَ يَنْتَظِرُهُمْ ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِهِمْ مَا سَيَأْتِي فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ .

وَفِيهَا دَخَلَتِ عَسَاكِرُ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ إِلَى بِلَادِ أَدْرَبِيجَانَ ، فَمَلَكَوْا مِنْهَا مُدُنًا كَثِيرَةً ، وَغَنِمُوا أَمْوَالًا جَزِيلَةً ، وَخَرَجُوا مَعَهُمْ بِزَوْجَةِ الْمَلِكِ جَلَالِ الدِّينِ بِنْتِ طُغْرُلٍ ، وَكَانَتْ تُبَغِضُهُ وَتُعَادِيهِ ، فَأَنْزَلُوهَا مَدِينَةَ خِلَاطٍ ، وَسَيَأْتِي مَا كَانَ مِنْ خَبَرِهِمْ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) الكامل ٤٦٩/١٢ - ٤٧٤ ، و مرآة الزمان ٦٤٣/٨ - ٦٥٢ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٥١ ، ١٥٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٠ - ٢٤ .
(٢) أى خرجوا منهزمين . انظر اللسان (ح م ا) .

وفيهما قديم رسول الأئبرور ملك الفرج بالبحر إلى المعظم يطلب منه ما كان فتحه عمه الملك الناصر صلاح الدين من بلاد السواحل ، فأغلظ له المعظم في الجواب ، وقال له : قل لصاحبك ما عندى إلا السيف . والله أعلم .

وفيهما جهز الأشرف أخاه شهاب الدين غازى إلى الحج فى مخيل^(١) عظيم يحمل ثقله^(٢) ستمائة جمل ، ومعه خمسون هجيناً ، على كل هجين مملوك ، فسار من ناحية العراق ، وجاءته هدايا الخليفة إلى أثناء الطريق ، وعاد على طريقه التى حج منها .

وفيهما ولى قضاء القضاة بيغداد نجم الدين أبو المعالى عبد الرحمن بن مقبل الواسطى ، وتخلع عليه كما هى عادة الحكام ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيهما كان غلاء شديد ببلاد الجزيرة ، وقتل اللحم ، حتى حكى ابن الأثير^(٣) أنه لم يذبح بمدينة الموصل فى بعض الأيام سوى خروف واحد فى زمن الربيع . قال : وسقط فيها عاشر آذار ثلج كثير بالجزيرة والعراق مرتين ، فأهلك الأزهار وغيرها . قال : وهذا شئ لم يُعْهَدْ مثله ، والعجب كل العجب من العراق مع كثرة حره كيف [١٠ / ١٥٠] وقع فيه مثل هذا .

ومن تُوفى فيها من الأعيان :

جنگزخان^(٤) ، السلطان الأعظم عند التتار ، والد ملوكهم اليوم ، الذى

(١) فى الأصل : « تحمل » .

(٢) الثقل : متاع المسافر وحشمه .

(٣) الكامل ٤٧٣ / ١٢ .

(٤) بعده فى الأصل : « ملك التتار وهو جد ملوكهم اليوم » ، وانظر ترجمته فى : سير أعلام النبلاء ٢٢ / ٢٤٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٨٦ ، ومسالك الأبصار ٣ / ٣٨ ، والوفى بالوفيات ١٩٧ / ١١ ، والنجوم الزاهرة ٦ / ٢٦٨ ، وصبح الأعشى ٤ / ٣٠٥ ، ودائرة المعارف الإسلامية ١٢ / ٣٧٩ .

يَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ ، يَقُولُونَ : مَنْ عَظُمَ الْقَانُ إِنَّمَا يُرِيدُ هَذَا الْمَلِكُ . وَهُوَ الَّذِي وَضَعَ لَهُمْ «الْيَاسَاقَ» ^(١) الَّتِي يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا ، وَيَحْكُمُونَ بِهَا ، وَأَكْثَرُهَا مُخَالِفٌ لَشَرَائِعِ اللَّهِ تَعَالَى وَكِتَابِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ اقْتَرَحَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ ، وَتَبِعُوهُ فِي ذَلِكَ ، وَقَدْ كَانَتْ أُمُّهُ تَزْعُمُ أَنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ ، فَلِهَذَا لَا يُعْرَفُ لَهُ أَبٌ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَجْهُولُ النَّسَبِ ، وَقَدْ رَأَيْتُ مُجَلَّدًا جَمَعَهُ الْوَزِيرُ بَيْغَدَادُ عَلَاءُ الدِّينِ الْجَوْنِيُّ فِي تَرْجُمَتِهِ ^(٢) ، فَذَكَرَ فِيهِ سِيرَتَهُ ، وَمَا كَانَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَقْلِ ^(٣) السِّيَاسِيِّ وَالْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالتَّدْبِيرِ الْجَيِّدِ لِلْمَلِكِ وَالرَّعَايَا وَالْحُرُوبِ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ خَصِيصًا عِنْدَ الْمَلِكِ أَرْبَكَ خَانَ ^(٤) ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ شَابًّا حَسَنًا ، وَكَانَ اسْمُهُ أَوَّلًا تَمَرَجِي ^(٥) ، ثُمَّ لَمَّا عَظُمَ سَمَّى نَفْسَهُ جِنْكِرْخَانَ ، وَكَانَ هَذَا الْمَلِكُ قَدْ قَرَّبَهُ وَأَذْنَاهُ ، فَحَسَدَهُ عُظَمَاءُ الْمَلِكِ ، وَوَشَّوْا بِهِ إِلَيْهِ حَتَّى أَخْرَجُوهُ عَلَيْهِ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ ، وَلَمْ يَجِدْ لَهُ طَرِيقًا فِي ذَنْبٍ يَتَسَلَّطُ بِهِ عَلَيْهِ ، فَهُوَ فِي ذَلِكَ إِذْ تَغَضَّبَ الْمَلِكُ عَلَى مَمْلُوكَيْنِ صَغِيرَيْنِ فَهَرَبَا مِنْهُ ، وَلَجَّأَا إِلَى جِنْكِرْخَانَ ، فَأَكْرَمَهُمَا وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا ، فَأَخْبَرَاهُ بِمَا يُضْمِرُهُ الْمَلِكُ أَرْبَكَ خَانَ مِنْ قَتْلِهِ وَالْهَمَّ بِهِ ، فَأَخَذَ جِذْرَهُ ^(٦) وَتَحِيَّزَ بِدَوْلَةٍ ^(٧) وَاتَّبَعَهُ طَوَائِفُ مِنَ الثَّغَارِ ، وَصَارَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ أَرْبَكَ خَانَ يَنْفِرُونَ إِلَيْهِ ، وَيَفِدُونَ عَلَيْهِ ، فَيُكْرِمُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ حَتَّى قَوِيَتْ شُكْرَتُهُ ، وَكَثُرَتْ

(١) فِي م : «السياسا» . قَالَ صَاحِبُ تَاجِ الْعُرُوسِ (ي س ق) : يَسَاقُ كَسَحَابٍ ، وَرَبَّمَا قِيلَ يَسَقُ ، بِحَذْفِ الْأَلْفِ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ : يَسَاغُ بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ ، وَرَبَّمَا خَفَفَ فَحَذَفَ ، وَرَبَّمَا قَلَبَ قَافًا ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تَرْكِيبِيَّةٌ يَعْبُرُ بِهَا عَنْ وَضْعِ قَانُونِ الْمَعَامَلَةِ .

(٢) انْظُرْ مَسَالِكَ الْأَبْصَارِ ٤١/٣ ، وَصَبِيحُ الْأَعْشَى ٣٠٦/٤ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : «الْفَعْل» .

(٤) فِي الْأَصْلِ هُنَا وَفِيمَا يَأْتِي : «أَرْتَكَ خَانَ» .

(٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، م . وَفِي السَّيْرِ وَصَبِيحُ الْأَعْشَى : «تَمَرَجِينَ» . وَفِي الْكَامِلِ ٣٦١/١٢ ، وَمَسَالِكُ الْأَبْصَارِ ٤٣/٣ ، وَدَائِرَةُ الْمَعَارِفِ : «تَمُوجِينَ» . وَلَمْ تَذْكُرْهُ بَقِيَّةُ الْمَصَادِرِ .

(٦ - ٧) فِي الْأَصْلِ : «تَحَذَرُ مِنْهُ وَمِنْ دَوْلَتِهِ» .

جنوده، ثم حارب بعد ذلك أوزبك خان، فظفر به وقتله، واستحوذ على مملكته ومملكته، وأنضاف إليه غدده وعدده، وعظم أمره، وبعد صيته، وخضعت له قبائل الترك ببلاد طمغاج كلها، حتى صار يزكب في نحو ثمانمائة ألف مقاتل، وأكبر القبائل قبيلته التي هو من أصلها يقال لها: قيات^(١). ثم أقرب القبائل إليه بعدهم قبيلتان كبيرتا العدد، وهما^(٢) أويرات وقنقورات.

وكان يضطاد من السنة ثلاثة^(٣) أشهر، والباقي للحرب والحكم. قال الجويني: وكان يضرب الحلقة يكون ما بين طرفيها ثلاثة أشهر، ثم تتضايق فيجتمع فيها من أنواع الحيوانات شيء كثير لا يُحَدُّ كثرة.

ثم نشبت الحرب بينه وبين الملك جلال الدين خوارزم شاه صاحب بلاد خراسان والعراق وأذربيجان وغير ذلك من الأقاليم والممالك، فقهره جنكزخان وكسره وغلبه، واستحوذ على سائر بلاده هو بنفسه وبأولاده في أيسر مدة كما ذكرنا ذلك في الحوادث، وكان ابتداء ملك جنكزخان في سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وكان قتاله لخوارزم شاه في حدود سنة ست عشرة وستمائة، ومات خوارزم شاه في سنة سبع عشرة كما ذكرنا، فاستحوذ حينئذ على الممالك بلا منازع ولا ثمانين، وكانت وفاته في سنة أربع وعشرين وستمائة، فجعلوه في تابوت من حديد وربطوه بسلاسل وعلقوه بين جبلين هنالك، وأما كتابه «الياساق»^(٤) فإنه يُكتب في مجلدين بخط غليظ، ويُحمل على بعير

(١) في الأصل: «قياب»، وفي م: «قيان». والمثبت من مسالك الأبصار وصح الأعشى.

(٢ - ٢) في م: «أزان وقنقوران».

(٣) في الأصل: «سته». وانظر مسالك الأبصار ٤٦/٣.

(٤) في م: «الياسا».

معظم عندهم ، وقد ذكر بعضهم عنه أنه كان يضعدُ جبلاً ، ثم ينزلُ ، ثم يضعدُ ، ثم ينزلُ حتى يُعْبَى ويقَعَ مَغْشِيًّا عليه ، ويَأْمُرُ مَنْ عنده أن يَكْتُبَ ما يُلْقَى على لسانه حينئذٍ ، فإن كان هذا هكذا فالظاهرُ أن الشيطانَ كان [١٥ / ١٠ ط] ينطقُ على لسانه بما فيها .

وذكر الجويني أن بعض عُبادِهِم كان يضعدُ الجبالَ في البردِ الشديدِ للعبادة ، فسمع قائلاً يقولُ له : إنا قد ملكنا جَنْكَزْخان وذُرَيْتَه وجهَ الأرضِ . قال الجويني : فَمَشَايُخُ المغولِ يُصدِّقون بهذا ، ويأخذونه مُسلِّماً .

ثم ذكر الجويني شيئاً من « الياساق » ^(١) ، من ذلك ؛ أنه مَنْ زَنَى قُتِلَ ، مُحْصَنًا كان أو غيرَ مُحْصَنٍ ، وكذلك مَنْ لاط قُتِلَ ، وَمَنْ تَعَمَّدَ الكَذِبَ قُتِلَ ، وَمَنْ سَحَرَ قُتِلَ ، وَمَنْ تَجَسَّسَ قُتِلَ ، وَمَنْ دَخَلَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فَأَعَانَ أَحَدَهُمَا قُتِلَ ، وَمَنْ بَالَ فِي المَاءِ الواقِفِ قُتِلَ ، وَمَنْ انْعَمَسَ فِيهِ قُتِلَ ، وَمَنْ أَطْعَمَ أُسِيرًا أو سَقَاهُ أو كَسَاهُ بغيرِ إِذْنِ أَهْلِهِ قُتِلَ ، وَمَنْ وَجَدَ هَارِبًا وَلَمْ يَزِدْهُ قُتِلَ ، وَمَنْ رَمَى إِلَى أَحَدٍ شَيْئًا مِنَ المَأْكُولِ قُتِلَ ، بَلْ يُنَاوِلُهُ مِنْ يَدِهِ إِلَى يَدِهِ ، وَمَنْ أَطْعَمَ أَحَدًا شَيْئًا فَلْيَأْكُلْ مِنْهُ أَوَّلًا ، وَلَوْ كَانَ « الْمُطْعِمُ أَمِيرًا لِأَسِيرٍ » ، وَمَنْ أَكَلَ وَلَمْ يُطْعِمِ مَنْ عِنْدَهُ قُتِلَ ، وَمَنْ ذَبَحَ حَيوَانًا ذُبِحَ مِثْلُهُ ، بَلْ يَشُقُّ جَوْفَهُ ، وَيَتَنَاوَلُ قَلْبَهُ بِيَدِهِ يَسْتَخْرِجُهُ مِنْ جَوْفِهِ أَوَّلًا .

وفي هذا كُلُّهُ مُخَالَفَةٌ لَشَرَائِعِ اللَّهِ الْمُتَنَزِّلَةِ عَلَى عِبَادِهِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَمَنْ تَرَكَ الشَّرْعَ الْمُحَكَّمَ الْمُتَنَزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ ،

(١) انظر مسالك الأبصار ٣/٤٣ ، ٤٤ ، وصبح الأعشى ٤/٣١٠ - ٣١٢ .

(٢ - ٢) في م : « المطعوم أميراً لا أسيراً » .

وَتَحَاكَمَ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ الْمَنسُوخَةِ كَفَرُ ، فَكَيْفَ بَمَنْ تَحَاكَمَ إِلَى « الْيَاسَاقِ » ^(١)
 وَقَدَّمَهَا عَلَيْهِ ؟! ^(٢) مَنْ فَعَلَ ^(٣) ذَلِكَ كَفَرَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَفَحُكْمَ
 الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] . وَقَالَ تَعَالَى :
 ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
 أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

وَمِنْ آدَابِهِمُ الطَّاعَةُ لِسُلْطَانِهِمْ غَايَةَ الْإِسْطِطَاعَةِ ، وَأَنْ يَغْرِضُوا عَلَيْهِ أَبْكَارَهُمُ
 الْحِسَانَ لِيُخْتَارَ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ شَاءَ مِنْ حَاشِيَتِهِ مَا شَاءَ مِنْهُمْ ، وَمِنْ شَأْنِهِمْ أَنْ
 يُخَاطَبُوا الْمَلِكَ بِاسْمِهِ ، وَمَنْ مَرَّ بِقَوْمٍ يَأْكُلُونَ فَلَهُ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُمْ بِغَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ ،
 وَلَا يَتَخَطَّى مَوْقِدَ النَّارِ ^(٤) وَلَا طَبَقَ الطَّعَامِ ، وَلَا يَقِفُ عَلَى أُسْكُفَّةِ الْخُرْكَاهِ ^(٥) ، وَلَا
 يَغْسِلُونَ ثِيَابَهُمْ حَتَّى يَتَذَوَّ وَسَخُهَا ^(٦) ، وَلَا يُكَلِّفُونَ الْعُلَمَاءَ مِنْ كُلِّ مَا ذُكِرَ شَيْئًا
 مِنَ الْجِنَايَاتِ ، وَلَا يَتَعَرَّضُونَ لِمَالِ مَيِّتٍ ^(٧) ، وَقَدْ ذَكَرَ عَلَاءُ الدِّينِ الْجَوْنِيُّ طَرَفًا
 كَبِيرًا مِنْ أَخْبَارِ جَنْكِزْخَانَ وَمَكَارِمَ كَانَ يَفْعَلُهَا لِسَجِيَّتِهِ وَمَا أَدَّاهُ إِلَيْهِ عَقْلُهُ ، وَإِنْ
 كَانَ مُشْرِكًَا بِاللَّهِ يَغْبُدُ مَعَهُ غَيْرُهُ ، وَقَدْ قَتَلَ مِنَ الْخَلَائِقِ مَا لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا
 الَّذِي خَلَقَهُمْ ، وَلَكِنْ كَانَ الْبِدَاءُ مِنْ خُوَارَزْمِ شَاهٍ ، فَإِنَّهُ لَمَّا أَرْسَلَ جَنْكِزْخَانَ تَجَارًا
 مِنْ جِهَتِهِ مَعَهُمْ بَضَائِعَ كَثِيرَةً مِنْ بِلَادِهِ ، فَانْتَهَوْا إِلَى إِيرَانَ ، فَقَتَلَهُمْ نَائِبُهَا مِنْ جِهَةٍ
 خُوَارَزْمِ شَاهٍ ، وَهُوَ وَالِدُ زَوْجَتِهِ ^(٨) كَشْلَى خَانَ ، وَأَخَذَ جَمِيعَ مَا كَانَ مَعَهُمْ ،

(١) فِي م : « الْيَاسَا » .

(٢ - ٢) فِي الْأَصْل : « مِنْ بَعْدِ » .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْل .

(٤) الْأُسْكُفَّة : عَتَبَةُ الْبَابِ . وَالْخُرْكَاهُ : الْحِيْمَةُ الْكَبِيرَةُ . الْوَسِيطُ (س ك ف) ، وَالْمَعْجَمُ الذَّهَبِيُّ ص ٢٣٧ .

(٥) أَيْ لَا يَغْسِلُونَ ثِيَابَهُمُ الْبَتَّةَ .

(٦) فِي م : « زَوْجَةٌ » .

فَأَرْسَلَ جِنْكِرْخَانَ إِلَى خُوارِزْمَ شَاهٍ يَسْتَعْلِمُهُ هَلْ وَقَعَ هَذَا الْأَمْرُ عَنْ رِضَا مِنْهُ أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ فَأَنْكَرَهُ ، وَقَالَ لَهُ فِيمَا أُرْسِلَ إِلَيْهِ : مِنَ الْمَعْهُودِ مِنَ الْمُلُوكِ أَنَّ التَّجَارَ لَا يُقْتَلُونَ ؛ لِأَنَّهُمْ عِمَارَةُ الْأَقَالِيمِ ، وَهُمْ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ إِلَى الْمُلُوكِ التُّخَفَ وَالْأَشْيَاءَ النَّفِيسَةَ ، ثُمَّ إِنْ هَؤُلَاءِ التَّجَارَ كَانُوا عَلَى دِينِكَ ، فَقَتَلْتَهُمْ نَائِبُكَ ، فَإِنْ كَانَ أَمْرًا « أَنْكَرْتَهُ ، وَإِلَّا طَلَبْنَا بِدَمَائِهِمْ »^(١) . فَلَمَّا سَمِعَ خُوارِزْمَ شَاهٍ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ جِنْكِرْخَانَ لَمْ يَكُنْ لَهُ جَوَابٌ سِوَى أَنَّهُ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، فَأَسَاءَ التَّدْبِيرَ ، وَقَدْ كَانَ خَرِفَ وَكَبِرَتْ سُنَّتُهُ ، وَقَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ : « اتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكَوكم »^(٢) . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ جِنْكِرْخَانَ تَجَهَّزَ لِقِتَالِهِ وَأَخَذَ بِلَادِهِ ، فَكَانَ بِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى مَا كَانَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ يُشْمَعْ بِأَغْرَبِ مِنْهَا وَلَا أُبْشَعَ .

فَمِمَّا ذَكَرَهُ الْجَوْنِيُّ عَنْهُ أَنَّهُ قَدَّمَ لَهُ بَعْضُ الْفَلَاحِينَ بِالصَّيْدِ ثَلَاثَ بِطِيخَاتٍ ، [١٦ / ١٠] فَلَمْ يَتَّفِقْ أَنْ عِنْدَ جِنْكِرْخَانَ أَحَدًا مِنَ الْخَزَنَدَارِيَّةِ^(٣) ، فَقَالَ لَزَوْجَتِهِ خَاتُون : أَعْطِيهِ هَذَيْنِ الْقُرْطَيْنِ اللَّذَيْنِ فِي أُذُنَيْكَ . وَكَانَ فِيهِمَا جَوْهَرَتَانِ نَفِيسَتَانِ جَدًّا ، فَشَحَّتِ الْمَرْأَةُ بِهِمَا وَقَالَتْ : « أَنْظِرْ إِلَى غَيْرِهِ فَإِنَّ هَذَا لَا يَدْرِي مَا هُمَا . فَقَالَ لَهَا : ادْفَعِيهِمَا إِلَيْهِ فَإِنَّهُمَا لَا يَبِيتَانِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ إِلَّا عِنْدَكَ ، وَهَذَا الرَّجُلُ لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَدْعَهُ يَذْهَبُ عَنَّا » مُقْلَقَلِ الْخَاطِرِ ، وَرَبْمَا لَا يَحْصُلُ لَهُ شَيْءٌ بَعْدَ هَذَا ، وَإِنْ هَذَيْنِ لَا يُمَكِّنُ أَنَّ أَحَدًا إِذَا اشْتَرَاهُمَا إِلَّا جَاءَ بِهِمَا إِلَيْكَ . فَانْتَرَعَتْهُمَا فَدَفَعَتْهُمَا إِلَى الْفَلَاحِ ، فَطَارَ عَقْلُهُ بِهِمَا ، وَذَهَبَ بِهِمَا ، فَبَاعَهُمَا لِبَعْضِ التَّجَارِ بِأَلْفِ دِينَارٍ ،

(١ - ١) فِي م : « أَمَرْتُ بِهِ طَلَبْنَا بِدَمَائِهِمْ وَإِلَّا فَأَنْتَ تَنْكَرُهُ وَتَقْتَصُّ مِنْ نَائِبِكَ » .

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٣٠٢) ، وَالنَّسَائِيُّ (٣١٧٦) . حَسَنَ (صَحِيحُ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ ٣٦١٥) .

(٣) الْخَزَانَةُ دَارُ : رَئِيسُ الصَّنَدُوقِ . الْمَعْجَمُ الذَّهَبِيُّ ص ٢٣٨ .

(٤ - ٤) فِي م : « أَنْظِرْهُ إِلَى غَدٍ فَقَالَ : إِنَّهُ يَبِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ » .

ولم يَعْرِفَ قِيمَتَهُمَا ، فحَمَلَهُمَا التَّاجِرُ إِلَى الْمَلِكِ ، فَرَدَّهُمَا عَلَى زَوْجَتِهِ ، ثُمَّ أُنْشِدَ الْجُؤَيْنِيُّ عِنْدَ ذَلِكَ :

وَمَنْ قَالَ إِنَّ الْبَحْرَ وَالْقَطْرَ أَشْبَهَا نَدَاهُ ^(١) فَقَدْ أَتْنَى عَلَى الْبَحْرِ وَالْقَطْرِ
قال : واجتاز يوماً في سوقٍ ، فرأى عندَ بَقَّالٍ عُثَابًا ، فأعجبه لونه ومالت
نفسه إليه ، فأمرَ الحاجبَ أنْ يَشْتَرِيَ منه ببالسٍ ، فاشتَرى الحاجبُ منه بربع
بالسٍ ، فلما وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ أعجبه وقال : هذا كُلُّه ببالسٍ ؟! فقال : وبقي منه
هذا . وأشار إلى ما بقي معه مِنَ الْمَالِ ، فغَضِبَ وقال : متى يَجِدُ مَنْ يَشْتَرِي منه
مثلي ؟ تَمِّمُوا له عَشْرَةَ بَوَالِسٍ .

قالوا : وأهدى له رجلٌ جامَ ^(٢) زُجَاجٍ مِنْ مَعْمُولٍ حَلَبٍ ، فاستَحْسَنَهُ
جِنَكِرْخَانٌ ، فوهنَ أمرُهُ عِنْدَهُ بَعْضُ خَوَاصِّهِ ، وقال : خُونُدُ ^(٣) ، هذا زُجَاجٌ لَا قِيَمَةَ
له . فقال : أليس قد حَمَلَهُ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا سَالِمًا ؟ أَعْطَوْهُ مَائَتِي
بَالِسٍ .

وقيل له : إن في هذا الْمَكَانِ كَنْزًا عَظِيمًا ، فَلَوْ فَتَحْتَهُ أَخَذْتَ مِنْهُ مَالًا كَثِيرًا .
فقال : الذِي فِي أَيْدِينَا يَكْفِينَا ، وَدَعُوا هَذَا يَفْتَحْهُ النَّاسُ وَيَأْكُلُونَهُ ، فَهَمُّ أَحَقُّ بِهِ
مِنَا . وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ ^(٤) .

(١) فِي الْأَصْلِ : « يَدَاهُ » .

(٢) الْجَامُ : إِنَاءٌ لِلشَّرَابِ أَوْ الطَّعَامِ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ نَحْوِهَا . الْوَسِيطُ (ج و م) .

(٣) الْخُونُدُ : الْأَمِيرُ . الْمَعْجَمُ الذَّهَبِيُّ ص ٢٤٨ .

(٤) جَاءَ فِي حَاشِيَةِ م : وَجَدَ بِهَامِشِ التَّرْكِيَةِ مَا نَصَهُ : « هَذَا مَنْقُولٌ عَنْ ابْنِهِ قَانَ الَّذِي قَامَ مَقَامَهُ ، وَلَعَلَّهُ هُوَ
الصَّحِيحُ ؛ لِأَنَّ قَانَ هَذَا الْمَنْسُوبَ إِلَى الْكَرَمِ الْجِلِّيِّ الْعَظِيمِ وَالسَّخَاءِ الْمَفْرُطِ ، وَيَحْكِي عَنْهُ حِكَايَاتٌ عَظِيمَةٌ
فِي هَذَا الشَّأْنِ ، وَأَمَّا أَبُوهُ جِنَكِرْخَانُ فَإِنَّهُ مَتَوَسِّطٌ فِي الْجُودِ ، بَلْ وَفَى سَائِرَ سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقِهِ وَأَفْعَالِهِ إِلَّا فِي
أَمْرِ سَفْكَ الدِّمَاءِ قَبِجَهُ اللَّهُ تَعَالَى » .

قال : واشتهر عن رجل في بلاده أنه يقول : أنا أعرف موضع كنز ، ولا أقوله إلا للقان . وألح عليه الأمراء أن يُعلمهم ، فلم يفعل ، فذكروا ذلك للقان ، فأخضره على خيل الأولاق - يعنى البريد - سريعاً ، فلما حضر إلى بين يديه سأله عن الكنز ، فقال : إنما كنت أقول ذلك حيلة لأرى وجهك . فلما رأى تغير كلامه غضب وقال له : قد حصل لك ما طلبت فارجع إلى موضعك . وأمر برده سالماً ، ولم يُعطه شيئاً . قال الجويني : وهذا غريب .

قال : وأهدى له إنساناً رُمانةً ، فكسرها وفزق حبها على الحاضرين ، ثم أمر له بعدد حبها بوالس ، ثم أنشد عند ذلك :

فلذاك تزدحم الوفود ببابه مثل ازدهام الحب في الرمان
قال : وقدم عليه رجل كافراً يقول : رأيت في النوم جنكزخان يقول : قل لأبي يقتل المسلمين . فقال له : هذا كذب . وأمر بقتله ^(١) .

قال : وأمر بقتل ثلاثة قد قصت « الياسق » بقتلهم ، فإذا امرأة تبكي وتلطم . فقال : ما هذه ؟ أخضروها . فقالت : هذا ابني ، وهذا أخى ، وهذا زوجي . فقال : اختاري واحداً منهم حتى أطلقه لك . فقالت : الزوج ينجى مثله ، والابن كذلك ، والأخ لا عوض له . فاستحسن ذلك منها ، وأطلق الثلاثة لها .

قال : وكان يُحب المصارعين وأهل الشطارة ، وقد اجتمع عنده منهم جماعة ، فذكر له إنساناً بخراسان ، فأخضره ، فصرع جميع من عنده ، فأكرمه وأعطاه ، وأطلق له بنتاً من بنات المغول ^(٢) حسناء ، فمكثت عنده مدة لا يتعرض

(١) من المعروف أن جنكزخان لا يعرف له أب كما تقدم . وجاء في حاشية « م » أن هذا الخبر فيه تخطيط ، وأن الصحيح أن هذا حصل لابن جنكزخان .

(٢) في م : « الملوك » .

لها ، فاتَّفَقَ مَجِيئُهَا ^(١) زائرة بيت القان ، فجعل السلطانُ يُمازِحُها ويقولُ : كيف رأيتِ المُستَغْرِبَ ؟ فذكرت أنه لم يَقْرُبْها ، فتعَجَّبَ مِن ذلك وأخضَرَه فسأله عن ذلك فقال : يا خُونُدُ ، أنا إنما حظيْتُ [١٦/١٠ ظ] عندك بالشُّطارة ، ومتى قرَّبْتُها نَقَصْتَ مَنْزِلَتِي عندك ^(٢) .

قال : ولما اخْتُضِرَ أَوْصَى أولادَه بالاتِّفاقِ وعدمِ الافتِراقِ ، وضربَ لهم في ذلك الأمثالَ ، وأخضَرَ بين يديه نُشَابًا ، ويأخذُ السهمَ فيعطيه الواحدَ منهم ، فيَكْسِرُه ، ثم أخضَرَ حُرْمةً أخرى ودفعها مجموعةً إليهم ، فلم يُطِيقوا كسرها . فقال : هذا مثلكم إذا اجْتَمَعْتُمْ واتَّفَقْتُمْ ، وذلك مثلكم إذا انْفَرَدْتُمْ واختَلَفْتُمْ .

قال : وقد كان له عِدَّةُ أولادٍ ذُكورٍ وإناثٍ منهم أربعة هم عُظَمَاءُ الأولادِ ؛ وأكْبَرُهم تولى ، و ^(٣) هم ؛ تولى ^(٣) وباتو وبركة وتركجار ، وكان كلُّ منهم له وَظِيفَةٌ عنده . ثم تكلَّم الجُوْنِي على ملكٍ ذريته إلى زمانٍ هولاكو خان ، وهو يقولُ في اسمِه : بإذشاه ^(٤) زاده هولاكو . وذكر ما وَقَعَ في زمانِه مِنَ الأوابِدِ والأُمُورِ المُزْعِجَةِ ، كما بسَطْنَا في الحوادثِ . واللَّهُ أعلمُ .

السلطانُ الملكُ المُعْظَمُ ، عيسى بنُ العادلِ أبى بكرٍ بنِ أيوبَ ^(٥) ، ملكُ

(١ - ١) فى م : « إلى الأردوا » .

(٢) بعده فى م : « فقال لا بأس عليك ، وأخضر ابن عم له وكان مثله فأراد أن يصارع الأول فقال السلطان أنتما قرابة ولا يليق هذا بينكما وأمر له بمال جزيل » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « هرتول » ، وفى م : « هريول » . والمثبت من مسالك الأبصار ٣/٤٧ ، ٤٨ ، وصبح الأعشى ٤/٣٠٨ . والذى فى المصادر أنه خلف أربعة أولاد ذكورا .

(٤) فى م : « ياذاشاه » . وانظر دائرة المعارف الإسلامية ٥/٥٩٣ .

(٥) مرآة الزمان ٨/٦٤٤ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٥/٣١٧ ، والذيل على الروضتين ص ١٥٢ ، ووفيات الأعيان ٣/٤٩٤ ، ونهاية الأرب ٢٩/١٤٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/١٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٠٣ ، والجواهر المضية ٣/٦٨٢ .

دمشق والشام، كانت وفاته يوم الجمعة سَلَخَ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَانَ اسْتِقْلَالُهُ بِمَلِكِ دِمَشْقَ لَمَّا تُوفِّيَ أَبُوهُ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ، وَكَانَ شُجَاعًا عَاقِلًا فَاضِلًا، اشْتَغَلَ فِي الْفَقْهِ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ عَلَى الْحَصِيرِيِّ مَدْرِسِ الثَّوْرِيَّةِ، وَفِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ عَلَى الشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ الْكِندِيِّ، وَكَانَ مَحْفُوظُهُ «مُفَصَّلَ الرِّمَاحِشِيِّ»، وَكَانَ يُجِيزُ مَنْ حَفِظَهُ بِثَلَاثِينَ دِينَارًا، وَكَانَ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُجَمَعَ لَهُ كِتَابٌ فِي اللُّغَةِ يَشْمَلُ «صِحَاحَ الْجَوْهَرِيِّ»، وَ«الْجَمْهَرَةَ» لِابْنِ دُرَيْدٍ وَ«التَّهْذِيبَ» لِلْأَزْهَرِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَمَرَ أَنْ يُرْتَّبَ لَهُ «مَسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ»، وَكَانَ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَيُكْرِمُهُمْ، وَيَجْتَهِدُ فِي مُتَابَعَةِ الْخَيْرِ، وَيَقُولُ: أَنَا عَلَى عَقِيدَةِ الطَّحَاوِيِّ. وَأَوْصَى عِنْدَ وَفَاتِهِ أَنْ لَا يُكَفَّنَ إِلَّا فِي الْبَيَاضِ، وَأَنْ يُلْحَدَ لَهُ، وَيُدْفَنَ فِي الصَّحْرَاءِ، وَلَا يُنْتَنَى عَلَيْهِ، وَكَانَ يَقُولُ: وَاقِعَةُ دِمْيَاطٍ أَدْخَرُهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَرْجُو أَنْ يَوْحَمَنِي بِهَا. يَعْنِي أَنَّهُ أَبْلَى فِيهَا بَلَاءً حَسَنًا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ جُمِعَ لَهُ مِنَ الشُّجَاعَةِ^(١) وَالسَّمَاحَةِ^(٢) وَالْبِرَاعَةِ وَالْعِلْمِ وَمَحَبَّةِ أَهْلِهِ، وَكَانَ يَجِيءُ فِي كُلِّ يَوْمٍ جَمْعَةٍ إِلَى تَرْبِيَةِ وَالِدِهِ، فَيَجْلِسُ قَلِيلًا، ثُمَّ إِذَا ذَكَرَ الْمُؤَدِّنُونَ يَنْطَلِقُ إِلَى تَرْبِيَةِ عَمِّهِ صَاحِبِ الدِّينِ، فَيُصَلِّي فِيهَا الْجُمُعَةَ، وَكَانَ قَلِيلَ التَّعَاضُّمِ؛ يَزُكُّ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَحْدَهُ، ثُمَّ يَلْحَقُهُ بَعْضُ غِلْمَانِهِ سَوَاقًا، وَقَالَ فِيهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، وَهُوَ مُحِبُّ الدِّينِ بْنُ أَبِي الشَّعُودِ الْبَغْدَادِيُّ^(٣):

لئن غَوَدَرْتُ تِلْكَ الْحَاسِنُ فِي الثَّرَى بَوَالٍ فَمَا وَجَدِي عَلَيْكَ بِبَالٍ
وَمُذْ غَبَّتْ عَنِّي مَا ظَفِرْتُ بِصَاحِبٍ أَخِي ثِقَةٍ إِلَّا خَطَرْتُ بِبَالِي
وَمَلِكُ دِمَشْقَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ النَّاصِرُ دَاوُدُ بْنُ الْمُعْظَمِ، وَبَايَعَهُ الْأُمَرَاءُ.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٥٢.

أبو المعالي^(١) أسعدُ بنُ يحيى بن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب
 الفقيه الشافعي السنجاري، شيخ أديب فاضل خبير، له نظم ونثر ظريف، وله
 نوادر حسنة، وجاوز التسعين، قد استوزره صاحب حماة في وقت، وله شعر
 رائع أورد منه ابن الساعي قطعة جيدة، فمن ذلك قوله:

وهواك ما خطر السُّلُو بباله ولأنت أعلم في الغرام بحالِه
 فمتى وشى واش إليك بأنه سأل هواك فذاك من عذالِه
 أو ليس للكليف^(٢) المعنى شاهد من حالِه يُغنيك عن تسالِه
 جذدت ثوب سقامه وهتكت سُد ر غرامه وصرمت حبل وصالِه
 يا للعجائب من أسير دأبه يقدي الطليق [١٧/١٠] بنفسه وبمالِه
 وله أيضًا:

لام العواذل في هواك فأكثروا هيهات ميعاد السُّلُو المحشر
 جهلوا مكانك في القلوب فطولوا^(٣) لو أنهم وجدوا كوجدى أقصروا
 صبروا على عذب الهوى وعذابه وأخو الهوى أبداً يلام ويُعذر
 أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حمدان الطيبي^(٤)،
 المعروف بالصائغ، أحد المبيدين بالنظامية، ودرس بالثقيفة^(٥)، وكان عارفاً

(١) كذا في الأصل، م. وتقدمت ترجمته في صفحة ١٤٢، وفيها وفي مصادر ترجمته: «أبو السعادات».

(٢) في م: «للدنف».

(٣) في م: «وحاولوا».

(٤) الوافي بالوفيات ٢٣٩/١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ١٩٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٧٥/٨.

(٥) في الأصل: «بالنعبة»، وفي م: «الثقيفة». والمدرسة الثقيفية ببغداد نسبة إلى بانيتها ثقة الدولة أبي الحسن علي بن محمد الديلمي. انظر الكامل ٢٠٠/١١، وسير أعلام النبلاء ٣٠١/٢١.

بالمذهب والفرائض والحساب، صنّف شرحاً «للتنبية»، ذكره ابن الساعي .

أبو النّجم محمد بن القاسم بن «هبة الله» التّكريتي، الفقيه الشافعي، تفقّه ببغداد على أبي القاسم بن فضلان، ثم أعاد بالنّظامية، ودرّس في غيرها، وكان يشتغل كلّ يوم عشرين درساً، وليس له دأبّ إلا الاشتغال وتلاوة القرآن ليلاً ونهاراً، وكان بارعاً، كثير العلوم، قد أثقن المذهب والخلاف، وكان يُفتى في مسألة الطلاق الثلاث بواحدة، فتعيّظ عليه قاضي القضاة أبو القاسم عبد الله ابن الحسين الدّامغانى، فلم يسمع منه، ثم أُخرج إلى تكريت، فأقام بها، ثم استدعى إلى بغداد، فعاد إلى الاشتغال، وأعاده قاضي القضاة نصر بن عبد الرزاق إلى إعادته بالنّظامية، وعاد إلى ما كان عليه من الاشتغال والفتوى والوجهة إلى أن توفى في هذه السنة، رحمه الله تعالى . وهذا ذكره ابن الساعي .

(١ - ١) فى الأصل : « عبد الله » وانظر ترجمته فى : تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢١٠، والوفى بالوفيات ٣٣٩/٤.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستمائة

فيها^(١) كانت حروب كثيرة بين جلال الدين والتتار، كسروه غير مرة، ثم بعد ذلك كله كسرهم كسرة عظيمة، وقتل منهم خلقاً وأمثاً لا يُحصون كثرة، وكان هؤلاء التتار قد انفردوا وعصوا على جنكيزخان، فكتب ابن^(٢) جنكيزخان إلى جلال الدين يقول: إن هؤلاء ليسوا منا ونحن أبعدناهم، ولكن سترى منا ما لا قبل لك به.

وفيها قدمت طائفة كبيرة من الفرنج من ناحية صقلية، فنزلوا عكا وضور، وحملوا على مدينة صيدا، فانتزعوها من أيدي المسلمين، وغزوها^(٣) وقويت شوكتهم، وجاء الأنبرور ملك جزيرة قبرص، ثم سار، فنزل مدينة عكا فخاف المسلمون^(٤)، وبالله المستعان.

وركب الملك الكامل محمد بن العادل صاحب مصر إلى بيت المقدس فدخله، ثم سار إلى نابلس، فخاف الناصر داود بن المعظم من عمه الكامل، فكتب إلى عمه الأشرف، فقدم عليه جريدة^(٥)، وكتب إلى أخيه الكامل يستعطفه، ويكفه عن ابن أخيه، فأجاب الكامل بأني إنما جئت لحفظ بيت

(١) الكامل ١٢/٤٧٥ - ٤٨١، والذيل على الروشتين ص ١٥٢ - ١٥٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٥ - ٣١.

(٢) سقط من: م.

(٣) في م: «عبروها».

(٤) بعده في م: «من شره».

(٥) في الأصل: «جزيرة». والجريدة: خيل لا رجالة فيها. الوسيط (ج ر د).

المقدس وَصَوْنَهُ عَنِ الْفِرْنَجِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَخْذَهُ ، وَحَاشَى لِلَّهِ أَنْ أَحَاصِرَ أَخِي أَوْ
ابْنَ أَخِي ، وَبَعْدَ أَنْ جِئْتُ أَنْتَ إِلَى الشَّامِ ، فَأَنْتَ تَحْفَظُهَا ، وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَى الدِّيَارِ
الْمِصْرِيَّةِ . فَخِشِي الْأَشْرَفُ وَأَهْلُ الشَّامِ ^(١) إِنْ رَجَعَ الْكَامِلُ أَنْ تَمْتَدَّ أَطْمَاعُ الْفِرْنَجِ
إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَرَكِبَ الْأَشْرَفُ إِلَى أَخِيهِ الْكَامِلِ ، فَتَبَّطَهُ عَنِ الرَّجُوعِ ، وَأَقَامَا
جَمِيعًا هُنَاكَ ، جَزَاهُمَا اللَّهُ تَعَالَى خَيْرًا ، يَحْفَظَانِ جَنَابَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَنِ
الْفِرْنَجِ ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى . وَاجْتَمَعَ إِلَى الْمَلِكِ ^(٢) جَمَاعَةٌ مِنْ مُلُوكِهِمْ ، كَأَخِيهِ
الْأَشْرَفِ وَأَخِيهِمَا الشُّهَابِ غَازِي بْنِ الْعَادِلِ وَأَخِيهِمُ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ
الْعَادِلِ ، وَصَاحِبِ جِمَصَ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهِ بْنِ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ
شِيرْكُوهِ ، وَغَيْرِهِمْ ، وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى نَزْعِ النَّاصِرِ دَاوُدَ عَنْ مُلْكِ دِمَشْقَ
وَتَسْلِيمِهَا [١٠٧/١٧١ ط] إِلَى الْأَشْرَفِ مُوسَى ؛ ^(٣) لِأَجْلِ حِفْظِ الشَّامِ مِنَ الْفِرْنَجِ ،
وَسَيَأْتِي تَنْفِيزُ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٤) .

وَفِيهَا غَزَلَ الصَّدْرُ الْبَكْرِيُّ ^(٥) عَنْ حِشْبَةِ دِمَشْقَ وَمَشِيخَةِ الشُّيُوخِ ، وَوُلَّى
فِيهِمَا ^(٦) اثْنَانِ غَيْرُهُ .

قَالَ الشَّيْخُ شُهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ ^(٧) : وَفِي أَوَائِلِ رَجَبٍ تُوفِّيَ الشَّيْخُ الْفَقِيهُ
الصَّالِحُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْمُرَّاكَشِيِّ ، الْمُقِيمُ بِالْمَدْرَسَةِ الْمَالَكِيَّةِ ، وَدُفِنَ بِالْمَقْبَرَةِ
الَّتِي وَقَفَهَا الرَّئِيسُ ^(٨) خَلِيلُ بْنُ زُوَيْرَانَ قِبْلَى مَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دُفِنَ بِهَا .

(١) فِي م : « دِمَشْق » .

(٢) بَعْدَهُ فِي الْأَصْل : « الْعَادِل » .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : م .

(٤) فِي م : « التَّكْرِيتِي » . وَانْظُرِ الْمَصَادِرَ الْمُتَقَدِّمَةَ .

(٥) فِي م : « فِيهَا » .

(٦) الذِّيلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٥٣ .

(٧) فِي م : « الزَّيْن » . وَانْظُرِ الْمَصْدَرِ السَّابِقَ .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة

استهلّت هذه السنة^(١) وملوك بني أيوب مُفْتَرِقُونَ مُخْتَلِفُونَ، قد صاروا أخزأبًا وِفَرَقًا، وقد اجتمع ملوكهم إلى الكامل محمد صاحب مصر، وهو مُقِيمٌ بنَواحِي القُدسِ الشَريفِ، فقَوِيَتِ نفوسُ الفِرَنجِ، لعَنَهُمُ اللّهُ، بكثرتهم بَينَ وفَدِ إليهم مِنَ البَحْرِ، وبموتِ المُعْظَمِ واختِلافِ مَنْ بَعْدَهُ مِنَ المُلُوكِ، فَطَلَبُوا مِنَ المُسلمينَ أَنْ يَزِدُّوا إليهم ما كان الناصر صلاح الدين أَخَذَهُ مِنْهُمْ، فوَقَعَتِ المُصالَحةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُلُوكِ على أَنْ يَزِدُّوا لَهُمُ بَيْتَ المَقْدِسِ وَحَدَّهُ، وَتَبَقَى بِأَيْدِيهِمْ بَقِيَّةٌ، فَتَسَلَّمُوا القُدسَ الشَريفَ، وَكَانَ المُعْظَمُ قَدْ هَدَمَ أَسْوَارَهُ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى المُسلمينَ جَدًّا، وَحَصَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَهَنٌ شَدِيدٌ وَإِرْجَافٌ عَظِيمٌ، فَإِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. ثُمَّ قَدِمَ الكَامِلُ، فَحَاصَرَ دِمَشقَ، وَضَيَّقَ عَلَى أَهْلِهَا، فَقَطَعَ الأَنْهَارَ، وَنُهَبَتِ الحَوَاضِرُ^(٢)، وَغَلَّتِ الأَسْعَارُ، وَلَمْ يَزَلْ بِالْجُنُودِ حَوْلَهَا حَتَّى أَخْرَجَ مِنْهَا ابْنَ أَخِيهِ صَلاحَ الدِّينِ المَلِكَ النَّاصِرَ دَاوُدَ بْنَ المُعْظَمِ، عَلَى أَنْ يُقِيمَ مَلِكًا بِمَدِينَةِ الكَرْكِ والشَّوْبَلِكِ وَنَابُلُسَ^(٣) وَقَرَايَا مِنْ^(٤) العُورِ والبَلْقَاءِ، وَيَكُونَ الأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَيْتِكَ أَسْتَاذُ دَارِ المُعْظَمِ صَاحِبَ صَرْخَدَ، ثُمَّ تَقَايَضَ الأَشْرَفُ وَأَخُوهُ الكَامِلُ، فَأَخَذَ الأَشْرَفُ دِمَشقَ وَأَعْطَى أَخَاهُ حِزَّانَ والرُّهَا ورَأْسَ العَيْنِ والرَّقَّةَ

(١) الكامل ٤٨٢/١٢ - ٤٨٨، ومرة الزمان ٦٥٣/٨ - ٦٥٩ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٥٤ - ١٥٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٢ - ٣٥.

(٢) في م: «الحواصل».

(٣ - ٣) في م: «برا ما بين».

وسُروج، ثم سار الكاملُ فحاصرَ حماةَ، وكان صاحبُها الملكُ المنصورُ بْنُ تَقِيٍّ الدينِ عُمَرَ قد تُوُفِّي، وعُهِدَ بالأمرِ مِنْ بَعْدِهِ إلى أكبرِ وَلَدِهِ الْمُظَفَّرِ مُحَمَّدٍ، وهو زوجُ بنتِ الكاملِ، فاستَحْوِذَ على حماةَ أخوه صلاحُ الدينِ قَلِيحِ أَرْسَلان، فحاصره الكاملُ حتى أُنْزِلَ مِنْ قلعَتِها، وسَلِمَها إلى أخيه الْمُظَفَّرِ مُحَمَّدٍ، ثم سار فتَسَلَّمَ البلادَ التي قايضَ بها عن دمشقَ مِنْ أخيه الملكِ الْأَشْرَفِ كما ذَكَرْنَا، وكان الناسُ بدمشقَ قد اسْتَعْلَوْا بعِلْمِ الْأَوَائِلِ^(١) فِي أَيامِ الملكِ الناصرِ داوُدَ، وكان يُعاني ذلك، وربما^(٢) نَسَبَهُ بَعْضُهُمْ إلى نَوْعٍ مِنَ الانْحِلالِ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ. فنادى الملكُ الْأَشْرَفُ بِالْبُلْدانِ أَنْ لَا يَسْتَغْلِ الناسُ بِذلك، وَأَنْ يَسْتَغْلُوا بعِلْمِ التَّفْسِيرِ والحديثِ والفقهِ، وكان سيفُ الدينِ الْأَمِدِيُّ مُدَرِّسًا بِالْعَزِيزِيَّةِ، فَعَزَلَهُ عنها، وبَقِيَ مُلَازِمًا مَنْزِلَهُ حتى ماتَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ كما سَيَأْتِي.

وفِيها كان الناصرُ داوُدُ قد أَضَافَ إلى قاضِي القضاةِ شَمْسِ الدينِ بْنِ الْخَوَّيِّ^(٣) الْقاضِي مُحْيِي الدينِ^(٤) «أبا الفضائلِ» يَحْيَى بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الرُّكِّيِّ، فَحَكَمَ أَيَّامًا بِالشُّبَّاكِ، شَرْقِيَّ بابِ الكَلَّاسَةِ، ثُمَّ صارَ يَحْكُمُ بِدارِهِ، مُشَارِكًا لابنِ الْخَوَّيِّ^(٥).

وَمَنْ تُوُفِّي فِيها مِنَ الْأَعْيانِ :

(١) انظر ما تقدم صفحة ٧٦ حاشية (٨) .

(٢) فِي م : « قديما » .

(٣) فِي م : « الخولي » . وانظر المشتبه ١/١٩٣، وتبصير المنتبه ١/٣٧٦ .

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ : م . وَفِي الْأَصْلِ : « أبا المعالي » . وَالثَّبِتُ مِنَ الذَّلِيلِ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ . وَأَبُو الْمَعَالِي كُنْيَةُ

أَيُّهُ مُحْيِي الدينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ . انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١/١٥٧،

ووفيات الأعيان ٤/٢٢٩ .

أَبُو يُوْسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ صَابِرِ الْحَرَائِيِّ ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ الْمُنَجِّبِيُّ^(١) ، كَانَ
 فَاضِلًا [١٨/١٠] فِي فَنِّهِ ، وَشَاعِرًا مُطَبِّقًا ، لَطِيفَ الشَّعْرِ ، حَسَنَ الْمَعَانِي ، وَقَدْ
 أُوْرِدَ لَهُ ابْنُ السَّاعِي قِطْعَةً صَالِحَةً ، وَمِنْ أَحْسَنِ مَا أُورِدَ لَهُ قَصِيدَةٌ فِيهَا تَغْزِيَةٌ
 عَظِيمَةٌ لْجَمِيعِ النَّاسِ ، وَهِيَ قَوْلُهُ :

هَلْ لِمَنْ يَرْجُو ^(٢) الْبَقَاءَ خَلُودُ	وَسِوَى اللَّهِ كُلُّ شَيْءٍ يَبِيدُ
وَالَّذِي كَانَ مِنْ تَرَابٍ وَإِنْ عَا	شَ طَوِيلًا لِلتَّرَابِ يَعُودُ
فَمَصِيرُ الْأَنَامِ طُرًّا إِلَى مَا	صَارَ فِيهِ آبَاؤُهُمْ وَالْجُدُودُ
أَيْنَ حَوَاءِ أَيْنَ آدَمُ إِذْ فَا	تَهُمُ الْخُلْدُ وَالشَّوَى وَالْخُلُودُ
أَيْنَ هَابِيلُ أَيْنَ قَابِيلُ إِذْ هـ	ذَا لِهَذَا مُعَانِدٌ وَحَسُودُ
أَيْنَ نُوحٌ وَمَنْ نَجَا مَعَهُ بَالـ	فُلُكٍ وَالْعَالَمُونَ طُرًّا فَقِيدُ
أَسْلَمَتَهُ الْأَيَّامُ كَالطِّفْلِ لِلْمَو	تٍ وَلَمْ يُغْنِ عَمْرُهُ الْمَمْدُودُ
أَيْنَ عَادٌ بَلْ أَيْنَ جَنَّةُ عَادِ	أَمْ تَرَى أَيْنَ صَالِحٌ وَثَمُودُ
أَيْنَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي شَادَ بَيْتَ الْـ	لَّهِ فَهُوَ الْمَعْظَمُ الْمَقْصُودُ
حَسَدُوا يُوسُفًا أَخَاهُمْ فَكَادُوا	هُ وَمَاتَ الْحَسُودُ ^(٣) وَالْمَحْسُودُ
وَسَلِيمَانُ فِي الثُّبُورَةِ وَالْمَلِكُ	لِكِ قَضَى مِثْلَ مَا قَضَى دَاوُدُ
فَغَدَوْا بَعْدَ مَا أُطِيعَ لِذَا الْخُلْدِ	قُ وَهَذَا لَهُ أَلَيْنَ الْحَدِيدُ
وَابْنُ عِمْرَانَ بَعْدَ آيَاتِهِ التَّسـ	عِ وَشَقُّ الْخِصَمِّ فَهُوَ صَعِيدُ

(١) التكملة لوفيات النقلة ٥ / ٣٦١ ، ووفيات الأعيان ٧ / ٣٥ ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ٢٦٢ ،

وسير أعلام النبلاء ٢٢ / ٣٠٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٧١ .

(٢) في الأصل : « يُرْجَى » .

(٣) في م : « الحاسد » .

والمسيح ابن مريم وهو روح الله كادت تقضى عليه اليهود
وقضى سيد النبيين والها دى إلى الحق أحمد المحمود
وبنوه وآله الطاهرون الزر هر صلى عليهم المعبود
ونجوم السماء منتثرات بعد حين وللها زكود
ولنار الدنيا التي توقد الصخر ر خمود وللماه جمود
وكذا للثرى غداة يؤم الن س منها تزلزل وهمود
هذه الأبهاث^(١) نار وترب وهواء رطب وماء برود
سوف تقنى كما فينا فلا يف قى من الخلق والد ووليد
لا الشقى الغوى من نوب الأي ام ينجو ولا السعيد الرشيد
ومتى سلت المنايا سيوفاً فالموالى حصيدها والعبيد
الملك المسعود أقسيس بن الكامل صاحب اليمن^(٢)، وقد ملك مكة من
سنة تسع عشرة، فأحسن بها المغدلة، ونفى الزيدية منها، وأمنت الطرقات
والحجاج، ولكنه كان مشرفاً على نفسه، فيه عسف وظلم أيضاً. وكانت وفاته
بمكة، ودفن^(٣) بباب المغلى^(٣).

محمد السبتي النجار^(٤)، كان يعده بعضهم من الأبدال، قال أبو شامة:

(١) في م: «الأمهات».

(٢) مرآة الزمان ٦٥٨/٨ (القسم الثاني) والذيل على الروضتين ص ١٥٨، ونهاية الأرب ١٥٧/٢٩، وسير أعلام النبلاء ٣٣١/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٧٣.

وجاء اسمه في الذيل على الروضتين «أطسيس». قال ابن خلكان ٧٨/٥، ٧٩ في ترجمة العادل: أطسيس، بفتح الهمة وسكون الطاء المهملة وكسر السين المهملة وبعدها ياء مشاة من تحتها ثم سين ثانية وهي كلمة تركية معناها بالعربية ماله اسم، والناس يقولون: أقسيس بالقاف، وصوابه بالطاء.

(٣ - ٣) كذا في الأصل، م. وفي المصادر: «بالمغلى».

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٥٧.

وهو الذى بنى المسجد غربى دار الوكالة^(١) عن يسار المار فى الشارع ، من ماله ،
ودفن بالجبل . وكانت جنازته مشهودة . رحمه الله تعالى .

العبدى الشاعر: أبو الحسن على بن سالم بن يربك بن محمد بن
مقلد^(٢) ، العبدى الشاعر ، من الحديثية ، قدم بغداد مراراً ، وامتدح المستنصر^(٣)
وغيره ، وكان فاضلاً كثير التغزل .

أبو الفتح نصر بن على البغدادي^(٤) ، الفقيه الشافعى ، ويُلقب بثعلب ،
اشتغل فى المذهب والخلاف ، ومن شعره قوله :

جسمى معى غير أن الروح عندكم فالجسم فى غربة والروح فى وطن
فليعجب الناس منى أن لى بدنا لا روح فيه ولى روح بلا بدن
أبو الفضل جبريل بن منصور بن هبة الله بن جبريل بن الحسن بن غالب
ابن يحيى بن موسى بن يحيى بن الحسن بن غالب بن الحسن بن عمرو بن
الحسن بن الثعمان بن المنذر^(٥) ، المعروف بابن زطينا البغدادي ، كان كاتب
الديوان بها ، أسلم ، وكان نصرانياً ، فحسن إسلامه ، وكان من أفصح الناس
[١٨ / ١٠] وأبلغهم مؤعظة ، فمن ذلك قوله : خير أوقاتك ساعة صفت لله ،
وخلصت^(٦) من الفكرة لغيره والرجاء لسواه ، وما دُمت فى خدمة السلطان ، فلا
تغتر بالزمان ، اكفف كفك ، واضرف طرْفك ، وأكثر صومك ، وأقل نومك^(٧) ،

(١) فى م : « الزكاة » . وفى الذيل : « الركة » . وانظر الدارس ٣٠٦ / ٢ .

(٢) فوات الوفيات ١٢٦ / ٢١ ، وليس فيه : « بن يربك » .

(٣) فى م : « المستظهر » . وهو خطأ ، فإن المستظهر العباسى توفى سنة اثنتى عشرة وخمسمائة .

(٤) الوافى بالوفيات ١٤ / ١١ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٣٦ / ٨ .

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٤٧ .

(٦) فى الأصل : « جلت » .

(٧) بعده فى م : « يؤمنك » .

واشْكُرْ رَبَّكَ ، يُحْمَدُ أَمْرُكَ .

وقال : زَادَ الْمَسَافِرِ مُقَدِّمٌ عَلَى رَحِيلِهِ ، فَأَعَدَّ الزَّادَ تَبْلُغَ الْمَرَادِ .

وقال : إِلَى مَتَى تَتِمَادَى فِي الْعَقْلَةِ ؟ كَأَنَّكَ قَدْ أُمِنْتَ عَوَاقِبَ الْمُهْلَةِ ، عَمْرُ
اللَّهُوِ مَضَى ، وَعَمْرُ الشَّيْبَةِ انْقَضَى ، وَمَا حَصَلَتْ مِنْ رَبِّكَ عَلَى ثِقَةٍ بِالرِّضَا ، وَقَدْ
انْتَهَى بِكَ الْأَمْرُ إِلَى سُنِّ التَّخَاذُلِ ، وَزَمَنِ التَّكَاسُلِ ، وَمَا حَظِيَّتْ بِطَائِلِ .

وقال : زُوحُكَ تَخْضَعُ ، وَعَيْنُكَ لَا تَدْمَعُ ، وَقَلْبُكَ لَا يَخْشَعُ ، وَنَفْسُكَ ^(١) لَا
تَشْبَعُ ^(٢) ، وَتُظْلِمُ نَفْسَكَ وَأَنْتَ لَهَا تَتَوَجَّعُ ، وَتُظْهِرُ الزَّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْمَالِ
تَطْمَعُ ، وَتَطْلُبُ مَا لَيْسَ لَكَ بِحَقٍّ وَمَا وَجِبَ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ لَا تَدْفَعُ ، وَتَزُومُ
فَضْلَ رَبِّكَ وَلِلْمَاعُونِ تَمْنَعُ ، وَتَعِيبُ نَفْسَكَ الْأَمَّارَةَ وَهِيَ عَنِ اللَّهِ لَا تَرْجِعُ ،
وَتُوقِظُ الْغَافِلِينَ بِإِنْذَارِكَ وَتَتَنَاوَمُ عَنْ سَهْمِكَ وَتَهْجِعُ ، وَتَخْصُ غَيْرَكَ بِخَيْرِكَ
وَنَفْسَكَ الْفَقِيرَةَ لَا تَنْفَعُ ، وَتَحُومُ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتَ بِالْبَاطِلِ مُوَلِّعٌ ، وَتَتَعَتَّرُ فِي
الْمَضَاقِقِ وَطَرِيقِ ^(٣) النِّجَاةِ مَهْيِعٌ ^(٤) ، وَتَهْجِمُ عَلَى الذُّنُوبِ وَفِي الْمَجْرِمِينَ تَشْفَعُ ،
^(٥) وَتُزَكِّنُ إِلَى دَارِ السَّلَامَةِ وَأَنْتَ بِالْعَطَبِ مُرَوِّعٌ ، وَتَحْرِصُ عَلَى زِيَادَةِ الْاِكْتِسَابِ
وَحِسَابِكَ فِي كِفْلِ غَيْرِكَ يُوضَعُ ^(٦) ، وَتُظْهِرُ الْقَنَاعَةَ بِالْقَلِيلِ وَبِالكَثِيرِ لَا تَشْبَعُ ،
وَتُعَمِّرُ الدَّارَ الْفَانِيَةَ وَدَارُكَ الْبَاقِيَةَ خَرَابٌ بَلْقَعٌ ، وَتَسْتَوِطِنُ فِي مَنْزِلِ رَحِيلِ كَأَنَّكَ
إِلَى رَبِّكَ لَا تَرْجِعُ ، وَتُظُنُّ أَنَّكَ بِلَا رَقِيبٍ وَأَعْمَالُكَ إِلَى الْمُرَاقِبِ تُزْفَعُ ، وَتُقَدِّمُ عَلَى
الْكِبَائِرِ وَعَنِ الصِّغَائِرِ تَتَوَرَّعُ ، وَتُؤَمِّلُ الْغُفْرَانَ وَأَنْتَ عَنِ الذُّنُوبِ لَا تُقْلِعُ ، وَتَرَى

(١ - ١) فِي م : « تَجْشَعُ » .

(٢) فِي م : « طَرَقَ » .

(٣) الْمَهْيِعُ مِنَ الطَّرَقِ : الْبَيِّنُ . الْوَسِيطُ (هـ ي ع) .

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ : م .

الأهوال مُحِيطَةٌ بِكَ وَأَنْتَ فِي مَيْدَانِ اللَّهْوِ تَرْتَعُ ، وَتَشْتَبِهُ أفعالَ الْجُهَّالِ وَبَابُ
الْجَهْلِ تَقَرَّعَ ، وَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَأْنَفَ مِنَ التَّعَسُّفِ ^(١) وَعَنِ الدَّنَايَا تَتَرَفَّعُ ، وَقَدْ سَارَ
الْمُخِيفُونَ وَتَخَلَّفَتْ فَمَاذَا تَتَوَقَّعُ ؟

وقد أُوْرِدَ لَهُ ابْنُ السَّاعِي شَعْرًا حَسَنًا ؛ فَمِنْهُ :

إِنْ سَهَرْتَ عَيْنُكَ فِي طَاعَةٍ فَذَاكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ نَوْمٍ
أَمْسُكَ قَدْ فَاتَ بَعِلَاتِهِ فَاسْتَذِرْكَ الْفَائِتَ فِي الْيَوْمِ
وله :

إِنْ رَبًّا هَذَاكَ بَعْدَ ضَلَالٍ سُبُلَ الرُّشْدِ ^(٢) مُشْتَحِقٌّ الْعِبَادَةَ
فَتَعَبَّدْ لَهُ تَجِدْ مِنْهُ عِثْقًا وَاسْتَدِمْ فَضْلَهُ بِطَوِيلِ الزَّهَادَةِ
^(٣) وله :

إِذَا تَعَقَّفْتَ عَنْ حَرَامٍ غَوَّضْتَ بِالطَّيِّبِ الْحَلَالِ
فَاقْنَعْ تَجِدْ فِي الْحَرَامِ حِلًّا فَضْلًا مِنَ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ ^(٣)

(١) فِي م : « التَّعْنِيفُ » .

(٢) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة

فيها^(١) كانت وقعة عظيمة بين الأشرف موسى بن العادل وبين جلال الدين ابن خوارزم شاه الخوارزمي، وكان سببها أن جلال الدين كان قد أخذ مدينة خلاط في العام^(٢) الماضي، وخرّبها وشرد أهلها، وحاربه علاء^(٣) الدين كيقباز^(٤) ملك الروم، وأرسل إلى الأشرف يستحثه على القدوم عليه ولو جريدة وحده، فقدم الأشرف في طائفة كثيرة من عسكر دمشق، وأنضاف إليه عسكر بلاد الجزيرة ومن بقي من عسكر خلاط^(٥)، فكانوا خمسة آلاف مقاتل صليبة^(٦)، معهم الغدة الكاملة، والخيول الهائلة، فالتقوا مع جلال الدين بأذربيجان، وهو في عشرين

(١) الكامل ٤٨٩/١٢ - ٤٩٤، ومروءة الزمان ٦٥٩/٨ - ٦٦٣ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٥٨، ١٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٦ - ٤١.

(٢) سقط من: م. والذي ذكر أن جلال الدين أخذ خلاط في العام الماضي هو الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٥ ضمن حوادث سنة ست وعشرين وستمائة، وذكر هناك أن جلال الدين لم يزل يجد في حصار خلاط حتى افتتحها آخر العام، أما في أحداث هذه السنة - السابعة والعشرين - فقد نقل الحافظ الذهبي فيها أقوال أبي شامة وسبط ابن الجوزي والموفق البغدادي، أما أصحاب المصادر الأخرى فقد ذكروا أنه افتتحها في هذا العام، حدّد صاحباً مروءة الزمان والكامل أن ذلك كان في جمادى الأولى، ولم يسم في الذيل على الروضتين الشهر الذي وقع فيه ذلك، وأما ما اتفقت عليه جميع المصادر فهو أنه قد حاصر خلاط من العام الماضي.

(٣) في الأصل: «عماد».

(٤) في الأصل: «ليعتاد».

(٥) لم تذكر المصادر أن الأشرف استصحب معه من بقي من عسكر خلاط، إلا أن قصد المصنف أعمال خلاط، ففي الكامل أن الخوارزمي لما انهزم هو ومن معه «عادوا إلى أذربيجان فنزلوا عند مدينة خوى، ولم يكونوا قد استولوا على شيء من أعمال خلاط سوى خلاط».

(٦) الصليبية: الشديدة القوة: انظر الوسيط (ص ل ب).

ألف مقاتل، فلم يَقُمْ لهم ساعة [١٠/١٩٠] واحدة، ولا صبر، بل تَفْهَرُوا وَانْهَزَمُوا وَاتَّبَعُوهُمْ عَلَى الْأَثَرِ، وَلَمْ يَزَالُوا فِي أَثَرِهِمْ إِلَى مَدِينَةِ خَوْى^(١)، وعاد الأشرف إلى مدينة خِلاط، فوجدها خاوية على غروشها، فمهدّها وأطدّها، ثم تصالح هو وجلال الدين، وعاد إلى مُسْتَقَرِّ مُلْكِهِ بدمشق، حرسها الله تعالى وإياه.

وفيهما تسلّم الملك الأشرف قلعة بَغْلَبَك من الملك الأُمَجد بَهْرَام شاه بعد حصارٍ طویل، ثم استخلف على دمشق أخاه الصالح إسماعيل، ثم سار إلى الشرق^(٢) بسبب أن جلال الدين الخوارزمي استحوذ على بلاد خِلاط، وقتل من أهلها خلقًا كثيرًا، ونهب أموالًا كثيرة، فالتقى معه الأشرف رأسًا هائلًا، واقتتلوا قتالًا عظيمًا، فهزّمه الأشرف هزيمة مُنْكَرَة، وهلك من الخوارزمية خلق كثير، ودُفِنَت البَشَائِرُ فِي الْبِلَادِ فَرَحًا بِنُصْرَةِ الْأَشْرَفِ عَلَى الْخَوَارِزْمِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَفْتَحُونَ بَلَدًا إِلَّا قَتَلُوا مَنْ فِيهِ وَنَهَبُوا أَمْوَالَهُ، فَكَسَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ كَانَ الْأَشْرَفُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: يَا مُوسَى، أَنْتَ مُنْصَوِّرٌ عَلَيْهِمْ. وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ كَسْرِهِمْ عَادَ إِلَى بِلَادِ خِلاط، فَرَّمَّ شَعْنَهَا، وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْهَا.

وَلَمْ يَحْجُجْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَلَا فِي الَّتِي قَبْلَهَا، وَكَذَا فِيمَا قَبْلَهَا أَيْضًا، فَهَذِهِ ثَلَاثُ سَنِينَ لَمْ يَسِرْ مِنَ الشَّامِ حَاجٌّ إِلَى الْحِجَازِ.

وفيهما أَخَذَتِ^(٣) الْفَرِنجُ جَزِيرَةَ مَيُورُوقَةَ^(٤) وَقَتَلُوا بِهَا خَلْقًا، وَأَسَرُوا آخَرِينَ، فَقَدِمُوا

(١) لم تذكر المصادر تتبع الأشرف موسى للخوارزمي وجيشه إلى خوى. وخوى: بلد مشهور من أعمال أذربيجان. انظر معجم البلدان ٥٠٢/٢.

(٢) في م: «الأشرف».

(٣) بعده في الأصل: «من».

(٤) في م: «سورقة». وميورقة: جزيرة في شرقي الأندلس. معجم البلدان ٧٢٠/٤.

بهم إلى الساحل ، فاستقبلهم المسلمون ، فأخبروا بما جرى عليهم من الفرج .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

زَيْنُ الْأَمْنَاءِ الشَّيْخُ الصَّالِحُ أَبُو الْبَرَكَاتِ ^(١) الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ
ابْنِ هَبَةِ اللَّهِ ، زَيْنُ الْأَمْنَاءِ ، ابْنُ عَسَاكَرِ الدَّمَشْقِيِّ الشَّافِعِيِّ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى
عَمِّهِ الْحَافِظِ أَبِي الْقَاسِمِ وَالصَّائِنِ وَغَيْرِ وَاحِدٍ ، وَغُمَّرَ وَتَفَرَّدَ بِالرَّوَايَةِ ^(٢) ، وَجَاوَزَ
الْثَّمَانِينَ بَنَحْوٍ مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ ، وَأُقْعِدَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ ، فَكَانَ يُحْمَلُ فِي مِحْفَةٍ إِلَى
الْجَامِعِ وَإِلَى دَارِ الْحَدِيثِ الثَّوْرِيَّةِ لِإِسْمَاعِيلِ الْحَدِيثِ ، وَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهِ مَدَّةً طَوِيلَةً ،
وَلَمَّا تُوفِّيَ حَضَرَ النَّاسُ جِنَازَتَهُ ، وَدُفِنَ عِنْدَ أَخِيهِ الشَّيْخِ فَخْرِ الدِّينِ بْنِ عَسَاكَرِ
بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ . رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى .

الشَّيْخُ بَيْرُمُ الْمَارِدِينِيُّ ^(٣) ، كَانَ صَالِحًا مُنْقَطِعًا مُحِبًّا لِلْعَزَلَةِ عَنِ النَّاسِ ، وَكَانَ
مُقِيمًا بِالزَّوَايَةِ الْغَرِيبَةِ مِنَ الْجَامِعِ ، ^(٤) وَهِيَ الَّتِي يَقَالُ لَهَا : «الْغَزَالِيَّةُ» . وَتُعْرَفُ بِزَاوِيَةِ
الدَّوْلَعِيِّ وَبِزَاوِيَةِ الْقُطْبِ النَّيْسَابُورِيِّ ، وَبِزَاوِيَةِ الشَّيْخِ ^(٥) نَصْرِ الْمَقْدَسِيِّ . قَالَ الشَّيْخُ
شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ . وَكَانَ يَوْمَ جِنَازَتِهِ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ
قَاسِيُونَ ^(٦) . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) بعده في م : « بن » . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٦٦٣/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات
النقطة ٣٨٦/٥ ، والذيل على الروضتين ص ١٥٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٢٨٤ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٨٠ ، والوفاء بالوفيات ٢٥٣/١٢ وعنده «الحسن بن محمد
ابن هبة الله» ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٤١/٨ .

(٢) إضافة من المصنف ، فلم تذكر المصادر تفرد بالرواية .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٥٨ .

(٤ - ٥) زيادة من الأصل ، م . ليست في مصدر الترجمة .

(٥) بعده في م : « أي » .

(٦) في الذيل على الروضتين أنه دُفِنَ شرقى مقبرة ابن شيت على تل هناك .

ثم دَخَلَتْ سنة ثمانٍ وعشرين وستمائة

استَهَلَّت^(١) والملك الأشرف موسى بن العادل ببلاد الجزيرة مشغول بإصلاح ما كان جلال الدين الخوارزمي قد أفسده من بلاده^(٢). وقد قَدِمَت التتارُ في هذه السنة إلى الجزيرة وديار بكر، فعاثوا بالفسادِ يمينًا وشمالًا، فقتلوا ونهبوا وسبّوا، على عادتهم، خذلهم الله تعالى.

وفيهما رُتِبَ إمامٌ بمشهد أبي بكرٍ من جامع دمشق، وصُلِّيَتْ فيه الصَّلواتُ الخمسُ. وفيها درَّس الشيخُ تقي الدين بن الصَّلَاح الشَّهْرزُوريُّ الشافعيُّ بالمدرسة الشامية الجوانية جوار المارستان في جمادى الأولى منها.

وفيهما درَّس^(٣) الناصح بن الحنبلي^(٤) بالصحابة^(٥) بسفح قاسيون التي أنشأها

(١) الكامل ٤٩٥/١٢ - ٥٠٥، ومراة الزمان ٦٦٥/٨ - ٦٦٧ (القسم الثاني)، والذيل على

الروضتين ص ١٥٩ - ١٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٢ - ٤٥.

(٢) لم يُذكر ذلك في المصادر، ولكن لعل المصنف رحمه الله اعتبره امتدادا لما ذُكر في السنة الماضية -

السابعة والعشرين - فإن ذُكر المصنف - فيما يأتي - قدوم التتار إلى الجزيرة وديار بكر وإفسادهم فيهما

قد يتعارض مع ذلك، ولا تعارض، فالجزيرة هي جزيرة أقور تشمل على ديار مضر، وديار بكر بها مدن

جليلة وحصون وقلاع كثيرة. ومن أمهات مدنها حسران والرها والرقه ورأس عين ونصيبين وسنجار

والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك. انظر معجم البلدان ٧٢/٢. وبذا يتبين أنها منطقة

كبيرة، كان التتر يغيرون على بعضها فقط، كما فضله ابن الأثير وغيره سنة ثمان وعشرين.

(٣ - ٣) في الأصل: «بن الناصر»، وفي م: «الناصر بن». والمثبت من مراة الزمان وتاريخ الإسلام.

وانظر سير أعلام النبلاء ٥٤/١٩.

(٤) في م: «بالصاحبة». وفي تاريخ الإسلام: «الصاحبة». والمثبت من الأصل صحيح أيضًا، فقد

ذكرت بـ «الصاحبة» و «الصاحبة»؛ انظر الدارس ٧٩/٢، ٨٠، ٨٢.

الخاتون ربيعة بنتُ أيوب أختُ ستِّ الشام .

وفيها حبسَ الملكُ الأشرفُ الشيخَ عليًّا الحريريَّ [١٩/١٠ ظ] بقلعة عزَّتا .

وفيها كان غلاءٌ شديدٌ بديارِ مصرَ وبلادِ الشامِ وحلبَ والجزيرة بسببِ قلةِ المياهِ السماويةِ والأرضيةِ، فكانت هذه السنةُ كما قال اللهُ تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾ وَبَشِّرِ الصَّادِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿ [البقرة : ١٥٥ ، ١٥٦] .

وذكر ابنُ الأثير^(١) كلامًا طويلًا مضمونهُ خروجُ طائفةٍ مِنَ التَّارِ مرةً أخرى مِنْ بلادِ ما وراءَ النهرِ، وكان سببُ قُدومِهِم هذه السنةُ أن الإسماعيليةَ كَتَبُوا إِلَيْهِمْ يُخْبِرُونَهُمْ بِضَعْفِ أَمْرِ جَلالِ الدينِ بْنِ خُوَارَزْمِ شاه، وأنه عَادَى جميعَ الملوكِ حوله حتى الخليفةَ، وأنه قد كَسَرَهُ الأشرفُ بْنُ العادلِ مرتين، وكان جَلالُ الدينِ قد ظَهَرَ مِنْهُ أفعالٌ ناقصةٌ تَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ عَقْلِهِ، وذلك أَنَّهُ تُوفَّى لَهُ غُلَامٌ خَصِيٌّ يَقَالُ لَهُ : قَلِجٌ^(٢) . وكان يُحِبُّهُ، فوجدَ عَلَيْهِ وَجْدًا عَظِيمًا بحيثُ إِنَّهُ أَمَرَ الْأَمْرَاءَ أَنْ يَمْسُحُوا فِي جِنَازَتِهِ، فَمَسَحُوا فَرَسَخَ إِلَى تَرْبَتِهِ، وَأَمَرَ أَهْلَ الْبَلَدِ أَنْ يَخْرُجُوا بِحُزْنٍ وَتَعْدَادٍ عَلَيْهِ، فَتَوَانَى بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ، فَهَمُّ بِقَتْلِهِمْ حَتَّى تَشْفَعَ فِيهِمْ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ، ثُمَّ لَمْ يَسْمَحْ بِدَفْنِ قَلِجٍ، فَكَانَ يُحْمَلُ مَعَهُ فِي مِحْفَةٍ، وَكَلِمَا أُخْضِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعَامٌ يَقُولُ : احْمِلُوا هَذَا إِلَى قَلِجٍ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ مَاتَ قَلِجٌ . فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ فَقُتِلَ، فَكَانُوا بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُونَ : قَبْلَهُ^(٣) وَهُوَ يُقْبَلُ

(١) الكامل ٤٩٥/١٢ - ٥٠٠ .

(٢) هنا وفيما يَأْتِي فِي الْأَصْلِ : « قَلِجٌ » .

(٣) أَيْ قَبْلَ قَلِجِ الطَّعَامِ .

الأرض ويقول: هو الآن أصلح مما كان. يعنى أنه مريض وليس بميت، فيجد الملك راحةً بذلك؛ من قلة عقله ودينه، قبحه الله تعالى.

فلما جاءت التتار اشتغل بهم، وأمر بدفن قلع، وهرب من بين أيديهم، وامتلاً قلبه خوفاً منهم، وجعل كلما سار إلى قُطرٍ لحقوه إليه، وخربوا ما اجتازوا به من الأقاليم والبلدان، حتى انتهوا إلى الجزيرة، وجاوزوها إلى سنجار وماردين وآمد، يُفْسِدُونَ ما قَدَرُوا عليه قتلاً وأسرًا ونهبًا، وتمزق شملُ جلال الدين، وتفرق عنه جيشه، فصاروا شذرَ مدَر، وبُدِّلُوا بالأمنِ خوفاً، وبالعزَّ ذُلًّا، وبالاجتماعِ تَفْرِيقًا، فسبحانَ من بيده الملكوتُ^(١)! وانقطع خبرُ جلال الدين فلا يُدْرَى أين سلك ولا أين ذهب، وتمكَّنت التتارُ من الناسِ فى سائرِ البلادِ لا يجدونَ من يَمْنَعُهُمْ ولا من يَزِدُّعُهُمْ، وألقى الله تعالى الوهنَ والضعفَ فى قلوبِ الناسِ منهم، كانوا كثيرًا ما يَقْتُلُونَ الناسَ، فيقولُ المسلمُ: لا بالله، لا بالله. فكانوا يَلْقَبُونَ على الخيلِ، وَيُعْتَنُونَ وَيُحَاكُونَ الناسَ: لا بالله لا بالله. وهذه طائفةٌ عَظُمَى وداهيةٌ كبرى، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

وحجَّ الناسُ فى هذه السنة من الشام، وكان فيمن خرج الشيخُ تقيُّ الدين أبو عمرو بن الصَّلاح، ثم لم يحجَّ الناسُ بعدَ هذه السنة أيضًا لكثرة الحروبِ والخوفِ من التتارِ والفِرنجِ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها^(٢) تكامل بناءُ المدرسةِ التى بشوقِ العَجمِ من بغداد، المنسوبة إلى إقبال الشَّرابي، وحضرَ الدرسَ بها، وكان يومًا مشهودًا، واجتمع فيها جميعُ المُدرِّسينِ

(١) فى م: «الملك لا إله إلا هو».

(٢) هذا الخبر لم نجده فى مصادر الترخيخ، وانظر الدارس ١/١٥٩، ١٦٠ فقد نقل مصنفه هذا الخبر من ابن كثير.

والمُفَتِّينَ^(١) ببغدادَ ، وعَمِلَ بَصَّحْنِهَا قِبَابَ الحَلَوَاءِ ، فَحُمِلَ مِنْهَا إِلَى جَمِيعِ المَدَارِسِ
وَالرُّبُطِ ، وَرَتَّبَ فِيهَا خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ فَقِيهًا لَهُمُ الجَوَامِكُ^(٢) الدَّارَةُ فِي كُلِّ شَهْرٍ ،
وَالطَّعَامُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَالْحَلَوَاتُ فِي أَوْقَاتِ المَوَاسِمِ ، وَالْفَوَاكِهُ فِي زَمَانِهَا ، وَخَلَعَ عَلَى
المُدَّرِّسِ [٢٠/١٠] وَالْمُعِيدِينَ وَالْفُقَهَاءِ يَوْمَئِذٍ ، وَكَانَ وَقْتًا حَسَنًا ، تَقَبَّلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ .

وَفِيهَا سَارَ الْأَشْرَفُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاضِي الْفَاضِلِ فِي الرِّسَالَةِ^(٣) عَنْ
الْكَامِلِ مُحَمَّدٍ صَاحِبِ مَصْرٍ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ بِبَغْدَادَ ، فَأُكْرِمَ وَأُعِيدَ
مُعَظَّمًا .

وَفِيهَا دَخَلَ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ أَبُو سَعِيدٍ كوكُيُورِي بْنُ زَيْنِ الدِّينِ صَاحِبُ إِزْمِيلَ إِلَى
بَغْدَادَ ، وَلَمْ يَكُنْ دَخَلَهَا قَطُّ ، فَتَلَقَّاهُ الْمُؤَكِّبُ ، وَشَافَهُهُ الْخَلِيفَةُ بِالسَّلَامِ مَرَّتَيْنِ فِي
وَقَّتَيْنِ ، وَكَانَ ذَلِكَ شَرْفًا لَهُ ، غَبَطَهُ بِهِ سَائِرُ مَلُوكِ الْآفَاقِ ، وَسَأَلُوا أَنْ يُهَاجِرُوا لِیَحْصُلَ
لَهُمْ مِثْلُ ذَلِكَ ، فَلَمْ يُمَكِّنُوا لِحَفَظِ الثُّغُورِ ، وَرَجَعَ إِلَى مَمْلَكَتِهِ مُعَظَّمًا مُكْرَّمًا .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

ابْنُ مُعْطَى النُّحْوِيِّ^(٤) : يَحْيَى بْنُ مُعْطَى بْنِ عَبْدِ الثَّوْرِ النُّحْوِيُّ ، صَاحِبُ

(١) لَعَلَّ صَوَابَهُ « الْمُعِيدِينَ » كَمَا سَيَأْتِي .

(٢) الْجَوَامِكُ : الْمَرَاتِبُ . انْظُرْ صَبِيحُ الْأَعَشَى ٥١٩/٣ ، وَالْمَعْجَمُ الذَّهَبِيُّ ص ١٩٨ .

(٣) هَذَا الْخَبَرُ لَمْ نَجِدْهُ فِي مَصَادِرِ التَّخْرِيجِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْوَفَايِ بِالْوَفَايِ فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ الْفَاضِلِ
هَذَا ٥٧/٧ .

(٤) مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٣٥/٢٠ ، وَالتَّكْمَلَةُ لَوْفَايَاتِ النُّقْلَةِ ٤٣٩/٥ ، وَالدِّيلُ عَلَى الرُّوَضَتَيْنِ ص ١٦٠ ،
وَوَفَايَاتِ الْأَعْيَانِ ١٩٧/٦ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٣٢٤/٢٢ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتِ ٦٢١ -
٦٣٠) ص ٣٣١ ، وَالْجَوَاهِرُ الْمَضِيَّةُ ٥٩٢/٣ . وَقَدْ جَاءَ فِي التَّكْمَلَةِ وَوَفَايَاتِ الْأَعْيَانِ وَالْجَوَاهِرِ « يَحْيَى بْنُ
عَبْدِ الْمُعْطَى » . أَمَّا فِي كِتَابِي الْحَافِظِ الذَّهَبِيِّ السَّيَرِ وَالتَّارِيخِ فَقَدْ عُنُونُهُ فِي الْأَوَّلِ « ابْنُ مُعْطَى » ثُمَّ فَصَّلَ
اسْمَهُ فَقَالَ : « بَنُ عَبْدِ الْمُعْطَى » . وَعَكَّسَ فِي كِتَابِهِ الثَّانِي . وَهُوَ مَشْهُورٌ بِالْاِثْنَيْنِ . يَنْظُرْ مُقَدِّمَةَ كِتَابِهِ
« الْفُصُولُ الْخَمْسُونَ » .

« الألفية » وغيرها من المصنّفات النحوية المفيدة ، ويُلقَّب بِزَيْن الدين ، أخذ عن الكِنْدِيِّ ^(١) وغيره ، ثم سافر إلى مصر ، فكانت وفاته بالقاهرة في مُسْتَهَلَّ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هذه السنة ، وشهد جنازته الشيخُ شهابُ الدين أبو شامة ، وكان قد رحل ^(٢) إلى مصر في هذه السنة ، وحكى أن الملكَ الكاملَ شهد جنازته أيضًا ، وأنه دُفِنَ قريئًا من قبرِ المُزَنِّيِّ بالقِرافَةِ ^(٣) في طريقِ الشافعيِّ عن يَسْرَةِ المازِ . رحمه الله .

الدُّخَوَارُ الطَّيِّبُ ^(٤) واقفُ الدُّخَوَارِيَّةِ مهذبُ الدين عبدُ الرحيم بنُ عليّ ابنِ حامِدٍ ، المعروفُ بالدُّخَوَارِ ، شيخُ الأَطِبَّاءِ بدمشق ، وقد وقَّف دارَه بِدربِ العميدِ بالقربِ مِنَ الصَّاعَةِ العَتِيقَةِ على الأَطِبَّاءِ بدمشق المحروسة مدرسةً لهم ، وكانت وفاته في صفرٍ مِنْ هذه السنة ، ودُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيَوْنَ ، وعلى قبرِهِ قُبَّةٌ على أَعْمَدَةٍ في أصلِ الجبلِ شرقِي الركنيةِ ^(٥) ، وقد اثبتلى بِسِتَةِ أمراضٍ مُتَعَاكِسَةٍ ، منها

(١) هو تاج الدين أبو اليثمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي البغدادي المقرئ النحوي اللغوي الحنفى ، توفي سنة ثلاث عشرة وستمائة . انظر ما تقدم في صفحة ٥٢ ، وسير أعلام النبلاء ٣٤ / ٢٢ .
(٢) أى كان أبو شامة رحل إلى مصر ، وهو الذى حكى شهود الكامل جنازة ابن معطى ، كما سيذكر المصنف . انظر الذيل على الروضتين ص ١٦٠ .

(٣) القرافة : خِطَّةٌ بالفسطاط من مصر كانت لبني غصن بن سيف بن وائل من المعافر ، وقرافة بطن من المعافر نزلوها فسميت بهم ، وهى مقبرة أهل مصر ، وبها أبنية جليلة ومحالٌ واسعة وسوق قائمة ومشاهد للصالحين وترب الأكابر . انظر معجم البلدان ٤٨ / ٤ .

(٤ - ٤) سقط من : م . وانظر ترجمته فى مرآة الزمان ٦٧٢ / ٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٥٩ ، وعيون الأنباء ص ٧٢٨ ، وسير أعلام النبلاء ٣١٦ / ٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣١٧ ، والوفاء بالوفيات ٣٨٣ / ١٨ ، ووفاته عنده سنة سبع وعشرين وستمائة .
(٥) فى م : « الركنية » . وهذه العبارة من قوله « وقف داره بدرب العميد » إلى هنا ، لم نجدها فى المصادر ولكن نقلها عن المصنف صاحب الدارس ١٢٨ / ٢ . وجاء عنده « درب العجل » بدل « درب العميد » والثانية - درب العميد - المثبتة من الأصل ، م توافق ما فى سير أعلام النبلاء ٣١٧ / ٢٢ .

ريخ اللقوة^(١)، وكان مولده سنة خمس وستين وخمسمائة، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة.

قال ابن الأثير^(٢): وفيها تُوفِّي:

القاضي أبو غانم بن العديم الشيخ الصالح، وكان من المجتهدين في العبادة والرياضة، والعاملين بعلمهم، ولو قال قائل: إنه لم يكن في زمانه أعبد منه. لكان صادقاً، فرضى الله تعالى عنه وأرضاه، فإنه من جماعة شيوخنا، سمعنا عليه الحديث، وانتفعنا برؤيته وكلامه.

قال: وفيها أيضاً في الثاني عشر من ربيع الأول تُوفِّي صديقنا أبو القاسم^(٣) «عبد المجيد» بن العجمي الحلبي، وهو وأهل بيته مُقدِّمو السنة بحلب، وكان رجلاً ذا مروءة غزيرة، وخلق حسن، وجلم وافر ورياسة كثيرة، يُحبُّ إطعام الطعام، وأحبُّ الناس إليه من أكل طعامه^(٤)، ويُقبَلُ يده^(٥)، وكان يلقي أضيافه بوجه مُبسَّط، ولا يَقْعُدُ عن إيصال راحة وقضاء حاجة، فرحمه الله تعالى رحمةً واسعة.

قلت: وهذا آخر ما وُجد من «الكامل في التاريخ» للحافظ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير، رحمه الله تعالى.

أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الكريم بن أبي السَّعادات بن كرم^(٥) الموصلي،

(١) اللقوة: داء يقرض للوجه يَفُوجُ منه الشُّدُق. انظر الوسيط (ل ق و).

(٢) الكامل ٥٠٥/١٢. وعنده: «ابن عنائم».

(٣ - ٣) في الأصل «عبد الحميد».

(٤ - ٤) في الكامل: «ويقبل بره». وقد جاءت الكلمة الأولى في الأصل مضبوطة كما أثبتناها. قاله تعالى أعلم.

(٥) في م: «كريم». وانظر ترجمته في الطبقات السنية ٢٠٧/١. واسمه عنده «أبو إسحاق الموصلي إبراهيم بن عبد الكريم بن أبي الغارات». وترجمته مختصرة جداً. وذكره من شراح القدوري صاحب كشف الظنون ١٦٣٢/٢. واسمه عنده «أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الكريم الموصلي».

أحدُ الفقهاءِ الحنَفِيِّينَ، شرحَ قطعةً كبيرةً من «الْقُدُورِيِّ»، وكتبَ الإنشاءَ لصاحبِها بدرِ الدينِ لُؤْلُؤَ، ثم استقالَ من ذلك، وكانَ فاضلاً شاعراً، ومن شعره:

دَعُوهُ كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ يَكُونُ فَلَسْتُ وَإِنْ خَانَ الْعُهُودَ أَخُونُ
وَلِينُوا لَهُ فِي قَوْلِكُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ عَسَى قَلْبُهُ الْقَاسِي عَلَى يَلِينُ
وَيْثُثُوا صَبَابَاتِي إِلَيْهِ وَكُرُّوا حَدِيثِي عَلَيْهِ وَالْحَدِيثُ شُجُونُ
[٢٠/١٠ ظ] بِنَفْسِي الْأَلَى بَانُوا عَنِ الْعَيْنِ خُفْيَةً^(١) وَحُبُّهُمْ فِي الْقَلْبِ لَيْسَ يَبِينُ
وَسَلُّوا^(٢) عَلَى الْعِشَاقِ يَوْمَ^(٣) تَحْمَلُوا سَيُوقًا لَهَا وَطُفَّ^(٤) الْجَفُونِ جَفُونُ
الْمَجْدُ الْبَهَنَسِيُّ^(٥) وَزَيْرُ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَصَادَرَهُ، وَلَمَّا تُوفِّي دُفِنَ بِتَرْبَتِهِ الَّتِي أَنْشَأَهَا بِسَفْحِ قَاسِيُونَ، وَجَعَلَ كُتُبَهُ بِهَا وَقَفًا، وَأَجْرَى عَلَيْهَا أَوْقَافًا جَيِّدَةً دَارَةً.

جَمَالُ الدَّوْلَةِ خَلِيلُ بْنُ زُوَيْرَانَ^(٥)، رَئِيسُ قَصْرِ حَجَّاجٍ، كَانَ كَيْسًا ذَا مَرْوَةٍ، لَهُ صَدَقَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ زِيَارَةٌ فِي مَقَابِرِ الصُّوفِيَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الْقِبْلَةِ، وَدُفِنَ

(١) فِي م: «حَصَّة».

(٢ - ٣) فِي الْأَصْل: «عَنِ الْعِشَاقِ قَوْمٌ».

(٣) الْوُطْفُ: جَمْعُ أَوْطَفَ، وَهُوَ الْجَفْنُ الْكَثِيرُ الشَّعْرَ.

(٤) مَرَأَةُ الزَّمَانِ ٦٧١/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي)، وَالتَّكْمِلَةُ لَوْفِيَاتِ النُّقْلَةِ ٤٢٢/٥، وَالدَّيْلُ عَلَى الرُّوَضَتَيْنِ ص ١٦٠، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣١٣، وَالْوَفَا بِالْوَفَايَاتِ ١١/٢٦٥، وَالْمُقَفَّى الْكَبِيرُ ١٤١/٣.

(٥) فِي الْأَصْل: «دَوِيرَانٌ». وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: مَرَأَةُ الزَّمَانِ ٦٧٣/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي) وَعِنْدَهُ «جَمَالُ الدَّوْلَةِ بِنُ زَوْرَتَاتٍ»، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣١٤ وَاسْمُهُ كَانَتْ «جَمَالُ الدَّوْلَةِ خَلِيلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلْوَانَ بْنِ زُوَيْرَانَ»، وَالْوَفَا بِالْوَفَايَاتِ ١٣/٣٩٤ وَعِنْدَهُ مِثْلُ مَا فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنَّهُ لُقِّبَ «كَمَالُ الدَّوْلَةِ».

بترتيبه عندَ مسجدِ فلوس^(١) ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

الملكُ الأُمجدُ واقفُ المدرسةِ الأُمجديةِ بالشرف .

وفيهَا كانت وفاةُ الأُمجدِ بَهْرَامِ شاهِ بْنِ فَرْخِشَاهِ بْنِ شاهِنْشَاهِ بْنِ أَيُوبَ^(٢) صاحبِ بَغْلَبَكْ بعدهُ^(٣) لم يَزَلْ حتى قَدِمَ الأُشْرَفُ موسى بْنُ العادلِ إلى دِمَشقَ فَمَلَكَهَا في سنةٍ سِتٍّ وعشرينَ ، فانتَزَعَ من يدهُ بَغْلَبَكْ في سنةٍ سَبْعٍ وعشرينَ ، وأُسْكَنَهُ عندهُ بِدِمَشقَ في دارِ أبيه^(٤) ، فلمَّا كان في شهرِ شَوَالٍ مِنْ هذهِ السنةِ عدا عليه مَمْلُوكٌ مِنْ مَمَالِيكِهِ تُزْكِي ، فقتَلَهُ لَيْلاً ، وكان قد اتَّهَمَهُ بِحِيَاصَةٍ^(٥) له وَحَبَسَهُ ، فَتَغَلَّبَ عليه في بعضِ الليالي فقتَلَهُ ، وقُتِلَ المَمْلُوكُ بعدهُ ، ودُفِنَ الأُمجدُ في تربيته التي إلى جانبِ تُرْبَةِ أبيه في الشَّرَفِ الشَّمالِيِّ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى . وقد كان شاعراً فاضلاً ، له دِيوانٌ شعريٌّ ، وقد أوردَ له ابنُ السَّاعِي قطعةً جيدةً مِنْ شعرِهِ الرائي الفائقِ ، وترَجَّمْتُهُ في « طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ » ، ولم يَذْكُرْهُ أَبُو شَامَةَ في « الدُّبُلِ » ، وهذا عَجيبٌ مِنْهُ . ومما أوردَ له ابنُ السَّاعِي قولُهُ في شابٍّ رآه يَقْطَعُ قُضْبَانَ بَانٍ ، فَأَنْشَأَ على البَديهةِ يَقُولُ :

مَنْ لِي بِأَهْيَفَ قَالَ حِينَ عَتَبْتُهُ فِي قَطْعِ كُلِّ قُضْبِي بِانٍ رَائِي

(١) في م : « قلوس » . وانظر الدارس ٢٤٧/٢ .

(٢) مرآة الزمان ٦٦٦/٨ (القسم الثاني) ، ونهاية الأرب ١٦٦/٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ٣٣٠/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٠٥ ، والوفاء بالوفيات ٣٠٤/١٠ .

(٣) سقط من : م . والمقصود أنه صاحب بعلبك بعد أبيه فرخشاه .

(٤) المذكور في المرآة وتاريخ الإسلام والوفاء أنه قدم دمشق وأقام بها ، وفي السير أنه تحول إلى دمشق ونزل بداره داخل باب النصر . ولم يتعرض لذكر ذلك في نهاية الأرب . والعبارة التي ذكرها المصنف هنا تبين أن الأشراف موسى أسكنه عنده في دار أبيه - أبي الأشراف موسى - بدمشق .

(٥) في م : « في صاحبة » . والحياصة : المِنْطَقَةُ ، وكانت معظم المناطق من الفضة المطلية بالذهب ، وربما مجعلت من الذهب . انظر صبح الأعشى ٤٠/٤ .

تحكى شمائله الرشاء^(١) إذا انثنى
سرقَتْ غصونُ البانِ لينَ شمائلي
ومن شعره قوله :

يُورِّقُنِي حنينٌ وادِّكارُ
تناءى الظَّاعنونَ ولى فؤادُ
حنينٌ مثلما شاءَ التَّنَائِي
ولَيْلِي^(٢) بَعْدَ بَيْنِهِمْ طَوِيلُ
وقد حَكَمَ الشَّهَادُ عَلَى جُفُونِي
سُهَادِي بَعْدَ نَائِيهِمْ كَثِيرُ
فمنْ ذَا يَسْتَعِيرُ لَنَا عُيُونًا
فلا^(٣) لَيْلِي لَهُ^(٤) صَبْحٌ مَنِيرُ
وكم من قائلٍ والحيِّ غَادٍ
وُقُوفُكَ فِي الدِّيَارِ وَأَنْتَ حَيٌّ
وله^(٥) :

كم يذهبُ هذا العُمُرُ فِي الخُسْرَانِ ما أَغْفَلَنِي فِيهِ وَمَا أَنْسَانِي

(١) فى الأصل: «الرشاق» والرشاء: الرشاء، وهو ولد الظبية إذا قوى وتحرك ومشى مع أمه. وإنما مُدَّ هنا لمراعاة الوزن. انظر الوسيط (ر ش أ).

(٢) فى م: «ليل».

(٣) فى الأصل: «غزار». وغزار: قليل. انظر الوسيط (غ ر ر).

(٤ - ٤) فى الأصل: «من رأى».

(٥ - ٥) فى الأصل: «عيني لها».

(٦ - ٦) فى الأصل: «له سكن».

(٧) بعده فى م: «دويت». وانظر البيتين فى مرآة الزمان ٦٦٨/٨ (القسم الثانى).

ضَيَّعْتُ زَمَانِي كُلَّهُ فِي لَعِبٍ يَا عُمَرُ فَهَلْ بَعْدَكَ عَمْرٌ ثَانِي
وَقَدْ رَأَاهُ بَعْضُهُمْ^(١) فِي الْمَنَامِ فَقَالَ لَهُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ فَقَالَ :

كُنْتُ مِنْ ذَنْبِي^(٢) عَلَى وَجَلٍ زَالَ عَنِّي ذَلِكَ الْوَجَلُ
أَمَنْتُ نَفْسِي بِوَائِقِهَا عِشْتُ لِمَا^(٣) مِثُّ يَا رَجُلُ
رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَعَفَا عَنْهُ .

[٢١/١٠] جَلَالُ الدِّينِ تِكِشْ ، وَقِيلَ : مُحَمَّدُ بْنُ عَلَاءِ الدِّينِ خُوَارَزْمِ
شَاهِ مُحَمَّدِ بْنِ تِكِشِ الْخُوَارَزْمِيِّ^(٤) ، وَهُمْ مِنْ سُلَالَةِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَتِكِشْ
جَدُّهُمْ هُوَ الَّذِي أزال دَوْلَةَ السَّلْجُوقِيَّةِ . كَانَتِ التَّنَازُؤُ قَدِ قَهَرُوا أَبَاهُ حَتَّى شَرَّدُوهُ فِي
الْبِلَادِ ، فَمَاتَ بِيَعُضِ جَزَائِرِ الْبَحْرِ ، ثُمَّ سَاقُوا وَرَاءَ جَلَالِ الدِّينِ هَذَا حَتَّى مَزَقُوا
عَسَاكِرَهُ شَذَرَ مَذَرَ ، وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ أَيْدِي سَبَا ، وَانْفَرَدَ هُوَ وَحْدَهُ ، فَلَقِيَهُ فَلَاحُ مِنْ
قَرْيَةٍ بِأَرْضِ مَيَّافَارِقِينَ ، فَأَتَكَرَّهُ لِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالذَّهَبِ ، وَعَلَى فَرَسِهِ ، فَقَالَ
لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا مَلِكُ الْخُوَارَزْمِيَّةِ . وَكَانُوا قَدْ قَتَلُوا لِلْفَلَاحِ أَخًا ، فَأَنْزَلَهُ
وَأَظْهَرَ إِكْرَامَهُ ، فَلَمَّا نَامَ قَتَلَهُ بِفَأْسٍ كَانَتْ عِنْدَهُ ، وَأَخَذَ مَا عَلَيْهِ ، فَبَلَغَ الْخَبْرُ إِلَى
شَهَابِ الدِّينِ غَازِي بْنِ الْعَادِلِ ، صَاحِبِ مَيَّافَارِقِينَ فَاسْتَدْعَى بِالْفَلَاحِ ، فَأَخَذَ مَا
كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْحُلِيِّ ، وَأَخَذَ الْفَرَسَ أَيْضًا ، وَكَانَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ
يَقُولُ^(٥) : هُوَ سَدٌّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الشَّارِ ، كَمَا أَنَّ السَّدَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ .

(١) انظر مرآة الزمان ٦٦٨/٨ (القسم الثاني) .

(٢) فِي م : « دِينِي » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « بَمَا » .

(٤) مرآة الزمان ٦٦٨/٨ (القسم الثاني) ، وسير أعلام النبلاء ٣٢٦/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث
ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٠٧ ، ودول الإسلام ١٣٤/٢ ، وتاريخ ابن الوردي ١٥٣/٢ .

(٥) انظر مرآة الزمان ٦٧١/٨ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ وَسْتَمِائَةٍ

فيها^(١) عُزِلَ القاضيان بدمشق؛ شمس الدين بن الحَوَيْي وشمس الدين بن سَنِيّ الدولة،^(٢) وولى قضاء القضاة^(٣) عماد الدين بن الحرستاني^(٤)، ثم عُزِلَ في سنة إحدى وثلاثين، وأعيد شمس الدين بن سَنِيّ الدولة، كما سيأتي.

وفي سابع عشر شوالها عزّل الخليفة المستنصر وزيره مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم القمّي، وقبض عليه وعلى أخيه حسن وابنه فخر الدين أحمد بن محمد القمّي وأصحابهم وحبسوا، واستوزر الخليفة مكانه أستاذ الدار شمس الدين أبا الأزهر أحمد بن محمد بن الناقد، وخلع عليه خلعاً سنّيّةً، وفرح الناس بذلك.

وقد أقبلت طائفة من التتار، فوصلوا إلى شهرزور، فندب الخليفة صاحب إربل مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين، وأضاف إليه عساكر من عنده، فساروا نحوهم، فهزبت منهم التتار، ولله الحمد، وأقاموا في مقابلتهم مدة شهرين، ثم تمرّض مظفر الدين، وعاد إلى بلده إربل، وتراجعت العساكر^(٥) إلى بلادها.

(١) مرآة الزمان ٦٧٣/٨ - ٦٧٥ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٦٠، ١٦١، ونهاية الأرب ١٦٩/٢٩. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٦، ٤٧.
(٢) - ٢) سقط من: الأصل.
(٣) في م: «الخرستاني». انظر معجم البلدان ٢/٢٤١.
(٤) في م: «التتار».

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

ابْنُ نُقْطَةَ الْحَافِظُ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرِ الْبَغْدَادِيِّ ، أَبُو بَكْرِ
ابْنُ نُقْطَةَ ، الْحَافِظُ الْمُحَدِّثُ الْفَاضِلُ^(١) ، صَاحِبُ الْكِتَابِ النَّافِعِ الْمُسَمَّى
بـ« التَّقْيِيدِ » فِي تَرَاجِمِ رُؤَاةِ الْكِتَابِ وَالْمَشَاهِيرِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ ، وَكَانَ أَبُوهُ فَقِيهًا فَقِيرًا
مُنْقَطِعًا فِي بَعْضِ مَسَاجِدِ بَغْدَادَ ، يُؤَثِّرُ أَصْحَابَهُ بِمَا يَخْصُلُ لَهُ ، وَنَشَأَ وَلَدُهُ هَذَا ،
فَعُنِيَ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ وَسَمَاعِهِ وَالرَّحْلَةِ فِيهِ إِلَى الْآفَاقِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، حَتَّى بَرَزَ فِيهِ عَلَى
الْأَقْرَانِ ، وَفَاقَ أَهْلَ ذَلِكَ الزَّمَانِ وَالْأَوَانِ ، وَوُلِدَ سَنَةَ تِسْعٍ^(٢) وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ،
وَتُؤْفَى يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .
الْجَمَالُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيُّ^(٣) ، كَانَ فَاضِلًا كَرِيمًا
حَيِّيًا ، سَمِعَ الْكَثِيرَ ، ثُمَّ خَالَطَ الْمُلُوكَ وَأَبْنَاءَ الدُّنْيَا ، فَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهُ ، وَمَاتَ بِبُخْتِنِ
ابْنِ شُكْرِ عِنْدَ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْعَادِلِ ، وَهُوَ الَّذِي كَفَّنَهُ ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ
قَاسِيُونَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ^(٤) بْنُ أَبِي بَكْرِ [٢١٠/١٠ ظ] الْمُبَارَكُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ

(١) التكملة لوفيات النقلة ٨/٦ ، ووفيات الأعيان ٤/٣٩٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٤٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٧١ ، والوفاء بالوفيات ٣/٢٦٧ ، والذيل على طبقات الخنابلة ٢/١٨٢ .

(٢) في الأصل : « سبع » ، وفي تاريخ الإسلام ، والوفاء بالوفيات « نيف » ، وفي سير أعلام النبلاء : « ولد بعد السبعين » .

(٣) مرآة الزمان ٨/٦٧٤ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/٣٤ ، والذيل على الروضتين ص ٦٧٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣١٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٤٥ ، والوفاء بالوفيات ١٧/٢٩٣ ، والذيل على طبقات الخنابلة ٢/١٨٥ .

(٤) في الأصل ، م : « الحسين » . والمثبت من مصادر ترجمته : التكملة لوفيات النقلة ٦/١٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣١٥ ، وذكر وفاته فيه في سنة تسع وستمائة ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٤١ ، والوفاء بالوفيات ١٢/٢١٢ ، والجواهر المضنية ٢/٧٨ .

ابن يحيى بن المسلم^(١) الزبيدي ثم البغدادي، كان شيخًا صالحًا فقيهاً^(٢) حنفياً فاضلاً، ذا فنون كثيرة؛ من ذلك علم الفرائض والعروض، وله فيه أجزورة حسنة، انتخب منها ابن الساعي من كل بحر بيتين، وسرد ذلك في «تاريخه».

أبو الفتح مسعود بن إسماعيل^(٣) بن علي بن موسى السلماسي، فقيه أديب شاعر، له تصانيف، وقد شرح «المقامات» و«الجمل» في النحو، وله خطب وأشعار حسنة، رحمه الله تعالى.

أبو بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله الأنصاري فخر الدين بن الشيرجي^(٤) الدمشقي، أحد المعدلين بها، ولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وسمع الحديث، وكان يلى ديوان الخاتون ست الشام بنت أيوب، وفوضت إليه أمر أوقافها.

قال السبئ^(٥): وكان ثقة أميناً كيساً متواضعاً. قال: وقد وزر ولده شرف الدين للناصر داود مدة يسيرة، وكانت وفاة فخر الدين^(٦) في يوم عيد الأضحى، ودُفن بمقابر باب الصغير، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

(١) في الأصل: «سلم».

(٢) سقط من: م.

(٣) بعده في الأصل: «بن أبي علي بن مسعود». ولم نقف له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر، ولعله في تاريخ ابن الساعي الكبير.

(٤) في الأصل: «السيرجي». وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٦٧٥/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٤١١/٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٢٩٤، والمقفي الكبير للمقريزي ١٥٧/٦.

(٥) مرآة الزمان ٦٧٥/٨ (القسم الثاني).

(٦) ذكر في التكملة لوفيات النقلة، وتاريخ الإسلام، والمقفي الكبير، أن وفاته سنة سبع وعشرين وستمائة.

حُسام^(١) بَنُ غَزَى بْنِ يُونُسَ ، عِمَادُ الدِّينِ أَبُو الْمَنَاقِبِ الْمَحَلِّيُّ^(٢) الْمِصْرِيُّ
ثُمَّ الدَّمَشَقِيُّ ، كَانَ شَيْخًا صَالِحًا فَاضِلًا فَقِيهًا شَافِعِيًّا حَسَنَ الْمَحَاضِرَةِ ، وَلَهُ أَشْعَارٌ
حَسَنَةٌ .

قال أبو شامة^(٣) : وَلَهُ فِي « مُعْجَمِ الْقُوصِيِّ » تَرْجُمَةٌ حَسَنَةٌ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ تُوفِّيَ
عَاشَرَ رَبِيعِ الْآخِرِ^(٤) ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ .

قال السَّبْطُ^(٥) : وَكَانَ مُقِيمًا بِالمَدْرَسَةِ الْأَمِينِيَّةِ ، وَكَانَ لَا يَأْكُلُ لِأَحَدٍ شَيْئًا وَلَا
لِلسُّلْطَانِ ، بَلْ إِذَا حَضَرَ طَعَامًا كَانَ مَعَهُ فِي كُمِّهِ شَيْءٌ يَأْكُلُهُ ، وَكَانَ لَا يَزَالُ مَعَهُ
أَلْفُ^(٦) دِينَارٍ عَلَى وَسْطِهِ . وَحَكَى عَنْهُ قَالَ : خَلَعَ عَلَى الْمَلِكِ الْعَادِلُ لَيْلَةً طَيِّلَسَانًا ،
فَلَمَّا خَرَجْتُ مَشَى بَيْنَ يَدَيَّ نَفَاطٌ^(٧) يَحْسِبُنِي الْقَاضِي ، فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى بَابِ
الْبَرِيدِ عِنْدَ دَارِ سَيْفٍ خَلَعْتُ الطَّيِّلَسَانَ ، وَجَعَلْتُهُ فِي كُمِّي ، وَتَبَاطَأْتُ فِي الْمَشْيِ ،
فَالْتَقَتْ فَلَمْ يَزِرْ وَرَاءَهُ أَحَدًا ، فَقَالَ لِي : أَيْنَ الْقَاضِي ؟ فَأَشْرَفْتُ إِلَى نَاحِيَةِ الثُّورِيَّةِ^(٨) ،
وَقُلْتُ : ذَهَبَ إِلَى دَارِهِ . فَلَمَّا أَسْرَعَ إِلَى نَاحِيَةِ الثُّورِيَّةِ هَزَوْتُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْعِمَادُ الْحَلِيُّ الشَّاعِرُ حُسَامٌ » . وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : مَرَاةُ الزَّمَانِ ٦٧٢/٨ (الْقِسْمُ
الثَّانِي) ، وَالتَّكْمِلَةُ لَوْفِيَّاتِ النَّقْلَةِ ١٢/٦ ، وَالذِّيلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٦٠ ، وَوَفِيَّاتُ الْأَعْيَانِ ٢٥٣/٦ ،
وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٤٠ ، وَالْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ ٣٤٩/١١ .
(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْحَلِيُّ » .

(٣) الذِّيلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٦٠ .

(٤) ذَكَرَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ فِي مَرَاةِ الزَّمَانِ ٦٧٢/٨ ، ٦٧٣ (الْقِسْمُ الثَّانِي) ، وَذَكَرَ فِيهَا قَوْلًا
أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتَّمِائَةٍ .

(٥) مَرَاةُ الزَّمَانِ ٦٧٢/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي) .

(٦) فِي مَرَاةِ الزَّمَانِ : « أَلْفَا » .

(٧) فِي الْأَصْلِ ، م : « تَعَاط » . وَالْمَثْبُوتُ مِنْ مَرَاةِ الزَّمَانِ وَفِيهِ : « وَإِذَا بَنَفَاطٌ قَائِمٌ وَبِيَدِهِ مَشْعَلٌ » . وَالنَّفَاطُ :
بِائِعِ النَّفْطِ . الْوَسِيطُ (ن ف ط) .

(٨) وَهِيَ الْمَدْرَسَةُ الثُّورِيَّةُ الَّتِي بَنَاهَا نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ زَنْكِي .

الأمينية، واشترخت منه .

قال ابن الساعي : كان مولده سنة ستين وخمسمائة، وخلف أموالاً كثيرة، ورثتها عصبته . قال : وكانت له معرفة حسنة بالأخبار والتواريخ وأيام الناس ، مع دين وصلاح وورع ، وأورد له من شعره قوله ^(١) :

قيل لى من هويت قد ^(٢) عبث الشع
رُ بخديه قلت ما ذاك عازة
^(٣) جمر خديه ^(٣) أحرقت عنبر الخا
ل فمن ذلك الدخان عذارة
وقوله :

شوقى إليكم دون أشواقكم
لأننى عن قلبكم غائب
وأنتم فى القلب لم ^(٤) تبرحوا
لكنه لابد ما يُشرح
أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الجارود المارائى ^(٥) ، الفقيه
الشافعى ، أحد الفضلاء ، ولى القضاء بإربل ، وكان ظريفاً خليعاً ، وكان من
محاسن الأيام ، وله أشعار رائعة ومعانٍ فائقة ، فمن شعره قوله ^(٦) :

^(٧) مشيت أتى وشباب ^(٧) رحل ^(٨) فحل العناء به ^(٨) حيث حل

(١) انظر البيتين فى تاريخ الإسلام ، والوفى بالوفيات .

(٢ - ٣) فى تاريخ الإسلام والوفى بالوفيات : « تحبه » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « حمرة الحد » .

(٤) فى م : « لن » .

(٥) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٧٣ ، والوفى بالوفيات ١٧٢ / ٤ ، والمقفى الكبير ٦ / ٣٣١ .

(٦) انظر الأبيات فى المقفى الكبير ٦ / ٣٣٢ .

(٧ - ٧) فى الأصل : « شبت أنا وشبابى » .

(٨ - ٨) فى الأصل : « أحد العناء به » ، وفى م : « أحل العناء » . والمثبت من المقفى الكبير .

«وعمر»^(٢) تَقَضَّى بلا^(٣) طاعة فويحك يا نفس ما^(٤) ذا الرُّلُلُ^(١)
 وذنبك جَمَّ ألا فازجعى وعودى فقد حان وقت الأجل
 ودينى الإله ولا تُقصِرْ ولا يَخْدَعَنَّكَ طولُ الأمل
 «فما لك غيرُ الثَّقَى مُستَعَدُّ ولا صاحبٌ غيرُ حُسْنِ العمل»^(٥)

أبو النِّشَاءِ محمودُ بنُ زاكى^(٦) بن [٢٢/١٠] على بن يحيى الطائى الرُّقِّى ،
 نَزِيلُ إزِيلَ ، وولى النَّظَرَ بها للملكِ مُظَفَّرِ الدينِ ، وكان شيخاً أدبياً فاضلاً ، ومن
 شعره قوله :

وأهيفُ ما الخطى إلا قوائمه وما الغصنُ إلا ما يُثْنِيهِ لِينُهُ
 وما الدُّعْصُ^(٧) إلا ما تَحْمَلُ خَصْرُهُ وما النَّبْلُ إلا ما تَرِيشُ جُفُونُهُ
 وما الخمرُ إلا ما يُرَوِّقُ ثَغْرُهُ وما السَّحَرُ إلا ما تُكِنُّ عِيُونُهُ
 وما الحسنُ إلا كُلُّهُ فَمَنِ الذى إذا ما رآه لا يَزِيدُ جَنُونُهُ

ابنُ مُعْطَى النَّخْوِى يحيى ، تَرْجَمَهُ أَبُو شَامَةَ فى السَّنَةِ المَاضِيَةِ^(٨) ، وهو
 أَضْبَطُ ؛ لأنه شَهِدَ جَنَازَتَهُ بِمَصْرَ ، وأما ابنُ السَّاعِى فإنه ذَكَرَهُ فى هَذِهِ السَّنَةِ ،

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : «عمرى» .

(٣) فى المَقْفَى الكبير : «ولا» .

(٤) فى المَقْفَى الكبير : «كم» .

(٥) فى م : «والى» . ولم نَقِفْ له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر ، ولعله فى تاريخ ابن السَّاعِى .

(٦) الدُّعْصُ : قطعة من الرمل مستديرة . الوسيط (د ع ص) .

(٧) تقدمت ترجمته فى صفحة ١٨٦ . ضمن وفيات السنة الماضية كما ذكر المصنف ، ولم يذكر هناك أنه أورده تبعاً لأبى شامة .

وقال : إنه كان حَظِيًّا عِنْدَ الْكَامِلِ مُحَمَّدٍ صَاحِبِ مِصْرَ ، وإنه كان قد نَظَّمَ
أُجُوزَةً فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ ، وَنَظَّمَ أَلْفَاظَ « الْجَمْهَرَةِ » ، وَكَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى نَظْمِ
« صِحَاحِ الْجَوْهَرِيِّ » .

سنة ثلاثين وستمائة

فيها^(١) بأشَرُ خُطابةً بغدادَ ونقابةَ العباسيين العَدْلُ مجدُ الدين أبو القاسم هبةُ الله ابنُ^(٢) «عبدِ الله»^(٣) المنصوري^(٤)، وخُلِعَ عليه خِلعةٌ سَنِيَّةٌ، وكان فاضلاً قد صَحِبَ الفُقراءَ والصُّوفِيَّةَ، وتَزَهَّدَ بُزْهَةً مِنَ الزَّمانِ، فلما دُعِيَ إلى هذا الأمرِ أَجابَ سَريعاً، وأَقْبَلَتْ عليه الدنيا بِزَهْرَتِها، وخدمه الغِلْمانُ الأتراكُ، ولبسَ لباسَ المُتَرَفِّينَ، وقد عاتَبَه بعضُ تلامذَتِه^(٥) بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ، وعَنَّفَه على ما صار إليه، وقد سردها ابنُ السَّاعِي بِطَوِيلِها في «تاريخه».

وفيها سار القاضي مُحَبِّي الدين يوسفُ بنُ الشيخِ جمالِ الدين أبي الفرجِ بنِ الجوزي في الرِّسَالَةِ مِنَ الخَلِيفَةِ إلى الكاملِ محمدٍ صاحبِ مصرَ، ومعه كتابُ هائلٍ فيه تَقْلِيدُهُ المُلْكَ، وفيه أوامرٌ كثيرةٌ مَلِيحَةٌ مِنْ إنْشاءِ الوَزيزِ^(٦) نَصيرِ الدين^(٧) أحمدَ بنِ الناقِدِ، سرده ابنُ السَّاعِي أيضًا بِكَمالِه^(٨). وقد كان الكاملُ مُحَيِّمًا بِظاهِرِ آمِدٍ مِنَ أَعْمالِ الجَزِيرَةِ، قد افْتَتَحَها بَعْدَ حِصارٍ طَوِيلٍ، وهو مسرورٌ بما نال مِنْ مُلْكِها.

(١) مرآة الزمان ٦٧٥/٨ - ٦٧٧ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ٦٦٥، ونهاية الأرب ١٧٠/٢٩ - ١٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٨ - ٥٢.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) في الأصل: «المعصوري».

(٤) سقط من: الأصل.

(٥ - ٥) في م: «نصر الدين». وانظر سير أعلام النبلاء ١٠٨/٢٣.

(٦) وذكره أيضا النويري في نهاية الأرب ١٧٤/٢٩ - ١٨٩.

وفيهما فُتِحَت دَارُ الصِّيَافَةِ ببغدادَ للحَجِيجِ حينَ قَدِمُوا مِن حَجِّهِم ، وَأُجْرِيتَ
عليهم التَّفَقَّاتُ وَالكَسَاوَى وَالصَّلَاتُ . وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

وفيهما سَارَتِ الْعَسَاكِرُ الْمُسْتَنْصِرِيَّةُ صُحْبَةَ الْأَمِيرِ شَرِيفِ^(١) الدِّينِ^(٢) أَبِي
الْفَضَائِلِ إِبْرَاهِيمَ الْخَاصَّ^(٣) الْمُسْتَنْصِرِيَّ إِلَى مَدِينَةِ إِزْبِلَ وَأَعْمَالِهَا ، وَذَلِكَ لِمَرْضِ
مَلِكِهَا مُظَفَّرِ الدِّينِ كُوكْبَرِيِّ بْنِ زَيْنِ الدِّينِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِن بَعْدِهِ مَن يَمْلِكُ
الْبِلَادَ ، فَحِينَ وَصَلَهَا الْجَيْشُ مَتَّعَهُ أَهْلُ الْبَلَدِ ، فَحَاصَرُوهُ حَتَّى افْتَتَحُوهُ عَنوةً
فِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَوَالٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَجَاءَتِ الْبَشَائِرُ بِذَلِكَ ، فَضَرَبَتْ
الطُّبُولُ ببغدادَ بِسَبَبِ ذَلِكَ ، وَفَرِحَ أَهْلُهَا ، وَكُتِبَ التَّقْلِيدُ عَلَيْهَا لِإِبْرَاهِيمَ
الْمَذْكُورِ ، فَرُتِّبَ فِيهَا الْمَنَاصِبُ ، وَسَارَ فِيهَا سِيرَةٌ جَيِّدَةٌ ، وَامْتَدَحَ الشُّعْرَاءُ هَذَا
الْفَتْحَ مِنْ حَيْثُ هُوَ ، وَكَذَلِكَ مَدَحُوا فَاتِحَهَا إِبْرَاهِيمَ ، وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قَالَ
بَعْضُهُمْ :

يَا يَوْمَ سَابِعِ عَشَرَ شَوَالٍ الَّذِي رُزِقَ السَّعَادَةَ أَوَّلًا وَأَخِيرًا
هُنِّيتَ فِيهِ بِفَتْحِ إِزْبِلَ مِثْلَمَا هُنِّيتَ فِيهِ وَقَدْ جَلَسْتَ وَزِيرًا
يعْنَى أَنَّ الْوَزِيرَ نَصِيرَ الدِّينِ بْنِ الْعَلْقَمِيِّ ، كَانَ قَدْ وَزَرَ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ مِنْ
الْعَامِ الْمَاضِي .

وَفِي مُسْتَهَلِّ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ شُرِعَ فِي عِمَارَةِ دَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ
بِدِمَشْقَ ، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ دَارًا لِلْأَمِيرِ قَايِمَازَ ، وَبِهَا حِمَامٌ فَهَدِمَتْ ، وَبُنِيَتْ الدَّارُ
عَوَضَهُمَا .

(١) فِي م : « سَيْف » . وَانْظُرْ سِيرَ أَعْلَامِ الْبَلَاءِ ٣٧٠ / ٢٣ .

(٢ - ٣) فِي الْأَصْلِ : « إِبْرَاهِيم » .

وقد ذكر السُّبُطُ^(١) في هذه السنة أن في ليلة النصف من شعبان فُتِحَتْ دارُ الحديثِ الأشرَفِةُ المجاورَةُ لقلعةِ دمشقَ ، وأُمِّلَى بها الشيخُ تَقِيُّ الدِّينِ بنُ الصَّلاحِ الحديثَ ، ووقَّفَ عليها الأشرَفُ الأوقافَ ، و^(٢) بها نَعْلُ النَّبِيِّ ﷺ . قال : وسمع الأشرَفُ « صحيح البخاري » في هذه السنة على الزَّيْدِيِّ . قلتُ : وكذا سمِعوا عليه بالدارِ وبالصالحية .

قال^(٣) : وفيها فَتَحَ الكاملُ آمِدَ وحصنَ كَيْفَا ، ووَجَدَ عِنْدَ مَلِكِهَا خَمْسَمِائَةِ حُرَّةٍ لِلْفِرَاشِ ، فعَذَّبَهُ الأشرَفُ عَذَابًا أَلِيمًا .

قال^(٤) : وفيها قَصَدَ صاحبُ مارِدينَ وجيشُ بلادِ الرومِ الجزيرةَ ، فقتلوا [٢٢/١٠ ظ] وسبُّوا ، وفعلوا ما لم يَفْعَلْهُ التَّائِرُ بالمسلمين .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْمَشَاهِيرِ :

أبو القاسمِ عَلِيُّ بنُ الشَّيْخِ أَبِي الفَرَجِ بنِ الْجَوْزِيِّ^(٥) كان شيخًا ظريفًا لطيفًا ، سَمِعَ الكثيرَ ، وعَمِلَ صِنَاعَةَ الوَعْظِ مَدَّةً ، ثم تَرَكَ ذَلِكَ ، وكان يَحْفَظُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالتَّوَادِرِ وَالْأَشْعَارِ ، وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وكانت وفاته في هذه السنة ، وله تسعٌ وسبعون سنةً .

(١) مرآة الزمان ٦٧٦/٨ ، ٦٧٧ (القسم الثاني) .

(٢) بعده في م : « جعل » .

(٣) المصدر السابق ٦٧٥/٨ ، ٦٧٦ .

(٤) المصدر السابق ٦٧٧/٨ .

(٥) المصدر السابق ٦٧٨/٨ ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/٧٨ ، وسير أعلام النبلاء ٣٥٢/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٩٤ وفيه « أبو الحسن » ، والوافي بالوفيات ٢١/٢٢٣ .

وقد ذَكَرَ السَّبْطُ^(١) وفاةَ الوزيرِ صَفِيِّ الدِّينِ^(٢) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ^(٣) بْنِ شُكْرِ
 فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَعَلَى مَحَبَّتِهِ لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَأَن لَهُ مُصَنَّفًا سَمَاهُ
 «الْبَصَائِرُ»، وَأَنَّهُ تَغَضَّبَ عَلَيْهِ الْعَادِلُ، ثُمَّ تَرَضَّاهُ الْكَامِلُ، وَأَعَادَهُ إِلَى وِزَارَتِهِ
 وَحُزْمَتِهِ^(٤)، وَدُفِنَ بِمَدْرَسَتِهِ الْمَشْهُورَةِ بِمَصْرَ. وَذَكَرَ أَن أَوَّلَهُ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا:
 دَمِيرَةُ، بِمَصْرَ.

الْمَلِكُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ^(٥) بْنُ عِزِّ الدِّينِ مَسْعُودِ بْنِ نُورِ الدِّينِ أَرْسَلَانِ
 شَاهِ بْنِ قُطْبِ الدِّينِ مُؤَدُّودِ بْنِ عِمَادِ الدِّينِ^(٦) زَنْكِي أَقْسَنْقَرُ، صَاحِبُ الْمَوْصِلِ،
 كَانَ مَوْلَدُهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَسِتِّمِائَةٍ، وَقَدْ أَقَامَهُ بَدْرُ الدِّينِ لَوْلُؤُ صُورَةَ
 حَتَّى تَمَكَّنَ أَمْرُهُ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ، ثُمَّ حَجَرَ عَلَيْهِ، فَكَانَ لَا يَصِلُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ
 الْجَوَارِي وَلَا شَيْءٍ مِنَ السَّرَارِي، حَتَّى لَا يُعْقَبَ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي الطَّعَامِ
 وَالشَّرَابِ، فَلَمَّا تَوَفَّى جَدُّهُ لِأُمِّهِ مُظَفَّرُ الدِّينِ كُوكُبَرِي صَاحِبُ إِزْبِلَ، مَنَعَهُ
 حِينَئِذٍ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا، حَتَّى مَاتَ كَمَدًا وَجُوعًا
 وَعَظْمًا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صُورَةً، وَهُوَ آخِرُ مَلُوكِ
 الْمَوْصِلِ مِنَ الْبَيْتِ الْأَتَابِكِيِّ.

(١) مرآة الزمان ٦٧٧/٨ (القسم الثاني). وقد تقدمت ترجمة صفى الدين فى وفیات سنة ثنتين وعشرين وستمائة.

(٢) سقط من: م.

(٣) مرآة الزمان ٥٩٨/٨ (القسم الثاني). حوادث سنة خمس عشرة وستمائة. ولكن لم يتعرض السبط لذكر دفنه؛ وقد ذكر المصنف فى ترجمته المتقدمة أنه دفن بتريته عند مدرسته بمصر، وكذا جاء بذيل الروضتين ص ١٤٧، وفى التكملة لوفیات النقلة ٢٣٤/٥، ونهاية الأرب ١٣٠/٢٩. أنه دفن برباطه الذى أنشأه بالقرب من مدرسته.

(٤) فى م: «محمود». وانظر وفیات الأعيان ٢٠٨/٥، ٣٩١.

(٥) بعده فى م: «بن». وانظر سير أعلام النبلاء ١٨٩/٢٠.

القاضي شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم^(١) أحد مشايخ الحنفية، وله مصنفات في الفرائض وغيرها، وهو ابن خالة القاضي شمس الدين بن الشيرازي الشافعي^(٢)، وكلاهما كان ينوب عن ابن الزكي وابن الحرستاني، وكان يُدرّس بالطرخانية، وبها مسكنه، فلما أُرسل إليه المعظم أن يُفتي بإباحة نبيذ التمر وماء الرمان امتنع من ذلك، وقال: أنا على مذهب محمد بن الحسن في ذلك، والرواية عن أبي حنيفة شاذة^(٣)، ولا يصح حديث ابن مسعود في ذلك، ولا الأثر عن^(٤) عمر أيضًا. فغضب عليه المعظم، وعزله عن التدريس، وولاه لتلميذه الزين بن العتال، وأقام الشيخ بمنزله حتى مات، رحمه الله تعالى.

قال أبو شامة^(٥): وفي هذه السنة تُوفّي جماعة من السلاطين؛ منهم المغيث ابن المغيث بن العادل، والعزیز عثمان بن العادل، ومظفر الدين صاحب إربل وغيرهم^(٦).

قلت: أما صاحب إربل فهو: الملك المظفر أبو سعيد كوكبرى^(٧) بن زين

(١) التكملة لوفيات النقلة ٣٢٦/٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٢١، والوافي بالوفيات ٦٦/٩، والجواهر المضية ٣٩٠/١، والمقفي الكبير ٧١/٢، والمنهل الصافي ٣٧٧/٢.
(٢) ليس في المصادر ذكر أنه ابن خالة القاضي هذا، ولا ذكر نيابته هو وابن خالته هذا، عن ابن الزكي وابن الحرستاني. ولعله عند ابن الساعي.

(٣) لفظه في الجواهر: «إباحتها إنما هي رواية النوادر». وفي المقفي: «وإباحته إنما هي رواية عن أبي حنيفة». وبعده عندهما ما معناه: أنه قد صح عن أبي حنيفة، أنه ما شربه قط.

(٤) بعده في الأصل: «ابن». ثم بياض بقدر كلمة.

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٦١.

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) في الأصل: «كوكري». وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٦٨٠/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٨٤/٦، ووفيات الأعيان ١١٣/٤، وسير أعلام النبلاء ٣٣٤/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٤٠٢.

الدين علي بن بُكْتِكِين^(١) أحد الأجواد والسادات الكبرياء والملوك الأمجاد، له آثار حسنة، وقد عثر الجامع المظفرى بسفح قاسيون، وكان قد هم بسياقة الماء إليه من ماء بوزة^(٢)، فمنعه المعظم من ذلك، واعتل بأنه قد يئز على مقابر المسلمين بالشفوح، وكان يعمل المولد الشريف فى ربيع الأول، ويحتفل به احتفالاً هائلاً، وكان مع ذلك شهماً شجاعاً^(٣) بطلاً عاقلاً عالماً عادلاً، رحمه الله تعالى.

وقد صنّف الشيخ أبو الخطاب بن دحية له مجلدًا فى المولد النبوى سمّاه «التنوير فى مولد السراج المنير»^(٤)، فأجازه على ذلك بألف دينار. وقد طالت مدته فى الملك فى زمان الدولة الصلاحية، وقد كان مُحاصِرًا مدينة عكا، وإلى هذه السنة، محمود السيرة والسريّة.

قال السبّط^(٥): حكى بعض من حضر سِمَاطَ المظفر فى بعض الموالد أنه مدّ فى ذلك السّمَاطِ خمسة آلاف رأس شوى^(٦)، [٢٣/١٠] وعشرة آلاف دجاجة، ومائة^(٧) ألف زُبدية، وثلاثين ألف صحن حلوى. قال: وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية، فيخلع عليهم، ويطلق لهم، ويعمل للصوفية سماعاً من الظهر إلى الفجر، ويَرُقُصُ معهم بنفسه، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أى جهة على أى صفة، وكانت صدقاته فى جميع القرب والطاعات على الحرمين وغيرهما، ويستفك من الفرج فى كل سنة خلقاً من

(١) فى الأصل: «تكشكين»، وفى م: «تكتكين». والمثبت من مصادر ترجمته.

(٢) فى م: «بذيرة». وانظر معجم البلدان ٥٦٣/١.

(٣) بعده فى م: «فاتكا».

(٤ - ٤) فى الأصل، م: «البشير النزير»، والمثبت من وفيات الأعيان، وسيأتى اسم الكتاب على الصواب فى ترجمة ابن دحية فى صفحة ٢٢٥.

(٥) مرآة الزمان ٦٨١/٨ - ٦٨٣ (القسم الثانى).

(٦) فى م: «مشوى». والشوى: الشواء. انظر اللسان (ش و ي).

(٧) بعده فى الأصل: «فرس ومائة».

الأسارى، حتى قيل: إن جملة من استنقذ من أيديهم ستون ألف أسير. قالت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب - وقد زوجه إياها أخوها صلاح الدين، لما كان معه على عكا - قالت: كان قميصه لا يساوي خمسة دراهم^(١) من خام، فعاتبته في ذلك فقال: لبسى ثوباً بخمسة، وأتصدق بالباقي خير من أن ألبس ثوباً مثمناً^(٢)، وأدع الفقير والمشكين. وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وعلى دار الضيافة في كل سنة مائة ألف دينار، وفي ثمن الأسارى في كل سنة مائتي^(٣) ألف دينار، وعلى الحرمين والمياه بدرج الحجاز ثلاثين ألف دينار، سوى صدقات السر، رحمه الله تعالى، وكانت وفاته بقلعة إربل، وأوصى أن يحمل إلى مكة، فلم يتفق، فدفن بمشهد على.

والملك العزيز عثمان بن العادل^(٤)، وهو شقيق المعظم، كان صاحب بانياس وتلك^(٥) الحصون التي هنالك، وهو الذي بنى الصبيبية^(٦)، وكان عاقلاً قليل الكلام، مطيعاً لأخيه المعظم، ودفن عنده. وكانت وفاته يوم الاثنين عاشر رمضان بيشتانه الناعمة من بيت لهنيا، سامحه الله تعالى.

ابن غنيم الشاعر، أبو المحاسن محمد بن^(٧) نصر الله بن مكارم^(٨) بن الحسن

(١ - ١) سقط من: م. وفي الأصل: «من فرسى عليط». والمثبت من مرآة الزمان.

(٢) في مرآة الزمان: «بعشرة دراهم».

(٣) في مرآة الزمان: «مائة».

(٤) مرآة الزمان ٦٧٨/٨ (القسم الثاني)، ونهاية الأرب ٢٩/١٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٩٣، ومرآة الجنان ٤/٦٩.

(٥) في م: «تملك».

(٦) في م: «المعظمية». والصبيبة: قلعة بين بانياس وتبنين وهونين. العبر ١١٩/٥.

(٧ - ٧) في الأصل: «منصور بن مكارم» وفي م: «نصر الدين بن نصر». والمثبت من مصادر ترجمته: معجم الأدباء ٨١/١٩، ومرآة الزمان ٦٩٦/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٥٧/٦ =

ابن علي بن محمد بن غالب الأنصاري، المعروف بابن عُثَيْن، قال ابن الساعي: أصله من الكوفة، وولد بدمشق ونشأ بها، وسافر عنها سنين، فجاب الأقطار والبلاد شرقاً وغرباً، ودخل الجزيرة وبلاد الروم والعراق وخراسان وما وراء النهر والهند واليمن والحجاز ومصر وبغداد، ومدح أكثر أهل هذه البلاد، وحصل أموالاً جزيلة، وكان ظريفاً شاعراً مُطَبِّقاً مشهوراً، حسن الأخلاق، جميل المعاشرة. وقد رجع إلى بلده دمشق، فكان بها حتى مات في هذه السنة، في قول ابن الساعي. وأما السُّبُط وغيره فإنهم أرخوا وفاته في سنة ثلاث وثلاثين، وقد قيل: إنه مات في سنة إحدى وثلاثين. فالله أعلم. والمشهور أن أصله من حوران من مدينة زُرْع، وكانت إقامته بدمشق في الجزيرة قبلي الجامع، وكان هَجَاءً، له قدرة على ذلك، وصنّف كتاباً سماه «مقراض الأغراض»، يشتمل على نحو من خمسمائة بيت، قلّ من سلّم من الدماشقية من شره، ولا الملك صلاح الدين ولا أخوه العادل، وقد كان يُزَنُّ^(١) بترك الصلوات المكتوبة. فالله أعلم.

وقد نفاه الملك الناصر صلاح الدين إلى الهند، فامتدح ملوكها، وحصل أموالاً جزيلة، وصار إلى اليمن، فيقال: إنه وزر لبعض ملوكها، ثم عاد في أيام العادل إلى دمشق، ولما ملك المعظم استوزره، فأساء السيرة، واشتقال هو من تلقاء نفسه فعزله، وكان قد كتب إلى الدماشقية من بلاد الهند^(٢):

= ووفيات الأعيان ١٤/٥، وسير أعلام النبلاء ٣٦٣/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ -

٦٣٠) ص ٤١١، والوفاء بالوفيات ١٢٢/٥ - ١٢٧.

(١) يز: يُتهم. انظر القاموس المحيط (ز ن ن).

(٢) ديوان ابن عنين ص ٩٤.

فَعَلَامَ أَبْعَدْتُمْ أَخَا ثِقَةٍ لَمْ يَجْتَرِمَ^(١) ذَنْبًا وَلَا سَرَقًا
انْفُؤا الْمُؤَذَّنَ مِنْ بِلَادِكُمْ إِنْ كَانَ يُنْفَى كُلُّ مَنْ صَدَقَا
ومما هجا به الملك الناصر صلاح الدين، رحمه الله تعالى^(٢) :

سلطاننا أعرج وكتابه ذو عَمَشٍ [٢٣/١٠ ظ] والوزير مُنْحَدِبٌ^(٣)
والدُّوْلَعِيُّ الْخَطِيبُ مُعْتَكِفٌ وهو على قِشْرِ بَيْضَةٍ يَثْبُ
ولابنِ باقا وعُظٌّ يَغُرُّ^(٤) به الد
وصاحبُ الأمرِ خُلِقَهُ شَرِشٌ وعارِضُ الجِيشِ داؤُهُ عَجَبٌ
وقال في الملك العادل سيف الدين، رحمه الله تعالى^(٥) :

إِنْ سُلْطَانَنَا الَّذِي نَرْجِيهِ وَاسِعُ الْمَالِ ضَيِّقُ الْإِنْفَاقِ
هُوَ سَيْفٌ كَمَا يُقَالُ وَلَكِنْ قَاطِعٌ لِلرُّسُومِ وَالْأَزْزَاقِ
وقد حضر مرة مجلس الفخر الرازي بخراسان وهو على المنبر يعظ الناس،
فجاءت حمامة خلفها جارح، فألقت نفسها على الفخر الرازي كالمُسْتَجِيرَةِ به،
فأنشأ ابنُ عُثَيْنٍ يقول^(٦) :

جاءت سليمانَ الزمانِ حمامةٌ والموتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحَيْ خَاطِفِ

(١) في م : « يقترف » .

(٢) الديوان ص ٢١٠ ، ٢١١ . بتقديم وتأخير في الآيات .

(٣) في م : « أحذب » .

(٤) في م : « يغش » .

(٥) الديوان ص ٢٣٩ (الجزء المستدرک) .

(٦) الديوان ص ٩٥ .

قَرِيمٌ^(١) لَوَاهِ الْجُوعُ حَتَّى ظَلُّهُ^(٢) «بِإِزَائِهِ يَجْرِي بِقَلْبٍ وَاجِفٍ»^(٣)
 مَنْ أَعْلَمَ الْوَزَقَاءَ أَنْ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنْكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ
 الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ الشَّهْرَوَزْدِيُّ^(٤)، صَاحِبُ «عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ»، عَمْرُ
 ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمَّوَيْهِ^(٥)، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ الْبَكْرِيُّ
 الْبَغْدَادِيُّ، شِهَابُ الدِّينِ أَبُو حَفْصٍ الشَّهْرَوَزْدِيُّ، شَيْخُ الصُّوفِيَةِ بِبَغْدَادَ، وَكَانَ
 مِنْ كِبَارِ الصَّالِحِينَ وَسَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرَدَّدَ فِي الرِّسَالَةِ بَيْنَ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ
 مِرَازًا، وَحَصَلَتْ لَهُ أَمْوَالٌ جَزِيلَةٌ، فَفَرَّقَهَا بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَقَدْ حَجَّ مَرَّةً
 وَفِي صُحْبَتِهِ خَلَقٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَتْ فِيهِ مُرُوءَةٌ
 وَإِعَانَةٌ لِلْمَلْهُوفِينَ وَإِعَانَةٌ لِلْمُحْتَاجِينَ، وَأَمُرٌّ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٌ عَنْ مَنَكِرٍ، وَكَانَ يَعْظُ
 وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الْبَذَلَةِ، قَالَ مَرَّةً هَذَا الْبَيْتُ :

مَا فِي الصَّحَابِ أَخُو وَجَدٍ نُطَارِحُهُ^(٦) حَدِيثَ نَجْدٍ وَلَا صَبَّ نُجَارِيهِ^(٧)
 «وَجَعَلَ يُكْرِّزُهُ وَيَتَوَاجَدُ»^(٨)، فَقَامَ^(٩) شَابٌّ^(١٠) - عَلَيْهِ قَبَاءٌ وَكَلُوتَةٌ - مِنْ^(١١)

(١) قرم: قرم اللحم، وإليه: اشتدت شهوته إليه، فهو قَرِيمٌ. الوسيط (ق ر م).
 (٢ - ٣) في الأصل: «من سجنه يمشى بقلب خائف». وفي م: «إِزَائِهِ بَقْلِبٍ وَاجِفٍ». والمثبت من الديوان.
 (٣) تاريخ لإربل ١/١٩٢، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٩/٢٠٩، ومرة الزمان ٨/٦٧٩ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/١٢١، والذيل على الروضتين ص ١٦٣، ووفيات الأعيان ٣/٤٤٦، ونهاية الأرب ٢٩/١٩٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١١٢، وتذكرة الحفاظ ٤/١٤٥٨، وميزان الاعتدال ٢/٢٦٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٣٨، وطبقات الأولياء ص ٢٦٢.
 وجاءت وفاته في المصادر السابقة - عدا مرة الزمان ونهاية الأرب - في سنة ثنتين وثلاثين وستمائة.
 (٤) في الأصل: «عربه»، وفي م: «حمويه». والمثبت من مصادر الترجمة.
 (٥ - ٥) في م: «إلا محب له في الركب محبوب».
 (٦ - ٦) سقط من: م.
 (٧) في الأصل: «فيادات». ولعله: «فباداه»، أي كاشفه وجاهره.
 (٨ - ٨) في م: «وكان في المجلس فأنشده».

^(١) الحاضرين فقال : يا شيخ ، كم تَشْطِخُ وتَنْقِصُ بالقوم ، والله إن فيهم من لا يَرْضَى أن يُجَارِيكَ ، ولا يصلُ فَهْمُكَ إلى ما يقول ! هلا أنشدت :

ما في الصُّحَابِ وقد سارت حُمُولُهُمْ إلا مُحِبٌّ له في الركبِ مَحْبُوبٌ ^(٢)
كأَنَّمَا يُوسِفُ في كُلِّ رَاحِلَةٍ والحَيُّ في كُلِّ بَيْتٍ منه يَغْقُوبُ
فصاح الشيخ ، ونزل عن المنبر ، وقصد الشاب ليعتذرَ إليه فلم يجدْه ، ووجد مكانه حُفْرَةً فيها دَمٌ كثيرٌ من كثرة ما كان يَفْحَصُ برجلَيْه عند إنشادِ الشيخ البيت .

وقد ذَكَرَ ابْنُ خَلْكَانَ أشياء كثيرةً من أناشيده ، وأثنى عليه خيرًا ، وأنه تُوفِّي في هذه السنة وله ثلاث وتسعون سنة ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى .

ابن الأثير مُصَنِّفُ « الغاية » و « الكامل » : هو الإمامُ العَلَّامةُ عِزُّ الدِّينِ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الكَرَمِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ الوَاحِدِ الشَّيْبَانِيِّ الْجَزَرِيُّ المَوْصِلِيُّ ، المعروف بابن الأثير ^(٣) ، مُصَنِّفُ كتابِ « الغاية في أسماءِ الصُّحَابَةِ » ، وكتابِ « الكامل في التاريخ » وهو من أحسنِها حَوَادِثَ ، ابتَدَأَهُ مِنَ المُبْتَدَأِ إلى سنة ثمانٍ وعشرين وستمائة ، وقد كان يَتَرَدَّدُ إلى بغداد ، وكان خَصِيصًا عِنْدَ ملوكِ الموصلِ ، ووزَرَ لبعضِهم كما تقدَّم بيانه ، وأقام بها في

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٧٤/٦ ، والذيل على الروضتين ص ١٦٢ ووفيات الأعيان ٣/٣٤٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٥٣ ، ونهاية الأرب ٢٩/١٩٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠) ص ٣٩٥ ، وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٩٩ ، والوفاء بالوفيات ٢٢/١٣٦ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٢٩٩ .

وجاءت وفاته في الذيل على الروضتين في سنة إحدى وثلاثين وستمائة : وسيرجم له المصنف كذلك فيها .

آخِرِ عَمْرِهِ مُؤَقَّرًا مُعْظَمًا إِلَى أَنْ تُؤَفَّى بِهَا فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، عَنْ خَمْسِ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ . وَأَمَّا أَخُوهُ مُجَدُّ الدِّينِ أَبُو السَّعَادَاتِ الْمُبَارَكُ فَهُوَ مُصَنَّفُ كِتَابِ « جَامِعِ الْأَصُولِ » وَغَيْرِهِ ، وَأَخُوهُمَا الْوَزِيرُ ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو الْفَتْحِ نَصْرُ اللَّهِ كَانَ وَزِيرًا لِلْمَلِكِ الْأَفْضَلِ عَلِيِّ بْنِ النَّاصِرِ فَاتِحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، صَاحِبِ دِمَشْقَ كَمَا تَقَدَّمَ . وَجَزِيرَةُ ابْنِ عَمَرَ قِيلَ : إِنَّهَا مَنَسُوبَةٌ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ عَمَرَ . مِنْ أَهْلِ بَرْقَعِيدٍ ^(١) ، وَقِيلَ : بَلْ هِيَ مَنَسُوبَةٌ إِلَى ابْنَيْ عَمَرَ ، وَهُمَا أَوْسُ وَكَامِلُ ابْنَا عَمَرَ بْنِ أَوْسِ الثَّغْلِيِّ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ . حَزَّرَ ذَلِكَ الْقَاضِي [٢٤/١٠ و] ابْنُ خَلْكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

ابْنُ الْمُسْتَوْفَى الْإِزْبِلِيُّ ، مَبَارَكُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُبَارَكِ بْنِ مَوْهوبِ بْنِ غَنِيمَةَ بْنِ غَالِبٍ ، الْعَلَّامَةُ شَرَفُ الدِّينِ أَبُو الْبَرَكَاتِ اللَّخْمِيُّ الْإِزْبِلِيُّ ^(٢) ، كَانَ إِمَامًا فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ ؛ كَالْحَدِيثِ وَأَسْمَاءِ الرِّجَالِ وَالْأَدَبِ وَالْحِسَابِ ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ وَفَضَائِلُ غَزِيرَةٌ ، وَقَدْ بَسَطَ تَرْجُمَتَهُ الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ بْنُ خَلْكَانَ فِي « الْوَفَيَاتِ » ، فَأَجَادَ وَأَفَادَ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ .

(١) برقعيد : بلدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين . معجم البلدان ٥٧١ / ١ .
(٢) التكملة لوفيات النقلة ٣٢٢ / ٦ ، ووفيات الأعيان ١٤٧ / ٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤٩ / ٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٥١ .
وجاءت وفاته في المصادر السابقة في سنة سبع وثلاثين وستمائة ، ولم يذكر في سنة وفاته خلاف .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستمائة

وفيها^(١) عمّر الأشرفُ مسجدَ جَزَّاحٍ ظاهرَ بابِ الصَّغِيرِ .

وفيها قَدِمَ رسولُ الأَنْبُرِ وِملِكِ الْفِرْنَجِ إلى الْأَشْرَفِ ومعه هدايا ؛ منها دُبٌّ أبيضُ ، شعرُهُ مثلُ شعرِ الْأَسَدِ ، ذَكَرُوا أَنَّهُ يَنْزِلُ إلى الْبَحْرِ ، فَيُخْرِجُ السَّمَكَ فَيَأْكُلُهُ ، ومنها طاووسٌ أبيضٌ أيضًا .

وفيها كَمَلَتِ عِمَارَةُ الْقَيْسَارِيَةِ الَّتِي هِيَ قِبْلَى النَّحَّاسِينَ ، وَحُوِّلَ إِلَيْهَا سَوْقُ الصَّاعِغَةِ ، وَشَعَرَ سَوْقُ اللَّؤْلُؤِ الَّذِي كَانَ فِيهِ الصَّاعِغَةُ الْعَتِيقَةُ عِنْدَ الْحَدَّادِينَ .

وفيها جُدِّدَتِ الدَّكَائِكُ الَّتِي بِالزِّيَادَةِ .

قُلْتُ : وَقَدْ جُدِّدَتْ شَرْقِيَّ هَذِهِ الصَّاعِغَةِ الْجَدِيدَةِ قَيْسَارِيَّتَانِ فِي زَمَانِنَا ، وَسَكَنَهَا الصُّوَاغُ وَتُجَّارُ الذَّهَبِ وَالْجَوْهَرِ ، وَهُمَا حَسَنَتَانِ ، وَالْجَمِيعُ وَقَفَ الْجَامِعُ الْمَعْمُورُ .

وفيها كَمَلَ بِنَاءُ الْمَدْرَسَةِ الْمُشْتَنَصِرِيَّةِ بِبَغْدَادَ ، وَلَمْ تُبْنَ مَدْرَسَةٌ قَبْلَهَا مِثْلَهَا ، وَوُقِفَتْ عَلَى الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ ؛ مِنْ كُلِّ طَائِفَةٍ اثْنَانِ وَسِتُّونَ فَقِيهًا ، وَأَرْبَعَةُ مُعَيِّدِينَ ، وَمَدْرَسٌ لِكُلِّ مَذْهَبٍ ، وَشَيْخٌ حَدِيثٍ ، وَقَارِئَانِ ، وَعَشْرَةُ مُسْتَمِيعِينَ ،

(١) مرآة الزمان ٦٨٤/٨ - ٦٩٣ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ونهاية الأرب ١٩٨/٢٩ - ٢٠٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٥ - ٩ .

وشَيْخُ طَبِّ ، وَعَشْرَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَشْتَغِلُونَ بِعِلْمِ الطَّبِّ ، وَمَكْتَبٌ لِلْإِيْتَامِ ، وَقُرَّرَ
لِلْجَمِيعِ مِنَ الْخَبْزِ وَاللَّحْمِ وَالْحَلْوَى وَالتَّقْفَةِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَافِرَةٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ . وَلَمَّا
كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ خَامِسُ رَجَبٍ حَضَرَتْ الدَّرُوسُ بِهَا ، وَحَضَرَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَنْصِرُ
بِاللَّهِ بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ وَأَهْلُ دَوْلَتِهِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْقُضَاةِ وَالْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ
وَالشُّعْرَاءِ ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَعَمِلَ سِمَاطٌ عَظِيمٌ بِهَا ، أَكَلَ مِنْهُ
الْحَاضِرُونَ ، وَحُمِلَ مِنْهُ إِلَى سَائِرِ دُرُوبِ بَغْدَادَ مِنْ يُوتَاتِ الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ ،
وُخْلِجَ عَلَى جَمِيعِ الْمُدْرَسِينَ بِهَا وَالْحَاضِرِينَ فِيهَا ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّوْلَةِ وَالْفُقَهَاءِ بِهَا
وَالْمُعِيدِينَ ^(١) ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَأَمْرًا مَحْمُودًا ، وَأُنْشِدَتْ الشُّعْرَاءُ الْخَلِيفَةَ
الْمَدَائِحَ الْفَائِقَةَ وَالْقَصَائِدَ الرَّائِقَةَ ، وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ السَّاعِي فِي « تَارِيخِهِ » مُطَوَّلًا
مَبْسُوطًا شَافِيًا كَافِيًا وَافِيًا ، وَقُرَّرَ لِتَدْرِيسِ الشَّافِعِيَّةِ بِهَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ مُحْيِي
الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ فَضْلَانَ ، وَلِلْحَنَفِيَّةِ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ رَشِيدُ الدِّينِ
أَبُو حَفْصٍ عَمْرٌ ^(٢) بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَرُغَانِيُّ ، وَلِلْحَنَابِلَةِ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ الرَّئِيسُ
مُحْيِي الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوَازِيِّ ، وَدَرَّسَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ ابْنُهُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ نِيَابَةً لِعَيْتِهِ فِي بَعْضِ الرِّسَالَاتِ إِلَى الْمُلُوكِ ، وَدَرَّسَ لِلْمَالِكِيَّةِ يَوْمَئِذٍ
الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَالِمُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَغْرِبِيُّ الْمَالِكِيُّ نِيَابَةً أَيْضًا حَتَّى يُعَيِّنَ شَيْخٌ غَيْرُهُ ،
وَوُقِفَتْ فِيهَا خِزَانَةُ كُتُبٍ لَمْ يُسَمَعْ بِمِثْلِهَا فِي كَثَرَتِهَا وَحَسَنِ نُسخِهَا وَجُودَةِ
الْكِتَابِ الْمَوْقُوفَةِ بِهَا . وَكَانَ الْمُتَوَلَّى لِعِمَارَةِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ مُؤَيَّدُ الدِّينِ أَبُو طَالِبٍ
مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَقَمِيِّ الَّذِي وَزَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَقَدْ كَانَ إِذْ ذَاكَ أَسَاتِذَ دَارِ الْخِلَافَةِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْمُعْتَبِرِينَ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « عَزَّ الدِّينَ » . وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٦٣١ - ٦٤٠) ص

١١٦ ، وَالْجَوَاهِرُ الْمُضِيَّةُ ٦٦٢/٢ .

وخلع عليه يومئذ وعلى الوزير نصير الدين خلعة. ثم عُزل مدرسُ الشافعية في رابع عشر ذى القعدة بقاضى القضاة أبى المعالى عبد الرحمن بن مُقْبِل، مُضافاً إلى ما بيده من القضاء، وذلك بعد وفاة مُحْيى الدين بن فَضْلان [٢٤/١٠ ط]، وقد ولى القضاء مدة، ودرّس بالنظامية وغيرها، ثم عُزل، ثم رُضى عنه، ثم درّس بالمُسْتَصْرِية كما ذكرنا، فلما تُوفّي وليها بعده ابنُ مُقْبِل، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى.

وَمَنْ تُوفّي في هذه السنة من الأعيان :

السيف الأمدى أبو الحسنِ على بن أبى على بن محمد بن سالم التغلبى^(١)، الشيخُ سيفُ الدين الأمدى، ثم الحموى، ثم الدمشقى، صاحبُ المصنّفات فى الأصولين وغير ذلك، من ذلك «أبكارُ الأفكار» فى الكلام، و«دقائقُ الحقائق» فى الحكمة، و«إحكامُ الأحكام» فى أصولِ الفقه، وكان حنبليَ المذهب، فصار شافعياً أصولياً منطقيّاً جدليّاً خلافياً، وكان حسنَ الأخلاق، سليمَ الصدر، كثيرَ البكاء، رقيقَ القلب، وقد تكلموا فيه بأشياء، الله تعالى أعلم بصحتها، والذى يغلبُ على الظنُّ أنه ليس لغالبها صحة، وقد كانت ملوكُ بنى أيوبَ كالمُعْظَم والكامل يُكرِّمونَه، وإن كانوا لا يُحبُّونَه كثيراً، وقد فوّضَ إليه الملكُ المُعْظَمُ تدرّيسَ العزيزية، فلما ولى الأشرَفُ دمشقَ عزله عنها، ونادى فى المدارس أن لا يشتغلَ أحدٌ بغيرِ التفسير والحديث والفقه، ومَن اشتغلَ بعلومِ الأوائلِ نفّثه، فأقام الشيخُ سيفُ الدينَ بمنزله إلى أن تُوفّي بدمشقَ فى صفر

(١) مرآة الزمان ٦٩١/٨ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٩٠/٦، والذيل على الروضتين ص ١٦١، ووفيات الأعيان ٢٩٣/٣، والمختصر فى أخبار البشر ١٥٥/٣، وسير أعلام النبلاء ٣٦٤/٢٢، ودول الإسلام ١٣٦/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٧٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٠٦/٨.

من هذه السنة ، ودُفِنَ بتربيته بسَفْحِ قَاسِيُون .

وذَكَرَ القَاضِي ابْنُ خَلْكَانَ^(١) أَنَّهُ اشْتَغَلَ بِبَغْدَادَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الْفَتْحِ نَصْرِ بْنِ فَيْثَانَ بْنِ الْمُتَّى الْحَنْبَلِيِّ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ، فَأَخَذَ عَنْ ابْنِ فَضْلَانَ وَغَيْرِهِ ، وَحَفِظَ طَرِيقَةَ الشَّرِيفِ فِي الْخِلَافِ وَزَوَائِدَ طَرِيقَةِ أَشْعَدَ الْمِيهَنِيِّ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الشَّامِ^(٢) ، وَاشْتَغَلَ بِعُلُومِ الْمَعْقُولِ^(٣) ، ثُمَّ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، فَأَعَادَ بِمَدْرَسَةِ الشَّافِعِيَّةِ بِالْقَرَّافَةِ الصَّغْرَى ، وَتَصَدَّرَ بِالْجَامِعِ الظَّافِرِيِّ ، وَاشْتَهَرَ فَضْلُهُ ، وَانْتَشَرَتْ فَضَائِلُهُ ، فَحَسَدَهُ أَقْوَامٌ ، فَسَعَوْا بِهِ ، وَكَتَبُوا خُطُوطَهُمْ بِاتِّهَامِهِ بِمَذْهَبِ الْأَوَائِلِ وَالتَّعْطِيلِ وَالْإِنْجِلَالِ ، فَطَلَبُوا مِنْ بَعْضِهِمْ أَنْ يُوَافِقَهُمْ ، فَكَتَبَ^(٤) :

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ فَالْقَوْمُ^(٥) أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومٌ
وَانْتَقَلَ الشَّيْخُ سَيْفُ الدِّينِ إِلَى حِمَاةَ ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَدَرَسَ
بِالْعَزِيزِيَّةِ ، ثُمَّ غُزِلَ عَنْهَا ، وَلَزِمَ بَيْتَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَلَهُ ثَمَانُونَ عَامًا ،
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَعَفَا عَنْهُ .

وَاقِفُ الرُّكْنِيَّةِ الْحَنْفِيَّةِ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ رُكْنُ الدِّينِ مَنكُورِسُ الْحَنْفِيُّ
الْفَلَكَئِيُّ^(٦) ، غَلَامٌ فَلَكِ الدِّينِ أَخَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ ؛ لِأَنَّهُ وَاقِفُ الْفَلَكَيَّةِ ، كَمَا
تَقَدَّمَ ، وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ خِيَارِ الْأَمْرَاءِ ، يَنْزِلُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ وَقْتُ السَّحْرِ إِلَى

(١) وفيات الأعيان ٢٩٣/٣ .

(٢) في الأصل : « دمشق » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) أى من طلبوا منه أن يوافقهم هو الذى كتب .

(٥) في الأصل : « والناس » .

(٦) مرآة الزمان ٦٩١/٨ (القسم الثانى) ، ونهاية الأرب ٢٩/٢٠٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٦٣١ - ٦٤٠) ص ٨٧ .

الجامع وحده بطوافه، ويواظب على حضور الصلوات فيه مع الجماعة، وكان قليل الكلام، كثير الصدقات، وقد بنى المدرسة الركنية بسفح قاسيون، ووقف عليها أوقافاً كثيرة، وعمل عندها ثزبة، وحين تُؤفى بقرية جزود^(١) حُمِل إليها، رحمه الله تعالى.

الشيخ الإمام العالم رضي الدين أبو داود^(٢) سليمان بن مظفر بن غنائم الجيلي الشافعي، أحد فقهاء الشافعية ببغداد والمفتين فيها والمشتغلين للطلبة مدة طويلة، له كتاب في المذهب نحو من خمسة عشر مجلداً، يحكى فيه الوجوه الغريبة والأقوال المستغربة، وكان لطيفاً ظريفاً، تُؤفى رحمه الله يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول من هذه السنة ببغداد.

والحافظ أبو الحسن بن الأثير الشيخ [٢٥٠/١٠] عز الدين أبو الحسن علي ابن محمد بن محمد بن عبد الكريم^(٣)، الجزري الموصل، صاحب التصانيف الفائقة منها كتاب «الكامل في التاريخ» من أحسن الكتب في هذا الفن وأبسطها في الحوادث، وأما وفائته فليست مبسطة بسط حوادثه، وبالجملة فهو من عيون التواريخ وأمتعها، وله من المصنفات المشهورة^(٤).

الشيخ طي المصري^(٥)، أقام مدة بالشام في زاوية له بدمشق

(١) في م: «حدود». وجروود من إقليم مغلولا من أعمال غوطة دمشق. معجم البلدان ٦٥/٢.
(٢) سقط من: م. وانظر ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ٩٥/٦، وسير أعلام النبلاء ٣٧٠/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٦٥، والوفاء بالوفيات ٤٢٨/١٥، وطبقات الشافعية للسبكي ١٤٨/٨.

(٣ - ٣) سقط من: م، وتقدمت ترجمته في وفيات السنة الفاتنة.

(٤ - ٤) في الأصل: «عبد الرحيم». والمثبت مما تقدم من ترجمته.

(٥) مرآة الزمان ٦٨٦/٨ (القسم الثاني)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٦٧، والنجوم الزاهرة ٢٨٥/٦.

^(١) «عند الرخبة التي يُباع فيها الصناديق عند دارِ بنى القلابسي، شرقي حمام سامة^(١)، وكان ظريفاً كَيْساً زاهداً، يتردّد إليه الأكابر، ودُفن بزاويته المذكورة، رحمه الله تعالى.

الشيخ عبد الله الأزمني^(٢)، أحد العبّاد الزُّهاد الذين جابوا البلاد، وسكنوا البراري والجبال والوهاد، واجتمعوا بالأقطاب والأبدال والأوتاد، ومَن كانت له الأحوال والمكاشفات، والمجاهدات والسيّاحات، في سائر النواحي والجهات، وقد قرأ القرآن في بدايته، وحفظ «القدوري» على مذهب أبي حنيفة، ثم اشتغل بالمعاملات والرياضات، ثم أقام في آخر عمره بدمشق حتى مات بها، ودُفن بسفح قاسيون.

وقد حكي عنه أشياء حسنة، منها أنه قال^(٣): اجتزّت مرةً في السيّاحة ببلدة، فطالبتني نفسي بدخولها، فآليتُ أن لا أَسْتَطِعَ منها بطعام، ودخلتها فمررتُ برجل غَسّالٍ، فنظر إليّ شرّاً، فخفّتُ منه، وخرجتُ من البلد هارباً، فلحقتني ومعه طعام فقال: كُلْ فقد خرجتُ من البلد. فقلتُ له: وأنت في هذا المقامِ وتغسلُ الثياب في الأسواق؟! فقال: لا تَزِفْ رأسك، ولا تنظُرْ إلى شيءٍ من عملك، وكُنْ عبداً لله، ولو استعملك في الحشّ^(٤) فإرضَ به. ثم قال:

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) في الأصل: «الأرموى». وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٦٨٦/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات القلة ١١٢/٦، والذيل على الروضتين ص ١٦٢، وسير أعلام النبلاء ٣٦٧/٢٢ بدون ترجمة، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٧٠، والعبر ١٢٥/٥، والوافي بالوفيات ١٧/٦٩٥، ومرآة الجنان ٧٥/٤، والنجوم الزاهرة ٦/٢٨٥. ووقع في السير والعبر: «الأرموى»، وفي مرآة الجنان: «الأرموى».

(٣) مرآة الزمان ٦٨٨/٨ (القسم الثاني).

(٤) في الأصل: «الحيش»، وفي مرآة الزمان: «الحشن». والحش: الكنيف. الوسيط (ح ش ش).

ولو قلت^(١) لى مُت قلت سَمْعًا و طاعةً و قلت لداعى الموتِ أهلاً و مَرْحَبًا

وقال^(٢) : اجْتَزْتُ مرَّةً فى سياحتى براهبٍ فى صَوْمَعَةٍ فقال لى : يا مسلم ، ما أَقْرَبُ الطريقِ عندكم إلى الله عز وجل ؟ قلت : مُخالفةُ النفسِ . قال : فردَّ رأسه إلى صَوْمَعَتِهِ ، فلما كنتُ بمكةَ زمنَ الحجِّ إذا رجلٌ يُسَلِّمُ علىَّ عندَ الكعبةِ ، فقلتُ : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا الراهبُ . قلتُ : بِمَ وصلتُ إلى ههنا ؟ قال : بالذى قلتُ لى . وفى رواية أنه قال له : عَرَضْتُ الإسلامَ على نفسى فأبَتْ . فعَلِمْتُ أَنَّهُ حقٌّ ، فأسَلَمْتُ وخالَفْتُها . فأفْلَحَ و أنْجَحَ .

قال^(٣) : وينا أنا ذاتَ ليلةٍ بجبلِ لُبْنانَ إذا حراميةٌ^(٤) الفَرِجِجِ ، فأخذونى فقيَّدونى وشدُّوا وِثاقى ، فكنتُ عندهم تلكَ الليلةَ فى أضيقِ حالٍ ، فلما كان النهارُ شربوا وناموا ، فبينما أنا مَوْثوقٌ إذا حراميةٌ^(٤) المسلمين قد أَقْبَلُوا نحوهم ، فَأَنْبَهَتْهُمْ فلجئوا إلى مَغارةٍ هنالك ، فسَلِمُوا مِن أولئك المسلمين ، فقالوا : كيف فَعَلْتَ هذا وقد كان خِلاصُك على أيديهم ؟ فقلتُ : إنكم أَطْعَمْتُمونى ، فكان مِن حقِّ الصُّحْبَةِ أن لا أَعْشَّكم . فعَرَضُوا علىَّ شيئًا مِن مَتاعِ الدنيا ، فَأَتَيْتُ وَأَطْلَقُونى .

وحكى السُّبُطُ قال^(٥) : رَزَّته مرَّةً وهو ببيتِ المقدسِ ، وكنتُ قد أَكَلْتُ سمكًا مالحًا ، فلما جَلَسْتُ عنده أَخَذَنى عَطَشٌ شديدٌ ، وإلى جانبِهِ إِبْرِيْقٌ فيه ماءٌ

(١) فى «م» « قيل » .

(٢) مرَّةُ الزمان ٦٨٩/٨ ، ٦٩٠ (القسم الثانى) .

(٣) المصدر السابق ٦٨٨/٨ ، ٦٨٩ .

(٤) فى الأصل : « حراسة » .

(٥) المصدر السابق ٦٨٩/٨ .

باردٌ، فجعلْتُ أَسْتَحْيِي منه، فمد يده إلى الإبريق وقد احْمَرَّ وجهه، وناولني وقال: خُذْ، كم تُكاسِرُ^(١). فشربتُ.

وذكر^(٢) أنه لما ارتحل من بيت المقدس كان سورها بعد قائماً حديداً^(٣) على عِمارة الملك صلاح الدين قبل أن يُخَرَّبَهُ الْمُعْظَمُ، فوقف لأصحابه يُودِّعُهُمْ، ونظر إلى السور وقال: كأني بالمعاول وهي تَعْمَلُ في هذا السور عما قريب. فقيل له: معاول المسلمين أو الفِرْنَجِ؟ فقال: بل معاول المسلمين. وكان [٢٥/١٠ ظ] كما قال.

وقد ذُكِرَتْ له أحوال كثيرة حسنة، ويقال: إن أصله أرمني، وإنه أسلم على يدى الشيخ عبد الله اليوناني. وقيل: بل أصله رومي من قونية، وإنه قدم على الشيخ عبد الله اليوناني، وعليه بُرُنُسٌ كبرانس الرهبان، فقال له: أسلم^(٤). فقال: أسلمتُ لربِّ العالمين. وكانت أمه داية امرأة الخليفة، وقد جرت له كائنة غريبة، فسلمه الله بسبب ذلك، وعرفه الخليفة فأطلقه.

(١) يقال: كسر من برد الماء وجره: فتر. وكل من عجز عن شيء فقد انكسر عنه، وكل شيء فتر عن

أمر يعجز عنه يقال فيه: انكسر. انظر اللسان (ك س ر).

(٢) مرآة الزمان ٦٨٩/٨ (القسم الثاني).

(٣) فى (م): «جديداً».

(٤) فى م: «أسلمت».

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وستمائة

فيها ^(١) خرب الملك الأشرف موسى بن العادل، خان الزنجاري الذي كان بالعقبيّة، فيه خواطى وخمور ومُنكرات متعددة، فهدمه وأمر بعمارة جامع مكانه سُمي جامع التّوبة، تقبّل الله تعالى منه.

وفيها تُوفّي القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن شدّاد الحلبي ^(٢)، أحد رؤسائها من بيت العلم والسّيادة، له علم بالتّواريخ وأيام الناس وغير ذلك، وقد سمع الكثير وحدث.

والشيخ شهاب الدين عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن محمد بن عضرون الحلبي ^(٣) أيضًا، كان فقيها زاهدا عابدا، وكانت له نحو من عشرين سرّيّة، وكان شيخا يُكثّر من الجِماع، فاعترّته أمراض مختلفة فأثَلَفته، ومات بدمشق، ودُفن بقاسيون، وهو والد قُطب الدين وتاج الدين.

(١) مرآة الزمان ٦٩٣/٨، ٦٩٤ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٦٢، ١٦٣، ونهاية الأرب ٢٠٧/٢٩ - ٢٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٠ - ١٢.
(٢) التكملة لوفيات النقلة ١٢٨/٦، والذيل على الروضتين ص ١٦٣، ووفيات الأعيان ٨٤/٧، وسير أعلام النبلاء ٣٨٣/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٣٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٦٠/٨.

(٣) مرآة الزمان ٦٩٢/٨ (القسم الثاني)، في وفيات سنة إحدى وثلاثين وستمائة، والتكملة لوفيات النقلة ١٢٥/٦، والذيل على الروضتين ص ١٦٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٠٣، والوافي بالوفيات ٤٣٦/١٨.

والشيخ الإمام العالم صائغ الدين أبو محمد عبد العزيز الجيلي الشافعي^(١)، أحد الفقهاء المفتين المشتغلين بالمدرسة النظامية ببغداد، وله شرح على «التنبيه» للشيخ أبي إسحاق، توفي في ربيع الأول، رحمه الله تعالى.

والشيخ الإمام العالم الخطيب الأديب، أبو محمد حمّد بن حميد بن محمود بن حميد بن أبي الحسن بن أبي الفرج بن مفتاح التميمي الدنيسري^(٢)، الخطيب بها والمفتي لأهلها، الفقيه الشافعي، تفقه ببغداد بالنظامية، ثم عاد إلى بلده المشار إليها، وقد صنّف كتباً. وأنشد عنه ابن الساعي^(٣) سماعاً منه^(٤):

رَوَتْ لِي أَحَادِيثَ الْغَرَامِ صَبَابَتِي بِإِسْنَادِهَا عَنْ بَانَةِ الْعِلْمِ الْفَرْدِ
وَحَدَّثَنِي مَرُّ النَّسِيمِ عَنْ الْحِمَى عَنْ الدُّوْحِ عَنْ وَادِي الْغَضَا عَنْ رُؤْيَى نَجْدِ
بَأَنْ غَرَامِي وَالْأَسَى قَدْ تَلَا زَمَا فَلَنْ يَتَرَحَا حَتَّى أَوْسَدَ فِي لَحْدِي
وَقَدْ أَرَخَ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ فِي «الذَّيْلِ»^(٥) وَفَاةَ الشُّهَابِ
الشُّهْرُورُودِيَّ صَاحِبَ «عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ» فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَذَكَرَ أَنْ مَوْلَدَهُ فِي سَنَةِ
تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَأَنَّهُ جَاوَزَ الثُّلُثِينَ. وَأَمَّا السُّبُطُ فَإِنَّهُ أَرَخَ وَفَاتَهُ فِي سَنَةِ
ثَلَاثِينَ كَمَا تَقَدَّمَ.

قاضي القضاة بحلب أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد الأسدي الموصلّي الشافعي^(٥)، كان رجلاً فاضلاً أديباً مقررّاً، ذا وجهة

(١) الوافي بالوفيات ٥٢٣/١٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٥٦/٨، وطبقات الشافعية للإسنوي ٣٧٣/١، ولسان الميزان ٣٤/٤.

(٢) الوافي بالوفيات ١٥٦/١٣، وبغية الوعاة ٥٤٦/١.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٦٣.

(٥) تقدمت ترجمته في هذه السنة، وهو تكرر.

عندَ الملوك، أقام بحَلَب، وولى القضاة^(١) ونظر الأوقاف^(٢) بها، وله تصانيفُ وشعرٌ، تُوفِّي في هذه السنة، رحمه الله تعالى.

ابن الفارض^(٣) ناظمُ التائية في السلوك على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد^(٤)، هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المُرشد بن علي، الحموي الأصيل، المصري المولد والدار والوفاة، كان أبوه يكتُب فروض النساء والرجال، وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها، وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي في «ميزانه»^(٥) وحطَّ عليه. مات في هذه السنة وقد قارب الستين^(٥).

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) التكملة لوفيات النقلة ١٣٥/٦، وتكملة إكمال الإكمال ص ٢٧٠، ووفيات الأعيان ٤٥٤/٣، وسير أعلام النبلاء ٣٦٨/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٠٩، ونهاية الأرب ٢٩/٢١٠.

(٣) في الأصل: «الإحاد». و «الاتحاد» هو ما يعرف في عصرنا بوحدة الوجود. نعوذ بالله من الضلال!

(٤) ميزان الاعتدال ٣/٢١٤.

(٥) في الأصل: «التسعين». وفي م: «السبعين». والمثبت موافق لما في مصادر الترجمة؛ حيث ذكرت أنه توفي وله ست وخمسون عامًا.

١١) ثم دخلت سنة ثلاثٍ وثلاثين وستمائة

فيها^(٢) قطع الكامل وأخوه الأشرف الفُرات ، وأصلح ما كان أفسده جيشُ الرومِ من بلادِهِما ، وخرَّب الكامل قلعة الرُّها ، وأحلَّ بَذْنَيْسِرَ بأسًا شديدًا ، وجاء كتابُ بدرِ الدين صاحبِ الموصلِ بأن التَّارَ^(٣) أَقْبَلُوا بِمَائَةِ طُلُبٍ ، كُلُّ طُلُبٍ بِخَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ ، فرجع المَلِكُ إلى دِمَشْقَ سَريعًا ، وعاد جيشُ الرومِ إلى بلادِهِما بِالْجَزِيرَةِ ، وأعادوا الحِصَارَ كما كان ، وَرَجَعَتِ التَّارُ عَامَهُمْ ذَلِكَ إلى بلادِهِمْ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ^(٤) .

وَمَنْ تُؤَفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْمَشَاهِيرِ :

ابنُ عُتَيْبِ الشَّاعِرُ ، وَقَدْ تَقَدَّمتْ تَرْجُمَتُهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ .

ابنُ دِحْيَةَ ، أَبُو الْخَطَّابِ عَمْرُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ [٢٦١/١٠] فَرَجَ^(٤)

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) مرآة الزمان ٦٩٥/٨ - ٦٩٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، ونهاية الأرب ٢١١/٢٩ - ٢١٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٣ - ١٦ .

(٣) في م : « الروم » . والمثبت من مرآة الزمان وتاريخ الإسلام .

(٤) في م : « فرج » . انظر تبصير المنتبه ١٠٧٢/٣ . وانظر ترجمته في المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢٠٥/١٩ ، ومرآة الزمان ٦٩٨/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٣ ، ووفيات الأعيان ٤٤٨/٣ ، ونهاية الأرب ٢١٣/٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ٣٨٩/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٥٧ ، وميزان الاعتدال ١٨٦/٣ ، والوفاء بالوفيات ٢٢/٢٢ . ٤٥١

ابن خلف بن قُومس بن مَزَلال بن مَلال^(١) بن بدر بن أحمد بن دحية بن خليفة
الكلبي^(٢) المغربي السبتي، كان قاضيها ثم صار إلى مصر^(٣)، الحافظ شيخ الديار
المصرية في الحديث، وهو أول من باشر مشيخة دار الحديث الكاملية بها. قال
السببط^(٤): وقد كان كاهن غنّين في ثلب المسلمين والوقعة فيهم، ويتردّد في
كلامه، فترك الناس الرواية عنه وكذبوه، وقد كان الكامل مُقبلاً عليه، فلما
انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث وأهانته، وتوفّي في ربيع الأول بالقاهرة،
ودُفن بقرافة مصر.

وقد قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: وللشيخ السخاوي فيه أبحاث
حسنة.

وقال القاضي ابن خلّكان^(٥) بعد سياق نسبه كما تقدّم، وذكر أنه كتبه من
خطّه، قال: وذكر أن أمّه أمة الرحمن بنت أبي عبد الله بن أبي البسام موسى بن
عبد الله بن الحسين بن جعفر بن عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن
محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، فلهذا كان يكتُب بخطّه: ذو
النسبين، بين دحية والحسين، رضى الله عنهما.

قال ابن خلّكان^(٦): وكان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، مُتّقناً لعلم
الحديث وما يتعلّق به، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها، اشتغل ببلاد
المغرب، ثم رحل إلى الشام، ثم إلى العراق، واجتاز بإربل سنة أربع وستمائة،

(١) في الأصل، م: «بلال». وانظر مصادر ترجمته السابقة.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) مرآة الزمان ٦٩٨/٨ (القسم الثاني).

(٤) وفيات الأعيان ٤٤٩/٣.

فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يعقنى بالمولد النبوي، فعمل له كتاب «التنوير في مولد السراج المنير» وقراه عليه بنفسه، فأجازه بألف دينار. قال: وقد سمعناه على الملك المعظم في ستة مجالس في سنة خمس^(١) وعشرين وستمائة.

قلت: وقد وقفت على هذا الكتاب، وكتبت منه أشياء حسنة مفيدة. قال ابن خلكان^(٢): وكان مولده في سنة أربع وأربعين وخمسمائة. وقيل: ست أو سبع^(٣) وأربعين وخمسمائة. وتوفي في هذه السنة، وكان أخوه أبو عمرو عثمان قد باشر بعده دار الحديث الكاملية بمصر، وتوفي بعده بسنة.

قلت: وقد تكلم الناس فيه بأنواع من الكلام، ونسبه بعضهم إلى وضع حديث في قصر صلاة المغرب، وكنت أود أن أقف على إسناده لنعلم كيف رجاله، وقد أجمع العلماء - كما ذكره ابن المنذر^(٤) وغيره - على أن المغرب لا يُقصر.

^(٥) وقد وقفت على جزء جمعه المحدث المتقن المفيد أبو صادق محمد بن الحافظ أبي الحسين يحيى بن علي بن عبد الله القرشي العطاردي في ترجمة شيخه أبي الخطاب بن دحية هذا، جمع فيه أقوال الناس في ثلثه والكلام في مزيه ومنشئه واشتغاله وطلبه، وذكر بعضهم أنه ولي القضاء بسبته، فالله أعلم^(٥).

(١) في م: «ست».

(٢) وفيات الأعيان ٣/٤٥٠.

(٣) في م: «تسع». والذي في المصادر: «ثمان».

(٤) الإجماع ص ٩.

(٥ - ٥) سقط من: م.

^(١) وذكر طعن الناس في ادّعاءه نسبه إلى دحية الكلبي ، وأنه انقطع نسله من بعد ثلاثمائة ، وأنشد لابن عنيّ فيه - قائل البيتين الشهيرين وهما - قوله ^(٢) :

دحية لم يُعقب فكم تفتري ^(٣) إليه بالبهتان والإفك
ما صحّ عند الناس شيء سوى أنك من كلب بلا شك
وإن من أقبح ما رأيته في هذا الجزء ما ذكره عن شيخه الحافظ المؤرخ ابن
التجار ^(٤) ، عن الحافظ عليّ بن المفضل أنه قال : اجتمعت أنا وابن دحية في
مجلس السلطان ، فسألني السلطان عن حديث فأجبت فيه ، فقال لي : من رواه ؟
فلم يحضرني إسناده ^(٥) فأنفصلنا ، فاجتمع بي ابن دحية وقال لي : يا فقيه ، لِمَا
سألك السلطان عن إسناد ذاك الحديث ، لم لم تذكر له أيّ إسناد شئت ؟ فإنه
ومن حضر مجلسه لا يعلمون ^(٥) هل هو صحيح أم لا فعظمت في أعينهم .
فعلمت أنه يتهاون بأمر الدين ، جرى على الكذب .

ثم قال : وحديثي الفقيه تقي الدين عبيد بن محمد بن [٢٦٠/١٠ ظ] عباس
الإسعري ، عن شيخنا الفقيه الإمام العالم أوحّد الأنام مفتي المسلمين بهاء الدين
أبي الحسن عليّ بن هبة الله بن سلامة بن المسلم اللخمي ، يعني ابن الجُمَيزي ، أنه
قال : كان السلطان الملك الكامل قد خرج إلى الشام ، فخرج أبو الخطاب عمر
ابن دحية معه ، وولد الشيخ معين الدين بن شيخ الشيوخ ، فحضرت صلاة ^(٦)

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) ديوان ابن عنيّ ص ٢٢٠ .

(٣) في الديوان : « تنمى » .

(٤) المستفاد من تاريخ بغداد ٢٠٨ / ١٩ .

(٥ - ٥) في الأصل : « فلما لم يدرون » . والمثبت من المستفاد .

^(١) المغرب ، فقدّم السلطان ابن دحية فصلّى بهم المغرب ، فلما أن فرغ من الصلاة ، قال ابن شيخ الشيوخ : ما أعلم أحدًا من الأئمة يُجَوِّزُ قَصْرَ صلاة المغرب في السفر . فقال ابن دحية : كيف لا وقد أخبرنا فلان عن فلان . وسرد إسناده إلى رسول الله ﷺ أنه قصر المغرب في السفر . فلم يُجب ابن شيخ الشيوخ ومكث على حاله . قلت : هذا وضع فاحش مخالف لما أجمع عليه العلماء ، كما ذكره ابن المنذر وغيره ، ومثل هذا الإسناد لا يُحفظ ؛ لأنّ سامعه لم يضبطه ، وواضعه لا يُقدّر على إعادته ثانيًا ، والله أعلم ^(١) .

الحاجري الشاعر ^(٢) ، صاحب الديوان المشهور ، وهو عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن حمار تكين بن طاشتيكين الإربلي ، شاعرٌ مُطَبِّقٌ ، تزججه ابن خلّكان ، وذكر أشياء من شعره كثيرة ، وذكر أنه كان صاحبهم ، وأنه كتب إلى أخيه ضياء الدين عيسى يشتو حش منه :

اللَّهُ يَغْلَمُ مَا أَبْقَى سَوَى رَمَقِي مَنِ فِرَاقُكَ يَا مَنْ قُرْبُهُ الْأَمَلُ
فَابْعَثْ كِتَابَكَ وَاسْتَوْدِعْهُ تَغْزِيَةً فربما مِتُّ شَوْقًا قَبْلَ مَا يَصِلُ

وذكر له في الخال ، رحمه الله تعالى :

وَمُهَفِّهَفٍ مِنْ شَعْرِهِ وَجْبِينِهِ أَمْسَى الْوَرَى فِي ظُلْمَةٍ وَضِيَاءٍ
لَا تُتَكْرَوُ الْخَالَ الَّذِي فِي خَدِّهِ كُلُّ الشَّقِيقِ بِنَقْطَةِ سَوْدَاءٍ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) وفیات الأعيان ٣/ ٥٠١ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٤٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١

- ٦٤٠) ص ١١٧ ، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٠ .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستمائة

فيها^(١) حاصرت التتار إربل بالمجانيق، ونقبوا الأسوار حتى فتحوها عنوة، فقتلوا أهلها وسبوا ذراريهم، وامتنعت عليهم القلعة، وفيها^(٢) النائب من جهة الخليفة، فدخل فصل الشتاء، فأقلعوا عنها، وأنشَمَروا إلى بلادهم، وقيل: إن الخليفة جهَّز لهم جيشاً، فانهزم التتار.

وفيها استخدم الصالح أيوب بن الكامل صاحب حصن كَيْفا الخوارزمية الذين تَبَقَّوا من جيش جلال الدين، وأنفصلوا عن الرومي، فقوى جأش الصالح أيوب. وفيها طلب الأشرف موسى بن العادل من أخيه الكامل الرقعة؛ لتكون قوة له وغلاً لدوابه إذا جاز القرات مع أخيه في البواكير، فقال الكامل: أما يكفيه أن معه دمشق مملكة بنى أمية؟ فأرسل الأشرف الأمير فَلَكَ الدين بن المسيري إلى الكامل في ذلك، فأغلظ له في الجواب، وقال: أَيْش يَعْمَلُ بالملك؟ يكفيه عشرته للمغانى وتعلمه لصناعتهم. فغضب الأشرف عند ذلك وتَنَمَّرَ، وبدت الوحشة بينهما، وأرسل الأشرف إلى حماة وحلب وبلاد الشرق، فحالف أولئك الملوك على أخيه الكامل، فلو طال عمر الأشرف لأفسد الملك على أخيه؛ وذلك لكثرة ميل الملوك إليه؛ لكرمه وشجاعته وشُحِّ أخيه الكامل، ولكنه أذركته مَنِيئُهُ في أول السنة الداخلة، رحمه الله تعالى.

(١) مرآة الزمان ٦٩٩/٨ - ٧٠٤ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٦٤، ١٦٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٧ - ١٩.
(٢) بعده في الأصل: «قتلوا».

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الملك العزيز بن^(١) الظاهر صاحب حلب ، محمد بن السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي بن الملك الناصر صلاح الدين [٢٧/١٠] فاتح القدس الشريف ، وهو وأبوه وابنته الناصر أصحاب مملك حلب من أيام الناصر ، وكانت أم العزيز الخاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وكان حسن الصورة ، كريماً عفيفاً ، تُؤْفَى وله من العمر أربع وعشرون سنة ، وكان مُدَبِّر دولته الطواشي شهاب الدين ، وكان من الأمراء ، رحمه الله تعالى . وقام في الملك بعده ولده الناصر صلاح الدين يوسف .

صاحب الروم كَيْقْبَاز الملك علاء الدين^(٢) ، صاحب بلاد الروم ، كان من أغدَل^(٣) الملوك وأحسنهم سيرة ، وقد زوجه العادل ابنته وأولدها ، وقد استولى على بلاد الجزيرة في وقت ، وأخذ أكثرها من يد الكامل محمد ، وكسر الخوارزمية مع الأشرف موسى ، رحمهما الله .

الناصر الحنبلي^(٤) ، في ثالث المحرم تُؤْفَى الشيخ ناصح الدين عبد الرحمن ابن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج الشيرازي ، وهم يَنْتَسِبُونَ إلى سعد

(١) سقط من : م . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٧٠٣/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٥ ، والمختصر في أخبار البشر ١٥٨/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٠٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢١٥ ، ونهاية الأرب ٢٩/٢١٧ ، والوفاء بالوفيات ٤/٣٠٦ .

(٢) مرآة الزمان ٧٠٣/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٥ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢١٠ .

(٣) في م : «أكابر» .

(٤) مرآة الزمان ٧٠٠/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٦/١٩٢ ، والذيل على الروضتين ص ١٦٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٩٦ ، والوفاء بالوفيات ١٨/٢٩١ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢/١٩٣ .

ابن عُبَادَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وُلِدَ النَّاصِحُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَكَانَ يَعْظُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . وَقَدْ ذَكَرْنَا قَبْلُ أَنَّهُ وَعَظَ فِي حَيَاةِ الشَّيْخِ الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دَرَسَ بِالصَّالِحِيَّةِ الَّتِي بِالْجَبَلِ ، وَلَهُ بُيُوتٌ ، وَلَهُ تَصَانِيفٌ . وَقَدْ اشْتَغَلَ عَلَى ابْنِ الْمُنَيِّ بِبَغْدَادَ ، وَكَانَ فَاضِلًا صَالِحًا ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالصَّالِحِيَّةِ ، وَدُفِنَ هُنَاكَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

الْكَمَالُ بْنُ مُهَاجِرِ النَّاجِزِ^(١) ، كَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ ، مَاتَ فَجَاءَةً فِي جُمَادَى الْأُولَى بِدَمَشَقَ ، فَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ ، وَاسْتَحُوذَ الْأَشْرَفُ عَلَى أَمْوَالِهِ ، فَبَلَغَتْ التَّرِكَةُ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، مِنْ ذَلِكَ سُبْحَةٌ فِيهَا مِائَةُ حَبَّةٍ^(٢) ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِثْلُ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ .

الشَّيْخُ الْحَافِظُ أَبُو عَمْرِو عَثْمَانُ بْنُ دَحِيَّةٍ^(٣) ، أَخُو الْحَافِظِ أَبِي الْخَطَّابِ بْنِ دَحِيَّةٍ ، كَانَ قَدْ وَلِيَ دَارَ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةَ حِينَ غَزَلَ أَخُوهُ عَنْهَا ، حَتَّى تُؤْفَى فِي عَامِهِ هَذَا ، وَكَانَ نَذْرٌ^(٤) فِي صِنَاعَةِ الْحَدِيثِ أَيْضًا ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

الْقَاضِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ التَّكْرِيْتِيُّ^(٥) ، الْحَاكِمُ بِالكَرْكِ ، وَمُدْرَسُ مَدْرَسَةِ الرِّبْدَانِيِّ ، فَلَمَّا أُخِذَتْ أَوْقَافُهَا سَارَ إِلَى الْقُدْسِ ، ثُمَّ إِلَى دَمَشَقَ ، فَكَانَ يَنْوِبُ بِهَا عَنْ الْقُضَاةِ ، وَكَانَ فَاضِلًا نَزْهًا عَفِيفًا دَيِّتًا ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ .

(١) مرآة الزمان ٧٠٣/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٢١٧/٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢١٤ ، والوفاء بالوفيات ١٧٢/٤ .

(٢) بعده في م : « لؤلؤ » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٦٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٦/٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٠٤ ، وتذكرة الحفاظ ١٤٢٢/٤ ، والوفاء بالوفيات ٤٧٩/١٩ ، وبغية الوعاة ١٣٣/٢ .

(٤) نذر : تقدم وقل وجود نظيره . الوسيط (ن د ر) .

(٥) مرآة الزمان ٧٠٢/٨ ، والتكملة لوفيات النقلة ٢٢٢/٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ١٩٥ ، والوفاء بالوفيات ١٤٢/١٨ .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستمائة

فيها^(١) كانت وفاة الأشرف، ثم أخيه الكامل، أما الأشرف موسى بن العادل^(٢) بنى دار الحديث الأشرافية وجامع التوبة وجامع جراح، فإنه توفى فى يوم الخميس رابع المحرم من هذه السنة، بالقلعة المنصورة، ودفن بها حتى نجزت تربته التى بُنيت له شمالى الكلاسة، ثم حوّل إليها، رحمه الله تعالى، فى جمادى الأولى، وقد كان ابتداء مرضه فى رجب من^(٣) السنة الماضية^(٤)، واختلّت عليه الأدوية حتى كان الجرائحى يُخرج العظام من رأسه، وهو يُسبّح الله عز وجل، فلما كان آخر السنة تزايد به المرض واغتراه إسهال مُفرط، فخارت قوته، فشرع فى التهيؤ للقاء الله تعالى، فأعْتَق مائتى غلام وجارية، ووقف دار فرخشاها التى يقال لها: دار السعادة. وبستانه بالثَّيرب على ابنته^(٥)، وتصدّق بأموال جزيلة، وأخضّر له كفتاً كان قد أعدّه من ملابس الفقراء والمشايخ الذين لقيهم من الصالحين. وقد كان رحمه الله، شهماً شجاعاً كريماً جواداً مُحبّاً للعلم وأهله، ولا سيّما لأهل الحديث، ومقادسة الصالحية، وقد بنى لهم دار حديث

(١) مرآة الزمان ٧٠٤/٨ - ٧١٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٦٥ - ١٦٧، ونهاية الأرب ٢١٨/٢٩ - ٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٠ - ٢٦.
(٢) مرآة الزمان ٧١١/٨ (القسم الثانى)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/٢٤٢، ووفيات الأعيان ٥/٣٣٠، ونهاية الأرب ٢١٨/٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٢٢/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٦٨.

(٣ - ٣) فى الأصل: « هذه السنة ».

(٤) فى م: « ابنته ».

بالسَّفَح ، وبالمدينة للشافعية أخرى ، وجعل فيها نعلَ النبي ﷺ الذي ما زال [٢٧/١٠] حريصًا على تحصيله من النِّظام ابن أبي الحديد التاجر ، وقد كان النِّظام ضنينًا به ، فعزم الأشرف على أخذ قطعة منه ؛ خوفًا من أن يذهب بالكلية ، فقدر الله موت ابن أبي الحديد بدمشق ، فأوصى للملك الأشرف به ، فجعله الأشرف بدار الحديث ، ونقل إليها كتبًا سنينة نفيسة ، وبني جامع التوبة بالعقبة ، وقد كان خانًا للزُّججاري ، فيه من المنكرات شيء كثير ، وبني مسجد القصب وجامع جراح ومسجد دار السعادة ، وقد كان مولده في سنة ست وسبعين وخمسمائة ، ونشأ بالقدس الشريف بكفالة الأمير فخر الدين عثمان الزُّججاري ، وكان أبوه يُحبُّه ، وكذلك أخوه المعظم ، ثم استنابه أبوه على مدن كثيرة بالجزيرة ؛ منها الرُّها وحِزَّان ، ثم اتسعت مملكته حتى ملك خِلاط ، وكان من أعف الناس وأحسنهم سيرة وسريرة ، لا يعرف غير نسائه وجواريه ، مع أنه كان يعاني الشراب ، وهذا من أعجب الأمور .

حكى السُّبُط عنه قال ^(١) : كنت يومًا بهذه المنطرة من خِلاط إذ دخل الخادم فقال : الباب امرأة تستأذن . فدخلت فإذا صورة لم أر أحسن منها ، وإذا هي ابنة الملك الذي كان بخِلاط قبلي ، فذكرت أن الحاجب عليًا قد استحوذ على قرية لها ، وأنها قد احتاجت إلى بيوت الكراء ، وأنها إنما تتقوت من عمل النقوش للنساء ، فأمرت برد ضيعتها إليها ، وأمرت لها بدار تسكنها ، وقد كنت قمت لها حين دخلت ، وأجلستها بين يدي ، وأمرتها بستر وجهها حين أسفرت عنه ، ومعها عجوز ، فحين قضيت شغلها قلت لها : انهضي على اسم الله تعالى .

(١) مرآة الزمان ٧١١/٨ ، ٧١٢ (القسم الثاني) .

فَقَالَتِ الْعَجُوزُ : يَا حَوْنُدُ ، إِنَّمَا جَاءَتْ لَتَحْطَى بِخَدَمَتِكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ . فَقُلْتُ : مَعَاذَ اللَّهِ ، لَا يَكُونُ هَذَا . وَاسْتَحْضَرْتُ فِي ذِهْنِي ابْنَتِي رُبَّمَا يُصَيِّبُهَا نَظِيرُ مَا أَصَابَ هَذِهِ ، فَقَامَتْ وَهِيَ تَقُولُ : سَتَرَكَ اللَّهُ مِثْلَ مَا سَتَرْتَنِي . وَقُلْتُ لَهَا : مَهْمَا كَانَ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَأَنْتَهِيْهَا إِلَيَّ أَقْضِيهَا لَكَ . فَدَعَتْنِي لِي وَأَنْصَرَفْتُ . فَقَالَتْ لِي نَفْسِي : فَفِي الْحَلَالِ مَنُودِحَةٌ عَنِ الْحَرَامِ ، فَتَزَوَّجْهَا . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا كَانَ هَذَا أَبَدًا ، أَيْنَ الْحَيَاءُ وَالْكَرْمُ وَالْمَرْوَةُ ؟!

قَالَ : وَمَاتَ مَمْلُوكٌ مِنْ مَمَالِكِي ، وَتَرَكَ وَلَدًا لَيْسَ يَكُونُ فِي النَّاسِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ أَحْسَنُ شَبَابًا وَلَا أَحْلَى شِكْلًا مِنْهُ ، فَأَحْبَبْتُهُ وَقَرَّبْتُهُ ، وَكَانَ مَنْ لَا يَفْهَمُ أَمْرِي يَتَّهَمُنِي بِهِ ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ عَدَا عَلَى إِنْسَانٍ ، فَضْرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، فَاشْتَكَى عَلَيْهِ إِلَيَّ أَوْلِيَاءُ الْمَقْتُولِ ، فَقُلْتُ : أَتَبْتُوا أَنَّهُ قَتَلَهُ . فَاتَّبَتُوا ذَلِكَ ، وَحَاجَفْتُ عَنْهُ مَمَالِكِي ، وَأَرَادُوا إِرْضَاءَهُمْ بِعَشْرِ دِيَارٍ ، فَلَمْ يَقْبَلُوا ، وَوَقَفُوا لِي فِي الطَّرِيقِ وَقَالُوا : قَدْ أَتَبْنَا أَنَّهُ قَتَلَهُ . فَقُلْتُ : خُذُوهُ . فَتَسَلَّمُوهُ ، فَأَخَذُوهُ فَقَتَلُوهُ ، وَلَوْ طَلَبُوا مِنِّي مُلْكِي فِدَاءً لَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِمْ ، وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ أُعَارِضَ شَرْعَهُ بِحُظِّ نَفْسِي . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَلَمَّا مَلَكَ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ نَادَى مُنَادِيَهُ بِهَا أَنْ لَا يَشْتَغَلَ أَحَدٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ بِشَيْءٍ مِنَ الْعُلُومِ سِوَى الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ ، وَمَنْ اشْتَغَلَ فِي الْمَنْطِقِ وَعِلْمِ الْأَوَائِلِ ^(١) . نُفِيَ مِنَ الْبَلَدِ . وَكَانَ الْبَلَدُ بِهِ فِي غَايَةِ الْأَمْنِ وَالْعَدْلِ ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَاتِ وَالْخَيْرَاتِ ؛ كَانَتِ الْقَلْعَةُ لَا تُغْلَقُ فِي لَيَالِي رَمَضَانَ [٢٨/١٠] كُلِّهَا ، وَضُحُونُ الْحَلَاوَاتِ خَارِجَةٌ مِنْهَا إِلَى الْجَامِعِ وَالْخَوَانِقِ وَالرُّبُطِ

(١) انظر ما تقدم في صفحة ٧٦ حاشية (٨) .

والصالحية ، إلى الصالحين والفقراء والرؤساء وغيرهم ، وكان أكثرُ جلوسه بمسجد أبي الدرداء الذي جدده وزخرفه بالقلعة ، ^(١) « وكان ميمون التقيية » ، ولم تُكسر له راية قط ، وقد استدعى الزبيدي من بغداد حتى سمع هو والناس عليه « صحيح البخاري » وغيره ، وكان له مئيل كثير إلى الحديث وأهله ، رحمه الله تعالى . ولما تُوفّي رآه بعضهم في المنام وعليه ثياب خضر ، وهو يطير مع جماعة من الصالحين ، فقالوا له : ما هذا وقد كنت تُعاني الشراب في الدنيا ؟ فقال : ذاك البدن الذي كنا نفعلُ به ذاك عندكم في الدنيا ، وهذه الروح التي كنا نُحبُّ بها هؤلاء فهي معهم . وقد صدق ، رحمه الله ؛ قال رسول الله ﷺ : « المرء مع من أحب » ^(٢) .

وقد كان أوصى بالملك بعده لأخيه الصالح إسماعيل ، فلما تُوفّي أخوه ركب في أبهة الملك ، ومشى الناس بين يديه ، وركب إلى جانبه صاحب حمص وعز الدين أئيك المعظمي حامل الغاشية ^(٣) على رأسه ، ثم إنه صادر جماعة من الدماشقة الذين قيل عنهم : إنهم مع الكامل . منهم ^(٤) « العلّم تعاسيف » وأولاد ابن مُزهر ، وحبسهم بيضري ، وأطلق الحريري من قلعة عزّتا ، وشرط

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) أخرجه البخاري (٦١٦٨ - ٦١٧٠) ومسلم (٢٦٤٠ ، ٢٦٤١) ، عن ابن مسعود وأبي موسى عند كليهما .
(٣) الغاشية : هي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب ، يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تُحمل بين يدي الملك عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها . صبح الأعشى ٧/٤ .
(٤ - ٤) في الأصل : « العلّم بعاسف » ، وفي م : « العلّم تعاسيف » ، وفي مرآة الزمان : « العلّم يوسف » . والمثبت من نهاية الأرب وتاريخ الإسلام . وهو قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر الأصفهاني . يُنعت بالعلّم ، كنيته أبو المعالي ويُعرف بتعاسيف . ولد سنة أربع وستين وخمسمائة بأصفون من صعيد مصر وتوفي سنة تسع وأربعين وستمئة . انظر ترجمته في الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ص ٤٦٩ ، وحسن المحاضرة ١/ ٥٤٢ .

عليه أن لا يَدْخُلَ دمشقَ ، ثم قَدِمَ الكاملُ مِن مصرَ ، وانضاف إليه الناصرُ داوُدُ صاحبُ الكَرْكِ ونايُلسَ والقدسَ ، فحاصروا دِمَشقَ حِصارًا شديدًا ، وقد حصَّنَها الصالحُ إسماعيلُ ، وقُطِعَتِ المياهُ ، وردَّ الكاملُ ماءَ بَرْدَى إلى ثَوْرًا ، وأُخْرِقَتِ العُقَيْيَةُ وقصرُ حَجَّاجٍ ، فافْتَقَرَ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، واختَرَقَ آخرونَ ، وجَرَتِ خُطوبُ كثيرةٌ ، ثم آلَ الحالُ في آخِرِ جُمادى الأولى إلى أن سَلَّمَ الصالحُ إسماعيلُ دمشقَ إلى أخيه الكاملِ ، على أن له بَعْلَبَكَّ وبُضْرَى ، وسَكَنَ الأُمُرَ ، وكان الصُّلحُ بينهما على يدَيِ القاضي مُحمى الدين يوسفَ بنِ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزى ؛ اتَّفَقَ أنه كان بدمشقَ قد قَدِمَ في رَسْليَةٍ مِن جَهِةِ الخليفةِ إلى دمشقَ ، فجزاه اللهُ تعالى خيرًا . ودخَلَ الكاملُ دمشقَ ، وأطْلَقَ الفَلَكُ بنَ المَسيرى مِن سجنِ الحَيَّاتِ بالقلعةِ الذى كان أودَعَه فيه الأَشْرَفُ ، ونَقَلَ الأَشْرَفَ إلى تربيته ، وأمرَ الكاملُ فى يومِ الاثنينِ سادسِ جُمادى الآخِرَةِ أئمةَ الجامعِ أن لا يُصَلُّى أَحَدٌ منهم المغربَ سوى الإمامِ الكبيرِ ؛ لِما كان يَقَعُ مِنَ التَّشْوِيشِ والاختلافِ بسببِ اجتماعِهِم فى وقتٍ واحدٍ ، وَلِنَعْمَ ما فَعَلَ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى . وقد فُعِلَ هذا فى زماننا فى صلاةِ التَّراويحِ ، اجْتَمَعَ الناسُ على قارئٍ واحدٍ ، وهو الإمامُ الكبيرُ فى المحرابِ المُقَدَّمِ عندَ المنبرِ ، ولم يَتَّقَ به إمامٌ حينئذٍ سوى الذى بالحلبِيةِ عندَ مشهَدِ عُلَى ، ولو تُرِكَ لكانَ حَسَنًا . واللهُ أَعْلَمُ .

ذِكْرُ وَفاةِ المَلِكِ الكاملِ مُحَمَّدِ بنِ العادِلِ^(١)

تَمَلَّكَ الكاملُ دمشقَ مَدَّةَ شهرينَ ، ثم أَخَذَتْهُ أَمراضٌ مُختَلِفَةٌ ، مِن ذلك

(١) مرآة الزمان ٧٠٥/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٢٧٠/٦ ، والذيل على الروضتين ص ١٦٦ ، ووفيات الأعيان ٧٩/٥ ، ونهاية الأرب ٢٢٧/٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٢٧/٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٥٤ ، والوفاء بالوفيات ١٩٣/١ .

شُعَالٍ وإِسْهَالٍ وَنَزْلَةٍ فِي حَلْقِهِ ، وَنَقْرَسٍ فِي رِجْلَيْهِ ، فَاتَّفَقَ مَوْتُهُ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ مِنْ دَارِ الْقَصْبَةِ ، وَهُوَ الْبَيْتُ الَّذِي تُؤَفَّى فِيهِ عَمَّةُ الْمَلِكِ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْكَامِلِ أَحَدٌ حَالِ مَوْتِهِ مِنْ شِدَّةِ هَيْبَتِهِ ، بَلْ دَخَلُوا فَوَجَدُوهُ مَيِّتًا ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَدْ كَانَ مَوْلَدُهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ ^(١) وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكَانَ أَكْبَرَ أَوْلَادِ الْعَادِلِ بَعْدَ مُؤَدُّودٍ ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى الْعَادِلُ ؛ لِعَلِمِهِ بِشَابَتِهِ ، وَكَمَالِ عَقْلِهِ ، وَوُفُورِ مَعْرِفَتِهِ ، وَقَدْ كَانَ جَيِّدَ الْفَهْمِ ، يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ ، وَيَسْأَلُهُمْ أَسْئَلَةً مُشْكِلَةً ، وَلَهُ كَلَامٌ جَيِّدٌ عَلَى « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » ، وَكَانَ ذَكِيًّا ، مَهِيئًا ، ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ ، عَادِلًا مُنْصِفًا ، لَهُ حُزْمَةٌ وَافِرَةٌ ، وَسَطْوَةٌ قَوِيَّةٌ ، مَلِكٌ مَصْرَ ثَلَاثِينَ سَنَةً كَامِلَةً ، [٢٨/١٠ ط] وَكَانَتْ الطَّرَقَاتُ فِي زَمَانِهِ آمِنَةً ، وَالرَّعَايَا مُتَنَاصِفَةً ، لَا يَتَجَسَّرُ أَحَدٌ أَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا ، شَتَّى جَمَاعَةً مِنَ الْأَجْنَادِ أَخَذُوا شَعِيرًا لِبَعْضِ الْفَلَاحِينَ بِأَرْضِ أَمِدَ ، وَاشْتَكَى إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّكَبَادِيَةِ أَنْ أَسْتَادَهُ اسْتَعْمَلَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ بِلَا أَجْرَةٍ ، فَأَخْضَرَ الْجُنْدِيَّ ، وَأَلْبَسَهُ ثِيَابَ الرُّكَبَادِيَةِ ، وَأَلْبَسَ الرُّكَبَادَارَ ثِيَابَ الْجُنْدِيَّ ، وَأَمَرَ الْجُنْدِيَّ أَنْ يَخْدُمَ الرُّكَبَادَارَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ ، وَيَخْضُرَ الرُّكَبَادَارُ الْمُؤَكَّبَ وَالْخِدْمَةَ حَتَّى يَنْقَضِيَ الْأَجَلُ ، فَتَأَذَّبَ النَّاسُ بِذَلِكَ غَايَةَ الْأَدَبِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَكَانَتْ لَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي رَدِّ ثَعْرِ دِمْيَاطٍ إِلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الْفَرَنْجُ ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، فَرَابَطَهُمْ أَرْبَعَ سَنِينَ ، حَتَّى اسْتَنْقَذَهُ مِنْهُمْ ، وَكَانَ يَوْمٌ أَخَذَهُ لَهُ وَاسْتِزْجَاعِهِ إِيَّاهُ يَوْمًا مَشْهُودًا ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ مُفْصَلًا ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ .

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَدُفِنَ بِالْقَلْعَةِ حَتَّى كَمَلَتْ تَرْبُتُهُ الَّتِي بِالْحَائِطِ الشَّمَالِيِّ مِنَ الْجَامِعِ ذَاتُ الشُّبَّاكِ

(١) فِي م : « سِت » .

الذى هناك قريباً من مقصورة ابن سينان، وهى الكِنْدِيَّةُ التى عند الحَلَبِيَّةِ، نُقِلَ إليها ليلةَ الجمعةِ الحادى والعشرين من رمضان من هذه السنة.

ومن شعره يَشْتَحُّ أخاه الملكَ الأشرَفَ من بلادِ الجزيرة حينَ كان مُحاصَراً بِدِمْيَاطَ^(١) :

يا مُشْعَفَى إِنْ كُنْتَ حَقًّا مُشْعَفَى	فازحَلْ بِغَيْرِ تَقَيُّدٍ وَتَوَقُّفٍ
وَاطْوِ الْمَنَازِلَ وَالْدِيَارَ وَلَا تُنِخْ	إِلَّا عَلَى بَابِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ
قَبْلَ يَدَيْهِ لَا عِدِمْتَ وَقُلْ لَهُ	عَنِّي بِحُسْنِ تَعَطُّفٍ وَتَلَطُّفٍ
إِنْ تَأْتِ ^(٢) صِنُوكَ عَنْ قَرِيبٍ تَلْقَهُ	مَا بَيْنَ حَدِّ مُهَنَّدٍ وَمُثَقَّفٍ
أَوْ تُبْطِ عَنْ إِنْجَادِهِ فَلِقَاؤُهُ	يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي عِرَاضِ الْمَوْقِفِ

ذِكْرُ مَا جَرَى بَعْدَهُ

كان قد عهد لولده العادل - وكان صغيراً - بالديار المصرية وبالبلاد الشامية^(٣)، ولولده الصالح أيوب ببلاد الجزيرة، فأُمضَى الأمراء ذلك، فأما دِمَشْقُ فاختَلَفَ الأمراءُ بها فى الملكِ الناصرِ داوَدَ بنِ الْمُعْظَمِ، والملكِ الجَوَادِ مُظَفَّرِ الدينِ يُونُسَ بنِ مُؤدودِ بنِ العادلِ، فكانَ مِثْلُ عِمَادِ الدينِ بنِ الشيخِ إلى الجَوَادِ، وآخرونَ إلى الناصرِ، وكانَ نازلاً بدارِ أُسامةَ، فانتَظَمَ أمرُ الجَوَادِ، وجاءتِ الرسالةُ إلى الناصرِ أَنْ اخْرُجَ مِنَ الْبَلَدِ، فركبَ مِنْ دَارِ أُسامةَ، والعامَّةُ^(٤) مِنْ دَارِهِ إلى

(١) الأبيات فى تاريخ الإسلام ص ٢٥٦.

(٢) فى الأصل: «يأت»، وفى م: «مات». والمثبت من تاريخ الإسلام.

(٣) فى م: «الدمشقية».

(٤) (٤ - ٤) فى م: «وراء».

القلعة لا يشكون في ولايته الملك، فسلك نحو القلعة، فلما جاوز العِمادية عطف برأس فريسه نحو باب الفرج، فصرخت العامة: لا، لا، لا. فسار حتى نزل القابون عند وطأة بيزة^(١). فعزم بعض الأمراء الأشرفية على مسكه، فساق فبات بقصر أم حكيم، وساقوا وراءه، فتقدم إلى عجلون، فتحصن بها وأمن. وأما الجواز فإنه ركب في أبهة الملك، وأنفق الأموال والخيل على الأمراء. قال السبط^(٢): فرّق ستة آلاف ألف دينار وخمسة آلاف خيلة، وأبطل المكوس والخمور، ونفى الخواطي، واستقر ملكه بدمشق، واجتمع عليه الأمراء الشاميون والمصريون، ورحل الناصر داود من عجلون نحو غزة وبلاد السواحل، فاستحوذ عليها، فركب الجواز في طلبه، ومعه العساكر الشامية والمصرية، وقال للأشرفية: كاتبوه وأطعموه. فلما وصلت إليه كتبهم طمع في موافقتهم، فرجع في سبعمائة راكب إلى نابلس، فقصده الجواز وهو نازل على جينين، والناصر على سبسطية^(٣)، فهرب الناصر، فاستحوذوا على حواصليه [٢٩/١٠] وأثقاله، فاستغنوا بها، واقتقر بسببها فقرا مذكعا، ورجع الناصر إلى الكرك جريدة قد سلب أمواله وأثقاله، وعاد الجواز إلى دمشق مؤيدا منصورا.

وفيها اختلفت الخوازمية على الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل صاحب حصن كيفا وتلك التواحي، وعزموا على القبض عليه، فهرب منهم، ونهبوا أمواله وأثقاله، ولجأ إلى سنجار، فقصده بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل

(١) القابون: موضع بينه وبين دمشق ميل واحد في طريق القاصد إلى العراق. وبرزة: قرية من غوطة دمشق. انظر معجم البلدان ٥٦٣/١، ٥/٤.

(٢) مرآة الزمان ٧٠٨/٨ (القسم الثاني).

(٣) جينين: بلدة بين نابلس وبيسان، من أرض الأردن. وسبسطية: بلدة من نواحي فلسطين، بينها وبين بيت المقدس يومان، وهي من أعمال نابلس، معجم البلدان ٣/٣٣.

لِيُحَاصِرَهُ وَيَأْخُذَهُ فِي قَفْصٍ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، وَكَانَ أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ يَكْرَهُونَ مُجَاوِرَتَهُ لِكِبَرِهِ وَقُوَّةِ سَطْوَتِهِ ، فَلَمْ يَتَّقَ إِلَى أَخْذِهِ إِلَّا الْقَلِيلُ ، فَكَاتَبَ الْخَوَازِمِيَّةَ ، وَاسْتَشْجَدَ بِهِمْ ، وَخَضَعَ لَهُمْ وَوَعَدَهُمْ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، فَقَدِمُوا إِلَيْهِ جَرَائِدَ لِيَمْنَعُوهُ مِنَ الْبَدْرِ لَوْلُوْ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ لَوْلُوْ هَرَبَ مِنْهُمْ ، فَاسْتَحْوَذُوا عَلَى أَمْوَالِهِ وَأَثْقَالِهِ ، فَوَجَدُوا فِيهَا شَيْئًا كَثِيرًا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ ، وَرَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ الْمَوْصِلِ جَرِيدَةً خَائِبًا ، وَسَلِمَ الصَّالِحُ أَيُّوبُ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الشَّدَةِ .

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

«الْخَطِيبُ الدَّوْلَعِيُّ»^(١) مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ يَاسِينَ ، الْخَطِيبُ جَمَالُ الدِّينِ الدَّوْلَعِيُّ ، نِسْبَةً إِلَى قَرْيَةٍ بِأَرْضِ^(٢) الْمَوْصِلِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ عِنْدَ تَرْجُمَةِ عَمِّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ يَاسِينَ الْخَطِيبِ بِدَمَشَقَ أَيْضًا^(٣) ، وَكَانَ مُدَرِّسًا بِالْعَزَالِيَةِ مَعَ الْخَطَّابَةِ ، وَقَدْ مَنَعَهُ الْمُعَظَّمُ فِي وَقْتٍ عَنِ الْفَتْوَى ، فَعَاتَبَهُ السُّبُطُ فِي ذَلِكَ ، فَاعْتَذَرَ بِأَنْ شِوِخَ بَلَدِهِمْ أَشَارُوا بِذَلِكَ عَلَيْهِ ، لِكَثْرَةِ أَخْطَائِهِ فِي فِتَاوِيهِ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْمَوَاطَنَةِ عَلَى الْوِظَافَةِ لَا يَكَادُ يُفَارِقُ بَيْتَ الْخَطَّابَةِ ، وَلَمْ يَحْجِ قَطُّ مَعَ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ ، وَقَفَ مَدْرَسَةً بِجَيْرُونَ ، وَقَدْ وَلِيَ الْخَطَّابَةَ بَعْدَهُ أَخُّ لَهُ ، وَكَانَ جَاهِلًا ، وَلَمْ يَسْتَقِرَّ فِيهَا ، وَتَوَلَّاهَا الْكَمَالُ عَمْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هَبَةِ اللَّهِ بْنِ طَلْحَةَ النَّصِيبِيِّ ، وَوَلِيَ تَدْرِيسَ الْعَزَالِيَةِ الشَّيْخُ عَزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ .

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٧١٠/٨ (القسم الثاني) ، والتكملة لوفيات النقلة ٢٥٨/٦ ، والذيل على الروضتين ص ١٦٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢٤/٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٦٣ ، والوفاء بالوفيات ٣٢٧/٤ .

(٢) في م : «بأصل» .

(٣) تقدمت ترجمته في ٧١٨/١٦ ، في وفيات سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

القاضي شمس الدين بن الشيرازي :

محمد بن هبة الله^(١) بن محمد بن هبة الله^(٢) بن ميميل^(٣) الشيخ أبو نصر بن الشيرازي ، وُلد سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، وسمع الكثير على الحافظ بن عساكر وغيره ، واشتغل في الفقه ، وأفتى ودرّس بالشامية البرّانية ، وناب في الحكم عدة سنين ، وكان فقيهاً عالماً فاضلاً كئيباً ، حسن الأخلاق ، عارفاً بالأخبار وإيام العرب والأشعار ، كريم الطباع ، حميد الآثار ، وكانت وفاته ليلة^(٤) الخميس ثالث جمادى الآخرة ، ودُفن بقاسيون ، رحمه الله تعالى .

القاضي شمس الدين بن سني الدولة يحيى ، أبو البركات بن هبة الله بن الحسن الدمشقي قاضيها^(٥) ، كان عالماً عفيفاً فاضلاً عادلاً مُنصفاً نزيهاً ، كان الملك الأشرف يقول : ما ولي دمشق مثله . وقد ولي الحكم بيت المقدس مدةً ، وناب بدمشق عن القضاة ، ثم استقل بالحكم ، وكانت وفاته يوم الأحد سادس ذي القعدة ، وصُلّي عليه بالجامع ، ودُفن بقاسيون ، وتأسف الناس عليه ، رحمه الله تعالى ، وتولّى^(٥) بعده الشيخ شمس الدين بن الخوئي .

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٧٠٩/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٦ ، وسير أعلام النبلاء ٣١/٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٦١ ، والوافي بالوفيات ١٥٧/٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٠٦/٨ ، وغاية النهاية ٢٧٤/٢ .

(٢) في م : «جميل» . قال التاج السبكي : ميميل بفتح الميم ، ومعناه محمد .

(٣) في م : «يوم» .

(٤) مرآة الزمان ٧١٧/٨ ، (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٦ ، ونهاية الأرب ٢٩/٢٣٧ ، وسير أعلام النبلاء ٢٧/٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٧٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٥٨/٨ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ٥٤٧/١ .

(٥) في م : «توفي» . وهو تحريف .

^(١) «ابن الأستاذ» القاضي زين الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن علوان الأسدي، عُرف بابن الأستاذ الحلبي، قاضيهَا بعدَ بهاء الدين بن شدّاد، وكان رئيسًا عالمًا فاضلاً، حسنَ الخلقِ والسّمتِ، وكان أبوه من الصالحين الكبار، رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى.

^(٢) الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْمُعَمَّرُ، أبو بكرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ بَهْرُوزِ الْبَغْدَادِيِّ^(٣)، ظَهَرَ سَمَاعُهُ مِنْ أَبِي الْوَقْتِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، فَانْتَالَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَسْمَعُونَ مِنْهُ، وَتَفَرَّدَ بِالرَّوَايَةِ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ الزَّيَّيدِيِّ وَغَيْرِهِ، تُؤْفَى لَيْلَةُ السَّبْتِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى^(٤).

الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ الْمُجَاهِدُ الْمُرَابِطُ صَارِمُ الدِّينِ خَطْلَبَا بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(٥)، مَمْلُوكُ سَرْكَسٍ^(٦) وَنَائِبُهُ بَعْدَهُ مَعَ وَلَدِهِ عَلَى تَيْبِينَ وَتِلْكَ الْحُصُونِ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ وَالْإِحْسَانِ، وَدُفِنَ مَعَ أَسَاتِذِهِ بِقَبَابِ سَرْكَسٍ^(٧)، وَهُوَ الَّذِي بَنَاهَا بَعْدَ أَسَاتِذِهِ، وَكَانَ خَيْرًا، قَلِيلَ الْكَلَامِ، كَثِيرَ الْغَزْوِ، مُرَابِطًا مَدَّةَ سَنَيْنَ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى، وَعَفَا عَنْهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

(١ - ١) سقط من: م. وانظر ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ٦/٢٧٣، والذيل على الروضتين ص ١٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٣٩، والوفاء بالوفيات ١٧/٢٤٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٥٥، والمقفى الكبير ٤/٤٢٣.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) التكملة لوفيات النقلة ٦/٢٧٥، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٥٩، والوفاء بالوفيات ٥/٢٤.

(٤) مرآة الزمان ٨/٧٠٥، ونهاية الأرب ٢٩/٢٣٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٣٧، والوفاء بالوفيات ١٣/٣٤٧.

(٥) في م: «شركس».

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة

فيها^(١) قبض الملك الجَوَّادُ على الصَّفِيِّ بْنِ مَرْزُوقٍ ، وصَادَرَهُ بِأَرْبَعِمِائَةٍ [٢٩٠] أَلْفِ دِينَارٍ ، وَحَبَسَهُ بِقَلْعَةِ حِمَصَ ، فَمَكَثَ ثَلَاثَ سَنِينَ لَا يَرَى الضُّوْءَ ، وَقَدْ كَانَ ابْنُ مَرْزُوقٍ قَبْلَ ذَلِكَ يُحْسِنُ إِلَى الْجَوَادِ إِحْسَانًا كَثِيرًا .

وَسَلَّطَ الْجَوَّادُ خَادِمًا لَزُوجَتِهِ يَقَالُ لَهُ : النَّاصِحُ . فَصَادَرَ الدَّمَاشِقَةَ ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ سِتِّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَمَسَكَ الْأَمِيرَ عِمَادَ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ الَّذِي كَانَ سَبَبَ تَمْلِيكِه دِمَشْقَ ، ثُمَّ خَافَ مِنْ أَخِيهِ فَخْرِ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ الَّذِي بِدِيَارِ مِصْرَ ، وَقَلِقَ مِنْ مُلْكِ دِمَشْقَ ، وَقَالَ : أَيُّشِ أَعْمَلُ بِالْمُلْكِ ؟ بَارٌّ وَكَلْبٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هَذَا . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ ، وَكَاتَبَ الصَّالِحَ نَجْمَ الدِّينِ أَيُّوبَ بْنَ الْكَامِلِ ، فَتَقَايَضَا مِنْ حَصَنِ كَيْفَا وَسِنَجَارَ وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَمَلَكَ الصَّالِحُ أَيُّوبَ دِمَشْقَ ، وَدَخَلَهَا فِي مُسْتَهْلُ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَالْجَوَّادُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْغَاشِيَةِ^(٢) ، ثُمَّ حَمَلَهَا الْمُظَفَّرُ صَاحِبُ حِمَاةَ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، ثُمَّ نَزَلَ الْجَوَّادُ بَدَارَ السَّعَادَةِ^(٣) ، وَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَذِرَكَ الْفَائِتَ ، فَلَمْ يَتَّفِقْ لَهُ ، وَخَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ ، وَالنَّاسُ يَلْعَنُونَهُ فِي وَجْهِهِ ؛ بِسَبَبِ مَا أَسَدَاهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُصَادَرَاتِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الصَّالِحُ أَيُّوبَ لِيُرَدَّ إِلَى النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، وَسَارَ وَبَقِيَتْ فِي ذِمَّتِهِ .

(١) مرآة الزمان ٧١٨/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٦٧ ، ونهاية الأرب ٢٩ / ٢٣٨ - ٢٧٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٧ .

(٢ - ٣) سقط من : م .

ولما استقرَّ الصالحُ في ملكِ مصرَ، كما سيأتى، حبسَ الناصحَ الخادمَ، فمات في أسوأِ حالةٍ، من القِلَّةِ والقَمَلِ، جزاءً وفاقاً ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وفيها ركب الصالحُ أيوبَ من دمشق في رمضانَ قاصداً الديارَ المصرية؛ ليأخذها من ابنِ أخيه العادلِ لصِغَرِهِ، فنزلَ بنايُلسَ واشتوَلَى عليها، وأخرجها من يدِ الناصرِ داودَ، وأرسلَ إلى عمِّه الصالحِ إسماعيلَ صاحبِ بَغْلَبَكْ ليَقْدَمَ عليه ليكونَ في صحبته إلى الديارِ المصرية، وكان قد جاء إليه إلى دمشق ^(١) وبايَعَهُ ^(٢)، فجعلَ يُسَوِّفُ به، وَيَعْمَلُ عليه، ويُحَالِفُ الأمراءَ بدمشقَ ليكونَ ملكهم، ولا يَتَجاسَرُ أحدٌ من الصالحِ أيوبَ لَجَبَرُوتِهِ أن يُخْبِرَهُ بذلك، وانقَضَتِ السَنَةُ، وهو مُقِيمٌ بنايُلسَ يَسْتَدْعِيهِ إليه، وهو يُمَاطِلُهُ.

وَمَنْ تُوفَّى فيها مِنَ الْأَغْيَانِ :

جَمَالُ الدِّينِ الْحَصِيرِيُّ الْحَنْفِيُّ، محمودُ بْنُ أَحْمَدَ ^(٣)، الْعَلَّامَةُ جمالُ الدِّينِ الْحَصِيرِيُّ شَيْخُ الْحَنْفِيَّةِ بدمشقَ، ومُدْرِسُ الثَّوْرِيَّةِ، أصلُهُ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: حَصِيرُ. مِنْ مُعَامَلَةِ بُخَارَى، تَفَقَّهَ بها، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وصارَ إلى دِمَشْقَ، فَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْحَنْفِيَّةِ بها، لاسِيَّما فِي أَيَّامِ الْمُعَظَّمِ، كانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ «الْجَامِعَ الْكَبِيرَ»، وَلَهُ عَلَيْهِ شَرْحٌ، وَكانَ يَحْتَرِمُهُ وَيُعَظِّمُهُ وَيُكْرِمُهُ، وَكانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، غَزِيرَ الدُّمْعَةِ، كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ، عَاقِلًا نَزِهاً عَفِيفًا، تُوفِّيَ يَوْمَ الْأَحَدِ

(١ - ١) فِي م: «لِبِيايَعِهِ».

(٢) مَرَأَةُ الزَّمَانِ ٧٢٠/٨ (القِسْمُ الثَّانِي)، وَالتَّكْمِلَةُ لوفيات النقلة ٢٨٨/٦، وَالدَّيْلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٦٧، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٢٩/٢٥١، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٢٣/٥٣، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٠٨، وَالْجَوَاهِرُ الْمُضْيِئَةُ ٣/٤٣١.

ثامن صفر، ودُفِنَ بمقابر الصوفية، تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ آمِينَ. تُوفِّيَ وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً، وَأَوَّلُ دَرَسِهِ فِي الثَّوْرِيَّةِ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، بَعْدَ الشَّرَفِ دَاوُدَ الَّذِي تَوَلَّاهَا بَعْدَ الْبُزْهَانِ مَسْعُودٍ أَوَّلِ مُدَرِّسِيهَا، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ صدر الدين علي بن حمويه^(١)
كان سبباً في ولاية الجَوَادِ دِمَشْقَ، ثم سار إلى مصر، فلامه صاحبها العادل، فقال: الآن أَرْجِعْ إلى دِمَشْقَ، وَأَمُرُ الْجَوَادَ بِالْمَسِيرِ إِلَيْكَ، عَلَى أَنْ تَكُونَ لَهُ إِنْكَندَرِيَّةً عِوَضَ دِمَشْقَ، فَإِنْ امْتَنَعَ عَزَلْتُهُ عَنْهَا، وَكُنْتُ أَنَا نَائِبُكَ فِيهَا. فنهاه أخوه فخر الدين بن الشيخ عن تعاطي ذلك، فلم يقبل، ورجع إلى دِمَشْقَ، فتلقاه الجَوَادُ إلى المصلّى، وأنزله عنده بالقلعة بدار المسرة، وخادعه عن نفسه، ثم دس إليه من قتله جَهْرَةً فِي صُورَةٍ مُسْتَغِيثٍ بِهِ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى أَمْوَالِهِ وَخَوَاصِلِهِ، وَكَانَتْ لَهُ جِنَازَةٌ حَافِلَةٌ، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ.

الوزير جمال الدين علي بن جرير^(٢)، وَزَرَ لِلْأَشْرَفِ، وَاسْتَوَزَرَهُ الصَّالِحُ [٣٠/١٠] أَيُوبُ أَيَّامًا، ثُمَّ مَاتَ عَقِبَ ذَلِكَ، كَانَ أَصْلُهُ مِنَ الرَّقَّةِ، وَكَانَ لَهُ أَمْلَاكٌ يَسِيرَةٌ يَعِيشُ مِنْهَا، ثُمَّ آلَ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ وَزَرَ لِلْأَشْرَفِ بِدِمَشْقَ، وَقَدْ هَجَاهُ بَعْضُهُمْ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْخَوَانِيقِ^(٣) فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ.

(١) مرآة الزمان ٧٢١/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/٣٠٠، والذيل على الروضتين ص ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ٩٧/٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٩٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٤٢/٨.

وجاء اسمه في السير وتاريخ الإسلام وطبقات الشافعية عمر بن محمد بن عمر بن علي بن حمويه.
(٢) في م: «حديد»، وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٧٢٤/٨ (القسم الثاني)، والتكملة لوفيات النقلة ٦/٣٠٥، والذيل على الروضتين ص ١٦٨ - وفيه: «حرير» - ونهاية الأرب ٢٩/٢٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٩٨.

(٣) في الأصل: «الحواسق»، وفي م: «الجواليق». والمثبت من مرآة الزمان ونهاية الأرب =

جعفر بن علي بن أبي البركات بن جعفر بن يحيى الهمداني^(١)، رَوايةُ السَّلَفِيّ، قَدِمَ إلى دَمَشَقَ صُحْبَةَ النّاصِرِ دَاوُدَ، وَسَمِعَ عَلَيْهِ أَهْلُهَا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِهَا، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً.

الحافظُ الكَبِيرُ زَكِيّ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبِزْزَالِيّ الْإِشْبِيلِيّ^(٢)، أَحَدُ مَنْ اغْتَنَى بِصِنَاعَةِ الْحَدِيثِ وَبَرَزَ فِيهِ، وَأَفَادَ الطَّلِبَةَ، وَكَانَ شَيْخَ الْحَدِيثِ بِمَشْهَدِ ابْنِ عُزُوزَةَ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى حَلَبَ، فَتَوَفَّى بِحِمَاةٍ فِي رَابِعِ عَشَرَ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَهُوَ جَدُّ شَيْخِنَا الْحَافِظِ عَلَمِ الدِّينِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبِزْزَالِيّ، مُؤَرِّخِ دَمَشَقَ الَّذِي ذُيِّلَ عَلَى الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ أَبِي شَامَةَ، وَقَدْ ذُيِّلْتُ أَنَا عَلَى «تَارِيخِهِ» بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ.

= والخوانيق: جمع الخناق، وهو داء أو ريح يأخذ الناس والدواب في الحلوق. انظر اللسان (خ ن ق).
 (١) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٢٩١، والذيل على الروضتين ص ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٢٨٤، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٤٩٧، والوفاء بالوفيات ١١/ ١١٧.
 (٢) التكملة لوفيات النقلة ٦/ ٣١٢، والذيل على الروضتين ص ١٦٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٠٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢٣، والوفاء بالوفيات ٥/ ٢٥٢.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة

استهلّت هذه السنة^(١) وسلطان دمشق نجم الدين الصالح أيوب بن الكامل مُخَيِّمٌ عند نابلس، يستدعى عمّه الصالح إسماعيل ليسير إلى الديار المصرية، بسبب أخذها من صاحبها العادل بن الكامل، وقد أرسل الصالح إسماعيل ولده وابن يغمور إلى صحبة الصالح أيوب بنابلس، فهما يُنفقان الأموال في الأمراء ويُخلفانهم على الصالح أيوب للصالح إسماعيل، فلما تم الأمر، وتمكّن الصالح إسماعيل من مراده، أرسل إلى الصالح أيوب يطلب منه ولده ليكون عوضه ببغلبك، ويسير هو إلى خدمته، فأرسله إليه، ولا يستشعر الصالح أيوب بشيء مما وقع، وكل ذلك عن ترتيب أبي الحسن غزال المتطّيب وزير الصالح - وهو الأمين واقف الأمانة ببغلبك - فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر هجم الملك الصالح إسماعيل، وفي صحبته أسد الدين شيركوه صاحب حمص إلى دمشق، فدخلها بغتة من باب الفراديس، فنزل الصالح إسماعيل بداره من درب الشّعارين، ونزل صاحب حمص بداره، وجاء نجم الدين بن سلام^(٢)، فهنأ الصالح إسماعيل، ورقص بين يديه، وهو يقول: إلى بيتك جئت. وأصبحوا فحاصروا القلعة، وبها المغيث عمر بن الصالح نجم الدين، ونقبوا القلعة من ناحية

(١) مرآة الزمان ٧٢٤/٨ - ٧٣٠ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٦٨، ونهاية الأرب ٢٣٨/٢٩ - ٢٧٤، حوادث سنتي ست وثلاثين وسبع وثلاثين وستمائة فقد وصلهما المصنف مقاً، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٢ - ٣٩.

(٢) في م: «سلامة».

بابِ الفرجِ ، وهتكوا حُرْمَتَهَا ودخلوها وتسَلَّموها ، واعتَقَلوا المُغِيثَ في بُرجِ هنالك .

قال أبو شامة^(١) : واخترَقَتْ دارُ الحديثِ وما هنالك مِنَ الحَوَانِيَتِ والدُّورِ حَوْلَ القلعةِ . ولما وصلَ الخبرُ بما وَقَعَ إلى الصالحِ أيوبَ تَفَرَّقَ عنه أصحابُه والأُمراءُ ؛ خوفاً على أَهاليهم مِنَ الصالحِ إِسماعيلَ ، وبقي الصالحُ أيوبُ وحده في مَماليكِهِ وجارِيَتِهِ أُمِّ خَلِيلٍ ، وطَمِعَ فِيهِ الفَلَّاحُونَ والغَوَارِثُ^(٢) ، وأُرْسِلَ الناصرُ داوُدُ صاحبُ الكَرَكِ إِلَيْهِ مَنْ أَخَذَهُ مِنْ نَابِلَسَ مُهَانًا عَلَى بَغْلَةٍ ، بَلَا مِهمَازٍ وَلَا مِقْرَعَةٍ^(٣) ، فَاغْتَقَلَهُ عِنْدَهُ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَأُرْسِلَ العادلُ مِنْ مِصرَ إِلَى الناصرِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَخَاهُ الصالحِ أَيُوبَ ، وَيُعْطِيهِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَمَا أَجابهَ إِلَى ذَلِكَ ، بَلْ عَكَسَ مَا طَلَبَ مِنْهُ بِإِخْرَاجِ الصالحِ مِنَ سِجْنِهِ وَالْإِفْرَاجِ عَنْهُ وَإِطْلَاقِهِ^(٤) «مَعَ الْجِيْشِ» يَزْكَبُ وَيَنْزِلُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ حَارَبَتِ الْمُلُوكُ مِنْ دِمَشْقَ وَمِصرَ وَغَيْرِهِمَا الناصرَ داوُدَ ، وَبَرَزَ الْعادلُ مِنَ الدِيَارِ الْمِصرِيَّةِ إِلَى بُلْبَيسَ قاصِدًا قِتالَ الناصرِ داوُدَ ، فَاضْطَرَبَ الْجِيْشُ عَلَيْهِ ، وَاخْتَلَفَ الْأُمراءُ ، وَقَيَّدُوا الْعادلَ ، وَاعْتَقَلُوهُ فِي خَزْكَاهُ ، وَأُرْسِلُوا إِلَى الصالحِ أَيُوبَ يَسْتَدْعُونَهُ إِلَيْهِمْ [٣٠ / ١٠ ظ] ، فامْتَنَعَ الناصرُ داوُدُ مِنْ إِرْسَالِهِ حَتَّى اسْتَرْطَ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَأْخُذُ لَهُ دِمَشْقَ وَحِمَصَ^(٥) وَحَلَبَ وَبِلادَ الْجَزِيرَةِ وَدِيَارَ بَكْرِ

(١) الذيل على الروضتين ص ١٦٩ .

(٢) الغوارنة : نسبة لأهل الغور . والقور : موضع منخفض بين القدس وحوزان ، مسيرة ثلاثة أيام في

عرض فرسخين . انظر تاج العروس (غ و ر) .

(٣) المهماز : حديدة تكون في مؤخر حُفِّ الرائض . والمقرعة : لحام الدابة . انظر اللسان (ه م ز) ،

(ق ر ع) .

(٤) - ٤) في م : « من الحبس » .

(٥) بعده في مصادر التخريج - عدا الذيل على الروضتين فقد ذكره مختصرا - : « وحماة » .

ونصفَ مملكةِ مصرَ ونصفَ ما فى الخزائنِ من الحَواصِلِ والأموالِ والجواهرِ . قال الصالحُ أيوبُ : فأجبتُ إلى ذلك مُكرِّهاً ، ولا يَقْدِرُ على جميعِ ما اشترطَ علىَّ ملوكُ الأرضِ ، وسِرنا فأخذتهُ معي خوفاً أن يَكُونَ هذا الكتابُ من المصريين مَكيدةً ، ولم يَكُنْ لى به حاجةٌ . وذكر أنه كان يَشْكُرُ ، وَيَخْبِطُ الأمورَ ، وَيُخَالِفُ الآراءَ السَّديدةَ . فلما وصل الصالحُ إلى المصريين ملَّكوه عليهم ، ودخلَ الديارَ المصريةَ سالماً مُؤَيِّداً مَنْصُوراً مُظَفَّراً مَخْبُوراً مَسْرُوراً ، فأرسلَ إلى الناصرِ داودَ عشرين ألفَ دينارٍ ، فردَّها عليه ولم يَقْبَلْها منه . واشتَقَرَّ مُلكُه بمصرَ ، وأما الجَوَادُ فإنه أساء السَّيرةَ بِسِنَّجَارٍ ، وصادرَ أهلها وعسفَهم ، وكاتبوا بدرَ الدين لؤلؤا صاحبَ الموصلِ ، فقصدَهم - وقد خرجَ الجَوَادُ للصيْدِ - فأخذَ البلدَ بغيرِ شيءٍ ، وصارَ الجَوَادُ إلى عانة^(١) ، ثم باعَها مِن الخليفةِ بعدَ ذلك .

وفى ربيعِ الأولِ درَّسَ القاضي الرَّفيعُ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الواحدِ الجيليُّ بالشاميةِ البرَّانيةَ .

وفى يومِ الأربعاءِ ثالثِ ربيعِ الآخرِ ولى الشيخُ عزُّ الدين عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ بنِ أبى القاسمِ السَّلَميُّ خِطابةً جامعِ دمشقَ ، وخطبَ الصالحُ إسماعيلُ لصاحبِ الرومِ ببلادِ دمشقَ وغيرها ؛ لأنه حالفَه على الصالحِ أيوبَ .

قال أبو شامة^(٢) : وفى حَزيرانَ أيامَ المِشمِشِ جاءَ مطرٌ عظيمٌ هَدَمَ كثيرًا من الحيطانِ وغيرها ، وكنْتُ يومئذٍ بالمِرَّةِ^(٣) .

(١) فى م : « غانة » . وعانة : بلد بالأردن . انظر معجم البلدان ٣ / ٥٩٥ .

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٧٠ .

(٣) المزة : قرية كبيرة فى وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نصف فرسخ . معجم البلدان ٤ / ٥٢٢ .

وَمَنْ تُوْفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

صاحبُ حمصَ الملكُ المجاهدُ أسدُ الدينِ شيركوه بنُ ناصرِ الدينِ محمدِ ابنِ أسدِ الدينِ شيركوه بنِ شادى^(١) ، ولَّاهُ إيَّاهَا الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ بعدَ موتِ أبيه سنةَ إحدى وثمانين وخمسمائةً ، فمَكَثَ فِيهَا سَبْعًا وخمسين سنةً ، وكان من أحسنِ الملوكِ سيرةً ، طَهَّرَ بلادَهُ مِنَ الخُمُورِ والمُكُوسِ والمُنْكَرَاتِ ، وهى فى غايةِ الأمنِ والعَدْلِ ، لا يَتَجاسَرُ أَحَدٌ مِنَ الفِرْعَنْجِ ولا العربُ يَدْخُلُ بلادَهُ إلا أهانَهُ غايةَ الإهانةِ ، وكانت ملوكُ بنى أيوبَ يَتَّقُونَهُ ؛ لأنَّهُ كان يَرى أَنَّهُ أَحَقُّ بالأمرِ منهم ؛ لأنَّ جدَّهُ هو الذى فَتَحَ مِصرَ ، وأوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ ، وكانت وفاته رَجَمَهُ اللَّهُ بِحَمَصَ ، وعُغِلَ عِزاؤُهُ بِجامعِ دِمَشقَ ، عفا اللَّهُ عَنْهُ بِمَنَّةٍ .

القاضى الخُوَيْئى شمسُ الدينِ أحمدُ بنُ خَليلِ بنِ سَعادَةَ بنِ جعفرِ الخُوَيْئى^(٢) ، قاضى القُضاةِ بِدمشقَ يومئِذٍ ، وكان عالماً بفنونٍ كثيرةٍ مِنَ الأصولِ والفروعِ وغيرِ ذلك ، وكانت وفاته يومَ السَّبْتِ ، بعدَ الظَّهِيرِ ، السَّابِعَ مِنْ شَعْبَانَ ، وله خمسٌ وخمسون سنةً ، بِالْمَدْرَسَةِ العادِلِيَّةِ ، وكان حَسَنَ الأخلاقِ ، جَميلَ المُعاشرةِ ، وكان يَقولُ^(٣) : لا أَقْدِرُ عَلَى المَناصِبِ ، إِلَى مُسْتَحَقِّهَا^(٤) . له

(١) مرآة الزمان ٧٣١/٨ (القسم الثانى) والتكملة لوفيات النقلة ٣٤٢/٦ ، والذيل على الروضتين ص ١٦٩ ، ونهاية الأرب ٢٥٤/٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ٣٩/٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٢٧ ، والوفاء بالوفيات ٢١٦/١٧ .

(٢) مرآة الزمان ٧٣٠/٨ (القسم الثانى) ، والتكملة لوفيات النقلة ٣٤٤/٦ ، وبغية الطلب ١٤٨/٢ ، والذيل على الروضتين ص ١٦٩ ، وتكملة إكمال الإكمال ص ١٠٦ ، ونهاية الأرب ٢٧٢/٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ٦٤/٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣١٥ ، والوفاء بالوفيات ٣٧٥/٦ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٦/٨ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٦٩ .

(٤) بعده فى م : « إيصال » . وجاءت العبارة فى الذيل : لا أقدر على إمساك المناصب .

مُصَنَّفَاتٍ ، منها عَرُوضٌ . قال فيه أبو شامة^(١) :

أحمدُ بنُ الخليلِ أُرْسِدهُ الدُّهُ لَمَّا أُرْسِدَ الخَلِيلَ بنَ أحمدَ
ذاك مُسْتَخْرِجُ العَرُوضِ وهذا مُظْهِرُ السِّرِّ منه والعَوْدُ أحمدُ

وقد ولى القضاة بعده^(٢) رفيع الدين عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل
ابن عبد الهادي الجيلي مع تدريس العادلية ، وكان قاضيًا بعلبك ، فأخضره إلى
دمشق الوزير أمين الدين الذي كان سامريًا^(٣) فأسلم ، وزر للصالح إسماعيل ،
واتفق هو وهذا القاضي على أكل أموال الناس بالباطل . قال أبو شامة^(٤) : ظهر
منه^(٤) سوء سيرة وعسف وفسق وجور ومصادرة في الأموال .

قلت : وقد ذكر غيره عنه أنه ربما حضر يوم الجمعة في المشهد الكمال
بالشُّبَّاك وهو سكران بالخمر ، وأن قناني^(٥) الخمر كانت تكون على بركة العادلية
يوم السبت ، وكان يعتمد في التركات اعتمادًا سيئًا جدًا ، وقد عامله الله تعالى
بتقيض [٣١/١٠] مقصوده ، وأهلكه الله على يدي من كان سبب سعادته ، كما
سيأتى بيانه قريبًا إن شاء الله تعالى^(٦) .

(١) الذيل على الروضتين ص ١٦٩ .

(٢) في م : « بعد » .

(٣) السامري من الشامية ، وهم قوم من اليهود من قبائل بني إسرائيل يخالفونهم - أى اليهود - في بعض
أحكامهم ، كإنكارهم نبوة من جاء بعد موسى عليه السلام ، وغير ذلك . تاج العروس (س م ر) .

(٤) أى من القاضي رفيع الدين .

(٥) قناني : جمع قنينة ، وهى القارورة . الوسيط (ق ن ن) .

(٦) انظر ما سيأتى فى حوادث سنة إحدى وأربعين وستمائة فى صفحاتى ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

ثم دَخَلَتْ سنة ثمانٍ وثلاثين وستمائية

فيها^(١) سَلَّمَ الصالحُ إسماعيلُ صاحبُ دمشقَ حصنَ شَقِيفٍ^(٢) أَرْزُونُ^(٣) لصاحبِ صَيْدَا الفِرْنَجِيِّ ، فاشتَدَّ الإنكارُ عليه بسببِ ذلك مِنَ الشيخِ عَزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ خَطِيبِ البلدِ ، والشيخِ أبي عمرو بنِ الحاجبِ شيخِ المالكيةِ ، فاعتَقَلهما مدةً ، ثم أَطْلَقهما وألْزَمهما منازِلَهما ، وولَّى الخطابةَ وتَدْرِيسَ الغَزَالِيَةِ لعمادِ الدينِ داودَ بنِ عمرَ بنِ يوسفَ المقدسِيِّ خَطِيبِ بيتِ الآبارِ ، ثم خَرَجَ الشيخانِ مِنْ دمشقَ ، فَقَصَدَ أبو عمرو الناصرَ داودَ بالكُرْكِ ، ودَخَلَ الشيخُ عَزِّ الدينِ الديارَ المصريةِ ، فتلَقَّاه صاحبُها الصالحُ أيوبُ بالاحترامِ والإكرامِ ، وولَّاهُ خطابةَ القاهرةِ وقضاءَ مصرَ ، واشتَغَلَ عليه أهلُها ، فكانَ مِمَّنْ أَخَذَ عنه الشيخُ تَقَى الدينِ بنُ دَقِيقِ العيدِ ، رَحِمَهما اللهُ تعالى .

وفيها قَدِمَ رسولٌ مِنَ ملكِ التَّارِ ثُولِي بنِ جَنْكِرْخانِ إلى ملوكِ الإسلامِ يَدْعُوهم إلى طاعَتِهِ وَيَأْمُرُهم بِتَخْرِيبِ أسوارِ بُلْدانِهِم ، وعُنوانُ الكتابِ : مِنْ نائِبِ رَبِّ السَّماءِ ، ماسِحِ وَجِهِ الأرضِ ، ملكِ الشرقِ والغربِ خاقانُ^(٤) . وكانَ الكتابُ معَ رجلٍ مسلمٍ مِنْ أَهْلِ أَصْبَهانَ ، لطيفِ الأخلاقِ ، فأولُ ما وَرَدَ على

(١) مرآة الزمان ٧٣٢/٨ - ٧٣٥ (القسم الثاني) والذيل على الروضتين ص ١٧٠ ، ونهاية الأرب ٢٩/

٢٧٤ - ٢٨٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٠ - ٤٣ .

(٢) في م : « سعييف » .

(٣) في م : « أربون » .

(٤) في الأصل : « قازان » ، وفي م : « قان قان » . والمثبت من مرآة الزمان .

شهاب الدين غازي بن العادل صاحب ميثافريقين، وقد أخبره بعجائب في أرضهم غريبة، منها أن في البلاد المتاخمة للسد أناساً أغنيهم في منابهم، وأقواهم في صدورهم، يأكلون السمك، وإذا رأوا أحداً من الناس هربوا. وذكر أن عندهم بزرًا ينبت منه الغنم، يعيش الحروف منها شهرين وثلاثة، ولا يتناسل، ومن ذلك أن بمارندران عينا يطلع فيها كل ثلاثين سنة خشبة عظيمة^(١) مثل المنارة، فتقيم طول النهار، فإذا غربت الشمس غاصت في العين، فلا ترى إلى^(٢) مثل ذلك الوقت، وأن بعض الملوك اختال ليمسكوها بسلاسل ربطت فيها فغارت، وقطعت تلك السلاسل، ثم كانت إذا طلعت ترى فيها تلك السلاسل، وهي إلى^(٣) الآن كذلك.

قال أبو شامة^(٤): وفيها قلت المياه من السماء والأرض، وفسد كثير من الزرع والثمار. والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان والمشاهير:

مخبي الدين بن عربي^(٥)، صاحب «الفصوص» وغيرها، محمد بن علي ابن محمد، ابن عربي، أبو عبد الله الطائي الحائمي الأندلسي، طاف البلاد، وأقام بمكة مدة، وصنف فيها كتابه المسمى بـ«الفتوحات المكية» في نحو عشرين

(١) سقط من: الأصل. وفي مرآة الزمان: «غليظة».

(٢) في الأصل: «إلا».

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٧١.

(٥) مرآة الزمان ٧٣٦/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٧٠، ونهاية الأرب ٢٩/٢٨١، وسير أعلام النبلاء ٤٨/٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٧٤، والوفيات بالوفيات ٤/١٧٣، وغاية النهاية ٢/٢٠٨، والمقفى الكبير ٦/٣٤٨.

مُجَلِّدًا ، فيه ما يُعَقَّلُ وما لا يُعَقَّلُ ، وما يُنْكَرُ وما لا يُنْكَرُ ، ^(١) وما يُعْرِفُ وما لا يُعْرِفُ ^(٢) ، وله الكتابُ المُسَمَّى «بِقُصُوصِ الْحِكَمِ» فيه أشياء كثيرةٌ ظاهرُها كفرٌ صريحٌ ، وله «العبادات» ^(٣) ، وديوانٌ شعريٌّ رائقٌ ، وله مُصَنَّفَاتٌ أُخَرُ كثيرةٌ ، وأقام بدمشق مدةً طويلةً قَبْلَ وفاته ، وكان بنو الزَكِيِّ لهم عليه اِشْتِمَالٌ ، وبه اِخْتِفَالٌ ، ولجميع ما يَقُولُهُ اِحْتِمَالٌ .

قال أبو شامة ^(٤) : وله تصانيفٌ كثيرةٌ ، وكانت ^(٥) عليه سهلةٌ ، وله شعرٌ حسنٌ ، وكلامٌ طويلٌ على طريقِ التَّصَوُّفِ ، وكانت له جِنَازَةٌ حسنةٌ ، ودُفِنَ بمقبرةِ القاضي مُحمَّى الدينِ بنِ الزَكِيِّ بقاسيونَ ، وكانت جِنَازَتُهُ في الثاني والعشرين من ربيعِ الآخِرِ من هذه السَّنة .

وقال السُّبُطُ ^(٦) : كان يَقُولُ إنه يَحْفَظُ الاسمَ الأعْظَمَ ، ويقولُ إنه يَعْرِفُ الكيمياءَ بطريقِ المَنَازِلَةِ لا بطريقِ الكَسْبِ ، وكان فاضلاً في عِلْمِ التَّصَوُّفِ ، وله تصانيفٌ كثيرةٌ .

القاضي نَجْمُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ خلفِ بنِ راجِحِ المقدسيِّ الحنبليِّ الشافعيِّ ، المعروفُ بابنِ الحنبليِّ ^(٧) ، كان شيخاً فاضلاً دَيِّناً بارِعاً في عِلْمِ الخِلَافِ ، [٣١/١٠ ظ] وَيَحْفَظُ «الجمَعَ بينَ الصَّحِيحَيْنِ»

(١ - ١) في الأصل : «ولا يعرف» .

(٢) في الأصل ، م : «العبادة» . والمثبت من الوافي بالوفيات ، وهو الذي ذكر جملة كبيرة من تصانيفه .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٧٠ .

(٤) زيادة من الذيل على الروضتين .

(٥) مرآة الزمان ٧٣٦/٨ (القسم الثاني) .

(٦) مرآة الزمان ٧٣٥/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٧١ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/

٧٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٦٠ ، والوافي بالوفيات ٢٥/٨ ، وطبقات

الشافعية للإسنوي ٤٤٨/١ .

للحميدى، وكان متواضعا، حسن الأخلاق، قد طاف البلدان في طلب العلم، ثم استقر بدمشق، ودرس بالعدراوية^(١) والصارمية والشامية البرانية^(٢) وأمّ الصالح، وناب في الحكم عن جماعة من القضاة إلى أن توفى بها، وهو نائب الرفيع الجليلي، وكانت وفاته يوم الجمعة سادس شوال، ودُفن بقاسيون.

ياقوت بن عبد الله، أمين الدين الرومي^(٣)، منسوب إلى ولاء^(٤) أتابك، قديم بغداد مع رسول صاحب الموصل لؤلؤ. قال ابن الساعي: اجتمع به، وهو شاب أديب فاضل، يكتب خطا حسنا وهو في غاية الجودة، وينظم شعرا جيدا. ثم روى عنه شيئا منه. قال: وتوفى في جمادى الآخرة محبوبا.

(١) في م: «بالفداوية». وانظر الدارس ١/٣٧٣، ٥٤٨.

(٢) في الأصل، م: «الجوانية». والمثبت من مصادر ترجمته.

(٣) في م: «الرولى». وانظر ترجمته في: المختصر المحتاج إليه ص ٢٣٧، وعده ابن الديبى في جملة من اسمه عبد الرحمن، ووفيات الأعيان ٦/١٢٢، وفي تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٥٥، وفيات سنة سبع وثلاثين وستمئة.

(٤) في م: «بيت». نسبه الذهبي في تاريخ الإسلام فقال: الأتابكى الموصلى.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمائة

فيها^(١) قصد الملك الجَوَادُ أن يَدْخُلَ مَصْرَ لِيَكُونَ فِي خِدْمَةِ الصَّالِحِ أَيُوبَ ، فلما وَصَلَ إِلَى الرَّمْلِ تَوَهَّمُ مِنْهُ الصَّالِحُ أَيُوبَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ كَمَالَ الدِّينِ بَنَ الشَّيْخِ لِيَقْبِضَ عَلَيْهِ ، فَرَجَعَ الْجَوَادُ ، فَاسْتَجَارَ بِالنَّاصِرِ دَاوُدَ ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، وَبَعَثَ مَعَهُ جَيْشًا ، فَالْتَقَوْا مَعَ ابْنِ الشَّيْخِ ، فَكَسَرُوهُ وَأَسْرَوْهُ ، فَوَبَّخَهُ النَّاصِرُ دَاوُدَ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ ، وَأَقَامَ الْجَوَادُ فِي خِدْمَةِ النَّاصِرِ حَتَّى تَوَهَّمُ مِنْهُ ، فَقَبِضَهُ^(٢) وَأَرْسَلَهُ تَحْتَ الْحَوْطَةِ إِلَى بَغْدَادَ ، فَأَطْلَقَهُ بَطْنٌ مِنَ الْعَرَبِ عَنْ قُوَّةٍ ، فَلَجَأَ إِلَى صَاحِبِ دِمَشْقَ مَدَّةً ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْفَرَنْجِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَحَبَسَهُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ بَعْرَثًا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ كَمَا سَيَأْتِي .

وفيهما شرع الصالح أيوب في بناء المدارس بمصر، وبنى قلعة بالجزيرة غريم عليها شيئاً كثيراً من بيت المال، وأخذ أملاك الناس، وخرب نيقاً وثلاثين مسجداً، وقطع ألف نخلة، ثم أخربها التُّرك في سنة إحدى وخمسين كما سيأتي بياؤه .

وفيهما ركب الملك المنصور^(٣) إبراهيم بن الملك المجاهد صاحب حمص، ومعه

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧٣٦، ٧٣٧ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٧١، ١٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٤ - ٤٦، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢٨١ - ٢٩٩، وكنز الدرر ٧/ ٣٤٧.

(٢) في الأصل: «قصدته» .

(٣) بعده في م: «بن» .

الحليّون ، فاقْتَتَلُوا مع الخُوَارِزْمِيَّةِ بِأَرْضِ حَرَّانَ ، فَكَسَرُوهُمْ وَمَزَّقُوهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ،
وَعَادُوا مَنْصُورِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ ، فَاضْطَلَحَ شَهَابُ الدِّينِ غَازِي صَاحِبُ مَيَّافَارِقِينَ
مع الخُوَارِزْمِيَّةِ ، وَأَوَاهُم إِلَى بَلَدِهِ لِيَكُونُوا مِنْ جِزْيِهِ .

قال أبو شامة^(١) : وفيها كان دخولُ الشيخِ عزِّ الدِّينِ إلى الديارِ المصريَّةِ ،
فأكْرَمَهُ صاحبُها ، وولَّاهُ الخطَّابَةَ بالقاهرةَ وقضاءَ القضاةِ بمصرَ ، بعدَ وفاةِ القاضي
شرفِ الدِّينِ الموقِّعِ^(٢) ، ثم عزَّلَ نفسه مرتين ، وانْقَطَعَ في بيته ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى .
قال^(٣) : وفيها تُؤَفَّى بالمَوْصِلِ^(٤) الشمسُ بِنِ الحَبَّازِ النُّحُوثِي الضَّرِيرِ في سابِعِ
رَجَبٍ . وَالْكَمَالُ بِنِ يونسَ الفقيهُ في النصفِ مِنْ شعبانَ ، وَكَانَا فَاضِلَيْنِ بِلَدِهِمَا
في فَنَّهُمَا .

قلتُ : أَمَّا الشَّمْسُ بِنِ الحَبَّازِ^(٥) فَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بِنِ الْحُسَيْنِ بِنِ أَحْمَدَ
ابنِ معالي بِنِ منصورِ بِنِ عَلِيٍّ ، الضَّرِيرُ النَّحُوثِي المَوْصِلِيُّ ، المعروفُ بابنِ الحَبَّازِ ،
اشْتَغَلَ بعِلْمِ العربيَّةِ وحَفِظَ «المُفَصَّلَ» و«الإيضاحَ» والتَّكْمِلَةَ والعَرُوضَ
والحِسَابَ ، وَكَانَ يَحْفَظُ «المَجْمَلَ» في اللُّغَةِ وغيرَ ذلكَ ، وَكَانَ شافِعِي المَذْهَبِ ،
كَثِيرُ النَّوَادِرِ والمُلَحِّ ، وَلَهُ أشعارٌ جيْدَةٌ ، وَكَانَتْ وفائُهُ في العَاشِرِ مِنْ رَجَبٍ ، وَلَهُ
مِنَ العَمْرِ خَمْسُونَ سَنَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى .

(١) الذيل على الروضتين ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) في الأصل : «ابن الموقع» ، وفي م : «الموقع» . والمثبت من الذيل .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٢ .

(٤) سقط من : م .

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٨٩ ،

وبغية الوعاة ١/ ٣٠٤ ، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٢ .

وأما الكمالُ بنُ يونس^(١) فهو موسى بنُ يونس بن محمد بن مَنعة بن مالك العقيلي، أبو الفتح الموصلي، شيخ الشافعية بها، ومدرسٌ بعدة مدارس فيها، وكانت له معرفةٌ تامةٌ بالأصول والفروع والمَقُولَاتِ والمنطِق والحكمة، [٣٢/١٠] ورحل إليه الطلبة من البلدان، وبلغ ثمانية وثمانين عامًا، وله شعرٌ حسنٌ. فَمِنْ ذَلِكَ مَا امْتَدَحَ بِهِ الْبَدْرَ لَوْلَا صَاحِبَ الْمَوْصِلِ، وَهُوَ قَوْلُهُ^(٢):

لَنْ شَرَفْتُ أَرْضَ بِمَالِكَ رِقَّهَا^(٣) فَمَمْلَكَةُ الدُّنْيَا بِكُمْ تَتَشَرَّفُ
بَقِيَّتَ بَقَاءِ الدَّهْرِ أَمْرُكَ نَافِذٌ وَسَعْيُكَ مَشْكُورٌ وَحُكْمُكَ مُنِصِفٌ^(٤)

كَانَ مَوْلَدُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ، وَتُوُفِّيَ لِلنَّصَفِ مِنْ شَعْبَانَ هَذِهِ السَّنَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قال أبو شامة^(٥): وفيها تُوفِّيَ بدمشق: عبدُ الواحدِ الصُّوفِيُّ^(٦) الذي كان قَسًّا رَاهِبًا بكنيسة مَزِيمَ سبعين سنة، أَسْلَمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَيَّامٍ، ثُمَّ تُوُفِّيَ شَيْخًا كَبِيرًا بَعْدَ أَنْ أَقَامَ بِخَانِقَاهِ الشَّمْسِيَّاسِيَّةِ أَيَّامًا،^(٧) وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ، وَكَانَتْ لَهُ جِنَازَةٌ حَافِلَةٌ، حَضَرَتْ دَفْنَهُ وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٨).

(١) الذيل على الروضتين ص ١٧٢، ووفيات الأعيان ٣١١/٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤١٧، وتاريخ ابن الوردي ١٧١/٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٧٨/٨.
(٢) انظر وفيات الأعيان ٣١٥/٥، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٨٣/٨.
(٣ - ٣) الأصل، م: «لن زينت الدنيا بمالك أمرها». ويختل به الوزن. والمثبت من مصدرى التخريج.
(٤) في م: «ينصف»، وبعده في وفيات الأعيان:
«ومكنت في حفظ البسيطة مثل ما تمكن في أمصار فرعون يوسف»

أما في الطبقات فالبيت قبله.

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٢.

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٠٥.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

أبو الفضل^(١) أحمد بن إسفنديار بن الموفق بن أبي عليّ البوشنجي^(٢)
الواعظ، شيخ رباط الأرجوانية.

قال ابن الساعي: كان جميل الصورة، حسن الأخلاق، كثير التؤدّد والتواضع، متكلمًا مَفَوَّهاً مَنْطِقِيًّا، حسن العبارة، جيد الوعظ، طيب الإنشاد، عذّب الإيراد، له نظم حسن. ثم ساق عنه قصيدة يمدح بها الخليفة المستنصر.

أبو بكر محمد بن يحيى بن المظفر بن عليّ بن نعيم، المعروف بابن الحُبَيْر السّلاميّ^(٣)، شيخ صالح عالم فاضل، كان حنبليًّا، ثم صار شافعيًّا، ودرّس بعدة مدارس ببغداد للشافعية، وكان أحد المُعدِّلين بها، تولى مُباشرات كثيرة، وكان فقيهاً أصوليّاً عالماً بالخلاف، وتقدّم ببلده وعظم كثيرًا، ثم استنابه ابن فضالان بدار الحرّيم، ثم صار من أمره أن درّس بالنظامية، وحُليع عليه ببغلة، وحضر عنده الأعيان، وما زال بها حتى تُوفّي عن ثمانين سنة، ودُفِن بباب حرب.

قاضي القضاة ببغداد أبو المعالي عبد الرحمن بن مُقبِل بن عليّ الواسطيّ الشافعيّ^(٤)، اشتغل ببغداد، وحصل وأعاد في بعض المدارس، ثم استنابه قاضي القضاة عماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزّاق بن عبد القادر، في أيام الخليفة

(١) كذا في النسختين، وفي مصادر الترجمة: «العباس»، وانظر ترجمته في تاريخ إربل ١/٣٣٨.

وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٣٨٩، والوفاء بالوفيات ٦/٢٤٨.

(٢) في النسختين: «البوشنجي». والمثبت من مصادر ترجمته.

(٣) المختصر المحتاج إليه ص ٩٢، ٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٠٧/٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث

ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤١٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٠٨/٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٠٤/٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٠٢،

والوفاء بالوفيات ١٨/٢٨٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٨٧/٨، وطبقات الشافعية للإسنوي

٥٥٣/٢.

الظاهر بن الناصر، ثم ولي قضاء القضاة مُستَقِلًّا، ثم ولي تدريس المُستَنصِرِيَّة بعد موت أول من درّس بها مُحْيِي الدين محمد بن فضلان، ثم عُزِلَ عن ذلك كُلِّه، «وُعِيِّنَ لِمَشْيَخَةٍ» بعض الرُّبُط، ثم كانت وفاته في هذا العام، وكان فاضلاً دَيِّناً مُتَوَاضِعاً، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَفَا عَنْهُ.

(١ - ١) في م: «وعن مشيخة». وانظر مصادر ترجمته.

ثم دَخَلَتْ سَنَةً أَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةً

فيها^(١) تُؤْفَى المُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ وَخِلَافَةُ وَلَدِهِ المُسْتَعَصِمِ بِاللَّهِ، فَكَانَتْ وَفَاءُ الْخَلِيفَةِ المُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بُكْرَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ عَاشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمَرِ إِحْدَى وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةُ أَيَّامٍ، وَكُتِمَ مَوْتُهُ حَتَّى كَانَ الدَّعَاءُ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَكَانَتْ مَدَّةُ وَلَايَتِهِ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً وَعَشْرَةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَدُفِنَ بِدَارِ الْخِلَافَةِ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى التَّرْبِ مِنَ الرُّصَافَةِ. وَكَانَ جَمِيلَ الصُّورَةِ، حَسَنَ السَّرِيرَةِ^(٢)، جَيِّدَ السَّيْرِ، كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ وَالْبِرِّ وَالصَّلَاتِ، مُحْسِنًا إِلَى الرِّعِيَةِ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، كَانَ جَدُّهُ النَّاصِرُ قَدْ جَمَعَ مَا يَتَحَصَّلُ مِنَ الذَّهَبِ فِي بَرَكَةِ بَدَارِ الْخِلَافَةِ، فَكَانَ يَقِفُ عَلَى حَافَّتِهَا وَيَقُولُ: أَتَرَى أَعِيشُ حَتَّى أَمْلَأَهَا. وَكَانَ المُسْتَنْصِرُ يَقِفُ عَلَى حَافَّتِهَا وَيَقُولُ: أَتَرَى أَعِيشُ حَتَّى أَنْفَقَهَا كُلَّهَا. كَانَ يَتَنَبَّأُ الرُّبُطَ وَالْخَنَاتِ وَالْقَنَاظِرَ فِي الطَّرِيقَاتِ مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ، وَقَدْ عَمِلَ بِكُلِّ مَحَلَّةٍ مِنْ مَحَالِّ بَغْدَادَ دَارَ ضِيَافَةٍ لِلْفُقَرَاءِ، لَا سِيَّمَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكَانَ يَتَقَصَّدُ الْجَوَارِي اللَّاتِي قَدْ بَلَغْنَ الْأَرْبَعِينَ، فَيُشْتَرِينَ لَهُ فَيُعْتِقُهُنَّ وَيُجَهِّزُهُنَّ وَيُزَوِّجُهُنَّ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ يُبْرِزُ صَلَاتِهِ أَلُوفٌ مُتَعَدِّدَةٌ مِنَ الذَّهَبِ، تُفَرَّقُ [٣٢/١٠] فِي الْحَالِّ بِبَغْدَادَ عَلَى ذَوِي الْحَاجَاتِ وَالْأَرَامِلِ وَالْأَيَّامِ

(١) مَرَاةُ الزَّمَانِ ٧٣٩/٨ (القسم الثاني)، وَالذَّيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ١٧٢، وَسِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٢٣/

١٥٥، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٥٢.

(٢) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ: «جَمِيل».

وغيرهم، تقَبَّلَ اللهُ تعالى منه وجزاه خيراً، وقد وُضِعَ ببغداد المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة، وجعل فيها دارَ حديث^(١) وحمّاماً ودارَ طبّ، وجعل لمُستَحَقِّها مِنَ الجوامِكِ والأطعمة والحلاوات والفواكه ما يَحْتَاجُونَ إليه في أوقاته، وأوقف عليها أوقافاً عظيمة حتى قيل: إن ثمن الثَّبنِ مِنْ غَلَّتِ ربيعها يَكْفِي المدرسةَ وأهلها. ووقف فيها كُتُباً نفيسة ليس لها في الدنيا نظير، فكانت هذه المدرسةُ جَمالاً لبغداد، بل لسائر البلاد.

وقد اُحْتَرَقَ في^(٢) هذه السنة المَشْهُدُ الذي بِسامِراً المنسوبُ إلى عليّ الهادي والحسين العَشْكَرِيُّ، وقد كان بناه أُرْسُلان البساسيري في أيامِ تَغْلِيهِ على تلك التَّواحِي، في حدودِ سنةِ خمسين^(٣) وأربعمائة، فأمر الخليفةُ المُستَئْصِرُ بإعادته إلى ما كان عليه، وقد تَكَلَّمَتِ الرّوافِضُ في الاغْتِذارِ عن حريقِ هذا المَشْهُدِ بكلامٍ طويلٍ باردٍ لا حاصلَ له، وصنّفوا فيه أخباراً، وأنشدوا أشعاراً كثيرةً لا مَعْنَى لها، وهو المَشْهُدُ الذي يَزْعُمُونَ أَنه يخرجُ منه المُنتَظَرُ الذي لا حَقِيقَةَ له، لا عينَ ولا أثرَ، ولو لم يُبَيَّنْ لكان أجود^(٤)، وهو الحسنُ بنُ عليّ^(٥) بنِ محمدِ الجَوَادِ بنِ عليّ الرضا بنِ موسى الكاظمِ بنِ جعفرِ الصادقِ^(٦) بنِ محمدِ بنِ الباقرِ بنِ عليّ^(٧) زين العابدين بنِ الحسينِ الشَّهِيدِ بِكَربلاءَ، ابنِ عليّ بنِ أبي طالب، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَقَبَّحَ مَنْ يَغْلُو فِيهِمْ وَيُنْغِضُ بِسَبِيهِمْ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) بعده في م: «أول».

(٣) في الأصل: «خمس».

(٤) في م: «أجدر».

(٥) بعده في الأصل: «الهادي».

(٦) بعده في الأصل: «بن علي». وانظر أنساب الأشراف ٣/ ٣٦٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١.

(٧) بعده في الأصل: «بن». وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١.

وكان المُسْتَنْصِرُ، رَحِمَهُ اللَّهُ، كَرِيمًا حَلِيمًا رَئِيسًا مُتَوَدِّدًا إِلَى النَّاسِ، وَكَانَ جَمِيلَ الصُّورَةِ، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، بَهِيَّ الْمَنْظَرِ، عَلَيْهِ نَوْرُ بَيْتِ النَّبَوَةِ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ. وَحُكِيَ أَنَّهُ اجْتَاَزَ رَاكِبًا فِي بَعْضِ أَرْقَةِ بَغْدَادَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ مِنْ رَمَضَانَ، فَرَأَى شَيْخًا كَبِيرًا، وَمَعَهُ إِنَاءٌ فِيهِ طَعَامٌ، قَدْ حَمَلَهُ مِنْ مَحَلَّةٍ إِلَى مَحَلَّةٍ أُخْرَى، فَقَالَ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، لِمَ لَا أَخَذْتَ الطَّعَامَ مِنْ مَحَلَّتِكَ؟ أَوْ أَنْتَ مُحْتَاجٌ فَنَأْخُذُ مِنَ الْمَحَلَّتَيْنِ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَاسِيدِي - وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ - وَلَكِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ، وَقَدْ نَزَلَ بِي الْوَقْتُ، وَأَنَا أَسْتَجِي مِنْ أَهْلِ مَحَلَّتِي أَنْ أَزَاجِمَهُمْ وَقَتَ الطَّعَامِ^(١)، وَأَتَحَيَّنُ وَقْتَ كَوْنِ النَّاسِ فِي صَلَاةِ الْمَغْرَبِ، فَأَدْخُلُ بِالطَّعَامِ إِلَى مَنْزَلِي حَيْثُ لَا يَرَانِي أَحَدٌ. فَبَكَى الْخَلِيفَةُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ، فَلَمَّا دُفِعَتْ إِلَيْهِ فَرِحَ الشَّيْخُ فَرَحًا شَدِيدًا حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ انْشَقَّ قَلْبُهُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ، وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا عَشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ مَاتَ فَحُمِلَتِ الْأَلْفُ دِينَارٍ إِلَى الْخَلِيفَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَخْلُفْ وَارِثًا. وَقَدْ أَنْفَقَ مِنْهَا دِينَارًا وَاحِدًا، فَتَعَجَّبَ الْخَلِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: شَيْءٌ قَدْ خَرَجْنَا عَنْهُ لِلَّهِ لَا يَعُودُ إِلَيْنَا، تَصَدَّقُوا بِهَا عَلَى فَقَرَاءِ مَحَلَّتِهِ.

وَقَدْ خَلَفَ مِنَ الْأَوْلَادِ ثَلَاثَةٌ؛ اثْنَانِ شَقِيقَانِ، وَهُمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَعْصِمُ بِاللَّهِ الَّذِي وَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ أَبُو^(٢) أَحْمَدَ عَبْدَ اللَّهِ، وَالْأَمِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْعَزِيزِ، وَأَخُثُمَا مِنْ أُمَّ أُخْرَى كَرِيمَةٍ، صَانَ اللَّهُ حِجَابَهَا. وَقَدْ رثَاهُ النَّاسُ بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ، أَوْزَدَ مِنْهَا ابْنُ السَّاعِي قِطْعَةً صَالِحَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) بعده في م: «فیشمت بی من كان ییغضنی فانا اذهب إلى غیر محلتي فأخذ الطعام».

(٢) فی الأصل: «وأبو». وهو خطأ فأبو أحمد عبد الله هو المستعصم بالله.

ولم يَشْتَوِزْ أَحَدًا ، بل أَقْرَأَ^(١) الحَسَنَ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ^(٢) الْقُمِّيَّ عَلَى نِيَابَةِ
الْوِزَارَةِ ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ نَصِيرُ^(٣) الدِّينِ أَبُو الْأَزْهَرِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ^(٤) النَّاظِدِ
الَّذِي كَانَ أَسْتَادَ دَارِ الْخِلَافَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

خِلَافَةُ الْمُسْتَعَصِمِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^(٥)

وَهُوَ آخِرُ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِبَغْدَادَ ، وَهُوَ الْخَلِيفَةُ الشَّهِيدُ الَّذِي قَتَلَهُ التَّتَارُ
[٣٣/١٠] بِأَمْرِ هُلَاوُو بْنِ تَوَلَّى مَلِكِ التَّتَارِ بْنِ جَنْكِرْخَانَ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ، فِي سَنَةِ سِتٍّ
وخمسين وسثمائة ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
الْمُسْتَعَصِمُ بِاللَّهِ الْإِمَامُ أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ أَبِي جَعْفَرٍ
الْمَنْصُورِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الظَّاهِرِ بِاللَّهِ أَبِي نَصْرِ مُحَمَّدِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ لِدِينِ
اللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَضِيَّ^(٦) بِأَمْرِ اللَّهِ^(٦) أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ
ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَجِدِّ بِاللَّهِ أَبِي الْمُظَفَّرِ يَوْسُفَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَفِيَّ لِأَمْرِ اللَّهِ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِيَّ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَبَقِيَّةُ نَسَبِهِ إِلَى الْعَبَّاسِ فِي

(١) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ : « مُحَمَّد » . وَانْظُرِ الْوَاقِفِي بِالْوَفَايَاتِ ١٤٧/١ .

(٢) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ : « بِن » . وَانْظُرِ الْمَصْدَرِ السَّابِقَ ، وَسِيرِ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٣٤٦/٢٢ .

(٣) فِي م : « نَصَر » . وَانْظُرِ سِيرِ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ١٠٨/٢٣ .

(٤) سَقَطَ مِنْ : م . وَانْظُرِ الْمَصْدَرِ السَّابِقَ .

(٥) ذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٢٥٣/١ - ٢٥٧ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣٢٢/٢٣ ، ٣٢٣ .

(٦ - ٦) فِي الْأَصْلِ ، م : « بِاللَّهِ » . وَالمُثَبَّتُ مِنَ الْمَصْدَرَيْنِ السَّابِقَيْنِ ، وَمَا تَقَدَّمَ فِي صَفْحَةِ ١٣٣ .

ترجمة جدّه الناصر^(١)، وهؤلاء الذين ذكرناهم كلّهم ولى الخلافة، يثّلو بعضهم بعضًا، ولم يتفق هذا لأحد قبل المشتعصم؛ أن فى نسيبه ثمانية ولّوا الخلافة نسقًا لم يتخلّلهم أحد، وهو التاسع، رحمه الله تعالى.

لما تُوفّي أبوه بكرة الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة أربعين وستمائة استُدعى هو من التاج يومئذ بعد الصلاة فبُيع بالخلافة، ولُقّب بالمستعصم، وله من العمر يومئذ ثلاثون سنة وشهرو، وقد أثقن فى شبيبته تلاوة القرآن حفظًا وتجويدًا، وأثقن العربية والخط الحسن وغير ذلك من الفضائل على الشيخ شمس الدين أبى المظفر علىّ بن محمد بن النيار^(٢) أحد أئمة الشافعية فى زمانه، وقد أكرمه، وأحسن إليه فى خلافته، وكان المستعصم، على ما ذكر، كثير التلاوة، حسن الأداء، طيب الصوت، يظهر عليه خشوع وإناة، وقد نظر فى شىء من التفسير وحلّ المشكلات، وكان مشهورًا بالخير، مشكورًا، مُقتدًا بأبيه المستنصر جُهدَه وطاقته، وقد مشّت الأمور فى أيامه على السداد والاستقامة، ولله الحمد والمِنَّة.

وكان القائم بهذه البيعة المشتعصمية شرف الدين أبو الفضائل إقبال المستنصرى، فبايعه أولًا بنو عمّه وأهلُه من بنى العباس، ثم أغنيان الدولة من الأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والفقهاء ومن بعدهم من أولى الحلّ والعقد والعامّة وغيرهم، وكان يومًا مشهودًا، ومجمّعًا محمودًا، ورأيًا سعيدًا، وأمرًا حميدًا، وجاءت البيعة من سائر الجهات والأقطار، والبلدان والأمنصار، وخطب

(١) انظر ما تقدم صفحة ١٣٣، ١٣٤.

(٢) فى الأصل: «النيار». وانظر سير أعلام النبلاء ١٧٤/٢٣، ٣٢٣.

له فى سائر البُلدانِ ، والأقاليمِ والرَّسائيقِ ، وعلى سائرِ المنابرِ شرقاً وغرباً ، بُعْداً وقُرباً ، كما كان أبوه وأجداده من بنى العباسِ ، رَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ .

ومما وَقَعَ مِنَ الحوادثِ فى هذه السَّنةِ أَنه كان بالعراقِ وباءٌ شديدٌ فى آخِرِ أيامِ المُسْتَنْصِرِ ، وغلا السُّكْرُ والأدويةُ ، فَتَصَدَّقَ الخليفةُ المُسْتَنْصِرُ باللهِ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى ، بسكْرِ كثيرٍ على المَرْضَى ، تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ .

وفى يومِ الجمعةِ رابعَ عَشَرَ شعبانَ أَذِنَ الخليفةُ المُسْتَعصِمُ باللهِ لأبى الفرجِ عبدِ الرحمنِ بنِ مُحمَّدِ الدينِ يوسفَ بنِ الشيخِ أبى الفرجِ بنِ الجوزى - وكان شابًّا ظريفاً فاضلاً - فى الوَعْظِ ببابِ البدريةِ ، فَتَكَلَّمَ وأجاد وأفاد ، وامتدَّح الخليفةَ المُسْتَعصِمَ بقصيدةٍ مُفيدةٍ ^(١) طويلةٍ جليَّةٍ ^(٢) فَصِيحَةٍ مَليحَةٍ ^(٣) ، سردها ابنُ الساعى بِكَمالِها ، وَمَنْ يُشَاهِدُ أَباهُ فما ظَلَمَ ، والشُّبْلُ فى الخَبَرِ ^(٤) مِثْلُ الأسدِ .

وفىها كانت وقعةٌ عظيمةٌ بَيْنَ الحَلَبِيِّينَ ^(٥) وَبَيْنَ الخَوَارِزْمِيِّينَ ^(٦) ، ومع الخَوَارِزْمِيِّ شهابُ الدينِ غازى صاحبُ مِثَافَرِيقَيْنِ ، فَكَسَرَهُمُ الحَلَبِيُّونَ كُشْرَةً عظيمةً مُنكَرَةً ، وَغَنِمُوا [٣٣/١٠ ظ] مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئاً كثيراً جداً ، وَنَهَبَتْ نَصِيبَهُنَّ مَرَّةً أُخْرَى ، وهذه سابعَ عَشَرَ مَرَّةً نُهَبَتْ فى هذه السَّنِينَ ، فَإِنا لِلَّهِ وإِنا إِلَيْهِ راجعون . وعاد غازى إلى مِثَافَرِيقَيْنِ ، وَتَفَرَّقَتْ الخَوَارِزْمِيُّونَ يَعِيشُونَ فى الأَرْضِ فَساداً ضُحْبَةً مُقَدِّمِهِمُ بَرَكَاتِ خان ، لا بَارَكَ اللهُ فِيهِ ، وَقَدِمَ على شهابِ الدينِ غازى مَنشُورٌ بمدينةِ خِلاطَ فَتَسَلَّمَهَا وما فيها مِنَ الحَوَاصِلِ .

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « الخير » .

(٣ - ٤) سقط من : الأصل .

وفيها عَزَمَ الصالحُ أيوبُ صاحبُ مصرَ على دخولِ الشامِ، فقليلُ له : إن
العساكرَ مُخْتَلِفَةً ، فجهَّزَ عَشْكَرًا إليها ، وأقام هو بمصرَ يُدَبِّرُ مَمْلَكَتَهَا .

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

المُسْتَصِرُ بِاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا تَقَدَّمَ .

والْحُزْمَةُ الْمَصُونَةُ الْجَلِيلَةُ بَرَكَاتُ^(١) خاتون بنتُ عِزِّ الدِّينِ مسعودِ بْنِ مَوْدُودِ
ابنِ زَنْكِي بْنِ آقْسُنْقَرِ الْأَتَابِكِيَّةِ ، واقفةُ المدرسةِ الْأَتَابِكِيَّةِ بِالصَّالِحِيَّةِ ، وكانت
زوجةَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وفي ليلةِ وفاتها كانت وَقَفَتْ
مدرستها وترتّبها بالجليل . قاله أبو شامة^(٢) ، ودُفِنَتْ بها ، رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَتَقَبَّلْ
منها .

(١) سقط من : م . وانظر ترجمتها في : الذيل على الروضتين ص ١٧٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث
ووفيات ٦٣١ - ٦٤٠) ص ٤٣٢ ، والوافي بالوفيات ١٠ / ٣٨٠ ، وفيهما : « تُزْكَان » . ولعله الصواب .
انظر العبر ٥ / ١٦٤ ، والدارس ١ / ١٢٩ ، وأعلام النساء ١ / ١٧١ .
(٢) الذيل على الروضتين ص ١٧٢ .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستمائة

فيها^(١) ترددت الرسل بين الصالح أيوب صاحب مصر وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق، على أن يرُدَّ إليه ولده المغيَّب عمر بن الصالح أيوب المُغتَقَل في قلعة دمشق، وتشتقِر دمشق في يد الصالح إسماعيل، فوقع الصلح على ذلك، وخطب للصالح أيوب بدمشق، فخاف الوزير أمين الدولة أبو الحسن غزَّال المسلماني، وزير الصالح إسماعيل من غائلة هذا الأمر، فقال لمخدومه: لا ترد هذا الغلام إلى أبيه تخرج البلاد من يدك، هذا خاتم سليمان في يدك للبلاد. فعند ذلك أبطل ما كان وقع من الصلح، وردَّ الغلام إلى القلعة، وقُطِعَت الخطبة للصالح أيوب، ووقعَت الوحشة بين الملكين، وأرسل الصالح أيوب إلى الخوارزمية يستخضِرهم لحصار دمشق، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكانت الخوارزمية قد فتحوا في هذه السنة بلاد الروم، وأخذوها من أيدي ملكها ابن علاء الدين، وكان قليل العقل يلعب بالكلاب والسباع، ويسلِّطها على الناس، فاتَّفَق أنه عضَّه سبَّع فمات، فتغلَّبوا على البلاد حينئذ.

وفيها احتيط على أعوان القاضى الرفيع الجليلي، وضرب بعضهم بالمقارع، وضوِّدوا، ورسم على القاضى الرفيع بالمدرسة المُقدِّمية داخل باب الفردائيس، ثم أخرج ليلاً وذهب به، فشجن بمغارة أفقه من نواحى البقاع، ثم انقطع خبره.

(١) مرآة الزمان ٧٤١/٨ - ٧٤٤ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٧٣، ١٧٤، والمختصر فى أخبار البشر ٣/ ١٧١، ١٧٢، ونهاية الأرب ٣٠٢/٢٩ - ٣٠٤.

وقال أبو شامة^(١): وذكروا أنه تُوفِّي لا^(٢) رحمه الله تعالى ، ومنهم من قال : إنه أُلقي من شاهق . ومنهم من قال : خُنق . وذلك كله بذي الحِجَّة من هذه السنة .

وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين منه قُرئ مَنشور ولاية القضاء بدمشق لمحبي الدين يحيى^(٣) بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى القرشي ، بالشُّبَّاك الكُمالي بالجامع . كذا قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة^(٤) .

وزعم السُّبُط^(٥) أن عزله إنما كان فى السنة الآتية ، وذكر أن سبب هلاكه أنه كتب إلى الملك الصالح يقول له : إنه أُوْرد إلى خزانته من الأموال ألف ألف دينار من أموال الناس . فأنكر الصالح ذلك ، وردَّ عليه الجواب أنه لم يرِد سوى ألف ألف درهم ، فأرسل القاضى يقول : فأنا أحاقق الوزير . [١٠ / ٣٤ د] وكان الصالح لا يُخالِف الوزير ، فأشار حينئذ على الصالح بعزله لتبَرُّأ ساحة السلطان من شناعات الناس ، فعزله وكان من أمره ما كان . وفُوِّض أمر مداريسه إلى الشيخ تقي الدين بن الصَّلاح ، فعين العادلية للكمال التُّفليسي ، والعُدراوية لمحبي الدين ابن الزُّكي الذى ولى القضاء بعده ، والأمينية لابن عبد الكافي ، والشامية البرّانية للثَّقفي الحموي ، وتعيَّب القاضى الرُّفيع ، وأسقط عدالة شهوده .

قال السُّبُط^(٦) : أُرسله الأُميُّ مع جماعة على بغلٍ بكافٍ لبعض النصارى

(١) الذيل على الروضتين ص ١٧٤ .

(٢) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من الذيل على الروضتين .

(٣) زيادة من : الأصل . وفى الذيل على الروضتين : « محبى الدين محمد بن على » . وهو خطأ ؛ فمحبى الدين محمد بن على هو والد محبى الدين يحيى بن محمد ، وقاضى القضاة فى أيام السلطان الملك الناصر صلاح الدين . انظر الذيل على الروضتين ص ٣١ ، وسير أعلام النبلاء ٣٥٨ / ٢١ - ٣٦٠ .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٧٤ .

(٥) مرآة الزمان ٧٤٤ / ٨ ، ٧٤٥ (القسم الثانى) .

(٦) مرآة الزمان ٧٥٠ / ٨ (القسم الثانى) .

إلى مَغَارَةِ أَفْقِهِ فِي جَبَلٍ لُبْنَانٍ مِنْ نَاحِيَةِ السَّاحِلِ ، فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ عَدْلَيْنِ مِنْ بَغْلَبَكْ لِيَشْهَدَا عَلَيْهِ بِبَيْعِ أَمْلَاكِهِ مِنْ أَمِينِ الدَّوْلَةِ ، فَذَكَرَا أَنَّهِنَّ شَاهَدَاهُ ، وَعَلَيْهِ تَخْفِيفٌ^(١) وَقَنْدُورَةٌ^(٢) ، وَأَنَّهُ اسْتَطْعَمَهُمَا شَيْئًا مِنَ الزَّادِ ، وَذَكَرَ أَنَّ لَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا ، وَأَطْعَمَاهُ مِنْ زَوَادَتَيْهِمَا ، وَشَهِدَا عَلَيْهِ وَانْصَرَفَا ، ثُمَّ جَاءَ دَاوُدُ النَّصْرَانِي فَقَالَ : قُمْ ، فَقَدْ أَمَرْنَا بِحَمْلِكَ إِلَى بَغْلَبَكْ . فَأَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ حِينَئِذٍ ، فَقَالَ : دَعُونِي أُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ . فَقَالَ : قُمْ . فَقَامَ فَصَلَّى ، فَأَطَالَ الصَّلَاةَ ، فَرَفَسَهُ النَّصْرَانِي ، فَأَلْقَاهُ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ إِلَى أَسْفَلِ الْوَادِي الَّذِي هُنَاكَ ، فَمَا وَصَلَ حَتَّى تَقْطَعَ ، وَحَكِي أَنَّهُ تَعَلَّقَ ذَيْلُهُ بِسِنِّ الْجَبَلِ ، فَمَا زَالَ دَاوُدُ يَزِمِيهِ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَلْقَاهُ إِلَى أَسْفَلِ الْوَادِي ، وَذَلِكَ عِنْدَ الشَّقِيفِ^(٣) الْمُطَّلَّ عَلَى نَهْرِ إِبْرَاهِيمَ .

قَالَ السَّبْطُ^(٤) : وَقَدْ كَانَ فَاسِدَ الْعَقِيدَةِ ، ذَهْرِيًّا مُسْتَهْزِئًا بِأُمُورِ الشَّرْعِ ، يَخْرُجُ إِلَى الْمَجْلِسِ سَكْرَانًا ، وَيَخْضُرُّ إِلَى الْجُمُعَةِ كَذَلِكَ ، وَكَانَتْ دَارُهُ كَالْخَانَاتِ . فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . قَالَ^(٥) : وَأَخَذَ الْمُؤَفَّقُ الْوَاسِطِيُّ أَحَدَ أَمَنَائِهِ - وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْبَلَايَا - أَخَذَ لِنَفْسِهِ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ سِتْمَائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَعُوقِبَ عُقُوبَةً عَظِيمَةً حَتَّى أُخِذَتْ مِنْهُ ، وَقَدْ كُسِرَتْ سَاقَاهُ ، وَمَاتَ تَحْتَ الضَّرْبِ ، فَالْقِيَ فِي مَقَابِرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَأَكَلَتْهُ الْكِلَابُ .

وَمَنْ تُؤَفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الْشَيْخُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْقُتُوحِ^(٦) عَمْرُ بْنُ^(٧) أَسْعَدَ بْنِ الْمُتَجَبِّ التَّوْحِي

(١) التخفيف: العمامة . انظر الملابس المملوكية ص ٣١ ، ٣٢ ، ٤٥ ، ٥٤ .

(٢) القندورة : من ملابس النساء . تاج العروس (قندر) .

(٣) في الأصل ، م : « سقيف » . والمثبت من مرآة الزمان . وانظر معجم البلدان ٣/ ٣٠٩ .

(٤) مرآة الزمان ٧٥٠/٨ (القسم الثاني) .

(٥) المصدر السابق ٧٥٠/٨ ، ٧٥١ .

(٦ - ٦) سقط من : م . وانظر ترجمته في : الذيل على الروضتين ص ١٧٣ ، وسير أعلام النبلاء =

المَعَرِّي الحَنْبَلِيّ، قاضِي حَرَآن قَدِيمًا، ثُمَّ قَدِيم دَمَشَقَ، وَدَرَّسَ بِالمِشْمارِيَّةِ، وَتَوَلَّى خِدْمًا فِي الدَّوْلَةِ الْمُعْظَمِيَّةِ، وَكَانَتْ لَهُ رِوَايَةٌ عَنْ ابْنِ صَابِرٍ وَالْقَاضِيَيْنِ؛ الشَّهْرُزُورِيِّ وَابْنِ أَبِي عَصْرُونَ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَابِعِ عَشَرَ^(١) ربيعِ الأوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى،^(٢) وَتَوَفَّى أَخُوهُ العِزُّ بَعْدَهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَدُفِنَ بِمَدْرَسَتِهِ الَّتِي بِالجَبَلِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٣).

الشَّيْخُ الحَافِظُ الصَّالِحُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَزْهَرِ الصَّرِيفِينِيِّ^(٤)، كَانَ يَذَرِي الْحَدِيثَ، وَلَهُ بِهِ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ، أَتَتْهُ عَلَيْهِ أَبُو شَامَةَ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ دَمَشَقَ، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَاقِفُ الكَرْوَسِيَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَقِيلٍ بْنِ كَرْوَسَ، جَمَالُ الدِّينِ مُخْتَسِبُ دَمَشَقَ^(٥)، كَانَ كَيْسًا مُتَوَاضِعًا، تُؤَفَّى بِدَمَشَقَ فِي شَوَّالٍ، وَدُفِنَ بِدَارِهِ الَّتِي جَعَلَهَا مَدْرَسَةً، وَلَهُ دَارُ حَدِيثٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَفَا عَنْهُ.

الْمَلِكُ الْجَوَادُ يُونُسُ بْنُ مَمْدُودٍ بْنِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ، الْمَلِكُ الْجَوَادُ^(٥)، وَكَانَ أَبُوهُ أَكْبَرُ أَوْلَادِ الْعَادِلِ، تَقَلَّبَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ، وَمَلَكَ دَمَشَقَ بَعْدَ عَمِّهِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَادِلِ، وَكَانَ فِي نَفْسِهِ جَيِّدًا مُجَبِّيًا لِلصَّالِحِينَ، وَلَكِنْ

= ٨٠/٢٣، والعبر ١٧٠/٥، وذيل طبقات الحنابلة ٢/٢٢٥.

(١) سقط من: الأصل، م. والمثبت من الذيل على الروضتين، والذيل على طبقات الحنابلة. (٢ - ٢) سقط من: م. وهو عثمان بن أسعد عز الدين أبو عمر. انظر ترجمته في: الذيل على الروضتين ص ١٧٣، وسير أعلام النبلاء ٨٩/٢٣، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٢٦، والدارس ٢/١١٧. (٣) الذيل على الروضتين ص ١٧٣، وسير أعلام النبلاء ٨٩/٢٣، والوفاء بالوفيات ٦/١٤١، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٢٧.

(٤) مرآة الزمان ٧٤٣/٨ (القسم الثاني)، والوفاء بالوفيات ٩٨/٤.

(٥) مرآة الزمان ٧٤٣/٨ (القسم الثاني)، وسير أعلام النبلاء ١٨٤/٢٣، والعبر ١٧١/٥، وفوات الوفيات ٤/٣٩٦، ومرآة الجنان ٤/١٠٤.

كان في بابه من يظلم الناس، وينسب ذلك إليه، فأبغضته العامة، وسبوه، وألجئوه إلى أن قايض بدمشق الملك الصالح أيوب بن الكامل إلى سنجار وحصن كيفا^(١)، ثم لم يحفظهما بل خرجتا عن يده، ثم [٣٤/١٠ ظ] آل به الحال إلى أن سجنه الصالح إسماعيل بحصن عزتا، حتى كانت وفاته في هذه السنة، رحمه الله تعالى، فنقل في سؤال إلى تربة المعظم بسفح قاسيون، وكان عنده ابن يعمور مغتقلا، فحوّله الصالح إسماعيل إلى قلعة دمشق، فلما ملكها الصالح أيوب نقله إلى الديار المصرية، وشفقه مع الأمين غزال وزير الصالح إسماعيل، على قلعة القاهرة، جزاء على صنعهما في حق الصالح أيوب، رحمه الله تعالى؛ أما ابن يعمور فإنه عمل عليه حتى حوّل عنه ملك دمشق إلى الصالح إسماعيل، وأما أمين الدولة فإنه منع الصالح من تسليم ولده عمر إليه، فانتقم منهما بهذا، وهو مغذور في ذلك.

مسعود بن أحمد بن مسعود بن مازة البخاري^(٢)، أحد الفقهاء الحنفية الفضلاء، وله علم بالتفسير وعلم الحديث، ولديه فضل غزير، قديم بغداد ضجة رسول التار للحج، فحبس^(٣) عنده سنتين^(٤)، ثم أفرج عنه، فحج^(٤) ثم عاد، فمات ببغداد في هذه السنة، رحمه الله تعالى.

أبو الحسن علي بن يحيى بن^(٥) الحسن بن الحسين بن علي بن محمد البطرقي بن نصر بن حمدون بن ثابت الأسدي الحلبي، ثم الواسطي، ثم

(١) في المصادر: «عانة».

(٢) في م: «المحاري» . ورد ذكره في الجواهر المضية ٣/ ٢٨٥.

(٣ - ٣) في م: «مدة سنين» .

(٤) سقط من: الأصل.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل . لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

البغدادى، الكاتب الشاعر الشيعى، فقيه الشيعة، أقام بدمشق مدة، وامتدح
كثيراً من الأمراء والملوك، منهم الكامل صاحب مصر وغيره، ثم عاد إلى بغداد،
فكان يشغل الشيعة فى مذهبهم، وكان فاضلاً ذكياً، جيد النظم والنثر، ولكنه
مخدول محبوب عن الحق. وقد أورد ابن الساعى قطعة جيدة من أشعاره^(١) فى
الكامل وغيره.

(١ - ١) فى م: «الدالة على غزارة مادته فى العلم والذكاء رحمه الله وعفا عنه».

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وستمائة

فيها^(١) استنوّز الخليفة المستعصم بالله مؤيّد الدين أبا طالب محمد بن أحمد ابن علي بن محمد بن^(٢) العلقميّ؛ المشعوم على نفسه وعلى أهل بغداد، والذي لم يعصم المستعصم في وزارته؛ فإنه لم يكن وزير صدق ولا مروضي الطريقة، فإنه الذي أعان على المسلمين في قضية هولأوو^(٣) وجنوده، قبحه الله وإياهم، وقد كان ابن العلقميّ قبل هذه الوزارة أستاذ دار الخلافة، فلما مات نصر الدين محمد بن الناقد استنوّز ابن العلقميّ، وجعل مكانه في الأستاذ دارية الشيخ محيي الدين يوسف بن أبي الفرج بن الجوزي، وكان من خيار الناس، رحمه الله تعالى، وهو واقف الجوزية التي بالنشأين بدمشق، تقبل الله منه.

وفيها جعل الشيخ شمس الدين علي بن محمد بن الحسين بن النيار مؤدّب الخليفة شيخ الشيوخ ببغداد، وخلع عليه، ووكل الخليفة عبد الوهاب بن المطهر وكالة مطلقاً، وخلع عليه.

وفيها كانت وقعة عظيمة بين الخوارزمية الذين كان الصالح أيوب صاحب مصر قد استنجد بهم على الصالح إسماعيل أبي الحسين صاحب

(١) مرآة الزمان ٧٤٤/٨ - ٧٥٢ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٧٤، ونهاية الأرب ٣٠٩ - ٣٠٥/٢٩.

(٢) سقط من: م.

(٣) في م: «هولأكو».

دمشق، فنزلوا على غَزَّة، وأرسل إليهم الصالح أيوب الأموال والخيل والأقمشة والعساكر، فاتفق الصالح إسماعيل والناصر داود صاحب الكرك، والمنصور صاحب حمص مع الفرنج، واقتتلوا مع الخوارزمية قتالاً شديداً، فهزمتهم الخوارزمية كسرة منكراً فظيعة، هزمت الفرنج بصلبانها وراياتها العالية على رؤوس أطلاب المسلمين، وكانت كئوس الخمر دائرة بين الجيوش، فنابت كئوس المنون عن تلك الخمر، فقتل من الفرنج في يوم واحد زيادة عن ثلاثين ألفاً، وأسروا [٣٥/١٠] جماعة من ملوكهم وقُسوسهم وأساقفتهم، وخلقا من أمراء المسلمين، وبعثوا بالأسارى إلى الصالح أيوب بمصر، وكان يومئذ يوماً مشهوداً وأمرًا محموداً، وقد قال بعض أمراء المسلمين: قد علمت أننا لما وقفنا تحت صلبان الفرنج أنا لا نُفْلِح. وغنمت الخوارزمية من الفرنج ومن كان معهم شيئاً كثيراً، وأرسل الصالح أيوب إلى دمشق ليحاصرها، فحاصنها الصالح إسماعيل، وحرب من حولها رباعاً كثيرة، وكسر جسر باب ثوما، فكسر النهر، فراجع الماء حتى صار بُخيرة من باب ثوما وباب السلامة، فغرق جميع ما كان بينهما من العمران، واقتَر كثير من الناس، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن توفى فيها من الأغنياء:

الملك المغيـث عمر بن الصالح أيوب^(١)، كان الصالح إسماعيل قد أسره، وسجنه في بُرج قلعة دمشق، حين أخذها في غيبة الصالح أيوب، فاجتهد أبوه بكل ممكن في خلاصه فلم يَقْدِرْ، وعارضه فيه أمين الدولة غزال المسلماني، واقف المدرسة الأمينية ببغلبك، فلم يزل الشاب محبوساً بالقلعة

(١) المختصر في أخبار البشر ٣/١٧٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/١٧٥، والسلوك ١/٣١٨، والنجوم الزاهرة ٦/٣٥١.

من سنة ثمانٍ وثلاثين إلى ليلة الجمعة ثانی عشر ربيع الآخر من هذه السنة، فأصبح ميّتا في محبسه غمّا وحزناً، ويقال: إنه قُتل. فالله أعلم. وكان من خيار أبناء الملوك، وأحسنهم شكلاً، وأكملهم عقلاً. ودُفن عند جده الكامل في تربته شمالي الجامع، فاشتدّ حنق أبيه الصالح أيوب على صاحب دمشق.

شيخُ الشيوخ بدمشق، تاج الدين أبو محمد^(١) عبد الله بن عمر بن عليّ ابن^(٢) محمد بن حمويه، أحد الفضلاء المؤرّخين المصنّفين، له كتاب في ثمانى مجلدات، ذكر فيه أصول الأشياء، وله «السياسة الملوكية» صنفها للكامل محمد، وغير ذلك، وسمع الحديث وحفظ القرآن، وكان قد بلغ الثمانين، وقيل: إنه لم يتلقها، وقد سافر إلى بلاد المغرب في سنة ثلاث وتسعين، واتّصل^(٣) بمراكش عند ملكها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، فأقام هناك إلى سنة ستمائة، فقدم إلى بلاد مصر، وولى مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين بن حمويه، رحمه الله تعالى.

الوزير نصير^(٤) الدين أبو الأزهر، أحمد بن محمد بن عليّ بن أحمد بن^(٥)

(١) سقط من: م. وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٧٤٨/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٧٤، وتكملة إكمال الإكمال ص ٨٢، وسير أعلام النبلاء ٩٦/٢٣، ومرآة الجنان ١٠٥/٤، والنجوم الزاهرة ٣٥٠/٦.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر الترجمة.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) في م: «نصر». وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٧٤٧/٨ (القسم الثاني)، وسير أعلام النبلاء ٢٣/١٠٨، والوفاء بالوفيات ٦٤/٨، والنجوم الزاهرة ٣٥٠/٦. وفي مرآة الزمان والنجوم الزاهرة: «شهاب الدين».

(٥) سقط من: م.

الناقد البغدادي، وزير المستنصر، ثم ابنه المستعصم، كان من أبناء التجار، ثم توصل إلى أن وزر لهذين الخليفتين، وكان فاضلاً بارعاً حافظاً للقرآن، كثير التلاوة، نشأ في حُشمة باذخة، ثم كان في وجاهة هائلة، وقد أُقيد في آخر أمره، وهو في ذلك في غاية الاحترام والإكرام، وله أشعار حسنة كثيرة، أورد منها ابن الساعي قطعةً صالحةً، تُؤفى في هذه السنة وقد جاوز الخمسين.

نقيب النقباء وخطيب الخطباء ووكيل الخلفاء، أبو طالب الحسين بن أحمد ابن علي بن أحمد^(١) بن هبة الله بن محمد بن علي بن الخليفة المهتدي بالله العباسي، كان من سادات العباسيين وأئمة المسلمين، وخطباء المؤمنين، واستمرت أحواله على الشداد والصلاح، ولم ينقطع قط عن الخطابة، ولم يمرض قط حتى كانت ليلة السبت الثاني^(٢) والعشرين^(٣) من رجب^(٤) من هذه السنة؛ قام في أثناء الليل لبعض حاجاته، فسقط على أم رأسه، فسقط من فيه دم كثير، وسكت فلم ينطق كلمة واحدة يومه ذلك إلى الليل، فمات رحمه الله تعالى، وكانت له جنازة حافلة.

(١) بعده في الأصل: «بن علي»، وبعده في م: «بن معين». والمثبت كما في الوافي بالوفيات ١٢/ ٣٣٨.

(٢) في م: «الثامن».

(٣ - ٣) سقط من: م.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتَّمِائَةً^(١)

وهي سَنَةُ الْخَوَارِزْمِيَّةِ ؛ وذلك أَنَّ الصَّالِحَ أَيُوبَ بْنَ الْكَامِلِ صَاحِبَ مِصْرَ بَعَثَ الْخَوَارِزْمِيَّةَ ، وَمَعَهُمْ مَلِكُهُمْ [٣٥٠/١٠ ظ] بَرَكَاتُ خَانَ^(٢) فِي صُخْبَةٍ مُعَيَّنٍ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ ، فَأَحَاطُوا بِدِمَشْقَ يُحَاصِرُونَ عَمَّهُ الصَّالِحَ إِسْمَاعِيلَ أَبَا الْحَيْشِ صَاحِبَ دِمَشْقَ ، وَأُخْرِقَ قَصْرُ حَجَّاجٍ ، وَحُكِرَ الشُّمَاقُ ، وَجَامِعُ جَزَّاحٍ خَارِجَ بَابِ الصَّغِيرِ ، وَمَسَاجِدُ كَثِيرَةٌ ، وَنُصِبَ الْمُتَجَنِّقُ عِنْدَ بَابِ الصَّغِيرِ وَعِنْدَ بَابِ الْجَابِيَةِ ، وَنُصِبَتْ دَاخِلَ الْبَلَدِ مُتَجَنِّقَاتٌ^(٣) أَيْضًا ، وَتَرَامَى الْفَرِيقَانِ ، وَأُرْسِلَ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ إِلَى الْأَمِيرِ مُعَيَّنِ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ بِسَجَّادَةِ وَغُكَّازٍ وَإِيرَاقٍ ، وَأُرْسِلَ يَقُولُ : اسْتَغَالِكَ بِهَذَا أَوْلَى مِنْ اسْتَغَالِكَ بِمُحَاصَرَةِ الْمُلُوكِ . فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ الْمُعَيَّنُ بِزَمْرِ وَجَنَاحٍ وَغُلَالَةٍ حَرِيرٍ أَحْمَرَ وَأَصْفَرَ ، وَأُرْسِلَ يَقُولُ لَهُ : أَمَا السَّجَّادَةُ فَإِنَّهَا تَصْلُحُ لِي ، وَأَمَا أَنْتَ فَهَذَا أَوْلَى بِكَ . ثُمَّ أَصْبَحَ ابْنُ الشَّيْخِ ، فَاسْتَدَّ الْحِصَارُ بِدِمَشْقَ ، وَأُرْسِلَ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ ، فَأُخْرِقَ جُوسَقَ وَالِدِهِ الْعَادِلِ ، وَامْتَدَّ^(٤) الْحَرِيقُ فِي زُقَاقِ الرُّمَّانِ إِلَى الْعُقَيْيَةِ فَاحْتَرَقَتْ بِأَسْرِهَا ، وَقُطِعَتْ الْأَنْهَارُ ، وَغَلَّتِ الْأَسْعَارُ ، وَأُخِيفَتِ الطَّرُقُ ، وَجَرَى بِدِمَشْقَ أُمُورٌ شَنِيعَةٌ بِشِيعَةٍ جَدًّا ، لَمْ تَتِمَّ عَلَيْهَا

(١) مرآة الزمان ٧٥٢/٨ - ٧٥٥ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٥ - ١٧٨ ، ونهاية الأرب ٣١٠/٢٩ - ٣١٨ ، والعبر ١٧٣/٥ ، ١٧٤ .

(٢) في مرآة الزمان ونهاية الأرب : « بركة خان » . ولم يُذكر في المصدرين الآخرين .

(٣) في الأصل ، م : « منجنيقان » . والمثبت من الدارس ٢٨٢/٢ نقلا عن المصنف .

(٤) في الأصل : « اشتد » .

قط، وامتدَّ الحصارُ شهرًا من هذه السنة إلى جمادى الأولى، فأرسل أمينُ الدولة يطلبُ من ابنِ الشيخ شيئًا من ملابسه، فأرسل إليه بفرجِيَّة وعِمامة وقميص ومنديل، فليس ذلك الأمين، وخرج إلى معين الدين، فاجتمع به بعد العشاء طويلاً، ثم عاد، ثم خرج مرة أخرى، فاتفق الحال على أن يخرج الصالح إسماعيلُ إلى بعلبك، ويسلمَ دمشقَ إلى الصالح أيوب^(١)، ودخل معين الدين بنُ الشيخ، فنزل في دارِ أسامة، فولَّى وعزل، وقطع ووصل، وفوض قضاء القضاة إلى صدر الدين بن سني الدولة، وعزل القاضي محيي الدين بن الزكي، واستتاب ابن سني الدولة الثَّقَلَيْسِي الذي ناب لابن الزكي، والعزير^(٢) السنجاري، وأرسل معين الدين بن الشيخ أمينَ الدولة غزال بن المسلماني وزير الصالح إسماعيلَ تحت الحوطة إلى الديار المصرية.

وأما الخوارزميةُ فإنهم لم يكونوا حاضرين وقت الصلح، فلما علموا بوقوع الصلح غضبوا وساروا نحو داريّا، فنهبوا وساروا نحو بلاد الشرق، وكاتبوا الصالح إسماعيلَ فحالفوه على الصالح أيوب، ففرح بذلك، ونقض الصلح الذي كان وقع منه، وعادت الخوارزميةُ فحاصروا دمشق، وجاء إليهم الصالح إسماعيلُ من بعلبك، فضاق الحال على الدماشيّة، فغديمت الأقوات^(٣)، وغلت الأسعارُ جدًّا، حتى إنه بلغ ثمنُ الغرارة^(٤) ألفًا وستمائة، وقنطار الدقيق بسبعِمائة^(٥)، والخبزُ كلُّ وقيّتين إلا ربعًا بدرهم، ورطل اللحم بسبعة، وأُبيعت

(١) بعده في م: «فاستبشر الناس بذلك، وأصبح الصالح إسماعيل خارجًا إلى بعلبك».

(٢) في الأصل: «الغرز»، وفي م: «الفرز». والمثبت من مرآة الزمان.

(٣) في م: «الأموال».

(٤) الغرارة: وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه. الوسيط (غ ر ر).

(٥) في م: «تسعمائة»، وفي مرآة الزمان: «ستمائة».

الأملاك بالدقيق ، وأَكَلَتِ القِطَاطُ وَالْكِلَابُ وَالْمَيْتَاتُ وَالْجَيْفُ ، وَتَمَاوَتِ النَّاسُ فِي الطَّرَقَاتِ ، وَعَجَزُوا عَنِ الْغَسْلِ وَالتَّكْفِينِ ^(١) وَالْإِقْبَارِ ، فَكَانُوا يُلْقَوْنَ مَوْتَاهُمْ فِي الْآبَارِ ، حَتَّى أَتَتْتِ الْمَدِينَةُ وَضَجَرَ النَّاسُ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

وفى هذه الأيامِ تُؤَفَّى الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بِنُ الصَّلَاحِ ^(٢) ، شَيْخُ دَارِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَدَارِسِ ، فَمَا أُخْرِجَ مِنْ بَابِ الْفَرَجِ فَذُفِنَ بِالصُّوفِيَّةِ إِلَّا بِالْجَهْدِ الْجَهِيدِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

قال السَّبْطُ ^(٣) : ومع هذا كانت الحُمُورُ دائِرَةً وَالفِسْقُ ظَاهِرًا ، وَالْمَكُوسُ بِحَالِهَا .

وذكر الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ ^(٤) أَنَّ الْأَسْعَارَ غَلَّتْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جَدًّا ، وَهَلَكَ الصَّعَالِيكُ بِالطَّرَقَاتِ ؛ كَانُوا [٣٦٧/١٠] يَسْأَلُونَ لُقْمَةً ، ثُمَّ صَارُوا يَسْأَلُونَ لُبَابَةً ، ثُمَّ تَنَازَلُوا إِلَى فَلَسٍ يَشْتَرُونَ بِهِ نُخَالَةً ^(٥) يَتْلُونَهَا وَيَأْكُلُونَهَا كَالدَّجَاجِ . قال : وَأَنَا شَاهِدْتُ ذَلِكَ . وَذَكَرَ تَفَاصِيلَ الْأَسْعَارِ وَغَلَاءِهَا فِي الْأَطْعِمَةِ وَغَيْرِهَا ، ثُمَّ زَالَ هَذَا كُلُّهُ فِي آخِرِ السَّنَةِ بَعْدَ عِيدِ الْأَضْحَى ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ .

ولما بَلَغَ الصَّالِحُ أَيُّوبُ أَنَّ الْخَوَازِمِيَّةَ قَدْ مَالَتْهُوا عَلَيْهِ ، وَصَالَحُوا عَمَّهُ الصَّالِحَ إِسْمَاعِيلَ ، كَاتِبَ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرُكُوهُ صَاحِبَ حِمَصَ ، فَاسْتَمَالَهُ إِلَيْهِ ، وَقَوَى جَانِبَ نَائِبِ دِمَشْقَ مُعِينِ الدِّينِ حَسَنِ ^(٦) بْنِ الشَّيْخِ ، وَلَكِنَّهُ

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ : « وَلَا مَقَابِرَ » .

(٢) سَتَأْتِي تَرْجَمَتُهُ فِي صَفْحَةِ ٢٨١ .

(٣) مَرَأَةُ الزَّمَانِ ٧٥٤/٢ (الْقِسْمُ الثَّانِي) .

(٤) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ١٧٨ .

(٥) النُّخَالَةُ : مَا بَقِيَ مِنَ الشَّيْءِ بَعْدَ نَخْلِهِ . الْوَسِيطُ (ن خ ل) .

(٦) فِي الْأَصْلِ ، م : « حَسِين » . وَالثَّبْتُ مِنْ مَرَأَةِ الزَّمَانِ وَالْعَبْر . وَهُوَ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ بْنِ

حُمُوه . وَسَيَأْتِي اسْمُهُ عَلَى الصُّوَابِ فِي تَرْجَمَتِهِ فِي صَفْحَةِ ٢٨٦ .

تُؤْفَى فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي الْوَفَيَاتِ .

ولما رجع المنصور صاحب حمص عن موالاة الصالح إسماعيل ، شرع في جمع الجيوش من الحلبيين والتزكمان والأعراب لاستيقاد دمشق من الخوارزمية ، وحصارهم إياها ، فبلغ ذلك الخوارزمية فخافوا من ذلك وغائليته ، وقالوا : دمشق ما تفوت ، والمصلحة قتاله عند بلده . فساروا إليه عند بُحيرة حمص ، وأرسل الناصر داود جيشه إلى الصالح إسماعيل مع الخوارزمية ، وساق جيش دمشق فانضافوا إلى صاحب حمص ، والتفقوا مع الخوارزمية عند بُحيرة حمص ، وكان يوماً مشهوداً ، قُتِلَ فِيهِ عَامَّةُ الْخَوَارِزْمِيَّةِ ، وَقُتِلَ مَلِكُهُمْ بَرَكَاتُ خَانَ ، وَجِئَ بِرَأْسِهِ عَلَى رُفْحٍ ، فَتَفَرَّقَ شَمْلُهُمْ ، وَتَمَزَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ ، وساق المنصور صاحب حمص إلى بَغْلَبَك ، فَتَسَلَّمَهَا الصَّالِحُ أَيُّوبُ ، وَجَاءَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَنَزَلَ بِبُيُوتَانِ سَامَةِ^(١) خَدَمَةَ لِلصَّالِحِ أَيُّوبَ ، ثُمَّ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِأَخِذِهَا ، فَاتَّفَقَ مَرَضُهُ ، فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ ، وَنُقِلَ إِلَى حَمَصَ ، فَكَانَتْ مَدَّةُ مَلِكِهِ لَهَا بَعْدَ أَبِيهِ عَشْرَ^(٢) سَنِينَ ، وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ فِيهَا ابْنُهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مَدَّةَ سَنَتَيْنِ ، ثُمَّ أُخِذَتْ مِنْهُ عَلَى مَا سَيَأْتِي ، وَتَسَلَّمَ نَوَاطِبُ الصَّالِحِ أَيُّوبَ بَغْلَبَكَ وَبُصْرَى ، وَلَمْ يَبْقَ بِيَدِ الصَّالِحِ إسماعيلَ بَلَدٌ يَأْوِي إِلَيْهِ وَلَا أَهْلٌ وَلَا وَلَدٌ وَلَا مَالٌ ، بَلْ أُخِذَ جَمِيعُ مَالِهِ ، وَنُقِلَتْ عِيَالُهُ تَحْتَ الْحَوَاطَةِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَسَارَ هُوَ فَاسْتَجَارَ بِالْمَلِكِ النَّاصِرِ بْنِ الْعَزِيزِ بْنِ الظَّاهِرِ غَازِي صَاحِبِ حَلَبَ ، فَأَوَاهُ وَأَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ ، وَقَالَ الْأَتَابِكُ لَوْلَا الْحَلَبِيُّ لَا بِنَ أَسْتَاذِهِ النَّاصِرِ ، وَكَانَ شَابًّا صَغِيرًا : أَنْظَرُوا إِلَى عَاقِبَةِ الظَّالِمِ . وَأَمَّا الْخَوَارِزْمِيَّةُ فَإِنَّهُمْ

(١) كذا في الأصل ، م . وفي مرآة الزمان ونهاية الأرب : « أسامة » .

(٢) في نهاية الأرب أنها كانت ست سنين وسبعة أشهر . ولم يتعرض لذكر ذلك في ذيل الروضتين والعبر .

ساروا إلى ناحية الكرك، فأكرمهم الناصر داود صاحبها، وأحسن إليهم، وصاهرهم وأنزلهم بالصلت، فأخذوا معها نابلس، فأرسل إليهم الملك الصالح أيوب جيشاً مع فخر الدين بن الشيخ، فكسرهم على الصلت وأجلاهم عن تلك البلاد، وحاصر الناصر بالكرك، وأهانته غاية الإهانة، وقدم الملك الصالح نجم الدين أيوب من الديار المصرية، فدخل دمشق في أبهة عظيمة، وأحسن إلى أهلها، وتصدق على الفقراء والمساكين، وسار إلى بعلبك وإلى بصرى، وإلى صرخد فتسلمها من صاحبها عز الدين أيتك المعظمي، وعوضه عنها، ثم عاد إلى مصر مؤيداً منصوراً. وهذا كله في السنة الآتية، ولله الحمد والمِنَّة.

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين جيش الخليفة وبين التتار، لعنهم الله، فكسرهم المسلمون كسرة عظيمة، وفرقوا شملهم، وهربوا من بين أيديهم، فلم يلحقوهم، ولم يتبعوهم خوفاً من غائلة مكربهم، وعملاً بقوله ﷺ: «اتركوا الترك ما تركوكم».

وفي هذه السنة ظهر بيلاد خوزستان، على شق جبل داخله، من الأبنية الغريبة العجيبة ما يحار فيه الناظر، [٣٦/١٠ ط] وقد قيل: إن ذلك من بناء الجن، وأورد صفته ابن الساعي في «تاريخه».

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان:

الشيخ تقي الدين بن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان^(١)، الشيخ

(١) تقدم تخريجه في صفحة ١٦٤.

(٢) مرآة الزمان ٧٥٧/٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٧٥، ووفيات الأعيان ٢٤٣/٣، ونهاية الأرب ٣١٨/٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٤٠/٢٣، وتذكرة الحفاظ ١٤٣٠/٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٢٦/٨، وطبقات المفسرين للداودي ٣٧٧/١.

الإمام العلامة، مُفتي الشام ومُحدثه، تقي الدين أبو عمرو بن الصلاح، الشهْرزُوري ثم الدمشقي، سَمِعَ الحديثَ ببلادِ الشرقِ، وتفقَّهَ هنالك بالموصلِ وحلبَ وغيرهما، وكان أبوه مُدرِّسًا بالأسديَّة التي بحلبَ، وواقفها أسدُ الدين شيركوه بن شاذي، وقديم الشام، وهو في عدادِ الفضلاءِ الكبارِ، وأقام بالقدس الشريفِ مدةً، ودرَّس بالصَّلاحية، ثم تحوَّل منه إلى دمشق، ودرَّس بالرَّواحية ثم بالشاميَّة الجوانيَّة، ثم بدارِ الحديثِ الأشرفية، وهو أولُ مَنْ وليها من شيوخِ الحديثِ، وهو الذي صنَّف كتابَ وقفها، وقد صنَّف كتبًا كثيرةً مُفيدةً في علومِ الحديثِ وفي الفقه، وتعاليقَ حسنةً على «الوسيط» وغيره من الفوائد التي يُرحلُ إليها. وكان ذِيَّنا زاهدًا ورعًا ناسكًا، على طريقة السِّلَفِ الصالحِ، كما هي طريقةٌ متأخِّرى أكثرِ المُحدِّثين، مع الفُضيلةِ التامةِ في فنونٍ كثيرة، ولم يزل على طريقةٍ جيِّدةٍ حتى كانت وفاته بمنزله في دارِ الحديثِ الأشرفية، في ليلةِ الأربعاءِ الخامس والعشرين من ربيعِ الآخرِ من سنة ثلاثٍ وأربعين وستُمائة، وصُلِّيَ عليه بجامعِ دمشق، وشيَّعه الناسُ إلى داخلِ بابِ الفرجِ، ولم يُمكنهم البروزُ لظاهره لحِصارِ الخوَّازمية، وما صَحَّبه إلى جَبَّانةِ الصوفيةِ إلا نحوُ العشرة، رَحِمَهُ اللهُ تعالى وتَعَمَّدَهُ بِرَحْمَتِهِ. وقد أَتَنَى عليه القاضي شمسُ الدين بنُ خَلْكانَ، وكان من شيوخه. قال السَّبْطُ^(١): أَنشَدَنِي الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بَنُ الصَّلَاحِ مِنْ لَفْظِهِ، رَحِمَهُ اللهُ:

أَخَذَرُ مِنَ الْوَاوَاتِ أَرْبَعَةً فَهِنَّ مِنَ الْخُتُوفِ
وَإِوَاءِ الْوَصِيَّةِ وَالْوَدِيدِ
عَةِ وَالْوَكَالَةِ وَالْوُقُوفِ

(١) مرآة الزمان ٧٥٨/٨ (القسم الثاني).

وحكى ابنُ خُلُكَانَ عنه أنه قال ^(١) : أُلْهِمْتُ فِي الْمَنَامِ هَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ ؛ اذْفَعِ الْمَسْأَلَةَ مَا وَجَدْتَ التَّجْمُلَ ^(٢) يُمَكِّنُكَ ، فَإِنْ لَكَ يَوْمَ رِزْقًا جَدِيدًا ، وَالْإِلْحَاحُ فِي الطَّلَبِ يُذْهِبُ الْبَهَاءَ ، ^(٣) وَمَا أَقْرَبَ الصَّنِيعِ مِنَ الْمَلْهُوفِ ^(٤) ، وَرَبَّمَا كَانَتْ الْغَيْرُ نَوْعًا مِنَ آدَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْحُظُوظُ مَرَاتِبُ فَلَا تَعْجَلْ عَلَى ثَمَرَةٍ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكَ ، فَإِنَّكَ سَتَنَالُهَا فِي أَوَانِهَا ، ^(٥) وَلَا تَعْجَلْ فِي حَوَائِجِكَ فَتَضِيقَ بِهَا دَرْعًا ، وَيَعْشَاكَ الْقُنُوطُ ^(٦) .

ابنُ النَّجَّارِ الحَافِظُ صَاحِبُ « التَّارِيخِ » : مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ هِبَةَ اللَّهِ بْنِ مَحَاسِنَ بْنِ النَّجَّارِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيُّ ^(٧) ، الْحَافِظُ الْكَبِيرُ ، سَمِعَ الْكَثِيرَ ، وَرَحَلَ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ ^(٨) وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَشَرَعَ فِي كِتَابِهِ « التَّارِيخِ » وَعَمَرَهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ وَالنَّحْوَ وَالْقِرَاءَاتِ ، وَقَرَأَ بِنَفْسِهِ عَلَى الْمَشَايخِ كَثِيرًا ، حَتَّى حَصَلَ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ شَيْخٍ ، مِنْ ذَلِكَ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ امْرَأَةٍ ، وَتَغَرَّبَ ثَمَانِيًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ وَقَدْ جَمَعَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ، مِنْ ذَلِكَ « الْقَمَرُ الْمُنِيرُ فِي الْمُسْتَدِّ الْكَبِيرِ » ، يَذْكُرُ لِكُلِّ صَحَابِيٍّ مَا رَوَى ، وَ« كَنْزُ الْأَيَّامِ فِي مَعْرِفَةِ السَّنَنِ وَالْأَحْكَامِ » ، وَ« الْمُخْتَلِفُ وَالْمُؤْتَلِفُ » ، وَ« السَّابِقُ وَاللَّاحِقُ » ، وَ« الْمُتَّفِقُ وَالْمُفْتَرِقُ » ، وَكِتَابُ « الْأَلْقَابِ » ، وَ« نَهْجُ

(١) وفيات الأعيان ٢٤٥/٣ .

(٢) في الأصل ، م : « التحمل » . والمثبت من الوفيات .

(٣ - ٤) في الوفيات : « وما أحسن الصنيع إلى الملهوف » .

(٤) الغير : غير الدهر : أحواله وأحداثه المتغيرة . الوسيط (غ ب ر) .

(٥ - ٦) سقط من : الأصل .

(٦) معجم الأدباء ٤٩/١٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٣١/٢٣ ، وتذكرة الحفاظ ١٤٢٨/٤ ، والوفاء

بالوفيات ٩/٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٩٨/٨ .

(٧) في م : « ثلاث » .

الإصابة في معرفة الصحابة» ، و «الكمال»^(١) في أسماء الرجال ، وغير ذلك مما لم يَتِمَّ أكثره ، وله كتاب «الذَّيْل على تاريخ مدينة السلام» ، في ستة عشر مجلداً كاملاً ، وله في أخبار مكة والمدينة وبيت المقدس ، و «غُررُ الفوائد» في خمس مجلدات^(٢) ، [٣٧/١٠] وأشياء كثيرة جداً ، سردها ابن الساعي في ترجمته ، وذكر أنه لما عاد إلى بغداد عُرض عليه الإقامة في المدارس ، فقال : معي ما أَسْتَعْنِي به . فاشترى جارية ، وأولدها ولداً ، وأقام بُزْهَةً يُنْفِقُ على نفسه من كسبه ، ثم احتاج إلى أن نزل مُحَدَّثاً في جماعة المُحَدِّثين بالمدرسة المُسْتَنْصِرِيَّة حين وُضِعَتْ ، ثم مَرِضَ مدة شهرين ، وأوصى إلى ابن الساعي في أمر تَرْكِته ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الخامس من شعبان من هذه السنة ، وله من العمر خمس وسبعون سنة ، وصُلِّي عليه بالمدرسة النظامية ، وشهد جنازته خلق كثير ، وكان يُنادى حول جنازته : هذا حافظُ حديث رسول الله ﷺ ، الذي يَنْفِي الكذب^(٣) عنه . ولم يترك وارثاً ، وكانت تركته عشرين ديناراً وثياب بدنه ، وأوصى أن يُتَصَدَّقَ بها ، وأوقف خزانتيْن من الكتب بالنظامية تُساوي ألف دينار ، فأَمْضَى ذلك الخليفة المُسْتَعْصِمُ ، وقد أثنى عليه الناس ، ورثوه بمراثٍ كثيرة ، سردها ابن الساعي في آخر ترجمته .

الحافظ ضياء الدين المقدسي^(٤) صاحب «الأحكام» : محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي^(٥) ، سَمِعَ الحديث الكثير ، وكتب

(١) في م : «الكافي» .

(٢) في مصادر ترجمته : «ست مجلدات» .

(٣) في الأصل : «الكدر» .

(٤ - ٥) في م : «ابن الحافظ» .

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٧٧ - ذكره ولم يترجم له - وسير أعلام النبلاء ١٢٦/٢٣ ، وتذكرة الحفاظ ١٤٠٥/٤ ، والوافي بالوفيات ٦٥/٤ ، وذيل طبقات الخنابلة ٢٣٦/٢ .

كثيراً، ورخل وطاف وجمع وصنّف وألّف كتباً مفيدةً حسنةً كثيرةً الفوائد، من ذلك كتاب «الأحكام» ولم يُتِمّه، وكتاب «المختارة» وفيه علومٌ حسنةٌ حديثةٌ، وهى أجودُ من «مُسْتَدْرِكِ الحاكم» لو كَمَل، وله «فضائلُ الأعمال»، وغير ذلك من الكتبِ الحسنةِ الدالةِ على حفظه وإطلاعه وتضلُّعه من علمِ الحديثِ مَثَنًا وإسنادًا. وكان رحمه الله تعالى فى غايةِ العبادةِ والزَّهَادَةِ والوَرَعِ والخيرِ، وقد وَقَفَ كتباً كثيرةً عظيمةً بخطه لخزانةِ المدرسةِ الضَّيائيةِ التى وقفها على أصحابهم من أهلِ الحديثِ والفُقهَاءِ، وقد وَقَفَتْ عليها أوقافٌ أخرٌ كثيرةٌ بعد ذلك.

الشيخُ علَمُ الدينِ أبو الحسنِ السَّخَاوِيُّ، علَى بنُ محمدٍ بنِ عبدِ الصَّمدِ ابنِ عبدِ الأحَدِ بنِ عبدِ الغالبِ الهمدانيِّ المِصرى ثم الدمشقى^(١)، شيخُ القُرَاءِ بدمشق، ختمَ عليه أُلُوفٌ مِنَ الناسِ، وكان قد قرأ على الشاطبى، وشرح قصيدته، وله شرحُ «المُفَصِّلِ» وله تَفْسِيرٌ وَتَصَانِيفٌ كثيرةٌ، ومدائخُ فى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكان له حلقةٌ بجامعِ دمشق، وولى مَشِيخَةَ الإقراءِ بتريةِ أمِّ الصالحِ، وبها كان مَسْكَنُهُ، وبه تُؤَفَّى ليلةُ الأحَدِ ثانى عَشَرَ جُمادى الآخرةِ، ودُفِنَ بِقَاسِيَوْنَ. وذكرَ القاضى ابنُ خَلْكَانَ^(٢) أن مولده فى سنةِ ثمانٍ وخمسين وخمسمائةً، وذكرَ من شعره قوله :

قالوا غداً نأتى ديارَ الحمى وَيَنْزِلُ الرُّكْبُ بِمَغْنَاهُمْ
وكلُّ مَنْ كان مُطِيعاً لهم أَصْبَحَ مَسْرُورًا بِلُقْيَاهُمْ

(١) معجم الأدباء ٦٥/١٥، ومرة الزمان ٧٥٨/٨ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٧٧، ووفيات الأعيان ٣/٣٤٠، ونهاية الأرب ٣١٩/٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٢٢/٢٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٩٧/٨، وغاية النهاية فى طبقات القراء ٥٦٨/١، وبغية الوعاة ٣١١/٢.
(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٤١.

قلتُ فلى ذنبٍ فما جِئلتى بأى وجهٍ أتلَقَاهُم
قالوا أليس العفو من شأنهم لاسيَّما عمن ترَجَّاهُم

ربيعة خاتون^(١) واقفةُ صاحبةِ بقاسيونَ : ربيعةُ خاتون^(٢) بنتُ أيوبَ أختُ
السلطانِ صلاحِ الدينِ ، زوّجها أخوها أولاً بالأَميرِ سعدِ الدينِ مسعودِ بنِ مُعينِ
الدينِ أنزَ ، وتزوَّج هو بأخْتِهِ عِصْمَةَ الدينِ خاتونَ ، التى كانت زوجةَ الملكِ نُورِ
الدينِ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى ، واقفةُ الخاتونيةِ الجَوَانِيَةِ والخائِفاهِ ، ثم لما مات الأميرُ
سعدُ الدينِ زوّجها من الملكِ مُظفَّرِ الدينِ صاحبِ إزْبِلَ ، فأقامت عنده بإزْبِلَ أَزِيدَ من
أربعين سنةً حتى مات ، ثم قَدِمَت دمشقَ ، فسكَّنت فى دارِ العَقِيقَى حتى كانت
وفاتها فى هذه السنة وقد جاوزت الثمانين ، ودُفِنَت بقاسيونَ ، وكانت فى خدمتها
الشيخةُ الصالحةُ العالمةُ أُمّةُ اللّطيفِ بنتُ الناصحِ الحنبلى ، [٣٧/١٠ ط] وكانت
فاضلةً ، ولها تصانيفُ ، وهى التى أُرشدتها إلى وَقْفِ المدرسةِ الصاحبةِ بسفحِ قاسيونَ
على الحنابلةِ ، وأوقفت أُمّةُ اللطيفِ على الحنابلةِ مدرسةً أخرى ، وهى الآن شرقى
الرُّباطِ الناصرى ، ثم لما ماتت الخاتونُ وَقَعَتِ العالمةُ فى المُصادراتِ ، وحُبِسَت مدةً ثم
أُفْرِجَ عنها ، وتزوَّجها الأشرَفُ صاحبُ حِمَصَ ، وسافَرت معه إلى الرّحبةِ وتلَّ
بَاشِرِ^(٣) ، ثم تُوفِّيت فى سنةِ ثلاثٍ وخمسينَ ، ووُجِدَ لها بدمشقَ دَخائِرُ كثيرةٌ
وجواهرُ نفيسةٌ ، تُقاربُ ستمائةَ ألفِ درهمٍ ، غيرَ الأُملاكِ والأوقافِ .

مُعينُ الدينِ الحسنُ بنُ شيخِ الشيوخِ^(٤) ، وزيرُ الصالحِ نَجْمِ الدينِ أيوبَ ،

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمتها فى مرآة الزمان ٧٥٦/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين
ص ١٧٧ ، ووفيات الأعيان ١٢٠/٤ ، ونهاية الأرب ٣١٧/٢٩ ، والوفاء بالوفيات ٩٧/١٤ .

(٢) فى م : «راشد» . وتل بَاشِر : قلعة حصينة وكورة واسعة فى شمالى حلب . معجم البلدان ٨٦٤/١ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٧٧ ، ومرآة الزمان ٧٥٥/٨ (القسم الثانى) ، ونهاية الأرب =

أُرْسِلَهُ إِلَى دِمَشْقَ، فَحَاضَرَهَا مَعَ الْخَوَازِمِيَّةِ أَوَّلَ مَرَّةٍ حَتَّى أَخَذَهَا مِنْ يَدِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ، وَأَقَامَ بِهَا نَائِبًا مِنْ جِهَةِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ، ثُمَّ تَمَلَّأَ الْخَوَازِمِيَّةُ مَعَ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ، فَحَضَرُوهُ بِدِمَشْقَ، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ هَذِهِ السَّنَةِ، عَنْ سِتٍّ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ مَدَّةُ وِلَايَتِهِ بِدِمَشْقَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِقَاسِيَوْنَ إِلَى جَانِبِ أَخِيهِ عِمَادِ الدِّينِ .
وَفِيهَا كَانَتْ وَفَاةُ وَاقِفِ الْقَلْبِجِيَّةِ الْحَنَفِيَّةِ^(١)، وَهُوَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بْنُ قَلْبِجٍ، وَدُفِنَ بِتَرْبَتِهِ الَّتِي بِمَدْرَسَتِهِ الْمَذْكُورَةِ، الَّتِي كَانَتْ سَكَنَهُ بَدَارِ فُلُوسٍ، تَقَبَّلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ .

وَحَاطِبُ الْجَبَلِ شَرْفُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الشَّيْخِ أَبِي عَمَرَ^(٢)، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
وَالسَّيْفُ أَحْمَدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ الْإِمَامِ مُوَفَّقِ الدِّينِ بْنِ قُدَامَةَ^(٣) .

وَفِيهَا تُوفِّيَ إِمَامُ الْكَلَّاسَةِ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ^(٤)، مُسْنِدُ وَقْتِهِ، وَشَيْخُ الْحَدِيثِ فِي زَمَانِهِ رِوَايَةً وَصَلَاحًا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
وَالْمُحَدَّثَانِ الْكَبِيرَانِ الْحَافِظَانِ الْمُفِيدَانِ شَرْفُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الْجَوْهَرِيِّ، وَتَاجُ الدِّينِ عَبْدِ الْجَلِيلِ الْأَبْهَرِيُّ^(٥) .

= ٣١٤/٢٩، وَالْعَبْرُ ١٧٥/٥، وَالْوَاقِفُ بِالْوَفَايَاتِ ٢٤٦/١٢ .

(١) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوسْتَيْنِ ص ١٧٧، وَالْوَاقِفُ بِالْوَفَايَاتِ ٣٩٤/٢١ .

(٢) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوسْتَيْنِ ص ١٧٧، وَالْعَبْرُ ١٧٦/٥، وَذَيْلُ طَبَقَاتِ الْخَنَابِلَةِ ٢٣٤/٢ .

(٣) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوسْتَيْنِ ص ١٧٧، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١١٨/٢٣، وَتَذَكُّرُ الْحَفَازِ ١٤٤٦/٤، وَمِرْآةُ

الْجَنَانِ ١٠٨/٤، وَالْوَاقِفُ بِالْوَفَايَاتِ ٢٧٣/٧، وَذَيْلُ طَبَقَاتِ الْخَنَابِلَةِ ٢٤١/٢ .

(٤) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوسْتَيْنِ ص ١٧٦، وَالْعَبْرُ ١٧٩/٥ .

(٥) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوسْتَيْنِ ص ١٧٥ .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمائة

فيها^(١) كسر المنصور الخوارزمية عند بَحْيرة حِمَصَ ، واستقرت يدُ نوابِ الصالحِ أيوبَ على دمشقَ وبَغْلَبَكْ وبُصْرَى ، ثم في جُمادى الآخرة كسر فخر الدين بنُ الشيخِ الخوارزميةَ على الصَّلْتِ كَشْرَةً ، فَرَّقَ بقيةَ^(٢) شَمْلِهِم ، ثم حاصر الناصرَ بالكركِ ، ورجع عنه إلى دمشق .

وقدِمَ الصالحُ أيوبُ إلى دمشقَ في ذى القعدةِ ، فأحسنَ إلى أهلها ، وتسَلَّمَ هذه المدنَ ، وانتزعَ صَرْخَدَ مِن يدِ عزِّ الدينِ أئيكَ ، وعوَّضه عنها ، وأخذَ الصَّلْتِ مِنَ الناصرِ داودَ بنِ المُعْظَمِ ، وأخذَ حصنَ الصَّيْبَةِ مِنَ السعيدِ بنِ العزيزِ بنِ العادلِ ، وعظَّم شأنه جدًّا ، وزار في رُجوعه بيتَ المقدسَ ، وتفَقَّدَ أحواله ، وأمرَ بإعادةِ أسواره أن تُعَمَّرَ كما كانت في الدولةِ الناصريةِ ،^(٣) فاتحَ القدسِ^(٤) ، وأن يُصَرَّفَ الخراجُ وما يَتَحَصَّلُ مِنْ غَلَاتِ بيتِ المقدسِ في ذلك ، وإن عازَ شيئًا صرفه مِنْ عنده .

وفيها قدِمَتِ الرسلُ مِنْ عندِ البابا الذى للنصارى تُخْبِرُ بأنه قد أباحَ دَمَ الأنبرورِ مَلِكِ الفِرْنَجِ ؛ لتهاؤنه فى قتالِ المسلمين ، وأرسلَ طائفةً مِنْ عنده لِيَقْتُلُوهُ ، فلما انتهَوْا إليه كان قد اسْتَعَدَّ لَهُم ، وأجْلَسَ مَمْلُوكًا لَهُ على السَّرِيرِ ، فاعْتَقَدُوهُ

(١) مرآة الزمان ٧٦٠/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٧٨ ، ونهاية الأرب ٣١٩/٢٩ ، والعبير ١٨١/٥ ، ١٨٢ .

(٢) فى الأصل : « عليه » .

(٣ - ٣) كذا فى الأصل ، م ، ويعنى المصنف بالدولة الناصرية الناصر صلاح الدين فاتح القدس الشريف .

الملك فقتلوه ، فعند ذلك أخذهم الأنبرورُ فصلبهم على باب قَصْرِهِ بعدَ ما ذَبَحَهُمْ
وسلَّخَهُمْ وحشًا جلودَهُمْ تَبْنًا ، فلما بَلَغَ ذلك البابا أُرْسِلَ إليه جيشًا كثيفًا لقتالِهِ ،
فأَوْقَعَ اللَّهُ تعالى بينهم الخلافَ بسببِ ذلك ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وبه التوفيقُ
والعِصْمَةُ .

وفيهما ^(١) هَبَّتْ ريحٌ عاصفةٌ شديدةٌ بمكةَ يومَ الثلاثاءِ ثامنَ عشرَ ربيعِ الآخرِ
[١٠/٣٨] ، فَأَلْقَتْ سِتَارَةَ الكعبةِ المُشْرِفَةِ ، وكانت قد عَثَقَتْ ، فإنها من سنةِ
أربعين لم تُجَدِّدْ ؛ لعدمِ الحجِّ في تلكِ السنينِ من ناحيةِ الخليفةِ ، فما سَكَنَتِ الرياحُ
إلا والكعبةُ عُريانةٌ وقد زال عنها شِعَارُ السَّوَادِ ، وكان هذا فألًا على زَوَالِ دولةِ بنى
العباسِ ، ومُنْذِرًا بما سَيَقَعُ بعدَ هذا من كائنةِ التَّارِ ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ تعالى . فاستأذَنَ
نائبُ اليَمَنِ عمرُ بنُ رسولٍ شيخَ الحرمِ العفيفَ منصورَ بنَ منعةٍ في أن يَكْشُوَ
الكعبةَ ، فقال : لا يَكُونُ هذا إلا من مالِ الخليفةِ . ولم يَكُنْ عنده مالٌ ، فافْتَرَضَ
ثلاثمائةَ دينارٍ ، واشْتَرَى ثيابَ قُطْنٍ ، وصَبَغَهَا سَوَادًا ، وَرَكَّبَ عليها طِرَازَاتِهَا
العتيقةَ ، وكَسَا بها الكعبةَ ، ومَكَّنَتْ الكعبةُ ليس عليها كِسْوَةٌ إحدى وعشرين
ليلةً .

وفيهما فُتِحَتْ دارُ الكتبِ التى أنشأها الوزيرُ مُؤَيَّدُ الدينِ محمدُ بنُ أحمدَ
العَلَقَمِيُّ بدارِ الوزارةِ ، وجاءت في نهايةِ الحُسْنِ ، ووُضِعَ فيها من الكتبِ النَّفِيسَةِ
النافعةِ شَيْءٌ كثيرٌ ، وامتَدَحَهَا الشعراءُ بأبياتٍ وقَصَائِدَ حَسَنًا .

وفى أواخرِ ذى الحِجَّةِ طَهَّرَ الخليفةُ المُسْتَعِصِمُ بِاللَّهِ ولديه الأميرَينِ أبا العباسِ
أحمدَ وأبا الفضائلِ عبدَ الرحمنِ ، وعَمِلَتْ وِلايَتُهُ ومَأْكُلُ وأَفْرَاحُ لا يُسْمَعُ بِمِثْلِهَا

(١) انظر إتحاف الورى بأخبار أم القرى ٦٢/٣ .

مِنْ أَرْمَانٍ مُتَطَاوِلَةٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ وَدَاعًا لِمَسَرَّاتِ بَغْدَادَ وَأَهْلِهَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ .

وَفِيهَا اخْتِطَاطُ النَّاصِرِ دَاوُدَ صَاحِبِ الْكَرْكِ عَلَى الْأَمِيرِ عَمَادِ الدِّينِ دَاوُدَ بْنِ مُوسَى ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْأُمَرَاءِ وَالْأَجْوَادِ الْأَمْجَادِ ، وَاضْطَفَى أَمْوَالَهُ كُلَّهَا ، وَسَجَنَهُ عِنْدَهُ فِي الْكَرْكِ ، فَشَفَعَ فِيهِ فَخَرُ الدِّينِ بْنُ الشَّيْخِ لَمَّا كَانَ مُحَاصِرَهُ فِي الْكَرْكِ فَأُطْلِقَهُ ، فَخَرَجَتْ فِي حَلْقِهِ خُرَاجَةٌ^(١) ، فَبَطَّهَا فَمَاتَ ، وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ جَعْفَرٍ وَالشُّهَدَاءِ بِمُوتَةٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَفِيهَا تُوفِّيَ مَلِكُ الْخَوَارِزْمِيَّةِ قَبْلًا بَرَكَاتٍ^(٢) خَانَ لَمَّا كَثُرَتْ أَصْحَابُهُ عِنْدَ بُحَيْرَةِ حِمَصَ ، كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

وَفِيهَا تُوفِّيَ : الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ نَاصِرُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَلِكِ الْمُجَاهِدِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهِ^(٣) صَاحِبُ حِمَصَ بِدِمَشْقَ ، بَعْدَ أَنْ سَلَّمَ بَغْلَبَكَّ لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ ، وَنُقِلَ إِلَى حِمَصَ ، وَكَانَ نُزُولُهُ أَوَّلًا بِبُيُوتَانِ سَامَةِ^(٤) ، فَلَمَّا مَرِضَ حُمِلَ إِلَى الدَّهْشَةِ بُيُوتَانِ الْأَشْرَفِ بِالنَّيْرَبِ ، فَمَاتَ بِهِ .

وَفِيهَا تُوفِّيَ : الصَّائِنُ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ بْنِ رَافِعِ الْعَامِرِيِّ الْخَطِيبِ^(٥) ، وَكَانَ كَثِيرَ السَّمَاعِ مُشْنِدًا ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِقَصْرِ حَجَّاجٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) فِي م : « جَرَاة » وَالْخَرَاة : مَا يَخْرُجُ بِالْبَدَنِ مِنَ الْقُرُوحِ . وَبَطَّهَا : شَقَّهَا . الْوَسِيطُ (خ ر ج) ، (ب ط ط) .

(٢) فِي مَصْدَرِي التَّخْرِيجِ : « بَرَكَةٌ » .

(٣) مَرَاةُ الزَّمَانِ ٧٦٤/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي) ، وَالذَّيْلُ عَلَى الرُّوسْتَيْنِ ص ١٧٨ ، وَوَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ ٤٨١/٢ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣٢٣/٢٩ ، وَالْعَبَرُ ١٨٣/٥ ، وَالْوَفَا بِالْوَفَايَاتِ ٢٠/٦ .

(٤) فِي مَرَاةِ الزَّمَانِ : « أَسَامَةُ » .

(٥) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوسْتَيْنِ ص ١٧٩ - وَفِيهِ : « الضِّيَاء » - وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٤٧/٢٣ ، وَالْعَبَرُ

١٨٤/٥ .

وفيها تُوفى: الفقيه العلامة محمد بن محمود بن عبد المنعم المراتبي^(١)
الحنبلي، وكان فاضلاً ذا فنون، أثنى عليه أبو شامة، وقال: صحبته قديماً، ولم
يترك بعده بدمشق مثله في الحنابلة. وصلى عليه بجامع دمشق، ودُفن بسفح
قاسيون، رحمه الله.

والضياء عبد الرحمن العِمادى^(٢) المالكي، الذي ولي وظائف الشيخ أبي
عمرو بن الحاجب حين خرج من دمشق سنة ثمان وثلاثين، وجلس في حلقاته،
ودرس مكانه بزواية المالكية.

والفقيه تاج الدين إسماعيل بن جهيل^(٣) بحلب، وكان فاضلاً دنيئاً، سليم
الصدر، رحمه الله.

(١) سقط من الأصل. وفي م: «الرامي». والمثبت من مصادر ترجمته؛ والذيل على الروضتين ص
١٧٩، والعبر ١٨٤/٥، والوافي بالوفيات ١١/٦، والذيل على طبقات الحنابلة ٢٤٢/٢.
والمراتبى نسبة إلى باب المراتب ببغداد. انظر المشتبه ٥٨١/٢، وتاج العروس (رت ب).
(٢) في م: «الغمارى». وانظر الذيل على الروضتين ص ١٧٩.
(٣) في م: «جميل». وانظر ترجمته في المصدر السابق.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة

فيها^(١) كان عَوْدُ السلطانِ الملكِ الصالحِ نجمِ الدينِ أيوبَ بنِ الكاملِ من الشامِ إلى الديارِ المصرية^(٢)، وزار في طريقه بيتَ المقدسِ، وفَرَّقَ في أهله أموالاً كثيرةً، وأمر بإعادة سُورِهِ، كما كان في أيامِ عمِّ أبيه الملكِ الناصرِ فاتحِ القدسِ، ونزَّلَ الجيوشَ لحصارِ الفِرْنَجِ، ففُتِحَتْ طَبْرِيَّةٌ في عاشرِ صفرٍ، وفُتِحَتْ عَسْقَلَانُ في أواخرِ جُمادى الآخرةِ^(٣).

وفي رجبٍ غَزَلَ الخطيبُ عمادُ الدينِ داودُ^(٤) بنُ خطيبِ^(٥) بيتِ الآبارِ عن الخطابةِ بالجامعِ الأمويِّ، وتَدْرِيسِ [٣٨/١٠ ظ] الغَزَّالِيَّةِ، وولَّى ذلك القاضي عمادُ الدينِ بنُ عبدِ الكريمِ بنِ الحَرَسْتَانِيِّ شيخُ دارِ الحديثِ بعدَ ابنِ الصلاحِ. وفيها أُرْسِلَ الصالحُ أيوبُ يَطْلُبُ جَماعَةً من أَعْيانِ الدَّمَشِيقَةِ اتَّهَمُوا بِمُمالأةِ

(١) مرآة الزمان ٧٦٦/٨ - ٧٦٨ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٨٠، ونهاية الأرب ٣٢٥/٢٩ - ٣٢٨، والعبر ١٨٥/٥.

(٢) ذُكِرَتْ عودة الملكِ نجمِ الدينِ أيوبَ في المرأةِ عامِ أربع وأربعين وستمائة، وفي العبر عامِ سبع وأربعين وستمائة.

(٣) في نهاية الأرب ذكر فتح عسقلان في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة وأنه رحل بعدها إلى طبرية ففتحها، وفي العبر ذكر أن فتح عسقلان كان في جمادى الآخرة وأن فتح طبرية كان قبلها بأيام. ولم يتعرض لذكر الأشهر في مرآة الزمان.

(٤ - ٤) في نهاية الأرب: «خطيب». ولم يذكره في العبر. ولا تعارض بين كونه خطيب بيت الآبار، وكونه ابن خطيبها. فقد كان أبوه خطيب بيت الآبار، وكان هو كذلك خطيبه بعد وفاة أبيه، فقد رجع إلى خطابة قريته بعد عزله ذلك الذي أشار إليه المصنف هنا؛ انظر الوافي بالوفيات ٤٨٠/١٣، وطبقات الشافعية للإسنوي ١٤٣/١.

الصالح إسماعيل، منهم القاضي مُحْيِي الدين بن الزَّكِي، وبنو صَضْرَى وابنُ العمادِ الكاتب، والحكيم^(١) مملوكُ الصالح إسماعيل، والشَّهابُ غازي والي بَضْرَى، فلما وصلوا إلى مصر لم يَكُنْ إليهم شيءٌ مِنَ العقوبات والإهانة، بل خلع على بعضهم وثركوا باختيارهم مُكرِّمين.

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْمَشَاهِيرِ:

الحسين بن الحسين بن علي بن حمزة العلوي الحسيني، أبو عبد الله الأقساسي^(٢) النقيب قُطْبُ الدين، أصله مِنَ الكوفة، وأقام ببغداد، وولى النِّقابة، ثم اعتُقِل بالكوفة، وكان فاضلاً أديباً شاعراً مُطَبِّقاً، أُوْرِدَ له ابنُ الساعي أشعاراً كثيرة، رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشَّلَوِيُّنِ التَّحَوِيُّ^(٣): هو عمر بن محمد بن 'عمر بن' عبد الله الأزدي، أبو علي الأندلسي الإشبيلي، المعروف بالشَّلَوِيِّينِ. وهو بلغة

(١) في م: «الحكيم». ولم يذكر في المرأة الحكيمى ولكن ذكر أبا الشامات مملوك الصالح إسماعيل، أما في نهاية الأرب فقد ذكرهما معاً على أنهما شخصين مختلفين ولكن لم يذكر أن الحكيمى مملوك الصالح إسماعيل. ولم يتعرض لذكر الخبر في الذيل على الروضتين والعبر.

(٢) في الأصل، م: «الأفساسي». ولم نجد له ترجمة، وظاهر أن المصنف - رحمه الله - ذكر وفاته من تاريخ ابن الساعي. وأثبتنا الأقساسي لأنه المذكور في الأنساب ٢٠٠/١، ومعجم البلدان ٣٣٧/١، ٣٣٨؛ قال ياقوت: أفساس قرية بالكوفة، وينسب إلى هذا الموضع أبو محمد يحيى بن محمد... بن الحسين بن علي بن أبي طالب الأفساسي، توفي سنة نيف وسبعين وأربعمائة بالكوفة، وجماعة من العلويين كذلك يُنسبون إليها. ولم نجد نسبة «الأفساسي» هذه.

(٣) إنباه الرواة ٣٣٢/٢، وإشارة التعيين ص ٢٤١، ووفيات الأعيان ٤٥١/٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٠٧، والعبر ١٨٦/٥، وبغية الوعاة ٢٢٤/٢. وجاء في الإنباه ووفيات الأعيان: «الشَّلَوِيُّينِ». قال في بغية الوعاة: بفتح المعجمة واللام وسكون الواو وكسر الموحدة وبعدها تحتانية ونون، وربما زيد بعدها ياء النسبة.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر ترجمته.

الأندلسيين : الأبيض الأشقر. قال ابن خلكان^(١) : خُتِمَ به أئمةُ النحو ، وكان فيه تَغَفُّلٌ . وذكر له شعراً ومُصَنَّفَاتٍ ، منها « شَرْحُ الْجُزُولِيَّةِ » وكتاب « التَّوْطِئَةُ » . وأُرِخَ وفاته بهذه السنة . وقد جاوز الثمانين ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

الشيخ عليّ^(٢) الحريريّ : عليّ بن أبي الحسن بن المنصور البصريّ ، المعروف بالحريريّ ، أصله من قرية بُسْرَ شرقى زُرْع^(٣) ، وأقام بدمشق مدةً يَعْمَلُ صُنْعَةَ الْحَرِيرِ ، ثم ترك ذلك ، وأقبلَ يَعْمَلُ الْفَقِيرِ^(٤) على يد الشيخ عليّ المغزبليّ^(٥) تلميذ الشيخ رسلان التركمانيّ الجعبريّ ، فاتّبعه طائفةٌ من الناس يقال لهم : الحريرية^(٦) . وابتنى له زاويةً على الشّرف القبليّ ، وبدّرت منه أفعالٌ أنكرها عليه الفقهاء ، كالشيخ عزّ الدين بن عبد السلام ، والشيخ تقيّ الدين بن الصّلاح ، والشيخ أبي عمرو بن الحاجب شيخ المالكية وغيرهم ، فلما كانت الدولة الأشرفية حُبِسَ في قلعةٍ عَزَّتْ مدةً سنين ، ثم أطلقه الصالح إسماعيل ، واشترط عليه أن لا يُقيمَ بدمشق ، فلزم بلدَه بُسْرَ مدةً حتى كانت وفاته في هذه السنة .

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في « الدّيل »^(٦) : وفي رمضان أيضاً تُوفّي

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٤٥١ ، ٤٥٢ .

(٢ - ٣) سقط من : م . وانظر ترجمته في الذيل على الروضتين ص ١٨٠ ، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣٢٨ ،

وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٢٤ ، والعبر ٥/ ١٨٦ ، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٧٨ .

(٣) في م : « ذرع » . وزُرْع من أعمال خُورَان ؛ وخوران كورة واسعة من أعمال دمشق . وقد كانت زرع تسمى « زُرّاً » و « زُرّة » ، وذكر الحموي في موضع أن « زرع » تسمية العوام . انظر معجم البلدان ١/ ٦٢١ ، ٣٥٧/ ٢ ، ٩٢١ .

(٤) يعمل الفقيرى : أى تَمَقَّقِر . بلفظ الحافظ الذهبي في العبر . وقال عنه في سير أعلام النبلاء : كبير الفقراء البطّلة . ويعنى المصنف أنه صار من الصوفية .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٨٠ .

الشيخ على المعروف بالحريري، المقيم بقرية بُسر في زاويته، وكان يتردد إلى دمشق، وتبعه طائفة من الفقراء، وهم المعروفون بالحريرية أصحاب الزي^(١) المنافي للشرعية، وباطنهم شر من ظاهرهم، إلا من رجع إلى الله منهم، وكان عند هذا الحريري من الاستهزاء بأمور الشرعية والتهاون بها من إظهار شعار أهل الفسوق والعصيان شيء كثير، وانفسد بسببه جماعة كثيرة من أولاد كُبراء دمشق، وصاروا على زي أصحابه، وتبعوه بسبب أنه كان خليع العذار^(٢)، يجمع مجلسه الغناء الدائم والرقص والمُردان، وترك الإنكار^(٣) على أحد فيما يفعله، وترك الصلوات، وكثرة التفقات، فأضل خلقا كثيرا، وأفسد جمعا غفيرا، ولقد أفتى في قتله مِرارًا جماعة من علماء الشريعة، ثم أراح الله تعالى منه. هذا لفظه بحروفه.

واقف العزبة الأمير عز الدين أيتك^(٤) أستاذ دار المعظم، وكان من العقلاء الأجواد الأمجاد، استنابه المعظم على صرخد، فظهرت منه نهضة وكفاية^(٥)، ووقف العزيتين الجوانية والبرانية. ولما أخذ منه الصالح أيوب صرخد عوضه عنها^(٦)، وأقام بدمشق، ثم وشى به بأنه يُكاتب الصالح إسماعيل، فاحتيط

(١) سقط من: م.

(٢) خليع العذار: منهلك في الغي لا يستحي. انظر الوسيط (ع ذ ر).

(٣) في الذيل على الروضتين: «الاحتجار».

(٤) مرآة الزمان ٧٦٧/٨ (القسم الثاني)، والمختصر في أخبار البشر ١٧٨/٣، ونهاية الأرب ٢٩/٣٢٧، وتاريخ ابن الوردي ١٨٠/٢. وأرخت وفاته في المختصر وتاريخ ابن الوردي سنة ست وأربعين وستمئة.

(٥) بعده في م: «وسداد».

(٦) كذا قال المصنف، ونقل ذلك عنه صاحب الدارس ٥٥١/١، ولكن لم نجد في المصادر أن الصالح أيوب عوضه عن صرخد، أما في مرآة الزمان ونهاية الأرب فذكرا اعتقاله مباشرة، وفي المختصر وتاريخ ابن الوردي جاء أنه اعتقل سنة أربع وأربعين وستمئة ثم حُبس حتى مات في حبسه.

[٣٩/١٠] عليه وعلى أمواله وخواصيله ، فمرض وسقط إلى الأرض ، وقال : هذا
آخِرُ عَهْدِي . ولم يَكَلِّمْ حتى مات ، ودُفِنَ بِيَابِ النَصْرِ بِمَصْرَ ، ثم نُقِلَ إلى تَرْتِتهِ
التي فوقَ الوَرَّاقَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنَّمَا أَرَّخَ السَّبْطُ وَفَاتَهُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ .
فَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(١) .

الشُّهَابُ غَازِي بَنُ الْعَادِلِ ^(٢) صَاحِبُ مَيَّافَرِيقَيْنِ وَخِلَاطٍ وَغَيْرِهِمَا مِنْ
الْبُلْدَانِ ، كَانَ مِنْ عُقْلَاءِ بَنِي أَيُّوبَ وَفُضْلَائِهِمْ ، وَأَهْلِ الدِّيَانَةِ مِنْهُمْ ، وَمَا أَتَشَدُّ
قَوْلُهُ ^(٣) :

وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنْكَ جَالِسٌ عَلَى الْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَسِيرُ
فَسِيرُكَ يَا هَذَا كَسِيرِ سَفِينَةٍ بِقَوْمِ جُلُوسٍ وَالْقُلُوعُ تَطِيرُ

(١) كَذَا قَالَ الْمُصَنِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَهُوَ أَحَدُ التَّأْرِيخِينَ اللَّذِينَ ذَكَرَهُمَا السَّبْطُ ، وَالتَّأْرِيخُ الْأَوَّلُ
هُوَ سَنَةُ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتَّمِائَةٍ ، فَقَدْ ذَكَرَهُ السَّبْطُ فِي وَفَاتِهَا وَبَعْدَهَا سَاقَ تَرْجَمَتِهِ قَالَ : وَقِيلَ إِنَّهُ مَاتَ
فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتَّمِائَةٍ .

(٢) مَرَّةَ الزَّمَانِ ٧٦٨/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي) ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣٢٩/٢٩ ، وَأَرَّخَ وَفَاتَهُ سَنَةُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ
وَسِتَّمِائَةٍ ، وَالْعَبْرَ ١٨٧/٥ ، وَمَرَّةَ الْجَنَانِ ١١٤/٤ .

(٣) انْظُرْ مَرَّةَ الزَّمَانِ ٧٦٩/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي) .

ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة

فيها^(١) قديم السلطان الصالح نجم الدين أيوب من الديار المصرية إلى دمشق، وجهز الجيوش والمجانيق إلى حمص؛ لأنه كان صاحبها الملك الأشرف موسى بن المنصور بن أسد الدين شيركوه قد قاىض بها تلّ باشير لصاحب حلب الناصر يوسف بن العزيز، ولما علمت الحليّون بخروج الدماشقة برزوا أيضًا في جحفل عظيم ليمنعوا حمص منهم، واتفق مجيء الشيخ نجم الدين الباذرائي مدرس النظامية ببغداد في رسالة، فأصلح بين الفريقين، وردّ كلاً من الفئتين إلى مستقرّها، ولله الحمد.

وفيها قتل مملوك تركي شاب صبيّ سيده على دفعه عنه لما أراد به من الفاحشة، فضلب الغلام مسمرًا، وكان شابًا حسنًا جدًّا، فتأسف الناس له لكونه صغيرًا ومظلومًا وحسنًا، ونظموا فيه قصائد؛ ومُنّ نظم فيه الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «الذيل»^(٢)، وقد أطال قصته جدًّا.

وفيها سقطت قنطرة روميّة قديمة البناء بشوق الدقيق من دمشق، عند قصر أم حكيم، فتهلّم بسببها شيء كثير من الدور والدكاكين، وكان سقوطها نهارًا. وفي ليلة الأحد الخامس والعشرين من رجب وقع حريق بالمنارة الشرقية،

(١) مرآة الزمان ٧٧٠/٨ - ٧٧٢ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٨٠ - ١٨٢، ونهاية الأرب ٣٢٥/٢٩ - ٣٢٨، والعبر ١٨٥/٥.

(٢) لعل الذي في الذيل ليس من نظم أبي شامة، فقد قال: وما قيل فيه: وساق القصيدة.

فأحرق جميع حشوها، وكانت سلالها سِقالاتٍ من خشبٍ، وهلك للناس ودائع كثيرة كانت فيها، وسلم الله الجامع، ولله الحمد. وقدم السلطان بعد أيام إلى دمشق، فأمر بإعادتها كما كانت.

قلتُ: ثم احترقت وسقطت بالكلية بعد سنة أربعين وسبعمائة، وأعيدت عمارتها أحسن مما كانت، ولله الحمد، وبقيت حينئذ المنارة البيضاء الشرقية بدمشق كما نطق به الحديث في نزول عيسى، عليه السلام، عليها، كما سيأتي بيانه وتقريره في موضعه إن شاء الله تعالى^(١).

ثم عاد السلطان الصالح أيوب مريضاً في محفة إلى الديار المصرية وهو ثقیل مُدْنِفٌ،^(٢) وما شغله مرضه وما هو فيه^(٣) عن أمره بقتل أخيه العادل أبي بكر بن الكامل الذي كان صاحب الديار المصرية بعد أبيه، وقد كان سجنه سنة استحوذ على مصر، فلما كان في هذه السنة في شوالها أمر بحرقه، فحُرق ودُفن بترية شمس الدولة، فما غمّر بعده إلا إلى النصف من شعبان في العام القابل في أسوأ حالٍ وأشدّ مرضٍ، فسبحان من له الخلق والأمر.

وفيهما كانت وفاة قاضي القضاة بالديار المصرية:

أفضل^(٣) الدين الخوارجي، الحكيم المنطقي البارع في ذلك، وكان مع ذلك جيد السيرة في أحكامه. قال أبو شامة^(٤): أثنى عليه غير واحد.

(١) انظر ما سيأتي في الفتن والملاحم.

(٢ - ٢) في م: «شغله ما هو فيه».

(٣) في م: «فضل». وانظر ترجمته في: الذيل على الروضتين ص ١٨٢، ونهاية الأرب ٢٩/٣٣٠،

وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٢٨، والوفاء بالوفيات ٥/١٠٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٠٥.

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٨٢.

ومن توفى فيها :

علي بن يحيى ، جمال الدين أبو الحسن المخرمي^(١) ، كان شاعراً فاضلاً
أديباً شاعراً ماهراً ، صنف كتاباً مختصراً وجيزاً جامعاً لفنون كثيرة في الرياضة
[٣٩/١٠ ظ] والعقل وذم الهوى ، وسماه « نتائج الأفكار » ، قال فيه من الكلم
المستفادة الحكيمة : السلطان إمام متبوع ، ودين مشروع ، فإن ظلم جارت الحكام
لظلمه ، وإن عدل لم يجز أحد في حكمه ، من مكته الله في أرضه وبلايه ،
واثمنه على خلقه وعباده ، وبسط يده وسلطانه ، ورفع محله ومكانه ، فحقيق
عليه أن يؤدى الأمانة ، ويخلص الديانة ، ويكمل السريرة ، ويحسن السيرة^(٢) ،
ويجعل العدل دأبه المعهود ،^(٣) والأمن بحر^(٤) غرضه المقصود ، فالظلم يزل القدم ،
ويزيل النعم ، ويجلب النقم^(٥) ، ويهلك الأمم .

وقال أيضاً : معارضة الطبيب توجب التغذيب . رب حيلة أنفع من قبيلة .
الموت في طلب الثار خير من الحياة في العار^(٦) . سمين الغضب مهزول ، ووالى
العذر معزول . قلوب الحكماء تستشرف الأشرار من لمحات الأبصار . أرض من
أخيك في ولايته بعشر ما كنت تعهده من مودته . التواضع من مصائد
الشرف . ما أحسن حسن الظن لولا أن فيه^(٧) العجز . ما أقبح سوء الظن لولا
أن فيه الحزم .

(١) الأعلام للزركلى ١٨٥/٥ ، ومعجم المؤلفين ٢٦١/٧ .

(٢) فى الأصل : « السيرة » .

(٣ - ٣) فى م : « والأجر » .

(٤) فى م : « الفقر » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) فى الأصل : « منه » .

وذكر في غُبُونِ كَلَامِهِ أَنْ خَادِمًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَذْنَبَ ، فَأَرَادَ ابْنُ عُمَرَ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَى ذَنْبِهِ ، فَقَالَ : يَا سَيِّدِي ، أَمَا لَكَ ذَنْبٌ تَخَافُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْهُ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَبِالَّذِي أَمَهَلَكَ لَمَّا أَمَهَلْتَنِي . ثُمَّ أَذْنَبَ الْعَبْدُ ثَانِيًا ، فَأَرَادَ عُقُوبَتَهُ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَعَفَا عَنْهُ ، ثُمَّ أَذْنَبَ الثَّالِثَةَ ، فَعَاقِبَهُ وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ : مَا لَكَ لَمْ تَقُلْ مَا قُلْتَ فِي الْأَوَّلَتَيْنِ^(١) ؟ فَقَالَ : يَا سَيِّدِي ، حَيَاءٌ مِنْ جِلْمِكَ مَعَ تَكَرُّارِ جُزْمِي . فَبَكَى ابْنُ عُمَرَ وَقَالَ : أَنَا أَحَقُّ بِالْحَيَاءِ مِنْ رَبِّي ، أَنْتَ حَزْرٌ لَوْجِهِ اللَّهُ تَعَالَى .

وَمِنْ شِعْرِهِ يَمْدَحُ الْخَلِيفَةَ :

يَا مَنْ إِذَا ضَنَّ^(٢) السَّحَابُ بِمَائِهِ هَطَلَتْ يَدَاهُ عَلَى الْبَرِّيَّةِ عَسْجَدًا^(٣)
جَوَّزَتْ كِسْرَى يَا مُبْخَلَّ حَاتِمٍ فَعَدَتْ بَنُو الْآمَالِ نَحْوَكَ سُجَّدًا

وَقَدْ أُوْرِدَ لَهُ ابْنُ السَّاعِي أَشْعَارًا كَثِيرَةً حَسَنَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْحَاجِبِ الْمَالِكِيُّ^(٤) عَثْمَانُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ يُونُسَ الدَّوِينِيِّ^(٥) ثُمَّ الْمَصْرِيُّ ، الْعَلَامَةُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْحَاجِبِ شَيْخُ الْمَالِكِيَّةِ ، كَانَ أَبُوهُ حَاجِبًا^(٦) لِلْأَمِيرِ عَزِّ الدِّينِ مُوسَى الصَّلَاحِيِّ ، وَاشْتَغَلَ هُوَ بِالْعِلْمِ ، فَقَرَأَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْأَوَّلِينَ » .

(٢) فِي م : « بَخْل » .

(٣) الْعَسْجَدُ : الذَّهَبُ . الْوَسِيطُ (عَسْجَد) .

(٤) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ١٨٢ ، وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٣/ ٢٤٨ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٢٩/ ٣٣٠ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٢٣/ ٢٦٤ ، وَمَعْرِفَةُ الْقُرَاءِ الْكِبَارِ ٢/ ٥١٦ ، وَالطَّلَاعُ السَّعِيدُ ص ٣٥٢ ، وَالدِّيَاغُ الْمَذْهَبُ ٢/ ٨٦ ، وَبَغِيَّةُ الْوَعَاةِ ٢/ ١٣٤ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « الرُّونِيُّ » ، وَفِي م : « الرُّونِيُّ » ، وَالمُثَبِّتُ مِنْ مَصَادِرِ التَّرْجُمَةِ ، وَالدَّوِينِيُّ نِسْبَةٌ إِلَى دَوِينٍ ؛ بَلَدَةٌ فِي نَوَاحِي أَرَاَنَ فِي آخِرِ حُدُودِ أَذْرَبِجَانِ بِقَرَبِ تَفْلَيْسَ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢/ ٦٣٢ .

(٦) فِي الْأَصْلِ ، م : « صَاحِبًا » ، وَالمُثَبِّتُ مِنْ مَصَادِرِ التَّرْجُمَةِ .

القراءات ، وحرّر النحوَ تحريراً بليغاً ، وتفقه وساد أهل عصره ، ثم كان رأساً في علوم كثيرة ، منها الأصول والفروع والعربية والتّصريفُ والعروض والتّفسيرُ ، وغير ذلك .

وقد كان استوطن دمشق في سنة سبع عشرة وستّمائة ، ودرّس بها للمالكية بالجامع حتى كان خروجه بصُحبة الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام في سنة ثمانٍ وثلاثين ، فصارا إلى الديار المصرية حتى كانت وفاة الشيخ أبي عمرو في هذه السنة بالإسكندرية ، ودُفن بالمقبرة التي بين المنارة والبلد .

قال الشيخ أبو شامة^(١) : وكان من أذكى الأئمة قريحةً ، وكان ثقةً حجةً متواضعاً عفيفاً ، كثير الحياء ، مُنصفاً مُحبّاً للعلم وأهله ناشراً له ، مُحْتَمِلاً للأذى ، صبوراً على البلوى ، قديم دمشقٍ مراراً ، آخرها سنة سبع عشرة ، فأقام بها مُدّرّساً للمالكية وشيخاً للمُستفيعين عليه في علَمي القراءات والعربية ، وكان رُكنًا من أركان الدين في العلم والعمل ، بارعاً في العلوم^(٢) ، مُتّقناً لمذهب مالك بن أنس ، رحمه الله تعالى .

وقد أثنى عليه ابنُ خَلْكَانَ ثناءً كثيراً^(٣) ، وذكر أنه جاء إليه في أداء شهادة حينَ كان ابنُ خَلْكَانَ نائباً [٤٠/١٠ و] في الحكم بمصرَ ، وسأله عن مسألة اغْتِراضٍ^(٤) الشَّرْطِ على الشَّرْطِ ، كإذا قال : إن أَكَلْتُ إن شَرِبْتُ فأنت طالق . لِمَ

(١) الذيل على الروضتين ص ١٨٢ .

(٢) بعده في الذيل : «الأصولية وتحقيق علم العربية» .

(٣) وفيات الأعيان ٢٤٨/٣ - ٢٥٠ .

(٤) في الأصل : « دخول » .

كان لا^(١) يَقَعُ الطَّلَاقُ^(٢) حَتَّى تَشْرَبَ^(٣) أَوَّلًا؟ وَذَكَرَ أَنَّهُ أَجَابَ عَنْ ذَلِكَ فِي تُؤَدَّةٍ وَشُكُونٍ.

قُلْتُ : لَهُ مُخْتَصَرٌ فِي الْفَقْهِ مِنْ أَحْسَنِ الْمُخْتَصَرَاتِ ، انْتِظَمَ فِيهِ « جَوَاهِرُ^(٣) ابْنِ شَاشٍ » ، وَمُخْتَصَرٌ فِي أَصُولِ الْفَقْهِ اسْتَوْعَبَ فِيهِ عَامَّةَ فَوَائِدِ « الْإِحْكَامِ » لِسَيْفِ الدِّينِ الْآمِدِيِّ ، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِحِفْظِهِ ، وَجَمَعْتُ كَرَارِيسَ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَا أُوْدَعَهُ فِيهِ مِنَ الْأَحَايِثِ النَّبَوِيَّةِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ ، وَلَهُ « شَرْحُ الْمُفَصَّلِ » وَ « الْأَمَالِيُّ » فِي الْعَرَبِيَّةِ وَ « الْمُقَدِّمَةُ » الْمَشْهُورَةُ فِي النَّحْوِ ، اخْتَصَرَ فِيهَا « مُفَصَّلَ الزَّمَخْشَرِيِّ » وَشَرَحَهَا ، وَقَدْ شَرَحَهَا غَيْرُهُ أَيْضًا ، وَلَهُ « التَّصْرِيفُ » وَ « شَرْحُهُ » ، وَلَهُ الْعَرُوضُ عَلَى وَزَنِ الشَّاطِبِيَّةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ .

(١) سَقَطَ مِنْ : م .

(٢ - ٢) فِي الْأَصْلِ : « حَتَّى يَشْرَبَ » . وَفِي م : « حِينَ شَرِبْتَ » . وَالتَّحْتِ مَوَافِقَ لِسِيَاقِ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ .

(٣) فِي م : « فَوَائِدُ » . وَانْظُرْ مَعْجَمَ الْمُؤَلِّفِينَ ٦ / ١٥٨ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ

فيها^(١) كانت وفاةُ الملكِ الصالحِ أيوبَ ، وقَتَلَ ابنُه المُعَظَّمُ ثورانشاهَ ، وتولِيَهُ المُعَزُّ عِزُّ الدِّينِ أَيُّبُكَ التُّرُكْمَانِيُّ على ما سيَأْتِي .

وفى رابعِ المُحَرَّمِ يومِ الاثنينِ تَوَجَّهَ السلطانُ الملكُ الصالحُ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى الدِّيارِ المِصرِيَّةِ فِي مِحْفَةٍ . قاله السُّبُطُ^(٢) : وكان قد نادَى فِي دِمَشْقَ : مَنْ لَهُ عِنْدَنَا شَيْءٌ فَلْيَأْتِ . فَاجْتَمَعَ خَلْقٌ كَثِيرٌ بِالْقَلْعَةِ ، فَدَفَعَتْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ .

وفى عاشرِ صَفَرٍ دَخَلَ إِلَى دِمَشْقَ نَائِبُهَا الأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ بْنُ يَغْمُورٍ مِنْ جِهَةِ الصَّالِحِ أَيُوبَ ، فَنَزَلَ بِدَرْبِ الشَّعَارِينَ دَاخِلَ بَابِ الْجَايِيَّةِ .

وفى جُمَادَى الآخِرَةِ أَمَرَ النَّائِبُ بِتَخْرِيبِ الدَّكَاكِينِ المُحَدَّثَةِ فِي وَسْطِ بَابِ البَرِيدِ ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يَبْقَى فِيهِ دُكَّانٌ سِوَى مَا فِي جَانِبَيْهِ إِلَى جَانِبِ الحَائِطَيْنِ القِبْلِيِّ وَالشَّمَالِيِّ^(٣) ، وَمَا فِي الوَسْطِ يُهْدَمُ . قال أبو شامة^(٤) : وقد كان العادلُ هَدَمَ ذَلِكَ ، ثُمَّ أُعِيدَ ، ثُمَّ هَدَمَهُ ابْنُ يَغْمُورٍ ، وَالْمَرْجُو اسْتِمْرَارُهُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ .

وفِيهَا تَوَجَّهَ النَّاَصِرُ دَاوُدُ مِنَ الكَرْكِ إِلَى حَلَبَ ، فَأَرْسَلَ الصَّالِحُ أَيُوبُ إِلَى نَائِبِهِ بِدِمَشْقَ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ يَغْمُورٍ بِخَرَابِ دَارِ سَامَةِ الْمُتَسَوِّيَةِ إِلَى النَّاصِرِ بِدِمَشْقَ ،

(١) مرآة الزمان ٧٧٢/٨ - ٧٧٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٤ - ١٨٦ ، ونهاية الأرب ٣٣٤/٢٩ - ٣٥٥ ، والعبر ١٩٢/٥ - ١٩٥ .

(٢) مرآة الزمان ٧٧٢/٨ (القسم الثاني) .

(٣) فى م : « والشامى » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٨٣ .

وبُشْتَانِه الذى بالقابون ، وهو بُشْتَانُ الْقَصْرِ ، وأن تُقْلَعَ أشجاره ويُخَرَّبَ القصرُ ،
وتَسَلَّمَ الصالحُ أيوبُ الكَرْكَ مِنَ الْأَمْجَدِ حَسَنِ بْنِ الناصِرِ ، وأُخْرِجَ مَنْ كان بها
مِنْ بَيْتِ الْمُعْظَمِ ، واستَحُوذَ على حواصلها وأموالها ، فكان فيها مِنَ الذَّهَبِ أَلْفُ
أَلْفِ دِينَارٍ ، وأَقْطَعَ الصالحُ الْأَمْجَدَ هذا إِقْطَاعًا جَيِّدًا .

وفيه^(١) طَعَى الْمَاءُ بِيَعْدَادَ حَتَّى أَتْلَفَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْحَالِ وَالْدُّورِ الشَّهِيرَةِ ،
وَتَعَذَّرَتْ الْجُمُعُ فِي أَكْثَرِ الْجَوَامِعِ بِسَبَبِ ذَلِكَ سَوَى ثَلَاثَةِ جَوَامِعَ ، وَنُقِلَتْ تَوَابِيتُ
جَمَاعِيَةِ مِنَ الْخُلَفَاءِ إِلَى الثَّرَبِ مِنَ الرُّصَافَةِ خَوْفًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ تَغْرُقَ مَحَالُّهُمْ ؛
مِنْهُمْ الْمُعْتَصِدُ بْنُ الْأَمِيرِ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ دَفْنِهِ بَنِيْفٍ وَخَمْسِينَ
سَنَةً وَثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ ، وَكَذَا نُقِلَ وَلَدُهُ الْمُكْتَفَى ، " وَكَذَا الْمُتَقَى " بْنُ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ،
رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

وفيهَا هَجَمَتِ الْفِرْنَجُ عَلَى دِمْيَاطَ ، فَهَرَبَ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْجُنْدِ وَالْعَامَّةِ ،
وَاسْتَحُوذَ الْفِرْنَجُ عَلَى الثَّغْرِ ، وَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعِ
الْأَوَّلِ مِنْهَا ، فَنَصَبَ السُّلْطَانُ الْمُخَيَّمُ نَجْمَةَ الْعَدُوِّ بِجَمِيعِ الْجَيْشِ ، وَشَقَّ^(٣) خَلْقًا مِّنْ
هَرَبَ مِنَ الْفِرْنَجِ ، وَلَامَهُمْ عَلَى تَرْكِ الْمَصَابِرَةِ قَلِيلًا لِّيُزْهِبُوا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّهُمْ ،
وَقَوَى الْمَرْضُ ، وَتَزَايَدَ بِالسُّلْطَانِ جَدًّا ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ تُوفِّيَ
إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَنْصُورَةِ ، فَأَخْفَتْ جَارِيَّتُهُ أُمُّ وَلَدِهِ خَلِيلِ الْمَدْعُوءَةِ شَجَرَ الدَّرِّ

(١) لم نقف لهذا الخبر على مصدر ، ولعله فى تاريخ ابن الساعى .

(٢ - ٣) سقط من : الأصل ، وفى م : « وكذا المقتفى » . وهو تصحيح . والتصويب مما تقدم من ترجمة
المقتفى لله فى ٣١٤/١٥ فى وفيات سنة أربع عشرة وثلثمائة . وتقدمت ترجمة المقتفى فى ٣٩٣/١٦ فى
وفيات سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

(٣) فى الأصل : « حبق » . وحقيقه . ضربه بأداة كالجرید أو الحبل أو السوط . الوسيط (ح ب ق) .

موتَه ، وأظهرت أنه مريضٌ مُدْنِفٌ لا يُوصَلُ إليه ، وبقيت تُعَلِّمُ عنه بعلامته سِوَاءَ ، وأعلّمت إلى أعيانِ الأمراء ، فأرسلوا إلى ابنه [٤٠/١٠ ظ] الملكِ المعظمِ ثورانشاه ، وهو بحصنٍ كَثِيفًا ، فأقدموه إليهم سريعًا ، وذلك بإشارةِ أكابرِ الأمراء ؛ منهم فخرُ الدين بنُ الشيخ ، فلما قدِمَ إليهم ملكوه عليهم ، وبايعوه أجمعون ، فركب في عَصَائِبِ المُلْكِ ، وقَاتَلَ الفَرَنْجَ ، فكسَرَهُم وقاتل منهم ثلاثين ألفًا ، وللهُ الحمدُ ، وذلك في أولِ السنةِ الداخلةِ ، ثم قتلوه بعدَ شهرين من مُلكِهِ عليهم ، ضربَهُ بعضُ الأمراء - وهو عزُّ الدين أَيْبُكُ التُّرْكَمانِي ، ^(١) فضربه في يده ، فقطعَ بعضُ أصابعِهِ ^(٢) ، فهرب إلى قصرٍ من خشبٍ في الحَيِّمِ ، فحاصروه فيه ، وأحرقوه عليه ، فخرج من بابِهِ مُسْتَجِيرًا برسولِ الخليفةِ ، فلم يَقْبَلُوا منه ، فهرب إلى التَّيْلِ ، فأنعمَ فيه ، ثم خرج ، فقتلَ سريعًا سَرَّ قَتْلَهُ ، وداسوه بأرجلِهِم ، ودُفِنَ كالجيفةِ ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون . وكان فيمنَ ضربَهُ البُنْدُقدَارِيُّ على كتفِهِ ، فخرجَ السيفُ من تحتِ إبطِهِ الآخرِ ، وهو يَسْتَغِيثُ فلا يُغَاثُ .

ومَن قُتِلَ في هذه السنة :

فخرُ الدين يوسفُ بنُ الشيخِ بنِ حَمُوَيْهِ ^(٣) ، وكان فاضلاً دِينًا مَهِيًّا وقورًا ، خَلِيقًا بالملكِ ، كانت الأمراءُ تُعَظِّمُهُ جدًّا ، ولو دعاهم إلى مُبايعته بعدَ الصالحِ لما اِخْتَلَفَ عليه اثنان ، ولكنه كان لا يَرَى ذلك ؛ حِمَايَةً لجانِبِ بني أيوب ، قَتَلَتْهُ الدَاوِيَّةُ مِنَ الفَرَنْجِ شَهِيدًا قبلَ قُدُومِ المعظمِ ثورانشاه إلى مصرَ ، في ذِي القَعْدَةِ ،

(١ - ١) في الأصل : « وهو جالس على السماط في يده بالسيف وذلك أنه صالح على أيك التركماني فضربه في يده فأنكاه » .

(٢) مرآة الزمان ٧٧٦/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٠٠ ، ونهاية الأرب ٣٣٨/٢٩ ، والعبر ١٩٤/٥ .

وَنُهَبَتْ أَمْوَالُهُ وَخَوَاصِلُهُ وَخِيُولُهُ ، وَخُرِّبَتْ دَارُهُ ، وَلَمْ يَتْرُكُوا شَيْئًا مِنَ الْأَفْعَالِ
السَّيِّئَةِ الْبَشِيعَةِ إِلَّا صَنَعُوهُ بِهِ ، مَعَ أَنَّ الَّذِينَ تَعَاظَوْا ذَلِكَ مِنَ الْأُمَرَاءِ كَانُوا مُعْظَمِينَ
لَهُ غَايَةَ التَّعْظِيمِ . وَمِنْ شَعْرِهِ :

عَصِيَتْ هَوَى نَفْسِي صَغِيرًا فَعِنْدَمَا رَمْتَنِي اللَّيَالِي بِالْمَشِيبِ وَبِالْكِبَرِ
أَطَعْتُ الْهَوَى عَكْسَ الْقَضِيَةِ لِيَسْنَى خُلِقْتُ كَبِيرًا وَانْتَقَلْتُ إِلَى الصَّغَرِ

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة^(١)

فى ثالث المحرم يوم الأربعاء كان كسر المعظم ثورانشاه للفرنج على ثغر دمياط، فقتل منهم ثلاثين ألفاً، وقيل: مائة ألف. وغنموا شيئاً كثيراً، ولله الحمد، ثم قتل جماعة من الأمراء الذين أسروا، وكان فيمن أسير ملك الإفرنجيس وأخوه، وأُرسلت غفارة^(٢) ملك الإفرنجيس إلى دمشق، فلبسها نائبها فى يوم المؤكّب، وكانت من سقرلاط^(٣) أحمر، تحتها فزؤ سنجاب، فأنشد فى ذلك جماعة من الشعراء فرحاً بما وقع، ودخل الفقراء كنيسة مزيم، فأقاموا بها سماعاً^(٤)؛ فرحاً بما نصر الله تعالى على النصارى، وكادوا أن يُخرّبوها، وكانت النصارى يتغلبك وقد فرحوا حين أخذت النصارى دمياط، فلما كانت هذه الكثرة عليهم سخّموا وجوة الصّور، فأرسل نائب البلد فجّاتهم، وأمر اليهود فصّفعوهم، ثم لم يخرج شهر المحرم حتى قتل الأمراء ابن أستاذهم المعظم ثورانشاه، ودفنوه إلى جانب التّيل من الناحية الأخرى، رجمه الله تعالى، ورجم أسلافه بمنّه وكرمه.

(١) مرآة الزمان ٧٧٨/٨ - ٧٨٥ (القسم الثانى)، والذيل على الروضتين ص ١٨٤ - ١٨٦، ونهاية الأرب ٣٥٥/٢٩، والعبر ١٩٥/٥ - ٢٠١.

(٢) الغفارة: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة. والغفارة: المعطف. والجمع غفائر. اللسان (غ ف ر). وانظر السلوك ٣٥٧/١ (القسم الأول) حاشية (٣).

(٣) فى م: «سقرلاط». وفى الذيل على الروضتين: «اسكرلاط»، وفى نهاية الأرب: «اسقلاط». وهو نوع من القماش كان يرد من بلاد أيرلندة لونه قرمى. السلوك ٣٥٧/١ (القسم الأول) حاشية (٤).

(٤) سقط من: م.

تَمْلِكُ الْمَلِكِ الْمُعِزَّ عِزُّ الدِّينِ أَيْتُكَ التُّرْكَمَانِيُّ مِصْرَ

بَعْدَ بَنِي أَيُوبَ ، وَتَدَاوُلُ دَوْلَةُ الْأَتْرَاكِ

لَمَّا قَتَلَ الْأُمَرَاءُ الْبَحْرِيَّةُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّالِحِيَّةِ ابْنَ أُسْتَاذِهِمُ الْمُعْظَمَ غِيَاثَ الدِّينِ ثُورَانْشَاهَ بْنَ الصَّالِحِ أَيُوبَ بْنَ الْكَامِلِ بْنِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُوبَ ، وَكَانَ مُلْكُهُ بَعْدَ أَبِيهِ بِشَهْرَيْنِ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ ، ثُمَّ لَمَّا قُتِلَ وَانْفَصَلَ أَمْرُهُ نَادَوْا فِيمَا بَيْنَهُمْ : لَا بَأْسَ لَا بَأْسَ . وَاسْتَدْعَوْا مِنْ بَيْنِهِمُ الْأَمِيرَ عِزَّ الدِّينِ أَيْتُكَ التُّرْكَمَانِيُّ ، [١٠/٤١٠] فَمَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ وَبَايَعُوهُ ، وَلَقَّبُوهُ بِالْمَلِكِ الْمُعِزِّ ، وَرَكِبُوا إِلَى الْقَاهِرَةِ ، ثُمَّ بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ أَقَامُوا لَهُمْ صَبِيئًا مِنْ بَنِي أَيُوبَ ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ ، وَهُوَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مُظَفَّرُ الدِّينِ مُوسَى بْنُ النَّاصِرِ يَوْشَفَ بْنِ الْمَسْعُودِ^(١) أَقْسِيسَ بْنَ الْكَامِلِ ، وَجَعَلُوا الْمُعِزَّ أَتَابِكَهُ ، فَكَانَتِ السَّكَّةُ وَالْخُطْبَةُ بِاسْمِهِمَا ، وَكَاتَبُوا أُمَرَاءَ الشَّامِ بِذَلِكَ ، فَمَا تَمَّ لَهُمُ الْأَمْرُ بِالشَّامِ ، بَلْ خَرَجَ عَنْ أَيْدِيهِمْ ، وَلَمْ تَسْتَقِرَّ لَهُمُ الْمَمْلَكَةُ إِلَّا عَلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ الْخَاتُونِ شَجَرِ الدَّرَّ أُمِّ خَلِيلِ حَظِيَّةِ الصَّالِحِ أَيُوبَ ، فَتَزَوَّجَتْ بِالْمُعِزِّ ، وَكَانَتِ الْخُطْبَةُ وَالسَّكَّةُ بِاسْمِهَا ، يُدْعَى لَهَا عَلَى الْمَنَابِرِ أَيَّامَ الْجُمُعِ بِمِصْرَ وَأَعْمَالِهَا ، وَكَذَا تُضْرَبُ السَّكَّةُ بِاسْمِهَا أُمِّ خَلِيلِ ، وَالْعَلَامَةُ عَلَى الْمَنَاشِيرِ وَالتَّوَاقِيعِ بِخَطِّهَا وَاسْمِهَا ، مَدَّةَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ قَبْلَ الْمُعِزِّ ، ثُمَّ آلَ أَمْرُهَا إِلَى مَا سَنَذْكُرُهُ مِنَ الْهَوَانِ وَالْقَتْلِ .

ذِكْرُ مُلْكِ النَّاصِرِ بْنِ الْعَزِيزِ بْنِ الظَّاهِرِ بْنِ

النَّاصِرِ فَاتِحِ الْقُدْسِ ، صَاحِبِ حَلَبَ ، لَدِمَشْقَ حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى

لَمَّا وَقَعَ بِالْدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مِنْ قَتْلِ الْأُمَرَاءِ لِلْمُعْظَمِ ثُورَانْشَاهِ بْنِ الصَّالِحِ أَيُوبَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْمَنْصُور » .

رَكِبَ الْحَلَبِيُّونَ ، مَعَهُم ابْنُ أَشْتَاذِهِمُ النَّاصِرُ يَوْسُفُ بْنُ الْعَزِيزِ مُحَمَّدُ بْنُ الظَّاهِرِ غَازِي بْنِ النَّاصِرِ يَوْسُفَ فَاتَحَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ، وَمَنْ كَانَ عَنْدهُمْ مِنْ مُلُوكِ بَنِي أُيُوبَ ، مِنْهُمْ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْعَادِلِ ، وَكَانَ أَحَقَّ الْمَوْجُودِينَ بِالْمُلْكِ ، مِنْ حَيْثُ السُّنُّ وَالْعُقْلُ^(١) وَالْحَزْمَةُ وَالرِّيَاسَةُ ، وَمِنْهُمْ النَّاصِرُ دَاوُدُ بْنُ الْمُعْظَمِ بْنِ الْعَادِلِ ، وَالْأَشْرَفُ مُوسَى بْنُ الْمَنْصُورِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرُكُوهِ الَّذِي كَانَ صَاحِبَ حَمَصَ ، وَغَيْرُهُمْ ، فَجَاءُوا إِلَى دِمَشْقَ ، فَحَاصَرُوهَا فَمَلَكَوْهَا سَرِيعًا ، وَنَهَبَتْ دَارُ ابْنِ يَغْمُورَ ، وَحُبِسَ فِي الْقَلْعَةِ ، وَتَسَلَّمُوا مَا حَوْلَهَا ، كِبْغَلْبَكُ وَبُضْرَى وَالصَّلْتِ وَعَجْلُونُ^(٢) وَصَرْخَدَ ، وَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِمُ الْكَرْكُ وَالشُّوْبُكُ بِالْمُلْكِ الْمُغِيثِ عَمَرُ بْنُ الْعَادِلِ بْنِ الْكَامِلِ ، كَانَ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَيْهِمَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ حِينَ قُتِلَ الْمُعْظَمُ ثَوْرَانِشَاهَ ، فَطَلَبَهُ الْمِصْرِيُّونَ لِيُتَمَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ ، فَخَافَ مِمَّا حَلَّ بِابْنِ عَمِّهِ ، فَلَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِمْ .

وَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ يَدُ الْحَلَبِيِّينَ عَلَى دِمَشْقَ وَمَا حَوْلَهَا جَلَسَ النَّاصِرُ فِي الْقَلْعَةِ ، وَطَيَّبَ قُلُوبَ النَّاسِ ، ثُمَّ رَكِبُوا إِلَى غَزَّةَ لِيَتَسَلَّمُوا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ ، فَبَرَزَ إِلَيْهِمُ الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ ، فَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ ، فَكُسِرَ الْمِصْرِيُّونَ أَوَّلًا بِحَيْثُ إِنَّهُ خُطِبَ لِلنَّاصِرِ بِهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ ، ثُمَّ كَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى الشَّامِيِّينَ ، فَانْهَزَمُوا وَأَسِرَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَعَلِمَ مِنَ الْجَيْشِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَدْ أَنْشَدَ هُنَا الشَّيْخُ أَبُو شَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِبَعْضِهِمْ^(٣) :

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْعَقْدَد » ، وَفِي م : « التَّعَدُّد » . وَالثَّبْتُ مَا يَسْتَقِيمُ بِهِ السِّيَاقُ .

(٢) سَقَطَ مِنْ : م .

(٣) لَمْ تَقَفْ عَلَى الْبَيْتَيْنِ فِي الذِّيلِ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ، وَهُمَا فِي الْمَنْهَلِ الصَّافِي ٤٢٢/٢ ، وَنَسَبُهُمَا إِلَى أَحْمَدَ بْنِ الْمَعْلَمِ .

ضَيْعُ إِسْمَاعِيلُ أَمْوَالُنَا وَخَرَّبَ الْمَغْنَى بِلَا مَعْنَى
وَرَا حَ مِنْ جَلَّقَ^(١) هَذَا جَزَا مَنْ أَفْقَرَ النَّاسَ وَمَا اسْتَعْنَى

ذَكَرْ شَيْءٌ مِنْ تَرْجِمَةِ الصَّالِحِ^(٢) أَبِي الْخَيْشِ^(٣) إِسْمَاعِيلَ وَقَفَ تَرْبَةً أُمُّ الصَّالِحِ .
وَقَدْ كَانَ الصَّالِحُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، مَلِكًا عَاقِلًا حَازِمًا ، تَقَلَّبَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ أَطْوَارًا
كَثِيرَةً ، وَقَدْ كَانَ الْأَشْرَفُ مُوسَى أَوْصَى لَهُ بِدَمَشَقَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَمَلَكَهَا شَهْرًا ،
ثُمَّ انْتَزَعَهَا مِنْهُ أَخُوهُ الْكَامِلُ ، ثُمَّ مَلَكَهَا مِنْ يَدِ الصَّالِحِ أَيُوبَ خَدِيعَةً وَمَكْرًا ،
فَاسْتَمَرَّ فِيهَا أَزِيدَ مِنْ أَرْبَعِ سِنِينَ ، ثُمَّ اسْتَعَادَهَا مِنْهُ الصَّالِحُ أَيُوبُ عَامَ الْخَوَازَرْمِيَّةِ
سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ ، وَاسْتَقَرَّتْ بِيَدِهِ بَلْدَاهُ بَغْلَبُكُ وَبُضْرَى ، ثُمَّ أُخِذَتَا مِنْهُ كَمَا
ذَكَرْنَا ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ بَلَدٌ يَأْوِي إِلَيْهِ ، فَلَجَأَ إِلَى الْمَمْلَكَةِ الْحَلَبِيَّةِ فِي جَوَارِ النَّاصِرِ
يُوسُفَ صَاحِبِ حَلَبَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَمَا ذَكَرْنَا [٤١٠/١٠ ط] عُدِمَ
بِالْدِيَارِ الْمَصْرِيَّةِ فِي الْمَعْرَكَةِ ، فَلَا يُدْرَى مَا فُعِلَ بِهِ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَهُوَ وَقَفُ
الثُّبُوبَةِ وَالْمَدْرَسَةِ وَدَارِ الْحَدِيثِ وَالْإِقْرَاءِ بِدَمَشَقَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَغْيَانِ وَالْمَشَاهِيرِ :

الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ ثُورَانُ شَاهِ بْنِ الصَّالِحِ أَيُوبَ بْنِ الْكَامِلِ بْنِ الْعَادِلِ^(٤) ، كَانَ

(١) جَلَّقَ : اسْمٌ لِدَمَشَقَ ، أَوْ غَوَّطَهَا . تَاجُ الْعُرُوسِ (ج ل ق) .

(٢ - ٣) سَقَطَ مِنْ : م . وَفِي الْأَصْلِ : « أَبِي الْخَيْشِ » . وَالْمَثْبُوتُ مِنَ الْمَشْتَبِهِ ٢٥٦/١ ، وَتَبْصِيرُ الْمُنْتَبِهِ ١/٢٨٣ . وَانْظُرْ تَرْجِمَتَهُ فِي : سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٣٤/٢٢ ، وَالْعَبْرَ ١٩٨/٥ ، وَالْوَفَا بِالْوَفَايَاتِ ٢١٥/٩ ، وَعَقْدَ الْجَمَانِ ٤٧/١ ، وَالْمَنْهَلُ الصَّافِي ٤٢٠/٢ . وَوَقَعَ فِي الْعَبْرَ وَعَقْدَ الْجَمَانِ وَالْمَنْهَلُ الصَّافِي : « أَبُو الْخَيْشِ » .

(٣) مَرَأَةُ الزَّمَانِ ٧٨١/٨ (الْقِسْمُ الثَّانِي) ، وَالذَّلِيلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ١٨٥ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣٥٩/٢٩ ، وَسِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٩٣/٢٣ ، وَالْعَبْرَ ١٩٩/٥ ، وَالْوَفَا بِالْوَفَايَاتِ ٤٤٥/١٠ ، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى لِلْسَّيْكِ ١٣٤/٨ .

أولاً صاحب حصنٍ كَيْفًا فى حياة أبيه ، وكان أبوه يَشْتَدِّعِيهِ إليه فى أيامه فلا يُجِيبُهُ ، فلما تُوفِّى أبوه كما ذَكَرْنَا اسْتَدْعَاهُ الأُمَرَاءُ ، فأجابهم وجاء إليهم فملكوه عليهم ، ثم قتلوه كما ذَكَرْنَا ، وذلك يومَ الاثنين السابعَ والعشرين من المحَرَّم ، وقد قيل : إنه كان مُتَخَلِّعًا لا يَصْلُحُ لِلْمُلْكِ . وقد رُئِيَ أبوه فى المنام بعدَ قتلِ ابنه ، وهو يقول :

قَتَلُوهُ شَرًّا قَتَلَهُ صار للعالمِ مُثْلَهُ
لم يُرَاعُوا فِيهِ إِلَّا لا ولا مَنْ كان قبلَهُ
سَتَرَاهُمْ عَنْ قَرِيبٍ لأقلِّ الناسِ أَكْلَهُ

وكان ما ذَكَرْنَا مِنْ اقْتِتَالِ المَصْرِينَ والشَّامِيِّينَ .

ومن عُدم فيما بَيْنَ الصَّفَفَيْنِ مِنْ أَعْيَانِ الأُمَرَاءِ والمُسْلِمِينَ ، فمنهم الشمسُ نُؤْلُؤُ^(١) مُدَبَّرُ مَمَالِكِ الحَلَبِيِّينَ ، وكان مِنْ خِيَارِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ الآمِرِينَ بالمَعْرُوفِ والنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ .

«وَأَقِفَةُ الْحَافِظِيَّةِ»^(٢) : وفيها كانت وفاةُ الخاتونِ أرغون^(٣) الحَافِظِيَّةِ ، سُمِّيَتْ الحَافِظِيَّةُ لخدمَتِهَا وتربيتِهَا الحافظَ صاحبَ قلعةِ جَعْبَرٍ ، وكانت امرأةً عاقلةً مُدَبَّرَةً ، عُمِّرَتْ دهرًا ، ولها أموالٌ جَزِيلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وهى التى كانت تُصْلِحُ الأَطْعِمَةَ لِلْمُغِيثِ عَمَرَ بْنِ الصَّالِحِ أَيُوبَ ، فصَادَرَهَا الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ ، وأَخَذَ

(١) مرآة الزمان ٧٨٣/٨ (القسم الثانى) .

(٢ - ٣) سقط من : م . وانظر ترجمتها فى : الوافى بالوفيات ٣٥١/٨ ، وعقد الجمان ٥٠/١ ، والنجوم الزاهرة ٢١/٧ .

(٣) فى م : «أرغوانية» ، وفى عقد الجمان والنجوم الزاهرة : «أرغوان» .

منها أربعمائة صندوقٍ من المالِ ، وقد وقَّفت دارَها بدمشقَ على خُدَّامِها ، واشترت بُسْتانَ النَّجيبِ ياقوتَ الذي كان خادِمَ الشيخِ تاجِ الدينِ الكِنْدِيِّ ، وجعلت فيه تُوْبَةً وَمَسْجِدًا ، ووقَّفت عليهما ^(١) أَوْقَافًا جَيِّدَةً ، رَحِمَها اللهُ .

واقفُ الأَمِينِيَّةِ التي ببغلبَك ، أَمِينُ الدَّولَةِ أَبُو الحَسَنِ غَزَّالُ الْمُتَطَبِّبِ ^(٢) ، وزيرُ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ أَبِي الحَيْشِ الذي كان مَشْغُومًا على نَفْسِهِ وعلى سُلْطَانِهِ ، وسببًا في زَوَالِ النُّعْمَةِ عنه وعن مَخْدُومِهِ ، وهذا هو وزيرُ السَّوءِ ، وقد اتَّهَمَهُ السُّبُطُ ^(٣) بأنَّه كان مُتَسَتِّرًا ^(٤) بالدينِ ، وأنَّه لم يَكُنْ له في الحَقِيقَةِ دينٌ ، فأراحَ اللهُ تعالى مِنْهُ عَامَّةَ المُسلمينَ ، وكان قَتْلُهُ في هذه السَّنَةِ لَمَّا عُذِمَ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ بديارِ مِصرَ ؛ عَمَدٌ مِّنْ عَمَدِ الأُمَرَاءِ إِلَيْهِ وإِلَى ابْنِ يَغْمُورِ ناصِرِ الدينِ ، فشَنَقُوهُما وصلَّبُوهُما على القلعة بِمِصرَ . وقد وُجِدَ لِأَمِينِ الدَّولَةِ غَزَّالٍ هذا مِنْ الأُمُوالِ والتَّحْفِ والجَواهرِ والأَثاثِ ما يُساوِي ثَلَاثَةَ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَعَشْرَةُ أَلْفِ مَجْلِدٍ بِخَطِّ مَنْسُوبٍ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ الخُطُوطِ النَّفِيسَةِ الفَائِقَةِ .

(١) في الأصل ، م : « عليها » . والمثبت من الدارس ٢٤٣/٢ نقلًا عن المصنف .
(٢) مرآة الزمان ٧٨٤/٨ (القسم الثاني) ، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٧٢٣ ، والعبر ٥/١٩٩ ، وعقد الجمان ٤٦/١ ، والنجوم الزاهرة ٢١/٧ .
(٣) مرآة الزمان ٧٨٤/٨ (القسم الثاني) .
(٤) في م : « مستهترا » .

ثم دَخَلَتْ سَنَةً تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ

فيها^(١) عاد الملكُ الناصرُ صاحبُ حَلَبٍ إلى دمشقَ، وقَدِمَت عَسَاكِرُ
المصريينَ، فحَكَمُوا على بلادِ السواحلِ إلى حَدِّ الشَّرِيعَةِ^(٢)، فجهَّزَ إليهم الناصرُ
جيشًا، فطردوهم حتى رَدُّوهم إلى الديارِ المصريةِ، وقصَّروهم عليها.

وتزوَّجَتْ في هذه السَّنَةِ أُمُّ خَلِيلٍ شَجَرُ الدَّرِّ بِالْمَلِكِ الْمُعِزِّ عَزَّ الدِّينِ أَيْتُكَ
التُّرْكَمانِيَّ، مَمْلُوكٍ زَوْجِهَا الصَّالِحِ أَيُوبَ.

وفيها نُقِلَ تابوتُ الصَّالِحِ أَيُوبَ إلى تربيته بمدرسته، وَلِبِسَتْ الأتراكُ ثِيَابَ
الغَزاءِ، [٤٢١/١٠] وَتَصَدَّقَتْ أُمُّ خَلِيلٍ بِأَمْوَالٍ جَزِيلَةٍ.

وفيها خَرَبَتِ الثُّرُكُ دِمْنِيَّاطَ، وَنَقَلُوا آلَئِهَا^(٣) إلى مصرَ، وَأَخْلَوْا الجزيرةَ أَيْضًا
خَوْفًا مِنْ عَوْدِ الْفِرَنْجِ.

وفيها كَمَلَ شَرْحُ الْكِتَابِ الْمُسَمَّى بِـ «نَهْجِ الْبَلَاغَةِ» فِي عَشْرِينَ مَجْلَدًا مِمَّا
أَلَّفَهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ هَبِيبَةَ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحَدِيدِ الْمَدَائِنِيُّ، الْكَاتِبُ لِلْوَزِيرِ مُؤَيَّدِ الدِّينِ بْنِ
الْعَلْقَمِيِّ، فَأُطْلِقَ لَهُ الْوَزِيرُ مِائَةَ دِينَارٍ وَخِلْعَةً وَفَرَسًا، وَامْتَدَّحَهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ
بِقَصِيدَةٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ شَيْعِيًّا مُعْتَرِئًا.

(١) مرآة الزمان ٨/ ٧٨٥، ٧٨٦ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٨٧، ونهاية الأرب ٢٩/ ٤٢٣ - ٤٢٦، وعقد الجمان ١/ ٥٣ - ٥٥.

(٢) الشريعة: أى نهر الشريعة، وهو موضع بالقرب من بيت المقدس. انظر تاج العروس (ش ر ع).

(٣) فى م: «الأهالي».

وفى رمضان استُدعى الشيخ سراج الدين عمر بن بركة التَّهْرُقُلِيُّ مدرسُ
النَّظامية ببغداد، فولى قضاء القضاة ببغداد مع التدريس المذكور، وتخلع عليه.

وفى شعبان^(١) ولى تاج الدين عبد الكريم بن أستاذ دار الشيخ مُحْيِي الدين
يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي حشبة بغداد بعد أخيه عبد الله الذي
تركها تزهدا عنها، وتخلع عليه بطرحة، ورفع على رأسه غاشية، وركب
الحجاب في خدمته.

وفى هذه السنة ضلّت صلاة العيد يوم الفطر بعد العصر، وهذا اتفاق
غريب.

وفيهما وصل كتاب إلى الخليفة من ملك اليمن صلاح الدين يوسف بن عمر
ابن رسول يذكر فيه أن رجلاً باليمن خرج يدعى الخلافة، وأنه أنفذ إليه جيشاً،
فكسروه وقتلوا خلقاً من أصحابه، وأخذ منه صنعاء، وهرب هو بنفسه في
شِرْذمة قليلة ممن بقى من أصحابه.

وفيهما أرسل إليه الخليفة بالخلع والتقليد.

وفيهما كانت وفاة بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة الجميزي^(٢)
خطيب القاهرة، رحل في صغره إلى العراق، فسمع شهدة^(٣) وغيرها، وكان
فاضلاً، أثقن معرفة مذهب الشافعي، رحمه الله تعالى، وكان ديتاً حسن

(١) فى الأصل: «شوال».

(٢) فى م: «الحميرى». وانظر ترجمته فى مرآة الزمان ٧٨٦/٨ (القسم الثانى). والذيل على الروضتين
ص ١٨٧، ونهاية الأرب ٤٢٣/٢٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٥٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي
٣٠١/٨.

(٣) فى م: «بها». وشهادة: هى شهادة الكاتبة. انظر ترجمتها فى سير أعلام النبلاء ٢٠/٥٤٢.

الأخلاق ، واسع الصدر ، كثير البر ، قلَّ أن قَدِمَ عليه أحدٌ إلا أطعمه شيئاً ، وقد سَمِعَ الكثيرَ على السَّلفِ وغيره ، وأَسْمَعَ الناسَ شيئاً كثيراً من مَزَويَّاتِهِ ، وكانت وفاته في ذى الحِجَّةِ مِن هذه السَّنة ، وله تسعون سنةً ، ودُفِنَ بالقرافة ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أَقْضَى الْقُضَاةِ أَبُو الْفَضْلِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللَّمَّغَانِيُّ الْحَنْفِيُّ ^(١) ، مِنْ بَيْتِ الْعِلْمِ وَالْقَضَاءِ ، دَرَسَ بِمَشْهَدِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَنَابَ عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ ابْنِ فَضْلَانَ الشَّافِعِيِّ ، ثُمَّ عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبِي صَالِحٍ نَصْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْحَنْبَلِيِّ ، ثُمَّ عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُقْبِلِ الْوَاسِطِيِّ ، ثُمَّ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ اسْتَقْبَلَ الْقَاضِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ اللَّمَّغَانِيُّ الْمَذْكُورُ بِوِلَايَةِ الْحَكَمِ بَيْغَدَادَ ، وَلُقِّبَ أَقْضَى الْقُضَاةِ ^(٢) ، وَدَرَسَ لِلْحَنْفِيَّةِ بِالْمُسْتَنْصَرِيَّةِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ ، وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيْرِ فِي أَحْكَامِهِ وَنَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ . وَلَمَّا تُوفِّيَ تَوَلَّى بَعْدَهُ قَضَاءَ الْقُضَاةِ بَيْغَدَادَ شَيْخُ النُّظَامِيَّةِ سِرَاجُ الدِّينِ النَّهْرَقَلِيُّ .

(١) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٥٠ ، والجواهر المضية ٢/ ٣٨١ ، وعقد الجمان ١/ ٥٦ .

(٢) بعده في م : « ولم يخاطب بقاضى القضاة » .

سنة خمسين وستمئة

فيها^(١) وصلت التتار إلى الجزيرة وسروج ورأس العين وما والى هذه البلاد ، فقتلوا وسبوا ونهبوا وخرّبوا ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، ووقعوا بتجار^(٢) يسيرون بين حرّان ورأس العين ، فأخذوا منهم ستمائة حمل سكر ومعمول من الديار المصرية ، وستمئة ألف دينار ، وكان عدّة من قتلوا في هذه السنة من أهل الجزيرة نحوًا من عشرة آلاف قتيل ، وأسروا من الولدان والنساء ما يقارب ذلك ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

[٤٢/١٠ ظ] قال السبّط^(٣) : وفيها حجّ الناس من بغداد ، وكان لهم عشر سنين لم يحجّوا من زمن المستنصر .

وفيها^(٤) وقع حريق بحلب ، احترق بسببه ستمائة دار ، يقال : إن الفرج ، لعنهم الله تعالى ، ألّقوه فيها قُصداً .

وفيها أعاد قاضى القضاة عمر بن على التّهرقلى أمر المدرسة التاجية التى كان قد استحوذ عليها طائفة من العوام ، وجعلوها كالتيسارية يتبايعون فيها مدة طويلة ، وهى مدرسة جيدة حسنة قريبة الشبه من النظامية ، وقد كان بانيتها يقال

(١) مرآة الزمان ٧٨٧/٨ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٧ ، ونهاية الأرب ٤٢٦/٢٩ ، والعبر ٢٠٤/٥ .

(٢) فى م : « بسنجار » .

(٣) مرآة الزمان ٧٨٧/٨ (القسم الثانى) .

(٤) انظر السلوك ٣٨٤/١ (القسم الثانى) .

له : تاجُ الملِّك . وزيرُ مَلِكشاه السَّلجوقي ، وأوَّلُ مَنْ درَّسَ بها الشَّيخُ أبو بكرِ الشاشي .

وفيها كانت وفاةُ جمالِ الدينِ بنِ مطروح^(١) ، وقد كان فاضلاً رئيساً كَيِّساً شاعراً من خيارِ الْمُتَعَمِّمين ، ثم اسْتَنَابَهُ الملِّكُ الصالحُ أيوبُ في وقتٍ على دمشق ، فليس لبسَ الجُنْدِ . قال السُّبُّطُ^(٢) : وكان لا يَلِيْقُ في ذلك . ومن شعره في الناصرِ داوُدَ صاحبِ الكَرْكِ لما اسْتَعَادَ القُدسَ مِنَ الفِرْجِ حِينَ سَلَّمَتِ إِلَيْهِمْ في سَنَةِ سِتٍّ وثلاثين في الدولةِ الكاملية ، فقال هذا الشاعرُ ابنُ مطروح :

المسجدُ الأَقْصَى له عادةٌ سارَتْ فصارت مثلاً سائِراً
إذا غدا للكفرِ مُسْتَوْطِناً أن يَبْعَثَ اللَّهُ له ناصِراً
فناصرٌ طَهَّرَه أوَّلًا وناصرٌ طَهَّرَه آخِراً

ولما عزَّله الصالحُ عن النِّبَايةِ أقام خاملاً ، وكان كثيرَ البرِّ بالفُقراءِ والمساكين ، وكانت وفاته بمصر .

وفيها تُوفِّي شمسُ الدينِ مُحَمَّدُ بنُ سَعِيدِ المَقْدِسِيِّ^(٣) ، الكاتبُ الحَسَنُ الخطَّ ، كان كثيرَ الأدبِ ، سَمِعَ الكثيرَ ، وخدمَ السلطانَ الصالحَ إِسْماعِيلَ والناصرَ داوُدَ ، وكان دَيِّناً فاضلاً شاعراً ، له قصيدةٌ يَنْصَحُ فيها السلطانَ الصالحَ إِسْماعِيلَ ، وما يَلْقَاهُ الناسُ مِنْ وزيرِهِ وقاضيه وغيرِهِما مِنْ حَواشِيهِ^(٤) .

(١) مرآة الزمان ٧٨٨/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٧ ، ووفيات الأعيان ٦/٢٥٨ ، وفيه أنه توفي سنة تسع وأربعين وستمائة ، وكذا في سير أعلام النبلاء ٢٣/٢٧٣ .

(٢) مرآة الزمان ٧٨٩/٨ (القسم الثاني) .

(٣) مرآة الزمان ٧٨٧/٨ (القسم الثاني) ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٤٩ ، والوفاء بالوفيات ٣/٩١ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢/٢٤٨ ، وعقد الجمان ١/٧٤ .

(٤) بعده في حاشية الأصل : « وكانت وفاته بدمشق ودفن بقاسيون » .

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا : عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ ^(١) «الْمَغْرِبِيُّ أَبُوهُ» ، وَلِدَ بَيْغَدَادَ ، وَسَمِعَ بِهَا الْحَدِيثَ ، وَغْنَى بِطَلَبِ الْعِلْمِ ، وَصَنَّفَ كِتَابًا فِي مَجَلَدَاتٍ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ فِي الْحَدِيثِ ، وَحَرَّرَ فِيهِ حِكَايَةَ مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

الشيخ أبو عبد الله محمد بن غانم بن كريم ^(٢) الأصبهاني ، قديم بغداد ، وكان شاذًا فاضلاً ، فَتَلَمَذَ لِلشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ الشُّهُرُزْدِيِّ ^(٣) ، فَانْتَفَعَ بِهِ ، وَتَكَلَّمَ بَعْدَهُ عَلَى النَّاسِ فِي ^(٤) التَّصَوُّفِ ، وَفِيهِ لَطَافَةٌ ، وَمِنْ كَلَامِهِ فِي الْوَعْظِ : الْعَالَمُ كَالذَّرَّةِ فِي فُضَاءٍ عَظَمَتِهِ ، وَالذَّرَّةُ كَالْعَالَمِ فِي كِتَابِ حِكْمَتِهِ ، الْأَصُولُ فُرُوعٌ إِذَا تَجَلَّى جَمَالُ أَوَّلِيَّتِهِ ، وَالْفُرُوعُ أَصُولٌ إِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِ نَفْيِ الْوَسَائِطِ شَمْسُ آخِرِيَّتِهِ ، أَسْتَأْزِلُ اللَّيْلَ مَسْدُولَةً ، وَشُمُوعُ الْكَوَاكِبِ مَشْعُولَةً ، وَأُعْيِنُ الرُّقَبَاءَ عَنِ الْمُشْتَاقِينَ مَشْغُولَةً ، وَحِجَابُ الْحُجُبِ عَنْ أَبْوَابِ الْوَصْلِ مَطْرُودَةٌ مَغْرُودَةً ، مَا هَذِهِ الْوَقْفَةُ ^(٥) وَالْحَبِيبُ قَدْ فَتَحَ الْبَابَ ؟ ! مَا هَذِهِ الْفِتْرَةُ وَالْمَوْلَى قَدْ صَرَفَ ^(٥) حَاجِبَ الْحُجَابِ ؟ !

وَقُوفِي بِأَكْنَافِ الْعَقِيقِ عُقُوقُ إِذَا لَمْ أَرِدْ وَالْدَمْعُ فِيهِ عَقِيقُ
وَإِذَا لَمْ أُمُتْ شَوْقًا إِلَى سَاكِنِ الْحِمَى فَمَا أَنَا فِيمَا أَدَّعِيهِ صَدُوقُ
أَيَا رَبِّعٍ لَيْلَى مَا الْمُحِيطُونَ فِي الْهَوَى سِوَاءَ وَلَا كُلُّ الشَّرَابِ رَحِيقُ

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ : «الْمَقْرَى» . وَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي عَقْدِ الْجَمَانِ ١/ ٧٤ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : «عَبْدُ الْكَرِيمِ» . وَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي عَقْدِ الْجَمَانِ ١/ ٧٥ .

(٣ - ٣) فِي م : «وَكَانَ حَسَنَ الطَّرِيقَةِ ، لَهُ يَدٌ فِي التَّفْسِيرِ ، وَلَهُ تَفْسِيرٌ عَلَى طَرِيقَةِ» .

(٤) فِي م : «الْوَقْعَةُ» .

(٥) فِي م : «خَرَقُ» .

ولا كُلُّ مَنْ يَلْقَاكَ ^(١) يَلْقَاكَ قَلْبُهُ ولا كُلُّ مَنْ يَحْنُو إِلَيْكَ مَشُوقٌ
تَكَاثَرَتِ الدَّعْوَى عَلَى الْحُبِّ فَاسْتَوَى أَسِيرُ صَبَابَاتِ الْهَوَى وَطَلِيقُ

أَيُّهَا الْآمَنُونَ ، هل فيكم مَنْ يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ ؟ أَيُّهَا الْمَحْبُوسُونَ فِي مَطَامِيرِ
مُسْمِيَّاتِهِمْ ، هل فيكم سَلِيمَانُ ^(٢) الْفَهْمِ لِفَهْمِ رُمُوزِ الْوُحُوشِ وَالْأَطْيَارِ ؟ هل فيكم
مُوسَى الشَّوْقِ [٤٣/١٠] يَقُولُ بِلِسَانِ شَوْقِهِ : أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ، فَقَدْ طَالَ
الْإِنْتِظَارُ !؟

وَقَالَ بَعْدَ الْاسْتِشْقَاءِ : لَمَّا صَعِدْتَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَفْسُ الْمُشْتَاكِ ، بَكَتْ أَمَاقُ
الْآفَاقِ ، وَجَادَتْ بِالذَّرِّ مُرْضِعَةَ السَّحَابِ ، فَامْتَصَّ لَبَنَ الرَّحْمَةِ رَضِيعُ التَّرَابِ ،
وَخَرَجَ مِنْ أَخْلَافِ الْغَمَامِ نِطَافُ الْمَاءِ النَّمِيرِ ، فَاهْتَزَّتْ بِهِ الْهَامِدَةُ وَقَرَّتْ عُيُونُ
الْعَدِيرِ ^(٣) ، وَتَزَيَّنَتْ الرِّيَاضُ بِالسُّنْدُسِ الْأَخْضَرِ ، فَحَبَّرَ الصَّبْغُ حَبْرَهَا أَحْسَنَ تَحْبِيرِ ،
وَانْفَلَقَ بِأَمَلَةِ الصَّبَا أَكْمامُ الْأَنْوَارِ ، وَانْشَقَّتْ بِنَفْحَاتِ أَنْفَاسِهِ جُيُوبُ الْأَزْهَارِ ،
وَنَطَقَتْ أَجْزَاءُ الْكَائِنَاتِ بِلُغَاتِ صِفَاتِهَا وَعَادَاتِ عِبْرَتِهَا : أَيُّهَا النَّائِمُونَ تَنَقَّطُوا ، أَيُّهَا
الْمُسْتَعِدُّونَ ^(٤) تَعَرَّضُوا : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى ءَاثِرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْجِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم : ٥٠] .

أَبُو الْفَتْحِ نَصْرُ اللَّهِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ
يَحْيَى بْنِ بَصَاقَةَ ^(٥) الْغِفَارِيُّ الْكِنَانِيُّ الْمِصْرِيُّ ، ثُمَّ الدَّمَشَقِيُّ ، كَانَ مِنْ أَحْصَاءِ

(١) فِي م : « تَلْقَاه » .

(٢) فِي م : « سَلِيم » .

(٣) فِي م : « الْمَدِير » .

(٤) فِي م : « الْمُبْعَدُونَ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « بَرَاقَهُ » ، وَفِي م : « صَاقَعَةُ » . وَالثَّبُوتُ مِنْ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ : فَوَاتُ الْوَفِيَّاتِ ٤/ ١٨٧ ،
وَالسُّلُوكُ ١/ ٣٨٥ (الْقِسْمُ الْأَوَّلُ) ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ١/ ٧٥ .

الملك المعظم وولده الناصر داود، وقد سافر معه إلى بغداد في سنة ثلاث وثلاثين
وستمائة، وكان أديباً مليحاً المحاضرة، ومن شعره:

ولمّا أبَيْتُكُمْ سادتي عن زيارتي	وعوّضْتُكُمْوني بالبعادِ عن القربِ
ولم تَسْمَحُوا بالوَصْلِ في حالِ يَقْظَتِي	ولم يَصْطَبِرْ عنكم لِرِقَّتِهِ قلبِي
نصَبْتُ لصيدِ الطيفِ جَفْنِي حِبالَةً	فأَذْرَكْتُ خفضَ العيشِ بالنومِ والنصبِ

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وستمائة

فيها^(١) دخل الشيخ نجم الدين الباذرائي رسول الخليفة بين صاحب مصر وصاحب الشام، وأصلح بين الجيشين، وكانوا قد اشتدت الحرب بينهم ونشبت، وقد مألأ الجيش المصري الفرج، ووعدهم أن يُسلموا إليهم بيت المقدس إن نصرهم على الشاميين، وجرت خطوب كثيرة، فأصلح بينهم وخلص جماعة من ثيوت الملوك من الديار المصرية؛ منهم أولاد الصالح إسماعيل، وبنو الأشرف وغيرهم من أولاد صاحب حمص وغيرهم، فجزاه الله خيراً.

وفيها، فيما ذكر ابن الساعي، كان رجلٌ ببغداد على رأسه^(٢) زبادي قاشاني^٣، فزلق فتكسرت، ووقف يتكى، فتألم الناس له لفقره وحاجته، وأنه لم يكن يملك غيرها، فأعطاه رجلٌ من الحاضرين ديناراً، فلما أخذه نظر فيه طويلاً، ثم قال: والله هذا الدينار أعرفه، وقد ذهب مني في جملة دنانير عام أول، فشتمه بعض الحاضرين، فقال له ذلك الرجل: فما علامة ما قلت؟ قال: زنة هذا كذا وكذا. وكان معه ثلاثة وعشرون ديناراً، فوزنوه فوجدوه^(٣) كما ذكر، فأخرج له الرجل ثلاثة وعشرين ديناراً، وكان قد وجدها^٣، كما قال، حين

(١) مرآة الزمان ٧٨٩/٨، ٧٩٠ (القسم الثاني)، والذيل على الروضتين ص ١٨٧، ١٨٨، ونهاية الأرب ٤٢٦/٢٩.

(٢ - ٢) في م: «قابسي». والزبادي: جمع زبدية، وهي وعاء من خزف. وقاشاني: نسبة إلى قاشان، وهي مدينة قرب أصفهان. انظر تاج العروس، والوسيط (ز ب د)، ومعجم البلدان ١٠/٤.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

سَقَطَتْ مِنْهُ ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا أَنْ رَجُلًا بِمَكَّةَ نَزَعَ ثِيَابَهُ لِيُعْتَسِلَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ، وَأَخْرَجَ مِنْ عَضْدِهِ دُمْلُجًا^(١) زَنْتَهُ خَمْسُونَ مِثْقَالًا ، فَوَضَعَهُ مَعَ ثِيَابِهِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ اغْتِسَالِهِ لَيْسَ ثِيَابُهُ ، وَنَبَسَ الدُّمْلُجَ وَمَضَى ، وَصَارَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَبَقِيَ مَدَّةَ سِتِينَ^(٢) بَعْدَ ذَلِكَ ، وَأَيْسَ مِنْهُ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ سِوَى شَيْءٍ يَسِيرٍ ، فَاشْتَرَى بِهِ زُجَاجًا مِنَ الْقَوَارِيرِ لِيَبِيعَهَا وَيَتَكَسَّبَ بِهَا ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَطُوفُ بِهَا إِذْ تَعَسَّ^(٣) ، فَسَقَطَتِ الْقَوَارِيرُ ، فَتَكَسَّرَتِ فَوْقَ يَتَكِي ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَتَأَلَّمُونَ لَهُ ، فَقَالَ فِي جُمْلَةٍ كَلَامِهِ : وَاللَّهِ يَا جَمَاعَةُ ، لَقَدْ ذَهَبَ مِنِّي مِنْ مَدَّةِ سِتِينَ دُمْلُجٌ مِنْ ذَهَبٍ عِنْدَ بئرِ زَمْزَمَ زَنْتَهُ خَمْسُونَ مِثْقَالًا ، مَا تَأَلَّمْتُ لِفَقْدِهِ مَا تَأَلَّمْتُ لَتَكْسِيرِ هَذِهِ الْقَوَارِيرِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ هَذِهِ كَانَتْ جَمِيعَ مَا أَمْلِكُ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْجَمَاعَةِ : فَأَنَا وَاللَّهِ لَقِيتُ [٤٣/١٠ ظ] ذَلِكَ الدُّمْلُجَ . وَأَخْرَجَهُ مِنْ عَضْدِهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ وَالْحَاضِرُونَ .

(١) الدُّمْلُجُ : الْحُلِيُّ . لِسَانُ الْعَرَبِ (دَمْلَج) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « سِتِينَ » .

(٣) تَعَسَّ : انْكَبَ فَعَثَرُ ، فَسَقَطَ عَلَى يَدَيْهِ وَفَمِهِ . لِسَانُ الْعَرَبِ (ت ع س) .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وستمائة^(١)

قال سبط ابن الجوزي في كتابه «مِرْآة الزمان»^(٢) : فيها وردت الأخبار من مكة ، شرفها الله تعالى ، بأن ناراً ظهرت في أرض عَدَنَ في بعض جبالها ، بحيث إنه يطير شررها إلى البحر في الليل ، ويصعد منها دخان عظيم في أثناء النهار ، فما شكوا أنها النار التي ذكر النبي ﷺ ، أنها تظهر في آخر الزمان^(٣) ، فتاب الناس ، وأقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد ، وشرعوا في أفعال الخير والصدقات .

وفيها قدم الفارس أقطاي^(٤) من الصعيد ، وقد نهب أموال المسلمين ، وأسر بعضهم ، ومعه جماعة من البحرية المفسدين في الأرض ، وقد بغوا وطغوا وتجبروا ، ولا يلتفتون إلى الملك المعز أئيك التركمانى ، ولا إلى زوجته شجر الدر ، فشاور المعز زوجته شجر الدر في قتل أقطاي ، فأذنت له ، فعمل عليه حتى قتله في هذه السنة بالقلعة المنصورة بمصر ، فاستراح المسلمون من شره ، ولله الحمد والمئة .

وفيها درس الشيخ عز الدين بن عبد السلام بمدرسة الصالح أيوب بين القصرين .

(١) مرآة الزمان ٨ / ٧٩٠ ، ٧٩٣ (القسم الثانى) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٨ ، ونهاية الأرب ٢٩ / ٤٢٧ - ٤٣٨ .

(٢) مرآة الزمان ٨ / ٧٩٠ ، ٧٩١ (القسم الثانى) .

(٣) تقدم تخريجه فى ٢٩٧ / ٩ .

(٤) فى الأصل : «أقطايا» . وكذا فى مرآة الجنان ٤ / ١٢٨ .

وفيهما قَدِمَتْ بِنْتُ مَلِكِ الرُّومِ فِي تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ وَإِقَامَاتٍ هَائِلَةٍ إِلَى دِمَشْقَ
زَوْجَةً لِصَاحِبِهَا النَّاصِرِ بْنِ الْعَزِيزِ بْنِ الظَّاهِرِ بْنِ النَّاصِرِ، وَجَزَتْ أَوَاقَاتٍ حَافِلَةً
بِدِمَشْقَ بِسَبِيهَا.

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْمَشَاهِيرِ:

(١) الْخُسْرُو شَاهِي الْمَتَكَلِّمُ: عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَيْسَى، الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ
الْخُسْرُو شَاهِي، أَحَدُ مَشَاهِيرِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَمَنْ اشْتَغَلَ عَلَى الْفَخْرِ الرَّازِيِّ فِي
الْأَصُولِ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ قَدِمَ الشَّامَ، فَلَزِمَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ دَاوُدَ بْنَ الْمُعْظَمِ، وَحَظِيَ عِنْدَهُ.
قَالَ أَبُو شَامَةَ^(٢): وَكَانَ شَيْخًا مَهِيئًا فَاضِلًا مُتَوَاضِعًا، حَسَنَ الظَّاهِرِ، رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى.

قَالَ السَّبْطُ^(٣): وَكَانَ مُتَوَاضِعًا كَيِّسًا، مَخْضَرٌ خَيْرٌ، لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ أَنَّهُ آذَى
أَحَدًا، إِنْ قَدَرَ عَلَى نَفْعٍ وَإِلَّا سَكَتَ، تُؤْفَى بِدِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ عَلَى بَابِ
تَرْبِيعَةِ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

الشَّيْخُ مَجْدُ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، صَاحِبُ «الْأَحْكَامِ»^(٤) عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْخَضِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ
الْحَنْبَلِيِّ^(٥)، جَدُّ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وُلِدَ فِي حُدُودِ سَنَةِ تِسْعِينَ^(٦)

(١) بعده في م: «بن». وانظر ترجمته في: مرآة الزمان ٧٩٣/٨ (القسم الثاني)، والذيل على
الروضتين ص ١٨٨، والعبر ٢١١/٥، وفوات الوفيات ٢٥٧/٢.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٨٨.

(٣) مرآة الزمان ٧٩٣/٨ (القسم الثاني).

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) العبر ٢١٢/٥، وسير أعلام النبلاء ٢٩١/٢٣، وفوات الوفيات ٣٢٣/٢، وعقد الجمان ٩٧/١،

والذيل على طبقات الحنابلة ٢٤٩/٢.

^(١) وخمسمائة، وتفقه في صغره على عمه الخطيب فخر الدين، وسمع الكثير، ورحل إلى البلاد، وبرع في الحديث والفقه وغيره، ودرس وأفتى وانتفع به الطلبة، ومات يوم الفطر بحران^(١).

الشيخ كمال الدين بن طلحة^(٢)، الذي ولي الخطابة بدمشق بعد الدواعي، ثم غزل وصار إلى الجزيرة، فولى قضاء نصيبين، ثم صار إلى حلب، فتوفي بها في هذه السنة.

قال أبو شامة^(٣): وكان فاضلاً عالماً، طُلب أن يلى الوزارة، فامتنع من ذلك، وكان هذا من التأيد، رحمه الله تعالى.

السديد^(٤) بن علان، آخِر مَنْ روى عن الحافظ ابن عساكر سماعاً بدمشق. الناصح فرج بن عبد الله الحبشي^(٥)، كان كثير السماع مُسنِداً خيراً صالحاً مؤظماً على سماع الحديث وإسماعه، إلى أن مات بدار الحديث الثورية بدمشق، رحمه الله.

الثائرة بن صلاح الدين يوسف بن أيوب^(٦)، تُوفي بحلب في هذه السنة. وآخرون رجمهم الله أجمعين.

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٨٨، والعبر ٢١٣/٥، ومرآة الجنان ١٢٨/٤، والسلوك ٣٩٦/١ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ٩٤/١.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٨٨.

(٤) في م: «السيد». وانظر ترجمته في: الذيل على الروضتين ص ١٨٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٨٦، والعبر ٢١٣/٥، ومرآة الجنان ١٢٩/٤، وعقد الجمان ٩٥/١.

(٥) الذيل على الروضتين ص ١٨٨، وتكملة الإكمال ص ٢٧١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٩٠، والعبر ٢١٣/٥، وعقد الجمان ٩٥/١.

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٨٨.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستمائة^(١)

قال السَّبْطُ^(٢) : فيها عاد الناصر داودُ من الأنبارِ إلى دمشقَ ، ثم عاد وحجَّ من العراقِ ، وأصلحَ بينَ العراقيينَ وأهلِ مكَّةَ ، ثم عاد معهم إلى الحِلَّةِ^(٣) .

قال أبو شامة^(٤) : [٤٤١/١٠] وفيها في ليلة الاثنين ثامنَ عشرَ صفرٍ ، تُوفِّي بحلبَ الشيخُ الفقيهُ :

ضياءُ الدين صَقْرُ^(٥) بنُ يحيى بنِ سالمٍ ، وكان فاضلاً دَيِّناً ، ومن شعره قوله
رحمه الله تعالى :

مَنْ ادَّعى أَنْ لَهُ حَالَةً تُخْرِجُهُ عَنْ مَنْهَجِ الشَّرْعِ
فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ صَاحِبًا فَإِنَّهُ ضَرٌّ بِلَا نَفْعِ

واقفُ القُوصِيَّةِ ، أبو العربِ^(٦) إسماعيلُ بنُ حامدٍ بنِ عبدِ الرحمنِ
الأنصاريِّ القُوصيِّ ، واقفُ دارِهِ بالقربِ مِنَ الرَّحْبَةِ على أهلِ الحديثِ ، وبها

(١) مرآة الزمان ٧٩٣/٨ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٨ ، ونهاية الأرب ٤٢٩/٢٩ ، ٤٣٠ .

(٢) مرآة الزمان ٧٩٣/٨ (القسم الثاني) .

(٣) الحِلَّةُ بفتح الحاء : قرية مشهورة في طرف دُجَيْلٍ ببغداد من ناحية البرية ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ .

ودجيل : نهر . والحلة بكسر الحاء : علم لعدة مواضع بالعراق . انظر معجم البلدان ٣٢٢/٢ ، ٣٢٣ .

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٨٨ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٥٣/٨ ، والنجوم الزاهرة ٣٤/٧ .

(٥) في الذيل على الروضتين : « سقر » .

(٦) في الأصل ، م : « العز » ، والمثبت من مصادر الترجمة : الذيل على الروضتين ص ١٨٩ ، وسير أعلام

النبلاء ٢٣/٢٨٨ ، والوافي بالوفيات ١٠٥/٩ ، والنجوم الزاهرة ٣٥/٧ .

قبره، وكان مُدَرِّسًا بِحَلَقَةٍ جَمَالِ الْإِسْلَامِ نُجَاةَ الْبَرَادَةِ^(١)، فَعُرِفَتْ بِهِ، وَكَانَ ظَرِيفًا مَطْبُوعًا، حَسَنَ الْمَحَاضِرَةِ، وَقَدْ جَمَعَ لَهُ مُعْجَمًا حَكَى فِيهِ عَنْ مَشَايِخِهِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مُفِيدَةً.

قال أبو شامة^(٢): وَقَدْ طَالَعْتُهُ بِخَطِّهِ فَرَأَيْتُ فِيهِ أَغَالِيطَ وَأَوْهَامًا فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ وَغَيْرِهَا، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ انْتَسَبَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ دُلَيْمٍ، فَقَالَ: سَعْدُ ابْنُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ. وَهَذَا غَلَطٌ فَاحِشٌ. وَقَالَ فِي مَسْنَدِ^(٣) خُرْقَةِ التَّصَوُّفِ، فَغَلِطَ وَصَحَّفَ حَبِيبًا^(٤) أَبَا مُحَمَّدٍ: مُحْسِنًا. قَالَ أَبُو شَامَةَ^(٥): رَأَيْتُ ذَلِكَ بِخَطِّهِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ سَابِعَ عَشَرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد تُوفِّيَ الشَّرِيفُ الْمُزْتَصِّي^(٦) نَقِيبُ الْأَشْرَافِ بِحَلَبَ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِهَا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) في م: «البدارة». وانظر الدارس ٤٣٨/١.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٨٩.

(٣) في م: «شدة». وفي الذيل: «سنه».

(٤) في م: «حيا».

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٤/١٠٤.

ثم دَخَلَتْ سنة أربع وخمسين وستمائة

فيها^(١) كان ظهورُ النارِ من أرضِ الحِجَازِ التي أضاءَتْ لها أغناقُ الإبلِ يُبْضِرُ، كما نطقَ بذلك الحديثُ المُتَّفَقُ عليه، وقد بسَطَ القولُ في ذلك الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ الحافظُ شهابُ الدينِ أبو شامةَ المُقدِّسِيُّ في كتابه «الذَّيْلُ»^(٢) وشرَّحه واختصره، واستَحْضَرَه من كتبٍ كثيرةٍ ورَدَتْ مُتَوَاتِرَةً إلى دمشقٍ من أرضِ الحِجَازِ بصفةٍ أمرِ هذه النارِ التي شُوهِدَتْ مُعَايَنَةً، وكيفيةِ خُرُوجِها وأمرِها، وهذا مُحَرَّرٌ في كتابٍ دَلَّائِلِ الثُّبُوتِ مِنَ السَّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، في أوائلِ هذا الكتابِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَمُلَخَّصٌ ما أُوْرَدَه أبو شامةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ قالَ : وجاءَ إلى دَمَشَقَ كُتُبٌ مِنَ المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، على ساكنِها أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، بِخُرُوجِ نارٍ عِنْدَهُم في خَمايسِ جُمادى الآخِرَةِ من هذه السَّنَةِ، وَكُتِبَتْ الكُتُبُ في خَمايسِ رَجَبٍ، والنَّارُ بِحَالِها، وَوَصَلَتْ الكُتُبُ إلينا في عَاشِرِ شَعْبَانَ. ثم قالَ :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَرَدَ إلى مَدِينَةِ دَمَشَقَ، حَرَسَها اللهُ تَعَالَى، في أوائلِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتْمِائَةٍ كُتِبَ مِنْ مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فيها شَرُوحٌ عَظِيمٌ حَدَّثَ بها، فيه تَصَدِيقٌ لِمَا في «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣) مِنْ حَدِيثٍ

(١) الذيل على الروضتين ص ١٨٩ - ١٩٥، ونهاية الأرب ٤٤١/٢٩ - ٤٥٥، والعبر ٢١٥/٥ -

٢٢٠، ودول الإسلام ١٥٨/٢، ١٥٩، والمختصر في أخبار البشر ١٩١/٣، ١٩٢.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٩٠. وانظر ذيل مرآة الزمان ٤/١ - ٩.

(٣) تقدم تخريجه في ٢٩٧/٩.

أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تخرج ناز من أرض الحجاز تُضيئ^(١) أعناق الإبل ببصرى » . فأخبرني بعض من أئق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب . قال : وكنا في بيوتنا تلك الليالي ، وكأن في دار كل واحد منا سراجا ، ولم يكن لها^(٢) حرّ ولَفَح^(٣) على عظيمها ، إنما كانت آية من آيات الله عز وجل . قال أبو شامة : وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب الواردة فيها : لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ظهر بالمدينة - يعنى النبوة - دوى عظيم ، ثم زلزلة عظيمة رجفت منها الأرض^(٤) والحيطان والشقوق والأخشاب والأبواب ، ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور ، ثم ظهرت ناز عظيمة [١٠ / ٤٤ ظ] فى الحرّة قرية من قريظة تبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا ، وهى ناز عظيمة ، إشعالها أكثر من ثلاث منائر ، وقد سالت أودية منها بالنار إلى وادى شظا^(٥) مسيل الماء ، وقد سدّت سبيل شظا وما عاد بسبيل ، والله لقد طلّعنا جماعة تبصرها ، فإذا الجبال تسيل نيرانا ، وقد سدّت الحرّة طريق الحاج العراقى ، فسارت إلى أن وصلت إلى الحرّة ، فوقفت بعدما أشفقنا أن نجيء إلينا ، ورجعت تسير فى الشرق ، ويخرج من وسطها سهول^(٥) وجبال نيران تأكل الحجارة ، فيها أمودج عما أخبر الله تعالى فى كتابه : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾

(١) بعده فى م : « لها » .

(٢ - ٣) فى الذيل : « ضوء » .

(٣) فى الذيل : « المدينة » .

(٤) شظا : جبل بمكة أو قرب مكة . معجم البلدان ٣ / ٢٩٢ .

(٥) فى الأصل ، م : « سهود » .

كَأَنَّهُ جَمَلَتْ صُفْرًا [المرسلات: ٣٢، ٣٣]. وقد أَكَلَتِ الْأَرْضُ. وقد كَتَبْتُ هذا الكتاب يومَ خامسِ رجبِ سنة أربع وخمسين وستُمائة، والنارُ في زيادة ما تَغَيَّرَتْ، وقد عَادَتْ إِلَى الْجِرَارِ فِي قُرَيْظَةَ طَرِيقِ عَمِيرِ الْحَاجِّ الْعِرَاقِيِّ إِلَى الْحَرَّةِ^(١) كُلُّهَا نِيرَانٌ تَشْتَعِلُ، نُبَصِّرُهَا فِي اللَّيْلِ مِنَ الْمَدِينَةِ كَأَنَّهَا مَشَاعِلُ الْحَاجِّ. وَأَمَّا أُمُّ^(٢) النَّارِ الْكَبِيرَةِ فَهِيَ جِبَالُ نِيرَانٍ حُمْرٌ، وَالْأُمُّ الْكَبِيرَةُ الَّتِي سَالَتِ النَّيْرَانُ مِنْهَا مِنْ عِنْدِ قُرَيْظَةَ، وَقَدْ زَادَتْ وَمَا عَادَ النَّاسُ يَذُرُونَ^(٣) أَيْ شَيْءَ يَنْتَمِ بِعَدِّ ذَلِكَ، وَاللَّهُ يَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ إِلَى خَيْرٍ، وَمَا أَقْدِرُ أَصِفُ هَذِهِ النَّارَ.

قال أبو شامة^(٤): وفي كتاب آخر: ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستُمائة، ووقع في شرقي المدينة المشرفة، نارٌ عظيمةٌ بينها وبين المدينة نصفُ يومٍ، انفجرت من الأرض، وسال منها وادٍ من نارٍ حتى حاذى جبلَ أُحُدٍ، ثم وقفت وعادت إلى الساعة، ولا ندري ماذا تفعل؟ ووقفت ما ظهرت دخل أهل المدينة إلى نبيهم، عليه الصلاة والسلام، مُسْتَغْفِرِينَ تَائِبِينَ إِلَى رَبِّهِمْ تَعَالَى، وهذه دلائلُ القيامة.

قال^(٥): وفي كتاب آخر: لما كان يومُ الاثنين مُسْتَهْلُ جُمَادَى الْآخِرَةِ، سنة أربع وخمسين وستُمائة وقع بالمدينة صوتٌ يُشْبِهُ صَوْتَ الرَّعْدِ الْبَعِيدِ تَارَةً وَتَارَةً، أقام على هذه الحالَ يومين، فلما كانت ليلةُ الأربعاء ثالثَ الشهرِ المذكورِ تعقَّبَ

(١) في الأصل: «الحيرة».

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) في الذيل: «يرون».

(٤) الذيل على الروضتين ص ١٩٠. وانظر ذيل مرآة الزمان ٤/١ - ٩.

(٥) المصدر السابق ص ١٩١.

الصوت الذى كنا نسمعه زلازل، فتقيم^(١) على هذه الحال ثلاثة أيام يقع فى اليوم واليلة أربع عشرة زلزلة^(٢)، فلما كان يوم الجمعة خامس الشهر المذكور انبجست الحرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل مسجد رسول الله ﷺ، وهى برأى العين من المدينة، نشاهدها وهى ترمى بشرير كالقصر، كما قال الله تعالى، وهى بموضع يقال له: أخيلين^(٣). وقد سال من هذه النار وإد يكون مقداره أربعة فراسخ، وعرضه أربعة أميال، وعمقه قامة ونصفا، وهى تجرى على وجه الأرض، ويخرج منها أمهاد وجبال صغار، ويسير على وجه الأرض، وهو صخر يذوب حتى يبقى مثل الأنك^(٤)، فإذا جمد^(٥) صار أسود، وقبل الجمود لونه أحمر، وقد حصل بطريق هذه النار إقلاخ عن المعاصى، والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات، وخرج أمير المدينة عن مظالم كثيرة إلى أهلها.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة^(٦): ومن كتاب شمس الدين سينان بن عبد الوهاب بن تميلة^(٧) الحسينى قاضى المدينة إلى [١٠/٤٥٥] بعض أصحابه؛ لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة حدث بالمدينة فى الثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها، وبأت باقى تلك الليلة تزلزل كل يوم وليلة قدر

(١) سقط من: الأصل، م. والمثبت من الذيل على الروضتين، وذيل مرآة الزمان.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) فى الأصل: «أحلب»، وفى م: «أجلين»، وفى الذيل على الروضتين، وذيل مرآة الزمان: «أجلين». والمثبت من النجوم الزاهرة ١٨/٧.

(٤) الأنك: هو الرصاص الأبيض. وقيل: الأسود. وقيل: الخالص منه. النهاية ١/٧٧.

(٥) فى الذيل: «حمد». وانظر النجوم الزاهرة ١٨/٧.

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٩١.

(٧) فى الأصل: «قتله»، وفى الذيل: «تميلة». وانظر ذيل مرآة الزمان ٦/١، والنجوم الزاهرة ١٨/٧.

عَشْرِ نَوْبَاتٍ ، وَاللَّهُ لَقَدْ زَلَزَلَتْ مَرَّةً وَنَحْنُ حَوْلَ حَجَرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، اضْطَرَبَ لَهَا الْمَيْبَرُ إِلَى أَنْ أُوجِسْنَا مِنْهُ ^(١) صَوْتًا لِلْحَدِيدِ الَّذِي فِيهِ ، وَاضْطَرَبَتْ قَنَادِيلُ الْحَرَمِ الشَّرِيفِ ، وَتَمَّتِ الزَّلْزَلَةُ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ ضُحًى ، وَلَهَا دَوًى مِثْلُ دَوًى الرِّعْدِ الْقَاصِفِ ، ثُمَّ طَلَعَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي طَرِيقِ الْحَرَّةِ ^(٢) فِي رَأْسِ جَبَلَيْنِ ^(٣) نَارٌ عَظِيمَةٌ مِثْلُ الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ ، وَمَا بَأَتْ لَنَا إِلَّا لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا ، وَخِفْنَا خَوْفًا عَظِيمًا ، وَطَلَعْتُ إِلَى الْأَمِيرِ وَكَلَّمْتُهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : قَدْ أَحَاطَ بِنَا الْعَذَابُ ، ارْجِعْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . فَأَعْتَقَ كُلَّ مَمَالِكِهِ ، وَرَدَّ عَلَى جَمَاعَةِ أَمْوَالِهِمْ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قُلْتُ : اهْبِطِ السَّاعَةَ مَعَنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ . فَهَبَطَ وَبِثْنَا لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَالنَّاسُ جَمِيعُهُمْ وَالنِّسْوَانُ وَأَوْلَادُهُمْ ، وَلَا بَقِيَ أَحَدٌ لَا فِي التَّخِيلِ وَلَا فِي الْمَدِينَةِ إِلَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، ^(٤) وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا ، وَظَهَرَ ضَوْؤُهَا إِلَى أَنْ أَبْصَرْتُ مِنْ مَكَّةَ وَمِنَ الْفَلَاةِ جَمِيعَهَا . ثُمَّ سَأَلَ مِنْهَا نَهْرٌ مِنْ نَارٍ ، وَأَخَذَ فِي ^(٥) وَادِي أُجَيْلَيْنِ ^(٦) وَسَدَّ الطَّرِيقَ ، ثُمَّ طَلَعَ إِلَى بَحْرَةِ ^(٧) الْحَاجِّ ، وَهُوَ بَحْرُ نَارٍ يَجْرِي ، وَفَوْقَهُ جَمْرٌ يَسِيرُ إِلَى أَنْ قَطَعَتْ الْوَادِي ؛ وَادِي الشُّطَّا ، وَمَا عَادَ يَجْرِي ^(٨) فِي الْوَادِي سَيْلٌ قَطُّ ؛ لِأَنَّهَا ^(٩) حَفَرَتْهُ نَحْوُ قَامَتَيْنِ

(١) بعده في م : « إذ سمعنا » ، وأوجسنا منه : وقع في نفوسنا الخوف . والوجس : الفرع يقع في القلب

أو في السمع من صوت أو غير ذلك . انظر اللسان والوسيط (و ج س) .

(٢) في الأصل : « البصرة » .

(٣) في م : « أجيلين » . وفي الذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان : « أجيلين » . وانظر النجوم الزاهرة

١٨ / ٧ .

(٤ - ٥) سقط من الأصل ، م . والمثبت من الذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان .

(٥ - ٥) في الأصل : « واد بين أجيلين » ، وفي م : « وادى أجيلين » . والذيل على الروضتين وذيل مرآة

الزمان : « وادى أجيلين » . والمثبت من نسخة لذيل مرآة الزمان والنجوم الزاهرة ١٨ / ٧ .

(٦) البحرة من الأرض : الواسعة والمنخفضة . تاج العروس (ب ح ر) .

(٧) في الأصل ، م ، والذيل على الروضتين : « يجيء » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان والنجوم الزاهرة .

(٨ - ٨) في الأصل ، والذيل على الروضتين ، وذيل مرآة الزمان : « حرة تجيء » ، وفي م : « حضرته نحو » . والمثبت من نسخة من ذيل مرآة الزمان ، والنجوم الزاهرة .

وثلث غلؤها ، وبالله يا أخى إن عيشتنا اليوم مُكَدَّرَةٌ ، والمدينة قد تاب جميع أهلها ، ولا بقى يُسمَعُ فيها ربابٌ ، ولا دُفٌّ ولا شُرْبٌ ، وتمت النارُ تَسِيرُ^(١) إلى أن سَدَّتْ بعضَ طريقِ الحاجِّ وبعضَ بَحْرَةِ الحاجِّ ، وجاء فى الوادى إلينا منها قَتِيرٌ^(٢) ، وخبفنا أنه يَجِيئُنا ، فاجتمع الناسُ ، ودخلوا على النَبِيِّ ﷺ ، وباتوا^(٣) عنده جميعهم ليلة الجمعة ، وأما قَتِيرُها الذى مما يَلِينا فقد طَفِئَ بِقَدْرَةِ اللَّهِ ، سبحانه وتعالى ، وأنها إلى الساعة ما نَقَصَتْ إلا ترى مثلَ الجِمالِ حِجَارَةً من نارٍ ، ولها دَوِيُّ ما يَدْعُنَا نَزَقُذٌ ولا نَأْكُلُ ولا نَشْرَبُ ، وما أَقْدِرُ أَصِفُ لك عِظَمَها ، ولا ما فيها مِنَ الأَهْوالِ ، وأبصرها أهلُ يَنْبُعٍ^(٤) وندبوا قاضيهم ابنَ أسْعَدَ ، وجاء وعدا إليها ، وما أصبحَ^(٥) يَقْدِرُ يَصِفُها مِنْ عِظَمِها ، وكتبَ الكُتَّابُ يومَ خامسٍ رجبٍ ، وهى على حالِها ، والناسُ منها خائفون ، والشمسُ والقمرُ مِنْ يومٍ طَلَعَتْ ما يَطْلُعَانِ إلا كاسِفَيْنِ ، فَتَسْأَلُ اللَّهُ العَافِيَةَ .

قال أبو شامة^(٦) : وبان عندنا بدمشق أثرُ الكُسُوفِ مِنْ ضَعْفِ نُورِهما على الحِيطانِ ، وكنا حيارى مِنْ ذلك 'أَيْشٍ هو؟'^(٧) إلى أن جاءنا الخبرُ عن هذه النارِ .

قلتُ : وكان أبو شامة قد أَرخَ قَبْلَ مَجِيءِ الكُتْبِ بأمرِ هذه النارِ ، فقال^(٨) : وفيها فى ليلةِ الاثنينِ السادسِ عَشَرَ مِنْ جُمادى الآخِرَةِ خَسَفَ القمرُ أَوَّلَ الليلِ ،

(١) فى م : « تسيل » .

(٢) فى م : « تسير » .

(٣) فى م : « تابوا » .

(٤) ينبع : موضع عن يمين رَضْوَى - جبل بالمدينة - لمن كان منحدرًا من المدينة إلى البحر وهى قرية كبيرة . معجم ما استعجم ٦٠٦/٢ .

(٥) فى الأصل : « يصبح » ، وفى م : « صبح » . والمثبت من الذيل على الروضتين وذيل مرآة الزمان .

(٦) الذيل على الروضتين ص ١٩٢ .

(٧ - ٧) زيادة من : الأصل ، م .

(٨) المصدر السابق ص ١٨٩ .

وكان شديد الحرارة، ثم انجلى، وكسفت الشمس، وفي غده احمّرت وقت طلوعها وغروبها وبقيت كذلك أياماً متغيرة اللون، ضعيفة النور، والله تعالى على كل شيء قدير، ثم قال^(١): واتّضح بذلك ما صورّه الشافعي من اجتماع الكسوف والعید، واستتبعده أهل النجامة. ثم قال أبو شامة^(٢): ومن كتاب آخر من بعض [٤٥/١٠ ظ] بنى الفاشاني^(٣) بالمدينة يقول فيه: وصل إلينا في جمادى الآخرة نجابة من العراق، وأخبروا عن بغداد أنه أصابها غرق عظيم حتى دخل^(٤) الماء من أشوار بغداد إلى البلد، وغرق كثير من البلد، ودخل الماء دار الخليفة وسط البلد، وانهدمت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون داراً، وانهدم مخزن الخليفة، وهلك من خزانة السلاح شيء كثير^(٥) بل تلف كله^(٦)، وأشرف الناس على الهلاك، وعادت السفن تدخل إلى وسط البلد، وتخترق أزقة بغداد.

قال: وأما نحن فإنه جرى عندنا أمر عظيم؛ لما كان بتاريخ ليلة الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة ومن قبلها يومين، عاد الناس يسمعون صوتاً مثل صوت الرعد^(٧) ساعة بعد ساعة - وما في السماء غيم حتى نقول إنه منه - يومين إلى ليلة الأربعاء، ثم ظهر الصوت حتى سمعه الناس وتزلزلت الأرض ورجفت بنا رجفة لها صوت كدوى الرعد^(٨)، فانزعج لها الناس كلهم، وانتبهوا من

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٢.

(٣) في الأصل الفاء غير منقوطة، وفي ذيل مرآة الزمان ونهاية الأرب ٢٩/٤٥٢: «الفاشاني» بالقاف. والفاشاني نسبة إلى قرية من قرى مرو يقال لها: فاشان. والفاشاني نسبة إلى فاشان وهي بلدة عند قم. انظر الأنساب ٤/٣٣٨، ٤٢٦.

(٤) في م: «طفح».

(٥ - ٥) سقط من: م. وفي الأصل: «تلف». والمثبت من الذيل على الروضتين، وذيل مرآة الزمان.

(٦ - ٦) سقط من: م.

مراقديهم ، وضجَّ الناس بالاستِغْفارِ إلى الله تعالى ، وفزعوا إلى المسجد ، وصلُّوا فيه ، وتمَّت تَرْجُفُ بالناسِ ساعةً بعدَ ساعةٍ إلى الصبحِ ؛ وذلك اليومَ كلُّهُ يومَ الأربعاءِ وليلةَ الخميسِ كُلِّها ^(١) ويومَ الخميسِ ^(٢) وليلةَ الجمعةِ . وصبحَ يومَ الجمعةِ ^(٣) ارتجَّت الأرضُ رجَّةً قويَّةً إلى أن اضطربَ منارُ المسجدِ بعضُه ببعضٍ ، وسمع لسقفِ المسجدِ صريرًا عظيمًا ، وأشفقَ الناسُ مِن ذُنوبِهِمْ ، وسكَّنتِ الزَّلْزَلَةُ بعدَ صُبحِ يومِ الجمعةِ إلى قبلِ الظهرِ ، ثم ظهَّرت عندنا بالحِجْرةِ وراءَ قُرَيْظَةَ على طريقِ السُّوَارِقِيَّةِ ^(٤) بالمقاعِدِ مَسِيرَةً مِنَ الصَّباحِ إلى الظَّهرِ نارٌ عَظِيمَةٌ تَنْفِجُ مِنَ الْأَرْضِ ، فارتاع لها الناسُ رَوْعَةً عَظِيمَةً ، ثم ظهَّر لها دُخانًا عَظِيمًا في السَّماءِ يَنْعَقِدُ ^(٥) حتَّى يَبْقَى كالسَّحابِ الْأَبْيَضِ ^(٦) ، إلى قبلِ مَغِيبِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، ثم ظهَّرت النارُ ، لها أَلْسُنٌ تَصْعَدُ فِي الْهَوَاءِ إِلَى السَّماءِ حَمراءَ كأنها الْعَلَقَةُ ^(٧) ، وعَظُمَت وفزعَ الناسُ إلى المسجدِ النَّبَوِيِّ ^(٨) وإلى الحِجْرةِ الشَّريفةِ ، واستَجارَ الناسُ بها ، وأحاطوا بالحِجْرةِ وكشَفوا رُءُوسَهُمْ ^(٩) ، وأقْرَؤا بِذُنُوبِهِمْ ، وابتَهَلُوا إلى اللَّهِ تَعَالَى ، واستَجاروا بِنَبِيِّهِ ، عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وأتَى النَّاسُ إِلَى الْمَسْجِدِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَمِنْ النَّخْلِ ، وخَرَجَ النِّسَاءُ مِنَ الْبُيُوتِ وَالصُّبَّيَّانُ ، واجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ ، وأخْلَصُوا لِلَّهِ ، وَغَطَّتْ حُمْرَةُ النَّارِ السَّماءَ كُلَّها حتَّى بَقِيَ النَّاسُ فِي مِثْلِ ضَمُوِّ الْقَمَرِ ، وَبَقِيَتْ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) بعده في الذيل : « لخامس من الشهر » .

(٣) السوارقية : قرية أبى بكر بين مكة والمدينة وهى نجدية . معجم البلدان ٣ / ١٨٠ .

(٤) ينعقد : يغلظ ويتراكم . انظر الوسيط (ع ق د) .

(٥) بعده في الأصل : « متصل » ، وبعده فى م : « فيصل » .

(٦) فى م : « القلعة » ، والعلقة : قطعة الدم المتكون منه الجنين . الوسيط (ع ل ق) .

(٧ - ٧) زيادة من : الأصل ، م . ليست فى الذيل .

السماء كالعلقة، وأيقن الناس بالهلاك أو العذاب، وبات الناس تلك الليلة بين مُصَلٍّ وتالي للقرآن وراكع وساجد، وداع إلى الله عز وجل، ومُتَنَصِّلٍ مِنْ ذُنُوبِهِ ومُستَغْفِرٍ وتائب، ولزمت النار مكانها، وتناقص تضاعفها ذلك ولهيئها، وصعد الفقيه والقاضي إلى الأمير يعظونه، فطرح المكس، وأعتق مماليكه كلهم وعبيده، ورد علينا كل ما لنا تحت يده، وعلى غيرنا، وبقيت تلك النار على حالها تلتهب التهابا، وهي كالجليل العظيم والمدينة ارتفاعا وعرضا، يخرج منها حصي يصعد في السماء، ويهوى فيها، ويخرج منها كالجليل العظيم نار ترمى كالرعد، [٤٦/١٠] وبقيت كذلك أياما، ثم سالت سيلانا في وادي أحيلى، تنحدر مع الوادى إلى الشظاة،^(١) حتى لحق سيلانها بالبحرة بحرة الحاج، والحجارة معها تتحرك وتسير^(٢) حتى كادت تقارب حرة العريض، ثم سكنت، ووقفت أياما، ثم عادت النار تخرج وترمى بحجارة خلقها وأمامها، حتى بنت لها جبلين، وما بقي يخرج منها من بين الجبلين لسان لها أياما، ثم إنها عظمت^(٣) (الآن، وسناها^(٤)) إلى الآن، وهي تتقد كأعظم ما يكون، ولها كل يوم صوت عظيم آخر الليل إلى ضحوة، ولها عجائب ما أقدر أن أشرحها لك على الكمال، وإنما هذا طرف منها كبير يكفى، والشمس والقمر كأنهما منكِسِفان إلى الآن، وكتب^(٥) هذا الكتاب، ولها شهر، وهى فى مكانها ما تتقدم ولا تتأخر، وقد قال فيها بعضهم أنبياءا :

(١ - ١) زيادة من: الأصل، م. انظر ذيل مرآة الزمان ٨/١.
 (٢ - ٢) فى الأصل: «ولسانها»، وفى م: «وسناها». والمثبت من الذيل على الروضتين ونهاية الأرب ٥٤٣/٢٩.
 (٣) فى الأصل، م: «كتب». والمثبت من المصدرين السابقين وذيل مرآة الزمان. غالب هذه الأبيات تقدمت فى ٢٩٩/٩، ٣٠٠.

يا كاشفَ الضُّرِّ صَفِّحَا عن جرائِمِنا
نَشْكُو إِلَيْكَ خُطُوبًا لَا نُطِيقُ لَهَا
زَلَالًا تَخْشَعُ الصُّمُّ الصُّلَابُ لَهَا
أَقَامَ سَبْعًا يَرْجُحُ الْأَرْضَ فَاَنْصَدَعَتْ
بَحْرٌ مِنَ النَّارِ تَجْرِي فَوْقَهُ سُفُنٌ
يُرى^(٢) لَهَا شَرَزٌ كَالْقَصْرِ طَائِشَةٌ
تَنْشَقُّ مِنْهَا قُلُوبُ الصَّخْرِ إِنْ زَفَرَتْ
مِنْهَا تَكَاثَفَ فِي الْجَوِّ الدُّخَانُ إِلَى
قَدِ أَثَرَتْ سُفْعَةٌ فِي الْبَدْرِ لَفَحَتْهَا
تُحَدِّثُ النَّيِّرَاتِ السَّبْعَ أَلْسُنُهَا
وَقَدْ أَحَاطَ لَهَا بِالْبُرُوجِ إِلَى
فِيهَا آيَةٌ مِنْ مُعْجَزَاتِ رَسُولِ
فَبَاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْمَكْنُونِ إِنْ عَظُمَتْ
فَاسْمُحْ وَهَبْ وَتَفَضَّلْ وَامْنَحْ وَاعْفُ وَجُدْ
فَقَوْمٌ يُونِسَ لَمَّا آمَنُوا كُشِفَ الـ

لَقَدْ أَحَاطَتْ بِنَا يَارُبُّ بِأَسَاءِ
حَمَلًا وَنَحْنُ بِهَا حَقًّا أَحِقَّاءُ
وَكَيْفَ يَقْوَى عَلَى الزَّلْزَالِ سَمَاءُ
عَنْ مَنَظَرٍ مِنْهُ عَيْنُ الشَّمْسِ عَشَوَاءُ
مِنْ الْهَضَابِ لَهَا فِي الْأَرْضِ إِزْسَاءُ^(١)
كَأَنَّهَا دِيمَةٌ^(٣) تَنْصَبُ هَطْلَاءُ
رَعْبًا وَتَرْعُدُ مِثْلَ السَّيْفِ^(٤) أَضْوَاءُ
أَنْ عَادَتِ الشَّمْسُ مِنْهُ وَهِيَ دَهْمَاءُ
فَلَيْلَةٌ التَّمِّ بَعْدَ النُّورِ لَيْلَاءُ^(٥)
بِمَا يُلَاقِي بِهَا تَحْتَ الثَّرَى الْمَاءُ
أَنْ كَادَ يُلْحِقُهَا بِالْأَرْضِ إِهْوَاءُ
لِ اللَّهِ يَغْفِلُهَا الْقَوْمُ الْأَلْبَاءُ
مِنَّا الذُّنُوبُ وَسَاءَ الْقَلْبُ أَسْوَاءُ
وَاصْفَحْ فَكُلُّ لِفَرْطِ الْجَهْلِ خَطَاءُ
عَذَابُ عَنْهُمْ وَعَمَّ الْقَوْمَ نَعْمَاءُ

(١) بعده في الأصل، م :

« كَأَنَّمَا فَوْقَهُ الْأَجْبَالُ طَافِيَةٌ » موج عليه لفرط البهج وعثاء .

(٢) في الأصل، م : « ترمى » .

(٣) الديمة : المطر يطول زمانه في سكون : الوسيط (د و م) .

(٤) في الأصل، م : « السعف » . وهو لفظ ما في نهاية الأرب .

(٥) ليلاء : أشدُّ ليالي الشهر ظلمة . اللسان (ل ي ل) .

ونحن أمة هذا المصطفى ولنا منه إلى عفوك المرجو دعاء
 هذا الرسول الذي لولاه ما سلكت مَحَجَّةً في سبيل الله بيضاء
 فارحم وصل على المختار ما خطبت على غلا منبر الأوراق ورقاء

قلت : والحديث الوارد في أمر هذه النار مُخَرَّجٌ في « الصحيحين »^(١) من طريق الزُّهْرِيِّ ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز تُضيئُ أغناقَ الإبلِ بئُصْرَى . وهذا لفظ البخاري .

وقد وقع هذا في هذه السنة - أغنى سنة أربع وخمسين وستمائة - كما ذكرنا ، وقد أخبرني قاضي القضاة صَدْرُ الدين عليُّ بن أبي القاسم التِّمِيمِيُّ^(٢) الحنفِيُّ الحاكم بدمشق في بعض الأيام^(٣) في المذاكرة^(٤) ، وجرى ذكرُ هذا الحديث ، وما كان من أمر هذه النار في هذه السنة فقال : سمعتُ رجلاً من الأعراب يُخَيِّرُ والدي بئُصْرَى في تلك الليالي أنهم رأوا أغناقَ الإبلِ في ضوء هذه النار التي ظهرت في أرض الحجاز .

قلت : وكان مولده في سنة ثنتين وأربعين وستمائة ، وكان والده مُدَرِّساً [٤٦/١٠ ظ] للحنفية بمدينة بئُصْرَى ، وكذلك كان جده وهو أيضاً ، فدرَّس بها ، ثم انتقل إلى دمشق ، فدرَّس بالصادرية وبالمقدمية^(٤) ، ثم ولي قضاء القضاة الحنفية ، وكان مشكور السيرة في الأحكام ، وقد كان عمره حين وقعت هذه

(١) تقدم تخريجه في ٢٩٧/٩ . من رواية البخاري . وهو في مسلم (٢٩٠٢/٤٢) .

(٢) انظر ما تقدم في ٢٩٨/٩ . حاشية (٦ ، ٧) .

(٣ - ٣) في الأصل : « المذكورة » . وانظر عقد الجمان ١/١٢٧ .

(٤) في م : « بالمدمية » . وانظر الدارس ١/٥٩٤ ، ٥٩٧ .

النار بالحجازِ ثنتي عشرة سنةً ، ومثله مَن يَضْبِطُ ما يَسْمَعُ من الخبرِ أن الأعرابيَّ
أخبر والدَه في تلك الليالي . وصلواتُ اللهِ وسلامُه على نبيِّه سيدنا محمدٍ وآله
وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا .

ومما نظمه بعضُ الشعراءِ في هذه النارِ الحجازيةِ وعَرِقِ بغدادَ قوله ^(١) :

سبحانَ مَنْ أَصْبَحَتْ مَشِئَتُهُ جاريةً في الورى بِمِقْدَارِ
أَغْرَقَ بَغْدَادَ بالمياهِ كما أَحْرَقَ أرضَ الحجازِ بالنارِ
قال أبو شامة ^(٢) : والصَّوابُ أن يُقالَ :

في سَنَةِ أَغْرَقَ العراقَ وقد أَحْرَقَ أرضَ الحجازِ بالنارِ

وقال ابنُ الساعي في تاريخِ سنةِ أربعٍ وخمسينَ وسُمِّائيةٍ : وفي يومِ الجمعةِ
ثامنَ عشرَ رجبٍ - يَعْنِي مِنْ هذه السَنةِ - كنْتُ جالسًا بينَ يدي الوزيرِ ، فوردَ
عليه كتابٌ مِنْ مَدِينَةِ الرَسُولِ ﷺ صُحْبَةً قاصِدٍ يُعْرَفُ بِقَيْمَارَ الْعَلَوِيِّ الْحَسَنِيِّ
الْمَدَنِيِّ ، فناوَلَه الكتابَ فقرَّاهُ ، وهو يَتَضَمَّنُ أن مَدِينَةَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ زُلْزِلَتْ يَوْمَ
الثلاثاءِ ثانیِ جُمادى الآخِرَةِ حَتَّى ارْتَجَّ الْمُنْبَرُ ^(٣) الشَریفُ النبویُّ ، وسَمِعَ صَریزُ
الحديدِ ، وتحَوَّكَتِ السَّلاسلُ ، وظَهَرَتْ نارٌ على مَسِيرِ أربَعَةِ فَراسِخٍ مِنَ المَدِينَةِ ،
وكانتِ تَزُمِي بشريرٍ ^(٤) كأنه رُغُوسُ الجبالِ ، ودَامَتْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا . قال
القاصِدُ : وجِئْتُ ولم تَنْقَطِعْ بَعْدُ ، بل كانت على حَالِها ، وسأله : إلى أَى
الْجِهاتِ تَزُمِي ؟ فقال : إلى جَهِةِ الشَّرْقِ . واجتَرَّتْ عليها أنا ونَجابةُ اليمَنِ ، ورَمَيْنَا

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٣ . وتقدم البيتان في ٣٠٠ / ٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) في م : « القبر » .

(٤) في م : « بريد » .

فِيهَا سَعْفَةٌ ، فَلَمْ تُحْرِقْهَا ، بَلْ كَانَتْ تُحْرِقُ الْحِجَارَةَ وَتُذِيبُهَا ، وَأَخْرَجَ قَيْمَارُ الْمَذْكُورُ شَيْئًا مِنَ الصَّخْرِ الْمُحْتَرِقِ ، وَهُوَ كَالْفَحْمِ لَوْنًا وَخِفَّةً .

قال : وذكر في الكتاب ، وكان بخط قاضي المدينة ، أنهم لما زُلْزِلُوا دَخَلُوا الْحَرَمَ ، وَكَشَفُوا رِعْوَسَهُمْ وَاسْتَعْفَرُوا ، وَأَنْ نَائِبَ الْمَدِينَةِ أَعْتَقَ جَمِيعَ تَمَالِيكِهِ ، وَخَرَجَ مِنْ جَمِيعِ الْمَظَالِمِ ، وَلَمْ يَزَالُوا مُسْتَغْفِرِينَ مُتَضَرِّعِينَ ^(١) حَتَّى سَكَنَتِ الزَّلْزَلَةُ ، إِلَّا أَنَّ النَّارَ الَّتِي ظَهَرَتْ لَمْ تَنْقَطِعْ ، وَجَاءَ الْقَاصِدُ الْمَذْكُورُ ، وَلَهَا خَمْسَةُ عَشَرَ يَوْمًا وَإِلَى الْآنَ .

قال ابن الساعي : وَرَأْتُ بِخَطِّ الْعَدْلِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ الْأَمْعَانِيِّ شَيْخِ ^(٢) «حَرَمِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ ، عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ» ، يَقُولُ : إِنَّ هَذِهِ النَّارَ الَّتِي ظَهَرَتْ بِالْحِجَازِ آيَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَإِشَارَةٌ صَحِيحَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ دَالَّةٌ عَلَى اقْتِرَابِ السَّاعَةِ ، فَالْسَّعِيدُ مَنْ انْتَهَزَ الْفُرْصَةَ قَبْلَ الْقَوْتِ ^(٣) ، وَتَدَارَكَ أَمْرَهُ بِإِصْلَاحِ حَالِهِ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ الْمَوْتِ ، وَهَذِهِ النَّارُ فِي أَرْضِ ذَاتِ حَجَرٍ ، لَا شَجَرَ فِيهَا وَلَا نَبْتًا ، وَهِيَ تَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ ، وَهِيَ تُحْرِقُ الْحِجَارَةَ وَتُذِيبُهَا ، حَتَّى تَعُودَ كَالطَّيْنِ الْمَبْلُولِ ، ثُمَّ يَضْرِبُهُ الْهَوَاءُ حَتَّى يَعُودَ كَخَبَثِ الْحَدِيدِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْكَبِيرِ ، فَاللَّهُ يَجْعَلُهَا عِبْرَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ .

قال أبو شامة ^(٤) : وَفِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ مُسْتَهْلٌ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ اخْتَرَقَ

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فِي الْأَصْلِ : «حَرَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» .

(٣) فِي م : «الْمَوْت» .

(٤) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ١٩٤ . وَانْظُرْ ذَيْلَ مَرَاةِ الزَّمَانِ ١/ ١٠ ، ١١ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ١/ ١٢٨ .

مسجد المدينة ، على ساكنيه أفضل الصلاة والسلام ، ابتدأ حريقه من زاويته [١٠ / ٤٧] الغزية من الشمال ، وكان دخل أحد القومية إلى خزانة ثم ، ومعه نارٌ فعَلِقَتْ في الآلات ^(١) ثم ، واتَّصَلَتْ بالسقف بسرعة ، ثم دَبَّت في السقف ، وأخَذَتْ قِبْلَةً ، فأعْجَلَتْ النَّاسَ عن قطعها ، فما كان إلا ساعة حتى اخْتَرَقَتْ سقوف المسجد أَجْمَع ، ووقَّعت بعض أساطينه ، وذاب رصاصها ، وكل ذلك قبل أن ينام الناس ، واختَرَقَ سَقْفُ الحجرة النبوية ، ووقع ما وقع منه في الحجرة ، وبقي على حاله حتى ^(٢) شُرِعَ في عِمارة سقفيه وسقف المسجد النبوي ، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وأصبح الناس ، فعزلوا موضعاً للصلاة ، وعُدَّ ما وَقَعَ من تلك النارِ الخارجة وحريق المسجد من جُملة الآيات ، وكأنَّها كانت مُنْذِرَةً بما يَعْقُبُهَا في السنة الآتية من الكائنات على ما سنذكره ، إن شاء الله تعالى . هذا كلامُ الشيخ شهاب الدين أبي شامة .

وقد قال أبو شامة في الذي وَقَعَ في هذه السنة وما بعدها شعراً ، وهو قوله ^(٣) :

بعد ستَّ من المئین وخمسيه	من لدى أربع جرى في العام
نارُ أرضِ الحجازِ مع حَزَقِ المشد	جِدِ مَعَهُ تَغْرِيقُ دارِ السلامِ
ثم أَخْذُ التَّتارِ بِغَدَادَ في أو	لِ عامٍ مِن بَعْدِ ذاكِ وعامِ
لم يُعَنَّ أَهْلُهَا وَلِلْكَفْرِ أَغْوَا	نَّ عَلَيْهِمُ يا ضَيْعَةَ الإسلامِ
وانْقَضَتْ دَوْلَةُ الْخِلَافَةِ مِنْهَا	صار مُسْتَعَصِمٌ بِغَيْرِ اغْتِيصامِ

(١) في م : « الأبواب » .

(٢) في الأصل : « حتى لما » ، وفي الذيل على الروضتين : « لما » .

(٣) المصدر السابق .

فحناناً على الحِجازِ ومُضِرٍ وسلاماً على بلادِ الشامِ
رَبِّ سَلَمٍ وَضُنٍّ وَعَافٍ بَقَايَا آلِ مُدُنٍ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

وفى هذه السنة^(١) كَمَلَتْ عِمَارَةُ الْمَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَةِ الْجَوَانِيَةِ دَاخِلَ بَابِ
الْفَرَادِيسِ ، وَحَضَرَ فِيهَا الدَّرْسَ وَأَقْفَهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ الْمَلِكِ
الْعَزِيزِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ غِيَاثِ الدِّينِ غَازِي بْنِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ
ابْنِ أَيُوبَ بْنِ شَادِي فَاتِحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَدَرَّسَ فِيهَا قَاضِي الْبَلَدِ صَدْرُ الدِّينِ بْنُ
سَنِيِّ الدَّوْلَةِ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْأُمَرَاءُ وَالدَّوْلَةُ وَالْعُلَمَاءُ وَجُمْهُورُ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ
بدمشق .

وفيها^(٢) أُمِرَ بِعِمَارَةِ الرِّبَاطِ النَّاصِرِيِّ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ :

الشيخُ عِمَادُ الدِّينِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ النَّحَّاسِ^(٣) ، تَرَكَ الْخَدَمَ^(٤) ،
وَأَقْبَلَ عَلَى الزَّهَادَةِ وَالتَّلَاوَةِ ، وَالْعِبَادَةِ وَالصَّيَامِ الْمُتَتَابِعِ ، وَالانْقِطَاعِ بِمَسْجِدِهِ بِسَفْحِ
قَاسِيُونَ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ . وَلَمَّا تُوفِّيَ دُفِنَ عِنْدَ مَسْجِدِهِ
بِتَرْبَةِ مَشْهُورَةٍ بِهِ ، وَحَمَامٍ يُنْسَبُ إِلَيْهِ فِي مَسَارِقِ الصَّالِحِيَةِ ، وَقَدْ أَتَتْهُ عَلَيْهِ
السَّيْطُ^(٥) ، وَأَرْخُوا وَفَاتَهُ كَمَا ذَكَرْنَا^(٦) .

(١) عقد الجمان ١/١٢١ ، والدارس ١/٤٥٩ ، ٤٦٠ .

(٢) عقد الجمان ١/١٢٢ .

(٣) مرآة الزمان ٨/٧٩٤ (القسم الثاني) ، والذيل على الروضتين ص ١٨٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/

٣٠٨ ، وذيل مرآة الزمان ١/٢٤ ، وعقد الجمان ١/١٣١ .

(٤) في م : « الخلائق » .

(٥) انظر مرآة الزمان ٨/٧٩٤ (القسم الثاني) .

(٦) بعده في الأصل : « وقد توفي السبط في أواخر هذه السنة الشيخ شمس الدين ابن الجوزي » .

يوسف بن الأمير حسام الدين قرغلي بن عبد الله عتيق الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة الحنبلي^(١)، الشيخ شمس الدين، أبو المظفر الحنفى البغدادى، ثم الدمشقى، سبط ابن الجوزى، أمه رابعة بنت الشيخ جمال الدين أبى الفرج بن الجوزى الواعظ، وقد كان حسن الصورة، طيب الصوت، حسن الوعظ، كثير الفضائل والمصنفات، وله «مرآة الزمان» فى عشرين مجلدًا من أحسن التواريخ، انتظم فيه «المنتظم» لجده، وزاد عليه، وذيل إلى زمانه، وهو من أحسن التواريخ وأبهجها، قدم دمشق فى حدود الستمائة، وحظى عند ملوك بنى أيوب، وقدموه وأحسنوا [٤٧/١٠] إليه، وكان له مجلس وعظ كل يوم سبت بكرة النهار عند السارية التى يقوم عندها الوعاظ اليوم عند باب مشهد على بن الحسين زين العابدين، وقد كان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع، ويتركون البساتين فى الصيف حتى يسمعون ميعاده، ثم يشرعون إلى بساتينهم، فيتذكرون ما قاله من الفوائد والكلام الحسن، على طريقة جده.

وقد كان الشيخ تاج الدين الكندى، وغيره من المشايخ، يحضرون عنده تحت قبة يزيد، التى عند باب المشهد^(٢)، ويستحسنون ما يقول، ودرّس بالعزية^(٣) البرانية التى بناها الأمير عز الدين أئيك المعظمى، أستاذ دار المعظم، وهو واقف العزية الجوانية التى بالكشك أيضًا، وكانت قديمًا تُعرف بدور^(٤) ابن منقذ، ودرّس السبط أيضًا بالشبلية التى بالجبل عند جسر كحيل، وقُوض إليه البدرية

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٥، ووفيات الأعيان ١٤٢/٣، والذيل على مرآة الزمان ٣٩/١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٩٦، والعبر ٥/٢٢٠، وعقد الجمان ١/١٣٢، والنجوم الزاهرة ٧/٣٩.

(٢) فى الأصل: «البريد».

(٣) فى الأصل: «بالغالية». وانظر الدارس ١/٥٥٠، ٥٥١.

(٤) فى الأصل: «بدر».

التي قُبِلَتْهَا ، فكانت سَكَنَهُ ، وبها تُوفِّي ليلة الثلاثاء الحادى والعشرين من ذى الحِجَّة من هذه السنة ، وحضر جنازته سلطان البلد الناصر بن العزيز فَمَنْ دُونَهُ ، وقد أثنى عليه الشيخ شهاب الدين أبو شامة^(١) فى عُلُومِهِ وَقَضَائِلِهِ وَرِيَاسَتِهِ وَحُسْنِ وَعَظِهِ وَطِيبِ صَوْتِهِ وَنَضَارَةِ وَجْهِهِ ، وَتَوَاضُعِهِ وَزُهْدِهِ وَتَوَدُّدِهِ ، لكنه قال : وقد كُنْتُ مَرِيضًا لَيْلَةَ وَفَاتِهِ ، فرَأَيْتُ وفاته فى المنام قبل اليَقْظَةِ ، ورَأَيْتُهُ فى حالة مُنْكَرَةٍ ، ورآه غيرى أيضًا كذلك ، فنَسَأَلُ اللهَ العَافِيَةَ ، ولم أَقْدِرْ على حُضُورِ جِنَازَتِهِ ، وكانت جِنَازَتُهُ حَافِلَةً ، حَضَرَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ؛ السُّلْطَانُ فَمَنْ دُونَهُ ، وَدُفِنَ هُنَاكَ ، وقد كان فاضلاً عالماً ظَريفًا ، مُنْقَطِعًا مُنْكَرًا على أربابِ الدُولِ ما هم عليه مِنَ الْمُتَنَكَّرَاتِ ، وقد كان مُقْتَصِدًا فى لِبَاسِهِ ، مُوَاطِبًا على المِطَالَعَةِ وَالِاسْتِغَالِ وَالْجَمْعِ وَالتَّصْنِيفِ ، مُنْصِيفًا لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ ، مُبَايِنًا لِأَهْلِ^(٢) "الْجَبَرِيَّةِ" وَ"الْجَهْلِ" ، وَتَأْتَى الْمُلُوكُ وَأَرْبَابُ الدُّوَلِ إِلَيْهِ زَائِرِينَ وَقَاصِدِينَ ، وَرُبِّى فى طُولِ زَمَانِهِ فى جَاهِ عَرِيضٍ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَالْعَوَامِّ نَحْوَ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَكَانَ مَجْلِسُ وَعَظِهِ مُطَرَّبًا ، وَصَوْتُهُ فِيمَا يُورِدُهُ فِىهِ حَسَنًا طَيِّبًا ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَرَضِىَ عَنْهُ .^(٣) قُلْتُ : وَهُوَ مِمَّنْ يُنْشَدُ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٤) :

مازلتْ تَدَّأْبُ فى التَّارِيخِ مُجْتَهِدًا حَتَّى رَأَيْتُكَ فى التَّارِيخِ مَكْتُوبًا^(٥)
وقد سُئِلَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ زَمَنَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَاحِبِ حَلَبَ أَنْ يَذْكُرَ لِلنَّاسِ شَيْئًا مِنْ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ ، فَصَعِدَ الْمُبْتَرَّ ، وَجَلَسَ طَوِيلًا لَا يَتَكَلَّمُ ، ثُمَّ وَضَعَ الْمِنْدِيلَ عَلَى

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٥ .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) البيت لأبى عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل الخولانى النحوى ، قاله يرثى به الحافظ عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى المصرى المؤرخ . انظر إنباه الرواه ١٥٨/٢ ، ١٥٩ .

وجهه ، وبكى ثم أنشأ يقول وهو يتكى شديداً :

وَيْلٌ لِمَنْ شُفَعَاؤُهُ خُصَمَاؤُهُ وَالصُّورُ فِي نَشْرِ الْخَلَائِقِ يُنْفَخُ
لَا بَدَّ أَنْ تَرِدَ الْقِيَامَةَ فَاطِمٌ وَقَمِيضُهَا بَدَمِ الْحَسَنِ مُلَطَّخُ

ثم نزل عن المنبر وهو يتكى ، وصعد إلى الصالحية وهو يتكى كذلك ، رحمه الله .

واقف مَارِسْتَانِ الصالحية : الأمير الكبير سيف الدين أبو الحسن يوسف بن أبي الفوارس بن مؤسك القيمري الكُرْدِي^(١) ، أكبر أمراء القيمرية ، كانوا يقفون بين يديه كما تعامل الملوك ، ومن أكبر حسناته وقفه المارستان الذي بسفح قاسيون ، وكانت وفاته ودفنه بالسفح في القبة التي تَجَاهُ المارستان المذكور ، وكان ذا مالٍ كثير وثروة ، رحمه الله .

مُجِيرُ الدين يعقوب بن الملك العادل [٤٨٠ / ١٠] أبي بكر بن أيوب^(٢) ، دُفِنَ عند والده بثرية العادلية .

الأمير مُظَفَّرُ الدين إبراهيم^(٣) بن صاحب صَرْخَدَ عَزَّ الدين أَيْنِكَ أستاذ دارِ الْمُعْظَمِ واقف العزيتين^(٤) ؛ البرانية والجوانية على الحنفية ، ودُفِنَ عند والده بالتربة تحت القبة عند الوراقة ، رحمهما الله تعالى .

(١) ذيل مرآة الزمان ٤٣/١ ، والعبر ٢١٤/٥ ، وعقد الجمان ١٣٦/١ ، والنجوم الزاهرة ٣٩/٧ .
(٢) الذيل على الروضتين ص ١٩٤ ، وذيل مرآة الزمان ٣٧/١ ، والعبر ٢١٩/٥ ، وعقد الجمان ١/١٣٥ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٨٩ ، وذيل مرآة الزمان ١٥/١ ، وعقد الجمان ١٣٦/١ .

(٤) في م : « المعزيتين » .

الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن نوح المقدسي^(١)، الفقيه الشافعي
مدرس الرواحية بعد شيخه تقي الدين بن الصلاح، ودُفن بالصوفية، وكانت له
جنازة حافلة، رحمه الله.

قال أبو شامة^(٢): وكثر في هذه السنة موت الفجأة. فمات خلق كثير بسبب
ذلك.

ومن توفي فيها: ^(٣)زكي بن الفورية، أحد المعدلين بدمشق، وبدر الدين
ابن التتيني^(٤) أحد رؤسائها، وعز الدين عبد العزيز بن أبي طالب بن عبد الغفار
التعلي^(٥) ابن الحنوي^(٦)، وهو سبط القاضي جمال الدين بن الحرستاني،
رحمهم الله تعالى وعفا عنهم أجمعين.

(١) الذيل على الروضتين ص ١٨٩، وذيل مرآة الزمان ١٩/١، والعبر ٢١٨/٥، وعقد الجمان ١٣١/١.

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٨٩.

(٣ - ٣) في م: «زكي الدين أبو الفورية». وانظر المصدر السابق.

(٤) في م: «السنى».

(٥) في م: «التعلي». وانظر المصدر السابق ص ١٩٤.

(٦ - ٦) في الأصل: «بن الحيري»، وفي م: «أبي الحسين» والمثبت من المصدر السابق.

ثم دَخَلَتْ سنة خمس وخمسين وستمائة

فيها^(١) أصبح الملك المعز^(٢) صاحب مصر عز الدين أئيك التوكماني بداره ميّتا، وقد ولى الملك بعد أستاذة الملك الصالح نجم الدين أيوب بشهور، كان فيها ملك ثورانشاه المعظم بن الصالح، ثم خلفته شجر الدر أم خليل مدة ثلاثة أشهر، ثم أقيم هو في الملك ومعه الملك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن أقيس بن الكامل مدة، ثم استقل بالملك بلا منازعة، وكسر الناصر لما أراد أخذ الديار المصرية، وقتل الفارس أقطاي في سنة ثنتين وخمسين، وخلع بعده الأشرف، واستقل بالملك وحده، ثم تزوج بشجر الدر أم خليل، وكان كريما شجاعا حكيما^(٣) ديتا، ثم كان موته في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الأول، وهو واقف المدرسة المعزية التي بمصر، ومجازها من أحسن^(٤) الأشياء، وهى من داخل ليست بتلك الفائقة. وقد قال بعضهم فيها: هذه مجاز لا حقيقة له. ولما قُتِل، رحمه الله، اتهم بماليكه زوجته أم خليل المسماة بشجر الدر به، وكان قد عزم على تزويج ابنة صاحب المؤصل بدر الدين لؤلؤ، فأمرت جواريتها أن يُمسكته لها، فما زالت تضربه بقباقيبها، والجوارى يعزكن^(٥) فى معاريه حتى مات وهو

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٥ - ١٩٨، وذيل مرآة الزمان ٤٥/١ - ٤٨، ونهاية الأرب ٢٩/٤٥٦ - ٤٦٥، وكنز الدرر ٣٠/٨ - ٣٣، والعبر ٢٢٠/٥، ٢٢١.

(٢) فى م: «المعظم».

(٣) فى م: «حييا».

(٤) فى م: «أحق».

(٥) فى الأصل: «يفركن». وعرك: ذلك وحك. والمعارى: العورة والفرج. اللسان (ع ر ك)، (ع ر ي).

كذلك ، ولما سَمِعَ مَمَالِيكُهُ أَقْبَلُوا بِصُحْبَةٍ تَمْلُوكُهُ الْأَكْبَرِ سَيْفِ الدِّينِ قُطْرُ ، فَقَتَلُوهَا
وَأَلْقَوْهَا عَلَى مَرْبَلَةٍ غَيْرِ مَسْتَوْرَةٍ الْعَوْرَةِ ، بَعْدَ الْحِجَابِ الْمَنِيْعِ وَالْمَقَامِ الرَّفِيعِ ، وَقَدْ
عَلَّمَتْ عَلَى الْمَنَاشِيرِ وَالتَّوَاقِيعِ ، وَخَطَبَ الْخُطْبَاءُ بِاسْمِهَا ، وَضُرِبَتِ السَّكَّةُ
بِرَسْمِهَا ، فَذَهَبَتْ فَلَا تُعْرَفُ بَعْدَ ذَلِكَ بَعَيْنِهَا وَلَا رَسْمِهَا : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ
الْمَلِكِ تُوَكِّي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ
تَشَاءُ يَسِيْدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] . وَأَقَامَتِ الْأَثْرَاكُ بَعْدَ
أُسْتَاذِهِمْ عِزُّ الدِّينِ أَيْتِكَ التُّرْكُمَانِيُّ - بِإِشَارَةِ أَكْبَرِ مَمَالِيكِهِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ
قُطْرُ - وَلَدَهُ نُورَ الدِّينِ عَلِيًّا ، وَلَقَّبُوهُ الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ ،
وَضُرِبَتِ السَّكَّةُ بِاسْمِهِ ، وَجَزَتْ الْأُمُورُ عَلَى مَا يَخْتَارُهُ بِرَأْيِهِ وَرَسْمِهِ .

وفيهما كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة ، فنهبت الكرخ
وذور الرافضة حتى ذور قرابات الوزير ابن العلقمي ، وكان ذلك من أقوى
الأسباب في ثُمالاته التتار .

وفيهما دخلت الفقراء الحيدرية الشام ، ومن شعارهم لبس الفراجي^(١)
والطراطير ، وَيَقْصُونَ لِحَاهُمْ ، وَيَتْرُكُونَ شَوَارِبَهُمْ ، وَهُوَ خِلَافُ السُّنَّةِ ، تَرَكَوْهَا
لِمُتَابَعَةِ [٤٨/١٠ ظ] شَيْخِهِمْ حَيْدَرٍ حِينَ أَسْرَهُ الْمَلَايِدَةُ ، فَقَصُّوا لِحْيَتَهُ ، وَتَرَكَوْا
شَوَارِبَهُ ، فَاقْتَدَوْا بِهِ فِي ذَلِكَ ، وَهُوَ مَعْدُورٌ مَأْجُورٌ ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ
ذَلِكَ^(٢) ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِيهِ قُدُوةٌ ، وَقَدْ بُيِّنَتْ لَهُمْ زَاوِيَةٌ بِظَاهِرِ دِمَشْقَ قَرِيبًا مِنَ الْعُونِيَةِ .

(١) في م : « الرحي » . والفراجي : جمع فَرَجِيَّةٍ ، وَهِيَ جَبَةٌ مَفْتُوحَةٌ مِنَ الْأُمَامِ مِنْ أَعْلَاهَا حَتَّى الذِّيلِ
وَمَزُودَةٌ بِصَفِّ مِنَ الْأَرْزَارِ . انظر الملابس المملوكية ص ٩١ .

(٢) ورد في هذا الباب عدة أحاديث ؛ منها ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر - واللفظ
للبخاري - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « خَالَفُوا الْمُشْرِكِينَ ، وَوَفَرُوا لِلْحَيِّ . وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ » البخاري
(٥٨٩٢ ، ٥٨٩٣) ، وَمُسْلِمٌ (٢٥٩ ، ٢٦٠) .

وفى يوم الأربعاء^(١) ثامن عشر^(٢) ذى الحِجَّة من هذه السنة المباركة عُيِّل عزاء واقف الباذرائية بها الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد الباذرائي البغدادي^(٣) ، مَدْرَسِ النظامية ، ورسول الخلافة إلى ملوك الآفاق في الأمور المهمة ، وإصلاح الأحوال المذلهمة ، وقد كان فاضلاً بارعاً رئيساً وقوراً متواضعاً ، وقد ابْتَنَى بدمشق مدرسة حسنة مكان دار الأمير أسامة ، وشرط على المقيم بها العزوبة ، وأن لا يكون الفقيه في غيرها من المدارس ، وإنما أراد بذلك توفير خاطر الفقيه وجمعيته على طلب العلم ، ولكن حصل بذلك خلل كثير وشر لبعضهم كثير ، وقد كان شيخنا الإمام العلامة شيخ الشافعية بالشام وغيرها بوهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ تاج الدين الفزاري مَدْرَسُ هذه المدرسة وابن مَدْرَسِها ، يذكُر أنه لما حضر الواقف في أول يوم دَرَس بها ، وحضر عنده السلطان الناصر ، فَرِئ كتاب الوقف ، وفيه : ولا يَدْخُلُها امرأة . فقال السلطان : ولا صبي ؟ فقال الواقف : يا مولانا ، ربنا ما يَضْرِبُ بعصاتين . فإذا ذكر هذه الحكاية تبسّم عندها ، رحمه الله تعالى .

وكان هو أول من دَرَس بها ، ثم ولده كمال الدين من بعده ، وجعل نظرها إلى وجيه الدين بن سُوَيْد ، ثم صار في ذريته إلى الآن . وقد نظر في بعض الأوقات القاضي شمس الدين بن الصائغ ، ثم انْتَزِع منه حيث أثبت لهم النظر ، وقد أوقف الباذرائي على هذه المدرسة أوقافاً حسنة دائرة ، وجعل فيها خزانة كتب

(١ - ١) في الأصل : « عاشر » وانظر الذيل على الروضتين ، وفيه أنه عمل في ذلك اليوم صلاة الغائب ؛ لأنه توفي ببغداد ، ولم يذكر العزاء .
(٢) الذيل على الروضتين ص ١٩٨ ، وذيل مرآة الزمان ١ / ٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣ / ٣٣٢ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨ / ١٥٩ .

حَسَنَةً نَافِعَةً، وَقَدْ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فَوَلَّى بِهَا قَضَاءَ الْقَضَاةِ كُرْهًا مِنْهُ، فَأَقَامَ فِيهِ سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، ثُمَّ تُوفِّيَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي مُسْتَهْلَ ذِي الْحِجَّةِ^(١) مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. وَدُفِنَ بِالشُّونِيزِيَّةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَفِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بَعْدَ مَوْتِ الْبَاذَرَايِّ بِأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ نَزَلَتْ النَّشَارُ عَلَى بَغْدَادَ مُقَدِّمَةً لِمَلِكِهِمْ هُوَلَاوُ بْنُ تُوَلَّى بْنِ جَنْكِرْخَانَ، عَلَيْهِمُ لَعْنَتُ الرَّحْمَنِ، وَكَانَ افْتِتَاحُهُمْ لَهَا وَجَنَائِثُهُمْ عَلَيْهَا فِي أَوَّلِ السَّنَةِ الْآتِيَةِ عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ وَتَفْصِيلُهُ، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ.

وَمَنْ تُوفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ :

الْبَاذَرَايِّ وَاقِفُ الْمَدْرَسَةِ الْبَاذَرَايَّةِ الَّتِي بِدَمَشَقَ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

وَالشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْفَهْمِ الْيَلْدَانِيُّ^(٢) بِهَا فِي ثَامَنِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَدُفِنَ بِهَا، وَكَانَ شَيْخًا صَالِحًا مُسْتَعْتَلًا بِالْحَدِيثِ سَمَاعًا وَكِتَابَةً وَإِسْمَاعًا، إِلَى أَنْ تُوفِّيَ وَلَهُ نَحْوُ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ.

قُلْتُ: وَأَكْثَرُ كُتُبِهِ وَمَجَامِيْعِهِ الَّتِي بَخْطُهُ مَوْقُوفَةٌ بِخَزَانَةِ الْفَاضِلِيَّةِ مِنَ الْكَلَّاسِيَّةِ، وَقَدْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا رَجُلٌ جَيِّدٌ؟^(٣) قَالَ: بَلَى، أَنْتَ رَجُلٌ جَيِّدٌ^(٤). رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

الشَّيْخُ شَرْفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ الْمُرْسِيِّ^(٥)، وَكَانَ شَيْخًا فَاضِلًا

(١) فِي الْأَصْلِ: «ذِي الْقَعْدَةِ».

(٢) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ١٩٥، وَذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٧٠/١، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٣١١/٢٣، وَالْوَفَايُ بِالْوَفَايَاتِ ١٧٦/١٨. وَالْيَلْدَانِيُّ: نَسَبُهُ إِلَى يَلْدَانَ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الشَّامِ. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١٠٢٥/٤.

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلِ.

(٤) مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٢٠٩/١٨، وَالذَّيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ١٩٥، وَذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٧٦/١، وَسِيرُ =

مُفْتِيًا مُحَقِّقَ الْبَحْثِ ، كَثِيرَ الْحِجِّ ، لَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ الْأَكَابِرِ ، وَقَدْ افْتَنَى [٤٩/١٠]
 كِتَابًا كَثِيرَةً ، وَكَانَ أَكْثَرُ مُقَامِهِ بِالْحِجَازِ ، وَحَيْثُ حَلَّ عَظَمَهُ رُؤَسَاءُ تِلْكَ الْبَلَدَةِ ،
 وَكَانَ مُقْتَصِدًا فِي أُمُورِهِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، بِالزَّعْقَةِ بَيْنَ الْعَرِيشِ
 وَالْدَّارُومِ ^(١) فِي مُتَنَصِفِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

الْمَلِكُ النَّاصِرُ دَاوُدُ بْنُ الْمُعَظَّمِ عَيْسَى بْنِ الْعَادِلِ ^(٢) ، مَلِكٌ دِمَشْقَ بَعْدَ أَبِيهِ ،
 ثُمَّ انْتَرَعَتْ مِنْ يَدِهِ ، وَأَخَذَهَا عَنْهُ الْأَشْرَفُ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى الْكَرْكِ وَنَابُلُسَ ، ثُمَّ
 تَقَلَّبَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ ، وَجَرَتْ لَهُ خُطُوبٌ طَوَالًا حَتَّى لَمْ يَتَّقَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَحَالِّ ،
 وَأَوْدَعَ وَدِيعَةً تُقَارِبُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعَصِمِ ^(٣) ، فَأَنْكَرَهُ إِيَّاهَا ، وَلَمْ
 يَزِدَّهَا عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ لَهُ فَصَاحَةٌ وَشَعْرٌ جَيِّدٌ ، وَلَدِيهِ فَضَائِلُ جَيَّةٌ ، وَاشْتَغَلَ فِي
 عِلْمِ الْكَلَامِ عَلَى الشَّمْسِ الْخُسْرُوشَاهِيِّ تَلْمِيزِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ ، وَكَانَ يَعْرِفُ عُلُومَ
 الْأَوَائِلِ جَيِّدًا ، وَقَدْ حَكَّوْا عَنْهُ أَشْيَاءَ تَذُلُّ - إِنْ صَحَّتْ - عَلَى سُوءِ عَقِيدَتِهِ . فَاللَّهُ
 أَعْلَمُ .

وَذِكْرُ أَنَّهُ حَضَرَ أَوَّلَ دَرَسٍ ذِكْرٍ بِالْمُسْتَنْصَرِيَّةِ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ،
 وَأَنَّ الشُّعْرَاءَ أَنْشَدُوا الْمُسْتَنْصَرَ مَدَائِحَ كَثِيرَةً ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي جُمْلَةٍ قَصِيدَةٍ لَهُ :

= أَعْلَامُ النَّبَلَاءِ ٣١٢/٢٣ ، وَالرَّافِي بِالْوَفِيَّاتِ ٣٥٤/٣ ، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسَبْكِ ٦٩/٨ ،
 وَالْعَقْدُ الثَّمِينُ ٨١/٢ ، وَطَبَقَاتُ الْمَفْسَرِينَ لِلدَّارُودِيِّ ١٦٨/٢ ، وَبَغِيَّةُ الْوَعَاةِ ١٤٤/١ .

(١) الدَّارُومُ : قَلْعَةٌ بَعْدَ غُرَّةٍ لِلْقَاصِدِ إِلَى مِصْرَ الْوَاقِفِ فِيهَا يَرَى الْبَحْرَ إِلَّا أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ مَقْدَارُ
 فَرَسَخٍ . مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٥٢٥/٢ .

(٢) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ٢٠٠ ، وَذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ١٢٦/١ ، وَوَفِيَّاتُ الْأَعْيَانِ ٤٩٦/٣ ، وَدَوَلُ
 الْإِسْلَامِ ١٦٠/٢ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٣٧٦/٢٣ ، وَوَفَاتُ الْوَفِيَّاتِ ٤١٩/١ . وَقَدْ وَرَدَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي
 الْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ فِي وَفَيَّاتِ سَنَةِ سِتِّمِائَةٍ وَسِتِّ وَخَمْسِينَ .

(٣) فِي م : « الْمُسْتَنْصَر » .

لو كنتَ في يومِ السَّقِيفَةِ شاهداً كنتَ المُقَدَّمُ والإمامُ الأعظمَا

فقال الناصرُ داوُدُ للشاعرِ: اشْكُتْ ، فقد أخطأتُ ، قد كان جدُّ أميرِ المؤمنين العباسُ شاهداً يومئذٍ ، ولم يَكُنِ المُقَدَّمُ ، وما الإمامُ الأعظمُ إلا أبو بكرِ الصديقُ . فقال الخليفةُ : صدق . فكان هذا مِن أحسنِ ما نُقِلَ عنه ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

وقد تقاصرَ أمرُهُ إلى أن رَسَمَ عليه الناصرُ بَنُ العزيرِ بقريةِ البُوَيْضَا التي لعمَّه مجير^(١) الدينِ يَعْقُوبَ ، حتى تُوفِّي بها في هذه السنة ، فاجتمعَ الناسُ بِجَنَازَتِهِ ، وحُمِلَ منها ، فَصُلِّيَ عليه ، حتى دُفِنَ عِنْدَ والِدِهِ بسفحِ قَاسِيَوْنَ .

الملكُ المَعزُّ عَزَّ الدينُ أَيْنُك التُّرْكُمَانِيُّ^(٢) ، أولُ ملوكِ الأتراكِ ، كان مِن أكبرِ مَمَالِيكِ الصالحِ نَجْمِ الدينِ أَيُوبَ بنِ الكاملِ ، وكان دَيِّناً صَيِّباً عَفِيفاً كريماً ، مكثَ في الملكِ نحواً مِن سبعِ سنينَ ، ثم قَتَلَتْهُ زوجتهُ شَجَرُ الدَّرِّ أُمُّ خَلِيلٍ ، وقامَ في الملكِ مِن بَعْدِهِ وَلَدُهُ نورُ الدينِ عَلِيٌّ ، وَلُقِّبَ بالملكِ المَنْصُورِ ، وكان مُدَبِّرَ مَمْلَكَتِهِ مَمْلُوكُ أَبِيهِ سيفُ الدينِ قُطُزٌ ، ثم عَزَلَهُ واستَقَلَّ بالملكِ بَعْدَهُ نحواً مِن سنةٍ ، وتَلَقَّبَ بالمُظَفَّرِ ، فَقَدَّرَ اللهُ كَسَرَ التَّارِ على يَدَيْهِ بَعِينَ جالوتَ ، وقد بَسَطْنَا هذا كُلَّهُ في الحَوَادِثِ فيما تَقَدَّمَ وما سِيَّأتِي ، وَلِلَّهِ الحمدُ .

شَجَرُ الدَّرِّ بَنَتْ عَبْدَ اللهِ ، أُمُّ خَلِيلِ التُّرْكِيَّةِ^(٣) ، كانت مِن حظايا الملكِ الصالحِ نَجْمِ الدينِ أَيُوبَ ، وكان وَلَدُهَا مِنْهُ خَلِيلٌ مِن أحسنِ الصُّوَرِ ، فمات

(١) في م : « مجد » .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٥٤ / ١ ، ودول الإسلام ١٥٩ / ٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٩٨ / ٢٣ ، والوفاء بالوفيات ٤٦٩ / ٩ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٦١ / ١ ، وعقد الجمان ١٦٥ / ١ ، والدليل الشافي في المنهل الصافي ٣٤٢ / ١ ، والسلوك ٤٠٤ / ١ (القسم الثاني) ، وشذرات الذهب ٢٦٨ / ٥ .

صغيراً، وكانت تكونُ في خدمته، لا تُفارقُه حضراً ولا سفراً من شدة محبته لها، وقد ملكَت الديارَ المِصرِيَّةَ بعدَ مقتلِ ابنِ زوجها المُعْظَمِ ثورانشاه، فكان يُحْطَبُ لها، وضُرِبَت السُّكَّةُ بِاسْمِهَا، وعَلِّمَتْ على المَنَاشِيرِ مدَّةَ ثلاثةِ أَشْهُرٍ، ثم تَمَلَّكَ المُعِزُّ كما ذَكَرْنَا، ثم تزَوَّجها بعدَ تَمَلُّكِه الديارَ المِصرِيَّةَ بِسَنَوَاتٍ، ثم غارت عليه لما بَلَغَهَا أَن يُرِيدُ أَن يَتَزَوَّجَ بِنْتَ صَاحِبِ الموصِلِ بدرِ الدينِ لؤلؤ، فَعَمِلَتْ عليه حتى قَتَلَتْه كما تَقَدَّمَ ذَكَرُه، فتمالاً عليها مَمَالِيكُه المِصرِيَّةُ فَقَتَلُوهَا وَأَلْقَوْهَا على مَرْبَلَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثم نُقِلَتْ إلى تربية لها بِالقَرَبِ مِن قَبْرِ السَّتِّ نَفِيسَةٍ، رَحِمَهَا اللَّهُ تعالى، وكانت قَوِيَّةَ النَفْسِ؛ لما عَلِمَتْ أَنه قد أُحِيطَ بِهَا أَتَلَفَتْ شَيْئاً كَثِيراً مِن الجَوَاهِرِ وَاللَّائِي، كَسَرَتْهُ فِي الهَاوِنِ، لا لها ولا لغيرِها، وكان وزيرُها في دولِيتها الصَّاحِبُ بَهَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمٍ^(١) المعروف بِابنِ حِثَّاءَ، وهو أَوَّلُ مَنَاصِبِهِ.

الشيخُ الأُسْعَدُ هِبَةُ اللَّهِ بْنِ صَاعِدٍ، شَرَفُ الدِّينِ الْفَائِزِيُّ^(٢)؛ لخدمته قديماً
[٤٩/١٠ ظ] الملكُ الْفَائِزُ سَابِقُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ، وكان نَضْرَانِيًّا فَأُسْلِمَ، وكان كثيرَ البرِّ وَالصَّدَقَاتِ وَالصَّلَاتِ، اسْتَوَزَرَهُ الْمُعِزُّ، وكان حَظِيئًا عِنْدَهُ جَدًّا، لا يَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا بَعْدَ مُرَاجَعَتِهِ وَمُشَاوَرَتِهِ، وكان قَبْلَهُ فِي الْوِزَارَةِ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ ابْنُ بِنْتِ الْأَعَزِّ، وَقَبْلَهُ الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ السَّنْجَارِيُّ، ثم صارت بعدَ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَى هَذَا الشَّيْخِ الْأُسْعَدِ الْمُسْلِمَانِيِّ، وقد كان الْفَائِزِيُّ يُكَاتِبُهُ الْمُعِزُّ بِالْمَمْلُوكِ، ثم لما قُتِلَ الْمُعِزُّ أَهَيْنَ الْأُسْعَدُ حَتَّى صَارَ شَقِيئًا، وَأَخَذَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ

(١) في م: «سليمان». وستأتي ترجمته في صفحة ٥٤٨ ضمن وفيات سنة سبع وسبعين وستمائة.
(٢) ذيل مرآة الزمان ٨٠/١، والنجوم الزاهرة ٥٨/٧، والسلوك ٤٠٧/١ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ١٦٣/١.

قَطُرَ خَطَّهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَقَدْ هَجَاهُ بَهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرُ بْنُ عَلِيٍّ، فَقَالَ:

لَعَنَ اللَّهُ صَاعِدًا وَأَبْـاهُ فِصَاعِدًا
وَبَنِيهِ فَنَازِلًا وَاحِدًا ثُمَّ وَاحِدًا

ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَدُفِنَ بِالْقَرَّافَةِ، وَقَدْ رثاه القاضي ناصر الدين بن المنير، وله فيه مدائح وأشعارٌ حسنة يُقرِّظُها بها، فصيحةٌ رائعةٌ.

ابن أبي الحديد العراقي الشاعر: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد^(١) بن محمد^(٢) بن الحسين، أبو حامد بن أبي الحديد، عز الدين المدائني، الكاتب الشاعر المطبّق الشيعي الغالي، له «شرح نهج البلاغة» في عشرين مجلدًا، وُلِدَ بالمَدائِنِ سنة ست وثمانين وخمسمائة، ثم صار إلى بغداد، فكان أحدَ الكتّابِ والشعراءِ بالديوانِ الخليفة، وكان حظيًا عند الوزير ابن العلقمي، لما بينهما من المناسبة والمقاربة والمُشابهة؛ في التشيع والأدب والفضيلة، وقد أورد له ابن الساعي أشياء كثيرة من مدائحه وأشعاره الفائقة الرائقة، وكان أكثرَ فضيلةً وأدبًا من أخيه أبي المعالي موفق الدين أحمد^(٣) بن هبة الله، وإن كان الآخرُ فاضلاً بارعاً أيضًا، وقد ماتا في هذه السنة، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تعالى.

المُشدُّ الشاعر، الأمير سيف الدين علي بن عمر بن قزل^(٤)، مُشدُّ الديوانِ

(١ - ١) سقط من: الأصل. وانظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٦٢/١، ووفيات الأعيان ٣٩٢/٥،

وفوات الوفيات ٢٥٩/٢، والوافي بالوفيات ٧٦/١٨. وعقد الجمان ١٦٤/١.

(٢) سقط من: م. قال: في وفيات الأعيان ٣٩١/٥: موفق الدين أبو المعالي أحمد، ويدعى القاسم أيضًا. وانظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ١٠٤/١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٧٤، ٣٧٢، والوافي بالوفيات ١٥٤/١. وجاءت وفاته في هذه المصادر في السنة الآتية.

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٩٨، والعبر ٢٣٣/٥، وفوات الوفيات ٥١/٣، والوافي بالوفيات ٢١/٣٥٣، والنجوم الزاهرة ٦٧/٧، وعقد الجمان ١٦١/١، وسمى المشد لأنه تولى شد الدواوين. وهي =

بدمشق، وكان شاعراً مُطَبِّقاً، له ديوانٌ مشهورٌ، وقد رآه بعضهم بعد موته،
فسأله عن حاله، فأنشده:

نُقِلْتُ إلى رَمْسِ القبورِ وضيقِها وخوفى ذنوبى أنها بى تُعَثِّرُ
فصادَفْتُ رَحْمَانًا رءوفًا وأنعمًا حبانى بها نفياً^(١) لما كنتُ أَحْذَرُ
ومن كان حُسْنُ الظنِّ فى حالِ موته جميلاً بعفوِ الله فالعفوُ أجْدَرُ

بِشارةِ بنِ عبدِ الله الأَرَمَنِ الأصلِ، بدرُ الدينِ الكاتبِ^(٢)، مولى شَيْلِ
الدولةِ المَعْظَمِيّ، سَمِعَ الكِنْدِيّ وغيره، وكان يَكْتُبُ خطًّا جيّدًا، وأُسْنَدَ إليه
مولاه النظرَ فى أوقافه، وجعله فى ذريته، فهم إلى الآنَ يَنْظُرُونَ فى الشَّيْلِيّينَ،
وكانت وفاته فى النصفِ من رمضانَ من هذه السّنة.

القاضى تاجُ الدينِ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ قاضى القضاةِ جمالِ الدينِ
المِصْرِيِّ^(٣)، ناب عن أبيه، ودرّس بالشامية، وله شعرٌ، فمنه قوله:

صَيَّرْتُ فَمِي لَفِيهِ بِاللِّثَمِ لثَامٌ عَمْدًا وَرَشَفْتُ مِنْ ثَنَائِهِ مُدَامٌ
فَارُورٌ وَقَالَ أَنْتَ فى الفقهِ إِمَامٌ رِيقى خَمْرٌ وَعِنْدَكَ الخمرُ حَرَامٌ

= وظيفة من بحضرة السلطان. موضوعها، أن يكون صاحبها رفيقًا للوزير متحدثًا فى استخلاص
الأموال، وما فى معنى ذلك، وعادتها إمرة عشرة. انظر صبح الأعشى ٢٢/٤.
(١) فى م: «سقى».

(٢) الوافى بالوفيات ١٠/١٤١، وعقد الجمان ١/١٦٢.

(٣) عقد الجمان ١/١٦٢، والدارس ١/٢٨٠.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتٌّ وخمسين وستمائة

فيها^(١) أَخَذَتِ التَّارُ بَغْدَادَ ، وَقَتَلُوا أَكْثَرَ أَهْلِهَا حَتَّى الْخَلِيفَةَ ، وَانْقَضَتْ دَوْلَةُ
بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْهَا .

اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَجَنُودُ التَّارِ قَدْ نَارَكَتْ بَغْدَادَ صُحْبَةً الْأَمِيرَيْنِ اللَّذَيْنِ
[٥٠/١٠] عَلَى مُقَدِّمَةِ عَسَاكِرِ سُلْطَانِ التَّارِ هُولَاكُوفَانَ ،^(٢) وَجَاءَتْ إِلَيْهِمْ أُمْدَادُ
صَاحِبِ الْمَوْصِلِ يُسَاعِدُونَهُمْ عَلَى الْبَغَادَةِ وَمِيرُثِهِ وَهَدَايَاهُ وَتُحْفُهُ ، وَكُلُّ ذَلِكَ
خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ التَّارِ ، وَمُصَانَعَةً لَهُمْ ، قَبَّحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى^(٣) ، وَقَدْ سُتِرَتْ
بَغْدَادُ ، وَنُصِبَتْ فِيهَا الْمَجَانِيقُ وَالْعَرَادَاتُ وَغَيْرُهَا مِنْ آلَاتِ الْمُمَانَعَةِ الَّتِي لَا تَرُدُّ مِنْ
قَدَرِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَيْئًا ، كَمَا وَرَدَ فِي الْأَثَرِ^(٤) : « لَنْ يُغْنِيَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ » .
وَكَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ [نوح : ٤] . وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا
مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿ [الرعد : ١١] . وَأَحَاطَتْ التَّارُ بِدَارِ الْخِلَافَةِ
يُؤَشِّقُونَهَا بِالنِّشَابِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، حَتَّى أُصِيبَتْ جَارِيَةٌ كَانَتْ تَلْعَبُ بَيْنَ يَدَيِ
الْخَلِيفَةِ وَتُضْحِكُهُ ، وَكَانَتْ مِنْ جَمَلَةِ الْحَطَايَا ، وَكَانَتْ مُوَلَّدَةً تُسَمَّى عَرَفَةَ ،

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، وذيل مرآة الزمان ٨٥/١ - ٩٢ ، ونهاية الأرب ٣٨٠/٢٧ - ٣٨٣ ، والعبر ٢٢٥/٥ ، ٢٢٦ ، وعقد الجمان ١٦٧/١ - ١٨٣ .

(٢ - ٣) سقط من : م .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤٩٢/١ بسنده عن عائشة عن النبي ﷺ بأطول من هذا ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وفي إسناده زكريا بن منظور ، قال الحافظ الذهبي معقبا على الحاكم : زكريا مجمع على ضعفه .

جاءها سهم من بعض الشبائيك فقتلها وهى ترُقُصُ بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك، ^(١) وفزع فرعاً شديداً، وأحضر السهم الذى أصابها بين يديه، فإذا عليه مكتوب: إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ^(٢) ذوى العقول عقولهم. فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز، وكثرة الستائر على دار الخلافة، وكان قدوم هولاكوقان بجنوده كلها - وكانوا نحواً من مائتى ألف مقاتل - إلى بغداد فى ثانى عشر المحرم من هذه السنة، وهو شديد الحنق على الخليفة بسبب ما كان تقدّم من الأمر الذى قدره الله وقضاه وأنفذه وأمضاه، وهو أن هولاكوقان لما كان أول بروزه من همدان متوجّهاً إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى على الخليفة بأن يتعّث إليه بهدايا سنّية؛ ليكون ذلك مداراة له عما يريد من قصد بلادهم، فخذل الخليفة عن ذلك دؤيداره ^(٣) الصغير أئيك وغيره، وقالوا: إن الوزير إنما يريد بهذا مُصانعة ملك التتار بما يتعّثه إليه من الأموال، وأشاروا بأن يتعّث إليه بشيء يسير، فأرسل شيئاً من الهدايا، فاحتقرها هولاكوقان، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دؤيداره المذكور، وسليمان شاه، فلم يتعّثهما إليه، ولا بالى به حتى أرف قدومه، ووصل إلى بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة، ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية، وجنود بغداد فى غاية القلة ونهاية الذلّة، لا

(١ - ١) زيادة من: م.

(٢) فى م: «أذهب من».

(٣) فى ذيل مرآة الزمان، ونهاية الأرب وعقد الجمان جاءت صفته، أنه الدوادار. ولم يُذكر فى الذيل على الروضتين. والمثبت موافق لما فى العبر. والدوادرية: تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور، وتقديم القصص إليه، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف، وتقديم البريد، هو وأمير جاندار وكاتب السر، يأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكتب، وإذا خرج عن السلطان بكتابة شيء مرسوم؛ حمل رسالته وعينت فيما يكتب. انظر صبح الأعشى ١٩/٤.

يُتْلَغُونَ عَشْرَةَ آلَافٍ فَارِسٍ، وَهُمْ ^(١) فِي غَايَةِ الضَّعْفِ ^(٢)، وَبَقِيَّةُ الْجَيْشِ كُلُّهُمْ قَدْ صُرِفُوا عَنْ إِقْطَاعَاتِهِمْ حَتَّى اسْتَعْطَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي الْأَسْوَاقِ وَأَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ، وَأَنْشَدَ فِيهِمُ الشُّعْرَاءُ الْقَصَائِدَ يَزْثُونَ لَهُمْ، وَيَحْزَنُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ عَنْ آرَاءِ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ كَانَ بَيْنَ أَهْلِ السَّنَةِ وَالرَّافِضَةِ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ، نُهَبَتْ فِيهَا الْكَرْخُ مَحَلَّةُ الرَّافِضَةِ، حَتَّى نُهَبَتْ دُورُ قَرَابَاتِ الْوَزِيرِ، فَاسْتَدَّ حَنْقُهُ عَلَى ذَلِكَ، فَكَانَ هَذَا مِمَّا أَهَاجَهُ عَلَى أَنْ دَبَّرَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ الْقَطِيعِ الَّذِي لَمْ يُؤَرِّخْ أَشْنَعُ مِنْهُ مِنْذُ بُنِيَتْ بَغْدَادُ، وَإِلَى هَذِهِ الْأَوْقَاتِ، وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلَ مَنْ بَرَزَ إِلَى التَّثَارِ هُوَ، فَخَرَجَ فِي أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَخَدَمِهِ وَحَشَمِهِ، فَاجْتَمَعَ بِالسُّلْطَانِ هَوْلَاكُوقَانَ، لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ عَادَ فَأَشَارَ عَلَى الْخَلِيفَةِ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ وَالْمُتَوَلِّينَ بَيْنَ يَدَيْهِ لَتَقَعَ الْمُصَالَحَةُ عَلَى أَنْ يَكُونَ نِصْفُ خَرَاكِ الْعِرَاقِ لَهُمْ وَنِصْفُهُ لِلْخَلِيفَةِ، فَاجْتَنَحَ الْخَلِيفَةُ إِلَى أَنْ خَرَجَ فِي سَبْعِمِائَةِ رَاكِبٍ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَةِ وَرُءُوسِ الْأُمَرَاءِ وَالِدَوْلَةِ وَالْأَعْيَانِ، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا [١٠/٥٠ هـ] مِنْ مَنْزِلِ السُّلْطَانِ هَوْلَاكُوقَانَ حُجِبُوا عَنْ الْخَلِيفَةِ إِلَّا سَبْعَةَ عَشَرَ نَفْسًا، فَخَلَصَ الْخَلِيفَةُ بِهِؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ، وَأُنْزِلَ الْبَاقُونَ عَنْ مَرَاكِبِهِمْ وَنُهَبَتْ، وَقُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ، وَأُخْضِرَ الْخَلِيفَةُ بَيْنَ يَدَيْ هَوْلَاكُوفَسْأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، فَيَقَالُ: إِنَّهُ اضْطَرَبَ كَلَامُ الْخَلِيفَةِ مِنْ هَوْلٍ مَا رَأَى مِنَ الْإِهَانَةِ وَالْجَبَرُوتِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ وَفِي صَحْبَتِهِ خَوَاجَا نَصِيرُ الطُّوسِيِّ، لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَالْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ وَغَيْرُهُمَا، وَالْخَلِيفَةُ تَحْتَ الْحَوَاطِي وَالْمُصَادَرَةِ، فَأُخْضِرَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْحُلِيِّ وَالْمَصَاغِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَشْيَاءِ النَّفِيسَةِ، وَقَدْ أَشَارَ أُولَئِكَ الْمَلَأُ مِنَ الرَّافِضَةِ، لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى

(١ - ١) سقط من: م.

هولاكوقان أن لا يُصالح الخليفة، وقال الوزير: متى وَقَّ الصلح على المناصفة لا يَشْتَمِرُ هذا إلا عامًا أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك. وحسنوا له قتل الخليفة، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكوقان أمر بقتله، ويقال: إن الذى أشار بقتله الوزير ابنُ العَلَقَميِّ والنصير الطوسي. وكان النصير عند هولاكوقان قد استصحبه فى خدمته لما فتح قلاع الألبوت وانتزعها من أيدي الإسماعيلية، وكان النصير وزيرًا لشمس الشمس ولأبيه^(١) من قبله علاء الدين ابن جلال الدين، وكانوا ينتسبون إلى نزار بن المشتنصر العبدي، وانتخب هولاكوقان النصير ليكون فى خدمته كالوزير المشير، فلما قدم هولاكوقان وتهيب من قتل الخليفة هوّن عليه الوزيران^(٢) ذلك، فقتلوه رفقًا وهو فى جوالق؛ لئلا يَقَعَ إلى الأرض شيء من دمه، خافوا أن يُؤخَذَ بثأره فيما قيل لهم، وقيل: بل خُنِق. ويقال: غُرِق. فالله أعلم. فباءوا بئائمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولى الحل والعقد ببلاد بغداد - وستأتى ترجمة الخليفة فى الوقايات - ومالوا على البلد، فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس فى الآبار وأماكن الحشوش، وقُتِل^(٣) الوسخ، وكمنا كذلك أيامًا لا يظهرون، وكان الفئام من الناس يجتمعون فى الخانات، ويعلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار إما بالكسر أو بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهرّبون منهم إلى أعالي المكان، فيقتلونهم فى الأسطحة، حتى تجرى الميازيب من الدماء فى

(١) فى الأصل: «لابنه».

(٢) فى م: «الوزير».

(٣) قى: جمع قناة. انظر الوسيط (ق ن و).

الْأَزَقَّةَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَكَذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ وَالرُّبُطِ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ سِوَى أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَمَنْ التَّجَأَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى دَارِ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيِّ، وَطَائِفَةٍ مِنَ التَّجَارِ أَخَذُوا لَهُمْ أَمَانًا بِذَلُولِهِ عَلَيْهِ أَمْوَالًا جَزِيلَةً حَتَّى سَلِمُوا وَسَلِمَتْ أَمْوَالُهُمْ. وَعَادَتْ بَغْدَادُ بَعْدَمَا كَانَتْ آتَسَ الْمَدِينِ كُلَّهَا كَأَنَّهَا خَرَابٌ لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ، وَهُمْ فِي خَوْفٍ وَجُوعٍ وَذِلَّةٍ وَقِلَّةٍ. وَكَانَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ قَبْلَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ يَجْتَهِدُ فِي صَرْفِ الْجُيُوشِ وَإِسْقَاطِ أَسْهَمِهِمْ^(١) مِنَ الدِّيَّانِ، فَكَانَتِ الْعَسَاكِرُ فِي آخِرِ أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ قَرِيبًا مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ، فِيهِمْ مِنَ الْأَمْرَاءِ مَنْ هُوَ كَالْمُلُوكِ الْأَكْبَارِ، فَلَمْ يَزَلْ يَجْتَهِدُ فِي تَقْلِيلِهِمْ إِلَى أَنْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا عَشْرَةُ أَلْفٍ، ثُمَّ كَاتَبَ التَّتَارَ، وَأَطْمَعَهُمْ [٥١/١٠] فِي أَخْذِ الْبِلَادِ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَجَلَّى لَهُمْ حَقِيقَةَ الْحَالِ، وَكَشَفَ لَهُمْ ضَعْفَ الرِّجَالِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ طَمَعًا مِنْهُ أَنْ يُزِيلَ السُّنَّةَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَأَنْ يُظْهِرَ الْبِدْعَةَ الرَّافِضِيَّةَ وَأَنْ يُقِيمَ خَلِيفَةً مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ، وَأَنْ يُبَيِّدَ الْعُلَمَاءَ وَالْمُفْتِينَ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَقَدْ رَدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ، وَأَذَلَّهُ بَعْدَ الْعِزَّةِ الْقَعْسَاءِ^(٢)، وَجَعَلَهُ حَوْشَكَاشًا لِلتَّتَارِ بَعْدَ مَا كَانَ وَزِيرًا لِلْخُلَفَاءِ، وَاكْتَسَبَ إِثْمَ مَنْ قُتِلَ بِمَدِينَةِ بَغْدَادَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ، فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

وَقَدْ جَرَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَرِيبٌ مِمَّا جَرَى عَلَى أَهْلِ بَغْدَادَ، كَمَا قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَفَضَّلْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ١٠ فَإِذَا

(١) فِي م: «أَسْهَمِهِمْ».

(٢) الْقَعْسَاءُ: الْمَتْنَعَةُ الثَّابِتَةُ. انْظُرِ الْوَسِيطَ (ق ع س).

جَاءَ وَعَدَا أُولَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعَدًا مَفْعُولًا ﴿[الاسراء ٤، ٥] الآيات. وقد قُتِلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ خَلَقٌ مِنَ الصُّلَحَاءِ، وَأُسِرَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ، وَخُرِبَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ بَعْدَمَا كَانَ مَعْمُورًا بِالْعِبَادِ وَالزُّهَّادِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَنْبِيَاءِ، فَصَارَ خَاوِيًا عَلَى غُرُوشِهِ، وَاهَى الْبِنَاءِ.

وقد اختلف الناس في كمية من قُتِلَ ببغداد من المسلمين ^(١) فقيل: ثمانمائة ألف. وقيل: ألف ألف وثمانمائة ألف. وقيل: بلغت القتلَى ألفى ألف نفس. فإننا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم العلي العظيم.

وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين صباحًا، وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر، وعفى قبره، وكان عمره يومئذ ستًا وأربعين سنة وأربعة أشهر، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام، وقُتِلَ معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد، وله خمس وعشرون سنة، ثم قُتِلَ ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن، وله ثلاث وعشرون سنة، وأُسِرَ ولده الأصغر مبارك، وأُسِرَتِ أَخَوَاتُهُ الثلاث؛ فاطمة وخديجة ومريم، وأُسِرَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ مِنَ الْأَبْكَارِ مَا يُقَارِبُ أَلْفَ بَكْرٍ فِيمَا قِيلَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وقُتِلَ أَسْتَاذُ دَارِ ^(٢) الْخِلَافَةِ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ ^(٣) يَوْسُفُ بْنُ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ

(١) بعده في م: «في هذه الواقعة».

(٢) في الأصل، وعقد الجمَان: «استادار». والمثبت موافق لما في العبر وذيل مرآة الزمان ١٣٣/١ في ترجمة محيي الدين هذا، ولم يُذكر في الذيل على الروضتين ونهاية الأرب. واستادار من الاستادارية: وهي وظيفة موضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان. انظر صبح الأعشى ٢٠/٤.

(٣ - ٣) في عقد الجمَان: «بن يوسف». وانظر ما يأتي في ترجمته ومصادرها ص ٣٧٦.

ابن الجوزي، وكان عدو الوزير، وقُتل أولاده الثلاثة؛ عبد الرحمن، وعبد الله، وعبد الكريم، وأكابر الدولة واحدًا بعد واحد، منهم الدويدار الصغير مجاهد الدين أئيك، وشهاب الدين سليمان شاه، وجماعة من أمراء السُنة وأكابر البلد. وكان الرجل يُستدعى به من دار الخلافة من بنى العباس، فيخرج بأولاده ونسائه وجواريه، فيذهب به إلى مقبرة الخلال، تُجا المنطرة، فيذبح كما تُذبح الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه.

وقُتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن التتار، وقُتل الخطباء والأئمة، وحملت القران، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد، وأراد الوزير ابن العلقمي، قبحه الله ولعنه، أن يعطل المساجد والجماعات والمدارس والرُبط ببغداد، ويستمرّ بالمشاهد ومحال الرُفض، وأن يفتي للرافضة مدرسة هائلة ينشرون [٥١/١٠٠ ظ] علمهم وعلمهم بها وعليها، فلم يُقدِره الله تعالى على ذلك، بل أزال نعمته عنه، وقصّف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده فاجتمعوا - والله أعلم - في الدرك الأسفل من النار.

ولما انقضى أمد الأمر المقدور، وانقضت الأربعون يومًا بقيت بغداد خاوية على غرويشها، ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقَتلى في الطرقات كأنها الثلول، وقد سقط عليهم المطر، فتغيّرت صُوَرهم، وأنتنت البلد من جيفهم، وتغيّر الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد، حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الرياح، فاجتمع على الناس العلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من كان تحت الأرض بالمطامير والقننى

والمغايير^(١) كأنهم الموتى إذا نَبَشُوا مِنَ القبور، وقد أنكر بعضهم بعضاً، فلا يعرفُ
الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد، فتفانوا ولحقوا بمن سلف من
القتلى، واجتمعوا في البلى تحت الثرى، بأمر الذي يعلم السر وأخفى، الله لا إله
إلا هو له الأسماء الحسنى.

وكان رحيل السلطان المُسلط هولاكوقان عن بغداد في جمادى الأولى من
هذه السنة إلى مقرِّ ملكه، وفوض أمر بغداد إلى الأمير عليّ بهادر، فوَّض إليه
الشُّحْنَكِيَّة^(٢) بها وإلى الوزير مؤيد الدين محمد بن العَلَقَمِيّ، فلم يُمهله الله ولا
أهمله بعد، بل أخذه أخذ عزيز مُقْتَدِر، في مُسْتَهْلُ جُمَادَى الآخِرَةِ عن ثلاث
وستين سنة، وكان عنده فضيلة في الإنشاء، ولديه فضيلة في الأدب، ولكنه
كان شيعياً جلدًا خبيثاً رافضياً، فمات كمداً وغماً وحُزناً ونَدَمًا، إلى حيث
أَلَقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَم^(٣)، فولَّى بعده الوزارة ولده عز الدين^(٤) «أبو الفضل»
محمد، فألحقه الله بأبيه في بقية هذا العام، ولله الحمد والمِنَّة.

وذكر أبو شامة وشيخنا أبو عبد الله الذهبي وقُطِب الدين اليونيني^(٥)، أنه
أصاب الناس في هذه السنة بالشام وباءً شديداً، وذكروا أن سبب ذلك من فسادِ

(١) في م: «المقابر».

(٢) الشُحْنَكِيَّة: وظيفة يتولاها الشحنة وهو صاحب الشرطة أو متولى رئاسة الشرطة. دوزى. كذا ذكر
معناه في حاشية عقد الجمان ١٧٦/١.

(٣) هذه عبارة المصنف مأخوذة من قول زهير:

فَشَدَّ ولم يُفْزِعْ بيوتا كثيرةً
لدى حيث أَلَقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَم

وأم قشعم: الحرب، وقيل: الميتة. وقيل: الضُّبُع. وقيل: العنكبوت. وقيل: الذَّلَّة. وبكلِّ فُشْر قولُ
زهير المذكور. انظر اللسان (قشعم).

(٤ - ٤) في م: «بن الفضل».

(٥) الذبيل على الروضتين ص ٢٠٠، وذيل مرآة الزمان ٩١/١، والعبر ٢٢٦/٥.

الهواء والجو، فسَدَ مِنْ كَثْرَةِ الْقَتْلِ بِلَادِ الْعِرَاقِ، وَانْتَشَرَ حَتَّى تَعَدَّى إِلَى بِلَادِ الشَّامِ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اقْتَتَلَ الْمُضَرِّيُونَ مَعَ صَاحِبِ الْكَرْكِ الْمَلِكِ الْمُغِيثِ عَمَرَ بْنِ الْعَادِلِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَادِلِ الْكَبِيرِ، وَكَانَ فِي جَيْشِهِ ^(١) جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْبَحْرِيَّةِ، مِنْهُمْ رُكْنُ الدِّينِ يَبْيِزُ بْنُ الْبُنْدُقْدَارِيِّ، فَكَسَرَهُمُ الْمُضَرِّيُونَ، وَنَهَبُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَثْقَالِ وَالْأَمْوَالِ، وَأَسَرُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً مِنْ رِعَاسِ الْأُمَرَاءِ، ^(٢) فَقَتَلُوا صَبْرًا، وَعَادُوا إِلَى الْكَرْكِ فِي أَسْوَأِ حَالَةٍ وَأَشْنَعِهَا، وَجَعَلُوا يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ، وَيَعِيشُونَ فِي الْبِلَادِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ النَّاصِرُ صَاحِبُ دِمَشْقَ جَيْشًا لِيَكْفَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَكَسَرَهُمُ الْبَحْرِيَّةُ، وَاسْتَنْصَرُوا فَبَرَزَ إِلَيْهِمُ النَّاصِرُ بِنَفْسِهِ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ، وَقَطَعُوا أَطْنَابَ خِيَمَتِهِ الَّتِي هُوَ فِيهَا بِإِشَارَةِ رُكْنِ الدِّينِ يَبْيِزُ الْمَذْكُورِ، وَجَرَتْ حُرُوبٌ وَخُطُوبٌ يَطُولُ بَشْطُهَا، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ.

ذِكْرُ مَنْ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْيَانِ :

خَلِيفَةُ الْوَقْتِ الْمُسْتَعَصِمُ بِاللَّهِ ^(٣) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَخِيْرُ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِالْعِرَاقِ، وَهُوَ أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [٥٢/١٠] الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ أَبِي جَعْفَرٍ مَنْصُورِ بْنِ الظَّاهِرِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي نَصْرِ مُحَمَّدِ بْنِ النَّاصِرِ لَدِينِ اللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَضِيءِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) فِي م : « حَبْسَهُ » .

(٢ - ٢) زِيَادَةُ مِنْ : م . تَوَافَقَ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ ذَيْلِ مِرْآةِ الزَّمَانِ ؛ أَنَّهُ قُبِضَ يَوْمَئِذٍ عَلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ - سَتَاهُمْ هُنَاكَ - وَأَحْضَرُوا بَيْنَ يَدَيِ سَيْفِ الدِّينِ قَطْزَ وَبَهَادَرَ وَأَمِيرَ بَضْرِبِ أَعْنَاقِ هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءِ، فَضْرِبَتْ وَحُمِلَتْ رِعَاسُهُمْ إِلَى الْقَاهِرَةِ .

(٣) ذَيْلِ مِرْآةِ الزَّمَانِ ٢٥٣/١، وَسِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ١٧٤/٢٣، وَفَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ ٢٣٠/٢، وَالْعَقْدُ الثَّمِينُ ٢٩٠/٥، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٢٠٥/١ .

المُسْتَنْجِدُ بِاللَّهِ أَيْ الْمُظْفَرِ يَوْسُفَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَفَى لِأَمْرِ اللَّهِ أَيْ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ أَيْ الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُقْتَدَى بِأَمْرِ اللَّهِ أَيْ الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَمِيرِ الذَّخِيرَةِ أَيْ الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَيْ جَعْفَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَادِرِ بِاللَّهِ أَيْ الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ الْأَمِيرِ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ أَيْ الْفَضْلِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ أَيْ الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ الْأَمِيرِ الْمُؤَفَّقِ أَيْ أَحْمَدَ طَلْحَةَ ابْنِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ أَيْ الْفَضْلِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ أَيْ إِسْحَاقَ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّشِيدِ أَيْ مُحَمَّدِ هَارُونَ بْنِ الْمُهْدِيِّ أَيْ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَنْصُورِ أَيْ جَعْفَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ بْنِ هَاشِمِ الْهَاشِمِيِّ الْعَبَّاسِيِّ ، مَوْلَاهُ سَنَةٌ تِسْعٌ وَسِتُّمِائَةٌ ، وَبُوعٍ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ أَرْبَعِينَ ، وَكَانَ مَقْتُلُهُ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتُّمِائَةٍ ، فَيَكُونُ عَمْرُهُ يَوْمَ قُتِلَ سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَقَدْ كَانَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، حَسَنَ الصُّورَةِ ، جَيِّدَ السَّيْرِ صَحِيحَ الشَّرِيرَةِ ، صَحِيحَ الْعَقِيدَةِ ، مُقْتَدِرًا بِأَيِّهِ الْمُسْتَنْصِرُ فِي الْمَعْدَلَةِ وَكَثْرَةُ الصَّدَقَاتِ وَإِكْرَامُ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَادِ ، وَقَدْ اسْتَجَازَ لَهُ الْحَافِظُ ابْنُ النَّجَّارِ مِنْ مَشَايخِ خُرَاسَانَ ، مِنْهُمْ الْمُؤَيَّدُ الطُّوسِيُّ ، وَأَبُو رَوْحٍ عَبْدُ الْمُعِزِّ^(١) بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَرَوِيُّ ، وَأَبُو بَكْرٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الصَّفَّارِ وَغَيْرُهُمْ ، وَحَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ مُؤَدَّبُهُ شَيْخُ الشُّيُوخِ صَدْرُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ النَّيَّارِ ، وَأَجَازُ هُوَ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ الدِّينِ بْنِ الْجَوَازِيِّ ، وَلِلشَّيْخِ نَجْمِ الدِّينِ الْبَاذِرَائِيِّ ، وَحَدَّثَا عَنْهُ بِهَذِهِ الْإِجَازَةِ .

(١) فِي الْأَصْلِ ، م : « عَبْدُ الْعَزِيزِ » . وَالْمَثْبُوتُ مِنْ ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ وَسِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ . وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١١٤/٢٢ ، وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٦١١ - ٦٢٠) ص ٤٠٧ .

وقد كان ، رحمه الله تعالى سُنِّيًّا على طريقة السلفِ واعتقاد الجماعة كما كان أبوه وجده ، ولكن كان فيه لينٌ وعدمُ تيقُّظٍ ومَحَبَّةٌ للمالِ وجمِّعه ، ومن جملة ذلك أنه غلَّ الودِيعَةَ التي استودَّعها إياها الناصرُ داوُدُ بنُ المعظَّمِ ، وكانت قيمتها نحوًا من مائة ألفِ دينارٍ ، فاستقْبَحَ هذا من مثلِ الخليفة ، وهو مُسْتَقْبَحٌ مِمَّنْ هو دونه بكثيرٍ ؛ بل من أهلِ الكتابِ مَنْ إن تَأَمَّنَهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ كما قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ إِنْ تَأَمَّنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

قَتَلَتْهُ النَّشَارُ مَظْلُومًا مُضْطَهَّدًا فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ رَابِعَ عَشَرَ صَفِيرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ سِتَّةٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ . وَكَانَتْ مَدَّةُ خِلَافَتِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ ، وَبَلََّ بِالرَّحْمَةِ ثَرَاهُ . وَقَدْ قُتِلَ بَعْدَهُ وَلَدَاهُ ، وَأُسِرَ الثَّالِثُ مَعَ بَنَاتٍ ثَلَاثٍ مِنْ صُلْبِهِ ، وَشَعَرَ مَنْصِبُ الْخِلَافَةِ بَعْدَهُ ، وَلَمْ يَبْقَ فِي بَنِي الْعَبَّاسِ مَنْ سَدَّ مَسَدَّهُ ، فَكَانَ آخِرَ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ الْحَاكِمِينَ بِالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يُزَجَّجِي مِنْهُمْ النَّوَالُ وَيُخْشَى مِنْهُمْ الْبَاسُ ، وَخُتِمُوا بَعْدَ اللَّهِ الْمُسْتَعْصِمِ ، كَمَا افْتَتَحُوا بَعْدَ اللَّهِ السِّفَاحَ ، ^(١) وَكَانَ عِدَّةُ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى الْمُسْتَعْصِمِ سَبْعَةً وَثَلَاثِينَ خَلِيفَةً ، فَكَانَ أَوَّلُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ السِّفَاحُ ^(٢) ، بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ ، وَظَهَرَ مُلْكُهُ وَأَمْرُهُ فِي سَنَةِ ثَنَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، بَعْدَ انْقِضَاءِ دَوْلَةِ بَنِي أُمِيَّةٍ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ ، وَآخَرُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ الْمُسْتَعْصِمُ ، وَقَدْ زَالَ مُلْكُهُ ، وَانْقَضَتْ خِلَافَتُهُ فِي هَذَا الْعَامِ ، أَعْنَى سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، [١٠/٢٥٢ ظ] فَجَمَلُهُ أَيَّامُهُمْ خَمْسُمِائَةَ سَنَةٍ وَأَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَزَالَتْ يَدُهُمْ عَنِ الْعِرَاقِ وَالْحَكَمِ بِالْكَلْبَةِ مَدَّةَ سَنَةٍ وَشَهْرٍ فِي أَيَّامِ الْبَسَاسِيَرِيِّ بَعْدَ الْخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، ثُمَّ عَادَتْ

(١ - ١) سقط من : م .

كما كانت . وقد بسطنا ذلك فى موضعه فى أيام القائم بأمر الله ، ولله الحمد .
ولم تكن أيدي بنى العباس حاكمة على جميع البلاد كما كانت بنو أمية
قاهرة لجميع البلاد والأقطار والأمصار ، فإنه قد خرج عن بنى العباس بلاد
المغرب ، ملكها فى أوائل الأمر بعض بنى أمية ممن بقى منهم من ذرية عبد الرحمن
ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، ثم تغلب عليه الملوك بعد دهور متطاولة كما
ذكرنا ، وقارن بنى العباس دولة المدعين أنهم من الفاطميين ببلاد مصر وبعض بلاد
المغرب وما هنالك ، وبلاد الشام فى بعض الأحيان والحرمين فى أزمان طويلة ^(١) .

واستمرت دولة الفاطميين قريبا من ثلاثمائة سنة حتى كان آخرهم العاضد
الذى مات بعد الستين وخمسمائة فى الدولة الصلاحية الناصرية المقدسية كما
ذكرنا ، وكانت عدة ملوك الفاطميين أربعة عشر ملكا ^(٢) متخلفا ، ومدة ملكهم
تحريرا من سنة سبع وتسعين ومائتين إلى أن توفى العاضد سنة بضع وستين
 وخمسمائة ، والعجب أن خلافة النبوة التالية لزمان رسول الله ﷺ كانت ثلاثين
سنة ، كما نطق بها الحديث الصحيح ^(٣) ، فكان فيها أبو بكر ، ثم عمر ، ثم
عثمان ، ثم علي ، ثم ابنه الحسن بن علي ستة أشهر حتى كملت بها الثلاثون ،
كما قررنا ذلك فى دلائل النبوة ، ثم كانت ملكا ، فكان أول ملوك الإسلام من
بنى أبى سفيان معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية ، ثم ابنه يزيد ، ثم

(١) بعده فى م : « وكذلك أخذت من أيديهم بلاد خراسان وما وراء النهر وتداولتها الملوك دولا بعد
دول ، حتى لم يبق مع الخليفة منهم إلا بغداد وبعض بلاد العراق وذلك لضعف خلافتهم واشتغالهم
بالشهوات وجمع الأموال فى أكثر الأوقات ، كما ذكر ذلك مبسوطا فى الحوادث والوفيات .

(٢) فى الأصل : « خليفة وإن شئت قلت » .

(٣) تقدم فى ١٥٣/٩ ، ١٥٤ .

ابن ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية، وانقرض هذا البطن المفتتح بمعاوية المختتم بمعاوية، ثم ملك مزوان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، ثم ابنته عبد الملك، ثم الوليد بن عبد الملك، ثم أخوه سليمان، ثم ابن عمه عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، ثم الوليد بن يزيد، ثم يزيد بن الوليد، ثم أخوه إبراهيم الناقص، وهو ابن الوليد أيضًا، ثم مزوان بن محمد الملقب بالحمار، وكان آخرهم، فكان أولهم اسمه مزوان وآخرهم اسمه مزوان^(١)، وكان أول خلفاء بني العباس السفاح واسمه عبد الله، وكان آخرهم المستعصم واسمه عبد الله، كذلك أول خلفاء الفاطميين اسمه عبد الله المهدي^(٢)، وآخرهم عبد الله العاضد، وهذا اتفاق غريب جدًا، قلَّ من يتنبه له. والله سبحانه أعلم.

وهذه أرجوزة لبعض الفضلاء انتظم فيها ذكر جميع الخلفاء^(٣):

الحمد لله العظيم عرشه	القاهر الفرد القوي بطشه
مقلب الأيام والدهور	وجامع الأنام للنشور
ثم الصلاة بدوام الأبد	على النبي المصطفى محمد
وآله وصحبه الكرام	السادة الأئمة الأعلام
^(٤) وبعد هذا هذه أرجوزة ^(٤)	نظمناها لطيفة وجيزة
نظمنا فيها الراشدين الخلفاء	من قام من بعد النبي المصطفى

(١) بعده في م: «ثم انقرضوا من أولهم إلى آخرهم».

(٢) في م: «العاضد».

(٣) نقلها العيني في عقد الجمان ٢١٠/١.

(٤ - ٤) في الأصل: «وبعد هذه أرجوزة». وفي م: «وبعد فإن هذه أرجوزة». والثبت من عقد الجمان.

وَمَنْ تَلَاهُمْ وَهَلُمَّ جَرًّا
لِيَعْلَمَ الْعَاقِلُ ذُو التَّصْوِيرِ
وَكُلُّ ذِي مَقْدِرَةٍ وَمُلْكٍ
وَفِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْمُلْكُ لِلْجَبَّارِ فِي بِلَادِهِ
وَكُلُّ مَخْلُوقٍ فَلِلْفَنَاءِ
وَلَا يَدُومُ غَيْرُ مُلْكِ الْبَارِي
مُنْفَرِدٍ بِالْعِزِّ وَالْبَقَاءِ
أَوَّلُ مَنْ بُويعَ بِالْخِلَافَةِ
أَعْنَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ^(١) الصُّدِّيقِ
فَفَتَحَ الْبِلَادَ وَالْأَمْصَارَ
وَقَامَ بِالْعَدْلِ قِيَامًا يُرْضَى
وَرَضَى النَّاسُ بِذِي النُّورَيْنِ
ثُمَّ أَتَتْ كَتَائِبُ مَعَ الْحَسَنِ
فَأَصْلَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ
وَأَجْمَعَ^(٢) النَّاسَ عَلَى مُعَاوِيَةَ
فَمَهَّدَ الْمُلْكَ كَمَا يُرِيدُ
ثُمَّ ابْنُهُ وَكَانَ بَرًّا رَاشِدًا

جَعَلَتْهَا تَبَصِيرَةً وَذَكَرَى
[٥٣/١٠] كَيْفَ جَزَتْ حَوَادِثُ الْأُمُورِ
مُعَرِّضُونَ لِلْفَنَاءِ وَالْهَلْكِ
تَبَصِيرَةً لِكُلِّ ذِي اعْتِبَارٍ
يُورِثُهُ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ
وَكُلُّ مُلْكٍ فَإِلَى انْتِهَاءِ
سَبْحَانَهُ مِنْ مِلْكٍ قَهَّارٍ
وَمَا سِوَاهُ فَإِلَى انْقِضَاءِ
بَعْدَ النَّبِيِّ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ
ثُمَّ ارْتَضَى مِنْ بَعْدِهِ الْفَارُوقُ
وَاسْتَأْصَلَتْ سَيُوفُهُ الْكُفَّارَ
بِذَاكَ جَبَّارَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
ثُمَّ عَلِيٌّ وَالِدَ السُّبُطَيْنِ
كَادُوا بِأَنْ يُجَدِّدُوا بِهَا الْفِتْنَ
كَأَمَّا عَزَا نَبِيُّنَا إِلَيْهِ
وَنَقَلَ الْقِصَّةَ كُلَّ رَاوِيَةٍ
وَقَامَ فِيهِ بَعْدَهُ يَزِيدُ
أَعْنَى أَبِي لَيْلَى وَكَانَ زَاهِدًا

(١) فِي م : « الْهَادِي » .

(٢) فِي م : « وَجَمَعَ » .

فترك الإمرة لا عن غلبه
وابن الزبير بالحجاز يذأب
وبالشام بايعوا مروانا
ولم يذم في الملك غير عام
واستوسق الملك لعبد الملك
وكل من نازعه في الملك
فقتل المصعب بالعراق
إلى الحجاز بسيف الثقم
فجاء^(٣) بعد قتله بصلبه
وعند ما صفت له الأمور
ثم أتى من بعده الوليد
ثم استفاض في الورى عدل عمر
وكان يدعى بأشج القوم
فجاء بالعدل وبالإحسان
مقتدياً بسنة الرسول
فجرع الإسلام كأس فقده
ثم يزيد بعده هشام

ولم يكن منه إليها طلبة^(١)
في طلب الملك وفيه ينصب
بحكم من يقول كن فكانا
وعافسته أسهم الحمام
ونار^(٢) نجم سغده في الفلك
خر صريعاً بسيف الهلك
وسير الحجاج ذا الشقاق
وابن الزبير لائد بالحرم
ولم يخف في أمره من ربه
تقلبت لحينه^(٤) الدهور
ثم سليمان الفتى الرشيد
تابع أمر ربه كما أمر
وذى الصلاة والثقى والصوم
وكف أهل الظلم والطغيان
والراشدين من ذوى العقول
ولم يروا مثلاً له من بعده
ثم الوليد فت منه الهام

(١) الطلبة: الحاجة. الوسيط (ط ل ب).

(٢) فى العقد: «نار». ونار: انتشر. الوسيط (ن و ر).

(٣) فى م: «فجار».

(٤) فى م: «بجسمه».

ثم يزيد وهو يُدعى الناقصا
ولم تَطُلْ مدَّةُ إِبْرَاهِيمَا
وَأَسْنَدَ الْمَلِكُ إِلَى مَرْوَانَ
وَانْقَرَضَ الْمَلِكُ عَلَى يَدَيْهِ
وَقَتْلُهُ قَدْ كَانَ بِالصَّعِيدِ
وَكَانَ فِيهِ حَتْفُ آلِ الْحَكَمِ
ثُمَّ أَتَى مُلْكُ بَنِي الْعَبَّاسِ
وَجَاءَتِ الْبَيْعَةُ مِنْ أَرْضِ الْعَجَمِ
وَكُلُّ مَنْ نَازَعَهُمْ مِنْ أُمَمٍ
وَقَدْ ذَكَرْتُ مَنْ تَوَلَّى مِنْهُمْ
أُولَهُمْ يُنْعَتُ بِالسَّفَّاحِ
ثُمَّ أَتَى "مِنْ بَعْدِهِ" الْمَهْدِيُّ
وَجَاءَ هَارُونُ [٣١٠/٥٣ هـ] الرَّشِيدُ بَعْدَهُ
وَقَامَ بَعْدَ قَتْلِهِ الْمَأْمُونُ
وَاسْتُخْلِفَ الْوَائِقُ بَعْدَ الْمُعْتَصِمِ
وَأَخْلَصَ النِّيَّةَ فِي التَّوَكُّلِ^(٢)
فَأَذْحَضَ الْبِدْعَةَ^(٤) فِي زَمَانِهِ

فجاءه جماعته مُعَافِصَا
وَكَانَ كُلُّ أَمْرِهِ سَقِيمَا
فَكَانَ مِنْ أُمُورِهِ مَا كَانَا
وَاحِدًا الدَّهْرَ سَطَا عَلَيْهِ
وَلَمْ تُفِذْهُ كَثْرَةُ الْعَدِيدِ
وَاسْتُزِرَّتْ عَنْهُمْ ضُرُوبُ النَّعَمِ
لَا زَالَ فِينَا ثَابِتَ الْأَسَاسِ
وَقَلَّدَتْ بَيْعَتَهُمْ كُلُّ الْأُمَمِ
خَرَّ صَرِيحًا لِلْيَدِينِ وَالْقَمِ
حِينَ تَوَلَّى الْقَائِمَ الْمُسْتَعِصِمَ
وَبَعْدَهُ الْمَنْصُورُ ذُو النَّجَاحِ
يَتْلُوهُ مُوسَى الْهَادِي الصَّفِيُّ
ثُمَّ الْأَمِينُ حِينَ ذَاقَ فَقْدَهُ
وَبَعْدَهُ الْمُعْتَصِمُ الْمَكِينُ
ثُمَّ أَخُوهُ جَعْفَرُ مَوْفَى الذِّمِّ
لِلَّهِ ذِي الْعَرْشِ الْقَدِيمِ الْأَوَّلِ^(٣)
وَقَامَتِ السُّنَّةُ فِي أَوَانِهِ

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ: «مُحَمَّد».

(٢) فِي الْأَصْلِ، م: «الْمُتَوَكِّل»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ. وَالْمَثْبُوتُ مِنْ عَقْدِ الْجَمَانِ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «الْأَزَلَى».

(٤) فِي الْأَصْلِ: «الْبَاطِل».

ولم يُبَقِّ بِذَعَةٍ مُضِلَّةٌ
فرحمةُ اللَّهِ عليه أبدا
وعندما استشهد قام المنتصر
وجاء بعد موته المغتَزُّ
وبعده استولى وقام المعتَمِدُ
والمكتفى فى الصحفِ العليا سَطِرُ
واستوسق الملكُ بعزِّ القاهرِ
والمُتَّقَى مِن بعدُ والمُستَكْفَى
والطائعُ الطائعُ ثم القادرُ
والمُتَّيْدَى مِن بعده المُستَظْهِرُ
وبعده الراشدُ ثم المُتَّقَفَى
والمستضى العادلُ فى أفعاله
والناصرُ الشهمُ الشدیدُ الباسِ
ثم تلاءهُ الظاهرُ الكريمُ
ولم تَطُلْ أيامُهُ فى المملكةِ
وعهده كان إلى المستنصرِ
دام يسوسُ الناسَ سبعَ عشرةَ
ثم توفى عامَ أربعينا

وألبسَ المُغتَزِلَى ذِلَّةً^(١)
ما غار نَجْمٌ فى السماءِ أو بَدَا
والمُستَعِينُ بعده كما ذُكِرُ
والمُهْتَدَى المَكْرَمُ^(٢) الأعزُّ
ومهد الملكَ وساسَ المُغتَضِدُ^(٣)
وبعده ساسَ الأمورَ المُتَّيْدُ
وبعده الراضى أخو المُفَاخِرِ
ثم المُطِيعُ ما به مِن خُلْفِ
والقائمُ الزاهدُ وهو الشاكِرُ
ثم أتى المُستَرَشِدُ المُوقَّرُ
وحين مات استنجدوا بيوسفِ
الصادقِ الصدوقُ فى أقوالِهِ
ودام طولُ مُكْثِهِ فى الناسِ
وعُدُّهُ كُلُّ بِهِ عَلِيمُ
غيرَ شهرٍ واعتزته الهلكةُ
العادلِ البَرُّ الكريمِ العنصرِ
وأشهرًا بعزَمَاتِ بَرَّةٍ
وفى جُمادى صادفَ المنونا

(١) فى م: «ثوب ذلة» .

(٢) فى م: «الملتزم» .

(٣) فى م: «المقتصد» .

وبايَعِ الخلائقُ المُستَعصِمَا
 (١) يَبْعُكُ نُجَبٌ^(١) الرُّسُلِ فِي الآفَاقِ
 وشَرَّفُوا بِذِكْرِه المَنابِرَا
 ونَشَرُوا^(٢) مِن جُودِهِ المَفَاخِرَا
 وسارَ فِي الآفَاقِ حُشُن سِيرَتِهِ
 وعلَّلَهُ الزَّائِدُ فِي رَعِيَّتِهِ
 صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَسَلَّمَا
 يَقْضُونَ بِالبَيْعَةِ وَالوِفَاقِ

قال الشيخ عماد الدين ابن كثير: ثم قلت أنا بعد ذلك أحياناً:

ثم ابتلاه الله بعد بالتتار
 (٣) جَنكِزَ الخَانِ^(٣) الجَبَّارِ
 فلم يَكُنْ مِن أَمْرِهِ فَكَأُ
 (٤) صَحْبَةً إِبْنِ ابْنِ لَهُ^(٤) هَوَلاكو
 فمَزَّقُوا جَنودَهُ وشَمَلَهُ
 ودمَّرُوا بَغدَادَ والبَلَادَا
 وانتَهَبُوا المَالَ مَعَ الحَرِيمِ
 وغَرَّهَمُ إنْظَارُهُ وَجِلْمُهُ
 وشَعَّرَتْ مِن بَعْدِهِ الخِلَافَةُ
 ثم أَقامَ المَلِكُ^(٥) أَعْنَى الظَّاهِرَا
 ثم وَلَّى مِن بَعْدِ ذَاكَ الحَاكِمُ
 ثم ابْنُهُ الخَلِيفَةُ المُسْتَكْفَى
 ثم وَلَّى مِن بَعْدِهِ جَمَاعُهُ
 ولم يَخَافُوا سَطوَةَ العَظِيمِ
 وما اقْتَضَاهُ عَدْلُهُ وَحُكْمُهُ
 ولم يُوَرِّخْ مِثْلُهَا مِن آفَةٍ
 خَلِيفَةً أَعْنَى بِهِ المُسْتَنْصِرَا
 قَسِيمٌ بَيَّبَرَسَ الإِمَامُ العَالِمُ
 وَبَعْضُ هَذَا لِلْبَيْبِ يَكْفَى
 مَا عِنْدَهُمُ عِلْمٌ وَلَا بَضَاعُهُ

(١ - ١) في م: «فأرسل».

(٢) في الأصل: «بشروا».

(٣ - ٣) في الأصل: «جنكيزخان»، وفي م: «جنكيزخان». والمثبت من عقد الجمان.

(٤ - ٤) في م: «صحبتة ابن ابنه».

(٥) المَلِكُ: اللِّسَانُ (م ل ك).

ثم "خليفة الوقت" المعتضد
 في حُسنِ خُلُقٍ واعتقادٍ وحِلَى
 سادوا البلادَ والعبادَ فضلا
 أولادِ عمِّ المصطفى محمدٍ
 صلَّى عليه اللهُ ذو الجلالِ
 ما دامتِ الأيامُ والليالي
 ولا يكادُ الدهرُ مثلهُ يَجِدُ
 وكيف لا وهو من "الشَّمِّ الألى"^٢
 ومَلَكُوا الأقطارَ [١٠/٤٥٠] حِكْمًا وعدلاً
 وأفضلِ الخلقِ بلا تردُّدٍ
 ما دامتِ الأيامُ والليالي

فصل

والفاطميون قليلو العدة
 فمَلَكُوا بضْعًا وستينَ سنَه
 والعِدةُ أربعَ عشرةَ المهدى
 أعنى به المعزُ باني القاهره
 والظاهرُ المستنصرُ المستغلي
 والظاهرُ الفائزُ ثم العاضدُ
 أَهْلِكَ بعدَ البِضْعِ والسُّتَيْنَا
^٣ وقد رَقِمْتُ العُمَرَ فوق الاسم
 وقد بسطنا ذاك فيما سلفاً^٣
 لكنهم مُدَّ لهم في المدة
 من بعدِ مائتينِ وكانتِ كالسَّنةِ
 والقائمُ المنصورُ والمُعدي
 ثم العزيزُ الحاكمُ الكوافرة
 والأمرُ الحافظُ سوءَ الفعلِ
 آخرُهم وما لهذا جاحدُ
 من قبلها خمسمائةِ سِنينا
 ومُدَّةُ الدولةِ تحتِ الرِّسمِ
 وأصلُهم يهودُ "ما هم" شُرفا

(١ - ١) في م: «تولى وقتنا». وفي الوزن اضطراب .
 (٢ - ٢) في الأصل: «السم الأولى»، وفي م: «السيم الأولى» .
 (٣ - ٣) سقط من: م. وقد أعلم المصنف - كما قال - بالأرقام عمر كل واحد منهم ومدة ملكه،
 ولكن جاءت الأرقام مختلطة وغير واضحة .
 (٤ - ٤) في م: «ليسوا» .

بذاك أفتى السادة الأئمة أنصار دين الله من ذى الأمة

فصل

وهكذا خُلِفا بنى أمية
ولكن المدة كانت ناقصة
وكلهم قد كان ناصبياً
معاوية ثم ابنه يزيد
مزوان ثم ابن له عبد الملك
ثم استقل بعده بالملك
ثم الوليد الثجل باني الجامع
ثم سليمان الجواذ وعمر
أعنى الوليد بن يزيد الفاسقا
يُلَقَّبُ الناقص وهو كامل
ثم مروان الحمار الجعدي

عدتُهم كعدّة الرفضيّة
عن مائة من السنين خالصة
إلا الإمام عمر التقيّا
وابن ابنه معاوي السديد^(١)
منايذ لابن الزبير حتى هلك
فى سائر الأرض بغير شك
وليس مثل شكّه من جامع
ثم يزيد وهشام وعُدْر
ثم يزيد بن الوليد فائقا
ثُمَّت إبراهيم وهو عاقل
آخِرهم فاظفر بذا من بعدي^(٢)

(١) فى الأصل: «السعيد».

(٢) بعده فى م:

كذلك نحمده على الإنعام
على النبي المصطفى محمد
فى سائر الأوقات والأعصار
ثمانية تنمة المناقب

«والحمد لله على التمام
ثم الصلاة مع تمام العدد
وآله وصحبه الأخيار
وهذه الأبيات نظم الكاتب

وَمَنْ قُتِلَ مَعَ الْخَلِيفَةِ وَقَفَ الْجُوزِيَّةُ بِدَمَشَقَ أَسْتَادُ دَارِ الْخِلَافَةِ الصَّاحِبُ
مُحْيَى الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجُوزِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَادٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ الْقُرَشِيِّ التَّيْمِيِّ
الْبَكْرِيِّ الْبَغْدَادِيِّ الْحَنْبَلِيِّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْجُوزِيِّ^(١)، وَوُلِدَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ
ثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَنَشَأَ شَابًّا حَسَنًا، وَحِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهُ وَعَظَ فِي مَوْضِعِهِ،
فَأَحْسَنَ وَأَجَادَ وَأَفَادَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ وَوَلِيَ حِسْبَةَ بَغْدَادَ مَعَ الْوَعْظِ الرَّائِقِ وَالْأَشْعَارِ
الْحَسَنَةِ الرَّائِقَةِ، وَوَلِيَ تَدْرِيسَ الْحَنَابِلَةِ بِالْمُسْتَنْصَرِيَّةِ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ وَسَمِائَةٍ،
وَكَانَتْ لَهُ تَدَارِيسُ أُخَرُ^(٢)، ثُمَّ لَمَّا وَلِيَ مُؤَيَّدُ الدِّينِ بْنُ الْعَلْقَمِيِّ الْوِزَارَةَ وَشَعَرَ عَنْهُ
الْأُسْتَاذُ دَارِيَّةً وَلَيْتَهَا مُحْيَى الدِّينِ هَذَا^(٣)، وَانْتَصَبَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِلْحِسْبَةِ
وَالْوَعْظِ^(٤)، فَأَجَادَ فِيهَا، وَشَعَرَ أَيْضًا حَسَنًا^(٥)، ثُمَّ كَانَتْ الْحِسْبَةُ تَنْتَقِلُ فِي بَنِيهِ
الثَّلَاثَةِ؛ جَمَالِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَشَرِيفِ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ، وَتَاجِ الدِّينِ
عَبْدِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ قُتِلُوا مَعَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ. وَلَحْيَى الدِّينِ هَذَا
مُصَنَّفٌ فِي مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ ابْنُ السَّاعِي أَشْعَارًا حَسَنَةً يُهَيِّئُ
بِهَا الْخَلِيفَةَ فِي الْمَوَاسِمِ وَالْأَعْيَادِ، تَدُلُّ عَلَى فَضِيلَةٍ تَامَّةٍ وَفَصَاحَةٍ بِالْغَةِ، وَقَدْ وَقَفَ
الْمَدْرَسَةُ الْجُوزِيَّةُ بِدَمَشَقَ، وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ الْمَدَارِسِ وَأَوْجَهَهَا، تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ وَأَثَابَهُ
بِرَحْمَتِهِ.

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٣٢/١، وسير أعلام النبلاء ٣٧٢/٢٣، والعبر ٢٣٧/٥، والذيل على طبقات
الحنابلة ٢٥٨/٢، وعقد الجمان ١٨٤/١.
(٢ - ٢) في م: «ولى أستاذ دار الخلافة وكان رسولاً للملوك من بنى أيوب وغيرهم من جهة الخلفاء».
(٣ - ٣) سقط من: م. و «شعر» أى نظم الشعر.

الصَّرْصَرِيُّ المَادُخُ: يَحْيَى [١٠/٥٤٥ هـ] بَنُ يُونُسَ بْنِ يَحْيَى بْنِ مَنْصُورِ بْنِ
 الْمُعَمَّرِ بْنِ^(١) عَبْدِ السَّلَامِ، الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْبَارِعُ، جَمَالُ الدِّينِ أَبُو زَكَرِيَا
 الصَّرْصَرِيُّ، الشَّاعِرُ^(٢) الْمَادُخُ الْحَنْبَلِيُّ الصَّرِيرُ الْبَغْدَادِيُّ، وَشَعْرُهُ فِي مَدَائِحِ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ مَشْهُورٌ، وَدِيَوَانُهُ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ غَيْرُ مَنكُورٍ،^(٣) وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ
 وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَالْفَقَّةَ وَاللُّغَةَ^(٤)، وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ
 «صِحَاحَ الْجَوْهَرِيِّ» بِكَمَالِهَا. وَصَحِبَ الشَّيْخَ عَلِيُّ بْنُ إِدْرِيسَ تَلْمِيزَ الشَّيْخِ
 عَبْدِ الْقَادِرِ، وَكَانَ ذَكِيًّا يَتَوَقَّدُ^(٥)، يَنْظِمُ عَلَى الْبَدِيعَةِ سَرِيعًا أَشْيَاءَ حَسَنَةً فَصِيحَةً
 بَلِيعَةً، وَقَدْ نَظَّمَ «الْكَافِي» لِلشَّيْخِ مُوَفَّقِ الدِّينِ بْنِ قُدَّامَةَ، وَ«مُخْتَصَرَ الْحَرْقِيِّ»،
 وَأَمَّا مَدَائِحُهُ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيُقَالُ: إِنَّهَا تَبْلُغُ عَشْرِينَ مُجَلَّدًا^(٦). وَلَمَّا دَخَلَ
 التَّنَائُرَ إِلَى بَغْدَادَ دُعِيَ إِلَى «دَارِ بَهَا قَرْمَانَ مِنْ هَوْلَاكُو»^(٧)، فَأَتَى أَنْ يُجِيبَ إِلَيْهِ،
 وَأَعَدَّ فِي دَارِهِ حِجَارَةً، فَحِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ التَّنَائُرُ رَمَاهُمْ بِتِلْكَ الْأَخْجَارِ، فَهَشَمَ
 مِنْهُمْ جَمَاعَةً، فَلَمَّا خَلَصُوا إِلَيْهِ قَتَلَ بَعْكَازَهُ أَحَدَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ شَهِيدًا، رَحِمَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَمَانٍ وَسِتُونَ سَنَةً. وَقَدْ أَوْرَدَ لَهُ الشَّيْخُ قُطْبُ

(١) سقط من: م. وانظر ترجمته في: الذيل على مرآة الزمان ٢٥٧/١، والعبر ٢٣٧/٥، وفوات
 الوفيات ٢٩٨/٤، ونكت الهميان ص ٣٠٨، والذيل على طبقات الحنابلة ٢٦٢/٢، وعقد الجمان ١/
 ١٨٥، والسلوك ٤١٣/١ (القسم الثاني).

(٢) في م: «الفاضل».

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) بعده في م: «نورا».

(٥) بعده في م: «وما اشتهر عنه أنه مدح أحدًا من المخلوقين من بني آدم إلا الأنبياء».

(٦ - ٦) في الأصل: «دار بها قرمان بن هولاكو»، وفي م: «دارتها كرمون بن هولاكو». والمثبت من
 عقد الجمان نقلا عن المصنف. وليس لهولاكو ابن اسمه قرمان. انظر جامع التواريخ ٣٢٣/١ - ٣٢٩،
 وعقد الجمان ١/٦٦٣، وفيهما سرد لأبناء هولاكو. والفرمان: الأمر. المعجم الذهبي ص ٤٣٠.

الدين الثويني من ديوانه قطعةً صالحةً في ترجمته في «الذيل»^(١)، استوعب حروف المعجم كلها، وذكر قصائد طوالاً كثيرةً حسنةً، رحمه الله تعالى.

البهاء زهير صاحب الديوان^(٢)، وهو زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسين^(٣) بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلبى العتكي المصري، ولد بمكة، ونشأ بقوص، وأقام بالقاهرة، الشاعر المطبق، الكاتب الجواد في حسن الخط، له ديوان مشهور، وقدم على السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، وكان غزير المروءة، حسن التوسط في إيصال الخير إلى الناس، ودفع الشر عنهم، وقد أثنى عليه القاضي شمس الدين بن خلكان^(٤)، وقال: أجاز لي رواية ديوانه، وهو مشهور^(٥). وقد بسط ترجمته الشيخ قطب الدين الثويني.

الحافظ زكي الدين المنذرى عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد^(٦)، الإمام العلامة الحافظ أبو محمد زكي الدين المنذرى الشافعي المصري، وأصله من الشام، ولكنه ولد بمصر، وكان شيخ الحديث بها مدةً طويلةً، إليه الوفادة والرحلة من سنين متطاولة، وقيل: إنه^(٧)

(١) الذيل على مرآة الزمان ٢٥٨/١ - ٣٣٢.

(٢) وفيات الأعيان ٣٣٢/٢، والذيل على مرآة الزمان ١٨٤/١، وسير أعلام النبلاء ٣٥٥/٢٣، والعبر

٢٣٠/٥، وعقد الجمان ١٨٦/١، وشذرات الذهب ٢٧٦/٥.

(٣) في الأصل، م: «الحسين». والمثبت من مصادر الترجمة.

(٤) وفيات الأعيان ٣٣٢/٢، ٣٣٦.

(٥ - ٥) سقط من: م.

(٦) ذيل مرآة الزمان ٢٤٨/١، وسير أعلام النبلاء ٣١٩/٢٣، وتذكرة الحفاظ ١٤٣٦/٤، والعبر ٥/

٢٣٢، وفوات الوفيات ٣٦٦/٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٥٩/٨، وطبقات الشافعية

للإسنوي ٢٢٣/٢.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

وُلِدَ بالشَّامِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَرَحَلَ وَطَلَبَ، وَغْنَى بِهَذَا الشَّانِ، حَتَّى فَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ فِيهِ، وَصَنَّفَ وَخَرَّجَ، وَاخْتَصَرَ «صَحِيحَ مُسْلِمٍ»، وَ«سَنَنَ أَبِي دَاوُدَ»، وَهُوَ أَحْسَنُ اخْتِصَارًا مِنَ الْأَوَّلِ، وَلَهُ يَدٌ طَوَّلَى فِي اللُّغَةِ وَالْفَقْهِ وَالتَّارِيخِ، وَكَانَ ثَقَّةً مُحَجَّةً مُتَحَرِّيًا زَاهِدًا، وَتُوُفِّيَ يَوْمَ السَّبْتِ رَابِعَ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بِدَارِ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَةِ بِمِصْرَ. وَدُفِنَ بِالْقَرَاةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

التُّورُ أَبُو بَكْرٍ ^(١) مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ ^(٢) عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ رُسْتَمِ الْإِسْعَرْدِيِّ، الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ الْخَلِيعُ، كَانَ الْقَاضِي صَدْرُ الدِّينِ بْنُ سَنِيِّ الدَّوْلَةِ قَدْ أَجْلَسَهُ مَعَ الشُّهُودِ تَحْتَ السَّاعَاتِ ^(٣)، ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ النَّاصِرُ صَاحِبُ الْبَلَدِ، وَجَعَلَهُ مِنْ جُلَسَائِهِ وَنَدَمَائِهِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَ الْأَجْنَادِ، فَانْسَلَخَ مِنْ هَذَا الْفَنِّ إِلَى غَيْرِهِ، وَجَمَعَ كِتَابًا سَمَّاهُ «الرَّزْجُونُ فِي الْخَلَاعَةِ وَالْمَجُونِ» وَذَكَرَ فِيهِ أَسْيَاءَ كَثِيرَةً مِنَ النُّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ فِي الْخَلَاعَةِ، [١٠/٥٥٥] وَمِنْ شِعْرِهِ:

لَذَةُ الْعَمْرِ خَمْسَةٌ فَاقْتَنَيْهَا مِنْ خَلِيعٍ غَدَا أَدِيئًا فَقَيَّهَا
فِي نَدِيمٍ وَقَيْنَةٍ وَحَبِيبٍ وَمُدَامٍ وَسَبٍّ مَنْ لَامَ فِيهَا

الْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيِّ، قَبَّحَهُ اللَّهُ، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، الْوَزِيرُ مُؤَيَّدُ الدِّينِ أَبُو طَالِبِ بْنِ الْعَلْقَمِيِّ الْبَغْدَادِيُّ ^(٤)،

(١). بعده في الأصل، م: «بن». والمثبت من مصادر ترجمته؛ الوافي بالوفيات ١/١٨٨، وفوات الوفيات ٣/٢٧١، والسلوك ١/٤١٤ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ١/١٨٩، وفي الدليل الشافى ٢/٦٨٤، وشذرات الذهب ٥/٢٨٤.

(٢ - ٢) في الوافي بالوفيات، وفوات الوفيات: «عبد الصمد».

(٣) انظر ما تقدم عن الساعات في ١٢/٥٩٩.

(٤) انظر سير أعلام النبلاء ٢٣/٣٦١، والعبر ٥/٢٣٥، والوافى بالوفيات ١/١٨٤، وفوات الوفيات =

خَدَمَ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ أَسْتَاذَ دَارِ الْخِلَافَةِ مَدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ اسْتَوَزَرَهُ الْمُسْتَعْصِمُ ، وَلَمْ يَكُنْ وَزِيرَ صِدْقٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنَ الْفُضَلَاءِ الْأَدْبَاءِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ رَافِضِيًّا خَبِيثًا ، رَدَى الطَّوِيلَةَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَقَدْ حَصَلَ لَهُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالْوَجَاهَةِ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَعْصِمِ مَا لَمْ يَحْصُلْ لكَثِيرٍ مِّنْ قَبْلِهِ مِنَ الْوُزَرَاءِ ، ثُمَّ مَالَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ لِلتَّارِ أَصْحَابٍ هَوْلًا كَوْقَانٍ ، حَتَّى جَاءُوا فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ أَمْرًا مَفْعُولًا ، ثُمَّ حَصَلَ لَهُ مِنَ الْإِهَانَةِ فِي أَيَّامِهِمُ الْقِلَّةَ وَالذَّلَّةَ وَزَوَالَ سِتْرِ اللَّهِ ، مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ ، رَأَتْهُ امْرَأَةٌ وَهُوَ رَاكِبٌ فِي أَيَّامِ التَّارِ يَوْذُونًا ، وَسَائِقٌ يَضْرِبُ فَرَسَهُ ، فَوَقَّتْ إِلَى جَانِبِهِ وَقَالَتْ : يَا بَنَ الْعَلْقَمِيِّ ، هَكَذَا كَانَ بَنُو الْعَبَّاسِ يُعَامِلُونَكَ ؟ فَوَقَّتْ كَلِمَتُهَا فِي قَلْبِهِ ، وَانْقَطَعَ فِي دَارِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ كَمَدًا فِي مُسْتَهْلِ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُونَ سَنَةً ، وَذُفِنَ فِي قُبُورِ الرُّوَافِضِ ، وَقَدْ سَمِعَ بِأُذُنِهِ وَرَأَى بِعَيْنَيْهِ مِنَ الْإِهَانَةِ مِنَ التَّارِ وَالْمُسْلِمِينَ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ ، وَتَوَلَّى بَعْدَهُ وَلَدُهُ الْوِزَارَةَ ، ثُمَّ أَخَذَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ سَرِيعًا ، وَقَدْ هَجَاهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ :

يَا فِرْقَةَ الْإِسْلَامِ نُوحُوا وَانْدُبُوا أَسَفًا عَلَى مَا حَلَّ بِالْمُسْتَعْصِمِ
دَسْتُ الْوِزَارَةَ كَانَ قَبْلَ زَمَانِهِ لَا بِنِ الْفُرَاتِ فَصَارَ لَا بِنِ الْعَلْقَمِيِّ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَيْدَرَةَ ، فَتَحَ الدِّينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْعَدْلِ^(١) ، مُخْتَسِبٌ دِمَشْقَ ، كَانَ مِنَ الصَّدُورِ الْمَشْكُورِينَ ، حَسَنَ الطَّرِيقَةِ ،

= ٢٥٢/٣ ، وَامْرَأَةُ الْجَمَانِ ١٤٧/٤ - وَفِي هَذِهِ الْمَصَادِرِ : « مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » - وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٢٠٢/١ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢٧٢/٥ ، وَفِيهِمَا : « مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » .

(١) الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٢٥٧/٣ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ١٩٠/١ .

وجده العذل نجيب الدين أبو محمد عبد الله بن حيدرَة ، وهو واقف المدرسة التي بالزبداني^(١) في سنة تسعين وخمسمائة ، تقبل الله منه .

القرطبي صاحب « المفهم في شرح مسلم » : أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر ، أبو العباس الأنصاري القرطبي المالكي^(٢) ، الفقيه المحدث المدرس بالإسكندرية ، ولد بقزوبة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسمع الكثير هناك ، واختصر « الصحيحين » ، وشرح « صحيح مسلم » بكتابه المسمى بـ « المفهم » ، وفيه أشياء حسنة مفيدة مُحَرَّرَة ، رحمه الله تعالى .

الكمال إسحاق بن أحمد بن عثمان^(٣) ، أحد مشايخ الشافعية ، أخذ عنه الشيخ محيي الدين التَّوَاوِي وغيره ، وكان مُدَرِّسًا بالرواحية ، وكانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة .

العماد داود بن عمر بن يوسف بن يحيى بن عمر بن كامل أبو المعالي وأبو سليمان الزبيدي المقدسي ثم الدمشقي ، خطيب بيت الآبار ، وقد خطب بدمشق ست سنين بعد انفصال الشيخ عز الدين بن عبد السلام عنها ، ودرس بالغرالية ، ثم عُزل عنها وعاد إلى بيت الآبار ، فمات بها .

(١) الزبداني : كورة مشهورة معروفة بين دمشق وبلبك . معجم البلدان ٩١٣/٢ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٩٥/١ ، والعبر ٢٢٦/٥ ، والوافي بالوفيات ٢٦٤/٧ ، والدياج المذهب ٢٤٠/١ ، وعقد الجمان ١٩٠/١ ، والنجوم الزاهرة ٦٩/٧ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ١٨٧ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٤٨ ، والعبر ٥/٢٠٥ ، والوافي بالوفيات ٨/٤٠٣ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٢٦ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/١٤١ . ووقع في هذه المصادر أن وفاته كانت في سنة خمسين وستمئة . غير أن الحافظ الذهبي عاد وذكره في سنة ست وخمسين في العبر ٥/٢٢٧ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ١/١٢٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٠١ ، والعبر ٥/٢٢٩ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/١٤٢ .

عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ، صَدْرُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ النَّيَّارِ^(١) شَيْخُ الشُّيُوخِ بَغْدَادَ، وَكَانَ أَوَّلًا مُؤَدِّبًا لِلْإِمَامِ الْمُشْتَقِصِمِ بِاللَّهِ، فَلَمَّا صَارَتِ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ نَالَ الشَّيْخُ رِفْعَةً عَظِيمَةً وَوَجَاهَةً هَائِلَةً، وَوَلَاهُ مَشِيخَةَ الشُّيُوخِ بَغْدَادَ، وَانْتَضَمَتْ إِلَيْهِ أَرْمَةُ الْأُمُورِ، ثُمَّ إِنَّهُ [٥٥٥/١٠ ظ] ذُبِحَ بِدَارِ الْخِلَافَةِ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

الشَّيْخُ الْعَابِدُ عَلِيُّ الْحَبَّازِ^(٢)، كَانَ لَهُ أَصْحَابٌ وَأَتْبَاعٌ بِبَغْدَادَ، وَلَهُ زَاوِيَةٌ يُزَارُ فِيهَا، قَتَلَتْهُ التَّنَّازُ، وَأُلْقِيَ عَلَى مَرْبَلَةٍ بِيَابِ زَاوِيَتِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَكَلَتْ الْكَلَابُ مِنْ لَحْمِهِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَخْبَرَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ فِي حَيَاتِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي^(٣) الْفَتْحِ، أَبُو^(٤) عَبْدِ اللَّهِ الْمُقَدَّسِيُّ خَطِيبُ مَرْدَا^(٥)، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَعَاشَ تِسْعِينَ سَنَةً، وَقَدِمَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ، فَسَمِعَ النَّاسُ عَلَيْهِ الْكَثِيرَ بِدَمَشَقَ، ثُمَّ عَادَ فَمَاتَ بِلَدِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

الْبَدْرُ لَوْلُوُ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ الْمُلقَّبُ بِالْمَلِكِ الرَّحِيمِ^(٥)، كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي

(١) عقد الجمان ١/١٩١، والدليل الشافى ١/٤٧٧.

(٢) العبر ٥/٢٣٣، وعقد الجمان ١/١٩٢، وشذرات الذهب ٥/٢٨٠.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل. وفي م: «الفرج أبو». والمثبت من مصادر ترجمته؛ سير أعلام النبلاء ٢٣/٣٢٥، والعبر ٥/٢٣٥، والوافى بالوفيات ٢/٢١٩، وعقد الجمان ١/١٩٣، والدليل على طبقات الحنابلة ٢/٢٦٧، وشذرات الذهب ٥/٢٨٣.

(٤) في م: «براد». ومردا: قرية قرب نابلس. معجم البلدان ٤/٤٩٣.

(٥) كنز الدرر ٨/٤٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٥٦، والعبر ٥/٢٤٠، ومرة الجمان ٤/١٤٨، وعقد الجمان ١/١٩٩، والنجوم الزاهرة ٧/٧٠، وشذرات الذهب ٥/٢٨٩.

وقد ذكرت هذه المصادر وفاته في سنة سبع وخمسين وستمائة ما عدا عقد الجمان، فذكره في وفيات هذه السنة نقلا عن المصنف.

شعبان من هذه السنة عن مائة سنة^(١)، وقد ملك الموصل نحوًا من خمسين سنة، وكان ذا عقلٍ ودهاءٍ ومكرٍ، لم يزل يعمل على أولادٍ أشتاذه حتى أبادهم، وزالت الدولة الأتابكية عن الموصل، ولما انفصل هولاكوقان عن بغداد بعد الواقعة الفظيعة، سار إلى خدمته متاقياً^(٢) له، ومعه الهدايا والتحف، فأكرمه واحترمه، ورجع من عنده، فمكث بعد مَرْجِعِهِ بالموصل أيامًا يسيرةً، ثم مات، ودُفِنَ بمدرسته البدرية، وتأسف الناس عليه لحسن سيرته وجودة مَعْدَلَتِهِ، وقد جمع له الشيخ عز الدين بن الأثير كتابه المسمى بـ «الكامل في التاريخ»، فأجازه عليه، وأحسن إليه، وكان يُعْطَى لبعض الشعراء ألف دينارٍ ونحوها، وقد قام في الملك بعده ولده الصالح إسماعيل.

وقد كان بدر الدين لؤلؤ أرمَنِيًّا اشتراه رجلٌ خياطٌ، ثم صار إلى الملك نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زَنْكِي بن آقْسُنْقَرِ الأتابكي صاحب الموصل، وكان مَلِيحَ الصورة، فحظي عنده، وتقدّم في دولته إلى أن صارت الكلمة دائرةً عليه، والوفود من سائر جهات مُلْكِهِمْ إليه. ثم إنه أخنى على أولادٍ أشتاذه^(٣) فقتلهم غيلةً واحدًا بعد واحدٍ، إلى أن لم يَبْقَ معه أحدٌ منهم، فاستقل بالملك حينئذٍ، وصفت له الأمور وراقت، وكان يَبْعَثُ في كلِّ سنةٍ إلى مشهَدٍ على قَنْدِيلًا^(٤) زَنْتُهُ أَلْفُ دِينَارٍ، وقد بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ قَرِيبًا مِنْ تِسْعِينَ

(١) كذا في الأصل، م. وفي كنز الدرر: «نيف وخمسة وثمانين سنة»، وفي سير أعلام النبلاء:

«عاش قريبا من تسعين سنة» - ووافقه المصنف في آخر الترجمة - وفي عقد الجمان: «ثمانين سنة»،

وفي النجوم الزاهرة: «في عشر التسعين سنة»، وفي شذرات الذهب: «نيف على الثمانين».

(٢) في م: «طاعة». وقوله: «متاقيا» لعلها من معنى التقية.

(٣) أخنى عليهم: غدر بهم. انظر اللسان (خ ن و).

(٤) بعده في م: «ذهبا».

سنةً ، وكان شابًا حسنَ الشبابِ ، مِنْ نَضَارَةِ وَجْهِهِ ، وَحُسْنِ شَكْلِهِ ، وَكَانَتِ
الْعَامَةُ تُلقَّبُهُ بِقَضِيبِ الذَّهَبِ ، وَكَانَ ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ ، وَدَاهِيَةٍ شَدِيدِ الْمَكْرِ ، بَعِيدَ
الْغَوْرِ ^(١) .

الْمَلِكُ النَّاصِرُ دَاوُدُ بْنُ الْمُعْظِمِ ^(٢) ، تَرْجَمَهُ الشَّيْخُ قُطُبُ الدِّينِ الْيُونَنِيُّ فِي
تَذْيِيلِهِ عَلَى «الْمِرْآةِ» ^(٣) فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَبَسَطَ تَرْجَمَتَهُ جَدًّا ، وَمَا جَرَى لَهُ مِنْ
مُبْتَدَأِ أَمْرِهِ إِلَى ^(٤) آخِرِ زَمَانِهِ ، وَأُورِدَ مِنْ أَشْعَارِهِ وَأَقْوَالِهِ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَأَفَادَ أَشْيَاءَ
حَسَنَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَدْ ذَكَرْنَا تَرْجَمَتَهُ ^(٥) فِي الْحَوَادِثِ ^(٦) ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ،
وَقَدْ مَلَكَ بَعْدَ أَبِيهِ مَدِينَةَ دِمَشَقَ وَأَعْمَالَهَا مَدَّةً ، ثُمَّ تَمَلَّأَ عَلَيْهِ عَمَاهُ الْكَامِلُ
وَالْأَشْرَفُ وَانْتَرَعَاهَا مِنْ يَدِهِ ، وَعَوَّضَاهُ مِنْهَا الْكَرَكَ وَالصَّلْتَ وَعَجَلُونَ وَنَابُلُسَ ،
ثُمَّ ذَهَبَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ يَدِهِ وَصَارَ إِلَى الْعِرَاقِ ^(٧) ، فَاسْتَوْدَعَ الْخَلِيفَةَ الْمُسْتَعَصِمَ فِي
سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَدِيعَةً قِيمَتُهَا مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَعَلَّهَا وَلَمْ يَرُدَّهَا إِلَيْهِ ، وَتَكَرَّرَ
وُفُودُهُ إِلَيْهِ وَتَوَسَّلُهُ بِالنَّاسِ فِي رَدِّهَا إِلَيْهِ ، فَلَمْ يُفِدْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، وَمِنْ أَحْسَنِ
مَقَامَاتِ [٥٦١/١٠] النَّاصِرِ دَاوُدَ ؛ لَمَّا حَضَرَ الدَّرْسَ بِالْمُسْتَنْصِرِيَّةِ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ
وِثْلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَالْخَلِيفَةُ حَاضِرٌ ، فَقَامَ الْفَقِيهُ وَجِيهُ الدِّينِ الْقَيَّرَوَانِيُّ فَامْتَدَحَ
الْخَلِيفَةَ بِقَصِيدَةٍ قَالَ فِي بَعْضِهَا :

(١) بعده في م : «وبعثه إلى مشهد على بذلك القنديل الذهب في كل سنة دليل على قلة عقله وتشيعه ،
والله أعلم» .

(٢) تقدمت ترجمته في صفحة ٣٥١ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ١٢٦/١ .

(٤ - ٤) في م : «آخره» .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) في الأصل : «فيما بعد» . وقد تقدمت في التراجم .

لو كنتَ في يومِ السَّقِيفَةِ حاضرًا كُنتَ المُقَدَّمُ والإمامُ الأُرْوَعَا^(١)

فقال له الناصرُ داودُ : أخطأتُ ؛ قد كان جَدُّ أميرِ المؤمنين العباسُ حاضرًا يومَ السَّقِيفَةِ^(٢) ، وإنما كان المُقَدَّمُ والإمامُ الأُرْوَعَا أبو بكرٍ الصديقُ . فقال الخليفةُ : صدق . وخلعَ عليه ، ونفَى الوجيَةَ القَيْرَوَانِيَّ^(٣) إلى مصرَ ،^(٤) فدرَّسَ في مدرسةِ الوزيرِ صفِيِّ الدينِ بنِ شُكْرِ^(٥) ، وكانت وفاةُ الناصرِ داودَ بقريةِ البُوَيْضَا مُرْسَمًا عليه ، وشهدَ جنازَتَه صاحبُ دمشق^(٥) .

(١) وفي م : «الأورعا» . وانظر : ذيل مرآة الزمان ١/١٣٦ .

(٢) بعده في م : « ولم يكن المقدم وهو أفضل من أمير المؤمنين » .

(٣) في الأصل ، م : « الفزاري » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ١/١٣٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٧٩ .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) في الأصل : « حلب » . وكانت دمشق وحلب كلتاها للملك الناصر يوسف بن العزيز بن غازي بن الناصر فاتح القدس .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٌ وَخَمْسِينَ وَسِتَّمِائَةٍ

اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ^(١) وَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ خَلِيفَةٌ، وَسُلْطَانُ دِمَشْقَ وَحَلَبَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ الْعَزِيزِ مُحَمَّدِ بْنِ الظَّاهِرِ غَازِي بْنِ النَّاصِرِ فَاتِحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَهُوَ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَصْرِيِّينَ^(٢)، وَقَدْ مَلَكُوا نُورَ الدِّينِ عَلَيَّ ابْنَ الْمُعِزِّ أَيْتِكَ التُّرْكَمَانِيُّ، وَلَقَّبُوهُ بِالْمَنْصُورِ، وَقَدْ أَرْسَلَ الْمَلِكُ الْغَاشِمُ هَوْلَاكُوقَانَ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ بِدِمَشْقَ يَسْتَدْعِيهِ إِلَيْهِ، فَأَرْسَلَ وَلَدَهُ الْعَزِيزَ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَمَعَهُ هَدَايَا كَثِيرَةٌ وَتَحَفٌ، فَلَمْ يَخْتَفِلْ بِهِ هَوْلَاكُو، وَغَضِبَ عَلَى أَبِيهِ إِذْ لَمْ يُقْبَلْ إِلَيْهِ^(٣)، وَقَالَ: أَنَا الَّذِي أُسِيرُ إِلَى بِلَادِهِ بِنَفْسِي. فَانْتَزَعَ النَّاصِرُ لَذَلِكَ، وَبَعَثَ بِحَرِيمِهِ وَأَهْلِهِ إِلَى الْكَرْكِ لِيُخَصِّنَهُمْ بِهَا، وَخَافَ أَهْلُ دِمَشْقَ خَوْفًا شَدِيدًا حِينَ بَلَغَهُمْ أَنَّ التَّنَازَاقَ قَدْ قَطَعُوا الْفَرَاتَ، فَصَارَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ فِي زَمَنِ الشِّتَاءِ، وَمَاتَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَنُهِبَ آخَرُونَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَأَقْبَلَ هَوْلَاكُو، فَقَصَدَ نَحْوَ الشَّامِ بِجُنُودِهِ وَعَسَاكِرِهِ، وَقَدْ كَانَتْ مِثَافَارِقِينَ قَدْ امْتَنَعَتْ عَلَى التَّنَازَاقِ مَدَّةَ سَنَةٍ وَنَصْفٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَلَدَهُ أَشْمُوطَ، فَافْتَتَحَهَا قَسْرًا، وَاسْتَنْزَلَ مَلِكَهَا الْكَامِلَ بْنَ الشُّهَابِ غَازِي بْنَ الْعَادِلِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ مُحَاصِرٌ حَلَبَ، فَقَتَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَنَابَ عَلَيْهَا بَعْضَ تَمَالِيكِ الْأَشْرَفِ، وَطِيفَ

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٠١ - ٢٠٣، وذيل مرآة الزمان ٣٤٢/١ - ٣٤٤، ونهاية الأرب ٢٩/

٣٨١ - ٣٨٤، ٤٦٧ - ٤٧٠، والعبر ٢٣٨/٥، وعقد الجمان ٢١٧/١ - ٢٢٤.

(٢) أي: والحرب قائمة بينه وبين المصريين.

(٣) بعده في م: «وأخذ ابنه».

برأس الكامل في البلاد، ودخلوا برأسه إلى دمشق، فنُصِبَ على بابِ الفَراديسِ
البرّانيّ، ثم دُفِنَ بمسجدِ الرأسِ^(١) داخلَ بابِ الفَراديسِ الجَوّانيّ^(٢)، فنظّم أبو
شامة^(٣) في ذلك قصيدةً يذكُرُ فيها فضله وجهاده، وشبّهه بالحسين في قتله
مَظْلومًا، ودُفِنَ رأسه عند رأسه.

وفيهما عَمِلَ الخَوَاجَا نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ الرَّصَدُ^(٤) بمدينة مَرَاغَةَ، ونَقَلَ إليه
شيئًا كثيرًا من كتبِ الأَوْقَافِ التي كانت ببغداد، وعَمِلَ دارَ حِكْمَةٍ فيها
فَلَاسِفَةٌ، لكلِّ واحدٍ في اليومِ ثلاثةُ دراهمٍ، ودارَ طِبٍّ، فيها للحكيم في اليومِ
درهمان، ومدرسةٌ، لكلِّ فقيهٍ في اليومِ درهمٌ، ودارَ حَدِيثٍ، لكلِّ مُحَدِّثٍ
نصفُ درهمٍ في اليومِ.

وفيهما قَدِمَ القَاضِي الوَزيْرُ كَمَالُ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ أَبِي جَرَادَةَ المَعْرُوفُ بابنِ العَدِيمِ
إلى الديارِ المِصرِيَّةِ رسولًا من صَاحِبِ دِمَشقِ النَاصِرِ بْنِ العَزِيزِ يَسْتَشْجِدُ المِصْرِيِّينَ
على قِتَالِ التَّتَّارِ، بأنهم قد اقْتَرَبَ قُدُومُهُمْ إلى الشَّامِ، وقد اسْتَوْلَوْا على بلادِ
الجزيرةِ^(٥) وَحَرَائِنَ^(٦) وغيرها، في هذه السَّنةِ، وقد جاز أَشْمُوطُ بْنُ هَوَلاكو
الْفُراتَ، [١٠٠/٦٥٥ هـ] واقْتَرَبَ مِنْ مَدِينَةِ حَلَبَ، فَعَقِدَ عند ذلك مَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيِ
الْمَنْصُورِ ابْنِ المَعِزِّ التُّرْكَمَانِيِّ، وَحَضَرَ قَاضِي الدِيَارِ المِصرِيَّةِ بَدْرُ الدِّينِ السَّنْجَارِيُّ،
وَالشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، وَأَفَاضُوا الكَلَامَ فيما يَتَعَلَّقُ بِأَخْذِ شَيْءٍ مِنْ
أَمْوَالِ الْعَامَّةِ لِمُسَاعَدَةِ الْجُنْدِ، وَكَانَتِ الْعُمْدَةُ عَلَى مَا يَقُولُهُ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، فَكَانَ

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠٥، حوادث سنة ثمان وخمسين وستمائة.

(٣) الرصد: دار للفقهاء والفلاسفة والأطباء. انظر السلوك ١/ ٤٢٠، ٤٢١ (القسم الثاني).

(٤ - ٤) سقط من: م.

حاصلهُ : إذا لم يَتَّقَ فى بَيْتِ المَالِ شَيْءٌ ، وَأَنْفَقْتُمْ الحَوَائِصَ ^(١) الذَّهَبَ وَغَيْرَهَا مِنْ الزَّيْنَةِ ، وَتَسَاوَيْتُمْ أَنْتُمْ وَالْعَامَّةُ فى المَلَابِسِ سِوَى آلاَتِ الحَرْبِ ، وَلَمْ يَتَّقَ لِلْجُنْدِيِّ شَيْءٌ سِوَى فَرَسِهِ التِّى يَرْكَبُهَا ، سَاغَ أَخَذُ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ فى دَفْعِ الْأَعْدَاءِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا دَهَمَ الْعَدُوُّ وَجَبَ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً أَنْ يَدْفَعُوهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ .

وَلَايَةُ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ قُطْرُ

وفىهَا قَبَضَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قُطْرُ عَلَى ابْنِ أَسْتَازِهِ نُورِ الدِّينِ عَلَى الْمُلقَّبِ بِالْمَنْصُورِ ، وَذَلِكَ فى غَيْبَةِ أَكْثَرِ الْأَمْراءِ مِنْ مَمَالِكِ أَبِيهِ وَغَيْرِهِمْ فى الصَّيْدِ ، فَأَمْسَكَهُ وَسَيَّرَهُ مَعَ أُمِّهِ وَابْنِهِ وَإِخْوَتِهِ ^(٢) إِلَى بِلَادِ الْأَشْكَرَى ^(٣) ، وَتَسَلَّطَنَ هُوَ ، وَسَمَّى نَفْسَهُ بِالْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ ، وَكَانَ هَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُ الَّذِى يَسِّرُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ كَثْرَةَ التَّارِ كَمَا سَيَأْتِى بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَهَذَا الَّذِى اعْتَذَرَ بِهِ إِلَى ^(٤) ابْنِ الْعَدِيمِ ، فَإِنَّهُ قَالَ : لَا بَدَ لِلنَّاسِ مِنْ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ يُقَاتِلُ التَّارَ ، وَهَذَا صَبِيٌّ صَغِيرٌ لَا يَعْرِفُ تَذْيِيرَ الْمَمْلَكَةِ .

وفىهَا بَرَزَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَاحِبُ دِمَشْقَ إِلَى وَطَاءَ بَرْزَةِ فى جِحَافِلَ كَثِيرَةٍ مِنْ

(١) فى م : « الحوائض » .

(٢) فى نَهَايَةِ الْأَرْبِ وَعَقْدِ الْجَمَانِ أَنَّهُ سِيرَهُ مَعَ أُمِّهِ وَأَخِيهِ . وَلَمْ تَذَكَرْ بَقِيَّةَ الْمَصَادِرِ ذَلِكَ .

(٣) كَذَا فى عَقْدِ الْجَمَانِ ، وَذَكَرَ أَيْضًا هُوَ وَالتَّوِيرِى فى نَهَايَةِ الْأَرْبِ أَنَّهُ شَفَّرَ هُوَ وَأَخُوهُ وَأَمَّهُمَا إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَلَعَلَّهَا هِىَ الْمَقْصُودَةُ بِبِلَادِ الْأَشْكَرَى ، وَذَكَرَ فى حَاشِيَةِ عَقْدِ الْجَمَانِ أَنَّ الْمَقْصُودَ الدَّوْلَةَ الْبِيزَنْطِيَّةَ .

(٤) بَعْدَهُ فى م : « الْفُقَهَاءُ وَالْقَضَاةُ وَإِلَى » . وَلَيْسَ فى الْمَصَادِرِ اعْتِزَالُهُ هَذَا ، وَلَكِنْ ذَكَرَ فى عَقْدِ الْجَمَانِ أَنَّ تَوَلَّى قُطْرُ السُّلْطَانَةَ كَانَ بِحَضْرَةِ ابْنِ الْعَدِيمِ .

الجيش والمطوعة والأغراب وغيرهم ، ولما عليم ضعفهم عن مقاومة المغول ارفض^(١) ذلك الجمع ، ولم يصبر^(٢) لا هو ولا هم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها تُوفى من الأغنيان :

واقف الصّدرية^(٣) الرئيس صدر الدين أسعد^(٤) بن عثمان بن أسعد^(٥) بن المتجّ^(٦) بن بركات بن مؤمل^(٧) التتوخى المعري^(٨) ، ثم الدمشقي الحنبلي ، أحد المعدّين ذوى الأموال والمروءات والصدقات الدائرة البارّة ، وقف مدرسة للحنابلة ، وقبره بها إلى جانب تربة القاضى المصرى فى رأس دزب الرّيحان من ناحية الجامع الأموى^(٩) ، وقد ولى نظر الجامع مدة ، وقد استجّد أشياء كثيرة ، منها سوق التّحاسين قبلى الجامع ، ونقل الصّاعغة إلى مكانها الآن ، وقد كانت قبل ذلك حيث يُقال لها : الصّاعغة العتيقة . وجدّد الدّكاكين التى بين أعمدة الزّيادة^(٩) ، وثمّر للجامع أموالاً جزيلة ، وكانت له صدقات كثيرة ، وذكر عنه أنه

(١) ارفض : تفرّق . الوسيط (ر ف ض) .

(٢) فى م : « يسر » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٣ ، والعبر ٢٣٩/٥ ، والوفى بالوفيات ٤٣/٩ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٢٦٨/٢ ، والسلوك ٤٢١/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٢٢٥/١ . وقد جاء اسمه مختصراً على الشهرة فى الذيل على الروضتين والسلوك « صدر الدين أسعد بن المنجا » وزاد فى السلوك كنيته « أبا الفتوح » . وانظر الحواشى القادمة .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م ، وليس فى عقد الجمان . والمثبت من العبر والوفى والذيل على طبقات الحنابلة .

(٥) فى م : « المنجاة » .

(٦) فى الوافى : « المؤيد » . وقد ذكره على الصواب فى ترجمة جده القاضى وجيه الدين بن المنجا ٤٤/٩ .

(٧) فى الأصل ، م : « المغربى » . والمثبت من عقد الجمان لانفراده بذكر النسبة . وانظر أيضاً نسبته فى ترجمة جده القاضى وجيه الدين فى سير أعلام النبلاء ٤٣٦/٢١ .

(٨) فى الأصل : « المبرور » .

(٩) فى م : « الزيارة » .

يَعْمَلُ^(١) صنعة الكيمياء ، وأنه صَحَّ معه^(٢) عمل الفضة ، وعندى أن هذا لا يَصِحُّ عنه . والله أعلم .

الشيخ يوسف القميني^(٣) كان يُعرف بالأقميني ؛ لأنه كان يسكن قمين حَمَامِ نور الدين الشهيد ، وكان يلبس ثيابًا طَوَّالًا تحف^(٤) على الأرض ، ويقول في ثيابه ، ورأسه مكشوف ، وله أحوال وكشوف كثيرة ، وكان كثير من العوام وغيرهم يعتقدون صلاحه وولايته ؛ وذلك لأنهم لا يعلمون^(٥) أن الكشف قد تصدر من المؤمنين والكافر كما كان ابن صيَّاد ، ومن البر والفاجر^(٦) ، فلا بد من اختبار صاحب الحال بالكتاب والسنة ، فمن وافق حاله الكتاب والسنة ، فهو رجل صالح [١٠ / ٥٧٠] سواء كاشف أم لا ، ومن لم يوافق فليس برجل صالح سواء كاشف أم لا .

قال الشافعي ، رحمه الله تعالى^(٦) : إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ، ويطيئ في الهواء ، فلا تعتزوا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة .
ولما مات دُفن بترية بسفح قاسيون ، وهي مشهورة به شرقى^(٧) تربة أبي عمر المقدسي^(٧)

(١) في م : « كان يعرف » .

(٢) في عقد الجمان : « عنده » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٢ ، وذيل مرآة الزمان ١ / ٣٤٨ ، والعبر ٥ / ٢٤٠ ، وعقد الجمان ١ / ٢٢٦ ، وشذرات الذهب ٥ / ٢٨٩ .

(٤) في م : « تحف » . وتحف : تجرف . اللسان (ج ح ف) .

(٥ - ٥) في م : « شرائط الولاية ولا الصلاح ولا يعلمون أن الكشف قد تصدر من البر والفاجر والمؤمن والكافر كالرهبان وغيرهم وكالدجال وابن صياد وغيرهم فإن الجن تسترق السمع وتلقيه على أذن الإنسي ولا سيما من يكون مجنوناً أو غير نقى الثياب من النجاسة » .

(٦) أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي ١ / ٤٥٣ بإسناده عنه بنحوه .

(٧ - ٧) سقط من : م .

الرَّواحِيَّةِ ، وهى مُزَخْرَفَةٌ ، قد اُعْتَنِيَ بها بعض من كان يَعْتَقِدُ فيه ^(١) . وكانت وفاته فى سادس شعبان من هذه السنة . وكان الشيخ إبراهيم ^(٢) الجيعانة لا يَتَجَاسَرُ ^(٣) أن يَدْخُلَ البلدَ والقَمِينِيَّ حَتَّى ، فيومَ مات الأَقْمِينِيَّ دَخَلَهَا ^(٤) وكان بالشَّاعُورِ ، ودَخَلَ العَوَامُ معه يَصِيحُونَ وَيَضْرُخُونَ . ^(٥) وهم أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ .

الشمسُ على بَنِ النَّشِيَّ ^(٦) المَحْدُثُ ، ناب فى الحِشْبَةِ عن الصَّدْرِ البَكْرِيِّ ، فى أيامه ، وقرأ الكثيرَ بنفسه ، وسمع وأسمع ، وكتب بخطه كثيرًا ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى .

أبو عبد الله الفاسي شارحُ « الشاطبية » ^(٧) ، اشتهر بالكُتُبَةِ ، وقيل : إن اسمَه القاسمُ . وكانت وفاته بحلب ، وكان عالماً فاضلاً فى العربية والقراءات وغير ذلك ، وقد أجاد فى شرحه « للشاطبية » وأفاد ، واستَحَسَنه الشيخُ شهابُ الدين

(١) بعده فى م : « فزخرفها وعمل على قبره حجارة منقوشة بالكتابة وهذا كله من البدع » .

(٢) بعده فى م : « بن سعيد » . ولم نجد قصته هذه فى مصادر ترجمة يوسف القميني .

(٣) بعده فى م : « فيما يزعم » .

(٤ - ٥) سقط من : م . والشاعور : محلة بالبواب الصغير من دمشق مشهورة فى ظاهر المدينة . معجم البلدان ٢٣٦/٣ .

(٥ - ٥) فى م : « أذن لنا فى دخول البلد . وهم أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ، فليل الجيعانة : ما منعك من دخولها قبل اليوم ؟ فقال : كنت كلما جئت إلى باب من أبواب البلد أجد هذا السبع رابضاً فيه فلا أستطيع الدخول ، وقد كان سكن بالشاعور وهذا كذب واحتيال ومكر وشعبذة ، وقد دفن جيعانة عنده فى تربته بالسفح . والله أعلم بأحوال العباد » .

(٦) فى الأصل ، م : « النشي » . والمثبت من مصادر ترجمته الآتية : الذيل على الروضتين ص ١٩٩ ، والعبر ٢٣٣/٥ ، والنجوم الزاهرة ٦٨/٧ ، وشذرات الذهب ٢٨٠/٥ ، وذكره فى وفيات سنة ست وخمسين وستمائة .

(٧) الذيل على الروضتين ص ١٩٩ ، والعبر ٢٣٥/٥ ، ومعرفة القراء الكبار ٥٣٣/٢ ، والوافي بالوفيات ٣٥٤/٢ ، والجواهر المضية ١٣٠/٣ ، وعقد الجمان ١٩٤/١ . وذكره فى وفيات سنة ست وخمسين وستمائة .

أبو شامة شارحها أيضًا .

التَّجْمُ أَخُو الْبَدْرِ مُفَضَّلٌ^(١) ، وكان شيخَ الفاضلية بالكلاسة ، وكان له إجازةٌ من السلفي .

خطيبُ العقبيَّة^(٢) بدرُ الدين يحيى بنُ الشيخ عزِّ الدين بن عبد السلام ، ودُفن بباب الصغير على جدِّه^(٣) ، وكانت جنازته حافلةً ، رحمه الله تعالى .

سعدُ الدين محمدُ بنُ الشيخ مُحيي الدين بن عربي^(٤) ذكره أبو شامة ، وأثنى عليه في فضيلته وأدبه وشعره ،^(٥) وذكر ما يدلُّ على فضيلته وأدبٍ وشعرٍ فيه قوة^(٦) .

وقد ذكر أبو شامة^(٧) وفاةَ الملك الناصر داودَ في هذه السنة ،^(٨) وقد قدمنا ترجمته في التي قبل^(٩) .

سيفُ الدين بنُ صبرة^(١٠) مُتَوَلَّى شُرْطَةِ دِمَشْقَ ، ذكر أبو شامة أنه حينَ مات جاءت حيةٌ فنهشت أفضاه ، وقيل : إنها التقت في أكفائه ، وأغشى الناسَ دفعها . قال : وقيل : إنه كان نُصَيْرِيًّا^(١١) رافضيًا خبيثًا مُدْمِنَ خمرٍ . نسألُ الله العافية .

التَّجِيبُ بنُ شُقَيْشَقَّة^(١٢) الدَّمَشْقِيُّ ، أحدُ الشهودِ بها ، له سَمَاعُ حَدِيثٍ ،

(١) الذيل على الروضتين ص ١٩٩ ، ذكره في وفيات سنة ست وخمسين وستمائة .

(٢) أي على قبر جده ، كما في الذيل على الروضتين .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٠ . ذكره في وفيات سنة ست وخمسين وستمائة .

(٤ - ٥) في م : « هذا إن لم يكن من أتباع أبيه » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) نُصَيْرِيًّا : منسوب إلى النُصَيْرِيَّة وهي طائفة من الزنادقة مشهورة بقولون بالوهية على ، تعالى الله علوا كبيرا . انظر تاج العروس (ن ص ر) .

(٧) في م : « شعيصة » . وانظر ترجمته في الذيل على الروضتين ص ٢٠١ ، والعبر ٢٣٦/٥ ، وعقد الجمان ١٩٣/١ ، وشذرات الذهب ٢٨٥/٥ . وذكره في وفيات سنة ست وخمسين وستمائة عندهم .

ووقف داره بَدَرْبِ البانِياسِي دارَ حديثٍ ، وهى التى كان يَسْكُنُهَا شَيْخُنَا الحَافِظُ المِزْيُي^(١) قَبْلَ انْتِقَالِهِ إِلَى دارِ الحديثِ الأَشْرَفِيَّةِ . قال أبو شامة^(٢) : وكان ابنُ شَقِيشِقَةَ ، وهو النَّجِيبُ أبو الفتحِ نصرُ اللَّهِ بنُ أبى^(٣) العزِّ بنِ أبى^(٤) طالبِ الشَّيْبَانِي ، مَشْهُورًا بالكذبِ وَرِقَّةِ الدينِ وغيرِ ذلك ، وهو أَحَدُ الشُّهُودِ المَقْدُوحِ فِيهِمْ ، ولم يَكُنْ بِحالٍ^(٥) أَنْ يُؤْخَذَ عَنْهُ . قال : وقد أَجْلَسَهُ أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى^(٦) بنِ هبةِ اللَّهِ^(٧) المَلَقَّبُ بالصَّدْرِ بنِ سَنَى الدولةِ فى حالِ وِلايَتِهِ قِضَاءَ القُضَاةِ بدمشقَ ، فَأَنْشَدَ فِيهِ بعضُ الشعراءِ :

جَلَسَ الشَّقِيشِقَةُ الشَّقِي لِيَشْهَدَا بِأَبْيَكُما^(٨) ماذا عدا فيما بدا
هل زُلْزَلَ الزُّلْزَالُ أَمْ قَدْ أُخْرِجَ الدُّ جالُ أَمْ عُذِمَ الرجالُ ذَوُو الهُدَى
عَجَبًا لِمَحْلُولِ العَقِيدَةِ جاهِلٍ بالشرعِ قد أَذِنُوا لَهُ أَنْ يَعْقِدَا^(٩)

[١٠/٥٧ هـ] قال أبو شامة^(٨) : فى سَنَةِ سَبْعٍ وخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ تُوَفِّي شَخْصٌ زَنْدِيقٌ يَتَعَاطَى الفَلَسَفَةَ والنَّظَرَ فى عِلْمِ الأوائلِ ، وكان يَسْكُنُ مَدَارِسَ فقهاءِ المسلمين ، وقد أَفْسَدَ عَقَائِدَ جَماعَةٍ مِنَ الشُّبابِ المُشْتَغِلِينَ فيما بَلَغْنِي ، وكان

(١) فى الأصل : « المعزى » .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠١ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « بأهل » .

(٥ - ٥) سقط من : م . وأجلسه : يعنى أَجْلَسَهُ شاهدًا .

(٦) فى م : « تبا لكم » .

(٧) فى م : « يقعدا » . ولعل مناسبة ذكر هذا اللفظ أن ابن سنى الدولة ميزه بأن جعله عاقداً للأنكحة ،

كما صرح بذلك صاحب الذيل على الروضتين .

(٨) الذيل على الروضتين ص ٢٠٢ .

^(١) يَتَجَاهَرُ بِاسْتِنْقَاصِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَهُوَ يُعَرَفُ ^(٢) بِابْنِ الْفَخْرِ ^(٣) بْنِ الْبَدِيعِ
الْبَنْدَهِيِّ ، كَانَ ^(٤) أَبُوهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ جَمَلَةِ تَلَامِيذَةِ ^(٣) الْفَخْرِ الرَّازِيِّ ابْنِ خَطِيبِ
الرَّيِّ ^(٣) صَاحِبِ الْمُصَنَّفَاتِ ^(٤) .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) في الذيل على الروضتين : « بالفخر » . وانظر عقد الجمان ١/٢٢٧ ، ٢٢٨ ، فقد ترجمه نقلا
عن أبي شامة بمثل ما أثبتناه .

(٣ - ٣) في م : « ابن خطيب الري الرازي » .

(٤) بعده في م : « حية ولد حية » .

ثم دَخَلَتْ سنة ثمانٍ وخمسين وستُمائة^(١)

استَهَلَّتْ هذه السنة يوم الخميس وليس للناس خليفة، ومَلِكُ الْعِرَاقَيْنِ وَخُرَاسَانَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ بِلَادِ الشَّرْقِ السُّلْطَانُ هَوْلَاكُوقَان مَلِكُ التَّتَارِ ابْنُ تُولِي بْنِ جَنْكِيْزْخَانَ، وَسُلْطَانُ دِيَارِ مِصْرَ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ سَيْفُ الدِّينِ قُطُزْ مَمْلُوكُ الْمُعِزِّ أَيْتُكُ التُّوْكَمَانِيِّ، وَسُلْطَانُ دِمَشْقَ وَحَلَبَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ بْنُ الْعَزِيزِ بْنِ الظَّاهِرِ غَازِي بْنِ النَّاصِرِ فَاتِحِ الْقُدْسِ، وَبِلَادِ الْكَرْكِ وَالشُّوْبَكِ لِلْمَلِكِ الْمُغِيثِ بْنِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ، وَهُوَ حِزْبُ^(٢) مَعَ النَّاصِرِ صَاحِبِ دِمَشْقَ عَلَى الْمَصْرِيِّينَ، وَمَعَهُمَا الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ بَيْبَرْسُ الْبُنْدُوقْدَارِيِّ، وَقَدْ عَزَمُوا عَلَى قِتَالِ الْمَصْرِيِّينَ وَأَخَذَ الْبَلَدَ مِنْهُمْ.

أَخَذَ التَّتَارُ حَلَبَ وَدِمَشْقَ

وَبَيْنَمَا النَّاسُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ بِقَصْدِ التَّتَارِ بِلَادَ الشَّامِ، إِذْ دَخَلَ جَيْشُ الْمَغُولِ صُحْبَةً مَلِكِهِمْ هَوْلَاكُو، وَجَازَوْا الْفُرَاتَ عَلَى جُجُورِ عَمَلِهَا، وَوَصَلُوا إِلَى حَلَبَ فِي ثَانِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَحَاصَرُوهَا سَبْعَةَ

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٠٣ - ٢١١، وذيل مرآة الزمان ٣٤٩/١ - ٣٧٧، ونهاية الأرب ٢٩/

٤٧١، وكنز الدرر ٤٥/٨ - ٦٦، والعبر ٢٤١/٥، ٢٤٤.

(٢) في م: «حرب».

أيام، ثم افتتحوها بالأمان، وغدروا بهم، فقتلوا من أهلها خلقاً لا يعلمهم إلا الله عز وجل، ونهبوا الأموال وسبوا النساء والأطفال، وجرى عليهم قريب مما جرى على أهل بغداد، فجاسوا خلال الديار، وجعلوا أعزّة أهلها أذلةً وكذلك يفعلون، فإننا لله وإنا إليه راجعون. وامتنعت عليهم قلعته شهراً، ثم تسلّموها بالأمان، وحزّب أسوار البلد وأسوار القلعة، وبقيت حلب كأنها حِمَارٌ أجرب، وكان نائبها الملك المعظم ثورانشاه بن صلاح الدين، وكان عاقلاً حازماً، لكنه لم يوافق الجيش على "المصلحة ولكن سرعوا" وكان أمر الله قدراً مقدوراً. وقد كان السلطان هولاكو أرسل إلى أهل البلد يقول لهم حين قدّم بجحافله: نحن إنما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق، ونحن نريد منكم أن تجعلوا بالقلعة شحنةً، فإن كانت الثّصرة لنا فالبلاذ كلها في حُكمنا، وإن كانت علينا فإن شئتم قتلتم^(٢) الشّحنة وإن شئتم أطلقتموه. فأجابوه: مالك عندنا إلا السيف. فتعجّب من ضعفهم وجوابهم بهذا، فرحف حينئذ إليهم، وأحاط بالبلد، وكان ما كان بقضاء الله وقدره، ولما فُتحت حلب أرسل صاحب حماة بمفاتيحها إليه، فاستتاب عليها رجلاً من العجم يدعى أنه من ذرية خالد بن الوليد يقال له: حُسروشاه. فحزّب أسوارها كما فعل بمدينة حلب.

(١ - ١) في م: «القتال»، وسرعوا: عجلوا. الوسيط (س ر ع).

(٢) في م: «قبلتم».

صفة أخذهم لدمشق [١٠/٥٨٥]

وزوال ملكهم عنها سريعاً

أُرْسِلَ هولاكو وهو نازلٌ على حلب جيشاً مع أميرٍ من كبار دولته يقال له :
كثبغا توين . فورَدُوا دمشق في آخِرِ صَفَرٍ ، فأخذوها سريعاً من غيرِ مُمانعةٍ ولا
مُدافعةٍ ، بل تلقَّاهم كبارُها بالرَّحْبِ والسَّعةِ ، وقد كَتَبَ معهم السلطانُ هولاكو
فرماناً أماناً لأهلِ البلدِ ، فقرأه بالمَيدانِ الأخضرِ ، ونُوْدِيَ به في البلدِ ، فأمنَ الناسُ
على وَجَلٍ أن يَغْدِرُوا كما فَعَلَ بأهلِ حلب ، هذا والقلعةُ مُتَّيعةٌ مَسْتورةٌ ، وفي
أعلىها المَجَانِيقُ منصوبةٌ ، والحالُ شديدةٌ ، فأخْضَرَتِ النَّارُ مَجَانِيقَ تُحْمَلُ على
عَجَلٍ والخيولُ تُجْرُها ، وهم راكبون على الخيلِ ، وأسلحتهم تُحْمَلُ على أَبقارٍ
كثيرةٍ ، فنَصِبَ المَجَانِيقُ على القلعةِ من غربيِّها ، وهدموا حِيطَاناً كثيرةً وأخذوا
حِجَارَتَهَا ورمَوْا بها القلعةَ رَمْياً مُتَوَاتِراً كالمَطَرِ المُتَدَارِكِ ، فهدَمُوا كثيراً من أعالِها
وشُرْفَاتِها ، وتَدَاعَتِ للسَّقُوطِ ، فأجابهم مُتَوَلِّئُها في آخِرِ ذلكِ النهارِ للمُصَالَحَةِ ،
ففتَحوها وخَرَّبُوا كُلَّ بَدْنَةٍ فيها ، وأَعَالَى بُرُوجِها ، وذلك في المنتصفِ من
جُمَادَى الأولى من هذه السَّنةِ ، وقتَلُوا المُتَوَلِّئَ بها بدرَ الدين بنَ قراجا^(١) ،
ونَقِيْبَها^(٢) جمالَ الدين^(٣) بنَ الصَّيْرِفِيِّ الحَلَبِيِّ ، وسلَّموها^(٤) إلى أميرٍ منهم يقال له :
إيل سبان . وكان لعنه اللهُ تعالى مُعَظِّماً لِدِينِ النصارى ، فاجْتَمَعَ به أساقِفَتُهُمْ
وقُسُوسُهُمْ ، فعَظَّمَهُمْ جَدًّا وزارَ كَنائِسَهُمْ ، فصارت لهم دولةٌ وحَوْلَةٌ وَصَوْلَةٌ

(١) في نهاية الأرب : « قرمجاه » ، وفي عقد الجمان : « قزل » ، وفي ذيل مرآة الزمان : « قريجار » .

(٢ - ٢) في ذيل مرآة الزمان وعقد الجمان : « كمال الدين » .

(٣) في م : « وسلموا البلد والقلعة » .

بسببه ، لعنهم الله تعالى ، وذهبت طائفة من النصارى إلى هولاء كهذا وتحتف ،
وقدِموا من عنده ومعهام أمان ؛ فرمأن من جهته ، ودخلوا البلد من باب ثوماء
ومعهام صليب منصوب يحملونه على رءوس الناس ، وهم يُنادون بشعارهم ،
ويقولون : ظهر الدين الصحيح ، دين المسيح . ويذمون دين الإسلام وأهله ،
ومعهام أوانى فيها خمّر لا يُمزجون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمراً ، وقماقم
ملانة خمراً يرشون منها على وجوه الناس ، ويأثمرون كل من يجتازون به فى
الأسواق والطرق أن يقوم لصليهم ، ودخلوا من درب الحجر ، فوقفوا عند
رباط الشيخ أبى البيان ، ورشوا هنالك خمراً ، وكذلك على باب مسجدى دزب
الحجر الصغير والكبير ، واجتازوا فى السوق حتى وصلوا إلى درب الرّيحان أو
قريب منه ، فتكاثّر عليهم المسلمون ، فردّوهم إلى سوق كنيسة مريم ، فوقف
خطيبهم إلى ذكة دكان فى عطفة السوق هنالك ، فذكر فى خطبته مدح دين
النصارى ، وذم دين الإسلام وأهله ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . ثم ولجوا بعد ذلك
إلى كنيسة مريم ، وكانت بعد عامرة ، ولكن كان هذا سبب خرابها ، ولله
الحمد .

وحكى الشيخ قطب الدين فى « الذيل على المرأة »^(١) أنهم ضربوا بالناقوس
بكنيسة مريم . فالله أعلم .

قال^(٢) : وذكر أنهم دخلوا إلى الجامع بخمر ، وكان من نيتهم إن طالت مدة
التّار أن يُخربوا كثيراً من المساجد وغيرها ، فكفى الله شرهم . ولما وقع هذا فى

(١) لم نقف عليه فى الذيل ، وانظر عقد الجمان ٢٤٢/١ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣٦٢/١ ، ٣٦٣ .

البلد اجتمع قضاة المسلمين والشهود والفقهاء، فدخلوا القلعة يشكون هذا الحال إلى مُتَسَلِّمها إيل سبان، فأهينوا وطردوا، [٥٨/١٠ ظ] وقُدِّم كلام رؤساء النَّصارى عليهم، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وقد كان في أول هذه السنة سلطان الشام الناصر بن العزيز، قد أقام في وطأة بَزْزَة، ومعه خلق كثير من الجيوش والأمراء وأبناء الملوك ليناجزوا التَّارَ إن قَدِموا عليهم، وكان يَمُنُّ معه الأمير بِيَّيُوسُ البندقداري في جماعة من البحرية، والكلمة بين الجيوش مُخْتَلِفَةٌ غير مُؤْتَلِفَةٍ، لما يُريدُه الله عز وجل. وقد عَزَمَت طائفة من الأمراء على خَلْعِ الملك الناصر وسَجْنِه ومُبايعة أخيه شقيقه الملك الظاهر على، فلمَّا تَنَسَّمَ^(١) الناصر ذلك هرب إلى القلعة المنصورة وتفرقت العساكر شَذَرَ مَذَرَ، وساق الأمير رُكُنُ الدين بِيَّيُوسُ البندقداري في أصحابه إلى ناحية غَزَّة، فاشتدَّ عاه الملك المظفر قُطُرَ إليه، واستقدَّمه عليه، وأقطعَه قَلْيُوبَ، وأنزله بدار الوزارة، وعظم شأنه لديه، وإنما كان حثفه على يديه.

وَقْعَةُ عَيْنِ جَالُوتَ^(٢)

واتَّفَقَ وَقُوعُ هذا كُلُّه في العشرِ الأخيرِ من رمضان من هذه السنة، فما مَضَتْ إلا ثلاثة أيام حتى جاءت البشارةُ بنُصْرَةِ المسلمين على التَّارِ بَعَيْنِ جَالُوتَ ولله الحمد، وذلك أن الملك المظفر سيف الدين قُطُرَ صاحب الديار المصرية لما بلغه أن التَّارَ قد فعلوا بالشام ما ذكرونا، وقد نهبوا البلادَ كُلَّها حتى وصلوا إلى

(١) في م: «عرف». وتنسم فلان الخير: تَلَطَّفَ في التماسه شيئا فشيئا. الوسيط (ن س م).

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧، وذيل مرآة الزمان ٣٦٦/١، ونهاية الأرب ٤٧٢/٢٩.

غَزَّةَ ، وقد عَزَمُوا على الدخولِ إلى الديارِ المصرية ^(١) وقد عَزَمَ المَلِكُ الناصرُ صاحبَ دمشق على الرحيلِ إلى مصر ، وليته فعل ^(٢) . وكان في ضُحْبَتِهِ المَلِكُ المنصورُ صاحبُ حماة ، وخلقٌ من الأمراءِ وأبناءِ الملوكِ ، وقد وصل إلى قَطِيَّةَ ^(٣) ، وتهيأ المَلِكُ المظفرُ للقائه وأرسل إليه وإلى المنصورِ مستحيين ، وأرسل إليه يقولُ : تقدَّم حتى نكونَ كَتِفًا واحدًا على التَّارِ . فتحَيَّلَ من ذلك وخاف أن ينتصرَ عليه ، فكَرَّ راجعًا إلى ناحيةِ تِيهِ بنى إِسْرَائِيلَ ، ودخلَ عامَّةً من كان معه إلى الديارِ المصرية وأكْرَمَ المظفرُ المَلِكَ صاحبَ حماة ، ووَعَدَهُ بيلده ، ووَفَّى له بذلك ، ولم يَدْخُلِ الناصرُ وليته فعل فإنه كان على كل حالٍ أَيْسَرَ عليه مما صار إليه ، ولكنه خاف منهم لعداوة ما بينه وبينهم ، فعَدَلَ إلى ناحيةِ الكَرْكِ ، فتحَصَّنَ بها ، وليته اسْتَمَرَّ فيها ، ولكنه قلق ، فركبَ نحوَ البَرِّيَّةِ - وليته ذهبَ فيها - واستَجارَ ببعضِ أمراءِ الأعرابِ ، فقصدته التَّارُ ، وأتلفوا تلكَ الديارَ ونهبوا ما هنالك من الأموالِ ، وقتلوا الكِبَارَ والصغارَ ، وهَجَمُوا على الأعرابِ التي بتلكِ النَّواحِي ، فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا ، وسبَّوْا من نساءِهم وأبنائهم ، وقد اقتص منهم العربُ بعدَ ذلك ، فأغاروا على خيلِ جِشَارِهِمْ ^(٣) في نصفِ شعبانَ ، فساقوها بأَسْرِها ، فساقَتْ وراءَهُم التَّارُ ، فلم يُدْرِكوا منهم العُبارَ ، ولا اشْتَرَدُّوا منهم فرسًا ولا حمارًا ، وما زال التَّارُ وراءَ الناصرِ حتى أخذوه وأسروه عندَ بَرْكَةِ زَيْزَاءَ ^(٤) ، وأرسلوه مع ولده العزيزِ وهو صغيرٌ ، وأخيه إلى ملكِهِمْ هُولَاكُو وهو نازلٌ على حَلَبَ ، فكانوا في

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) قطية : قرية من نواحي الحفار في الطريق بين مصر والشام وفي وسط الرمل قرب الفرما . انظر معجم البلدان ١٤٤ / ٤ . والقاموس الجغرافي ٣٥٠ / ١ (القسم الأول) .

(٣) خيل جشارهم : الخيل ترى أمام البيوت . تاج العروس (ج ش ر) .

(٤) زيزاء : من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها لهم سوق وفيها بركة عظيمة . معجم البلدان ٩٦٦ / ٢ .

أُسِرَهِ حَتَّى قَتَلَهُمْ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ ، كَمَا سَنَذْكُرُهُ .

والمقصودُ أَن الْمُظَفَّرَ لما بَلَغَهُ ما كان مِن أَمْرِ التَّارِ بالشامِ المحروسةِ ، وأنهم عازِمون على الدخولِ إلى الديارِ المصريةِ بعدَ تمهيدِ مملكتِهِمْ [٥٩١/١٠] بالشامِ ، بأدْرَهُمْ هو قَبْلَ أَن يُبَادِرُوهُ ، وبَرَزَ إِلَيْهِمْ ، أَيَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَقْدَمَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَن يُقْدِمُوا عَلَيْهِ ، فَخَرَجَ بِالْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَقَدْ اجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ عَلَيْهِ ، حَتَّى انْتَهَى بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى الشَّامِ ، وَاسْتَيْقِظَ لَهُ عَسْكَرُ الْمَغُولِ ، وَعَلَيْهِمْ كَثْبَعًا نُوِينِ ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ فِي الْبِقَاعِ ، فَاسْتَشَارَ الْأَشْرَفَ صَاحِبَ حِمَصَ وَالْقَاضِيَ مَجِيرَ الدِّينِ بَنَ الزُّكَيْيِّ فِي لِقَاءِ الْمُظَفَّرِ ، فَأشارَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ لَا قِبَلَ لَهُ بِالْمُظَفَّرِ حَتَّى يَسْتَمِدَّ هُوَ لَاكُو ، فَأَتَى إِلَّا أَن يُنَاجِزَهُ سَرِيعًا ، ^(١) فَصَمَدُوا إِلَيْهِ ، فَكَانَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَى عَيْنِ جَالُوتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا عَظِيمًا شَدِيدًا ، فَكَانَتِ النَّصْرَةُ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ، لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، فَهَزَمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ هَزِيمَةً هَائِلَةً ، وَقُتِلَ كَثْبَعًا نُوِينُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ بَنِيهِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنْ الَّذِي قَتَلَ كَثْبَعًا نُوِينَ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ أَقْوَشَ الشَّمْسِيَّ ، وَاتَّبَعَهُمُ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ يُقَتِّلُونَهُمْ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ وَفِي كُلِّ مَازِقٍ ، وَقَدْ قَاتَلَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ صَاحِبَ حِمَاةٍ مَعَ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ قِتَالًا عَظِيمًا ، وَكَذَلِكَ الْأَمِيرُ فَارَسُ الدِّينِ أَقْطَايَ الْمُشْتَعْرِبِ ، وَكَانَ أَتَابَكَ الْعَسْكَرِ ، وَقَدْ أُسِرَ مِنْ جَمَاعَةِ كَثْبَعًا نُوِينِ الْمَلِكُ السَّعِيدُ بْنُ الْعَزِيزِ بْنِ الْعَادِلِ ، فَأَمَرَ الْمُظَفَّرُ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، وَاسْتَأْمَنَ الْأَشْرَفُ صَاحِبُ حِمَصَ وَكَانَ مَعَ التَّارِ ، وَقَدْ جَعَلَهُ هُوَ لَاكُو نَائِبًا عَلَى الشَّامِ كُلِّهِ ، فَأَمَّنَهُ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ ، وَرَدَّ إِلَيْهِ حِمَصَ ، وَكَذَلِكَ رَدَّ حِمَاةَ إِلَى الْمَنْصُورِ ، وَزَادَهُ الْمَعْرَةَ ^(٢)

(١ - ١) فِي م : « فَسَارُوا إِلَيْهِ وَسَارَ الْمُظَفَّرُ إِلَيْهِمْ » .

(٢) الْمَعْرَةُ : مَعْرَةُ النِّعْمَانِ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ قَدِيمَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنْ أَعْمَالِ حِمَصَ بَيْنَ حَلَبَ وَحِمَاةَ . انْظُرْ

مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٥٧٤/٤ ، ٥٧٥ .

وغيرها، وأطلق سَلْمِيَّةَ للأمير شرف الدين عيسى بن مُهتّا بن مانع أمير العرب، وأتبع الأمير ركن الدين بَيَزْسُ البُنْدُقَارِيَّ وجماعةً من الشُّجْعَانِ التَّارِ يُقَتِّلُونَهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ، إِلَى أَنْ وَصَلُوا خَلْفَهُمْ إِلَى حَلَبَ، وَهَرَبَ مَنْ بَدَمَشَقَ مِنْهُمْ، وَكَانَ هَرَبُهُمْ مِنْهَا يَوْمَ الْأَحَدِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ^(١) صَبِيحَةَ النَّصْرِ الَّذِي جَاءَتْ فِيهِ الْبِشَارَةُ بِالنَّصْرِ عَلَى عَيْنِ جَالُوتَ^(٢)، فَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ دِمَشَقَ يُقَتِّلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَنْهَبُونَ الْأَمْوَالَ فِيهِمْ، وَيَسْتَفْكُونَ الْأَسَارَى مِنْ أَيْدِيهِمْ قَهْرًا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمَنْ عَلَى جَبْرِهِ الْإِسْلَامَ، وَمَعَامِلَتِهِ إِيَّاهُمْ بِلُطْفِهِ الْحَسَنِ. وَجَاءَتْ بِذَلِكَ الْبِشَارَةُ السَّارَةَ، فَجَاوَزَتْهَا الْبِشَائِرُ مِنَ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ وَفَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ بِنَصْرِ اللَّهِ فَرَحًا شَدِيدًا، وَأَيَّدَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ تَأْيِيدًا، وَكُتِبَ أَعْدَاءُ اللَّهِ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ وَالْمُنَافِقُونَ، وَظَهَرَ دِينَ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ، وَنَصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَنَبِيَّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. فَتَبَادَرَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى كَنِيسَةِ النَّصَارَى الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا الصَّلِيبُ، فَانْتَهَبُوا مَا فِيهَا، وَأَحْرَقُوهَا وَأَلْقَوْا النَّارَ فِيهَا حَوْلَهَا، فَاخْتَرَقَتْ دُورٌ كَثِيرَةٌ لِلنَّصَارَى، وَمَلَأَ اللَّهُ بِيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، وَأَحْرَقَ بَعْضُ كَنِيسَةِ الْيَعَاقِبَةِ، وَهَمَّتْ طَائِفَةٌ بِنَهْبِ الْيَهُودِ، فَقِيلَ لَهُمْ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ فِيهَا ظَهَرٌ مِنَ الطُّغْيَانِ كَمَا كَانَ مِنْ عَبْدَةِ الصُّلْبَانِ. وَقَتَلَتِ الْعَامَّةُ فِي وَسْطِ الْجَامِعِ شَيْخًا رَافِضِيًّا كَانَ مُصَانِعًا لِلتَّارِ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ يَقَالُ لَهُ: الْفَخْرُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْكَنْجِي. كَانَ خَبِيثَ الطَّوِيَةِ مَشْرِقِيًّا مُمَالِقًا لَهُمْ عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، قَبَّحَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِثْلَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْمَمَالَتِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

وقد كان السلطان هولاكو أُرْسِلَ تَقْلِيدًا بِوَلَايَةِ الْقَضَاءِ عَلَى جَمِيعِ الْمَدَائِنِ؛

الشام،^(١) والجزيرة^(٢)، والموصل، [١٠/٥٩ هـ]، وماردين، وميتافارقين، والأكراد وغير ذلك، للقاضي كمال الدين عمر بن بُندار^(٣) الثَّقَلَيْسِيُّ. وقد كان نائب الحكم بدمشق عن القاضي صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله بن سَنِي الدولة من مدة خمس عشرة سنة، فحين وصل الثَّقَلِيدُ في سادس وعشرين ربيع الأول قرئ بالميدان الأخضر، فاستقل بالحكم في دمشق، وكان من الفضلاء، فسار القاضيان المغزولان صدر الدين بن سَنِي الدولة ومُحْيِي الدين بن الزَكِيِّ إلى خدمة السلطان هولاكو إلى البلاد الحلبية، فخدع ابن الزكِّي لابن سَنِي الدولة، وبذل أموالاً كثيرة، وتولَّى القضاء بدمشق ورجعا، فمات ابن سَنِي الدولة ببغلبك، وقدم ابن الزكِّي على القضاء، ومعه ثَقْلِيدُهُ وخِلْعَةٌ مَذْهَبَةٌ، فلبسها وجلس في خدمة إيل سبان تحت قُبَّةِ الشَّسْرِ^(٤) عند الباب الكبير^(٥)، وبينهما الخاتون زوجة إيل سبان حاضرة عن وجهها، وقرئ الثَّقَلِيدُ هنالك والحال كذلك، وحين ذُكر اسم هولاكو، لعنه الله تعالى، نثر الذهب والفضة فوق رءوس الناس، فإنا لله وإنا إليه راجعون،^(٦) قَبَّحَ اللهُ ذلك القاضي والأمير والزوجة والسلطان^(٧).

وذكر أبو شامة^(٨) أيضًا أنه استحوذ على مدارس كثيرة في مدته هذه القصيرة، فإنه عُزِلَ قبل رأس الحَوْل، فأخذ العذراوية والسلطانية والفلكية والركنية والقيمرية والعزيرية مع المدرستين اللتين كانتا بيده؛ التَّقْوِيَّة والعزيرية،

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) في م: «بدار».

(٣ - ٣) في عقد الجمان: «وهو النائب الكبير».

(٤ - ٤) زيادة من: م.

(٥) الذيل على الروضتين ص ٢٠٥، ٢٠٦.

وأخذ لولده عيسى تدرّيس الأمانة ومشيخة الشيوخ ، وأخذ أمّ الصالح لبعض أصحابه ، وهو العماد المضرّ ، وكذا أخذ الشامية البرّانية لصاحب له ، واشتتاب أخاه لأُمّه شهاب الدين إسماعيل بن أسعد بن حبيش في القضاء ، وولاه الرواحية والشامية البرّانية . قال أبو شامة^(١) : مع أن شرط واقفها أن لا يُجمَعَ بينها وبين غيرها .

ولما رجعت المملكة إلى المسلمين سعى القاضى محبى الدين وبذل أموالاً جزيلة ليستمرّ في القضاء والمدارس التى استولى عليها فى مدة هذه الشهور ، فلم يستمرّ بل غزل بالقاضى نجم الدين أبى بكر بن صدر الدين بن سنّى الدولة ، فقرئ توقيعه بالقضاء يوم الجمعة بعد الصلاة فى الحادى والعشرين من ذى القعدة بالشبّاك الكمالى من مشهد عثمان من جامع دمشق . ولله الحمد .

ولما كسر الملك المظفر قطز عساكر التتار بعين جالوت ساق وراءهم ، ودخل دمشق فى أبهة عظيمة ، وفرح الناس به فرحاً شديداً ، ودعوا له دعاءً كثيراً ، وأقرّ صاحب حمص الملك الأشرف على بلده ، وكذلك المنصور صاحب حماة ، واستردّ حلب أيضاً من أيدي التتار ، وعاد الحق إلى نصابه ، ومهد القواعد ، وكان قد أرسل بين يديه الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى ليطرّد التتار ويتسلم مدينة حلب ، ووعد بنياتها ، فلما طردهم عنها ، وأخرجهم منها ، وتسلمها المسلمون اشتتاب عليها غيره ، وهو علاء الدين بن صاحب الموصل ، وكان ذلك سبب الوحشة التى وقعت بينهما ، واقتضت قتل الملك المظفر قطز سريعاً ، ولله الأمر .

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٠٦ .

وعَزَمَ الْمُظَفَّرُ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فَاسْتَنَابَ عَلَى دِمَشْقَ الْأَمِيرِ عَلَمَ
الدِّينِ سَنَجَرَ الْحَلَبِيِّ الْكَبِيرَ وَالْأَمِيرَ مُجِيرَ الدِّينِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَعَزَلَ ابْنَ الزُّكَيْيِّ عَنْ
قَضَاءِ دِمَشْقَ ، وَوَلَّى عَلَيْهَا نَجْمَ الدِّينِ ابْنَ سَنَى الدَّوْلَةِ ، [١٠ / ٦٠] ثُمَّ عَادَ إِلَى
الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَالْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي خِدْمَتِهِ ، وَغِيُونُ الْأَعْيَانِ تَنْظُرُ إِلَيْهِ شَرْزًا
مِنْ شِدَّةِ هَيْبَتِهِ .

ذِكْرُ سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، وَهُوَ الْأَسَدُ الضَّارِي بَيَّزُسُ الْبُنْدُقْدَارِيِّ ^(١)
وَذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الْمُظَفَّرَ قَطَرَ لَمَّا عَادَ بِالْعَسَاكِرِ قَاصِدًا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ ،
فَوَصَلَ إِلَى مَا بَيْنَ الْغُرَابِيِّ ^(٢) وَالصَّالِحِيَّةِ ^(٣) ، عَدَا عَلَيْهِ الْأُمَرَاءُ ، فَقَتَلُوهُ هُنَاكَ ، وَقَدْ
كَانَ رَجُلًا صَالِحًا ، كَثِيرَ الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ ، وَلَا يَتَعَاطَى الشَّرَابَ وَلَا شَيْئًا مِمَّا
يَتَعَاطَاهُ الْمُلُوكُ ، وَكَانَتْ مَدَّةُ مَلِكِهِ مِنْ حِينَ عَزَلَ ابْنَ أَسْتَاذِهِ الْمَنْصُورَ عَلِيَّ بْنِ الْمُعِزِّ
الثُّرُكُمَانِيَّ إِلَى هَذِهِ الْمَدَةِ ، وَهِيَ أَوَاخِرُ ذِي الْقَعْدَةِ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ،
وَجَزَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ خَيْرًا . وَكَانَ الْأَمِيرُ زُكْنُ الدِّينِ بَيَّزُسُ الْبُنْدُقْدَارِيُّ قَدْ
اتَّفَقَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ عَلَى قَتْلِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ ضَرَبَ دَهْلِيْزَهُ ،
وَسَاقَ خَلْفَ أَرَنْبٍ ، وَسَاقَ مَعَهُ أَوْلَئِكَ الْأُمَرَاءُ ، فَشَفَعَ عِنْدَهُ زُكْنُ الدِّينِ بَيَّزُسُ
فِي شَيْءٍ فَشَفَّعَهُ ، فَأَخَذَ يَدَهُ لِيَقْبَلَهَا فَأَمْسَكَهَا ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ أَوْلَئِكَ الْأُمَرَاءُ فَضَرَبُوهُ
بِالسُّيُوفِ ، وَأَلْقَوْهُ عَنْ فَرَسِهِ ، وَرَشَقُوهُ بِالثُّشَابِ حَتَّى أَجْهَزُوا عَلَيْهِ ، ثُمَّ كَثُرُوا
رَاجِعِينَ إِلَى الْخَيْمِ ، وَبَأْيَدِيهِمُ السُّيُوفُ مُصْلَتَةً ، فَأَخْبَرُوا مَنْ هُنَاكَ بِالْخَبْرِ ، فَقَالَ

(١) انظر ذيل مرآة الزمان ١/٢ - ٣ ، ونهاية الأرب ٣/٣٠ - ١٦ ، والمختصر في أخبار البشر ٣/٢٠٧ ،
٢٠٨ ، وعقد الجمان ١/٢٦١ - ٢٦٤ .

(٢) في م : « الغزالي » . والغرابي : رمل معروف بطريق مصر بين قطية والصالحية . انظر معجم البلدان ٣/٧٨٠ .

(٣) الصالحية : قرية بمصر من قرى مركز فاقوس بمحافظة الشرقية ، وهي غير الصالحية التي تتبع محافظة
القليوبية . انظر القاموس الجغرافي ١/٤٢ ، ١١٢ (القسم الثاني) .

بعضهم : مَنْ قَتَلَهُ ؟ ^(١) فقال رُكْنُ الدين : أنا . فقليل له : أنت الملك . وقيل : لما قُتِلَ حار الأمراء بينهم فيمَنْ يُؤْثِرُ الملك ، وصار كلُّ واحدٍ منهم يَحْشَى ^(٢) غائلة ذلك ، وأن يُصِيبَهُ ما أَصابَ غيره سريعا ، فاتَّفَقَتْ كلمَتُهُم على أن بايعوا الأمير ركن الدين يَبْرُسَ البُنْدُقْدَارِيَّ ، ولم يَكُنْ مِنْ أَكابرِ المُقَدِّمِينَ فيهم ، ولكن أرادوا أن يُجَرَّبُوا فيه ، ولَقَّبُوهُ الملكَ الظاهرَ ، فجلس على سَرِيرِ المُلْكَةِ وحكمه ، ودَقَّتْ البَشَائِرُ ، وَضُرِبَتِ الطُّبُولُ والبُوقَاتُ ، وَصَفَّرَتِ الشَّبَابَةُ ^(٣) ، وَزَعَقَتِ الشَّائِوُشِيَّةُ بينَ يديه ، وكان يوما مشهودا ، وتَوَكَّلَ على اللَّهِ واستعان به ، ثم دَخَلَ مِصرَ والعساكرُ في خدمته ، فدَخَلَ قلعةَ الجبلِ ، وجلس على كرسِيِّها ، وحكمَ فَعَدَلَ ، وقَطَعَ ووصلَ ، وكان شَهْمًا شُجاعًا ، أقامه اللَّهُ للناسِ لشدَّةِ احتياجِهِم إليه في هذا الوقتِ الشَّدِيدِ والأمرِ العَسِيرِ ، وكان أولاً قد لَقَّبَ نَفْسَهُ بالملكِ القاهرِ ، فقال له الوزيرُ : إن هذا اللَّقْبَ لم يُفْلِحْ مَنْ تَلَقَّبَ به ؛ تَلَقَّبَ به القاهرُ بنُ المعتضِدِ ^(٤) فلم تَطُلْ أيامُهُ حتى خُلِعَ وَسُمِلَ ، وَلَقَّبَ به القاهرُ صاحبُ الموصلِ ، فشمَّ فمات . فَعَدَلَ عن هذا اللَّقْبِ إِلَى الملكِ الظاهرِ ، ثم شرعَ في مَسْئَلِ مَنْ يَرَى في نَفْسِهِ رِئاسةً مِنْ أَكابرِ الأمراءِ حتى مَهَّدَ الملكُ كما يريدُ ، وَاللَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . وقد كان السلطانُ هُوَ لا كُوقانَ لما بَلَغَهُ ما جَرى على جَيْشِهِ بَعَيْنِ جالوتَ أَرْسَلَ جماعةً كَثِيرَةً مِنْ جَيْشِهِ إلى بلادِ الشَّامِ لِيَسْتَعِيدُوهُ مِنْ أَيْدِي جَيْشِ الإسلامِ ، فَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ما يَشْتَهُونَ ، وَرَجَعُوا وَهُمْ خَائِبُونَ خاسِرُونَ ، وَذلكَ أَنَّهُ نَهَضَ إِلَيْهِمُ الهَزْبُ الكاسِرُ والسيفُ الباتِرُ السلطانُ الملكُ المؤيَّدُ الظاهرُ ، فَقَدِمَ إلى

(١ - ١) فى م : « فقالوا : ركن الدين يبرس . فقالوا : أنت قتله .. فقال : نعم » .

(٢) فى الأصل : « يحتمى من » .

(٣) فى م : « الشغابة » .

(٤) فى م : « المعتد » .

دمشق، وأرسل الجيوش من كل جانب؛ لحفظ الثغور والمعاقل بالأسلحة التامة والجحافل، فلم يُقدِر التَّارُ على الدُّنُو إليه، ولا القدوم عليه، ووجدوا الدولة قد تغيَّرت، والسَّواعِدُ قد سُمِّرَتْ، ^(١) والسيوف البواتر قد سُلت، والرماح الخطَّية قد اعتُقلت، والقسيُّ قد وُتِّرت، والنبال قد حُصِّلت ^(٢)، والخيول قد صُمِّرَتْ ^(٣)، والطبول قد حُصِّلت ^(٤)، وعناية الله بأهل الشام قد تنزَّلت، ورحمته بهم قد تداركت، فعند ذلك نكصت شياطينهم على أعقابها، وكزت راجعةً [٦٠/١٠ ط] القَهْقَرَى على أذنانها، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، ^(٥) وتكملُ المسرات، فى هذه الحياة الدنيا وبعد الممات ^(٦).

وقد كان الملك المظفر قُطز، رحمه الله استناب على دمشق الأمير عَلم الدين سنجَر الحلبيَّ أحد الأتراك، فلما بلغه مقتل المظفر دخل القلعة، ودعا لنفسه وتسمَّى بالملك المجاهد، فلما جاءت البيعة للملك الظاهر خطب له يوم الجمعة السادس من ذى الحجة، فدعا الخطيب أولاً للمجاهد، ثم للظاهر ثانياً، وضربت السكَّةُ باسميهما معاً، ثم ارتفع المجاهد هذا من البين، كما سيأتى.

وقد اتَّفَق فى هذا العام أمورٌ عجيبةٌ، وهى أن أول هذه السنة كانت الشام للسلطان الناصر بن العزيز، ثم فى المنتصف من صفر صارت لهولاكوقان ملك التتار، ثم فى آخر رمضان صارت للمظفر قُطز، ثم فى أواخر ذى القعدة انتقلت إلى مملكة السلطان الظاهر بيبرس، وقد شَرَكه فى دمشق الملك المجاهد علم الدين

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) أى جمعت وأحضرت...

(٣) تضمير الخيول بأن يظاهر عليها بالعلف حتى تسمن ثم لا تelf إلا قوتا. لسان العرب (ض م ر).

سَنَجِرْ، كما ذكرنا، وكذلك كان القضاء في أولها بالشام لصدر الدين ابن سني الدولة، ثم للكمال عمر الثَّقَلَيْسِي، ثم لمحبي الدين بن الرُّكِّي، ثم لنجم الدين ابن سني الدولة. وكذلك كان خطيب جامع دمشق عماد الدين بن الحرستاني من سنين متطاولة، فعزل في شوال من هذه السنة بالعماد الإشعري، وكان صبيًا قارئًا مجيدًا، ثم أعيد العماد الحرستاني في أول ذي القعدة منها. فسبحان من بيده الأمور يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

ومن توفي فيها من الأعيان :

قاضي القضاة صدر الدين بن سني الدولة أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن^(١) بن يحيى بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة بن الحياط، قاضي القضاة صدر الدين أبو العباس بن سني الدولة التغلبي دمشقي الشافعي، وسني الدولة^(٢) هو الحسن بن يحيى المذكور كان كاتبًا^(٣) لبعض ملوك دمشق في حدود الخمسمائة، وله أوقاف على ذريته. وابن الحياط الشاعر صاحب الديوان، هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي، عم سني الدولة.

وُلد القاضي صدر الدين سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وسمع الخشوعي وابن طبرزد والكندى وغيرهم، وحَدَّث ودرَّس في عدة مدارس وأفتى، وكان

(١) في م: «الحسين». وانظر ترجمته في الذيل على الروضتين ص ٢٠٦، وذيل مرآة الزمان ٣٨٥/١، ١٠/٢، والعبر ٢٤٤/٥، وتذكرة الحفاظ ١٤٤١/٤، والوافي بالوفيات ٢٥٠/٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤١/٨، وطبقات الشافعية للإسنوي ٥٤٨/١، وعقد الجمان ٢٧٣/١، وشذرات الذهب ٢٩١/٥.

(٢ - ٢) في م: «الحسين».

(٣) في م: «قاضيا».

فاضلاً عارفاً بالمذهب ، مشكور السيرة ، ولكن الشيخ شهاب الدين أبو شامة ينال منه ^(١) . فالله أعلم .

وقد ولي الحكم بدمشق استقلالاً سنة ثلاث وأربعين ، واستمر إلى هذه السنة ، فسار حين عزل بالكمال التقيسي هو والقاضي محيي الدين بن الزكي إلى هولاء ، ثم عاد من عنده وقد تولى ابن الزكي القضاء ، فاجتاز ابن سني الدولة ببغلبك وهو متمرص ، فمات بها ، ودُفن عند الشيخ عبد الله اليونيني ، رحمه الله تعالى ، وقد كان الملك الناصر يئني عليه كما كان الملك الأشرف يئني على والده قاضي القضاة شمس الدين بن سني الدولة . ولما استقر أمر السلطان الملك الظاهر ببيروت ولّى ولده القاضي نجم الدين ^(٢) أبا بكر بن قاضي القضاة صدر الدين القضاء بدمشق ، وعزل ابن الزكي ، ثم عزله بعد سنة ، وثني بابن خلكان على ما سيأتي [١٠ / ١٠٦] بيانه ، وبالله المستعان . والقاضي صدر الدين ^(٣) ابن سني الدولة هذا هو الذي أحدث في زمن الميشيش بطالة الدروس ؛ لأنه كان له بُشتان بأرض السهم ، فكان يشق عليه الثول في ذلك الوقت إلى الدرس ، فبطل للناس هذه الأيام ، فاتبعوه في ذلك ^(٤) .

وفيها توفي صاحب ماردین الملك السعيد نجم الدين ^(٥) إيل غازي بن

(١) جاءت ترجمة صدر الدين في الذيل على الروضتين قصيرة مقتضبة ولم نجد ما يدل على أن أبا شامة نال منه .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بعده في م : « والنفوس إنما تؤثر الراحة والبطالة ، ولا سيما أصحاب البساتين في أيام الفواكه وكثرة الشهوات في تلك الأيام ولا سيما القضاة » .

(٤) بعده في م : « بن » . وانظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٣٧٨ / ١ ، ١٤ / ٢ ، وكنز الدرر ٨ / ٦٥ ، والوافي بالوفيات ٢٧ / ١٠ ، وعقد الجمان ٢٧٦ / ١ ، والمنهل الصافي ٣ / ١٨٨ .

المنصور أَرْزُقُ^(١) أَرْسَلان بنِ إِيْل غازی بنِ أَلْبِي^(٢) بنِ تِمْرَتاش بنِ إِيْل غازی ابنِ أَرْزُقُ، وكان شجاعًا معظَّمًا، ملكَ يومًا في قلعتِهِ^(٣).

تُورَان شاه بنُ الملكِ صلاح الدين يوسف بنِ أيوب^(٤)، كان نائِبًا للملكِ النَّاصِرِ بنِ العزيزِ بنِ الظَّاهِرِ بنِ النَّاصِرِ على حَلَبَ حتى تَمَلَّكَ دِمَشقَ، وقد حَصَّنَ حَلَبَ مِنْ أَيْدِي المَغُولِ مَدَّةَ شهرٍ، ثم سَلَّمَهَا بعدَ مُحاصِرَةِ شديدةٍ صُلْحًا. ثم كانت وفاتُهُ في هذه السَّنَةِ ودُفِنَ بِدِهْلِيْزِ دارِهِ.

وفيها قُتِلَ الملكُ السَّعيدُ حَسَنُ بنُ^(٥) العزيزِ عِثْمَانُ بنِ الملكِ العادلِ أَبِي بَكْرٍ ابنِ أيوبَ، كان صاحبَ الصُّبَّةِ وبائِئاسَ بعدَ أبيهِ، ثم أُخِذَ تَا مِنْهُ، وَحُيِسَ بِقِلْعَةِ البَيْرَةِ، فلما جاءتِ التَّتَارُ كانَ مَعَهُم، ورُدُّوا عليه بلادَهُ، فلما كانت وَقْعَةُ عَيْنِ جالوتَ أَتَى به أَسِيرًا إلى بَيْنِ يَدَيِ الملكِ الْمُظَفَّرِ قُطْرَ، فَضْرِبَ عُنُقَهُ؛ لأنَّهُ كان قد لَيْسَ سراقوَجَ التَّتَارِ^(٦)، وَنَاصَحَهُم.

عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ الرَّحِيمِ بنِ^(٧) عبدِ الرحمنِ بنِ^(٨) الحَسَنِ بنِ

(١) بعده في م: «بن».

(٢) (٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) في م: «السني». والمثبت من مصادر ترجمته.

(٤) كذا في الأصل، م. ولعل هنا سقطا في الترجمة.

(٥) ذيل مرآة الزمان ١/٤٢٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٥٨، والعبر ٥/٢٤٥، والوافي بالوفيات ١٠/٤٤٣، والسلوك ١/٤٤٠، والنجوم الزاهرة ٧/٩٠.

(٦) بعده في م: «عبد». وانظر مصادر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢/١٦، والعبر ٥/٢٤٥، والوافي بالوفيات ١٢/١٠٠، وعقد الجمان ١/٢٧٧، والنجوم الزاهرة ٧/٩٢، وشذرات الذهب ٥/٢٩٢.

(٧) السراقوج: قلنسوة لها مخروطى طويل بحافة مقلوبة إلى أعلى. انظر الملابس المملوكية ص ٥٦.

(٨ - ٨) سقط من: م. وفي الأصل: «عبد الرحيم بن». والمثبت من مصادر ترجمته؛ ذيل مرآة الزمان ٢/١٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٤٨، والعبر ٥/٢٤٧، والوافي بالوفيات ١٨/١٥٧، وعقد الجمان ١/٢٧٤، وشذرات الذهب ٥/٢٩٣.

عبد الرحمن بن طاهر بن محمد بن الحسين بن علي ، أبو طالب شرف الدين بن العجمي الحلبي الشافعي ، من بيت العلم والرئاسة بحلب ، درس بالظاهرية ، ووقف مدرسة بها ، ودُفن بها ، وكانت وفاته حين دخلت التتار حلب في صفر ، فعذبوه بأن صبّوا عليه ماءً باردًا في الشتاء ، فتشنّج حتى مات ، رحمه الله تعالى .

الملك المظفر قطز بن عبد الله سيف الدين التركي^(١) ، أخصّ ممالك الملك المعز عز الدين أيبك التركماني ، أحد ممالك الصالح أيوب ، ثم إنه لما قُتل أستاذه المعز قام في تولية ابن أستاذه المنصور نور الدين علي ، فلما سمع بأمر التتار خاف أن تختلف الكلمة بسبب صغر ابن أستاذه ، فعزله ودعا إلى نفسه ، فبوع في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة كما تقدّم ، ثم سار إلى التتار ، فجعل الله على يديه نُصرة الإسلام كما ذكرنا بعين جالوت ، وقد كان شجاعًا بطلاً ، كثير الخير ، مُمالئًا للإسلام وأهله ، وهم يُحبُّونه .

ذكر عنه أنه لما كان بالمعركة يوم عين جالوت قُتل جواده ، ولم يجد أحدًا في الساعة الراهنة من الوشاقية^(٢) الذين معهم الجنائب ، فترجّل وبقي واقفًا كذلك على الأرض ثابتًا في محل المعركة وموضع السلطنة من القلب ، فلما رآه بعض الأمراء ترجّل عن فرسه ، وحلف على السلطان ليؤكّب ، فامتنع السلطان وقال : ما كنت لأحرّم المسلمين نفعك . ولم يزل كذلك حتى جاءت الوشاقية فركب ،

(١) الذيل على الروضتين ص ٢١٠ ، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٧٩ ، ٢/ ٢٨ ، وكنت الدرر ٨/ ٣٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٠٠ ، والعبر ٥/ ٢٤٧ ، وفوات الوفيات ٣/ ٢٠١ ، وعقد الجمان ١/ ٢٥٤ ، والنجوم الزاهرة ٧/ ٧٢ .

(٢) الوشاقية أو الأوشاقية أو الأوجاقية ، واحدها أوجاقى وهو لقب الذى يتولى ركوب الخيول للتسيير والرياضة . انظر صبح الأعشى ٤/ ٤٥٤ .

فلامه بعضُ الأمراءِ وقال : يا خُونُدُ ، لم لا رَكِبْتَ فرسَ فلانٍ ؟ فلو كان رآكَ بعضُ الأعداءِ لَقَتَلَكَ وهَلَكَ الإسلامُ بسببِكَ . فقال : أما أنا فكُنْتُ أَرْوَحُ إلى الجنَّةِ ، وأما الإسلامُ فله ربٌّ لا يُضَيِّعُهُ ، قد قُتِلَ فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ - وعدَّدَ خلقًا من الملوكِ - فلم يُضَيِّعِ اللهُ الإسلامَ .

وكان حينَ ساق من الديارِ المصريةِ فى خدمتهِ خلقٌ من كبارِ الأمراءِ البحريَّةِ وغيرِهِم ، ومعه المنصورُ صاحبُ حِمَاةٍ وجماعةٌ [١٠/٦١١ ظ] من أبناءِ الملوكِ ، فأرْسَلَ إلى صاحبِ حِمَاةٍ يقولُ له : لا تتعَنَّ بِمَدِّ سِمَاطٍ فى هذه الأيامِ ، وليَكُنْ مع الجندىِّ لَحْمَةً^(١) فى سَوَلَقِهِ^(٢) يَأْكُلُهَا ، والعَجَلُ العَجَلُ . وكان اجتماعُهُ بعدوِّه كما ذَكَرْنَا فى العشرِ الأخيرِ من رمضانَ يومَ الجمعةِ ، وهذه بِشارةٌ عظيمةٌ ، فإن وقعةً بدرٍ كانت يومَ الجمعةِ فى شهرِ رمضانَ ، ولهذا نصرَ اللهُ الإسلامَ نصرًا عزيزًا ، ولما قَدِمَ دمشقُ فى شوالٍ أقامَ بها العَدْلُ ، ورَتَّبَ الأمورَ كما ذَكَرْنَا ، وأرْسَلَ الأميرُ رُكْنَ الدينِ بَيَّهَرَسَ البُنْدُقدَارِيَّ خلفَ التَّارِ ليُخْرِجَهُم وَيَطْرُدَهُم عن حلبَ ، ووعَدَهُ بنيائِهَا ، فلم يَفِ له^(٣) ، فوَقَعَتِ الوَحْشَةُ بينهما بسببِ ذلك ، فلما عادَ الْمُظَفَّرُ قَطْرَ إلى مصرَ تَمَالَأَ عليه البُنْدُقدَارِيَّ وغيرُهُ من الأمراءِ فقتلوه بينَ الغُرَابِيِّ والصَالِحِيَّةِ ، ودُفِنَ بالقَصْرِ^(٤) ، وكان قبرُهُ يُزارُ ، فلَمَّا تَمَكَّنَ الظاهرُ من المُلْكِ بَعَثَ إلى قبرِهِ فغَيَّيَهُ عن الناسِ ، فكان لا يُعْرَفُ بعدَ ذلك ، وكان مَقْتَلُهُ يومَ السبتِ

(١ - ١) سقط من : م . والسوق والصولق : كيس من جلد يضعه الشخص فى حزامه على الجانب الأيمن . انظر الملابس المملوكية ص ٤٣ .

(٢) بعده فى م : « لما رآه من المصلحة » .

(٣) كذا فى الأصل ، م . وفى ذيل مرآة الزمان ٢/٢٩ ، وعقد الجمان : « القصير » . والقصر والقصير اسمان قديمان لقرية بمصر من قرى مركز فاقوس بمحافظة الشرقية ، وتسمى اليوم الجعافرة ، وهى غير الجعافرة التى تتبع محافظة القليوبية . انظر القاموس الجغرافى ١/٣٢ ، ١١١ (القسم الثانى) .

سادس عشر من ذى القعدة، رحمه الله تعالى .

وحكى الشيخ قُطْبُ الدين اليُونِينِي فِي « الدَّيْلِ عَلَى الْمَرْأَةِ »^(١) عَنِ الشَّيْخِ
عَلَاءِ الدِّينِ بْنِ غَانِمٍ ، عَنِ الْمُؤَلَّى تَاجِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ الْأَثِيرِ كَاتِبِ السَّرِّ فِي أَيَّامِ
النَّاصِرِ صَاحِبِ دِمَشْقَ ، قَالَ : لَمَّا كُنَّا مَعَ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ بَوَاطِئَ بَرْزَةِ جَاءَتْ
الْبَرْيَدِيَّةُ يُخْبِرُونَ أَنَّ الْمُظْفَرَ قُطْرُ قَدْ تَوَلَّى السُّلْطَنَةَ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ ، فَقَرَأْتُ ذَلِكَ
عَلَى السُّلْطَانِ ، فَقَالَ : أَذْهَبَ إِلَى فَلَانٍ وَفَلَانٍ فَأُخْبِرُهُمْ بِهَذَا . قَالَ : فَلَمَّا
خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ لَقِيتُنِي بَعْضُ الْأَجْنَادِ فَقَالَ لِي : جَاءَكُمُ الْخَبْرُ مِنَ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ
ب أَنَّ قُطْرَ قَدْ تَمَلَّكَ ؟ فَقُلْتُ : مَا عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمٍ ، وَمَا يُدْرِيكَ أَنْتَ بِهَذَا ؟
فَقَالَ : بَلَى وَاللَّهِ إِنَّهُ سَيَلَى الْمَمْلَكَةَ ، وَيَكْسِرُ التَّارَ . فَقُلْتُ : مِنْ أَيْنَ تَعْلَمُ هَذَا ؟
فَقَالَ : كُنْتُ أَخْدُمُهُ وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَكَانَ عَلَيْهِ قَمَلٌ كَثِيرٌ ، فَكُنْتُ أَفْلِيهِ وَأَهْيُنُهُ ،
فَقَالَ لِي يَوْمًا : وَيْلَكَ ، أَيُّشِ تُرِيدُ أَنْ أُعْطِيكَ إِذَا مَلَكَتُ الدِّيَارَ الْمَصْرِيَّةَ ؟ فَقُلْتُ
لَهُ : أَنْتَ مَجْنُونٌ ؟ ! فَقَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ ، وَقَالَ لِي : أَنْتَ
تَمْلِكُ الدِّيَارَ الْمَصْرِيَّةَ ، وَتَكْسِرُ التَّارَ . وَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ .
فَقُلْتُ لَهُ حِينَئِذٍ - وَكَانَ صَادِقًا - : أُرِيدُ مِنْكَ إِمْرَةً خَمْسِينَ فَارَسًا . فَقَالَ : نَعَمْ .
قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : فَلَمَّا قَالَ لِي هَذَا قُلْتُ : هَذِهِ كُتُبُ الْمَصْرِيِّينَ بِأَنَّهُ قَدْ تَوَلَّى
السُّلْطَنَةَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَيَكْسِرَنَّ التَّارَ . فَكَانَ كَذَلِكَ كَمَا قَالَ . وَلَمَّا رَجَعَ النَّاصِرُ
إِلَى نَاحِيَةِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَأَرَادَ دُخُولَهَا ، وَرَجَعَ عَنْهَا وَدَخَلَهَا أَكْثَرُ الْجِيُوشِ
الشَّامِيَّةِ كَانَ هَذَا الْأَمِيرُ الْحَاكِي فِي جَمَلَةٍ مَن دَخَلَهَا ، فَأَعْطَاهُ الْمُظْفَرُ إِمْرَةً خَمْسِينَ
فَارَسًا ، وَوَفَّى لَهُ بِالْوَعْدِ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ^(٢) حَسَامُ الدِّينِ الْبَرْكَةُ خَانِي^(٣) . قَالَ ابْنُ

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٨١/١ - ٣٨٣ ، ٣٠/٢ - ٣٢ .

(٢ - ٢) فِي الْأَصْلِ : « جَمَالُ الدِّينِ التَّرْكَاخَانِي » ، وَفِي م : « جَمَالُ الدِّينِ التَّرْكَمَانِي » . وَالْمَثْبُوتُ مِنْ

مَرَاةَ الزَّمَانِ ٣٨٣/١ ، ٣٠/٢ . وَانْظُرْ كَنْزَ الدَّرَرِ ٤١/٨ ، ٤٢ .

الأثير: فلقينى بالديار المصرية بعد أن تأمر، فذكرنى بما كان أخبرنى عن المظفر، فذكرته، ثم كانت وقعة التتار على إثر ذلك^(١)، ولله الحمد والمِنَّة.

وفيها هلك كَتَبْغَانُون^(٢) نائب هولاء على بلاد الشام، لعنهما الله، ومعنى نُونين يعنى أمير عشرة آلاف، وكان هذا الحبيث قد فتح لأستاذيه هولاء من أقصى بلاد العجم إلى الشام، وقد أدرك جَنْكَزْخان^(٣) جد هولاء، وقد كان كَتَبْغا هذا يَعْتَمِدُ فى حروبه للمسلمين ببلاد خراسان والعراق أشياء لم يسبقه إليها أحد، كان إذا فتح بلدًا ساق المقاتلة منه إلى البلد الذى يليه، ويطلب من أهل البلد [١٠/١٦٢] أن يؤووا هؤلاء إليهم، فإن فعلوا حصل مقصوده فى تضييق الأطمعة والأشربة عليهم، فتقصر مدة الحصار عليه^(٤)، وإن امتنعوا من إيوائهم عندهم قاتلهم^(٥) بهؤلاء حتى يفتنى هؤلاء، فإن حصل الفتح وإلا كان قد أضعف أولئك بهولاء ثم استأنف قتالهم بمن عنده حتى يفتحه. وكان يبعث إلى الحصن يقول لهم: إن ماءكم قد قل، فافتحوا صلحًا قبل أن نأخذكم قسرًا. فيقولون: إن الماء عندنا كثير فلا نحتاج إلى ماء. فيقول: لا أصدق حتى أبعث من عندى من يشرف عليه، فإن كان كثيرًا أنصرفت عنكم. فيقولون: ابعث من يشرف

(١) بعده فى م: «فكسروهم وطردهم عن البلاد وقد روى عنه أنه لما رأى عصابات التتار قال للأمرء والجيوش الذين معه: لا تقاتلوهم حتى تزول الشمس وتفىء الظلال وتهب الرياح ويدعوا لنا الخطباء والناس فى صلاتهم رحمه الله تعالى».

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣٣/٢، والعبر ٢٤٩/٥، وعقد الجمان ٢٨٠/١، والنجوم الزاهرة ٧٨/٧، وذكره فى وفيات سبع وخمسين وستمائة، وهو الصواب؛ لأنه قتل فى معركة عين جالوت وكانت فى سنة سبع وخمسين وستمائة.

(٣) بعده فى الأصل: «الكبير»، وبعده فى ذيل مرآة الزمان ٣٥/٢: «الأخير».

(٤) بعده فى م: «لما ضاق على أهل البلد من أقواتهم».

(٥) بعده فى م: «بأولئك المقاتلة الذين هم أهل البلد الذى فتحه قبل ذلك فإن حصل الفتح وإلا كان قد أضعف أولئك».

على ذلك . فيُرْسِلُ رجالاً مِنْ جيشِهِ ، معهم رِمَاحٌ مُجَوَّفَةٌ مَحْشُوءَةٌ سُمًّا ، فإذا دَخَلُوا ساطوا^(١) ذلك الماءَ بتلك الرماحِ ، فيَنْفَتِحُ ذلك السُّمُّ وَيَسْتَقِرُّ في الماءِ ، فيَكُونُ سببَ هلاكِهِم وهم لا يَشْعُرُونَ ، لَعَنَهُ اللَّهُ لَعْنَةً تَدْخُلُ معه في قَبْرِه . وكان شيخًا كبيرًا قد أَسَنَ ، وكان يَمِيلُ إلى دينِ النصارى ، ولكن لا يُمَكِّنُهُ الخروُجُ عن حكمِ جَنْكَرْخان في الياساقِ .

قال الشيخُ قُطْبُ الدينِ اليُونِنِيُّ^(٢) : وقد رَأَيْتُهُ بِبَغْلَبَكْ حينَ حاصرَ قلعَتَها ، وكان شيخًا حسنًا ، له حيةٌ طويلةٌ مُسْتَرْسِلَةٌ رقيقةٌ قد ضَفَرها مثلَ الدَّبُوقَةِ ، وتارةً يُعَلِّقُها في حلقةٍ بأُذُنِهِ ، وكان مَهِيئًا ، شديدَ السَّطُوةِ . قال : وقد دَخَلَ الجامعَ ، فصعدَ المِنارةَ لِيَتَأَمَّلَ القلعةَ منها ، ثم خَرَجَ مِنَ البابِ الغربِيِّ ، فدَخَلَ دُكَّانًا خَرابًا ، فقَضَى حاجتَهُ والناسُ يَنْظُرُونَ إليه ، وهو مَكشُوفُ العَوْرَةِ ، فلما فَرَّغَ مَسَحَهُ بعضُ أَصْحابِهِ بِقُطْنٍ مُلَبَّدٍ مَسْحَةً واحدةً .

قال^(٣) : ولما بَلَغَهُ خروُجُ الْمُظْفَرِ إليه بالعساكِرِ المِصرِيَّةِ تَلَوَّمَ في أمرِهِ ، ثم حَمَلَتْهُ نَفْسُهُ الأَيُّتَةَ على لِقائِهِم ، وظَنَّ أَنَّهُ يَنْتَصِرُ كما كانت عادَتُهُ ، فحَمَلَ يَوْمئِذٍ على المَيْسِرَةِ فَكَسَرها ، ثم أَيْدَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ وَثَبَّتَهُمْ ، فحَمَلُوا حَمَلَةً صادقةً على التَّارِ ، فهزَمَ موهِمَ هزيمةً لا تُجْبَرُ أَبَدًا ، وَقُتِلَ كَتَبُغَانُويْنِ في المِعرَكَةِ ، وأُسِرَ ابْنُهُ ، وكان شابًّا حسنًا ، فَأُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيِ الْمُظْفَرِ فُطِرَ ، فقال له : أَهْرَبَ أَبوكَ ؟ قال : إنه لا يَهْرُبُ . فطَلَبُوهُ فوجدوه بَيْنَ الْقَتْلَى ، فلما رآه ابْنُهُ صَرَخَ وبَكَى ، فلما تَحَقَّقَهُ

(١) ساطوا : خَلَطُوا وَمَزَجُوا . الوسيط (س و ط) .

(٢) ذيلُ مِراةِ الزمان ٣٤ / ٢ .

(٣) المصدر السابق ٣٥ / ٢ .

المُظَفَّرُ^(١) قال : نام^(٢) طَيِّبًا ، كان هذا سَعَادَةَ النَّارِ ، وبقتله ذهب سَعْدُهُمْ . وهكذا كان كما قال ، ولم يُفْلِحُوا بَعْدَهُ أَبَدًا ، وكان قتله يومَ الجمعةِ الخامسَ والعشرين من رمضانَ ، لعنه اللهُ تعالى ، وكان الذى قَتَلَ كُتُبْغَانُوَيْنِ الأُمَيْرِ جمالَ الدينِ آقوشَ الشَّمْسِيَّ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

الشيخُ محمدُ الفقيهُ اليُونِنِيُّ الحنبليُّ البَغْلَبَكِيُّ الحافظُ^(٣) ، هو محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عيسى بنِ أبى الرجالِ أحمدَ بنِ عليٍّ بنِ محمدٍ بنِ محمدٍ^(٤) ابنِ محمدٍ بنِ الحسينِ بنِ إِسْحَاقَ بنِ جعفرِ الصادقِ - كذا نقل هذا الانتسابُ الشيخُ قُطُبُ الدينِ اليُونِنِيُّ من خطِّ أخيه الأكبرِ أبى الحسينِ^(٥) عليٍّ ، وأخبره أن والده قال له : نحن من سُلَالَةِ جعفرِ الصادقِ . قال^(٦) : وإنما ذَكَرَ له هذا عندَ الموتِ لِيَتَحَرَّجَ من قبولِ الصَّدَقَةِ - أبو عبدِ اللهِ بنُ أبى الحسينِ اليُونِنِيُّ الحنبليُّ تَقَى الدينِ الفقيهُ الحنبليُّ الحافظُ المَفِيدُ البارُعُ العابدُ الناسكُ ، وُلِدَ سنةَ ثنتين وسبعين وخمسمائةً ، وسمعَ الخُشُوعِيَّ وَحَنْبَلًا وَالكِندِيَّ والحافظَ عبدَ الغنِيِّ المقدِسِيَّ ، وكان يُثْنِي عليه ، وتَفَقَّهَ على الشيخِ المَوْفِقِ ، ولَزِمَ صحبةَ الشيخِ عبدِ اللهِ اليُونِنِيِّ ، وانتَفَعَ به ، وكان الشيخُ عبدُ اللهِ يُثْنِي عليه ، ويُقَدِّمُهُ وَيُقْتَدِي به فى الفتاوى الشرعية ، وقد لَبِسَ الخِرْقَةَ من الشيخِ عبدِ اللهِ البطائحيِّ ، وبرَّعَ فى علم

(١) بعده فى م : « سجد لله تعالى ثم » .

(٢) كذا فى الأصل ، وذيل مرآة الزمان . وفى م : « أنام » . والذى قال ذلك ابن كتيبا ، قاله للسلطان قطز . والصواب : « نام » .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧ ، والذيل على مرآة الزمان ٣٨/٢ ، وتذكرة الحفاظ ١٤٣٩/٤ ، والعبير ٢٤٨/٥ ، والوافى بالوفيات ١٢١/٢ ، والدليل الشافى ٥٨٨/٢ ، وشذرات الذهب ٢٩٤/٥ .

(٤) بعده فى ذيل مرآة الزمان : « بن أحمد » .

(٥) فى ذيل مرآة الزمان : « الحسن » .

(٦) ذيل مرآة الزمان ٥٦/٢ ، ٥٧ .

الحديث ، وحفظ «الجمع» [٦٢/١٠] بين الصحيحين» بالفاء والواو، وحفظ قطعة صالحة من «مُسْنَدِ الإمام أحمد»، وكان يَعْرِفُ العربية، أخذ ذلك عن التاج الكِنْدِيُّ، وكتب مَلِيحًا حسنًا، وكان الناس يَنْتَفِعُونَ بِقُنُونِهِ الكثيرة، ويأخذون عنه الطريقة الحسنة، وحصلت له وَجَاهَةٌ عظيمة عند الملوك وغيرهم، تَوَضَّأَ مرةً عند الملك الأشرف وهو عنده بالقلعة حال سَمَاعِ «البُخَارِيِّ» على الزَّيْدِيِّ، فلما فرغ من الوضوء نقض السلطان تخفيفه، وبسطها على الأرض ليَطَأَ عليها، وحلف السلطان له أنها طاهرة ولا بد أن يَطَأَهَا بِرِجْلِهِ، ففعل ذلك. ولما قَدِمَ الكاملُ على أخيه الأشرفِ دمشق، أنزله القلعة، وتحوَّلَ الأشرفُ لدار السعادة، وجعل يَذْكُرُ للكاملِ مَحَاسِنَ الشيخِ الفقيه، فقال: أَشْتَهِي أن أراه. فأرسل إليه إلى بَغْلَبَكْ بطاقةً، فاستَحْضَرَهُ فوصل إلى دارِ السَّعادة، فنزل الكاملُ إليه، وتحادثا وتذاكرا شيئًا من العلم، فدُكِرَتْ مسألة القتلِ بالْمُتَّقِلِ، وجرى ذكرُ حديثِ الجارية التي قتلها اليهوديُّ، فرضَّ رأسها بينَ حَجَرَيْنِ، فأمر رسولُ اللَّهِ ﷺ بقتله^(١)، فقال الكاملُ: إنه لم يَعْتَرِفْ. فقال الشيخُ الفقيه: في «صحيح مسلم»: فاعترف. فقال الكاملُ: أنا اختَصَرْتُ «صحيح مسلم»، ولم أجد هذا فيه. «فقال: بلى^(٢). فأرسل الكاملُ، فأحضرَ خمسَ مجلداتٍ اختصاره «لمسلم»، فأخذ الكاملُ مجلدًا، والأشرفُ مجلدًا، وعِمَادُ الدين بنُ مُوسَى آخرُ^(٣)، والملكُ الصالحُ مجلدًا^(٤) وأخذ الشيخُ الفقيهُ مجلدًا، فأولَ ما فتحه وجد الحديث كما قال الشيخُ الفقيه، فتعجَّبَ الكاملُ من استحضاره وسُرعة كشفه،

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٣)، ومسلم (١٦٧٢) كلاهما من حديث أنس بن مالك.

(٢ - ٢) سقط من: م.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، م. والمثبت من ذيل مرآة الزمان، وهو الصواب ليكون عدد الأشخاص مناسبًا لعدد المجلدات.

وأراد أن يأخذه معه إلى الديار المصرية ، فأرسله الأشرف سريعاً إلى بعلبك ، وقال للكمال : إنه لا يؤثّر ببعلبك شيئاً . فأرسل له الكمال ذهباً كثيراً^(١) . قال ولده قطب الدين^(٢) : كان والدى يقبل برّ الملوك ، ويقول : أنا لى فى بيت المال أكثر من هذا . ولا يقبل من الأمراء ولا من الوزراء شيئاً إلا أن يكون هدية مأكول ونحوه ، ويؤسّل إليهم من ذلك ، فيقبلونه على سبيل التبرك والاستشفاء . وذكر أنه كثر ماله وأثرى ، وصار له سعة من المال كثيرة ، وذكر له أن الأشرف كتب له كتاباً بقرية يونين ، وأعطاه المحبى الدين بن الجوزى ليأخذ عليه خط الخليفة ، فلما شعر والدى بذلك أخذ الكتاب ومزقه ، وقال : أنا فى غنية عن ذلك . قال : وكان والدى لا يقبل شيئاً من الصدقة ، ويزعّم أنه من ذرية جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنه . قال : وقد كان قبل ذلك فقيراً لا شىء له . وكان للشيخ عبد الله زوجة ، ولها ابنة جميلة ، وكان الشيخ يقول لها : زوّجها من الشيخ محمد . فتقول : إنه فقير ، وأنا أحب أن تكون ابنتى سعيدة . فيقول لها : كأنى أنظر إليهما إياه وإياها فى دار فيها بركة ، وله رزق كثير ، والملوك يترددون إلى زيارته . فزوّجتها منه ، فكان الأمر كذلك ، وكانت أولى زوجاته ، رحمه الله تعالى .

وكانت الملوك كلّها تحبّ مدينته ، ويعظمونه جدّاً ؛ بنو العادل وغيرهم ، وكذلك كان مشايخ الفقهاء كابن الصلاح ، وابن عبد السلام ، وابن الحاجب ، والحصيرى ، وشمس الدين بن سنى الدولة ، وابن الجوزى ، وغيرهم يعظمونه ويترجعون [٦٣/١٠ و] إلى قوله لعلمه وعمله وديانته وأمانته .

(١) فى ذيل مرآة الزمان أنه امتنع من قبول الذهب .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤٤/٢ ، ٤٥ .

وقد ذُكِرَتْ له أحوالٌ ومُكاشَفَاتٌ وكراماتٌ كثيرةٌ، قدَّسَ اللهُ رُوحَهُ، وزَعَمَ بعضُهُم^(١) أَنَّهُ قُطِبَ مِنْذُ ثِنْتَيْ عَشْرَةِ سَنَةً. فَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَذَكَرَ الشَّيْخُ الْفَقِيهَ قَالَ: كُنْتُ عَزَمْتُ مَرَّةً عَلَى الرَّحْلَةِ إِلَى حَرَّانَ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا بِهَا يَغْلَمُ عِلْمَ الْفَرَائِضِ جَيِّدًا، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُريدُ مِنْ صَبِيحَتِهَا أَسَافِرُ جَاءَنِي رِسَالَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْيُونِنِيِّ يَغْزِمُ عَلَيَّ إِلَى الْقَدَسِ الشَّرِيفِ، وَكَأَنِّي كَرِهْتُ ذَلِكَ، وَفَتَحْتُ الْمُصْحَفَ، فَطَلَعَ قَوْلُهُ: ﴿أَتَسْعَوْنَ مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢١]. فَخَرَجْتُ مَعَهُ إِلَى الْقَدَسِ، فَوَجَدْتُ ذَلِكَ الرَّجُلَ الْحَرَّانِيَّ بِالْقَدَسِ الشَّرِيفِ، فَأَخَذْتُ عَنْهُ عِلْمَ الْفَرَائِضِ حَتَّى خُيِّلَ لِي أَنِّي قَدْ صِرْتُ أَتْبَرَغَ فِيهِ مِنْهُ.

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو شَامَةَ^(٢): كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا، وَحَصَلَ لَهُ قَبُولٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَمْراءِ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ يَلْبَسُ قُبْعًا، صَوْفُهُ إِلَى خَارِجٍ، كَمَا كَانَ شَيْخُهُ عَبْدُ اللَّهِ الْيُونِنِيُّ. قَالَ: وَقَدْ صَنَّفَ شَيْئًا فِي الْمِعْرَاجِ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ فِي كِتَابِ سَمِّيْتِهِ «الْوَاضِحَ الْجَلِيَّ فِي الرَّدِّ عَلَى الْحَنْبَلِيِّ». وَذَكَرَ وَلَدُهُ قُطِبُ الدِّينِ أَنَّهُ مَاتَ فِي التَّاسِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيلِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ بَدْرِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَيْطَارُ الْأَكَّالُ^(٣)، أَصْلُهُ مِنْ جَبَلِ بَنِي هِلَالٍ، وَوُلِدَ بِقَصْرِ حَجَّاجٍ، وَكَانَ مُقِيمًا بِالشَّاعُورِ، وَكَانَ

(١) المصدر السابق ٦٦/٢.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٠٧، وذيل مرآة الزمان ٧٢/٢، والوفاء بالوفيات ٤٩/٣.

فيه صلاح ودين وإيثار للفقراء والمحاييج والمحاييس، وكانت له حال غريبة؛ لا يأكل لأحد شيئاً إلا بأجرة، وكان أهل البلد يترامون عليه ليأكل لهم الأشياء المفتخرة الطيبة، فيمتنع إلا بأجرة جيدة، وكلما تمتع من ذلك حلا عند الناس، وأحبوه ومالوا إليه، فيأتونه بأشياء كثيرة من الحلوات والشواء وغير ذلك، وأجرة جيدة مع ذلك، وهذا غريب جداً، رحمه الله تعالى، ورضى عنه بمنه وكرمه آمين.

ثم دَخَلَتْ سنةٌ تسعٍ وخمسين وستمائية

اسْتَهَلَّتْ^(١) يَوْمَ الاثْنَيْنِ لَأَيَّامٍ خَلَوْنَ مِنْ كَانُونَ الأولِ ، وليس للمسلمين خليفة ، وصاحبُ مكة أبو نُمَيْسٍ بْنُ أَبِي سَعْدٍ^(٢) بنِ عَلِيٍّ بنِ قَتَادَةَ الحَسَنِيِّ ، وعمُّه إدريسُ بْنُ عَلِيٍّ شَرِيكُهُ ، وصاحبُ المدينة الأميرُ عِزُّ الدِّينِ جَمَّازُ بْنُ شَيْخَةِ الحُسَيْنِيِّ ، وصاحبُ الديارِ المصرية والشامية^(٣) السلطانُ الملكُ الظاهرُ ركنُ الدِّينِ بَيْبُوسُ البُنْدُقْدارِيُّ ، وشريكُهُ في دمشق وَبَغْلَبَكَّ والصُّبَيْبِيَّةِ وبانياسَ الأميرُ علمُ الدِّينِ سَنَجَرُ الحَلْبِيُّ الملقَّبُ بالملكِ المجاهدِ ، وشريكُهُ في حَلَبَ الأميرُ حُسَّامُ الدِّينِ لاجين^(٤) الجَوْكَنْدَارُ^(٥) الغَزِيزِيُّ ، والكَرْكُ والشَّوْبَكُ للملكِ المُغِيثِ فتحِ الدِّينِ عمرَ ابنِ العادلِ سيفِ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ بنِ الكاملِ مُحَمَّدِ بنِ العادلِ الكبيرِ سيفِ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ بنِ أيوبَ . وحصنُ صِهْيُونَ^(٦) وَبَرْزِيَّةَ^(٧) في يَدِ الأميرِ مُظَفَّرِ الدِّينِ عثمانَ

(١) ذيل مرآة الزمان ٨٧/٢ - ٨٩ ، وعقد الجمان ٢٨٧/١ ، ٢٨٨ ، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٢) في الأصل ، م : « سعيد » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) يعني معظم الشام كما في ذيل مرآة الزمان ، وسيدكر المصنف فيما يأتي بعض مناطق الشام - حماة وغيرها - لغير الملك الظاهر .

(٤) في م : « لاشين » .

(٥) في م : « الجوكندارى » . والجوكندار : لقبٌ على الذى يحمل الجوكان مع السلطان فى لعب الكرة ، ويجمع على جوكان دارية ، وهو مركب من لفظتين فارسيتين ، إحداهما جوكان ، وهو الميخنة الذى تُضْرَبُ به الكرة ، ويعبر عنه بالصَوْلْجَانُ أيضًا : والثانية : دار ، ومعناه مُمَسِّك . فيكون المعنى : تمسك الجوكان . والعامية تقول : لجكندار . بحذف الواو بعد الجيم والألف بعد الكاف . انظر صبح الأعشى ٥/ ٤٥٨ .

(٦) في م : « جهيون » . وصهيون : موضع معروف بالبيت المقدس ، محلة فيها كنيسة صهيون ، وصهيون أيضًا : حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص . انظر معجم البلدان ٣/ ٤٣٨ .

(٧) فى الأصل : « باررنا » ، وفى م : « بازريا » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان وعقد الجمان . وبرزيه : =

ابن ناصر الدين مَنكُورس^(١)، وصاحبُ حماة الملك المنصورُ بنُ تقيِّ الدين محمود، وصاحبُ جَمَصَ الأشرفُ بنُ المنصورِ إبراهيم بن أسدِ الدين الناصر، وصاحبُ المؤصلِ الملكُ الصالحُ إسماعيلُ بنُ البدرِ لؤلؤ، وأخوه الملكُ المجاهدُ صاحبُ جزيرة ابنِ عمر، وصاحبُ ماردينَ الملكُ السعيدُ نجمُ الدينِ إيل غازی ابنُ أرتُق، وصاحبُ بلادِ الرومِ رُكنُ الدينِ قلیج^(٢) أرسلان بنُ كَيخُسرو السلجوقي، وشريكه في الملكِ أخوه كَيكاؤس والبلادُ بينهما نصفين، وسائرُ بلادِ المشرقِ من خُراسانَ والعراقِ بأيدي التتارِ أصحابِ هولاكوقان، وبلادُ اليمنِ يَمْلِكُهَا غيرُ واحدٍ مِنَ الملوكِ، [٦٣/١٠ ظ] وكذلك بلادُ^(٣) المغربِ، في كُلِّ قُطْرٍ منها مَلِكٌ.

وفي هذه السنة^(٤) أغارت التتارُ على بلادِ حلب، وانجفل الناسُ وحصلَ لهم رعبٌ شديدٌ والتقى التتارُ مع نائبِ حلب الأميرِ^(٥) حسامِ الدينِ الجوكندارِ العزیزى، والمنصورِ صاحبِ حماة، والأشرفِ صاحبِ جَمَصَ، وكانت الوقعةُ عند^(٦) حمصَ قريبًا من قبرِ خالدِ بنِ الوليد، والتتارُ في ستةِ آلافٍ، وإنما كان مع هؤلاء من المسلمين ألفٌ وأربعمائة، فهزَمَهُمُ اللَّهُ تعالى، وقتلوا أكثرَ التتارِ ولله

= حصن قرب السواحل الشامية على سنّ جبل شاهق، و«برزيه» نطق العامة - كما قال الحموى -

ولعلّ المصادر ذكرته لاشتهاره واسمها: «برزويه». انظر معجم البلدان ١/ ٥٦٥.

(١) في الأصل، م: «مكورس». والمثبت من ذيل مرآة الزمان، وعقد الجمان.

(٢) في م: «فلج».

(٣) بعده في م: «الجوكندى».

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢١١، ٢١٢، وذيل مرآة الزمان ٨٩/٢ - ٩١، ونهاية الأرب ٤٠/٣٠.

- ٤٣، والعبر ٥/ ٢٥١، ٢٥٢، وعقد الجمان ٢٦٧/١ - ٢٧٠.

(٥) - ٥) في م: «فلقبيهم صاحبها».

(٦) في م: «شمالي».

الحمدُ ، فرجع التَّارُ إلى حلب ، فحَصَرُوهَا أربعةَ أشهرٍ ، وضيَّقُوا عليها الأقوات ، وقتلوا مِنَ الغُرَبَاءِ خَلْقًا كَثِيرًا صَبْرًا ، فَإِنَا لِلَّهِ وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، والجِيُوشُ الَّذِينَ كَسَرُوهُمْ عَلَى حِمَصٍ لَمْ يَزِجِعُوا إِلَى حَلَبَ ، بل ساقوا إلى الديارِ المِصْرِيَّةِ فَتَلَقَّاهُم السُّلْطَانُ المَلِكُ الظَّاهِرُ ^(١) فِي أُبْهَةِ السُّلْطَنَةِ ^(٢) ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَبَقِيَتْ حَلَبُ مُحَاصَرَةً لَا نَاصِرَ لَهَا فِي هَذِهِ المَدَّةِ ، وَلَكِنْ سَلَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وفى يومِ الاثنينِ سابعِ صفرٍ ^(٣) رَكِبَ المَلِكُ الظَّاهِرُ فِي أُبْهَةِ المَلِكِ ، وَمَشَى الأَمْرَاءُ والأَجْنَادُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ رُكُوبِهِ ، وَاسْتَمَرَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُتَابِعُ الرُّكُوبَ واللَّعِبَ بِالْكُرَةِ .

وفى ^(٤) الحادِئِ عَشَرَ مِنْ صَفَرٍ خَرَجَ الأَمْرَاءُ بِدِمَشَقَ ^(٥) عَلَى الأَمِيرِ عِلْمِ الدِّينِ سَنَجَرَ الحَلَبِيِّ ، فَقَاتَلُوهُ فَهَزَمُوهُ ، وَأَلْجَئُوهُ إِلَى القَلْعَةِ ، وَحَصَرُوهُ فِيهَا ، فَهَرَبَ مِنْهَا إِلَى قَلْعَةِ بَغْلَبَكْ ، وَتَسَلَّمَ قَلْعَةَ دِمَشَقَ الأَمِيرُ علاءُ الدِّينِ أَيْدِيكَيْنِ البُنْدُقدَارِيُّ ، وَكَانَ مَمْلُوكًا لِحِمَالِ الدِّينِ بْنِ ^(٦) يَغْمُورٍ ، ثُمَّ لِلصَّالِحِ أَيُوبَ بْنِ الكَامِلِ ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ المَلِكُ الظَّاهِرُ ، فَأَرْسَلَهُ السُّلْطَانُ لِيَتَسَلَّمَ دِمَشَقَ مِنَ الحَلَبِيِّ عِلْمِ الدِّينِ سَنَجَرَ ، فَأَخَذَهَا وَسَكَنَ القَلْعَةَ بِهَا نِيَابَةً عَنِ المَلِكِ الظَّاهِرِ ، ثُمَّ حَاصَرُوا الحَلَبِيَّ بِبَغْلَبَكْ ، حَتَّى أَخْرَجُوهُ مِنْهَا عَلَى بَغْلٍ ، وَأَرْسَلُوهُ إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ المَلِكِ الظَّاهِرِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ لَيْلًا ، فَعَاتَبَهُ ثُمَّ أَطْلَقَ لَهُ أَشْيَاءَ وَأَكْرَمَهُ .

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٩١/٢ ، والسلوك ٤٤٣/١ ، ٤٤٤ (القسم الثاني) .

(٣ - ٣) فى م : « سابع عشر » .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٩١/٢ ، ٩٢ ، ونهاية الأرب ٣٨/٣٠ ، ٣٩ ، وعقد الجمان ٢٩٠/١ ، ٢٩١ .

(٥) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٩٤/١ ، والسلوك ٤٤٥/١ (القسم الثاني) .

وفى يوم الاثنين ثامن ربيع الأول^(١) استَوَزَرَ الملك الظاهرُ بهاء الدين على بن محمد، المعروف بابن الحنَّاء.

وفى ربيع الآخر^(٢) قبض الظاهرُ على جماعةٍ من الأُمراءِ بلغه عنهم أنهم يُريدون الوثوبَ عليه. وفيه أُرْسِلَ إلى الشُّوبَكِ^(٣) فتسلَّمها من أيدي نوابِ المغيِّثِ صاحبِ الكركِ.

وفىها جهَّزَ الظاهرُ جيشًا إلى حلب^(٤) ليَطْرُدوا التَّارَ عنها، فلما وصل الجيشُ إلى غَزَّةَ كَتَبَ الفِرْعُجُ إلى التَّارِ يُنذِرُونهم، فرحلوا عنها مُسرِّعين، واستولى على حلب جماعةٌ من أهلها، فصادروا ونهبوا وبلغوا أغراضهم، وقدم إليها الجيشُ الظاهريُّ، فأزالوا ذلك كله، وصادروا بعضَ أهلها بألف ألفٍ وستِّمائة ألفٍ، ثم قدم الأميرُ شمسُ الدينِ آقوش البزليُّ^(٥) من جهةِ الظاهرِ، فاستولى على البلدِ واستحوذَ عليها، فقطعَ ووصلَ وحكَمَ^(٦) ولكن ما عدلَ^(٧).

وفى يومِ الثلاثاءِ عاشرِ جمادى الأولى^(٨) باشرَ القُضاءُ بالديارِ المصريةِ العلامةُ الشيخُ تاجُ الدينِ عبدُ الوَهَّابِ بنُ بنتِ القاضي الأعزُّ أبى القاسمِ خلفِ بنِ

(١) ذيل مرآة الزمان ٩٢/٢، ونهاية الأرب ١٨/٣٠، والسلوك ٤٤٧/١ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٢٨٨/١، ٢٨٩.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٩٢/٢، ٩٣، ونهاية الأرب ١٨/٣٠، ١٩، والسلوك ٤٤٧/١ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٢٨٩/١.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٩٣/٢، ونهاية الأرب ٤٩/٣٠.

(٤) ذيل مرآة الزمان ٩٣/٢، ٩٤، ونهاية الأرب ٤٢/٣٠، ٤٣، وعقد الجمان ٢٩٢/١، ٢٩٣.

(٥) هنا وما سيأتى فى م: «التركى».

(٦ - ٦) فى م: «وعدل».

(٧) ذيل مرآة الزمان ٩٤/٢، ونهاية الأرب ١٩/٣٠، والسلوك ٤٤٨/١ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٢٨٩/١.

القاضي رشيد الدين^(١) أبي الثناء محمود بن بدر العلامي^(٢)، وذلك بعد شروط ذكرها للظاهر شديدة، فدخل تحتها الملك الظاهر، وعُزل عن القضاء بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن علي السنجاري، ورُسم عليه أياماً، ثم أُفْرِج عنه.

ذكر البيعة بالخلافة للمستنصر بالله أبي القاسم أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر^(٣) بأمر الله أبي نصر محمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبي العباس أحمد العباسي وهو عم المستعصم^(٤)

وكان مُعْتَقَلًا ببغداد ثم أُطْلِق، فكان مع جماعة الأعراب بالعراق، [١٠/ ١٦٤] ثم قصد الظاهر حين بلغه ملكه، فقدم مصر ضحبة جماعة من أمراء الأعراب عشرة، منهم الأمير ناصر الدين مهنا، وكان دخوله إلى القاهرة في ثامن رجب، فخرج السلطان ومعه الوزير^(٥) والقاضي تاج الدين^(٦) والشهود والمؤذنون فتلقوه، وكان يوماً مشهوداً، وخرج أهل الثوراة بتوراتهم، والنصارى بإنجيلهم، ودخل من باب النصر في أبهة عظيمة، ولله الحمد والمنة، فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر رجب جلس السلطان والخليفة في الإيوان بقلعة الجبل، والوزير والقاضي والأمراء على طبقاتهم، وأُثبت نسب الخليفة المذكور على

(١) بعده في الأصل، م: «بن». والمثبت كما في ذيل مرآة الزمان وعقد الجمان.

(٢) في م: «العلامي».

(٣ - ٣) سقط من: م. وانظر ذيل مرآة الزمان ٩٤/٢ - ٩٨، والسلوك ٤٤٨/١ - ٤٥١ (القسم

الثاني)، وعقد الجمان ٢٩٣/١ - ٢٩٧.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) سقط من: الأصل. والمثبت من مصادر التخريج.

الحاكم تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز.

وهذا الخليفة هو أخو المستنصر باني المستنصرية^(١)، وعم المستعصم^(٢)، وبُوع بالخِلافة بمصر، بايعه الملك الظاهر والقاضي والوزير والأمراء، وركب في دَسْتِ الخِلافة بديار مصر والأمراء بين يديه، والناس حوله، وشقَّ القاهرة، وكان يومًا مشهودًا، وذلك في الثالث عشر من رجب من هذه السنة، وهذا الخليفة هو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس، بينه وبين العباس أربعة وعشرون أبا، وكان أول من بايعه يومئذ القاضي تاج الدين عندما ثبت عنده نسبُه، ثم السلطان الملك الظاهر ثم الشيخ عز الدين بن عبد السلام والأمراء والدولة، ولله الحمد والمنَّة، وخطب له على المنابر، وضرب اسمه على السكَّة، وكان منصب الخِلافة شاغرًا منذ ثلاث سنين ونصف؛ لأن المستعصم قُتِل في أول سنة ست وخمسين وستمائة، وبُوع هذا في يوم الاثنين في الثالث عشر من رجب من هذه السنة - أغنى سنة تسع وخمسين وستمائة - وكان أسمرَ وسيما، شديد القوى، عالي الهمة، له شجاعة وإقدام، وقد لقَّبه بالمستنصر كما كان أخوه باني المدرسة ببغداد تلقَّب، وهذا أمر لم يُسبق إليه؛ أن خليفَتين أخوين يُلقَّب كلُّ منهما بالآخر، وقد ولي الخِلافة أخوان كهذين؛ السَّفَّاح وأخوه المنصور ولدا^(٣) محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس، والهادي والرشيْد^(٤) ابنا^(٥) المهدي بن المنصور، والواثق والمتوكل ابنا المعتصم بن الرشيْد^(٦)، والمُستَرشِد والمُقتَفى ولدا المُستَظْهِر،

(١) في الأصل: «المدرسة». وهي المدرسة المستنصرية ببغداد، كما يشير لذلك المصنف قريبا.

(٢) في الأصل: «المستنصر».

(٣) في الأصل، م: «وكذا». والمثبت من ذيل مرآة الزمان.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) في الأصل: «وكذلك». والمثبت من ذيل مرآة الزمان.

وأما ثلاثة؛ فالأمين والمأمون والمعتصم^(١) أولاد الرشيد، والمستنصر^(٢) والمعتز^(٣) والمعتد أولاد المتوكل^(٤)، وأما أربعة فأولاد عبد الملك بن مروان؛ الوليد وسليمان ويزيد وهشام.

^(٥) وقد ولي هذا الخلافة بعد ابن أخيه المستعصم بن المستنصر، ولم يكن هذا قبله إلا^(٥) في خلافة المقتفي بن المستظهر؛ فإنه وليها بعد ابن أخيه الراشد^(٦) بن المسترشد^(٦) بن المستظهر، والله أعلم^(٧) وكانت مدة خلافته إلى أن فُقد - كما سيأتي بيانه - خمسة أشهر وعشرين يومًا، وكان أقصر مدة من جميع خلفاء بني العباس.

وأما بنو أمية فكانت مدة خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية أربعين يومًا، وإبراهيم بن الوليد^(٧) سبعين يومًا، وأخيه يزيد بن الوليد [٦٤/١٠] خمسة أشهر. وكانت مدة خلافة الحسين بن علي بعد أبيه سبعة أشهر وأحد عشر يومًا^(٨)، وكانت مدة مروان بن الحكم تسعة أشهر وعشرة أيام^(٨)، وقد كان في خلفاء بني العباس من لم يستكمل سنة؛ منهم المستنصر بن المتوكل ستة أشهر، والمهتدي بن الواثق أحد عشر شهرًا وأيامًا.

(١) في الأصل: «المستعصم».

(٢) في ذيل مرآة الزمان: «المستنصر». وانظر سير أعلام النبلاء ٤١/١٢.

(٣ - ٣) في الأصل، م: «المطيع أولاد المقتدر». والمثبت من ذيل مرآة الزمان. وانظر المصدر السابق. (٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) سقط من: الأصل. والمثبت من ذيل مرآة الزمان، وانظر سير أعلام النبلاء ٥٦١/١٩، ٥٦٨، ٥٦٩.

(٦ - ٦) سقط من: ذيل مرآة الزمان. وانظر المصدر السابق.

(٧) في الأصل: «الوليد الناقص»، وفي م: «يزيد الناقص». والمثبت من ذيل مرآة الزمان. ويزيد الناقص هو أخوه الذي ذكره المصنف بعده مباشرة.

(٨ - ٨) زيادة من: الأصل، م. ليست في ذيل مرآة الزمان.

وقد أنزل الخليفة المستنصر هذا بقلعة الجبل في بُرْج هو وحشمه وخدمته ، فلما كان يوم سابع عشر رجب ركب في أُبْهة السَّوَادِ ، وجاء إلى الجامع بالقلعة ، فصعد المنبر ، وخطب الناسَ خُطبةً ذَكَرَ فيها شرفَ بنى العباسِ ، ثم اسْتَفْتَحَ ، فقرأ صدرًا من « سورة الأنعام » ، ثم صَلَّى على النَّبِيِّ ﷺ ، وترَضَّى عن الصحابةِ ، ودعا للسلطانِ الظاهرِ ، ثم نزل فصلَّى بالناسِ ، فاستَحَسَنوا ذلك منه ، وكان وقتًا حسنًا ويومًا مشهودًا .

تولية الخليفة المستنصر بالله الملك الظاهر السلطنة^(١)

لما كان يوم الاثنين الرابع من شعبان ركب الخليفة والسلطان والوزير والقضاة والأمراء وأهل الحل والعقد إلى خيمة عظيمة قد ضربت ظاهر القاهرة ، فألبس الخليفة السلطان بيده خلعاً سوداء ، وطوقاً في عنقه ، وقيداً في رجله ، وهما من ذهب ، وصعد فخر الدين إبراهيم بن لقمان رئيس الكتاب منبراً ، فقرأ عليه تقليد السلطان ، وهو من إنشائه وبخطه نفسه ، ثم ركب السلطان بهذه الأُبْهة ، والقيد في رجله ، والطوق في عنقه ، والوزير بين يديه ، وعلى رأسه التَّقْلِيدُ ، والأمراء والدولة في خدمته مُشاةً سوى الوزير ، فشقَّ القاهرة ، وقد زُيِّنَتْ له ، وكان يوماً مشهودًا يَقْصُرُ اللسانُ عن وصفه ، وقد ذَكَرَ الشيخُ قُطْبُ الدين هذا التَّقْلِيدَ بتمامه ، وهو مُطَوَّلٌ .

(١) ذيل مرآة الزمان ٩٨/٢ ، ونهاية الأرب ٣٠/٣٠ ، والسلوك ٤٥٢/١ - ٤٥٧ (القسم الثاني) ، وعقد الجمان ٢٩٦/١ - ٣٠٨ .

ذكر تجهيز الخليفة قاصداً إلى بغداد^(١)

ثم إن الخليفة طلب من السلطان أن يُجهِّزه إلى بغداد ، فرتب له جنداً هائلةً ، وأقام له من كل ما ينبغي للملوك والخلفاء من الحشم والخدم والطبلخاناه^(٢) وغير ذلك ، ثم سار السلطان صُحبته قاصدين دمشق المحروسة ، وكان سبب خروج السلطان إلى الشام أن البزلي ، كما تقدَّم ، كان قد استحوذ على حلب ، فأرسل إليه الظاهر الأمير عَلَم الدين سَنَجَر الحلبى الذى كان قد تغلَّب على دمشق ، فطرده عن حلب ، وتسَلَّمها منه ، وأقام بها نائباً عن السلطان ، ثم لم يزل البزلي حتى استعادها منه ، وأخرجه منها هارباً واستولى عليها كما كان ، فاستناب الظاهر على مصر عزَّ الدين أَيْدَمَر الحلبى^(٣) ، وجعل تديير المملكة إلى الوزير بهاء الدين بن الحنَّا ، واستصحب ولده فخر الدين بن الحنَّا وزير الصحبة .

وجعل تديير العساكر والجيوش إلى الأمير بدر الدين يليلك الخازندار^(٤) ، ثم كان دخول السلطان صحبة الخليفة إلى دمشق فى يوم الاثنين سابع ذى القعدة ، وكان يوماً مشهوداً ، وصلياً الجمعة بجامع دمشق ، [٦٥/١٠] وكان دخول الخليفة من باب البريد ، ودخل السلطان من باب الزيادة^(٥) ، وكان يوماً مشهوداً

(١) كنز الدرر ٧٩/٨ ، وعقد الجمان ٣١٠/١ .

(٢) الطبلخاناه : طبول متعددة معها أبواق وزمر تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص تُدقُّ فى كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب وتكون صحبة الطلب فى الأسفار والحروب وهى من الآلات العامة لجميع الملوك . صبح الأعشى ٨/٤ .

(٣) فى م : « الحلبى » .

(٤) ذكره ابن العماد فى الشذرات ٥٦/٧ بوظيفة جاشنكير .

(٥) فى م : « الزيارة » .

أيضاً ، ثم جهّز السلطان الخليفة وأصحابه^(١) أولاد صاحب الموصل ، وأنفق عليه وعليهم وعلى من استقل معه من الجيش - الذين يزدون عنه ما لم يُقدّر الله - من الذهب^(٢) العَيْن ألف ألف دينار^(٣) ، وأطلق له وزاده ، فجزاه الله خيراً ، وقدم إليه صاحب حمص الملك الأشرف ، فخلع عليه ، وأطلق له ، وزاده تلّ باشير ، وقدم صاحب حماة المنصور ، فخلع عليه ، وأطلق له ، وكتب له تقليداً بيلاده ، ثم جهّز جيشاً ضخمة الأمير علاء الدين البندقداري إلى حلب لمحاربة البرلئ المتعلّب عليها المقسّد فيها ، وقد أقام البرلئ بحلب خليفة آخر لقّبه بالحاكم ، فلمّا اجتاز به المستنصر سار معه إلى العراق ، واتّفقا على المصلحة وإنفاذ الحاكم للمستنصر ؛ لكونه أكبر منه ، ولله الحمد . لكن خرج عليهما في آخر السنة طائفة من التّار ، ففرّقوا شملهما ، وقتلوا خلقاً ممن كان معهما ، وعُدم المستنصر ، وهرب الحاكم مع الأعراب . فإنّا لله وإنا إليه راجعون . وقد كان المستنصر هذا فتح بلداناً كثيرة في مسيره إلى العراق ، ولما قاتله بهادر على شحنة بغداد كسره المستنصر ، وقتل أكثر أصحابه ، ولكن خرج كمين من التّار ، فهرب الغزبان والأكراد الذين كانوا مع المستنصر ، وثبت هو في طائفة ممن كان معه من الترك ، فقتل كثير منهم أو أكثرهم ، وفقد هو من البيّن ، ونجا الحاكم في طائفة ، وكان هذا في أول المحرم من سنة ستين وستمائة ، رحمه الله وأكرم مثواه . وهذا هو الذي أشبه الحسين بن عليّ في توّغله في أرض العراق مع كثرة جنودها ، وكان الأولى لهذا أن يستقرّ في بلاد الإسلام حتى تتمهّد الأمور وتصفو الأحوال ، ولكن قدر الله وما شاء فعل .

(١) في م : « إلى بغداد ومعه » .

(٢ - ٣) سقط من : الأصل .

وجَهَّزَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ جَيْشًا آخَرَ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى بِلَادِ الْفِرْنَجِ ، فَأَغَارُوا وَقَتَلُوا ، وَسَبَّوْا وَرَجَعُوا سَالِمِينَ ، وَطَلَبَتْ الْفِرْنَجُ مِنَ السُّلْطَانِ الصَّلَاحَ ، فَصَالَحَهُمْ مَدَّةً لَأَسْتِغَالِهِ بِحَلَبَ وَأَعْمَالِهَا ، وَكَانَ قَدْ عَزَلَ فِي شَوَالٍ عَنْ قَضَائِ مِصْرَ وَحَدَّهَا تَاجُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ ابْنُ بَنِي الْأَعَزِّ ، وَوَلَّى عَلَيْهَا بُزْهَانَ الدِّينِ الْخَضِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ السَّنْجَارِيَّ ، وَعَزَلَ قَاضِي دِمَشْقَ نَجْمُ الدِّينِ أَبَا بَكْرٍ بْنَ صَدْرِ الدِّينِ أَحْمَدَ ابْنِ شَمْسِ الدِّينِ يَحْيَى بْنَ هَبَةِ اللَّهِ بْنِ سَنَى الدَّوْلَةِ ، وَوَلَّى قَاضِي الْقَضَايَةِ شَمْسُ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خَلْكَانَ ، وَقَدْ نَابَ فِي الْحُكْمِ بِالْقَاهِرَةِ مَدَّةً طَوِيلَةً عَنْ بَدْرِ الدِّينِ السَّنْجَارِيَّ ، فَأُضَافَ إِلَيْهِ مَعَ الْقَضَايَةِ نَظَرُ الْأَوْقَافِ وَالْجَامِعِ وَالْمَارَسْتَانِ وَتَدْرِيسَ سَبْعِ مَدَارِسَ ؛ الْعَادِلِيَّةِ وَالنَّاصِرِيَّةِ وَالْعِزْرَاوِيَّةِ وَالْفَلَكَيَّةِ وَالرُّكْنِيَّةِ وَالْإِقْبَالِيَّةِ وَالْبَهْنَسِيَّةِ ، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ يَوْمَ عَرَفَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ بِالشُّبَّانِكِ الْكَمَالِيِّ مِنَ جَامِعِ دِمَشْقَ ، وَسَافَرَ الْقَاضِي الْمَغْزُولُ مَرَسَّمًا عَلَيْهِ ، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ الشَّيْخُ أَبُو شَامَةَ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ خَانَ فِي وَدِيعَةٍ ذَهَبَ جَعَلَهَا فُلُوسًا^(١) ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَكَانَتْ مَدَّةُ وِلَايَتِهِ سَنَةً وَأَشْهُرًا ، وَفِي يَوْمِ الْعِيدِ يَوْمَ السَّبْتِ سَافَرَ السُّلْطَانُ بِالْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ رَاجِعًا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ قَدِيمٌ عَلَى السُّلْطَانِ بِدِمَشْقَ يَتَهَدَّدُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ إِقْطَاعَاتٍ كَثِيرَةً ، فَلَمْ يَزَلْ يُوقَعُ بَيْنَهُمْ حَتَّى اسْتَأْصَلَ شَأْقَتَهُمْ [٦٥ / ١٠ ظ] وَاسْتَوَلَى عَلَى بِلَادِهِمْ ، نَصَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَمَكَّنَ بِهِ فِي الْبِلَادِ ، وَنَصَرَ بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، آمِينَ .

وَفِيهَا فِي السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ عُجِلَ عَزَاءُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ

(١) انظر الذيل على الروضتين ص ٢١٤ .

صلاح الدين يوسف بن^(١) العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن^(٢) أيوب بن شادي فاتح بيت المقدس ، وكان عُمل هذا الغزاء بقلعة الجبل من الديار المصرية بأمر السلطان الملك الظاهر رُكن الدين بيبرس ، وذلك لما بلغهم أن هولاكو ملك التتار قتله ، وقد كان في قبضته^(٣) ، كما تقدم ذكره ، فلما بلغه كثره أصحابه بعين جالوت طلبه إلى بين يديه ، وقال له : أنت أُرسلت الجيوش إلى الديار المصرية حتى اقتتلوا مع المغول ، فكسروهم . ثم أمر بقتله ، ويقال : إنه اعتذر إليه ، وذكر أن المصريين كانوا أعداءه ، وبينه وبينهم شتآن وقتال ، فأقاله ولكنه انحطت رتبته عنده ، وقد كان مُكرِّمًا في خدمته ، وقد وعده أنه إذا ملك الديار المصرية استنابه في الشام ، فلما كانت وقعة حِصص في هذه السنة ، وقُتل فيها أصحاب هولاكو مع مُقدِّمهم بيذرة غضب وقال له : أصحابك من العزيزية أمراء أيبك والناصرية من أصحابك قتلوا أصحابنا . ثم أمر بقتله ، وقد ذكر أنه رماه بالثَّشَاب وهو واقف بين يديه ، وهو يسأل العفو ، فلم يفعل حتى قتله وقتل أخاه شقيقه الملك الظاهر عليًا ، وأطلق ولديهما العزيز محمد ابن الناصر وزباله بن الظاهر ، وكانا صغيرين من أحسن أشكال بني آدم ، فأما العزيز فإنه مات هنالك في أسر التتار ، وأما زباله فإنه صار إلى الديار المصرية ، فكان أحسن من بها ، وكانت أمه أم ولد يقال لها : وجه القمر . فتزوجها بعض الأمراء بعد أستاذها المذكور .

ويقال : إن هولاكو لما أراد قتل الناصر أمر بأربع من الشجر مُتباعدات ، فجمعت رءوسها بحبال ، ثم ربط الناصر في الأربع بأربعته ، ثم أطلقت الحبال ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) بعده في م : « منذ مدة » .

فَرَجَعَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ إِلَى مَرْكَزِهَا بَعْضُهُمْ مِنْ أَعْضَاءِ النَّاصِرِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ ذَلِكَ كَانَ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَالٍ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ، وَكَانَ مَوْلَدُهُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ بِحَلَبَ ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُوهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ بُويعَ بِالسُّلْطَانَةِ بِحَلَبَ ، وَعَمَرَهُ سَبْعُ سِنِينَ ، وَقَامَ بِتَذْيِيرِ مَمْلَكَتِهِ جَمَاعَةً مِنْ مَمَالِكِ أَبِيهِ الْعَزِيزِ ، وَكَانَ الْأَمْرُ كُلُّهُ عَنْ رَأْيِ جَدَّتِهِ أُمِّ أَبِيهِ صِبْغَةَ خَاتُونِ بِنْتِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتْمِائَةِ اسْتَقَلَّ النَّاصِرُ بِالْمَلِكِ ، وَكَانَ جَيِّدَ السَّيْرِ فِي الرِّعَايَا مُحِبِّبًا إِلَيْهِمْ ، كَثِيرَ النِّفَقَاتِ ، وَلَا سِيَّمَا لَمَّا مَلَكَ دِمَشْقَ مَعَ حَلَبَ وَأَعْمَالِهَا وَبَغْلَبَكْ وَحَرَآنَ وَطَائِفَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ ، فَيَقَالُ : إِنْ سِمَاطَهُ كَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ رَأْسِ غَنَمٍ سِوَى الدَّجَاجِ وَالْإِوَزِّ وَأَنْوَاعِ الطَّيْرِ مَطْبُوحًا بِأَنْوَاعِ الْأَطْعَمَةِ وَالْقُلُوبَاتِ ، وَكَانَ مَجْمُوعُ مَا يَغْرُمُ عَلَى السِّمَاطِ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِشْرِينَ أَلْفًا ، وَعَامَّتُهُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ كَمَا هُوَ كَائِنُهُ لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَيُبَاعُ عَلَى بَابِ الْقَلْعَةِ بِأَرْخَصِ الْأَثْمَانِ حَتَّى إِنْ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ لَا يَطْبُخُونَ فِي بُيُوتِهِمْ شَيْئًا مِنَ الطَّرَفِ وَالْأَطْعَمَةِ بَلْ يَشْتَرُونَ ذَلِكَ بِرُخْصٍ ، وَكَانَتِ الْأَرْزَاقُ كَثِيرَةً دَارَةً فِي زَمَانِهِ وَأَيَّامِهِ ، وَقَدْ كَانَ خَلِيلًا ظَرِيفًا حَسَنَ الشَّكْلِ ، أَدِيبًا يَقُولُ الشَّعْرَ الْمُتَوَسِّطَ ، الْقَوِيُّ بِالنَّسَبَةِ إِلَيْهِ [١٠/١٦٦٩] وَقَدْ أُوْرِدَ لَهُ الشَّيْخُ قُطْبُ الدِّينِ فِي « الذَّلِيلِ » قِطْعَةً صَالِحَةً مِنْ شَعْرِهِ ، وَهِيَ رَائِقَةٌ لَائِقَةٌ ، قُتِلَ بِبِلَادِ الْمَشْرِقِ ، وَدُفِنَ هُنَالِكَ وَقَدْ كَانَ أَعَدَّ لَهُ تَرْبَةً بِرِبَاطِهِ الَّذِي بَنَاهُ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ ، فَلَمْ يَقْدَرْ دَفْنُهُ بِهَا ، وَالنَّاصِرِيَّةُ الْبَرَّانِيَّةُ بِالسَّفْحِ مِنْ أَغْرَبِ الْأَبْنِيَةِ وَأَحْسَنِهَا بِنْيَانًا مِنَ الْمَوْكِدِ الْمُحْكَمِ قَبْلَى جَامِعِ الْأَفْرَمِ ، وَقَدْ بُنِيَ بَعْدَهَا بِمَدَّةٍ طَوِيلَةٍ وَكَذَلِكَ النَّاصِرِيَّةُ الْجَوَانِيَّةُ الَّتِي بَنَاهَا دَاخِلَ بَابِ الْفَرَادِيسِ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ الْمَدَارِسِ ، وَبَنَى الْخَانَ الْكَبِيرَ تُجَاهَ الزَّرْجَارِيِّ وَحُوِّلَتْ إِلَيْهِ دَارُ الطَّعْمِ ، وَقَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ غَرِيًّا

القلعة في إصطَبِلِ السلطانِ اليومَ . رحمه اللهُ .
وهذا كلُّ ما بَلَّغْنَا مِنْ وقائعِ هذه السنةِ مُلَخَّصًا .

ثم دَخَلَتْ سنة ستين وستمائة^(١)

فى أوائل هذه السنة فى ثالث المحرم قُتِلَ الخليفةُ المُستَنصِرُ بالله الذى بُويع له فى رجب فى السنة الماضية بمصر، وكان قَتْلُهُ بأرض العراق، كما ذكرنا بعد ما هُزِمَ مَنْ كان معه من الجنود والجيش، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، واستَقَلَّ المَلِكُ الظاهرُ بجميع الشام^(٢) ومصر^(٣)، وصَفَتْ له الأمور، ولم يَتَقَ له مُنازِعٌ سوى البُزْلُجِ^(٤)، فإنه^(٥) قد استحوذ على البيرة^(٦)، وعصى عليه هنالك.

وفى اليوم الثالث من المحرم من هذه السنة خَلَعَ السلطانُ الملكُ الظاهرُ ببلاد مصرَ على جميعِ الأمراءِ والحاشيةِ وعلى الوزيرِ والقاضى تاج الدين^(٧) ابنِ بنتِ الأعرز^(٨)، وعزَلَ عنها بُزْهانَ الدينَ السنجارى.

وفى أواخر^(٩) المحرم أعرَسَ الأميرُ بدرُ الدينِ بيليك الخزندارُ على بنتِ الأميرِ لؤلؤ صاحبِ الموصلِ، واحتفلَ الظاهرُ بهذا العرسِ احتفالاً بالغا.

(١) الذيل على الروضتين ص ٢١٦ - ٢٢١، وذيل مرآة الزمان ٤٨٣/١ - ٥٢٩، ١٥١/٢ - ١٨٦، ونهاية الأرب ٥٣/٣٠ - ٧٧، وكنز الدرر ٨٦/٨ - ٩٣، والعبير ٢٥٨/٥ - ٢٦٢، وعقد الجمان ١/٣٢٧ - ٣٤٤.

(٢ - ٣) سقط من: الأصل.

(٣) فى م: «التركى».

(٤ - ٥) فى م: «فإنه ذهب إلى المنيرة فاستحوذ عليها».

(٥ - ٦) ليست فى: الأصل.

(٦) فى الأصل: «أوائل». وانظر نهاية الأرب ٥٣/٣٠.

قال ابنُ خَلْكَانَ^(١) : وفي هذه السَّنةِ اضْطادَ بعضُ أمراءِ الظَّاهِرِ بِجَزُودَ^(٢) حِمَارَ وَحْشٍ ، فَطَبِخُوهُ فَلَمْ يَنْضَجْ وَلَا أَثَّرَ فِيهِ كَثْرَةُ الْوَقُودِ ، ثُمَّ افْتَقَدُوا أَمْرَهُ^(٣) ، فَإِذَا هُوَ مُوسُومٌ عَلَى أَذْنِهِ : بَهْرَامُ جُور . قَالَ : وَقَدْ أَحْضَرُوهُ إِلَيَّ ، فَقَرَأْتُهُ كَذَلِكَ ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ لِهَذَا الْحِمَارِ قَرِيبًا مِنْ ثَمَانِمِائَةِ سَنَةٍ ، فَإِنَّ بَهْرَامَ جُورَ كَانَ قَبْلَ الْمُبْعَثِ بِمَدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ ، وَحُمُرُ الْوَحْشِ تَعِيشُ ذَهْرًا طَوِيلًا .

قُلْتُ : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا بَهْرَامُ شَاهِ الْمَلِكِ الْأَمْجَدِ^(٤) ، إِذْ يَتَعَدُّ بَقَاءُ مِثْلِ هَذَا بِلَا اضْطِيَادٍ هَذِهِ الْمَدَّةَ الطَّوِيلَةَ ، وَيَكُونُ الْكَاتِبُ قَدْ أَخْطَأَ ، فَأَرَادَ كِتَابَةَ : بَهْرَامُ شَاهِ . فَكَتَبَ بَهْرَامُ جُورَ ، فَحَصَلَ اللَّئِيسُ مِنْ هَذَا^(٥) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ذَكَرَ بَيْعَةَ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْعَبَّاسِيَّ

فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ دَخَلَ الْخَلِيفَةُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ الْأَمِيرِ أَبِي عَلِيٍّ الْقُسَيْبِيِّ بْنِ الْأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ الْأَمِيرِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْإِمَامِ الْمُشْتَرِشِدِ بِاللَّهِ بْنِ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ مِنْ بِلَادِ الشَّرْقِ ، وَصُحْبَتُهُ

(١) وفيات الأعيان ٦/ ٣٥٤ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لِرُود » ، وَفِي م : « بِحُدُودِ حِمَاة » . وَالمُثَبَّتُ مِنْ وفيات الأعيان . وَجُرُودُ : قَرِيبَةٌ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ مِنْ جِهَةِ حِمَصٍ . انْظُرِ الْمَصْدَرَ السَّابِقَ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ١/ ٣٣٤ .

(٣) فِي م : « جِلْدُهُ » .

(٤) وَهُوَ الْمَلِكُ الْأَمْجَدُ مَجْدُ الدِّينِ أَبُو الْمَظْفَرِ بِهْرَامُ شَاهِ ابْنُ نَائِبِ دِمَشْقَ وَفُوحْشَاهُ ، الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسِتْمِائَةَ . انْظُرِ سِيرَ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٢٢/ ٣٣٠ .

(٥) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ : « هَذَا بَعِيدٌ جِدًّا » . قَالَ الْبَدْرُ الْعَيْنِيُّ فِي عَقْدِ الْجَمَانِ ١/ ٣٣٥ : قُلْتُ : كَلَامُ ابْنِ كَثِيرٍ بَعِيدٌ فَأَيْشُ يَحْتَاجُ إِلَى هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ الْبَعِيدَةِ ، وَلَا ضَرُورَةَ إِلَيْهَا ، فَإِنَّ عَيْشَ الْحِمْرِ الْوَحْشِيَّةِ هَذِهِ الْمَدَّةَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، وَعَدَمُ وَقْعِهَا فِي الصَّيْدِ غَيْرَ بَعِيدٍ ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَوَاسِمَ الَّتِي يَسْمُونُ بِهَا آذَانَ الْحَيَوَانَ بِأَسْمَاءِ الْمُلُوكِ مُقَرَّرَةٌ عَنْدهُمْ مَكْتُوبَةٌ صَحِيحَةٌ حَتَّى لَا يَقَعَ الشَّكُّ فِيهِ ، فَكَيْفَ يَلْتَبِسُ بِهْرَامُ شَاهِ بِبَهْرَامِ جُورٍ ؟

جماعةً من رُعوس تلك البلاد، وقد شهد الواقعة صُحبة المُستَصر، وهرب هو في جماعةٍ من المعركة فسليم، فلما كان يوم دُخوله تلقاه السلطان الملك الظاهر، وأظهر الشُّرور والاحتفال، وأنزله في البُرج الكبير من قلعة الجبل، وأجرى عليه الأرزاق الدائرة والإحسان.

وفي ربيع الآخر^(١) عزَل الملك الظاهر الأمير جمال الدين آقوش النجيب عن أستاذداريته، واشتبدل به غيره، وبعد ذلك أرسله نائباً على الشام كما سيأتي.

وفي يوم الثلاثاء^(٢) تاسع رجب حضر السلطان الظاهر إلى دار العدل في محاكمة في بئر إلى^(٣) بين يدي القاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، فقام الناس إلا القاضي، فإنه أشار عليه أن لا يقوم، وتداعيا، وكان الحق مع السلطان، وله بيّنة عادلة، فانثرت البئر من يد الغريم، وكان أحد الأمراء.

وفي شوال^(٤) استتاب السلطان الملك الظاهر على حلب الأمير علاء الدين أيديكين الشهابي، وحينئذ [٦٦/١٠ ط] انحاز عسكرُ سويس على القوعة^(٥) من أرض حلب، فركب إليهم الشهابي، فكسّرهم وأسر منهم جماعة، فسيرهم إلى مصر فوسطوا^(٦).

(١) انظر ذيل مرآة الزمان ١٥٣/٢.

(٢) انظر المصدر السابق ٤٨٨/١، ١٥٣/٢.

(٣ - ٣) في م: «بيت».

(٤) ذيل مرآة الزمان ١٥٥/٢، وكنز الدرر ٩٠/٨.

(٥) في الأصل: «القرعة»، وفي م: «القلعة». والمثبت من المصدرين السابقين. وانظر معجم البلدان ٩٢٣/٣.

(٦) في م: «فقتلوا»، وهما بمعنى. وانظر الوسيط (و س ط).

وفيها^(١) اشتتاب السلطان على دمشق الأمير جمال الدين آقوش النجيبى ،
وكان من أكابر الأمراء ، وعزل عنها علاء الدين طيئرس الوزيرى ، وحمل إلى
القاهرة .

وفى ذى القعدة^(٢) خرج مرسوم السلطان إلى القاضى تاج الدين ابن بنت
الأعز أن يستنصب من كل مذهب من المذاهب الثلاثة نائبا ، فاستتاب صدر الدين
سليمان الحنفى ، والشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ العماد الحنبلى ، وشرف
الدين عمر الشبكى المالكى .

وفى ذى الحجة^(٣) قدمت وفود كثيرة من التتار على الملك الظاهر مستأمنين ،
فأكرمهم وأحسن إليهم ، وأقطعهم إقطاعات حسنة ، وكذلك فعل بأولاد
صاحب الموصل ، ورتب لإخوانهم رواتب كافية .

وفى هذه السنة^(٤) أرسل هولاكو طائفة من جنده نحوًا من عشرة آلاف ،
فحاصروا الموصل ، ونصبوا عليها أربعة وعشرين منجنيقا ، وضاعت بهم
الأقوات .

وفيها^(٥) أرسل الملك الصالح إسماعيل بن لؤلؤ إلى البزلى^(٦) يستنجده ، فقدم
إليه ، فهزمت التتار ، ثم ثبتوا فالتقوا معه ، وإنما كان معه تسعمائة^(٧) مقاتل ،
فهزموه وجرحوه ، وعاد إلى البصرة ، وفارقه أكثر أصحابه إلى الديار المصرية ، ثم

(١) انظر ذيل مرآة الزمان ١٥٥/٢ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ونهاية الأرب ٦٥/٣٠ .

(٣) انظر ذيل مرآة الزمان ١٥٦/٢ .

(٤) ذيل مرآة الزمان ١٥٦/٢ ، ١٥٧ ، وكنز الدرر ٨٨/٨ .

(٥) فى م : « التركى » .

(٦) فى م : « سبعمائة » .

دَخَلَ هُوَ إِلَى بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، فَأَنْعَمَ عَلَيْهِ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَأَقْطَعَهُ تَسْعِينَ^(١) فَارْسًا ، وَأَمَّا التَّتَارُ فَإِنَّهُمْ عَادُوا إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَلَمْ يَزَالُوا حَتَّى اسْتَنْزَلُوا صَاحِبَهَا الْمَلِكَ الصَّالِحَ إِلَيْهِمْ ، وَنَادَوْا فِي الْبَلَدِ بِالْأَمَانِ حَتَّى أَطْمَأَنَّ النَّاسُ ، ثُمَّ مَالُوا عَلَيْهِمْ ، فَقَتَلُوهُمْ تِسْعَةَ أَيَّامٍ ، وَقَتَلُوا الْمَلِكَ الصَّالِحَ إِسْمَاعِيلَ وَوَلَدَهُ عَلَاءَ الدِّينِ ، وَخَرَّبُوا أَسْوَارَ الْبَلَدِ ، وَتَرَكَوْهَا بِلَاقِعَ ، ثُمَّ كَثُرُوا رَاجِعِينَ ، فَبَجَحَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ .

وَفِيهَا^(٢) وَقَعَ الْخُلْفُ بَيْنَ هَوْلَاكُو بَيْنَ السُّلْطَانِ بَرَكَةَ ابْنِ عَمِّهِ ، وَأُرْسِلَ إِلَيْهِ بَرَكَةٌ يَطْلُبُ مِنْهُ نَصِيحًا مِمَّا فَتَحَهُ مِنَ الْبِلَادِ^(٣) ، عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُمْ ، فَقَتَلَ رِسْلَهُ ، فَاشْتَدَّ غَضَبُ بَرَكَةَ ، وَكَاتَبَ الظَّاهِرَ لِيَتَّفِقَا عَلَى هَوْلَاكُو .

وَفِيهَا^(٤) وَقَعَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِالشَّامِ ، فَأُيِّعَ الْقَمْحُ الْغِرَارَةُ بِأَرْبَعِمِائَةٍ^(٥) وَخَمْسِينَ^(٥) ، وَالشَّعِيرُ بِمِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ ، وَاللَّحْمُ الرُّطْلُ بِسِتَةٍ^(٦) وَبِسَبْعَةٍ^(٦) ، فَبَالِلَهُ الْمُسْتَعَانُ .

وَحَصَلَ فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ^(٧) خَوْفٌ شَدِيدٌ مِنَ التَّتَارِ ، فَتَجَهَّزَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَأُيِّعَتِ الْغَلَاءُ^(٨) حَتَّى حَوَاصِلُ الْقَلْعَةِ وَالْأَمْوَالِ^(٩) ،

(١) فِي م وَكَنْزُ الدَّرَرِ : « سَبْعِينَ » .

(٢) ذِيلُ مَرَأَةِ الزَّمَانِ ١٦١/٢ ، ١٦٢ .

(٣) بَعْدَهُ فِي م : « وَأَخَذَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَسْرَارِ » .

(٤) ذِيلُ مَرَأَةِ الزَّمَانِ ١٦٢/٢ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٦٦/٣٠ ، وَكَنْزُ الدَّرَرِ ٨٨/٨ .

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ ، م . وَالثَّبْتُ مِنْ ذِيلِ مَرَأَةِ الزَّمَانِ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ .

(٦ - ٦) فِي م : « أَوْ سَبْعَةٍ » . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الَّتِي أُيِّعَتْ تَقْدِيرُهَا بِالْدَّرْهَمِ كَمَا فِي ذِيلِ الْمَرَأَةِ .

(٧) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٨) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ : « حَتَّى الْأَهْرَاءِ » . وَالْأَهْرَاءُ جَمْعُ هُزَى : بَيْتٌ كَبِيرٌ ضَخْمٌ يَجْمَعُ فِيهِ طَعَامُ الْبَيْزِ

وَنَحْوُهُ لِيُوزَعَهُ السُّلْطَانُ . الْوَسِيطُ (ه ر ي) .

(٩) فِي الْأَصْلِ : « وَتَهَيَّئُوا لِلْهَرَبِ مِنَ الشَّامِ » .

ورسم ولاية الأمور على من له قدرة أن يسافر من دمشق إلى مصر، ووقعت
الرجفة في الشام وفي بلاد الروم أيضًا، ويقال: إنه حصل لبلاد الشر خوف شديد
أيضًا، فسبحان الفعّال لما يُريد، الذي بيده الأمر. وكان الأمير لأهل دمشق
بالتحوّل منها إلى مصر نائبها الأمير علاء^(١) الدين طيئزس الوزيرى، فأرسل
السلطان إليه في ذى القعدة، فأمنسكه وعزله واستناب عليها^(٢) جمال الدين
أقوش^(٣) النجيبى، واستوزر بدمشق عز الدين بن وداعة.

وفى هذه السنة^(٤) نزل القاضى شمس الدين بن خلّكان عن تدريس الركنية
للشيخ شهاب الدين أبى شامة، وحضر عنده حين درّس، وأخذ فى أول
«مختصر المزنى»، أثابه الله تعالى.

وفىها تُوفى من الأعيان:

الخليفة المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله العباسى^(٥) الذى بايعه الظاهر
بمصر فى رجب من السنة الماضية، كما ذكرنا، وكان قتله فى ثالث المحرم من
هذه السنة، وكان شهماً شجاعاً، [٦٧/١٠] بطلاً فاتكاً، وقد كان السلطان
الظاهر أنفق عليه حتى أقام له جيشاً بألف ألف دينار وأزيد، وسار فى خدمته
خلق من أكابر الأمراء وأولاد أصحاب الموصل، وكان الملك الصالح
إسماعيل من الوفد الذين قديموا على الظاهر، فأرسله ضحبة الخليفة، فلما كانت

(١) فى الأصل: «علم». وانظر المنهل الصافى ٣٥/٧.

(٢ - ٣) فى الأصل: «بهاء»، وفى م: «بهاء الدين». والمثبت من المصدر السابق ٢٤/٣.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢١٦، وعقد الجمان ١/٣٣٥.

(٤) ذيل مرآة الزمان ١٦٣/٢، والوفاء بالوفيات ٣٨٤/٧ - ٣٨٦، وعقد الجمان ١/٣٢٨، والمنهل

الشافى ٧٢/٢ - ٧٨.

الوقعة فُقِدَ المُسْتَنْصِرُ، وَرَجَعَ الصَّالِحُ إِلَى بِلَادِهِ، فَجَاءَتْهُ النَّتَارُ، فَحَاصَرُوهُ كَمَا ذَكَرْنَا، وَقَتَلُوهُ وَخَرَّبُوا بِلَادَهُ، وَقَتَلُوا أَهْلَهَا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

العَزُّ الضَّرِيرُ النَحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ ^(١) وَاسْمُهُ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ نَجَّاءٍ، مِنْ أَهْلِ نَصِيبِينَ، وَنَشَأَ بِإِزْبِلَ، فَاسْتَعَلَّ بِعُلُومٍ كَثِيرَةٍ مِنْ عُلُومِ الْأَوَائِلِ، وَكَانَ يَشْتَغِلُ عَلَيْهِ أَهْلُ الدِّمَّةِ وَغَيْرُهُمْ، وَنُسِبَ إِلَى الْأَنْجَلَالِ وَقَلَّةِ الدِّينِ، وَتَرَكِ الصَّلَوَاتِ، وَكَانَ ذَكِيًّا، وَلَيْسَ بِزَكِيِّ ^(٢) عَالَمِ اللِّسَانِ، جَاهِلِ الْقَلْبِ، ذَكِيَّ الْقَوْلِ، خَبِيثُ الْفَعْلِ ^(٣)، وَلَهُ شَعْرٌ جَيِّدٌ رَاقٍ أَوْزَدَ مِنْهُ الشَّيْخُ قُطُبُ الدِّينِ قُطْعَةً فِي تَرْجُمَتِهِ، وَهُوَ الضَّرِيرُ شُبَّيَّةُ بَأْيِ الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيِّ، قَبَّحَهُمَا اللَّهُ.

ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُهَذَّبِ، الشَّيْخُ عَزُّ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ السَّلْمِيُّ الدَّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ، شَيْخُ الْمَذْهَبِ وَمُفِيدُ أَهْلِهِ، وَصَاحِبُ مُصَنَّفَاتٍ حَسَنَةٍ؛ مِنْهَا «التَّفْسِيرُ»، وَ«اِخْتِصَارُ النِّهَايَةِ»، وَ«الْقَوَاعِدُ الْكُبْرَى» وَ«الصُّغْرَى»، وَ«كِتَابُ الصَّلَاةِ» وَ«الْفَتَاوَى الْمُؤَصِّلِيَّةُ» وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَلِدَ سَنَةَ سَبْعٍ أَوْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَسَمِعَ كَثِيرًا، وَاسْتَعَلَّ عَلَى فَخْرِ الدِّينِ بْنِ عَسَاكِرَ وَغَيْرِهِ، وَبَرَعَ فِي الْمَذْهَبِ، وَعُلُومٍ كَثِيرَةٍ، وَأَفَادَ الطَّلِبَةَ، وَدَرَّسَ بَعْدَهُ مَدَارِسَ بِدَمَشَقَ، وَوَلَّى خَطَابَتَهَا، ثُمَّ انْتَقَلَ عَنْهَا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَدَرَّسَ بِهَا، وَخَطَبَ وَحَكَمَ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الْمَذْهَبِ،

(١) الذيل على الروضتين ص ٢١٦، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٠١، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٥٣، وفوات الوفيات ١/ ٣٦٢، وبغية الوعاة ١/ ٥١٨، وشذرات الذهب ٥/ ٣٠١.

(٢ - ٢) ليست في: الأصل.

(٣) سقط من: م. وانظر ترجمته في: الذيل على الروضتين ص ٢١٦، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٠٥، ونهاية الأرب ٣٠/ ٦٦، والعبر ٥/ ٢٦٠، والوافي بالوفيات ١٨/ ٥٢٠، وفوات الوفيات ٢/ ٣٥٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٢٠٩، وعقد الجمان ١/ ٣٣٨، وطبقات المفسرين ١/ ٣٠٨.

وَقَصِدَ بِالْفَتَاوَى مِنَ الْآفَاقِ ، وَكَانَ لَطِيفًا ظَرِيفًا يَسْتَشْهِدُ بِالْأَشْعَارِ ، وَقَدْ كَانَ خُرُوجُهُ مِنَ الشَّامِ بِسَبَبِ مَا كَانَ أَنْكَرَهُ عَلَى الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ تَشْلِيمِهِ^(١) صَفَدَ وَالشَّقِيفَ^(٢) إِلَى الْفَرَنْجِ ، وَوَافَقَهُ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْحَاجِبِ الْمَالِكِيُّ ، فَأَخْرَجَهُمَا مِنْ بَلَدِهِ ، فَسَارَ أَبُو عَمْرٍو إِلَى النَّاصِرِ دَاوُدَ صَاحِبِ الْكَرْكِ فَأَكْرَمَهُ ، وَسَارَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ بْنِ الْكَامِلِ صَاحِبِ مِصْرَ ، فَأَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ وَوَلَّاهُ قَضَاءَ مِصْرَ وَخُطَابَةَ الْجَامِعِ الْعَتِيقِ^(٣) ، ثُمَّ انْتَزَعَهُمَا مِنْهُ ، وَأَقَرَّهُ عَلَى تَدْرِيسِ الصَّالِحِيَّةِ^(٤) ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بِهَا لِلْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ ابْنِ بَنِي الْأَعْزَ ، وَتُوُفِّيَ فِي عَاشِرِ جُمَادَى الْأُولَى ، وَقَدْ نَيْفَ عَلَى الثَّمَانِينَ ، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ السُّلْطَانُ الظَّاهِرُ وَخَلَقَ كَثِيرٌ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

كَمَالُ الدِّينِ بْنِ الْعَدِيمِ الْحَنْفِيُّ^(٥) : عَمْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ زُهَيْرِ بْنِ هَارُونَ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ^(٥) عَامِرِ بْنِ رِبْعَةَ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلِ الْحَلَبِيِّ الْحَنْفِيِّ ، كَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْعَدِيمِ ، الْأَمِيرُ الْوَزِيرُ الرَّئِيسُ الْكَبِيرُ ، وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَحَدَّثَ وَتَفَقَّهَ وَأَفْتَى وَدَرَّسَ وَصَنَّفَ ، وَكَانَ إِمَامًا فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ ، وَقَدْ تَرَسَّلَ إِلَى الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ مِرَازًا عَدِيدَةً ، وَكَانَ يَكْتُبُ حَسَنًا طَرِيقَةً مَشْهُورَةً ، وَصَنَّفَ لِحَلَبَ تَارِيخًا مُفِيدًا يَقْرُبُ

(١ - ١) فِي م : « صَغَدَ وَالثَّقِيفَ » . وَصَفَدَ : مَدِينَةٌ فِي جِبَالِ عَامِلَةِ الْمُطَّلَةِ عَلَى حِمصَ بِالشَّامِ وَهِيَ مِنْ جِبَالِ لُبْنَانَ . وَالشَّقِيفُ : قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ جَدًّا فِي كَهْفٍ مِنَ الْجِبَالِ قَرِبَ بَانِيَّاسَ مِنْ أَرْضِ دِمَشْقَ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٣/ ٣٩٩ ، ٣٠٩ .

(٢) الْجَامِعُ الْعَتِيقُ : جَامِعُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ . انْظُرْ طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسَبْكِيِّ ٨/ ٢١٠ .

(٣) الْمَعْرُوفَةُ بَيْنَ الْقَصْرِيِّينَ بِالْقَاهِرَةِ . انْظُرْ الْمَصْدَرُ السَّابِقُ .

(٤) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ٢١٧ ، وَذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ١/ ٥١٠ ، ٢/ ١٧٧ ، وَالْعَبَرُ ٥/ ٢٦١ ، وَفَوَاتُ الْوَفِيَّاتِ ٣/ ١٢٦ - وَفِيهِ أَنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ - وَعَقْدُ الْجَمَانِ ١/ ٣٣٩ .

(٥) بَعْدَهُ فِي ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ : « ابْنُ » .

من أربعين مجلدًا، وكان جيدَ المعرفة [٦٧/١٠ ظ] بالحديث، حسنَ الظَّنِّ بالفُقراءِ والصالحين، كثيرَ الإحسانِ إليهم، وقد أقام بدمشقَ في الدولةِ الناصريةِ المتأخرةِ، وكانت وفاته بمصرَ، ودُفِنَ بسفحِ المُقَطَّمِ بعدَ الشيخِ عزِّ الدين بعشرةِ أيامٍ، وقد أُوْردَ له قُطْبُ الدين أشعارًا حسنةً^(١).

يوسفُ بنُ يوسفَ^(٢) بنِ يوسفَ^(٣) بنِ سلامةَ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ إبراهيمَ بنِ موسى بنِ جعفرِ بنِ سليمانَ بنِ محمدِ القاقانيِّ الزَّينبيِّ بنِ إبراهيمَ ابنِ محمدِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسِ بنِ عبدِ المطلبِ، مُحَيِّى الدين أبو المعزِّ، ويقالُ: أبو الحَاسِنِ. الهاشميُّ العباسيُّ الموصليُّ، المعروفُ بابنِ زبلاقِ الشاعرِ، قَتَلَتْهُ التُّتَارُ لما أخذوا الموصلَ في هذه السَّنةِ عن سبعٍ وخمسينَ سنةً، ومن شعره قوله :

بَعَثَتْ لَنَا مِنْ سِخْرِ مُقَلَّتِكَ الْوَشْنَى سُهَادًا يَذُودُ الْجَفْنَ^(٣) أَنْ يَأْلَفَ الْجَفْنَا
وَأُبْصَرَ جِسْمِي حُسْنِ خَضْرِكَ نَاجِلًا فَحَاكَاهُ لَكِنْ زَادَ فِي دَقَّةِ الْمَغْنَى
وَأَبْزَزَتْ وَجْهَهَا أَخْجَلَ الصَّبِيحَ طَالِعًا وَمِلَتْ بِقَدِّ عِلْمِ الْهَيْئَةِ الْغَصْنَا^(٤)
حَكِيَّتْ أَخَاكَ الْبَدْرَ لَيْلَةً تِمُّهُ سَنَا وَسَنَاءَ إِذْ تَشَابَهْتُمَا سَنَا

وقال أيضًا، وقد دُعِيَ إلى موضعٍ، فبعثَ يَعْتَذِرُ بهذين البيتين :

(١) ذيل مرآة الزمان ٥١١/١، ١٧٩/٢.

(٢ - ٢) سقط من : م. وانظر ترجمته في : ذيل مرآة الزمان ٥١٣/١، ١٨١/٢، والعبر ٢٦٢/٥، وفوات الوفيات ٣٨٤/٤، والسلوك ٤٧٦/١ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ٣٤٢/١، وشذرات الذهب ٣٠٤/٥.

(٣) في م : « الكرى ».

(٤) في م : « الغصن اللدنا ».

أنا فى منزلى وقد وهب الـ لهُ نَدِيمًا وَقَيْنَةً وَعُقَارًا
فابسطوا العذر فى التأخير عنكم شَغَلَ الحَلَى أهله أن يُعاراً^(١)

قال أبو شامة^(٢) : وفيها فى ثانى عشر جمادى الآخرة تُوفى :

البدر المِزَاجِيّ الخِلافِيّ المعروف بالطويل، وكان قليل الدين، تاركًا
للصلاة، مُغْتَبِطًا بما كان فيه من معرفة الجدَل والخِلافِ على اصطلاح
التأخرين،^(٣) رَحِمَنَا اللَّهُ تعالى وجميع المسلمين^(٤).

وفيها تُوفى محمد بن داود بن ياقوت الصارمى^(٥) المُحدِّث، كَتَبَ كثيرًا؛
الطَّبِيقَاتِ وغيرها، وكان دَيِّنًا خَيْرًا، يُعِيرُ كُتُبَهُ، وَيُدَاوِمُ على الاشتغال بِسَمَاعِ
الحديث، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

(١) هذا البيت ينسب إلى فضيل الأعرج، وإلى العباس بن الأحنف. انظر التمثيل والمحاضرة ص ٨٢،
ومعجم الأدباء ٢٨١/٢ (ترجمة جحظة البرمكى).

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢١٧.

(٣ - ٣) فى م: «راضيًا بما لا يفيد».

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢١٧، وذيل مرآة الزمان ١٧٩/٢، وعقد الجمان ٣٤٣/١.

ثم دَخَلَتْ سنةٌ إحدى وستين وستُمائة

استَهَلَّتْ^(١) وسلطانُ الدِّيارِ المصريَّةِ والبلادِ الشَّاميَّةِ المَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرْسُ
البُنْدُقْدَارِيُّ ، ونائبه على الشامِ جمالُ الدينِ آقوشُ النُّجَيْيُّ ، وقاضيه شمسُ الدينِ
ابنُ خَلْكَانَ ، والوزيرُ بها عِزُّ الدينِ بنُ وَدَاعَةَ ، وليس للنَّاسِ خَلِيفَةٌ ، وإنما تُضْرَبُ
السَّكَّةُ بِاسْمِ المُسْتَنصِرِ الذي قُتِلَ في السَّنةِ الماضيَّةِ .

ذَكَرَ خِلافةَ الحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي العباسِ أَحْمَدَ بنِ الأَمِيرِ
أَبِي عَلِيٍّ القُبَيْيِّ بنِ الأَمِيرِ عَلِيِّ بنِ الأَمِيرِ أَبِي بَكْرٍ بنِ الإمامِ
المُسْتَرْشِدِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي مَنْصُورِ الفَضْلِ بنِ الإمامِ
المُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ أَبِي العباسِ أَحْمَدَ العباسيِّ الهاشميِّ .

فلما كان يومُ الخُميسِ^(٢) ثانيَ المحرمِ^(٣) ، جَلَسَ السلطانُ المَلِكُ الظَّاهِرُ^(٤) رُكْنَ
الدينِ بَيْبَرْسُ وأمرأؤه وأهلُ الحَلِّ والعقدِ^(٥) في الإيوانِ الكبيرِ بقلعةِ الجبلِ ، وجاء

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، وذيل مرآة الزمان ٥٣٠/١ - ٥٥٠ ، ١٨٦/٢ - ٢٢٩ ،

ونهاية الأرب ٧٩/٣٠ - ٩٠ .

(٢ - ٢) في ذيل مرآة الزمان ٥٣٠/١ : «تاسع المحرم» .

(٣ - ٣) في م : «والأمراء» .

الخليفة الحاكم بأمر الله راكباً حتى نزل عند الإيوان ، وقد بُسِطَ له إلى جانب السلطان ، وذلك بعد ثبوت نسيه ، فقرأ نسيه على الناس ، ثم أقبل عليه الملك الظاهر يبرز ، فبايعه وبايعه الناس بعده ، وكان يوماً مشهوداً .

فلما كان يوم الجمعة ثانيه خطب الخليفة بالناس ، فقال في خطبته ^(١) : الحمد لله الذي أقام لآل العباس ركنًا ظهيرًا ، وجعل لهم من لدنه سلطانًا نصيرًا ، أحمده على السراء والضراء ، وأستعينه على شكر ما أسبغ [٦٨/١٠] من النعماء ، وأستنصره على دفع الأعداء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه نجوم الهدى ، وأئمة الاقتداء الأربعة ، وعلى العباس عمه وكاشف غمه أبي السادة الخلفاء ^(٢) الراشدين وأئمة المهديين ^(٣) ، وعلى بقية الصحابة أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، أيها الناس ، اعلموا أن الإمامة فرض من فروض الإسلام ، والجهاد محتوم على جميع الأنام ، ولا يقوم علم الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد ، ولا سبب الحرّم إلا بانتهاك المحارم ، ولا شفيكت الدماء إلا بازتكاب الجرائم ، فلو شاهدتم أعداء الإسلام لما دخلوا دار السلام ، واشتباحوا الدماء والأموال ، وقتلوا الرجال والأطفال ^(٤) ، وهتكوا حرّم الخلافة والحرّم ، وأذاقوا من استبقوا العذاب الأليم ، فارتفعت الأصوات بالبكاء والويل ^(٥) ، وعلت الضججات من هؤل ذلك اليوم الطويل ، فكم من شيخ خضبت شيبته

(١) ذيل مرآة الزمان ١٨٨/٢ . وانظر عقد الجمان ٣٤٩/١ .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بعده في م : « وسوا الصبيان والبنات وأيتهم من الآباء والأمهات » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

بدمائه ، وكم من طفل بكى فلم يُزَحَمْ لبكائه ، فشَمُّروا عن ساقِ الاجتهادِ فى إحياءِ فرضِ الجهادِ ، ﴿ فَأَنْقَرُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن : ١٦] فلم يَتَّقْ مَغْدِرَةً فى القُعودِ عن أعداءِ الدينِ ، والمحاماةِ عن المسلمين ، وهذا السلطانُ الملكُ الظاهرُ السيدُ الأجلُّ العالمُ العادلُ المجاهدُ المؤيَّدُ رُكْنُ الدنيا والدينِ ، قد قام بنصرِ الإمامةِ عندَ قلةِ الأنصارِ ، وشرَّدَ جيوشَ الكفرِ بعدَ أن جاسوا خلالَ الديارِ ، فأضَبَتِ البيعةُ باهتمامِهِ مُنْتَظِمَةَ العُقودِ ، والدولةُ العباسيةُ به مُتَكَاثِرَةُ الجنودِ ، فبادروا عبادَ الله إلى شُكْرِ هذه النعمةِ ، وأَخْلَصُوا نِيَّاتِكُمْ تُنْصَرُوا ، وقَاتِلُوا أوليَاءَ الشيطانِ تَظْفَرُوا ، ولا يَزُوعَنَّكُمْ ما جَزَى ، فالْحَرْبُ سِجَالٌ والعاقبةُ للمتقين ، والدهرُ يومان ، والأجرُ للمؤمنين ، جَمَعَ اللهُ على الهدى أَمْرَكُمْ ، وأَعَزَّ بالإيمانِ نصرَكُمْ ، وأَسْتَغْفِرُ اللهَ العظيمَ لى ولكم ولسائرِ المسلمين ، فاستَغْفِرُوهُ إنه هو الغفورُ الرحيمُ . ثم خطبَ الثانيةَ ، ونَزَلَ فصلً .

وكتبَ بيعته إلى الآفاقِ ليُخْطَبَ له ، وَضُرِبَتِ السَّكَّةُ بِاسْمِهِ . قال أبو شامة^(١) : فُخِطَبَ له بجامعِ دمشق وسائرِ الجوامعِ يومَ الجمعةِ سادسَ عَشَرَ المحرمِ من هذه السنة . وهذا الخليفةُ هو التاسعُ والثلاثونُ من خلفاءِ بنى العباسِ ، ولم يَلِ الخلافةَ من بنى العباسِ مَنْ ليس والدُه وجدُّه خليفةً بعدَ السَّقَّاحِ والمنصورِ سوى هذا ، فأما مَنْ ليس والدُه خليفةً فكثيرٌ ، منهم المُسْتَعِينُ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ المُعْتَصِمِ ، والمُعْتَصِدُ بنُ طلحةَ بنِ المتوَكِّلِ ، والقادرُ بنُ إسحاقَ بنِ المُقْتَدِرِ ، والمُقْتَدِي بنُ الذَّخِيرَةِ بنِ القائمِ بأمرِ الله .

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٢١ .

ذكر أخذ الظاهر الكرك وإعدام صاحبها

وفيها^(١) ركب الملك الظاهر من الديار المصرية فى العساكر المنصورة قاصداً ناحية بلاد الكرك، واستدعى صاحبها الملك المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل، فلما قدم عليه بعد جهده أرسله إلى الديار المصرية [٦٨/١٠ ط] مُتَعَقِّلاً فكان آخر العهد به، وذلك أنه كاتب هولاء، وحثه على القدوم إلى الشام مرة أخرى، وجاءته كتب التتار بالثبات ونيابة البلاد، وأنه سيقدّم عليه عشرون ألفاً لفتح الديار المصرية، وأخرج السلطان فتاوى الفقهاء بقتله، وعرض ذلك على ابن خلكان - وكان قد استدعاه من دمشق - وعلى جماعة من الأمراء، ثم سار فتسلم الكرك^(٢) يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى^(٣)، ودخلها يومئذ فى أبهة عظيمة، ثم عاد إلى الديار المصرية مؤيَّداً منصوراً.

وفيها قدمت رسل بركة خان إلى الظاهر يقول له: قد علمت محبتي لدين الإسلام، وعلمت ما فعل هولاء بالمسلمين، فازكبت أنت من ناحية، وآتيت أنا من ناحية حتى نضطلمه أو نخرجه من البلاد، وأيا ما كان أعطيتك جميع ما كان بيده من البلاد. فاستصوب الظاهر هذا الرأى، وشكره وخلع على رسله وأكرمهم. وفيها زلزلت الموصل زلزلة عظيمة وتهدمت أكثر دورها.

(١) ذيل مرآة الزمان ٥٣١/١ - ٥٣٣، ١٩٢/٢ - ١٩٤، ونهاية الأرب ٧٩/٣٠ - ٨٤.
(٢ - ٢) فى ذيل مرآة الزمان ١٩٤/٢: «يوم الخميس ثالث عشرى جمادى الآخرة»، وفى نهاية الأرب ٨٢/٣٠: «يوم الخميس ثالث وعشرين جمادى الآخرة».

وفى رمضان جهَّز الملك الظاهر صُنَاعًا وأخشابًا وآلات كثيرةً لِعِمارة مسجد رسول الله ﷺ بعد حريقه، فطيف بتلك الأخشاب والآلات بالديار المصرية فرحةً بها وتعظيمًا لها، ثم ساروا بها إلى المدينة النبوية.

وفى شوال سار الظاهر إلى الإسكندرية، فنظر فى أحوالها وأمورها، وعزل قاضيها وخطيبها ناصر الدين أحمد بن المنير، وولّى غيره.

وفىها التَمَّى بركةً كان وهولاوو ومع كل واحدٍ جيوش كثيرة، فاقتتلوا فهزم هولاكو هزيمةً فظيمةً، وقُتِل أكثر أصحابه، وغرق أكثر من بقى، وهرب هو فى شِرْذِمَةٍ قليلةٍ من أصحابه، ولله الحمد. ولما نظر بركةً كان إلى كثرة القتلى قال: يَعْزُ على أن يَقْتُلَ المَعُولُ بعضهم بعضًا، ولكن كيف الحيلة فىمن غيّر سنة جنكيزخان؟! ثم أغار بركةً على بلاد القسطنطينية، فصانعه صاحبها، وأرسل الظاهر هدايا عظيمةً إلى بركةً وتحفا كثيرةً هائلةً.

ومن تُوفى فيها من الأعيان:

١) محمد بن أحمد^(١) بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيّد الناس، أبو بكر اليعمرى الأندلسى الحافظ، وُلِدَ سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وسمع الكثير، وحصل كتبًا عظيمةً، وصنّف أشياء حسنةً، وخُتِمَ به الحفّاط فى تلك البلاد، تُوفى بمدينة تونس فى^(٢) الرابع والعشرين من^(٣) رجب من هذه السنة.

(١ - ١) فى م: «أحمد بن محمد». وانظر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان ١٣١/٢، والعبر ٢٥٥/٥، والوفى بالوفيات ١٢١/٢، وعقد الجمان ٣٢٦/١، وشذرات الذهب ٢٩٨/٥. وجاءت وفاته فى هذه المصادر فى سنة تسع وخمسين وستمئة.

(٢ - ٢) فى م: «سابع عشرين».

عبد الرزاق بن 'رزق الله' بن أبي بكر بن خلف عز الدين، أبو محمد
الرسغني^(٢)، المحدث المفسر، سمع الكثير وحدث، وكان من الفضلاء الأدباء،
له مكانة عند البدر لؤلؤ صاحب الموصل، وكذلك عند صاحب سنجار، وبها
توفي في ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الآخر، وقد جاوز السبعين^(٣)، ومن
شعره:

نعب الغراب فدللنا بنعيه أن الحبيب دنا أو أن مغيبه
يا سائل عن طيب عيشي بعدهم جُد لي بعيش ثم سل عن طيبه
محمد بن أحمد بن عنتر السلمى الدمشقي^(٤) محتسبها، وكان من عدولها
وأعيانها، وله بها أملاك وثروة وأوقاف، توفي بالقاهرة، ودُفن بالمقطم.

[١٠/٢٦٩] عَلم الدين 'أبو محمد' القاسم بن أحمد ابن الموفق بن
جعفر المزسئي اللوزقي^(٦) اللغوي النحوي المقرئ، شرح «الشاطبية» شرحاً
مختصراً، وشرح «المفصل» في عدة مجلدات، وشرح «الجزولية» وقد اجتمع
بمصنفها، وسأله عن بعض مسائلها، وكان ذا فنون متعدّدة، حسن الشكل،

-
- (١ - ١) في الأصل، م: «عبد الله». والمثبت من مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ١/٥٤٥، ٢/٢١٩،
والعبر ٥/٢٦٤، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٧٤، وعقد الجمان ١/٣٦٧، والسلوك ٢/٥٠٢ (القسم
الثاني)، والنجوم الزاهرة ٧/٢١١، وطبقات المفسرين ١/٢٩٢، وشذرات الذهب ٥/٣٠٥.
(٢) في الأصل: «الرسغني»، وهو تصحيف. انظر الأنساب ٣/٦٤، ومعجم البلدان ٢/٧٣٢.
(٣) في الأصل: «التسعين». وانظر مصادر الترجمة.
(٤) الذيل على الروضتين ص ٢٢٦، وذيل مرآة الزمان ٢/٢٢٠، وعقد الجمان ١/٣٦٧.
(٥ - ٥) في م، وذيل مرآة الزمان ٢/٢٢١: «أبو القاسم». قال الحافظ الذهبي في العبر ٥/٢٦٦: والعلم أبو
القاسم والأصح أبو محمد. وانظر بقية مصادر ترجمته: غاية النهاية ٢/١٥، والسلوك ٢/٥٠٢، ٥٠٣
(القسم الثاني)، وعقد الجمان ١/٣٦٨، وبغية الوعاة ٢/٢٥٠، وشذرات الذهب ٥/٣٠٧.
(٦) في م: «البورقي»، وفي السلوك: «اللورى». وانظر المصادر السابقة.

مليح الوجه ، له هيئة حسنة وبزة وجمال ، وقد سَمِعَ الكِنْدِيُّ وغيره .
الشيخ أبو بكر الدينوري^(١) ، وهو باني الزاوية بالصالحية ، وكانت له فيها
جماعة مُريدون يذكرون الله بأصوات حسنة طيبة ، رحمه الله .

مَوْلِدُ الشَّيْخِ تَقِيَّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ^(٢) ، قال الشيخ شمس
الدين الذهبي : وفي هذه السنة وُلِدَ شيخنا تَقِيَّ الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ
شهاب الدين عبد الحليم بن أبي القاسم ابن تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِي بِحَرَّانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ عَاشِرَ
رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِينَ وَسُتُمَائَةِ .

الأمير الكبير مُجِيرُ الدين أبو الهيجاء بن^(٣) عيسى بن خُشْتَرِينِ^(٤)
الأزْكُشِيُّ^(٥) الكُرْدِيُّ الْأُمَوِيُّ^(٦) ، كان من أعيان الأمراء وشُجْعَانِهِمْ ، وله يوم
عين جالوت اليد البيضاء في كسر التَّارِ ، ولما دَخَلَ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَ
الْوَقْعَةِ جَعَلَهُ مَعَ الْأَمِيرِ عَلَمِ الدِّينِ سَنَجَرَ الْحَلْبِيِّ نَائِبِ الْبَلَدِ مُسْتَشَارًا وَمُشَارِكًا فِي
الرَّأْيِ وَالْمَرَامِيسِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَكَانَ يَجْلِسُ مَعَهُ فِي دَارِ الْعَدْلِ ، وَلَهُ الْإِقْطَاعُ الْكَامِلُ
وَالرِّزْقُ الْوَاسِعُ ، إِلَى أَنْ تُوفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ . قَالَ أَبُو شَامَةَ^(٧) : وَوَالِدُهُ الْأَمِيرُ

(١) عقد الجمان ١/٣٦٨ .

(٢) ستأتي ترجمته في وفيات سنة سبع وعشرين وسبعمئة .

(٣) سقط من : م . والمثبت موافق لبعض مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٢/٢٢٢ ، ونهاية الأرب ٣٠/٩٠ ، والسلوك ١/٥٠٢ (القسم الثاني) ، وما في « م » موافق لما في عقد الجمان ١/٣٦٩ ، وما في النجوم الزاهرة موافق لما في م ولكنه مصحح إلى ما أثبتناه .

(٤) في الأصل : « حشير » ، وفي م : « حثير » . والمثبت من مصادر الترجمة . وانظر الوافي بالوفيات ١٣/٣١٨ .

(٥) في الأصل ، والسلوك : « الأركسي » . وفي ترجمة ابنه : « الإربلي » والتي ستأتي ضمن وفيات سنة سبعمئة .

(٦) في الأصل : « الأسدي » .

(٧) الذيل على الروضتين ص ٢٢٧ . وانظر ذيل مرآة الزمان ٢/٢٢٣ .

حُسام الدين تُوفِّي في حَبْسٍ^(١) الملك الأشرف ببلاد الشرق هو والأمير عماد الدين أحمد بن المشطوب، رَحِمَهُمَا اللهُ تعالى .

قلتُ : وولده الأمير عز الدين تولى ولاية هذه المدينة - أعنى دمشق - مدةً ، وكان مشكور السيرة ، وإليه يُنسب دَرْبُ سقون^(٢) بالصاغة العتيقة ، فيقالُ : درب ابن أبي الهَيَجاءِ . لأنه كان به سَكَنُهُ ، وكان يَعْمَلُ الولاية فيه ، فعُرِفَ به ، وبعد موته بقليل كان فيه نُزولُنا حينَ قَدِمْنَا مِنْ حُورَانَ وأنا صغيرٌ ، فختَمْتُ فيه القرآنَ العظيمَ ، واللهُ الحمدُ .

(١) فى الأصل ، م : « جيش » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٢) فى الأصل : « ابن سنون » ، وفى م : « ابن سقور » . والمثبت مما سيأتى صفحة ٧٤١ .

ثم دَخَلَتْ سنة ثنتين وستين وستمائة

استَهَلَّتْ^(١) والخليفة الحاكم بأمر الله العباسي، وسلطان الإسلام الذائب عن حوزته الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري - أيده الله وشدَّ عضده - ونائب الشام الأمير جمال الدين آقوش النجيب، وقاضيه شمس الدين بن خلكان.

وفيها^(٢) في أولها كملت المدرسة الظاهرية التي بين القصرين، ورُتِبَ لتدريس الشافعية بها القاضي تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين، ولتدريس الحنفية مجد^(٣) الدين عبد الرحمن بن كمال الدين عمر بن العديم، ولمشيخة الحديث بها الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الحافظ الدمياطي.

وفيها^(٤) عمّر الظاهر بالقدس الشريف خانًا، ووقف عليه أوقافًا للنازلين به من إصلاح نعالهم وأكلهم وغير ذلك، وبني به طاحونًا وفُرْنًا.

وفيها^(٥) قدّمت رسلُ الملك بركة قان إلى الملك الظاهر، ومعهم الأشرف بن شهاب الدين غازي بن العادل، ومعهم من الكتب والمُشافهات ما فيه سرور للإسلام وأهله مما حلَّ بهولاكو وأهله.

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٢١، وذيل مرآة الزمان ١/٥٥٠، ٢/٢٢٩، وكنز الدرر ٨/١٠٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ١/٥٥٠، ونهاية الأرب ٣٠/٩٣، وكنز الدرر ٨/١٠٣.

(٣) في الأصل: «مجير».

(٤) ذيل مرآة الزمان ١/٥٥٤، ٢/٢٣١، وعقد الجمان ١/٣٧٥.

(٥) الذيل على الروضتين ص ٢٣٢.

وفى جُمادى الآخرة منها^(١) درّس الشيخ شهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن ابن^(٢) إسماعيل بن إبراهيم^(٣) المقدسى بدار الحديث الأشرافية ، بعد وفاة القاضى عماد الدين بن الحرّستانى ، وحضر عنده القاضى شمس الدين ابن خلّكان وجماعة من الفضلاء^(٤) والأعيان ، وذكر خطبة كتابه «المبغى» ، [٦٩/١٠] وأورد الحديث بسنده ومتنه ، وذكر فوائد كثيرة مُستَحسنة ، ويقال : إنه لم يُراجع شيئاً حتى أورد درسه ، ومثله لا يُستَكثَر عليه ذلك . رحمه الله تعالى ..

وفيهما قدِم نصير الدين الطوسى إلى بغداد من جهة السلطان هولاكو قان ، فنظر فى الأوقاف وأحوال البلد ، وأخذ كتباً عظيمة كثيرة من سائر المدارس ، وحولها إلى الرّصد الذى بناه بمرّاعة ، ثم انحدَر إلى واسط والبصرة .

وفيهما كانت وفاة :

الملك الأشرف موسى بن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير^(٥) ، كانوا ملوك حمص كابراً عن كابر إلى هذا الحين ، وقد كان من الكرماء المؤصّفين ، والكُبراء الدماشقة المثرفين ، ويعتنى بالمأكَل والمشارب ، والملابس والمراكب ، وقضاء الشّهوات والمآرب ، وكثرة التّنعم بالمغانى والحبائب^(٥) ، ولما تُوفى وُجدت له

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٠ .

(٢ - ٣) فى الأصل : «إبراهيم إسماعيل» ، وفى م : «إسماعيل» . والمثبت من مصادر ترجمته ، وستائى ترجمته فى ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

(٣) فى م : «القضاة» .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩ ، وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٥٥ ، ٢/ ٣١٠ - ٣١٤ ، ونهاية الأرب ٣٠/ ٩٤ ، والعبر ٥/ ٢٧٠ ، وعقد الجمان ١/ ٣٧٢ .

(٥) بعده فى م : «ثم ذهب ذلك كأن لم يكن أو كأضغاث أحلام ، أو كظل زائل ، وبقيت تبعاته وعقوباته وحسابه وعاره» .

حواصلُ من الجواهرِ النفيسةِ والأموالِ الكثيرةِ ، وعاد ملكه إلى الدولةِ الظاهريةِ^(١) .
وتُوفِّي معه في هذه السنةِ الأميرُ حُسامُ الدينِ الجوكندار نائبُ حلب^(٢) .
وفيها كانت كسرةُ التَّارِ على حمصَ ، وقُتِل مُقَدَّمُهُم بَيْدَرَةُ بِقَضَاءِ اللَّهِ
وقَدَّرِه الحسَنِ الجميلِ .

وفيها كانت وفاةُ الرَّشيدِ العطارِ^(٣) المُحدِّثِ بمصرَ ، والذي حضَرَ مَسْخَرَةَ^(٤)
الملكِ الأشرفِ موسى بنِ العادلِ .
والتاجرُ المشهورُ الحاجُّ نصرِ بنِ تروس^(٥) ، وكان ملازمًا للصلواتِ بالجامعِ ،
وكان من ذَوِي اليسارِ والخيرِ .

الخطيبُ عمادُ الدينِ بنُ الحَرَسْتانِي : عبدُ الكريمِ بنُ قاضي القضاةِ جمالِ
الدينِ عبدِ الصمدِ بنِ محمدِ بنِ الحَرَسْتانِي^(٦) ، كان خطيبًا بدمشقَ ، وناب في
الحكمِ عن أبيه في الدولةِ الأشرفيةِ بعدَ ابنِ الصَّلاحِ ، إلى أن تُوفِّي في دارِ الخطابةِ
في التاسعِ والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنةِ ، وصُلِّي عليه بجامعِ
دمشقَ ، ودُفِن عند أبيه بقايسونَ ، وكانت جنازتهُ حافلةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى ، وقد
جاوَزَ الثمانينَ بخمسينَ سنينَ ، وقد تولَّى بعده الخطابةَ والعزَّاليةَ ولَدَهُ مجيرُ^(٧)

(١) بعده في الأصل : « واستتاب بيلاده من الممالك البحرية » .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩ ، وذيل مرآة الزمان ٣٠٠ / ٢ ، والعبر ٢٧١ / ٥ ، وعقد الجمان ٣٩٧ / ١ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩ .

(٤) مسخرة : جمعها مساخِر ؛ وهي ألعاب لإضحاك الناس . انظر كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة في

مراجع العصر المالكي ص ٤٤٩ الملحق بكتاب العصر المالكي في مصر والشام نقلا عن معجم dozy .

(٥) في م : « دس » . وانظر ترجمته في : الذيل على الروضتين ص ٢٢٩ ، وفيه : « بدرس » ، وذيل مرآة الزمان ٣١٤ / ٢ .

(٦) الذيل على الروضتين ص ٢٢٩ ، وذيل مرآة الزمان ٢ / ٢٩٥ ، والعبر ٢٦٨ / ٥ ، وعقد الجمان ٣٨٩ / ١ .

(٧) في م : « مجد » .

الدين، وبأشر بعده مشيخة دار الحديث الشيخ شهاب الدين أبو شامة.

مُحْيِي الدين 'محمد بن أحمد بن محمد' ^(١) بن إبراهيم بن الحسين بن سُرَاقَةَ الحافظ المُحَدِّثُ الأنصاري الشاطبي، أبو بكر المغربي، عالم فاضل دِين، وأقام بحلب مدة، ثم اجتاز بدمشق قاصدا الديار المصرية. وقد ولي دار الحديث الكاملية بعد زكي الدين عبد العظيم المنذري، وقد كان له سماع جيد ببغداد وغيرها من البلاد، وقد جاوز السبعين.

الشيخ الصالح محمد بن منصور بن يحيى الشيخ أبي القاسم القباري الإسكندراني ^(٢)، كان مقيما بغيطة له يفتات منه، ويعمل فيه ويتدبره، ويتوزع جدا، ويطلع الناس من ثماره، وكانت وفاته في سادس شعبان من هذه السنة بالإسكندرية، وله خمس وسبعون سنة، وكان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويؤدع الولاة عن الظلم، فيسمعون منه ويطيعونه ^(٣)، وإذا جاء الناس إلى زيارته إنما يكلمهم من طاقة المنزل، وهم راضون منه بذلك.

ومن غريب ما حكى عنه أنه باع دابة له من رجل، فلما كان بعد أيام جاءه الرجل [٧٠/١٠] فقال: يا سيدي، إن الدابة ^(٤) لا تأكل عندي شيئا. فنظر إليه الشيخ، فقال له: ما تعاني من الصنائع ^(٥)؟ فقال: رقاص عند الوالي. فقال: إن

(١ - ١) كذا في الأصل، م. وفي مصادر ترجمته: «محمد بن محمد»: الذيل على الروضتين ص ٢٣٠،

وذيل مرآة الزمان ٢/٣٠٤، والعبر ٥/٢٧٠، والوافي بالوفيات ١/٢٠٨، والدليل الشافي ٢/٦٩٠.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٣١، وذيل مرآة الزمان ٢/٣١٥، والعبر ٥/٢٧١، وعقد الجمان ١/٣٩٠.

(٣) بعده في م: «لزهده».

(٤) بعده في م: «التي اشتريتها منك».

(٥) في م: «الأسباب».

دَابَّتْنَا لَا تَأْكُلُ الْحَرَامَ . ودَخَلَ مَنْزِلَهُ فَأَعْطَاهُ دِرَاهِمَهُ وَمَعَهَا دِرَاهِمُ كَثِيرَةٌ قَدْ اخْتَلَطَتْ بِهَا فَلَا تُمَيِّزُ، فَاشْتَرَى النَّاسُ مِنَ الرَّقَاصِ كُلِّ دِرْهَمٍ بِثَلَاثَةِ أَجَلٍ الْبَرَكَةِ، وَأَخَذَ دَابَّتَهُ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ تَرَكَ مِنَ الْأَثَاثِ مَا يُسَاوِي خَمْسِينَ دِرْهَمًا^(١)، فَأَبِيعَ بِمَبْلَغِ عَشْرِينَ أَلْفًا .

قال أبو شامة^(٢) : وفي الثامن^(٣) والعشرين من ربيع الآخر تُوُفِّيَ مُخْيِي الدِّينِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفِيِّ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَرْزُوقٍ بَدَارِهِ بِدَمَشَقَ الْمُجَاوِرَةِ لِلْمَدْرَسَةِ الثُّورِيَّةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

قلتُ : دارُهُ هَذِهِ هِيَ الَّتِي جُعِلَتْ مَدْرَسَةً لِلشَّافِعِيَّةِ، وَقَفَهَا الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ آقُوشُ النَّجِيبِيُّ،^(٤) الَّتِي يَقَالُ لَهَا : النَّجِيبِيَّةُ^(٥) . تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ، وَبِهَا إِقَامَتُنَا، جَعَلَهَا اللَّهُ دَارًا تَعْقُبُهَا دَارُ الْقَرَارِ فِي الْفَوْزِ الْعَظِيمِ .

وقد كان أبوه صَفِيُّ الدِّينِ وَزِيرًا مَدَّةً لِلْمَلِكِ الْأَشْرَفِ، وَمَلَكَ مِنَ الذَّهَبِ سِتْمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ خَارِجًا عَنِ الْأَمْلاكِ^(٦) وَالْأَثَاثِ وَالْبَضَائِعِ، وَكَانَتْ وَفَاةُ أَبِيهِ بِمَصْرَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ، وَدُفِنَ بِتَرْبَتِهِ عِنْدَ جَبَلِ الْمُقَطَّمِ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

قال أبو شامة^(٧) : وجاء الخبرُ من مَصْرَ بِوفاةِ الْفَخْرِ عِثْمَانَ الْمَصْرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِعَيْنِ عَيْنٍ^(٨) .

(١) في الأصل : « دِينَارًا » .

(٢) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوسْتَيْنِ ص ٢٣١ .

(٣) في م : « الرَّابِع » .

(٤ - ٤) زِيَادَةُ مِنْ : م .

(٥) في الأصل : « الْأَمْوَال » .

(٦) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوسْتَيْنِ ص ٢٣٢ .

(٧) في م : « غَيْن » .

قال^(١) : وفي ثامنَ عشرَ ذى الحِجَّةِ تُوفِّي الشمسُ الوتارُ^(٢) الموصليُّ ، وكان قد حصَّل شيئًا من علمِ الأدبِ ، وخطبَ بجامعِ المِرَّةِ مدةً . فأنشدني لنفسه في الشَّيْبِ وخِضايهِ :

وكنْتُ وإياها مذ اختطَّ عارضِي كزوحَيْن^(٣) في جسمٍ وما نقضتُ عهدًا
فلما أتاني الشَّيْبُ يَقْطَعُ بيننا توهُمُتهُ سيفًا فالبسْتُهُ غمْدًا
وفيها^(٤) استَحْضَرَ الملكُ هولاءَ كوقان ملكِ التَّارِ الزَّيْنِ الحافظيِّ ، وهو سليمانُ^(٥) ابنُ المؤيدِ^(٦) بنِ عامرِ العقربانيِّ المعروفِ بالزَّيْنِ الحافظيِّ ، وقال له : قد ثبتَ عندي خيانتُكَ . وقد كان هذا المُعْتَرِّ لما قديمِ التَّناوُلِ مع^(٧) هولاءِ دِمَشقَ وغيرِها مألًّا على المسلمين وآذاهم ، ودلًّا على عَوْرَاتِهِمْ ، حتى سلَّطَهُمُ اللَّهُ عليه بأنواعِ العُقوباتِ والمَثَلاتِ ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ [الأُنعام : ١٢٩] .
وفي الجملةِ مَنْ أَعانَ ظالمًا سُلَّطَ عليه ،^(٨) فَإِنَّ اللَّهَ يَنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِ بِالظَّالِمِ ، ثم يَنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِينَ جَمِيعًا ، نَسْأَلُ اللَّهَ العَافِيَةَ مِنَ انتقامِهِ وَغَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ^(٩) .

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٢ .

(٢) في م : « الوبار » . وانظر ذيل مرآة الزمان ٢ / ٣١٠ .

(٣) في الذيل على الروضتين : « كزوحين » . والمثبت من الأصل ، م موافق لما في ذيل مرآة الزمان الموضع السابق .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢ / ٢٣٤ ، ونهاية الأرب ٣٠ / ١٠٩ ، وكنز الدرر ٨ / ١٠٤ .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) في الأصل : « سنة » .

(٧ - ٧) زيادة من : م .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَسْتِينَ وَسِتْمَائَةٌ

فيها^(١) جَهَّزَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ عَسْكَرًا جَمًّا كَثِيفًا إِلَى نَاحِيَةِ الْفُرَاتِ لَطَرْدِ
الْتَّارِ النَّازِلِينَ بِالْبَيْرَةِ ، فَلَمَّا سَمِعُوا بِالْعَسَاكِرِ الظَّاهِرِيَّةِ قَدْ أَقْبَلَتْ تَوَلَّوْا عَلَى أَعْقَابِهِمْ
مَنْهَازِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَطَابَتْ تِلْكَ النَّاحِيَةُ ، وَأَمِنَتْ تِلْكَ الْمُعَامَلَةُ ،
وَقَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ لَا تُسَكَّنُ مِنْ كَثَرَةِ الْفَسَادِ بِهَا وَالْخَوْفِ ، فَعَمَزَتْ وَأَمِنَتْ
وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

وفيها^(٢) خَرَجَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ فِي عَسَاكِرٍ أُخَرَّ عَظِيمَةٍ ، فَقَصَدَ بِلَادَ السَّاحِلِ
لِحَصَارِ الْفِرْنَجِ ، فَفَتَحَ قَيْسَارِيَّةً فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَامِنِ جُمَادَى
الْأُولَى وَهُوَ يَوْمُ نُزُولِهِ عَلَيْهَا ، وَتَسَلَّمَ قَلْعَتَهَا فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الْآخِرِ خَامِسَ عَشْرَةَ
فَهَدَمَهَا ، وَانْتَقَلَ إِلَى غَيْرِهَا ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ ، ثُمَّ جَاءَ الْخَبْرُ بِأَنَّهُ فَتَحَ مَدِينَةَ
أَرْسُوفَ^(٣) ، وَقَتَلَ مَنْ بِهَا مِنَ الْفِرْنَجِ ، وَجَاءَتْ الْبَرِيدِيَّةُ بِذَلِكَ . فَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ فِي
بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَفَرِحُوا بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا .

وفيها^(٤) وَرَدَ خَبْرٌ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ بِأَنَّهُمْ انْتَصَرُوا عَلَى الْفِرْنَجِ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ
خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ مَقَاتِلٍ وَأَسْرَوْا عَشْرَةَ آلَافٍ ، وَاسْتَرْجَعُوا مِنْهُمْ ثَنَتَيْنِ

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٣ ، وذيل مرآة الزمان ٣١٨/٢ ، وكنز الدرر ١٠٧/٨ .

(٢) أرسوف : مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا . معجم البلدان ٢٠٧/١ .

(٣) في الأصل : « قلاع » .

(٤) الذيل على الروضتين ص ٢٣٤ ، وعقد الجمان ٤٠٩/١ .

[٧٠/١٠] وثلاثين^(١) بلدة، منها شريش^(٢) وإشبيلية وفوطبة ومُرسيّة، وكانت
النّصرة في يوم الخميس الرابع عشر من رمضان سنة ثنتين وستين.

وفي رمضان^(٣) من هذه السنة شرع في تبليط باب البريد من باب الجامع إلى
القناة التي عند الدّرج، وعُمل في الصّفّ القبليّ منها بركة وشاذروان. وكان في
موضعها قناة من القنوات يَنْتَفِعُ الناسُ بها عند انقطاع نهر بانياس^(٤)، فعُيِّرَت
وعُمل هذا الشاذروان. قلتُ: ثم عُيِّر ذلك وعُمل مكانه دكاكين.

وفيها^(٥) استدعى السلطان نائبه على دمشق الأمير جمال الدين آقوش
النجيبيّ فسار إليه سَمْعًا وطاعة، وقد ناب عنه الأمير علّم الدين الحِصْنِيّ حتى
عاد مُكرَّمًا مَعَزَّزًا.

وفيها^(٦) ولّى السلطان الملك الظاهر من بقية المذاهب قضاة في الديار المصرية
مُسْتَقِلِّين، يُؤلّون من جهتهم في البلدان أيضًا كما يُؤلّى الشافعيّ، فكان للشافعية
القاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعرّ، وتولى قضاء الحنفية شمس الدين
سليمان، وقضاء المالكية شمس الدين السبكيّ، والحنابلة شمس الدين محمد^(٧)
المقدسيّ، وكان ذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذى الحجة بدار العدل^(٨)،

(١) في م: «أربعين».

(٢) في الأصل: «شريش»، وفي م: «برنس»، وفي عقد الجمان: «سرين»، والمثبت من الذيل على
الروضتين. وشريش: مدينة كبيرة من كورة شدونة وهي قاعدة هذه الكورة، وشدونة: مدينة بالأندلس.
انظر معجم البلدان ٢٨٥/٣، ٢٦٧.

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٣٦.

(٤) كذا في الأصل، والذيل على الروضتين، وفي م: «ماناس». ولعل الصواب «باناس». انظر معجم
البلدان ٤٨٢/١.

(٥) الذيل على الروضتين ص ٢٣٧.

(٦) المصدر السابق ص ٢٣٥، والعبر ٢٧٢/٥، وعقد الجمان ٤٠٧/١.

(٧) بعده في الأصل: «بن».

(٨) في الأصل: «العقل».

وكان سبب ذلك كثرة توقيف القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز^(١) في أمور تُخالف مذهب الشافعي، وتوافق غيره من المذاهب^(٢)، فأشار الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي على السلطان بأن يُؤلّى من كل مذهب قاضي قضاة وكان يُحب رأيه ومشورته، فأجابه إلى ذلك ففعل كما ذكرنا^(٣)، وبعث بأخشاب ورصاص وآلات كثيرة لعمارة مسجد رسول الله ﷺ، وأرسل منبرًا، فنُصب هنالك.

وفيها وقع حريق عظيم ببلاد مصر، واتهم النصارى، فعاقبهم الملك الظاهر عقوبة عظيمة^(٤).

وفيها^(٥) جاءت الأخبار بأن سلطان التتار هلك إلى لعنة الله وغضبه في سابع ربيع الآخر بمرض الصرع بمدينة مراغة^(٦)، ودُفن بقلعة تلاً، وبنيت عليه قبة، واجتمعت التتار على ولده أبقا، فقصدته الملك بركة خان، فكسره وفرق مجموعته، ففرح الملك الظاهر بذلك فرحاً شديداً، وعزم على جمع العساكر ليأخذ بلاد العراق، فلم يَمَكَّن من ذلك لتفرق العساكر في الإقطاعات.

وفيها^(٧) في ثاني عشر شوال سلطن الملك الظاهر ولده الملك السعيد محمد بركة خان، وأخذ له البيعة من الأمراء، وأزكبه ومشى الأمراء بين يديه، وحمل والده الغاشية بنفسه، والأمير بدر الدين يتسرى الشمسي حامل الجتر^(٨)،

(١ - ١) زيادة من : م .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وانظر نهاية الأرب ١١٥/٣٠ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٣٢٢/٢، والمختصر في أخبار البشر ٢/٤، وكنز الدرر ١١٤/٨ .

(٤) ستأتي ترجمته صفحة ٤٦٨، ضمن وفيات سنة أربع وستين .

(٥) ذيل مرآة الزمان ٣٢٢/٢ .

(٦) في م : « الحيز » . والحيز : المظلة ؛ من الآلات الملكية المختصة بالموكب العظيم، وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ؛ على أعلاها طائر من فضة مطليّة بالذهب تحمل على رأس الخليفة عند =

والقاضي تاج الدين ابن بنت الأعزّ والوزير بهاء الدين بن جتّا راكبان بين يديه ،
وأعيان الأمراء رُكباناً ، وبقيتهم مُشاةً حتى شقُّوا القاهرة وهم كذلك ، وكان
يوماً مشهوداً .

وفي ذى القعدة^(١) ختن السلطان ولده الملك السعيد المذكور ، وختن معه
جماعة من أولاد الأمراء ، وكان يوماً مشهوداً .

ومن تُوفّي فيها :

الزين خالد بن يوسف بن سعيد النابلسي^(٢) الشيخ زين الدين الحافظ^(٣) ،
شيخ دار الحديث الثورية بدمشق ، كان عالماً بصناعة الحديث ، حافظاً لأسماء
الرجال ، اشتغل عليه في ذلك الشيخ محيي الدين التّواوئي وغيره ، وتولّى بعده
مُشيخة الثّورية الشيخ تاج الدين الفزاري ، وكان الشيخ زين الدين حسن
الأخلاق ، فكة النفس ، كثير المزاج على طريقة المُحدّثين ، وكان قد رحل إلى
بغداد ، فاشتغل بها ، وسمع الحديث [٧١/١٠] وكان فيه خيرٌ وصلاخٌ وعبادةٌ ،
وكانت جنازته حافلةً ، ودُفن بمقابر باب الصغير ، رحمه الله تعالى .

الشيخ أبو القاسم الحوّاري : هو أبو القاسم بن يوسف بن أبي القاسم بن
عبد السلام الأموي^(٤) الشيخ المشهور صاحب الزاوية بحوّاري ، تُوفّي ببلده ،

= ركوبه ، ولها عندهم مكانة جليلة لعلوها رأس الخليفة ، وحاملها من أكبر الأمراء . انظر صبح الأعشى
٤٦٩/٣ ، ٧/٤ .

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٢٣/٢ .

(٢) الدليل على الروضتين ص ٢٣٣ ، وذيل مرآة الزمان ٣٢٦/٢ ، والعبر ٢٧٣/٥ ، وفوات الوفيات ٤٠٣/١ ،
والوفاي بالوفيات ٢٨٣/١٣ ، وعقد الجمان ٤١١/١ .

(٣) في م : « ابن الحافظ » .

(٤) الدليل على الروضتين ص ٢٣٧ ، وذيل مرآة الزمان ٣٣٦/٢ ، والعبر ٢٧٥/٥ ، وعقد الجمان ٤١٢/١ ،
وشذرات الذهب ٣١٣/٥ .

وكان خَيْرًا صالحًا ، له أتباع وأصحاب يُحِبُّونه ، وله مُريدون كثيرٌ من قَرَايا حورانَ
فى ^(١) الجُبَيْلِ والبَنِيَّةِ ، وهم حنابلةٌ لا يَزُون الضربَ بالدَّفِّ بل بالكَفِّ ، وهم
أمثلُ من غيرهم .

القاضى بدرُ الدين الكُزْدِيُّ السَّنْجَارِيُّ ^(٢) الذى باشرَ القضاءَ بالديارِ المصريةِ
مرارًا وكانت وفاته بالقاهرة . قال أبو شامة ^(٣) : وكانت سيرته معروفةً فى أخذِ
الرَّشَا من قُضاةِ الأطرافِ والشهودِ والمتحاكيمينَ ، إلا أنه كان جَوَادًا كريمًا ثم
صُوِّدِر هو وأهلُه .

(١ - ١) فى م : « الحل والبنية » .

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٣٤ ، وذيل مرآة الزمان ٢/٣٣٢ ، والعبر ٥/٢٧٤ ، وعقد الجمان ١/٤١١ .

(٣) الذيل على الروضتين ص ٢٣٤ .

ثم دخلت سنة أربع وستين وستمائة^(١)

استهلت والخليفة الحاكم العباسي ، وسلطان المسلمين الملك الظاهر ، وقضاة مصر أربعة .

وفيها استجدّ بدمشق أربعة قضاة^(٢) ، كما فعل في العام الماضي في ديار مصر وسيأتي تفصيله ، ونائب الشام آقوش النجيب ، وفيها وردت الولايات لقضاء القضاة من المذاهب ؛ فصار كل مذهب فيه قاضي قضاة ، فكان في منصب الشافعية شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن خلكان البزيمكي ، وصار على قضاء الحنفية شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطا ، والحنابلة شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر^(٣) محمد بن أحمد بن قدامة^(٤) ، وللمالكية عبد السلام ابن الزواوي ، وقد امتنع من الولاية ، فألزم بها حتى قيل ، ثم عزل نفسه ، ثم ألزم بها ، فقيل بشرط أن لا يباشر أوقافا ، ولا يأخذ جامكية على أحكامه^(٥) ، فأجيب إلى ذلك ، وكذلك قاضي الحنابلة لم يأخذ على أحكامه أجرا وقال : نحن في كفاية . فأعفى من ذلك أيضا ، رحمهم الله . وقد كان هذا الصنيع الذي لم يسبق إلى مثله قد فعل في العام الماضي بالديار المصرية أيضا ، واستقرت الأحوال على هذا المنوال والله الحمد .

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٧ ، وذيل مرآة الزمان ٣٣٦/٢ ، ونهاية الأرب ١٢٧/٣٠ .

(٢) بعده في م : « من كل مذهب قاض » .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) في الأصل : « الحاكم » .

وفيهما كَمَلْ عِمَارَةُ الحَوْضِ الذِي شَرَقَى قَنَاةَ بَابِ الْبَرِيدِ ، وَغُمِلَ لَهُ شَاذِرُوانٌ ،
وفيه ^(١) أَنَايِبُ يَجْرِي فِيهَا الْمَاءُ مِنَ الْقَنَاةِ الَّتِي هِيَ غَرْبِيَّةٌ إِلَى جَانِبِ الدَّرَجِ
الشَّمَالِيَّةِ .

وفيهما قَدِيمُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَعْسَاكِرِهِ وَنَازَلَ مَدِينَةَ صَفَدَ ، وَاسْتَدْعَى
بِالْمُجَانِيْقِ مِنْ دِمَشْقَ ، وَأَحَاطَ بِهَا ، وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى افْتَتَحَهَا ، وَنَزَلَ أَهْلُهَا عَلَى
حُكْمِهِ ، فَتَسَلَّمَ الْبَلَدَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَامِنَ عَشَرَ شَوَالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقَتَلَ
الْمُقَاتِلَةَ ، وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ ، وَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ افْتَتَحَهَا فِي شَوَالٍ أَيْضًا فِي
سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، ثُمَّ اسْتَعَادَهَا أَيْضًا فَانْتَزَعَهَا مِنْهُمْ قَسْرًا وَقَهْرًا
الْمَلِكُ الظَّاهِرُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ فِي نَفْسِهِ
مِنْهُمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى فَتْحِهَا طَلَبُوا الْأَمَانَ ^(٢) ، فَأَجْلَسَ عَلَى سَرِيرِ
مَمْلَكَتِهِ الْأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ كَرْمُونَ التَّتَرِي ، وَجَاءَتْ رُسُلُهُمْ ، فَحَلَفُوهُ ^(٣)
وَانْصَرَفُوا ، ^(٤) وَلَا يَشْعُرُونَ أَنَّ الذِي أُعْطَاهُم الْعُهُودَ بِالْأَمَانِ إِنَّمَا هُوَ الْأَمِيرُ الذِي
أَجْلَسَهُ عَلَى السَّرِيرِ ، وَالْحَرْبُ خَدْعَةٌ ، فَلَمَّا خَرَجَتْ الْإِسْتِبْرَارِيَّةُ وَالْدَاوِيَّةُ مِنَ
الْقَلْعَةِ ، وَقَدْ فَعَلُوا بِالْمُسْلِمِينَ الْأَفَاعِيلَ ، فَأَمَكَنَ اللَّهُ [٧١/١٠ ظ] مِنْهُمْ ، فَأَمَرَ
السُّلْطَانُ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ عَنْ آخِرِهِمْ ، وَجَاءَتْ الْبِشَائِرُ إِلَى الْقَلَاعِ بِذَلِكَ ، فَدَقَّتْ
الْبِشَائِرُ ، وَزُيِّنَتْ الْبِلَادُ وَفَرِحَ الْعِبَادُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ، ثُمَّ بُنِيَ السَّرَايَا يَمِينًا وَشِمَالًا فِي
بِلَادِ الْفَرْنَجِ ، فَاسْتَوَلَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى حَصُونٍ كَثِيرَةٍ تُقَارِبُ عَشْرِينَ حَصْنًا ،

(١) فِي م : « قَبَةِ وَ » .

(٢) بَعْدَهُ فِي الْأَصْل : « عَلَى أَنَّ يُعْطِيَهُمُ السُّلْطَانُ الْأَمَانَ » .

(٣) فِي م : « فَحَلَمُوهُ » .

(٤) (٤ - ٤) زِيَادَةٌ مِنْ : م .

وَأَسْرُوا قَرِيبًا مِنْ أَلْفٍ أَسِيرٍ مَا بَيْنَ امْرَأَةٍ وَصَبِيٍّ ، وَغَنِمُوا شَيْئًا كَثِيرًا ، وَدَقَّتِ
البَشَائِرُ فِي الْبُلْدَانِ ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ وَتَأْيِيدِهِ .

وفيهما^(١) قَدِيمٌ وَلَدُ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ بْنِ الْمُسْتَنْصِرِ بْنِ الظَّاهِرِ بْنِ النَّاصِرِ
الْعَبَّاسِيِّ - وَاسْمُهُ عَلِيُّ - إِلَى دِمَشْقَ فَأُكْرِمَ وَأُنْزِلَ بِالْدارِ الْأَسَدِيَّةِ تَجَاهَ الْمَدْرَسَةِ
الْعَزِيزِيَّةِ ، وَقَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي التَّتَارِ ، فَلَمَّا كَسَرَهُمْ بَرَكَتُهُ خَانَ تَخَلَّصَ مِنْ
أَيْدِيهِمْ ، وَصَارَ إِلَى دِمَشْقَ ، وَلَمَّا فَتَحَ السُّلْطَانُ صَفَدَ أَخْبَرَهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ
أَشْرَى الْمُسْلِمِينَ أَنَّ سَبَبَ أَشْرِهِمْ أَنَّ أَهْلَ قَرْيَةٍ قَارَا كَانُوا يَأْخُذُونَهُمْ فَيَحْمِلُونَهُمْ إِلَى
الْفِرْنَجِ ، فَيَبِيعُونَهُمْ مِنْهُمْ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ رَكِبَ السُّلْطَانُ قَاصِدًا قَارَا ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ بِأَسَا
شَدِيدًا ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَأَسَرَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ أَخْذًا بَثَارِ الْمُسْلِمِينَ ،
جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا . ثُمَّ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ جَيْشًا هَائِلًا إِلَى بِلَادِ سَيْسِ ،
فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَفَتَحُوا سَيْسَ عَنُودَ ، وَأَسْرُوا ابْنَ مَلِكِهَا وَقَتَلُوا أَخَاهُ ،
وَنَهَبُوا وَقَتَلُوا أَهْلَهَا ، وَأَخَذُوا بَثَارَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِنْهُمْ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَضَرَّ
شَيْءٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ زَمَنَ التَّتَارِ ، لَمَّا أَخَذُوا مَدِينَةَ حَلَبَ وَغَيْرَهَا أَسْرُوا مِنْ نِسَاءِ
الْمُسْلِمِينَ وَأَطْفَالِهِمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَجَمًّا غَفِيرًا ، ثُمَّ كَانُوا بَعْدَ ذَلِكَ يُغَيِّرُونَ عَلَى بِلَادِ
الْمُسْلِمِينَ^(٢) فِي زَمَنِ هَوْلَاكُو^(٣) ، فَكَتَبَهُ اللَّهُ وَأَهَانَهُ عَلَى يَدِي أَنْصَارِ الْإِسْلَامِ ،
^(٣) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ كَثِيرًا دَائِمًا ، وَكَانَتِ النَّصْرَةُ عَلَيْهِمْ فِي^(٣) يَوْمِ الثَّلَاثَةِ الْعَشْرِينَ
مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَجَاءَتْ الْأَخْبَارُ بِذَلِكَ إِلَى الْبِلَادِ ، وَضُرِبَتْ
الْبَشَائِرُ .

(١) عقد الجمان ١/٤٢٦ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) في م : « هو وأميره كتبوا وكان أخذ سيس » .

وفى الخامس والعشرين من ذى الحِجَّة دخل السلطان الملك الظاهر دمشق المحروسة وبين يديه ابن صاحب سيسى وجماعة من ملوك الأرمين أسارى أذلاء صغرة والعساكر ضحبتة، وكان يوماً مشهوداً. ثم سار إلى الديار المصرية مؤيداً منصوراً مسروراً محبوباً ولله الحمد، وطلب صاحب سيسى أن يُفادى ولده من السلطان فقال: لا تُفاديه إلا بأسير لنا عند التتار يقال له: سُنْقَرُ الأَشْقَر. فذهب صاحب سيسى إلى ملك التتار، فتذلل وتخضع له، حتى أطلق له سُنْقَرُ الأَشْقَر فأطلق السلطان ابن صاحب سيسى.

وفيهما^(١) عمر الظاهر الجيشر المشهور بين قراوا^(٢) ودامية، تولى عمارته الأمير جمال الدين محمد بن نهار^(٣) وبدر الدين محمد بن رحالي والى نابلس والأغوار، ولما تم بناؤه اضطرب بعض أركانه، فقلق السلطان لذلك، وأمر بتأكيده، فلم يستطيعوا من قوة جزى الماء حينئذ، فاتفق بإذن الله أن انسالت على النهر أكمة^(٤) من تلك الناحية، فسكن الماء بمقدار ما أضلحوا ما يريدون، ثم عاد الماء كما كان، وذلك بتيسير الله وعونه وعنايته العظيمة.

ومن توفى فيها:

أَيُّدُغْدَى بن عبد الله، الأمير جمال الدين العزيزي^(٥)، كان [٧٢/١٠] من

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٤٦/٢.

(٢) فى الأصل: «سرا»، وفى م: «قرا». والمثبت من المصدر السابق. وقراوا: قرية من أعمال نابلس. انظر معجم البلدان ٥١/٤.

(٣) فى الأصل: «نهار»، وفى م: «بهادر». والمثبت من ذيل مرآة الزمان. وانظر النجوم الزاهرة ٧/١٤١ حاشية (٢) ..

(٤) الأكمة: التل. الوسيط (أ ك م).

(٥) ذيل مرآة الزمان ٣٥٠/٢، ونهاية الأرب ١٣٠/٣، والعبر ٢٧٧/٥، والوافى بالوفيات ٤٨٤/٩، والنهل الصافي ١٥٩/٣.

أكابر الأمراء وأحظاهم عند الملك الظاهر، لا يكاد يخرج عن رأيه، وهو الذى أشار عليه بولاية القضاة من كل مذهب على سبيل الاستقلال، وكان، رحمه الله تعالى، متواضعا لا يلبس مُحَرَّمًا، كريما وقورا رئيسا معظمًا فى الدولة، أصابته جراحة فى حصار صفد فلم يزل مريضًا منها حتى مات ليلة عرفة، ودُفِنَ بالرباط الناصرى بسفح قاسيون^(١).

هولاكوقان بن تولى قان بن جنكزخان^(٢) ملك التتار بن ملك التتار بن ملك التتار، وهو والد ملوكهم، والعامة يقولون هولاؤون مثل قلاوون، وقد كان ملكًا جبارًا عنيدًا، قتل من المسلمين شرقًا وغربًا ما لا يعلم عددهم إلا الذى خلقهم، وسيجزيه على ذلك شرّ الجزاء، كان، لعنه الله، لا يتقيّد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجته ظفرخاتون قد تنصّرت، وكانت تُفضّل النصارى، وكان، لعنه الله، يترامى على محبة المعقولات، ولا يتصوّر منها شيئًا، وكان أهلها من أفراخ الفلاسيقة عنده لهم وجاهة ومكانة، وإنما كانت همته فى تدبير مملكته وتملك البلاد شيئًا فشيئًا، حتى أباده الله فى هذه السنة، وقيل: فى سنة ثلاث وستين^(٣)، ودُفِنَ بمدينة تَلَا، لا رحمه الله، وقام فى الملك من بعده ولده أبغا فى المملكة، وكان أبغا أحد إخوة عشرة ذكور. والله سبحانه أعلم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) بعده فى م: «من صلاحية دمشق رحمه الله».

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣٥٧/٢، ودول الإسلام ١٦٩/٢.

(٣) انظر ما تقدم صفحة ٤٦١.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَسِتَّمِائَةٍ^(١)

فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ثَانِيِ الْمَحْرَمِ تَوَجَّهَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى الدِّيَارِ
الْمِصْرِيَّةِ ، وَصُحْبَتْهُ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ ، وَقَدْ اسْتَوَلَّتْ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى بِلَادِ
سَيِّسَ بِكَمَالِهَا ، وَعَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَعَاوِلِ الْفِرْنَجِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقَدْ أُرْسِلَ الْعَسَاكِرُ
بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى غَزَّةَ ، وَعَدَلَ هُوَ إِلَى نَاحِيَةِ الْكَرْكِ لِيَنْظُرَ فِي أَحْوَالِهَا ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ
بِرْكَةِ زَيْزَى تَصَيَّدَ هُنَاكَ ، فَسَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ ، فَأَنْكَسَرَتْ فِخْذُهُ ، فَأَقَامَ هُنَاكَ
أَيَّامًا يَتَدَاوَى حَتَّى أُمِكَّنَهُ أَنْ يَرْكَبَ فِي الْحِجْفَةِ ، وَسَارَ إِلَى مِصْرَ ، فَبَرَأَتْ رِجْلُهُ فِي
أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ ، فَأَمُكَّنَهُ الرُّكُوبُ وَحَدَّهَ عَلَى الْفَرَسِ . وَدَخَلَ الْقَاهِرَةَ فِي أُجْبَةٍ
عَظِيمَةٍ ، وَتَجَمَّلَ هَائِلٌ ، وَقَدْ زُيِّنَتْ الْبُلْدُ ، وَاحْتَفَلَ النَّاسُ لَهُ احْتِفَالًا عَظِيمًا ،
وَفَرِحُوا بِقُدُومِهِ وَعَافِيَتِهِ فَرَحًا كَثِيرًا . ثُمَّ فِي رَجَبٍ مِنْهَا رَجَعَ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى
صَفَدَ ، وَحَفَرَ خَنْدَقًا حَوْلَ قَلْعَتَيْهَا ، وَعَمِلَ فِيهِ بِنَفْسِهِ وَأَمْرَائِهِ وَجَيْشِهِ ، وَأَغَارَ عَلَى
نَاحِيَةِ عَكَّا ، فَقَتَلَ وَأَسَرَ وَغَنِمَ وَسَلِمَ ، وَضَرَبَتْ لَذَلِكَ الْبِشَائِرُ بِدِمَشْقَ . وَفِي ثَانِيِ
عَشْرِ رَيْبِ الْأَوَّلِ^(٢) صَلَّى الظَّاهِرُ بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ الْجُمُعَةَ ، وَلَمْ تَكُنْ تُقَامُ بِهِ الْجُمُعَةُ
مِنْ زَمَنِ الْعُتَيْدِيِّينَ إِلَى هَذَا الْحَيْنِ ، مَعَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَسْجِدٍ وَضِعَ بِالْقَاهِرَةِ ، بَنَاهُ جَوْهَرُ
الْقَائِدُ ، وَأَقَامَ فِيهِ الْجُمُعَةَ ، فَلَمَّا بَنَى الْحَاكِمُ جَامِعَهُ حَوْلَ الْجُمُعَةِ مِنْهُ إِلَيْهِ ، وَتَرَكَ
الْأَزْهَرَ لَا جُمُعَةَ فِيهِ ، فَصَارَ فِي حَكْمِ بَقِيَّةِ الْمَسَاجِدِ ، وَشِعِثَ حَالُهُ ، وَتَغَيَّرَتْ

(١) الذيل على الروضتين ص ٢٣٨ ، وذيل مرآة الزمان ٣٦٠ / ٢ ، ونهاية الأرب ١٣٣ / ٣٠ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣٦٠ / ٢ ، وعقد الجمان ٦ / ٢ .

أحواله، فأمر السلطان بعمارته وبياضه وإقامة الجمعة، وأمر بعمارة جامع الحسينية، فكمّل في سنة سبع وستين، كما سيأتي، إن شاء الله تعالى.

وفيها أمر الظاهر أن لا يبيت أحد من المجاورين بجامع دمشق، وأمر بإخراج الخزائن منه، والمقاصير التي كانت فيه، فكانت قريباً من ثلاثمائة [٧٢/١٠ ظ] خزانة ومقصورة، ووجدوا فيها قوارير البول والفُرَش والسجاجيد الكثيرة، فاستراح الناس والجامع من ذلك، واتسع على المصلين.

وفيها^(١) أمر السلطان بعمارة أسوار صفد وقلعتها، وأن يكتب عليها: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وفيها^(٢) التقى أنغا ومنكوتر الذي قام مقام بركة خان، فكسره أنغا وغنم منه شيئاً كثيراً.

وحكى ابن خلّكان فيما نقل من خط الشيخ قطب الدين اليونيني قال^(٣): بلغنا أن رجلاً^(٤) بدير أبي سلامة من ناحية بصرى، كان فيه مجون واشتهار، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة، فقال: والله لا أستاك إلا في المخرج. يعنى دُبْرَه، فأخذ سيواكاً، فوضعه في مخرجه ثم أخرجه، فمكث بعده تسعة

(١) نهاية الأرب ٣٠/١٣٧، وعقد الجمان ٧/٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/٣٦٣.

(٣) عقد الجمان ١٠/٢.

(٤) (٤ - ٤) في م: «يدعى أبا سلامة».

أشهر، فوضع ولدًا على صفة الجزدان، له أربعة قوائم، ورأسه كرأس السمكة، وله دبّ كدبر الأرنب. ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات، فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأسه فمات، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين، ومات في الثالث، وكان يقول: هذا الحيوان قتلنى وقطع أمعائى. وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان، ومنهم من رأى ذلك الحيوان حيًا قبل أن يموت، ومنهم من رآه بعد موته.

ومَن تُوفى فيها من الأعيان:

السلطان بركة خان بن تولى بن جنكزخان بن خاقان^(١) وهو ابن عم هولاكو، وقد أسلم بركة خان هذا، وكان يُحب العلماء والصالحين، ومن أكبر حسناته كشره لهولاكو وتفريقه جنوده، وكان يُنصِّح الملك الظاهر ويُعظِّمه ويُكرِّم رسله إليه، ويُطلق لهم شيئًا كثيرًا، وقد قام فى الملك بعده بعض أهل بيته، وهو منكوتمر بن طغان بن باتو بن تولى بن جنكزخان، وكان على طريقته ومثاله، ولله الحمد.

قاضى القضاة بالديار المصرية تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بدر ابن بنت الأعز الشافعى^(٢)، كان دئيًا عفيفًا نزيهاً، لا تأخذه فى الله لومة لائم، ولا يقبل شفاعاة أحد، وجميع له قضاء الديار المصرية بكما إليها، والخطابة والحسبة،

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٦٤/٢، ونهاية الأرب ٣٥٨/٢٧، والعبر ٢٨٠/٥، والوافى بالوفيات ١٠/١١٧، وعقد الجمان ١٦/٢.

(٢) الذيل على الروضتين ص ٢٤٠، وذيل مرآة الزمان ٣٦٩/٢، ونهاية الأرب ١٤٠/٣٠، والعبر ٥/٢٨١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣١٨/٨، وعقد الجمان ١٢/٢.

وَمَشِيخَةُ الشُّيُوخِ، وَنَظَرُ الْأَحْبَاسِ^(١)، وَتَدْرِيسُ قُبَّةِ^(٢) الشَّافِعِيِّ وَالصَّالِحِيَّةِ وَإِمَامَةُ
الْجَامِعِ، وَكَانَ بِيَدِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَظِيفَةً، وَبَاشَرَ الْوِزَارَةَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ،
وَكَانَ السُّلْطَانُ يُعَظِّمُهُ، وَالْوِزِيرُ ابْنُ الْحَنَّا يَخَافُ مِنْهُ كَثِيرًا، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَنْكُبَهُ
عِنْدَ السُّلْطَانِ وَيَضَعَهُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَأْتِيَ دَارَهُ وَلَوْ عَائِدًا،
فَمَرَضَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، فَجَاءَهُ الْقَاضِي عَائِدًا، فَقَامَ لَتَلْقِيهِ إِلَى وَسْطِ الدَّارِ،
فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: إِنَّمَا جِئْنَا لِعِيَادَتِكَ، فَإِذَا أَنْتَ سَوِيٌّ صَحِيحٌ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ.
فَرَجَعَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدَهُ. وَكَانَ مَوْلَدُهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّمِائَةٍ، وَتَوَلَّى بَعْدَهُ الْقَضَاءُ
تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ رَزِينٍ.

وَاقِفُ الْقَيْمَرِيَّةِ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَزِيزِ بْنِ
أَبِي الْفَوَارِسِ الْقَيْمَرِيُّ الْكُزْدِيُّ^(٣)، كَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْأُمَرَاءِ مَكَانَةً عِنْدَ الْمُلُوكِ،
وَهُوَ الَّذِي سَلَّمَ الشَّامَ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَاحِبِ حَلَبَ، حِينَ قُتِلَ ثَوْرَانِشَاهُ بْنُ
الصَّالِحِ أَيُّوبَ بِمَصْرَ، وَهُوَ وَاقِفُ الْمَدْرَسَةِ الْقَيْمَرِيَّةِ [٧٣/١٠] عِنْدَ مِثْدَنَةِ فَيْرُوزَ،
وَعَمِلَ عَلَى بَابِهَا السَّاعَاتِ الَّتِي لَمْ يُسَبِّقْ إِلَى مِثْلِهَا، وَلَا عَمِلَ عَلَى شَكْلِهَا،
يَقَالُ: إِنَّهُ غَرِمَ عَلَيْهَا أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ^(٤): عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ

(١) فِي الْأَصْلِ: «الْجَيْشُ»، وَفِي م: «الْأَجْيَاشُ»، وَالثَّبْتُ مِنْ عَقْدِ الْجَمَانِ.

(٢) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلُ، م. وَالثَّبْتُ مِنْ طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ الْكَبْرَى.

(٣) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ٢٣٩، وَذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٢/٣٦٦، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣٠/١٤٦، وَالْعَبْرُ ٥/٢٨٠، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٢/١٥.

(٤) الذَّيْلُ عَلَى الرُّوْضَتَيْنِ ص ٣٧، وَذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٢/٣٦٧، وَالْعَبْرُ ٥/٢٨٠، وَالْوَاقِفِيُّ بِالْوَفَايَاتِ ١٨/١١٣، وَطَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ الْكَبْرَى لِلْسَّبْكِ ٨/١٦٥، غَايَةُ النِّهَايَةِ ١/٣٦٥، وَبَغْيَةُ الْوَعَاةِ ٢/٧٧، وَطَبَقَاتِ الْمَفْسَرِينَ لِلدَّوْدِيِّ ١/٢٦٣.

عثمان بن أبي بكر بن عباس، أبو^(١) محمد وأبو القاسم المقدسي، الشيخ الإمام العلامة الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ المعروف بأبي شامة، شيخ دار الحديث الأشرفية، ومدرس الركنية، وصاحب المصنفات العديدة المفيدة، له «اختصار تاريخ دمشق» في مجلدات كثيرة، وله «شرح الشاطبية»، وله «الرد إلى الأمر الأول»، وله في البعث^(٢) وفي الإسرائ^(٣)، وكتاب «الروضتين في الدولتين الثورية والصلاحية»، وله «الذيل» على ذلك، وله غير ذلك من الفوائد الحسان والفرائد^(٤) التي هي كالعقيان. وُلِدَ ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع و^(٥) تسعين وخمسمائة^(٦)، وذكر لنفسه ترجمة في هذه السنة في «الذيل»، وذكر مَرْبَاهُ وَمَنْشَأَهُ، وطلبه العلم، وسماعه الحديث، وتفقهه على الفخر بن عساكر، وابن عبد السلام، والسيف الأمدى، والشيخ مؤفّق الدين بن قدامة، وما رُئِيَ له من المنامات الحسنة. وكان ذا فنون كثيرة، أخبرني الشيخ علّم الدين البيزالي الحافظ عن الشيخ تاج الدين القزاري، أنه كان يقول: بلغ الشيخ شهاب الدين أبو شامة رتبة الاجتهاد، وقد كان ينظم أشعاراً في أوقات، منها ما هو مُسْتَحْلَى، ومنها ما لا يُسْتَحْلَى. فالله يَغْفِرُ لنا وله.

وبالجملة فلم يَكُنْ في وقته مثله في نفسه وديانته، وعِفِّته وأمانته، وكانت وفاته بسبب جماعة^(٧) ألَبُوا عليه، فأرسلوا إليه مَنْ اغْتَالَهُ، وهو بمنزلة له بطّواحين الأُسنان، وقد كان اتَّهِمَ بِأَمْرِ^(٨) الظاهر براءته منه، وقد قال جماعة من أهل

(١) كذا في الأصل، م، وفي الذيل على الروضتين قال المصنف عن نفسه: يكنى أبا القاسم محمد، وفي ذيل مرآة الزمان: «بن».

(٢) وهو كتاب «شرح الحديث المقتضى في مبعث المصطفى».

(٣) وهو كتاب «نور المسرى في تفسير آية الإسرائ».

(٤) في م: «الفرائد».

(٥ - ٥) في الأصل: «ستمائة». وانظر الذيل على الروضتين ص ٣٧.

(٦) في م: «محنة».

(٧) في م: «برأى».

الحديث وغيرهم : إنه كان مظلوماً . ولم يَزَلْ يَكْتُثِبُ في « التاريخ » حتي وصل إلى رجبٍ من هذه السنة ، فذكر أنه أُصِيبَ بِمِخْنَةٍ في منزله بطواحين الأُسنانِ ، وكان الذين قتلوه جاءوه قبل ، فَضَرَبُوهُ لِيَمُوتَ ، فلم يُمِتْ ، فقيل له : ألا تَشْتَكِي عليهم . فلم يَفْعَلْ ، وأنشأ يقول^(١) :

قلْتُ لِمَنْ قال ألا تَشْتَكِي ما قد جرى فهو عَظِيمٌ جليلٌ
يُقَيِّضُ اللَّهُ تعالى لنا مَنْ يَأْخُذُ الحَقَّ وَيَشْفِي العَليْلُ
إذا توَكَّلْنَا عليه كَفَى فحسبنا اللَّهُ ونعم الوكيلُ

وكانهم عادوا إليه مرةً ثانيةً ، وهو في المنزل المذكور ، فقتلوه بالكلية في ليلة الثلاثاء تاسعَ عشرَ من رمضان ، رحمه الله .^(٢) ودُفِنَ من يومه بمقابرِ بابِ^(٣) الفَراديسِ^(٢) ، وبأشرَ بعده مَشِيخَةَ دارِ الحديثِ الأشرَفِيَةِ الشيخِ مُحْيِي الدينِ النَّوَوِي . وفي هذه السنة كان مؤلِّدُ الحافظِ عَلمِ الدينِ القاسمِ بنِ محمدِ البِزْزالي ، وقد ذُيِّلَ على تاريخِ الشيخِ أبي شامة ؛ لأن مولده في سنة وفاته ، فحذا حذوه ، وسلك نحوه ، ورَتَّبَ تَرتيبه ، وهذَّبَ تَهذيبه ، وهذا مِمَّنْ يُقالُ فيه وفي أمثاله في تراجمهم^(٤) :

ما زلتَ تَكْتُثِبُ في التاريخِ مُجْتَهِداً حتى رأيتُكَ في التاريخِ مَكْتُوباً
ويُناسبُ أن يُنشدَ هنا قولُ الشاعرِ^(٥) :

إذا سيِّدٌ منا خَلاً قام سيِّدٌ قَوُولُ ما قال الكِرامُ فَعولٌ

(١) الأبيات في الذيل على الروضتين ص ٢٤٠ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) في الأصل : « دار » . والمثبت من غاية النهاية وعقد الجمان ١٥ / ٢ .

(٤) انظر ما تقدم صفحة ٣٤٤ .

(٥) البيت للسموأل بن عاديا . انظر الحماسة لأبي تمام ٨١ / ١ ، وديوان السموأل المجموع ص ٩١ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ وَسَتِينَ وَسِتْمَائَةٌ^(١)

اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَالْحَاكِمُ الْعَبَّاسِيُّ خَلِيفَةُ، وَسُلْطَانُ الْبِلَادِ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ،
وَفِي أَوَّلِ جُمَادَى الْآخِرَةِ خَرَجَ السُّلْطَانُ [٧٣/١٠ ظ] مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِالْعَسَاكِرِ
الْمِنْصُورَةِ، فَنَزَلَ عَلَى مَدِينَةِ يَافَا بَغْتَةً، فَأَخَذَهَا عُنُوتًا، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا قَلْعَتَهَا
صُلْحًا، فَأَجْلَاهُمْ مِنْهَا إِلَى عَكَّا، وَخَرَّبَ الْقَلْعَةَ وَالْمَدِينَةَ^(٢) أَيْضًا، وَقَدْ كَانَ الْفَرِنْجُ
اعْتَنَوْا بِعِمَارَتِهَا وَتَحْصِينِهَا، فَجَعَلَهَا بَلَقَعًا لئَلَّا يَكُونَ لَهُمْ إِلَيْهَا عَوْدَةٌ^(٣)، وَسَارَ مِنْهَا
فِي رَجَبٍ قَاصِدًا حَصْنَ الشَّقِيفِ، وَفِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَخَذَ مِنْ بَعْضِ بَرِيدِيَةِ الْفَرِنْجِ
كِتَابًا مِنْ أَهْلِ عَكَّا إِلَى أَهْلِ الشَّقِيفِ يُغْلِمُونَهُمْ بِقُدُومِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ،
وَيَأْمُرُونَهُمْ بِتَحْصِينِ الْبَلَدِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى إِصْلَاحِ أَمَاكِنَ يُخْشَى عَلَى الْبَلَدِ مِنْهَا.
فَفَهِمَ السُّلْطَانُ كَيْفَ يَأْخُذُ الْبَلَدَ، وَعَرَفَ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الْكَتِيفُ، وَاسْتَدْعَى مِنْ
قَوَرِهِ رَجُلًا مِنَ الْفَرِنْجِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ بَدْلَهُ كِتَابًا عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ إِلَى أَهْلِ
الشَّقِيفِ، يُحَذِّرُ الْمَلِكَ مِنَ الْوَزِيرِ، وَالْوَزِيرَ مِنَ الْمَلِكِ، وَيُؤَمِّمِي الْخُلْفَ بَيْنَ الدَّوْلَةِ.
فَوَصَلَ إِلَيْهِمْ، فَأَوْقَعَ اللَّهُ الْخُلْفَ بَيْنَهُمْ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَجَاءَ السُّلْطَانُ فَحَاصَرَهُمْ
وَرَمَاهُمْ بِالْمُنَجْنِيقِ، فَسَلَّمُوهُ الْحَصْنَ فِي التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، وَأَجْلَاهُمْ
إِلَى صُورَ، وَبَعَثَ بِالْأَنْقَالِ^(٤) إِلَى دِمَشْقَ، ثُمَّ رَكِبَ جَرِيدَةً فِيمَنْ نَشِطَ مِنْ

(١) ذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٣٧٣/٢ - ٤٠٦، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٥٠/٣٠ - ١٥٦، وَكَتَزُ الدَّرَرِ ١٢٣/٨ -

١٣٩، وَالْعَبَرُ ٢٨٣/٥.

(٢) ٢ - سَقَطَ مِنْ: م.

(٣) فِي م: «بِالْأَنْفَالِ».

الجيش، فشنَّ الغارة على طرابلس وأعمالها، فهَبَ وقتل وأزعب، وكرَّ راجعاً مؤيِّداً منصوراً، فنزل على حصن الأكراد^(١) تحته^(٢) في المَرَج، فحمل إليه أهله من الفِرْنَج الإقامات، فأبى أن يقبلها وقال: أنتم قتلتم جُندياً من جيشي، وأريد ديتَه مائة ألف دينار. ثم سار، فنزل على حمص، ثم منها إلى حماة، ثم إلى أقامية^(٣)، ثم سار منزلة أخرى، ثم سار ليلاً، وتقدَّم إلى العسكرِ فليسوا العُدَّة، وساق حتى أحاط بمدينة أنطاكية.

فتح أنطاكية على يد السلطان الملك الظاهر

وهي مدينة عظيمة كثيرة الخير، يقال: إن دور سُورها اثنا عشر ميلاً، وعدد بُروجها مائة وستة وثلاثون بُرجاً، وعدد شرفاتها أربعة وعشرون ألف شرفة، كان نزوله عليها في مُستَهَلَّ شهر رمضان، فخرج إليه أهلها يطلبون منه الأمان، وشرطوا شروطاً عليهم له، فأبى أن يُجيبهم، وردَّهم خائبين، وصمَّم على حصارها، ففتحها يوم السبت رابع شهر^(٤) رمضان بحول الله وقوته وتأيدِهِ ونصرِهِ، وغنم منها شيئاً كثيراً، وأطلق للأمرءِ أموالاً جزيلة، ووجد من أسارى

(١) حصن الأكراد: من أعمال حمص وهو قلعة حصينة مقابل حمص من غربيها على الجبل المتصل بجبل لبنان ولها ربض، وكانت مقر ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس، وهي على مرحلة من حمص وكذلك عن طرابلس وهي بين حمص وطرابلس. النجوم الزاهرة ١٤٢/٧ حاشية (٤).

(٢) في م: «لحبه».

(٣) في الأصل: «إقامته»، وهو تصحيف. وأقامة: مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص... ويسمى بعضهم قامية. معجم البلدان ٣٢٣/١.

(٤) في م: «عشر». وانظر ذيل مرآة الزمان ٣٨٣/٢، والنجوم الزاهرة ١٤٣/٧.

المسلمين من الحلبيين فيها خلقًا كثيرًا، كلُّ هذا في مقدارٍ أربعة أيام . وقد كان الأفريس^(١) صاحبها وصاحب طرابلس، من أشدَّ الناس أذيةً للمسلمين، حينَ ملك التَّار حلب، وفرَّ الناس منها، فانتقمَ الله سبحانه منه بمن أقامه للإسلام ناصراً وللصليب دافعاً وكاسراً، ولله الحمد والمنَّة، وجاءت البشارةُ بذلك مع البريديَّة، فجاءَتْها البشائرُ من القلعة المنصورة، وأرسل أهلُ بَغْرَاس^(٢) حينَ سَمِعُوا بقصدِ السلطان إليهم يطلبون منه أن يبعثَ إليهم مَنْ يَسَلِّمُها، فأرسل إليهم أستاذداره الأمير آقشَنَقَرُ الفارقاني في ثالثَ عشرَ رمضانَ فتسلَّمها، وتسلَّموا حصوناً كبيرةً وقلاعاً كثيرةً، وعاد السلطانُ مؤيِّداً منصوراً، فدخل دمشق في السابع والعشرين من رمضان من هذه السنة في أُبْهة عظيمة وهَيْئة هائلة، وقد زِيَّنت له البلد، ودُقَّت له البشائرُ فرحاً بنصرة الإسلام على الكفرة الطغام، لكنه كان قد عزم على أخذِ أراضٍ كثيرة من القرى والبساتين التي بأيدي مُلَّاكِها بزعم أنه قد كانت التَّار استحوذوا عليها، [٧٤/١٠] ثم استنقذها منهم، وقد أفتاه بعضُ الفقهاء من الحنفية بذلك، تفرعاً على أن الكفار إذا أخذوا شيئاً من أموال المسلمين ملكوها، فإذا استزججت لم تُردَّ إلى أصحابها، وهذه المسألة مشهورة، وللناس فيها قولان؛ أصحُّهما قولُ الجمهور أنه يَجِبُ رُدُّها إلى أصحابها؛ لحديثِ العَضْبَاءِ ناقةِ رسولِ الله ﷺ^(٣)، حينَ استزججها رسولُ الله ﷺ، وقد كان أخذها المشركون، استدلُّوا بهذا وأمثاله على أبي حنيفة رحمه الله تعالى . وقال بعضُ العلماء: إذا أخذ الكفار أموال المسلمين، وأسلموا وهي في أيديهم

(١) في م: «الأغريس» .

(٢) بغراس: مدينة في لحف - أصل - جبل اللكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب في البلاد المطلة على نواحي طرسوس . انظر معجم البلدان ١/٦٩٣ .

(٣) تقدم تخريجه في ٦/١٧٥ .

اسْتَقَرَّتْ عَلَى أَمْلَاكِهِمْ . وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(١) :
« وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ » . وَقَدْ كَانَ اسْتَحْوَذَ عَلَى أَمْلَاكِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ
هَاجَرُوا ، وَأَسْلَمَ عَقِيلٌ وَهِيَ فِي يَدِهِ ، فَلَمْ تُنْتَزَعْ مِنْ يَدِهِ ، وَأَمَّا إِذَا انْتَرَعَتْ مِنْ
أَيْدِيهِمْ قَبْلُ ، فَإِنَّهَا تُرَدُّ إِلَى أَرْبَابِهَا لِحَدِيثِ الْعَضْبَاءِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الظَّاهِرَ عَقَدَ مَجْلِسًا اجْتَمَعَ فِيهِ الْقَضَاءُ وَالْفُقَهَاءُ مِنْ سَائِرِ
الْمَذَاهِبِ ، وَتَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ ، وَصَمَّمِ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ اعْتِمَادًا عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ
الْفَتَاوَى ، وَخَافَ النَّاسُ مِنْ غَائِلَةِ ذَلِكَ ، فَتَوَسَّطَ الصَّاحِبُ فَخَرُ الدِّينِ بَنُ الْوَزِيرِ
بِهَاءُ الدِّينِ بْنِ الْحِثَّاءِ ، وَكَانَ قَدْ دَرَسَ بِالشَّافِعِيِّ بَعْدَ ابْنِ بَنِي الْأَعْرَجِ ، فَقَالَ : يَا
خُونَدُ ، أَهْلُ الْبَلَدِ يُصَالِحُونَكَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ تُقَسِّطُ ؛ كُلُّ سَنَةٍ
مِائَتَا أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَأَتَى إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُعَجَّلَةً بَعْدَ أَيَّامٍ ، وَخَرَجَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الدِّيَارِ
الْمِصْرِيَّةِ ، وَقَدْ أَجَابَ إِلَى تَقْصِيطِهَا ، وَجَاءَتْ الْبِشَارَةُ بِذَلِكَ^(٢) وَقُرِئَتْ عَلَى الْمَنْبَرِ ،
فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ^(٣) ، وَرَسَمَ أَنْ يُعَجَّلُوا مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَنْ تُعَادَ
إِلَيْهِمْ^(٤) الْعَلَالُتُ الَّتِي كَانُوا قَدْ اخْتَاطَوْا عَلَيْهَا فِي زَمَنِ الْقَسَمِ وَالْثَّمَارِ ، وَكَانَتْ
هَذِهِ الْفَعْلَةُ مِمَّا شَعْنَتْ خَوَاطِرَ النَّاسِ عَلَى السُّلْطَانِ .

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَبْعَا عَلَى التَّارِ أَمَرَ بِاسْتِغْرَارِ وَزِيرِهِ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ ،
وَاسْتَنْابَ عَلَى بِلَادِ الرُّومِ الْبَرْزَوَانَةَ^(٥) ، وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ عِنْدَهُ جَدًّا ، وَاسْتَقَلَّ بِتَدْبِيرِ
تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُ فِيهَا .

(١) تقدم تخريجه في ٥٥٥/٦ ، كما أخرجه مسلم (٤٣٩ ، ٤٤٠ / ١٣٥١) .

(٢ - ٣) سقط من : م .

(٣) في م : « إليه » . وانظر كنز الدرر ٣٨٧/٨ .

(٤) البروانة : لفظ فارسي معناه في الأصل الحاجب ، وقد أطلق في دولة السلاجقة الروم بآسيا الصغرى
على الوزير الأكبر . انظر السلوك ٥٧٢/١ (القسم الثاني) حاشية (١) .

وفيها كَتَبَ صاحبُ اليمينِ إلى الظاهرِ بالخُضوعِ والانتماءِ إلى جانبِهِ ، وأنه يَخْطُبُ له ببلادِ اليمينِ ، وأُرْسِلَ إليه هدايا وتُحَفًا كثيرةً ، فأرْسَلَ إليه السلطانُ هدايا وخِلَعًا وسُنَجَقًا وتَقْلِيدًا .

وفيها رَافَعَ ضِيَاءُ الدينِ بنُ الفُقَاعِيّ للصاحبِ بهاءِ الدينِ بنِ الحِجَّتَا عندَ الظاهرِ ، واستَظَهَرَ عليه ابنُ الحِجَّتَا ، فسَلَّمَهُ الظاهرُ إليه ، فلم يَزَلْ يَضْرِبُهُ بالمَقَارِعِ وَيَسْتَخْلِصُ أموالَهُ إلى أن مات ، فيقالُ : إنه ضربه قبل أن يموتَ سبعةَ عَشَرَ أَلْفَ مِقْرَعَةٍ وسَبْعِمِائَةٍ . فاللَّهُ أَعْلَمُ .

وفيها عَمِلَ البَرْوَانَاهُ على قتلِ المَلِكِ عَلَاءِ الدينِ صاحبِ قُورْنِيَّةَ ، وأقام ولدَهُ غِيَاثَ الدينِ مكانَهُ وهو ابنُ عَشْرِ سِنِينَ ، وتمكَّنَ البَرْوَانَاهُ في البلادِ [٧٤١/١٠] والعبادِ ، وأطاعه جيشُ الرومِ .

وفيها^(١) قَتَلَ الصاحبُ عَلَاءُ الدينِ صاحبُ الدِّيوانِ ببغدادَ ابنَ الخُشْكَرِيِّ التُّغْمَانِيّ الشاعرَ ؛ وذلك أنه اشتهَرَ عنه أَشْيَاءٌ عَظِيمَةٌ ، منها أنه يَعْتَقِدُ فَضْلَ شعرِهِ على القرآنِ المجيدِ ، وَاتَّفَقَ أن الصاحبَ انْحَدَرَ إلى واسِطِ ، فلما كان بالتُّغْمَانِيَّةِ حَضَرَ ابنُ الخُشْكَرِيِّ عنده ، وَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً قد قالها فيه ، فبينما هو يُنْشِدُهَا بينَ يديه إِذْ أَدْنَى الْمُؤَدُّنُ ، فاستَنَصَّتَهُ الصاحبُ ، فقال ابنُ الخُشْكَرِيِّ : يا مولانا ، اسْمَعْ شيئًا جديدًا ، وأَعْرِضْ عن شيءٍ له سنون . فثَبَّتَ عندَ الصاحبِ ما كان يقالُ عنده عنه ، ثم باسَطَهُ وأظْهَرَ أنه لا يُنْكَرُ عليه شيئًا مما قال حتى اسْتَعْلَمَ ما عنده ، فإذا هو زَنْدِيقٌ ، فلما رَكِبَ قال لإنسانٍ معه : اسْتَفْرِدْهُ في أَثْناءِ الطريقِ واقتُلْهُ . فسأيرُهُ ذلك الرجلُ حتى إذا انْقَطَعَ عن الناسِ قال لجماعةٍ معه : أنزلوه عن فرسِهِ . كالمُدَاعِبِ له ، فَأَنْزَلُوهُ وهو يَشْتُمُهُمْ وَيَلْعَنُهُمْ ، ثم قال : أنزِعوا عنه ثِيَابَهُ . فسلبوها

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٨٧/٢ ، وعقد الجمان ٣٥/٢ .

وهو يُخَاصِمُهُمْ ، ويقول : إنكم أجلاف ، وإن هذا لِعَبٌّ باردٌ . ثم قال : اضربوا عنقه . فتقدّم إليه أحدهم ، فضربه بسيفه ، فأبان رأسه .

وفيها تُوفى :

الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال^(١) ، شيخ رباط المَرْزُبَانِيَّةِ ، كان صالحاً ورعاً زاهداً ، حكى عن نفسه قال : كنت بمصر فبلغنى ما وقع من القتل الذريع بيغداد فى فِتْنَةِ التتارِ ، فأنكرتُ فى قلبى ، وقلتُ : ياربُّ ، كيف هذا وفيهم الأطفالُ ومن لا ذنبَ له ؟ فرأيتُ فى المنام رجلاً وفى يده كتابٌ ، فأخذته فقرأته ، فإذا فيه هذه الأبياتُ ، فيها الإنكارُ على :

دَعِ الإِغْتِرَاضَ فما الأمرُ لك ولا الحكمُ فى حركاتِ القَلَكِ
ولا تَسْأَلِ اللّهَ عن فعلِهِ فَمَنْ خاض لُجَّةَ بحرِ هَلَكِ
إليه تَصِيرُ أمورُ العبادِ دَعِ الإِغْتِرَاضَ فما أَجْهَلَكِ
ومَنْ تُوفى فيها مِنَ الأعيانِ :

الحافظُ أبو إبراهيم إسحاق بن عبد الله بن عمر^(٢) المعروف بابن قاضى اليمن ، عن ثمانٍ وستين سنةً ، ودُفِنَ بالشَّرفِ الأعلى ، وكان قد تفرَّدَ برواياتٍ جيدةٍ ، وانتفعَ الناسُ به .

وفيها^(٣) وُلِدَ الشيخُ شَرَفُ الدين عبدُ الله ابنُ تَيْمِيَّةَ ، أخو الشيخِ تَقَى الدين ابنِ تَيْمِيَّةَ ، والخطيبُ القَرْوِينِي^(٤) .

(١) عقد الجمان ٣٥/٢ .

(٢) بعده فى الأصل : « بن عبد الله » . ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

(٣) عقد الجمان ٣٨/١ .

(٤) ستأتى ترجمته فى ٤١٧/١٨ ضمن وفيات سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٌ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةً^(١)

فى صَفَرٍ مِنْهَا جَدَّدَ السُّلْطَانُ الظَّاهِرُ الْبَيْعَةَ لَوْلِيهِ مِنْ بَعْدِهِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ مُحَمَّدِ بَرَكَةِ خَانَ ، وَأَخْضَرَ الْأَمْرَاءَ كُلَّهُمْ وَالْقُضَاةَ وَالْأَعْيَانَ ، وَأَرْكَبَهُ وَمَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَتَبَ لَهُ ابْنُ لُقْمَانَ تَقْلِيدًا هَائِلًا بِالْمَلِكِ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ ، وَأَنْ يَحْكُمَ عَنْهُ أَيْضًا فِى حَالِ حَيَاتِهِ ، ثُمَّ رَكِبَ السُّلْطَانُ فِى عَسَاكِرِهِ فِى جُمَادَى الْآخِرَةِ قَاصِدًا الشَّامَ ، فَلَمَّا دَخَلَ دِمَشْقَ جَاءَتْهُ رِسْلٌ مِنْ أَبْعَا مَلِكِ التَّتَارِ ، مَعَهُمْ مُكَاتَبَاتٌ وَمُشَافَهَاتٌ ، فَمِنْ جَمَلَةِ الْمُشَافَهَاتِ : أَنْتَ مَمْلُوكٌ أُبَغْتَ بِسِيَوَاسٍ^(٢) ، فَكَيْفَ يَصْلُحُ لَكَ أَنْ تُخَالِفَ مَمْلُوكَ الْأَرْضِ ؟! وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَوْ صَعِدْتَ إِلَى السَّمَاءِ أَوْ هَبَطْتَ إِلَى الْأَرْضِ مَا تَخَلَّصْتَ مِنِّى فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ عَلَى مُصَالِحَةِ السُّلْطَانِ أَبْعَا . فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى ذَلِكَ ، وَلَا عَدَّهُ شَيْئًا ، بَلْ أَجَابَ عَنْهُ أَتَمَّ جَوَابٍ ، وَقَالَ لِرُسُلِهِ : أَعْلِمُوهُ أَنِّى مِنْ وَرَائِهِ بِالْمُطَالَبَةِ ، وَلَا أَرَاكَ حَتَّى أَتَنَزَّعَ مِنْهُ جَمِيعَ الْبِلَادِ الَّتِى اسْتَحْوَذَ عَلَيْهَا مِنْ بِلَادِ الْخُلَفَاءِ ، وَسَائِرِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ .

وفى جُمَادَى الْآخِرَةِ رَسَمَ السُّلْطَانُ [٧٥/١٠] الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بِإِرَاقَةِ الْخَمُورِ وَتَبْطِيلِ الْمَقْسِدَاتِ وَالْخَوَاطِئِ بِالْبِلَادِ كُلِّهَا ، فَتَهَبَّتِ الْخَوَاطِئُ وَسُلِبْنَ جَمِيعَ مَا كَانَ مَعَهُنَّ^(٣) وَحُسِّنَ^(٣) حَتَّى يَتَزَوَّجَنَّ ، وَكَتَبَ إِلَى جَمِيعِ الْبِلَادِ بِذَلِكَ ، وَأَسْقَطَ

(١) ذيل مرآة الزمان ٤٠٦/٢ - ٤٣٠ ، ونهاية الأرب ١٥٧/٣٠ - ١٦٧ ، وكنز الدرر ١٣٩/٨ - ١٤٢ .

(٢) سيواس : بلد بالروم . التاج (س و س) .

(٣ - ٣) سقط من : م .

المَكُوسُ التى كانت مُرْتَبَّةً على ذلك ، وعَوَّضَ مَنْ كان مُحالاً على ذلك بغيرها ،
وللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

ثم عاد السلطانُ بعساكره إلى مصرَ ، فلما كان فى أثناءِ الطريقِ عندَ خَرِبةِ
اللُّصُوصِ تعرَّضَتْ له امرأةٌ ، فذكرت له أن ولدها دخلَ مدينةَ صُورَ ، وأن
صاحبها الفِرْنَجِيَّ غدرَ به وقتله ، وأخذ ماله ، فركبَ السلطانُ وشنَّ الغارةَ على
صُورَ ، فأخذ منها شيئاً كثيراً ، وقتل خلقاً ، فأرسلَ إليه مَلِكُها : ما سببُ هذا ؟
فذكر له غدره ومكره بالتجارِ ، ثم قال السلطانُ لمُقدِّمِ الجيوشِ : أوهمِ الناسَ أنى
مريضٌ ، وأنى بالحِجَّةِ ، وأحضِرِ الأطباءَ ، واستوصِفْ لى منهم ما يَصْلُحُ لمريضٍ به
كذا وكذا ، وإذا وصفوا لك ، فأحضِرِ الأُشربةَ إلى الحِجَّةِ ، وأنتم سائرون . ثم
ركبَ السلطانُ على البريدِ ، وساق مُسرِعاً "حتى دخلَ الديارَ المصريةُ" ،
فكشَفَ أحوالَ ولده ، وكيف الأمرُ بالديارِ المصريةِ بعده ، ثم عاد مُسرِعاً إلى
الجيشِ ، فجلَسَ فى الحِجَّةِ ، وأظهروا عافيته ، وتبأشروا بذلك . وهذه جُزْءَةٌ
عظيمةٌ ، وإقدامٌ هائلٌ .

وفىها حجَّ السلطانُ الملكُ الظاهرُ ، وفى صحبته الأميرُ بدرُ الدينِ الخزندارُ ،
وقاضى القضاةِ صدرُ الدينِ سليمانُ الحنَفِيُّ ، وفخرُ الدينِ بنُ لُقمانَ ، وتاجُ الدينِ
ابنُ الأثيرِ ، ونحوُ من ثلاثمائةِ مملوكٍ ، وأجنادٌ من الحلقةِ المنصوريةِ ، فسارَ على
طريقِ الكَرَكِ ، ونظرَ فى أحوالها ، ثم منها إلى المدينةِ النبويةِ ، فأحسنَ إلى أهلها ،
ونظرَ فى أحوالها ، ثم منها إلى مكةَ ، فتصدَّقَ على المُجاوِرِينَ ، ثم وقَفَ بعرفةَ ،
وطافَ طَوافَ الإفاضةِ ، وقِيحَتْ له الكعبةُ ، فغسلها بماءِ الوردِ ، وطَيَّبها بيده ، ثم

وَقَفَ بِيَابِ الكَعْبَةِ ، فَتَنَاولَ أَيْدَى النَّاسِ لِيَدْخُلُوا الكَعْبَةَ ، وَهُوَ بَيْنَهُمْ كَأَحَدِهِمْ ^(١) ، ثُمَّ رَجَعَ فَرَمَى الْجَمَرَاتِ ، ثُمَّ تَعَجَّلَ النَّفْرَ ، فَعَادَ عَلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ ، فَزَارَ الْقَبْرَ الشَّرِيفَ مَرَّةً ثَانِيَةً ، عَلَى سَاكِنِهِ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَأَتَمَّ التَّسْلِيمِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَصَحَابَتِهِ الْكَرَامِ أَجْمَعِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . ثُمَّ سَارَ إِلَى الْكَرْكِ ، فَدَخَلَهَا فِي التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَأُرْسِلَ الْبَشِيرُ إِلَى دِمَشَقَ بِقُدُومِهِ سَالِمًا ، فَخَرَجَ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ آقُوْشُ النَّجِيبِيُّ نَائِبُهَا لِيَتَلَقَّى الْبَشِيرَ فِي ثَانِي الْحَرَمِ ، فَإِذَا هُوَ السُّلْطَانُ نَفْسُهُ يَسِيرُ فِي الْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ ، وَقَدْ سَبَقَ الْجَمِيعَ ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَةِ سَيْرِهِ وَصَبْرِهِ وَجَلْدِهِ ، ثُمَّ سَارَ مِنْ قُورِهِ حَتَّى دَخَلَ حَلَبَ فِي سَادِسِ الْحَرَمِ لِيَتَفَقَّدَ أَخْوَالَهَا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى حِمَاةَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى دِمَشَقَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى مِصْرَ ، فَدَخَلَهَا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَالِثَ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الْمُقْبِلَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَفِي أَوَاخِرِ ذِي الْحِجَّةِ هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ أَعْرَقَتْ مَائَتَيْ مَرْكَبٍ فِي النَّيْلِ ، وَهَلَكَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَوَقَعَ هُنَالِكَ مَطَرٌ شَدِيدٌ جَدًّا ، وَأَصَابَ الشَّامَ مِنْ ذَلِكَ صَقْعَةٌ أَهْلَكَ الثَّمَارَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ .

وَفِيهَا أَوْقَعَ اللَّهُ تَعَالَى الْخُلَفَاءَ بَيْنَ الثُّنَارِ مِنْ أَصْحَابِ أَفْعَا وَأَصْحَابِ ابْنِ مَنكُوتَمَرِ ابْنِ عَمِّهِ وَتَفَرَّقُوا وَاشْتَغَلُوا بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

وَفِيهَا خَرَجَ أَهْلُ حِزَّانَ مِنْهَا وَقَدِمُوا الشَّامَ ، وَكَانَ فِيهِمْ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ صُحْبَةُ أَبِيهِ ، وَعَمْرُهُ سِتُّ سِنِينَ ، وَأَخُوهُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَشَرَفُ الدِّينِ عَبْدُ اللَّهِ ، وَهُمَا أَصْغَرُ مِنْهُ .

(١) لَيْسَتْ فِي : م .

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

الأمير عز الدين أيّدمر بن عبد الله الحلبي^(١) الصالحى ، كان من أكابر
الأمراء وأخطاهم عند الملوك ، ثم عند الملك الظاهر ، كان يشتبهه إذا [٧٥/١٠ ظ]
غاب ، فلما كانت هذه السنة أخذته معه ، وكانت وفاته بقلعة دمشق ، ودُفن
بترتبه بالقرب من اليعمورية ، وخلف أموالاً جزيلة ، وأوصى إلى السلطان فى
أولاده ، وحضر السلطان عزاءه بجامع دمشق .

شرف الدين^(٢) أبو الطاهر^(٢) محمد بن الحافظ أبى الخطاب عمر بن دحية
المصرى ، وُلد سنة عشر وستمائة ، وسمع أباه وجماعة ، وتولّى مشيخة دار
الحديث الكاملية مدة ، وحَدَّث ، وكان فاضلاً .

القاضى تاج الدين أبو عبد الله محمد بن وثاب بن رافع البجلي
الحنفى^(٣) ، درّس وأفتى عن ابن عطاء بدمشق ، ومات بعد خروجه من الحمام
على مساطب الحمام فجأة ، ودُفن بقايسون .

الطبيب الماهر شرف الدين أبو الحسن على بن يوسف بن حيدرة
الرحبى^(٤) ، شيخ الأطباء بدمشق ، ومدرس الدخوارية عن وصية واقفها بذلك ،
وله التّقْدِمة فى هذه الصناعة على أقرانه من أهل زمانه ، ومن شعره قوله :

(١) فى م : « الحلبي » . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٤١٣/٢ ، والوفاء بالوفيات ٥/١٠ ،
والسلوك ٥٨٢/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ٥٦/٢ ، والمنهل الصافى ١٧٠/٣ .

(٢ - ٢) فى م : « أبو الطاهر » . وانظر ترجمته فى : ذيل مرآة الزمان ٤٢١/٢ ، والوفاء بالوفيات ٤١/٣ ،
وعقد الجمان ٥٢/٢ ، والدليل الشافى ٦١٩/٢ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٤٢٨/٢ ، والوفاء بالوفيات ١٧٣/٥ ، والجواهر المضية ٣٨٩/٣ ، والدليل الشافى ٧١٠/٢ .

(٤) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٦٧٥ ، والوفاء بالوفيات ٣٥١/٢٢ ، والسلوك ٥٨٣/١ (القسم الثانى) ،
وعقد الجمان ٥٢/٢ ، والدارس ١٣٠/٢ وفيه : الرضى بدلا من : الرحبى ، وشذرات الذهب ٣٢٧/٥ .

يُسَاقُ بنو الدنيا إِلَى الْحَتْفِ عَنَوَةً وَلَا يَشْعُرُ الْبَاقِي بِحَالِهِ مَنْ يَمُضِي
كَأَنَّهُمْ الْأَنْعَامُ فِي جَهْلِ بَعْضِهَا بِمَا تَمَّ^(١) مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ عَلَى بَعْضِ

الشيخ نصير الدين المبارك بن يحيى بن أبي الحسن، أبو البركات بن
الطباخ^(٢) الشافعي، العلامة في الفقه والحديث، درس وأفتى وصنّف وانتفع به،
وعُمر ثمانين سنة، وكانت وفاته في حادى عشر جمادى الآخرة^(٣) من هذه
السنة، رحمه الله تعالى.

الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الكوفي المغربي^(٤)
النحوي، الملقّب بسبيّوّه، وكان فاضلاً بارعاً في صناعة النحو، تُوفّي
بمَارِسْتَانِ القاهرة في هذه السنة، عن سبع وستين سنة، رحمه الله. ومن شعره:
عَذَّبْتُ قَلْبِي بِهَجْرِ مِنْكَ مُتَّصِلٍ يَا مَنْ هَوَاهُ ضَمِيرٌ غَيْرُ مُتَفَصِّلِ
مَا زَادَنِي غَيْرَ تَأْكِيدِ صَدِّكَ لِي فَمَا عُذُولُكَ مِنْ عَطْفٍ إِلَى بَدَلِ
وفيها^(٥) وُلِدَ شيخنا العلامة كمال الدين محمد بن علي الأنصاري بن
الزَّمْلَكَانِي، شيخ الشافعية.

(١) في م: «ثم». وانظر مصادر الترجمة.

(٢) في م: «الصباغ». وانظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١٤٧٦/٤، وعقد الجمان ٥٣/٢، وحسن
المحاضرة ٤١٦/١.

(٣) في م: «الأولى». وانظر مصادر الترجمة.

(٤) في الأصل، م: «المقرى». والمثبت من مصادر ترجمته: السلوك ٥٨٣/١ (القسم الثاني)، وعقد
الجمان ٥٣/٢، والدليل الشافي ٤٦٠/١، وبغية الوعاة ١٧٠/٢.

(٥) عقد الجمان ٥١/٢. وستأتي ترجمته في ٢٩١/١٨، ضمن وفيات سنة سبع وعشرين وسبعمائة.

ثم دخلت سنة ثمان وستين وستمائة^(١)

فى ثانى المحرم منها دخل السلطان من الحجاز^(٢) على الهُجْنِ ، فلم يَرِعْ^(٣) الناس إلا وهو فى الميدان الأخضرِ يسيّرُ ، ففرح الناس بذلك ، وأراح الناس من تلقّيه بالهدايا والتحف ، وهذه كانت عادته ، وقد عجب الناس من سرعة مسيره وعلوّ همته ، ثم سار إلى حلب ، ثم سار إلى مصر ، فدخلها فى ثالث^(٤) الشهر مع الركب المصرى ، وكانت زوجته أم الملك السعيد فى الحجاز هذه السنة ، ثم خرج فى ثالث عشر صفر هو وولده والأمراء إلى الإسكندرية ، فتصيّد هنالك ، وأطلق للأمراء الأموال الكثيرة والخيل ، ورجع مؤيَّدا منصورا .

وفى المحرم منها قُتل صاحب مراكش أبو العلاء إدريس بن عبد الله بن محمد ابن يوسف الملقَّب بالواثق ، قتله^(٥) بنو مرين^(٦) فى حرب كانت بينه وبينهم بالقرب من مراكش .

وفى ثالث عشر ربيع الآخر منها وصل السلطان إلى دمشق فى طائفة من جيشه ، وقد لقوا فى الطريق مشقة كثيرة من البرد والوحل ، فخيَّم على

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٣٠ - ٤٤٢ ، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٦٩ - ١٧١ ، وكتر الدرر ٨/ ١٤٢ - ١٥٠ ، وانظر العبر ٥/ ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٢) أى دخل السلطان دمشق قادما من الحجاز بعد أداء حجه . انظر ما تقدم صفحة ٤٨٣ .

(٣) فى الأصل : « يزع » .

(٤) فى م : « سادس » . وانظر ما تقدم صفحة ٤٨٢ ، ٤٨٣ .

(٥ - ٥) فى م : « بنومرين » . وهو تصحيف . وانظر السلوك ١/ ٥٨٨ (القسم الثانى) ، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٧ .

الزَّنْبِقِيَّةُ^(١) ، وبلغه أن ابنَ أختِ زيتون^(٢) خرج من عكاَّ يَقْصِدُ جيشَ المسلمين ، فركب إليه سريعاً ، فوجده قريباً من عكاَّ ، فدخلها خوفاً منه^(٣) .

وفى رجبٍ تسلَّم نُوَّابُ السلطانِ مِصْيَافَ^(٤) من الإسماعيلية ، وهرب منها [٧٦/١٠] أميرُهم الصارمُ مباركُ بنُ الرَضِيِّ ، فتحَيَّلَ عليه صاحبُ حَمَاةٍ حتى أسره ، وأرسله إلى السلطانِ ، فحبسه فى بعضِ الأبرجةِ بالقاهرة .

وفىها أُرْسِلَ السلطانُ الدَّرَازِينَاتِ^(٥) إلى الحجرةِ النبوية ، وأمر أن تُقامَ حولَ القبرِ صِيَانَةٌ له ، وعَمِلَ لها أبواباً تُفْتَحُ وتُغْلَقُ مِنَ الدِّيارِ المصريةِ ، فركبَ ذلكَ عليها .

وفىها اشتَفَاضَتِ الأخبارُ بقصدِ الفِرْنَجِ بلادَ الشامِ ، فجهَّزَ السلطانُ العساكرَ لقتالِهِم ، وهو مع ذلكَ مُهْتَمٌّ بالإسكَنْدَرِيَّةِ خوفاً عليها ، وقد حصَّنها ، وعَمِلَ جسورةً إليها إن دهمها العدوُّ ، وأمر بقتلِ الكلابِ منها .

وفىها انْقَرَضَتِ دولةُ بنى عبدِ المؤمنِ من بلادِ المغربِ ، وكان آخرهم إدريسُ ابنُ عبدِ اللّهِ بنِ^(٦) محمد بنِ^(٦) يوسفَ صاحبِ مَرَاكُشَ ، قتله بنو مَرِينٍ فى هذه السنة .

(١) فى الأصل : « الزنبيقية » .

(٢) فى الأصل : « زيتون » .

(٣) فى ذيلِ مرآةِ الزمان ٤٣١/٢ : « فصادف ابنَ أختِ زيتون قد خرج فالتقى به فكسره واستأسره وجماة من أصحابه وقتل منهم خلقاً » .

(٤) فى الأصل : « مصيات » . وانظر معجم البلدان ٥٥٦/٤ ، وصبح الأعشى ١٤٦/٤ .

(٥) الدَرَازِينَات : جمع الدَرَازِين ، وهو الحاجز .

(٦ - ٦) سقط من : م .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الصاحبُ زَيْنُ الدِّينِ يَعْقُوبُ بْنُ «عَبْدِ الرَّفِيعِ» بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ الْمَصْرِيِّ المعروف بابنِ الزُّيَيْرِيِّ^(١)، كانَ فاضلاً رَئيساً، وَزَرَ لِلْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ قُطْرَ، ثم لِلظَّاهِرِ بَيْتُوسَ فِي أَوَّلِ دَوْلَتِهِ، ثم عَزَلَهُ، وَوَلَّى بَهَاءَ الدِّينِ بْنِ الْحِثَّاءِ، فَلَزِمَ مَنْزِلَهُ حَتَّى أَذْرَكَتْهُ مَنِيَّتُهُ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ ربيعِ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَلَهُ نَظْمٌ جَيِّدٌ.

الشيخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ خَلِيفَةِ الْخَزَرْجِيِّ الطَّبِيبِ، المعروف بابنِ أَبِي أَصْبِيعَةَ^(٢)، لَهُ «تَارِيخُ الْأَطْبَاءِ» فِي عَشْرِ مَجْلَدَاتٍ لِطَافٍ، وَهُوَ وَقَفٌ بِمَشْهَدِ ابْنِ عُزُوزَةَ بِالْأُمُويِّ، تُوفِّيَ بِصَرْخَدَ، وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ^(٤).

الشيخُ زَيْنُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الدَّائِمِ بْنِ نِعْمَةَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بُكَيْرٍ، أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُقَدَّسِيُّ النَّابُلُسِيُّ^(٥)، تَفَرَّدَ بِالرَّوَايَةِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَشَايِخِ، وَوُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَقَدْ سَمِعَ، وَرَحَلَ إِلَى بُلْدَانٍ شَتَّى، وَكَانَ فَاضِلاً يَكْتُبُ سَرِيعاً، حَكَى الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ أَنَّهُ كَتَبَ «مُخْتَصَرَ الْخَزَرْجِيِّ» فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَخَطَّهُ حَسَنٌ قَوِيٌّ حُلُوٌّ، وَقَدْ كَتَبَ «تَارِيخَ ابْنِ عَسَاكِرَ» مَرَّتَيْنِ، وَاخْتَصَرَهُ لِنَفْسِهِ أَيْضاً، وَأَضَرَّ فِي آخِرِ عَمَرِهِ أَرْبَعَ سَنِينَ،

(١ - ١) فِي م: «عَبْدُ اللَّهِ». وَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: ذَيْلُ مَرَأَةِ الزَّمَانِ ٤٤١/٢، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٧٢/٣٠، وَالسَّلُوكُ ٥٨٩/١ (الْقِسْمُ الثَّانِي)، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٦٥/٢، وَالذَّلِيلُ الشَّافِي ٧٩١/٢.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «الزَّيْنِ». وَانْظُرْ نَهَايَةَ الْأَرْبِ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «صَبِيعَةَ». وَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: عَيُونُ الْأَنْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ ص ٥، وَذَيْلُ مَرَأَةِ الزَّمَانِ ٤٣٧/٢، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٢٩٥/٧، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٦٥/٢، وَالنَّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٢٢٩/٧، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣٢٧/٥.

(٤) فِي م: «التَّسْعِينَ».

(٥) ذَيْلُ مَرَأَةِ الزَّمَانِ ٤٣٦/٢، وَالْعَبْرُ ٢٨٨/٥، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٣٤/٧، وَفَوَاتُ الْوَفَايَاتِ ٨١/١، وَالذَّلِيلُ عَلَى طَبَقَاتِ الْخَنَابِلَةِ ٢٧٨/٢ وَفِيهِ: بَكَرٌ بَدَلَ بَكِيرٍ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣٢٥/٥.

وله شعرٌ أورد منه قُطِبُ الدينِ في «تذيله»، تُوفِّي بسفحِ قاسيُون، وبه دُفِنَ في بُكرةِ الثلاثاءِ عاشرِ رجبٍ، وقد جاوزَ التسعين، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

القاضي مُحيى الدين بنُ الزكي: أبو الفضلِ يَحْيَى بنُ قاضي القضاةِ مُحيى^(١) الدينِ أبي المعالي محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز بن علي^(٢) بن^(٣) الحسين بن محمد^(٤) بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان القرشي الأموي ابنُ الزكي، تولى قضاءَ دمشقَ غيرَ مرة، وكذلك آباؤه من قبله، كلُّ قد وليها، وقد سَمِعَ الحديثَ من حنبلٍ وابنِ طَبَرَزَد والكِنْدِيُّ وابنِ الحَرِشْتَانِي وجماعة، وحدثَ ودُرَّسَ في مدارسَ كثيرة، وقد ولي قضاءَ الشامِ في الدولةِ الهلاونية، فلم يُحَمَدْ، على ما ذكره أبو شامة^(٥)، تُوفِّي بمصرَ في الرابعِ عشرَ من رجبٍ، ودُفِنَ بالمَقَطِّم، وقد جاوزَ السبعين. وله شعرٌ جيدٌ قويٌّ، وحكى الشيخُ قُطُبُ الدينِ في ذيله^(٥) - بعد ما نسبته كما ذكرنا - عن ولده^(٦) القاضي بهاء الدين أنه كان يذهبُ إلى تفضيلِ عليٍّ على عثمانَ مُوافقةً لشيخه مُحيى الدين بن عَرَبِي،

(١) في م: «بهاء». والمثبت من مصادر ترجمته: نهاية الأرب ١٧١/٣٠، والعبر ٢٨٩/٥، والسلوك ٥٨٩/١ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ٦٦/٢، وشذرات الذهب ٣٢٧/٥. ولم يذكر في ذيل مرآة الزمان ٤٤٠/٢ لقبه وإنما ذكر اسمه.

(٢) بعده في الأصل، م: «بن عبد العزيز بن علي». والمثبت من ذيل مرآة الزمان، وعقد الجمان. (٣ - ٣) في الأصل: «الحسن».

(٤) انظر الذيل على الروضتين ص ٢٠٥، ٢٠٦، وانظر ما تقدم صفحة ٤٠٣، ٤٠٤.

(٥) ذيل مرآة الزمان ٤٤٠/٢، ٤٤١.

(٦) في الأصل، م: «والده». وهو خطأ. والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٤٤١/٢، وعقد الجمان ٦٧/٢، وفيه: «شهاب الدين» بدل «بهاء الدين». والولد هو ابن الشيخ محيى الدين أبي الفضل صاحب الترجمة.

ولنأيم رآه بجامع دمشق مُعْرِضًا عنه بسبب ما كان من بنى أُميَّةٍ إليه فى أيامِ
صِفِّينَ ، فأَصْبَحَ فنَظَمَ فى ذلك قصيدةً يَذْكُرُ فيها ميله إلى عليٍّ ، وإن كان هو
أُمويًّا :

أديئُ بما دان الوَصِيُّ ولا أَرَى سواه وإن كانت أُميَّةٌ مَحْتَدِي
ولو شَهِدْتُ صِفِّينَ خيلي لأَعْدَرْتُ [٧٦/١٠ ظ] ^(١) وساءَ بنى ^(٢) حربَ هَناكَ مُشْهَدِي
لكنْتُ أَشُنُّ البِيضَ عنهم مَواضِيَا ^(٣) ^(٤) وأُزَوِّى أَرْماحِي ولَمَّا تَقْصِدِ
وأَجْلِبُهَا خيلاً وَرَجَلاً عليهم ^(٥) وأَمْنَعُهُم نَيْلَ الخِلافةِ باليدِ

ومن شعره :

قالوا ما ^(٥) فى جِلَّتِي نُزْهَةٌ تُسْلِيكَ عَمَّنْ أَنْتَ بهِ مُغْرَى
يا عاذلى دونك فى لَحْظِهِ سَهْمًا وقد عارضه سَطْرًا

الصاحبُ فخرُ الدين محمدُ بنُ الصاحبِ بهاءِ الدينِ عليٍّ بنِ محمدِ بنِ
سُلَيمِ بنِ الحِنا المِصرى ^(٦) ، كان وزيرَ الصُّحبةِ ، وقد كان فاضلاً ، بَنَى رِباطًا
بالقَرافةِ الكبرى ، ودَرَسَ بمدرسةٍ والِدِه بمِصرَ ، وبالشافعيِّ بعدَ ابنِ بنتِ الأَعَزِّ ،

(١ - ١) فى الأصل : « وشاهدتني » ، وفى م : « وشاء بنى » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٤٤١ / ٢ ،
والعبر ٢٩٠ / ٥ ، ومرآة الجنان ١٧٠ / ٤ ، وشذرات الذهب ٣٢٨ / ٥ .

(٢) فى الأصل ، م : « تراضيا » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان . والمواضى : جمع ماضٍ ، وهو الحادَّةُ
السريع القطع .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٤٤١ / ٢ .

(٤) فى إحدى نسخ ذيل مرآة الزمان : « تفصد » . وتَقْصِدُ الرمحُ : تَكْشُرُ . الوسيط (ق ص د) .

(٥) فى الأصل : « أَمَا » .

(٦) ذيل مرآة الزمان ٤٣٩ / ٢ ، ونهاية الأرب ١٧١ / ٣٠ ، والوفاء بالوفيات ١٨٥ / ٤ ، وعقد الجمان ٦٧ / ٢ ،
وفيه : سليمان بن الحنا ، والدليل الشافى ٦٥٦ / ٢ .

تُوفِّي في شعبان، ودُفِنَ بسفحِ المقطم، وفُوض السلطانُ وزارةَ الصُّحبةِ إلى ولده
تاج الدين .

الشيخ أبو نصر بن أبي الحسن بن الخزاز^(١) الصوفيُّ البغداديُّ الشاعرُ، له
ديوانٌ حسنٌ، وكان جميلَ المعاشرة، حسنَ المذاكرة، دخل عليه بعضُ
أصحابه، فلم يَقُمْ له، وأنشده قوله :

نَهَضَ الْقَلْبُ حِينَ أَقْبَلَتْ إِجْلَا لَا لِمَا فِيهِ مِنْ صَحِيحِ الْوِدَادِ
وَنَهَوَّضُ الْقُلُوبِ بِالْوُدِّ أَوْلَى مِنْ نَهَوِّضِ الْأَجْسَادِ لِلْأَجْسَادِ

(١) في الأصل : «الجزار» . وانظر ترجمته في عقد الجمان ٦٧/٢ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ تَسْعٌ وَسْتِينَ وَسِتْمَائَةٌ^(١)

فِي مُسْتَهْلٍ صَفِيرٍ مِنْهَا رَكِبَ السُّلْطَانُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى عَسْقَلَانَ ، فَهَدَمَ مَا بَقِيَ مِنْ سُورِهَا مِمَّا كَانَ أَهْمِلَ فِي الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ ، وَوَجَدَ فِيهَا هَدَمَ كُوزَيْنِ ، فِيهِمَا أَلْفَا دِينَارٍ ، ففَرَّقَهُمَا عَلَى الْأُمَرَاءِ ، وَجَاءَتْهُ الْبِشَارَةُ وَهُوَ هُنَاكَ ، بِأَنْ مَنُكُوْتُمُرَ كَسَرَ جَيْشَ أَبْغَا ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ .

وَفِي رَيْعِ الْأَوَّلِ بَلَغَ السُّلْطَانُ أَنَّ أَهْلَ عَكَّا ضَرَبُوا رِقَابَ مَنْ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ صَبَرُوا بِظَاهِرِ عَكَّا ، فَأَمَرَ بَعْنَ كَانَ فِي يَدِهِ مِنْ أَسْرَى أَهْلِ عَكَّا فَضَرَبَتْ رِقَابَهُمْ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ مَائَةِ^(٢) أَسِيرٍ .

وَفِيهَا كَمَلَ جَامِعُ الْمَنْشِئَةِ^(٣) ، وَأُقِيمَتْ فِيهِ الْجُمُعَةُ فِي^(٤) الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ^(٥) مِنْ رَيْعِ الْآخِرِ .

وَفِيهَا جَرَتْ مُحْرُوبٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا بَيْنَ أَهْلِ تُونُسَ وَالْفِرْنَجِ ، ثُمَّ تَصَالَحُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْهُدْنَةِ وَوَضَعَ الْحَرْبِ ، بَعْدَ مَا قُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلَائِقٌ لَا يُحْصَوْنَ . وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَامِنَ رَجَبٍ دَخَلَ الظَّاهِرُ إِلَى دِمَشْقَ ، وَفِي صُخْبِيَّتِهِ وَلَدَهُ

(١) ذِيلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٤٤٢/٢ - ٤٥٧ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٧٣/٣٠ - ١٨١ ، وَكَتَرُ الدَّرَرِ ١٥٠/٨ - ١٦٣ . وَانْظُرِ الْعَبْرَ ٢٩٠/٥ - ٢٩١ .

(٢) فِي م : « مَائِي » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « الْمَزَّة » . وَهُوَ جَامِعٌ بِمَنْشَأَةِ الْمَهْرَانِي ، الَّتِي عَلَى نَهْرِ النَّيْلِ . انْظُرِ نَهَايَةَ الْأَرْبِ ٣٠ / ١٨١ ، وَالنَّجْمُ الزَّاهِرَةُ ١٥٠/٧ .

(٤ - ٥) فِي ذِيلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٤٤٣/٢ : « ثَامِنَ عَشْرَى » . وَفِي عَقْدِ الْجَمَانِ ٨٠/٢ وَالنَّجْمُ الزَّاهِرَةُ الْمَوْضِعُ السَّابِقُ : « ثَامِنَ عَشْرِينَ » .

الملك السعيد وابن الحنّا الوزير وجمهور الجيش ، ثم خرجوا مُتَفَرِّقِينَ وتواعدوا أن يَلْتَقُوا بالساحل ؛ لِيَشْتُوا الغارة على جَبَلَة^(١) واللّاذِقِيَّة ومَرْقَب^(٢) وعِرْقَة^(٣) وما هنالك من البلاد ، فلما اجْتَمَعُوا فَتَحُوا صَافِيَا^(٤) والمِجْدَل ، ثم ساروا فنزلوا على حصن الأكراد يوم الثلاثاء تاسعَ عَشَرَ رَجَب ، وله ثلاثة أشوار ، فنصبوا عليها المُنَجْنِيقَات ، ففَتَحَهَا قَهْرًا يومَ نصفِ شعبان ، فدَخَلَ الجيش ، وكان الذي يُحَاصِرُهُ ولَدُ السلطان الملك السعيد ، فأطْلَقَ السلطانُ أهْلَهُ^(٥) ، ومَنْ عَلَيْهِمْ وأَجْلَاهُمْ إلى طرابُلُس ، وتسَلَّمَ القلعة بعدَ عشرةِ أيامٍ من الفتح ، فأجْلَى أهلها أيضًا ، وجعل كنيسةَ البلدِ جامعًا ، وأقام فيه الجمعة ، وولّى فيها نائبًا وقاضيًا ، وأمر بعمارة البلد ، وبعثَ صاحبُ أنطَرطوس^(٦) بمفاتيحِ بلده يَطْلُبُ منه الصُّلَحَ على أن يكونَ نصفُ مُغَلٍّ بلاده للسلطان ، وأن يكونَ له بها نائبًا ، فأجابه إلى ذلك ، وكذلك فَعَلَ صاحبُ المَرْقَب ، فصالحه أيضًا على المُناصِفَةِ ووضعِ الحربِ عَشْرَ سنينَ ، وبلغَ السلطانُ وهو مُخَيَّمٌ على حصنِ الأكراد أن صاحبَ [٧٧/١٠] جزيرة قُبْرُس قد ركب جيشه إلى عَكَّا لِيَنْصُرَ أهلها خوفًا من السلطان ، فأراد

(١) جبلة : قلعة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية . معجم البلدان ٢/ ٢٥٠ .

(٢) مرقب : بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بلنيس . معجم البلدان ٤/ ٥٠٠ .

(٣) في م : « عرقا » ، وعِرْقَة : بلدة في شرقي طرابلس وهي آخر عمل دمشق وهي في سفح جبل بينها وبين

البحر نحو ميل وعلى جبلها قلعة لها . معجم البلدان ٣/ ٦٥٣ .

(٤) في م : « صافينا » وفي ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ١٥٠ : « صافينا » . وما في

الأصل ، م موافق لما في كنز الدرر ٨/ ١٥١ ، ومسالك الأبصار ٨/ ١٢٢ .

(٥) سقط من : الأصل . والمقصود أن السلطان أطلق أهل الحصن .

(٦) في الأصل : « أنطرسوس » وهو موافق لما في مرآة الزمان ٢/ ٤٤٤ ، وفي م : « طرسوس » . والمثبت

من معجم البلدان ١/ ٣٨٨ ، وأنطرسوس : بلد من سواحل بحر الشام وهي آخر أعمال دمشق من البلاد

الساحلية وأول أعمال حمص . وانظر النجوم الزاهرة ٧/ ١٥٢ .

السلطان أن يَغْتَنِمَ هذه الفُرْصَةَ، فَبَعَثَ جَيْشًا كَثِيفًا فِي سَبْعَةِ^(١) عَشَرَ شِينِيًا لِيَأْخُذُوا جَزِيرَةَ قُبْرَسَ فِي غَيْبَةِ صَاحِبِهَا عَنْهَا، فَسَارَتِ الْمَرَاقِبُ مُشْرِعَةً، فَلَمَّا قَارَبَتِ الْجَزِيرَةَ جَاءَتْهَا رِيحٌ قَاصِفٌ، فَصَدَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَانْكَسَرَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ^(٢) عَشَرَ مَرْكَبًا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَغَرِقَ خَلْقٌ، وَأَسَرَ الْفِرْنَجِيُّ مِنَ الصُّنَّاعِ وَالرِّجَالِ قَرِيبًا مِنْ أَلْفٍ وَثَمَانِمِائَةِ إِنْسَانٍ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ، فَنَصَبَ الْمَجَانِيقَ عَلَى حَصَنِ عَكَا، فَسَأَلَ أَهْلَهَا الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يُجْلِيَهُمْ^(٣)، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَدَخَلَ الْبَلَدَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ فَتَسَلَّمَهُ، وَكَانَ الْحَصْنُ شَدِيدَ الضَّرَرِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ وَادٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ نَحْوَ طَرَابُلُسَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ صَاحِبُهَا يَقُولُ: مَا مَرَادُ السُّلْطَانِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ؟ فَقَالَ: جِئْتُ لِأَرْعَى زُرُوعَكُمْ، وَأُخَرِّبَ بِلَادَكُمْ، ثُمَّ أَعُودَ إِلَى حَصَارِكُمْ فِي الْعَامِ الْآتِي. فَأَرْسَلَ يَسْتَعِظِفُهُ وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْمَصَالِحَةَ وَوَضَعَ الْحَرْبَ بَيْنَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْإِسْمَاعِيلِيُّ يَسْتَعِظِفُونَهُ عَلَى وَالِدِهِمْ وَكَانَ مَسْجُونًا بِالْقَاهِرَةِ، فَقَالَ: سَلِّمُوا إِلَيَّ الْعُلَيْقَةَ، وَانْزِلُوا فَخُذُوا إِقْطَاعَاتٍ بِالْقَاهِرَةِ، وَتَسَلَّمُوا أَبَاكُمْ. فَلَمَّا نَزَلُوا أَمَرَ بِحَبْسِهِمْ بِالْقَاهِرَةِ، وَاسْتَنْابَ بِحَصَنِ الْعُلَيْقَةِ.

وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَوَالٍ جَاءَ سَيْلٌ عَظِيمٌ إِلَى دِمَشْقَ، فَأَثْلَفَ شَيْئًا كَثِيرًا، وَغَرِقَ بِسَبَبِهِ نَاسٌ كَثِيرٌ، لَا سِيَّمَا الْحُجَّاجُ مِنَ الرُّومِ الَّذِينَ كَانُوا نَزُولًا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، أَخَذَهُمُ السَّيْلُ وَجَمَالَهُمْ وَأَحْمَالَهُمْ، فَهَلَكُوا وَغُلَّقَتْ أَبْوَابُ الْبَلَدِ، وَدَخَلَ الْمَاءُ إِلَى الْبَلَدِ مِنْ مَرَامِي^(٤) الشُّورِ، وَمِنْ بَابِ الْفَرَادِيسِ، فَغَرِقَ خَانَ ابْنِ

(١) فِي م : «ثَنِي».

(٢) فِي ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٤٥٤/٢ : «أَحَد».

(٣) فِي م : «يُخْلِيهِمْ».

(٤) فِي م : «مَرَامِي».

المقدم، وأُتلف شيئًا كثيرًا، وكان ذلك في زمن الصيفِ أيامَ المِشمِشِ .

ودخل السلطانُ إلى دمشقَ يومَ الأربعاءِ خامسَ عشرَ شوالٍ، فعزَّلَ القاضى ابنَ خُلُكَّانَ، وكان له فى القَضاءِ عَشْرُ سَنِينَ، ووَلَّى القاضى عزَّ الدين بنَ الصائغِ، وخلَعَ عليه، وكان تَقْلِيدُهُ قد كُتِبَ بظاهرِ طرابُلُسَ بيسفارةِ الوزيرِ ابنِ الحِثَّاءِ، فسار ابنُ خُلُكَّانَ فى ذى القَعْدَةِ إلى مصرَ . وفى "حادى عشرَ" شوالٍ دخلَ حضرٌ^(٢) الكرديُّ شيخُ السلطانِ الملكِ الظاهرِ وأصحابه إلى كَنِيسَةِ اليهودِ، فصلُّوا فيها، وأزالوا ما فيها مِن شَعائِرِ اليهودِ، ومدُّوا فيها سِمَاطًا، وعَمِلُوا سَمَاعًا، وبَقُوا على ذلكَ أيامًا، ثم أُعيدَت إلى اليهودِ .

ثم خرج السلطانُ إلى السواحلِ، فافتتَحَ بعضَها، وأشرف على عَكا وتأمَّلها، ثم سار إلى الديارِ المصريةِ، وكان مِقْدَارُ ما غَرِمَ فى هذه المدَّةِ وفى الغَزَواتِ قَريبًا مِن ثمانمِائَةِ ألفِ دينارٍ، وأخلفها اللُّهُ عليه، فكان وصولُهُ إلى القاهرةِ يومَ الخميسِ ثالثَ عشرَ ذى الحِجَّةِ . وفى اليومِ "السابعَ عشرَ"^(٣) من وصولِهِ أمسَكَ على جماعةٍ مِنَ الأُمراءِ، منهم الحَلَبِيُّ^(٤) وغيرُهُ، بلَغَهُ أَنهَم أرادوا مَسَكَهُ على الشَّقِيفِ .

وفى اليومِ السابعِ عشرَ مِن ذى الحِجَّةِ أمرَ بإِرافَةِ الخُمُورِ مِن سائرِ بلادِهِ، وتَهْدُدُ مَنْ يَغَصِرُها أو يَغْتَصِرُها بالقتلِ، وأسَقَطَ ضِمَانَ ذلكَ، وكان ذلكَ بالقاهرةِ وحدها، "كلُّ يومٍ ضِمَانُهُ"^(٥) ألفُ دينارٍ، ثم سارتِ البُرُودُ بذلكَ إلى الآفاقِ .

(١ - ١) فى م: «ثانى عشر» .

(٢) فى م: «حصن» . وانظر نهاية الأرب ١٧٦/٣٠، وعقد الجمان ٧٨/٢ .

(٣ - ٣) كذا فى الأصل، م، وفى ذيل مرآة الزمان ٤٥٣/٢ وعقد الجمان ٧٩/٢: «الثانى» .

(٤) وهو علم الدين سنجر الحلبي الكبير . انظر النجوم الزاهرة ١٥٣/٧، ١٥٤ .

(٥ - ٥) فى الأصل: «ضمّانه كل شهر» . وانظر ذيل مرآة الزمان ٤٥٤/٢، والنجوم الزاهرة ١٥٤/٧ .

وفيهما قبض السلطان على العزيز بن المغيث صاحب الكرك، وعلى [٧٧/١٠] جماعة من أصحابه كانوا عزموا على سلطنته.

ومن توفى فيها من الأغنياء:

الملك تقي الدين عباس بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب^(١) بن شادي، وهو آخر من بقي من أولاد العادل، وقد سيم الحديث من الكندي وابن الحرستاني، وكان مُحْتَرَمًا عند الملوك، لا يُؤَفَّق عليه أحد في المجالس والمواكب، وكان لَيْنَ الأخلاق، حسن العشرة، لا تُملُّ مُجَالَسَتُهُ. توفى يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الآخرة بدرب الرِّيحان، ودُفِنَ بترتبه بسفح قاسيون.

قاضي القضاة شرف الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى الشبكي المالكي^(٢)، وُلِدَ سنة خمس وثمانين وخمسمائة، وسمع الحديث، وتفقه وأفتى ودرّس بالصالحية، وولى حِسْبَةَ القاهرة، ثم ولى القضاء سنة ست^(٣) وستين، لما ولّوا من كل مذهب قاضيا، وقد اُمْتَنَعَ أشدَّ الامتناع، ثم أجاب بعد إكراه، وشرط أن لا يأخذ على القضاء جامكية، وكان مشهورًا بالعلم والدين، روى عنه القاضي بدر الدين بن جماعة وغيره. توفى^(٤) لخمس بقين من ذى القعدة.

(١ - ١) ليس في الأصل. وانظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٢/٤٦٠، ونهاية الأرب ٣٠/١٨١، وعقد الجمان ٢/٨٧، والنجوم الزاهرة ٧/٢٣٢، والدليل الشافي ١/٣٨٠.

(٢) تكملة إكمال الإكمال ص ٢٣٣، وذيل مرآة الزمان ٢/٤٦١، ونهاية الأرب ٣٠/١٨١، والوافي بالوفيات ٢٢/٥٠٢، والسلوك ١/٥٩٦ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ٢/٨٤.

(٣) في م: «ثلاث».

(٤ - ٤) في نهاية الأرب ٣٠/١٨٢: «ثاني عشرين».

الطواشي شجاع الدين مُرشد المظفرى الحموى^(١)، كان شجاعاً بطلاً من الأبطال الشجعان، وكان له رأى سديد، وكان أستاذه لا يُخالِفُه، وكذلك الملك الظاهر، تُوفى بحماة، ودُفن بترتيه بالقرب من مدرسته بحماة.

ابن سبعين: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر ابن محمد بن سبعين، قُطِب الدين أبو محمد المقدسى الرُقُوطى^(٢)، نسبة إلى رُقُوطَة بلدة قريية من مُرسية^(٣)، وُلد سنة أربع عشرة وستمائة، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة، فتولّد له من ذلك نوع من الإلحاد، وصنّف فيه، وكان يعرف السيميا^(٤)، فكان يُلبس بذلك على الأغنياء من الأمراء والأغنياء، ويَزْعُم أنه حال من أحوال القوم، وله من المصنّفات كتاب «البد»^(٥)، وكتاب «الهُو»، وقد أقام بمكة، واشتخوذ على عقل صاحبها أبو نُعمى، وجاور في بعض الأوقات بغار جراء يزنجى - فيما يُنقل عنه - أن يأتيه فيه^(٦) وُحى كما أتى النبى ﷺ، بناءً على ما يُعتقدُه من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مُكتسبة، وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا، فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة، إن كان مات على ذلك، وقد كان إذا رأى الطائيفين حول البيت يقول عنهم: كأنهم الحمير حول

(١) ذيل مرآة الزمان ٤٦٥/٢، والمختصر فى أخبار البشر ٧/٤، ونهاية الأرب ١٨٣/٣٠، وعقد الجمان ٨٧/٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤٦٠/٢، ونهاية الأرب ١٨٢/٣٠، والعبر ٢٩١/٥، وفوات الوفيات ٢٥٣/٢، والسلوك ٥٩٧/١ (القسم الثانى)، وعقد الجمان ٨٥/٢، والنجوم الزاهرة ٢٣٢/٧.

(٣) مرسية: مدينة بالأندلس. معجم البلدان ٤٩٧/٤.

(٤) السيميا: السحر. الوسيط (س ي م).

(٥) فى الأصل: «الند»، وفى م: «البدو». والمثبت من فوات الوفيات ٢٥٥/٢. وقد فسرهما محمد بن شاعر الكتبى فى فوات الوفيات بقوله: يعنى لابد للعارف منه.

(٦) فى الأصل، م: «ابن». والمثبت من مصادر ترجمته وستأبى ضمن وفيات سنة إحدى وسبعمائة.

(٧) فى الأصل: «منه».

المدار، وإنهم لو طافوا به كان ذلك أفضل من طوافهم بالبيت . فالله يحكم فيه
وفى أمثاله ، وقد نُقِلَتْ عنه عَظَائِمُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، تُؤْفَى فِي الثَّامِنِ
وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَوَالٍ بِمَكَّةَ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ^(١)

اسْتَهَلَّتْ وَخَلِيفَةُ الْوَقْتِ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْعَبَّاسِيُّ ، وَسُلْطَانُ الْإِسْلَامِ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ .

وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنَ الْحَرَمِ^(٢) رَكِبَ السُّلْطَانُ إِلَى الْبَحْرِ^(٣) لِلْإِقَاءِ الشَّوَانِي^(٤) الَّتِي عُيِّلَتْ عِوَضًا عَمَّا غَرِقَ بِجَزِيرَةِ قُبُورَسَ^(٥) ، فَرَكِبَ فِي شَيْنَى مِنْهَا ، وَمَعَهُ الْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ الْخَزَنْدَارُ ، فَمَالَتْ بِهِمْ فَسَقَطَ الْخَزَنْدَارُ فِي الْبَحْرِ ، فَغَاصَ فِي الْمَاءِ ، فَأَلْقَى إِنْسَانٌ نَفْسَهُ وَرَاءَهُ [٧٨/١٠] فَأَخَذَ بِشَعْرِهِ وَأَنْقَذَهُ مِنَ الْغَرَقِ ، فَخَلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ .

وَفِي أَوَاخِرِ الْحَرَمِ^(٥) رَكِبَ السُّلْطَانُ فِي نَفَرٍ يَسِيرُ مِنَ الْخَاصَّيْكِيَّةِ ، وَالْأَمْرَاءُ مِنَ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ حَتَّى قَدِيمِ الْكَرْكِ ، وَاسْتَصْحَبَ نَائِبَهَا مَعَهُ إِلَى دِمَشْقَ ، فَدَخَلَهَا فِي ثَانِي عَشَرَ صَفِيرَ ، وَمَعَهُ الْأَمِيرُ عَزُّ الدِّينِ أَيَّدَمُرُ نَائِبُ الْكَرْكِ ، فَوَلَّاهُ نِيَابَةَ دِمَشْقَ ، وَعَزَلَ عَنْهَا جَمَالَ الدِّينِ آقُوْشَ النَّجِيْبِيَّ فِي رَابِعِ عَشَرَ صَفِيرَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى حِمَاةَ ،

(١) ذِيلُ مَرَّةِ الزَّمَانِ ٤٦٦/٢ - ٤٩٠ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٨٥/٣ - ١٩٥ ، وَكَتَزُ الدَّرَرِ ١٦٤/٨ - ١٦٧ . وَانْظُرِ الْعَبْرَ ٢٩٢/٥ .

(٢) ذِيلُ مَرَّةِ الزَّمَانِ ٤٦٦/٢ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٨٩/٢ .

(٣ - ٣) فِي الْأَصْلِ ، م : « لَالْتِقَاءُ الشَّوَانِي » . وَالمُتَّبِعُ مِنْ عَقْدِ الْجَمَانِ . وَالشَّوَانِيُّ جَمْعُ شَوْنَةٍ وَالشَّوْنَةُ : الْمَرْكَبُ الْمَعْدُ لِلْجِهَادِ فِي الْبَحْرِ . وَهِيَ لُغَةٌ مِصْرِيَّةٌ . تَاجُ الْعُرُوسِ (ش وَ ن) .

(٤) بَعْدَهُ فِي م : « وَهِيَ أَرْبَعُونَ شَيْنِيًا » .

(٥) عَقْدُ الْجَمَانِ ٩٠/٢ .

وعاد بعد عشرة أيام .

وفى ربيع الأول^(١) وصلت الجفالة^(٢) من حلب وحمّة وحمص إلى دمشق بسبب الخوف من التّار، وجفل^(٣) خلق كثير من أهل دمشق .

وفى ربيع الآخر وصلت العساكر المصرية إلى حضرة السلطان إلى دمشق، فسار بهم منها فى سابع الشهر، فاجتاز بحمّة، واستصحب ملكها المنصور، ثم سار إلى حلب، فخيّم بالميدان الأخضر بها، وكان سبب ذلك أن عساكر الروم جمّعوا نحوًا من عشرة آلاف فارس، وبعثوا طائفة منهم، فأغاروا على عين تاب^(٤)، ووصلوا إلى قسطون^(٥)، ووقعوا على طائفة من التّركمان بين حارم وأنطاكية، فاستأصلوهم، فلما سمع التّار بوصول السلطان، رجّعوا على أعقابهم، وكان بلغه أن الفرنج أغاروا على بلاد قاقون^(٦)، ونهبوا طائفة من التّركمان، فقبض على الأمراء الذين هناك؛ حيث لم يهتّموا بحفظ البلاد، وعاد إلى الديار المصرية .

وفى ثالث شعبان^(٧) أمسك السلطان قاضى الخنابلة بمصر شمس الدين محمد^(٨) بن العِماد المقدسى، وأخذ ما عنده من الودائع، فأخذ زكاتها، وردّ

(١) المختصر فى أخبار البشر ٧/٤، وعقد الجمان ٩٠/٢، ٩١ .

(٢) فى م: «الجفال». والجفالة: الجماعة من الناس ذهبوا أو جاءوا. اللسان (ج ف ل) .

(٣) جفل: انزعج وفرع. الوسيط (ج ف ل) .

(٤) عين تاب: قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية. معجم البلدان ٧٥٩/٣ .

(٥) فى الأصل: «بسطون»، وفى م: «نسطوم». والمثبت من ذيل مرآة الزمان وغيره. وقسطون:

حصن كان بالروج من أعمال حلب. معجم البلدان ٩٧/٤ .

(٦) قاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة، وقيل: من عمل قيسارية من ساحل الشام. المصدر السابق ١٨/٤ .

(٧) ذيل مرآة الزمان ٢/٤٧٠ - ٤٧٣، ونهاية الأرب ٣٠/١٩٠، ١٩١ .

(٨) ليس فى الأصل. وفى م: «أحمد». والمثبت من المصدرين السابقين .

بعضها إلى أربابها ، واعتقله إلى شعبان من سنة ثنتين وسبعين ، وكان الذى وشى به رجلٌ من أهلِ حَرَّانَ يقالُ له : شَبِيبٌ . ثم تبيَّنَ للسلطانِ نَزالَهُ القاضى وبراءتُهُ ، فأعادَهُ إلى مَنْصِبِهِ فى سنة ثنتين وسبعين ، وجاء السلطانُ فى شعبانَ إلى أراضى عَكا ، فأغارَ عليها ، فسأله صاحبُها المُهادنةَ ، فأجابهُ إلى ذلك ، فهادنهُ عَشْرَ سنينَ وعشرةَ أشهرٍ وعشرةَ أيامٍ وعَشْرَ ساعاتٍ ، وعاد إلى دمشق ، فقرأ بدارِ السعادة كتابَ الصُّلحِ ، واستمرَّ الحالُ على ذلك ، ثم عاد السلطانُ إلى بلادِ الإسماعيليةِ ، فأخذَ عامَّتَها . قال قُطُبُ الدين^(١) : وفى جُمادى الآخرةِ وُلِدَت زَرافَةُ بقلعةِ الجبلِ ، وأُزِيعَت مِن بقرية . قال : وهذا شىءٌ لم يُعْهَدُ مثله .

وفىها تُوفى :

الشيخُ كمالُ الدينِ سَلارُ^(٢) بنُ حسنِ بنِ عمرَ بنِ سعيدِ الإزبلى الشافعى ، أحدُ مَشايعِ المذهبِ ، وقد اشْتَغَلَ عليه الشيخُ مُحْصى الدينِ التَّووى ، وقد اختَصَرَ « البحر » للزَّوْيانى فى مجلداتٍ عديدةٍ هى عندى بخطِّ يده ، وكانت الفُتيا تَدورُ عليه بدمشق ، تُوفى فى عَشْرِ السبعين ، ودُفِنَ ببابِ الصغيرِ ، وكان مُعيداً^(٣) بالبادِرائيةِ مِن أيامِ الواقفِ ، لم يُطلَبْ زيادةً على ذلك إلى أن تُوفى فى هذه السنة .

وَجِهُ الدينِ مُحَمَّدُ بنُ على بنِ أبى طالبٍ بنِ سُوَيْدِ التَّكْرِيتى^(٤) ، التاجرُ

(١) ذيل مرآة الزمان ٤٦٩/٢ .

(٢) فى الأصل : « رسلان » . وانظر مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٤٧٩/٢ ، والعبر ٢٩٣/٥ ، ومرآة الجنان ١٧١/٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٤٩/٨ ، وعقد الجمان ٩٦/٢ .

(٣) فى م : « مفيدا » .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٤٨٧/٢ ، ونهاية الأرب ١٩٣/٣٠ ، والعبر ٢٩٤/٥ ، والوافى بالوفيات ١٨٦/٤ ، وعقد الجمان ٩٧/٢ .

الكبير^(١) ذو الأموال الكثيرة، وكان مُعَظَّمًا عِنْدَ الدَّولَةِ، ولا سِيَّما عِنْدَ المَلِكِ الظَّاهِرِ، كان يُجِلُّهُ وَيُكْرِمُهُ؛ لِأَنَّهُ كان قد أَسَدَى إِلَيْهِ جَمِيلًا فِي حَالِ إِمْرَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ السُّلْطَنَةَ، وَدُفِنَ بِرِبَاطِهِ وَتَرَبُّتِهِ بِالْقَرَبِ مِنَ الرِّبَاطِ النَّاصِرِيِّ بِقَاسِيُونَ، وَكَانَتْ كُتُبُ الخَلِيفَةِ تَرُدُّ إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَكَانَتْ مُكَاتَّبَاتُهُ مَقْبُولَةً عِنْدَ جَمِيعِ المُلُوكِ، حَتَّى مُلُوكِ الفِرَنْجِ فِي السَّوَاخِلِ [٧٨/١٠ ط] وَفِي أَيَّامِ التَّنَارِ فِي أَيَّامِ هَوَلَاوُونَ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ وَالْبِرِّ.

نَجْمُ الدِّينِ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ اللُّبُودِيِّ^(٢) وَاقِفُ اللُّبُودِيَةِ الَّتِي عِنْدَ حَمَّامِ الفَلَاحِ المِيسِرِيِّ^(٣) عَلَى الأَطْبَاءِ، وَلَدِيهِ فَضِيلَةٌ بِمَعْرِفَةِ الطَّبِّ، وَقَدْ وَلَّى نَظَرَ الدَّوَاوِينَ بِدَمَشَقَ، وَدُفِنَ بِتَرَبُّتِهِ عِنْدَ اللُّبُودِيَةِ.

الشَّيْخُ عَلِيُّ البَكَّاءُ^(٤) صَاحِبُ الزَّاوِيَةِ بِالْقَرَبِ مِنْ بَلَدِ الخَلِيلِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ مَشْهُورًا بِالصَّلَاحِ وَالْعِبَادَةِ وَالْإِطْعَامِ لِمَنْ اجْتَاَزَ بِهِ مِنَ المَارَّةِ وَالزُّوَارِ، وَكَانَ المَلِكُ المَنْصُورُ قَلَاوُونَ يُفْنِي عَلَيْهِ وَيَذْكُرُ أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِهِ وَهُوَ أَمِيرٌ، وَأَنَّهُ كَاشَفَهُ فِي أَشْيَاءَ وَقَعَتْ جَمِيعُهَا، وَمِنْ جَمَلَتِهَا أَنَّهُ سَيِّمَلِكُ. نَقَلَ ذَلِكَ قُطْبُ الدِّينِ اليُونِنِيُّ، وَذَكَرَ أَنَّ سَبَبَ بُكَائِهِ الكَثِيرِ أَنَّهُ صَحِبَ رَجُلًا كَانَتْ لَهُ أَحْوَالٌ وَكَرَامَاتٌ، وَأَنَّهُ خَرَجَ مَعَهُ مِنْ بَغْدَادَ، فَانْتَهَوْا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَى بَلَدٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَغْدَادَ مَسِيرَةُ سَنَةٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ قَالَ لَهُ: إِنِّي سَأَمُوتُ فِي الْوَقْتِ

(١) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ: «بَنُ التَّاجِرِ بْنِ سَوِيدَ»، وَفِي م: «بَيْنَ التَّجَارِ بْنِ سَوِيدَ».

(٢) عَقْدُ الجَمَانِ ٩٨/٢، وَالدَّارِسُ ١٣٥/٢.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «الْمَبْرِزُ»، وَفِي م: «الْمَبْرَرُ». وَالمُثَبَّتُ مِنْ عَقْدِ الجَمَانِ.

(٤) الْوَاقِفِيُّ بِالْوَفِيَّاتِ ٣٥٧/٢٢، وَعَقْدُ الجَمَانِ ٩٨/٢، وَالسَّلُوكُ ٦٠٤/١ (الْقِسْمُ الثَّانِي).

الفَلَانِيّ ، فاشْهَدْنِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ^(١) . قَالَ : فَلَمَّا كَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ حَضَرَتْ
عِنْدَهُ وَهُوَ فِي السِّيَاقِ ، وَقَدْ اسْتَدَارَ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ ، فَحَوَّلَتْهُ إِلَى الْقِبْلَةِ ، فاسْتَدَارَ
إِلَى الشَّرْقِ ، فَحَوَّلَتْهُ أَيْضًا ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ : لَا تَتَّعِبْ فَإِنِّي لَا أَمُوتُ إِلَّا عَلَى
هَذِهِ الْجِهَةِ . وَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الرُّهْبَانِ حَتَّى مَاتَ ، فَحَمَلْنَاهُ فَبَجَّئْنَا بِهِ إِلَى دَيْرٍ
هَنَّاكَ ، فَوَجَدْنَاهُمْ فِي حُزْنٍ عَظِيمٍ ، فَقُلْنَا لَهُمْ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ فَقَالُوا : كَانَ عِنْدَنَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ابْنُ مِائَةِ سَنَةٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ . فَقُلْنَا لَهُمْ : اخُذُوا
هَذَا بَدَلَهُ وَسَلَّمُوا إِلَيْنَا صَاحِبَنَا . قَالَ : فَوَلَيْنَاهُ ، فَغَسَلْنَاهُ وَكَفَّنَاهُ ، وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ
وَدَفَنَاهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَوَلُّوْهُمُ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَدَفَنُوهُ فِي مَقْبَرَةِ النَّصَارَى ، نَسْأَلُ اللَّهَ
تَعَالَى حُسْنَ الْخَاتِمَةِ . مَاتَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ فِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ .

(١) بعده في م : « في البلد الفلاني » .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةً^(١)

فِي خَامِسِ الْحَرَمِ وَصَلَ الظَّاهِرُ دِمَشْقَ مِنْ بِلَادِ السَّوَاهِلِ الَّتِي فَتَحَهَا وَقَدْ مَهَّدَهَا، وَرَكِبَ فِي أَوَاخِرِ الْحَرَمِ إِلَى الْقَاهِرَةِ، فَأَقَامَ بِهَا سَنَةً، ثُمَّ عَادَ فَدَخَلَ دِمَشْقَ فِي رَابِعِ صَفَرٍ^(٢).

وَفِي الْحَرَمِ مِنْهَا وَصَلَ صَاحِبُ الثُّوبَةِ إِلَى عَيْذَابٍ^(٣)، فَنَهَبَ تُجَارَهَا، وَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ أَهْلِهَا، مِنْهُمْ الْوَالِي وَالْقَاضِي، فَسَارَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ أَيَّدُغْدِي الْخَزَنَدَارُ، فَقَتَلَ خَلْقًا مِنْ بِلَادِهِ، وَنَهَبَ وَحَرَّقَ وَهَدَمَ وَدَوَّخَ الْبِلَادَ، وَأَخَذَ بِالثَّأْرِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَفِي رِبْعِ الْأَوَّلِ تُوفِّيَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُظَفَّرِ الدِّينِ عَثْمَانَ بْنِ نَاصِرِ الدِّينِ مَنكُورَسَ^(٤) صَاحِبُ صِهْيُونَ، وَدُفِنَ فِي تَرْبَةِ وَالِدِهِ فِي عَشْرِ السَّبْعِينَ، وَكَانَ لَهُ فِي مُلْكِ صِهْيُونَ وَبَرْزِيَهَ^(٥) إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً، وَتَسَلَّمَهَا بَعْدَهُ وَلَدُهُ سَابِقُ الدِّينِ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْمَلِكِ الظَّاهِرِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْحُضُورِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَلَمَّا

(١) ذيل مرآة الزمان ١/٣ - ٣٠، ونهاية الأرب ١٩٧/٣٠ - ٢٠١، وكنز الدرر ١٦٨/٨ - ١٧١، وانظر العبر ٢٩٥/٥ - ٢٩٧.

(٢) كذا في الأصل، م. وفي المصادر أن السلطان الظاهر خرج من دمشق في ثالث عشر من المحرم إلى مصر ثم عاد إلى دمشق في رابع صفر من نفس السنة.

(٣) عيذاب: بليدة على ضفة بحر القلزم، وهي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. معجم البلدان ٧٥١/٣.

(٤) في الأصل: «منكور بن». وانظر ذيل مرآة الزمان ٢٥/٣.

(٥) برزويه: بالفتح وضم الزاء وسكون الواو وفتح الياء، والعامة تقول برزیه: حصن قرب السواحل الشامية. معجم البلدان ٥٦٥/١.

حَضَرَ أَقْطَعَهُ خَبْرًا^(١) ، وَبَعَثَ إِلَى الْبَلَدَيْنِ نُوَابًا مِنْ جِهَتِهِ .

وفى خامسِ جُمادى الأولى^(٢) وَصَلَ السُّلْطَانُ بِعَسْكَرِهِ إِلَى الْفُرَاتِ ؛ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ طَائِفَةً مِنَ التُّنَّارِ هُنَالِكَ ، فَخَاضَ إِلَيْهِمُ الْفُرَاتَ بِنَفْسِهِ وَجُنْدِهِ ، وَقَتَلَ مِنْ أَوْلَئِكَ مَقْتَلَةً كَبِيرَةً وَخَلَقًا كَثِيرًا ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ افْتَحَمَ الْفُرَاتَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ سَيْفِ الدِّينِ قَلَاوُونَ وَبَدْرُ الدِّينِ يَتْسَرِي ، وَتَبِعَهُمَا السُّلْطَانُ ، ثُمَّ فَعَلَ بِالتُّنَّارِ مَا فَعَلَ ، ثُمَّ سَاقَ إِلَى نَاحِيَةِ الْبِيرَةِ ، وَقَدْ كَانَتْ مُحَاصَرَةً بِطَائِفَةٍ مِنَ التُّنَّارِ أُخْرَى ، فَلَمَّا سَمِعُوا بِقُدُومِهِ هَرَبُوا وَتَرَكَوا أَمْوَالَهُمْ وَأَثْقَالَهُمْ ، وَدَخَلَ السُّلْطَانُ إِلَى الْبِيرَةِ فِي أُبْهَةِ عَظِيمَةٍ ، وَفَرَّقَ فِي أَهْلِهَا أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ فِي ثَالِثِ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَمَعَهُ الْأَسْرَى . وَخَرَجَ مِنْهَا فِي سَابِعِهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَخَرَجَ وَلَدُهُ الْمَلِكُ السَّعِيدُ لَتَلْقَاهُ ، وَدَخَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا . وَمَا قَالَه الْقَاضِي شِهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْكَاتِبُ - وَأَوْلَاذُهُ يَقَالُ لَهُمْ : بَنُو الشُّهَابِ مُحَمَّدٍ - فِي خَوْضِ السُّلْطَانِ الْفُرَاتَ بِالْجِيْشِ :

سِرْ حَيْثُ شِئْتَ لَكَ الْمُتَهِمِينَ جَارُ وَاحْكُمْ فَطَوُّعُ مُرَادِكَ الْأَقْدَارُ
لَمْ يَبْقَ لِلدِّينِ الَّذِي أَظْهَرْتَهُ يَا رُكْنَهُ عِنْدَ الْأَعَادِي ثَارُ
لَمَّا تَرَأَقَصَتِ الرِّءُوسُ تَحَوَّكَتْ مِنْ مَطَرِبَاتِ قِسِيِّكَ الْأَوْتَارُ
خُضَّتْ الْفُرَاتُ بِسَابِجٍ^(٣) أَفْضَى بِهِ ^(٤)مَوْجُ الصَّبَا مِنْ فَعْلِهِ^(٤) الْآثَارُ

(١) خبز : جمعه أخباز ، من معانى هذا اللفظ فى عصر المماليك إقطاع من الأرض ، فيقال : أخباز الأجناد أى إقطاعاتهم . انظر كشاف شرح أهم المصطلحات الواردة فى مرجع العصر المماليكى ص ٤١٢ الملحق بكتاب العصر المماليكى فى مصر والشام نقلا عن معجم Dozy .

(٢) فى الأصل ، م : « الآخرة » والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٢/٣ ، وكنز الدرر ١٦٩/٨ ، ١٧٠ ، وهو ما يقتضيه سياق ما سأتى .

(٣) فى م : « بعسكر » . وانظر ذيل مرآة الزمان ٣/٣ ، والنجوم الزاهرة ١٥٩ . / ٧ .

(٤ - ٤) فى م : « موج الفرات كما أتى » ، وفى المصدرين السابقين : « هوج الصبا من نعله » .

حَمَلَتْكَ أَمْوَاجُ الْفُرَاتِ وَمَنْ رَأَى بحرًا سواكَ تُقِلُّهُ الْأَنْهَارُ
وَتَقَطَّعَتْ فَرْقًا وَلَمْ يَكُ طَوْدَهَا إذ ذاك إِلَّا جِيْشُكَ الْجَرَارُ
وقال بعضُ مَنْ شَاهَدَ ذَلِكَ^(١) :

ولما تراءَيْنَا الْفُرَاتَ بِخَيْلِنَا سَكْرَنَاهُ^(٢) مِنْ^(٣) بِالْقَنَا وَالصَّوَارِمِ^(٣)
فَأَوْقَفَتِ الْتِيَارَ عَنْ جَرِيَانِهِ إِلَى حَيْنِ عَدْنَا بِالْغِنَى وَالْغَنَائِمِ
وقال آخَرُ^(٤) «وَلَا بَأْسَ بِهِ» :

الْمَلِكُ الظَّاهِرُ سُلْطَانُنَا نَفْدِيهِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَهْلِ
اِقْتَحَمَ الْمَاءَ لِيُطْفِئَ بِهِ حَرَارَةَ الْقَلْبِ مِنَ الْمُغْلِ^(٥)
وفى يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ ثَالِثِ رَجَبٍ خَلَعَ عَلَى جَمِيعِ الْأَمْرَاءِ مِنْ حَاشِيَتِهِ وَمُقَدَّمِي
الْحَلَقَةِ وَأَزْبَابِ الدَّوْلَةِ، وَأَعْطَى كُلَّ إِنْسَانٍ مَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْخَيْلِ وَالذَّهَبِ
وَالْحَوَائِصِ، وَكَانَ مَبْلَغُ مَا أَنْفَقَ بِذَلِكَ نَحْوَ ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ.
وفى شَعْبَانَ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ إِلَى مَنْكُوتَمُرَ هَذَايَا عَظِيمَةً.

وفى يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَانِي عَشَرَ شَوَّالٍ اسْتَدْعَى السُّلْطَانُ شَيْخَهُ الشَّيْخَ خَضِرًا
الْكُرْدِيَّ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ إِلَى الْقَلْعَةِ، وَخَوَّقَ عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ^(٦) رُمِيَ بِهَا، وَعَلَى
مَنْكَرَاتٍ كَثِيرَةٍ^(٦) اِزْتَكَبَهَا، فَأَمَرَ السُّلْطَانُ عِنْدَ ذَلِكَ بِإِعْتِقَالِهِ وَحَبْسِهِ ثُمَّ بَاغْتِيَالِهِ،
وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ.

(١) هو الشيخ ناصر الدين حسن بن النقيب الكتاني الشاعر . انظر ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤ ، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٦٠ .

(٢) سكرناه : سكر النهر ونحوه : سده وحبسه . الوسيط (س ك ر) .

(٣ - ٣) فى المصدرين السابقين : « بالقوى والقوائم » . وانظر فوات الوفيات ١/ ٢٣٩ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل . والبيتان للموفق عبد الله بن عمر الأنصارى ، وهما فى المصادر السابقة .

(٥) فى الأصل : « الغل » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

وفى ذى القَعْدَةِ سَلَمَتِ الإِسْمَاعِيلِيَّةُ ما كان بَقِيَ بأيديهم مِنَ الحِصُونِ ،
(١) وهى الكَهْفُ والقَدْمُوسُ والمِئِنَّةُ (٢) ، وعُوضُوا عَنْ ذلك بِإِقْطَاعَاتٍ ، ولم يَتَّقِ
بالشامِ شَيْءٌ لَهُمْ مِنَ القِلاعِ ، واستَنابَ السلطانُ فيها .

وفىها أَمَرَ السلطانُ بِعِمارةِ جُسُورَةٍ فى السَّواحِلِ ، وغَرِمَ عليها مالا كَثِيرا ،
وحَصَلَ للناسِ بِذلك رِفْقٌ كَثيرٌ .

ومَنْ تُوفِّى فيها مِنَ الأَغْيانِ :

الشيخُ تاجُ الدينِ (٣) أبو الفضلِ يحيى بنُ محمدٍ بنِ أحمدَ بنِ حمزةَ بنِ
عليٍّ بنِ هبةِ اللَّهِ بنِ الحُبُوبِيِّ (٤) الثَّغَلْبَيْ (٥) الدمشقى ، كان مِنَ أَغْيانِ أَهْلِ
دمشقَ ، ولى نَظَرَ الأَيْتامِ والحِشْبَةِ ، ثم وَكَالَةَ بَيْتِ المَالِ ، وَسَمِعَ الكَثِيرَ ، (٦) وَخَرَجَ
لَهُ (٧) ابْنُ بَلْبَانَ مَشِيخَةً قَرَأَها عليه الشيخُ شَرَفُ الدينِ الفَزَارِيُّ (٨) بالجامعِ ، فسمِعَها
جَماعَةٌ مِنَ الأَغْيانِ والفُضلاءِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

الخطيبُ فخرُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ القاهرِ بنُ عبدِ الغَنِىِّ بنِ محمدٍ بنِ أبى
القاسمِ بنِ محمدٍ ابنِ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِي (٩) ، الخطيبُ بها ، وَبَيْتُهُ مَعْرُوفٌ بِالْعِلْمِ
والخُطابةِ والرِّياسَةِ ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الصُّوفِيَةِ ، وَقَدْ قَارَبَ السِّتِينَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « المنطقة » ، وفى ذيل مرآة الزمان : « المنيقة » . والمثبت من صبح الأعشى ١٤٧/٤ .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « أبو المظفر » . والمثبت من مصدرى ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٢٦/٣ ، وعقد
الجمان ١٠٧/٢ .

(٤) فى الأصل ، م : « الحوى » ، وفى ذيل مرآة الزمان : « المحبوبي » . والمثبت من عقد الجمان ١٠٧/٢ .

(٥) فى م : « الثغلبى » . وانظر المصدرين السابقين .

(٦ - ٦) فى الأصل : « من » . وانظر عقد الجمان .

(٧) فى م : « الغرارى » . وانظر المصدر السابق .

(٨) ذيل مرآة الزمان ١٦/٣ ، ونهاية الأرب ٢٠١/٣٠ ، والسلوك ٦٠٩/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ١٠٧/٢ .

وقد سَمِعَ الحديثَ مِنْ جَدِّهِ الخطيبِ فخرِ الدينِ صاحبِ ديوانِ الخطبِ المشهورة، تُؤَفَّى بخائنه القصرِ ظاهرٍ دمشق.

الشيخُ خَضِرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ المَهْرَانِيُّ العَدَوِيُّ^(١)، شيخُ الملكِ الظاهرِ بَيْبَرْسَ، كانَ حَظِيًّا عِنْدَهُ مُكْرَمًا لَدِيهِ، لَهُ عِنْدَهُ الْمَكَانَةُ الرَّفِيعَةُ، كانَ السُّلْطَانُ يَنْزِلُ بِنَفْسِهِ إِلَى زَوَائِتِهِ الَّتِي بَنَاهَا لَهُ فِي الْحُسَيْنِيَّةِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَبَنَى لَهُ عِنْدَهَا جَامِعًا يَخْطُبُ فِيهِ لِلْجُمُعَةِ، وَكَانَ يُعْطِيهِ مَالًا كَثِيرًا، وَيُطْلِقُ لَهُ مَا أَرَادَ، وَوَقَفَ [٧٩/١٠ ظ] عَلَى زَوَائِتِهِ شَيْئًا كَثِيرًا جَدًّا، وَكَانَ مُعْظَمًا عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ بِسَبَبِ حُبِّ السُّلْطَانِ وَتَعْظِيمِهِ لَهُ، وَكَانَ يُبَارِزُهُ إِذَا جَلَسَ عِنْدَهُ، وَكَانَ فِيهِ خَيْرٌ وَدِينٌ وَصَلَاحٌ، وَقَدْ كَاشَفَ السُّلْطَانُ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ دَخَلَ مَرَّةً كَنِيسَةً الْقِمَامَةِ بِالْمَقْدِسِ، فَذَبَحَ قَسِيْسَهَا بِيَدِهِ، وَوَهَبَ مَا فِيهَا لِأَصْحَابِهِ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِالْكَنِيسَةِ الَّتِي بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ كَنَائِسِهِمْ، نَهَبَهَا وَحَوَّلَهَا مَسْجِدًا وَمَدْرَسَةً أَنْفَقَ عَلَيْهَا أَمْوَالًا كَثِيرَةً مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، وَسَمَّاهَا الْمَدْرَسَةَ الْخَضِرَاءَ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِكَنِيسَةِ الْيَهُودِ بِدِمَشْقَ، دَخَلَهَا وَنَهَبَ مَا فِيهَا مِنَ الْآلَاتِ وَالْأَمْتِعةِ، وَمَدَّ فِيهَا سِمَاطًا، وَاتَّخَذَهَا مَسْجِدًا مَدَّةً، ثُمَّ سَعَوْا إِلَيْهِ فِي رَدِّهَا إِلَيْهِمْ وَإِنْقَائِهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ اتَّفَقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَنَّهُ وَقَعَتْ مِنْهُ أَشْيَاءُ أُتْكِرتَ عَلَيْهِ، وَخُوقِقَ عَلَيْهَا عِنْدَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ، فَظَهَرَ لَهُ مِنْهُ مَا أَوْجَبَ سَجْنَهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِعْدَامِهِ وَهَلَاكِهِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَدُفِنَ بِزَوَائِتِهِ، سَامَحَهُ اللَّهُ، وَقَدْ كَانَ السُّلْطَانُ يُحِبُّهُ مَحَبَّةً عَظِيمَةً حَتَّى إِنَّهُ سَمَّى بَعْضَ أَوْلَادِهِ خَضِرًا مُوَافَقَةً لِاسْمِهِ، وَإِلَيْهِ تُنسَبُ الْقُبَّةُ الَّتِي عَلَى الْجَبَلِ غَرْبِي الرُّبُوعِ الَّتِي يَقَالُ لَهَا: قُبَّةُ الشَّيْخِ خَضِرٍ.

(١) كَذَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي وَفَيَاتِ هَذِهِ السَّنَةِ، كَمَا سَيُورَدُ فِي وَفَيَاتِ سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَسِتَّمِائَةٍ وَهُوَ الَّذِي رَجَحَهُ الْمُصَنِّفُ نَفْسَهُ هُنَاكَ وَالْمُؤَرِّخُونَ كَمَا فِي مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ، انْظُرْ مَا سَيَأْتِي صَفْحَةَ ٥٣٨.

مُصَنَّفُ «التَّعْجِيزِ» العَلَّامَةُ تاج الدين عبد الرحيم بن محمد^(١) بن محمد^(٢) ابن يونس بن محمد بن سعد بن مالك ، أبو القاسم الموصلي ، من بيت الفقه والرياسة والتدريس ، وُلِدَ سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وسمع واشتغل وحصل وصنف ، واختصر «الوجيز» في كتابه «التعجيز» ، واختصر «المحصل» ، وله طريقة في الخلاف أخذها عن ركن الدين الطاوسي ، وكان جدّه عماد الدين بن يونس شيخ المذهب في وقته ، كما تقدّم .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ١٤ / ٣ ، وتذكرة الحفاظ ١٤٦٣ / ٤ ، والوافي بالوفيات ٣٩١ / ١٨ ، ومرآة الجنان ١٧١ / ٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨ / ١٩١ ، وعقد الجمان ١٠٨ / ٢ .
(٢) في الأصل : «يوسف» .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وستمائة^(١)

فى صفرٍ منها قدِمَ الملكُ الظاهرُ إلى دمشقَ ، وقد بلغه أن أبغَا وصلَ إلى بغدادَ ، فتصَيَّدَ بتلك الناحية ، فأرسلَ إلى العساكرِ المصرية أن يتأهبوا للحضورِ ، واشتَعَدَّ السلطانُ لذلك .

وفى جمادى الآخرة أخضرَ ملكَ الكُرجِ إلى بين يديه بدمشقَ ، وكان قد جاء مُتَنَكِّراً لزيارة بيتِ المقدسِ ، فظُهِرَ عليه ، فحُمِلَ إلى بين يديه ، فسجنه بالقلعة .

وفىها كَمَلَ بناءُ جامعِ دَيْرِ الطَّيْنِ ظاهرِ القاهرة ، وصُلِّيَ فيه الجمعة .

وفىها سارَ السلطانُ إلى القاهرة ، فدخلها فى سابعِ رجب .

وفى أواخرِ رمضانَ دخلَ الملكُ السعيدُ بنُ الظاهرِ إلى دمشقَ فى طائفةٍ من الجيشِ ، فأقامَ بها شهراً ثم عاد .

وفى يومِ عيدِ الفطرِ ختنَ السلطانُ ولده خَضِرًا الذى سَمَّاه باسمِ شيخه ، وختنَ معه جماعةً من أولادِ الأمراءِ ، وكان وقتًا هائلًا .

وفىها فَوَّضَ ملكُ التَّارِ إلى علاءِ الدينِ صاحبِ الديوانِ ببغدادَ النظرَ فى أمرِ تَسْتَرِ وأعمالِها ، فسارَ إليها لِيَتَصَفَّحَ أحوالَها ، فوجدَ بها شابًا من أبناءِ التجارِ يقالُ له : لى^(٢) . قد قرأَ القرآنَ وشيئًا من الفقهِ و « الإشاراتِ » لابنِ سينا ، ونظرَ فى

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٠/٣ - ٣٤ ، ونهاية الأرب ٢٠٣/٣ - ٢١٧ ، وعقد الجمان ١١٢/٢ - ١٢٠ .

(٢) فى عقد الجمان : « كى » .

النجوم ، ثم ادّعى أنه عيسى ابن مريم ، وصدّقه على ذلك جماعة من جهلة تلك الناحية ، وقد أسقط لهم من الفرائض صلاة العصر وعشاء الآخرة ، فاستحضره وسأله عن ذلك ، فرآه ذكياً ، إنما يفعل ذلك عن قصد ، فأمر به ، فقتل [٨٠/١٠] بين يديه ، جزاه الله خيراً ، وأمر العوامّ فنهّبوا أتباعه ^(١) .

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

مُؤَيَّدُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي الصَّدْرُ الرَّئِيسُ أَسْعَدُ بْنُ أَبِي غَالِبٍ الْمُظْفَرِ ^(٢) الْوَزِيرِ
مُؤَيَّدُ الدِّينِ أَسْعَدُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيِّ بْنِ
الْقَلَانَسِيِّ ، جَاوَزَ التَّسْعِينَ ، وَكَانَ رَئِيسًا كَبِيرًا وَاسِعَ النُّعْمَةِ ، لَا يُبَاشِرُ شَيْئًا مِنْ
الْوِظَائِفِ ، وَقَدْ أَلْزَمُوهُ بَعْدَ ابْنِ سُؤْيَدٍ بِمُبَاشَرَةِ مَصَالِحِ السُّلْطَانِ ، فَبَاشَرَهَا بِلَا
جَامِكِيَّةٍ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِبُسْتَانِهِ ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَلَاثَ عَشَرَ
الْحَرَمِ . وَالِدُ الصَّدْرِ عَزُّ الدِّينِ حَمْزَةُ رَئِيسُ الْبَلَدَيْنِ دِمَشْقَ وَالْقَاهِرَةَ ، وَجَدُّهُمْ
مُؤَيَّدُ الدِّينِ أَسْعَدُ بْنُ حَمْزَةَ الْكَبِيرِ ، كَانَ وَزِيرًا لِلْمَلِكِ الْأَفْضَلِ عَلِيِّ بْنِ النَّاصِرِ
فَاتِحِ الْقُدْسِ ، كَانَ رَئِيسًا فَاضِلًا ، لَهُ كِتَابُ « الْوَصِيَّةِ فِي الْأَخْلَاقِ الْمَرْصُيَّةِ » وَغَيْرُ
ذَلِكَ ، وَكَانَتْ لَهُ يَدٌ جَيِّدَةٌ فِي النُّظْمِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

يَا رَبِّ جُذِّ لِي إِذَا مَا ضَمَّنِي جَدَّثِي بِرَحْمَةٍ مِنْكَ تُنَجِّنِي مِنَ النَّارِ
أُحْسِنْ جَوَارِي إِذَا أَمْسَيْتُ جَارَكَ فِي لَحْدِي فَإِنَّكَ قَدْ أَوْصَيْتَ بِالْجَارِ

(١) فِي م : « أَمْتَعْتَهُ وَأَمْتَعَتِ الْعَوَامُّ مَنْ كَانَ اتَّبَعَهُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، م : « الْمُظْفَرُ » . وَالْمُثَبِّتُ مِنْ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ : ذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٣/٣٦ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣٠/٢١٤ ، وَالْعَبْرُ ٥/٢٩٧ ، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٩/٣٩ ، وَمَرَاةُ الْجَنَانِ ٤/١٧٢ ، وَالنُّجُومُ الرَّاهِرَةُ ٧/٢٤١ .

وأما والده حمزة بن أشعد بن علي بن محمد التميمي فهو العميد، وكان يكتب جيدًا، وصنف تاريخًا فيما بعد سنة أربعين وأربعمائة إلى سنة وفاته في خمس وخمسين وخمسمائة.

الأمير الكبير فارس الدين أقطاي المستعرب^(١)، أتاك العساكر المصرية، كان أولًا مملوكًا لابن يمين، ثم صار مملوكًا للصالح أيوب فأمره، ثم عظم شأنه في دولة المظفر، وصار أتاك العساكر، فلما قُتل امتدت أطماع أكابر الأمراء إلى المملكة، فبايع أقطاي الملك الظاهر، فتبعه الجيش على ذلك، وكان الظاهر يعرفها له ولا ينساها، ثم قبل وفاته بقليل انهضم عند الظاهر، ومات في هذه السنة بالقاهرة.

الشيخ عبد الله بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن الحسين المقدسي^(٢)، له زاوية بناهلس، وله أشعار رائعة، وكلام قوي في علم التصوف، وقد طوّل اليونيني ترجمته، وأورد من أشعاره شيئًا كثيرًا.

قاضي القضاة كمال الدين أبو الفتح عمر بن بشار بن عمر بن علي التقيسي الشافعي^(٣)، وُلد بتفليس سنة إحدى وستمئة، وكان فاضلاً أصوليًا منظرًا، ولي نيابة الحكم مدة، ثم استقل بالقضاء في دولة هلاوون، وكان عفيفًا نزيهاً، لم يزد^(٤) منصبًا ولا تدريسًا مع كثرة عياله وقلة ماله، ولما انقضت أيامهم

(١) ذيل مرآة الزمان ٤٥/٣، ونهاية الأرب ٢١٦/٣٠، وفيه أن وفاته سنة ثلاث وسبعين وستمئة، والعبر ٢٩٧/٥، ودول الإسلام ١٧٤/٢، والوافي بالوفيات ٣١٨/٩ ومرآة الجنان ١٧٢/٤، وعقد الجمان ١٢٨/٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٥١/٣، والوافي بالوفيات ٣٩٨/١٧، وعقد الجمان ١٢٢/٢.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٦٤/٣، والعبر ٢٩٨/٥، والوافي بالوفيات ٤٤٢/٢٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٠٩/٨، وعقد الجمان ١٢٢/٢.

(٤) في م: «يرد».

تَغَضَّبَ عَلَيْهِ بَعْضُ النَّاسِ ، ثُمَّ أُلْزِمَ بِالْمَسِيرِ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَأَقَامَ بِهَا يُفِيدُ النَّاسَ ، إِلَى أَنْ تُوفِّيَ فِي رَيْعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَدُفِنَ بِالْقَرَّافَةِ الصُّغْرَى ^(١) .

إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَاكِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّنُوخِيُّ ^(٢) ، وَتَنُوخٌ مِنْ قُضَاعَةَ ، كَانَ صَدْرًا كَبِيرًا ، وَكَتَبَ الْإِنْشَاءَ لِلنَّاصِرِ دَاوُدَ بْنِ الْمُعْظَمِ ، وَتَوَلَّى نَظَرَ الْمَارِسَتَانِ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِ ، وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيِّرَةِ ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ ، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ ، وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

خَابَ رَجَاءُ امْرِئٍ لَهُ أَمَلٌ بِغَيْرِ رَبِّ السَّمَاءِ قَدْ وَصَلَهُ
أَيَّبَتْنِي غَيْرُهُ أَخُو ثِقَةٍ وَهُوَ بِيْطِنِ الْأَحْشَاءِ قَدْ كَفَلَهُ
وَلَهُ أَيْضًا :

خَرَسَ اللِّسَانُ وَكَلَّ عَنْ أَوْصَافِكُمْ مَاذَا يَقُولُ وَأَنْتُمْ مَا أَنْتُمْ
الْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ مَقَالَةٍ قَائِلٍ قَدْ تَاهَ عَقْلًا أَنْ يُعَبَّرَ عَنْكُمْ
[٨٠/١٠ ظ] الْعَجْزُ وَالتَّقْصِيرُ وَضَفَى دَائِمًا وَالْبِرُّ وَالْإِحْسَانُ يُعْرِفُ مِنْكُمْ
الْشَيْخُ جَمَالُ الدِّينِ بْنِ مَالِكٍ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ^(٣) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ

(١) بعده في حاشية الأصل : « الشيخ صدر الدين القنوي ، وله تصانيف عديدة ؛ من جملتها مفتاح الغيث وشرح الأسماء وشرح سورة الفاتحة ، وكان عالما تقيا عظيم الشأن ، وكان من أبناء الملوك ، ورياه الشيخ محيى الدين ابن العربى ، ودفن في قونية رحمه الله رحمة واسعة » .

وصدر الدين هذا اسمه محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف . وتوفى سنة ثلاث وسبعين وستمائة . وذكره الحافظ الذهبي في وفياتها في تذكرة الحفاظ ١٤٩١/٤ وقال : كبير مشايخ الاتحادية .

وانظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٢/ ٢٠٠ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤٥/٨ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٨ ، والعبر ٥/ ٢٩٩ ، ودول الإسلام ٢/ ١٧٤ ، والوافي بالوفيات ٩/ ٧١ ، وعقد الجمان ٢/ ١٢٣ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٣/ ٧٦ ، ونهاية الأرب ٣٠/ ٢١٤ ، والعبر ٥/ ٣٠٠ ، وفوات الوفيات ٣/ ٤٠٧ ، والوافي بالوفيات ٣/ ٣٥٩ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٦٧ ، وعقد الجمان ٢/ ١٣٢ ، وغاية النهاية ٢/ ١٨٠ ، وبغية الوعاة ١/ ١٣٠ ، ونفع الطبيب ٢/ ٢٢٢ .

أبو عبد الله الطائى الجيائى النحوى ، صاحبُ التّصانيفِ المشهورةِ المفيدةِ ؛
منها « الكافيةُ الشافيةُ » و « شرحها » ، و « التّسهيلُ » و « شرحه » ، و « الألفيةُ »
التي شرحها ولده بدر الدين شرحاً مفيداً . وُلِدَ بجيَّانَ سنةَ ستمائةٍ ، وأقام بحلبَ
مدةً ، ثم بدمشقَ ، وكان كثيرَ الاجتماعِ بابنِ خَلْكَانَ ، وأثنى عليه غيرُ واحدٍ ،
وروى عنه القاضي بدر الدين بنُ جماعةٍ ، وأجاز لشيخنا عَلَمِ الدينِ البَزْزَالِيِّ ،
تُوفِيَ ابنُ مالِكٍ بدمشقَ ليلةَ الأربعاءِ ثانيَ عشرَ رمضانَ ، ودُفِنَ بثريةِ القاضي عِزِّ
الدينِ بنِ الصائغِ بقايسونَ .

النَّصِيرُ الطُّوسِيُّ : مُحَمَّدُ بْنُ « مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ أَبُو » عَبْدِ اللَّهِ الطُّوسِيُّ ،
كان يقالُ له : المولى نصيرُ الدين . ويقالُ : الخَوَاجَا نصيرُ الدين . اشْتَغَلَ في
شَيْبَتِهِ ، وحَصَّلَ عِلْمَ الأوائلِ جيداً ، وصنَّفَ في ذلك في عِلْمِ الكلامِ ، وشرحَ
« الإشاراتِ » لابنِ سينا ، ووزَّرَ لأصحابِ قِلاعِ الأَلُمُوتِ مِنَ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ ، ثم وزَّرَ
لهولاءُكو ، وكان معه في واقعةِ بَغدَادَ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ أشارَ على هُوَلَاءُكو
بأنْ يَقْتُلَ الخليفةَ ، فاللَّهُ أَعْلَمُ ، وعندى أن هذا لا يَصُدُّرُ مِن فاضِلٍ ولا عاقلٍ . وقد
ذَكَرَهُ بعضُ البَغَادِدِيِّ ، فَأَثْنَى عليه وقال : كان عاقلًا فاضلاً ، كريمَ الأخلاقِ .
ودُفِنَ في مشهدِ موسى بنِ جعفرٍ ، في سِرْدَابٍ كان قد أُعِدَّ للخليفةِ الناصرِ لدينِ
اللَّهِ ، وهو الذى كان قد بنى الرِّصْدَ بمرَاغَةَ ، ورُتِّبَ فيه الحُكَمَاءُ مِنَ الفلاسفةِ
والمُتَكَلِّمينَ والفُقهاءِ والمُحدِّثينَ والأطباءِ وغيرهم من أنواعِ الفضلاءِ ، وبنى له فيه
قبةً عظيمةً ، وجعل فيه كتباً كثيرةً جدًّا ، تُوفِيَ ببغدادَ في ثانيَ عشرَ ذى الحِجَّةِ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٧٩ / ٣ ، والمختصر في
أخبار البشر ٨ / ٤ ، والعبر ٣٠٠ / ٥ ، وفوات الوفيات ٢٤٦ / ٣ ، والوفاء بالوفيات ١٧٩ / ١ ، وعقد الجمان
١٢٤ / ٢ ، وروضات الجنات ٣٠٠ / ٦ .

من هذه السنة، وله خمس وسبعون سنة، وله شعرٌ جيدٌ قوى، وأصلُ اشتغاله على المعينِ سالمِ بنِ بدران^(١) بنِ عليّ المصريّ المُعْتزِلِيّ المُتَشَيِّعِ، فنَزَعَ فيه عروقَ كثيرةً منه، حتى فَسَدَ اعتقاده.

الشيخُ مُسَلَّمُ^(٢) البزقيّ البدويّ، صاحبُ الرِّباطِ بالقَرافَةِ الصغرى، كان صالحاً مُتَعَبِّداً يُقَصِّدُ للزَّيَارَةِ والتَّبَرُّكِ بدعائه، وله اليومُ أصحابٌ مَعْرُوفُونَ على طريقه.

(١) فى الأصل، م: «بدار»، وفى عقد الجمان: «بدر». والمثبت من مصادر ترجمته.
(٢) فى الأصل، م: «سالم». والمثبت من مصدرى ترجمته: الذيل على مرآة الزمان ١٠٣/٣، وعقد الجمان ١٣٦/٢ - وجاءت وفاته فيها سنة ثلاث وسبعين وستمائة - وانظر تبصير المنتبه ١٢٨٥/٤.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةً ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمَائَةٍ^(١)

فِيهَا أَطْلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى ثَلَاثَةِ عَشَرَ أَمِيرًا مِنَ الْمَصْرِيِّينَ، مِنْهُمْ قُجْقَارُ الْحَمَوِيِّ، وَقَدْ كَانُوا كَاتِبُوا التَّنَزُّرَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُمْ مَعَهُمْ عَلَى السُّلْطَانِ، فَأَخَذُوا فَأَقْرَؤُوا بِذَلِكَ، وَجَاءَتْ كِتَابُهُمْ مَعَ الْبَرِيدِ فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِمْ .

وَفِيهَا أَقْبَلَ السُّلْطَانُ بِالْعَسَاكِرِ، فَدَخَلَ بِلَادَ سِيسَ^(٢) مِنْ نَاحِيَةِ الدَّرْبُنْدَاتِ^(٣)، فَمَلَكَهَا وَمَلَكَ إِيَّاسَ وَالْمُصَيِّصَةَ وَأَذَنَةَ، وَكَانَ دَخُولُهُ إِلَى سِيسَ^(٢) يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، فَقَتَلُوا خَلْقًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ، وَغَنِمُوا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَبْقَارِ وَالْأَغْنَامِ وَالْأَثْقَالِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ، فَأُيِّعَ بِأَرْخَصِ ثَمَنِ، ثُمَّ عَادَ فَدَخَلَ دِمَشْقَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى انْقَضَتْ السَّنَةُ .

وَفِيهَا ثَارَ عَلَى أَهْلِ الْمَوْصِلِ رَمْلٌ حَتَّى عَمَّ الْأُفُقَ، وَخَرَجُوا مِنْ دُورِهِمْ يَتَّبِعُونَ إِلَى اللَّهِ حَتَّى كَشَفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) ذِيلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٨٤/٣ - ١١٠، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٢١٥/٣٠ - ٢١٧، وَكَتَرُ الدَّرْرِ ١٧٦/٨ - ١٨٢، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ١٣٠/٢ - ١٣٨، وَالنَّجْمُ الزَّاهِرَةُ ٢٤٥/٧ - ٢٤٨ .
(٢) سَقَطَ مِنْ : م .
(٣) الدَّرْبُنْدَاتُ : بَابُ الْأَبْوَابِ . مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٥٦٤/٢ .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

ابنُ عَطَاءٍ الْحَنْفِيُّ^(١) : قاضى القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ شرف الدين محمد بن عطاء بن حسن بن [٨١/١٠ و] عطاء بن مجبّر بن جابر بن وهيب الأذرعى الحنفى ، وُلد سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، سَمِعَ الحديثَ وتَفَقَّه على مذهب أبى حنيفة ، وناب فى الحكم عن الشافعى مدةً ، ثم استَقَلَّ بقضاء الحنفية أول ما وليت القضاة من المذاهب الأربعة ، ولما وقَّعت الحوطة على أملاك الناس أراد السلطان منه أن يَحْكَمَ بها بمقتضى مذهبه ، فغضب من ذلك وقال : هذه أملاك بأيدى أربابها ، وما يحل لمسلم أن يتعرَّضَ لها . ثم نهَض من المجلس فذهب ، فغضب السلطان من ذلك غضباً شديداً ، ثم سَكَنَ غضبه ، فكان يُثْنى عليه بعد ذلك ويمدِّحُه ، ويقول : لا تُثْبِتُوا^(٢) كتاباً إلا عنده^(٣) . كان ابنُ عطاء من العلماء الأخيار ، كثير التواضع ، قليل الرغبة فى الدنيا ، روى عنه ابن جماعة ، وأجاز للبرزالي . تُوفِّي يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى ، ودُفِن بالقرب من المعظمية بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالى .

يَمُنْدُ بْنُ يَمُنْدَ بْنِ يَمُنْدَ^(٤) ، إرَّيس طرابلس الفِرَنْجِيّ ، كان جدّه نائباً لبنتِ صَنْجَل^(٥) الذى تملك طرابلس من ابن عمّار فى حدود الخمسمائة ، وكانت

(١) ذيل مرآة الزمان ٩٥/٣ ، ونهاية الأرب ٢١٦/٣٠ ، والعبر ٣٠١/٥ ، ومرآة الجنان ١٧٣/٤ ، والجواهر المضية ٣٣٦/٢ ، والسلوك ٦١٩/١ (القسم الثانى) ، وعقد الجمان ١٣٥/٢ .

(٢ - ٢) فى م : « كتباً إلا عنه » .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٩٢/٣ ، والوفى بالوفيات ٣٦٨/١٠ ، وعقد الجمان ١٣٨/٢ ، والنجوم الزاهرة ٧/٢٤٦ ، والمنهل الصافى ٥١٥/٣ .

(٤) فى م : « ابرنس » . والإريس : الأمير . تاج العروس (أ ر س) .

(٥) فى الأصل ، م : « صيحل » . والمثبت من مصادر ترجمته .

يَتِيْمَةٌ تَشْكُرُ بَعْضَ جَزَائِرِ الْبَحْرِ ، فَتَغْلِبُ هَذَا عَلَى الْبَلَدِ لِإِعْدِهَا عَنْهُ ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِهَا وَلَدُهُ ، ثُمَّ حَفِيْدُهُ هَذَا ، وَكَانَ شَكِلًا مَلِيْحًا . قَالَ قُطُبُ الدِّينِ الْيُونِنِيُّ ^(١) : رَأَيْتُهُ يَبْغَلِبُكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ حِينَ جَاءَ مُسَلِّمًا عَلَى كَتَبْعَا نُؤَيْنَ ، وَرَامَ أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ بَعْغَلِبُكَ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . وَلَمَّا تُؤَفِّي دُفِنَ فِي كَنِيسَةٍ طَرَابُلُسَ ، وَلَمَّا فَتَحَهَا الْمُسْلِمُونَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ نَبَشَ النَّاسُ قَبْرَهُ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْهُ ، وَأَلْقَوْا عِظَامَهُ عَلَى الْمَزَابِلِ لِلْكِلَابِ .

(١) ذيل مرآة الزمان ٩٢/٣ .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وستمائة^(١)

لما كان يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة^(٢) نزل التتار على البيرة في ثلاثين ألف مقاتل؛ خمسة عشر ألفاً من المغول، وخمسة عشر ألفاً من الروم، والمقدم على الجميع البزواناه، بأمر أبغا ملك التتر، ومعهم جيش الموصل وجيش ماردين والأكراد، ونصبوا عليها ثلاثة وعشرين منجنيقاً، فخرج أهل البيرة في الليل، فكبسوا^(٣) عسكر التتار، وأحرقوا المنجنيقات، ونهبوا شيئاً كثيراً، ورجعوا إلى بيوتهم سالمين، فأقام عليها الجيش مدة إلى تاسع عشر الشهر المذكور، ثم رجعوا عنها بغياطهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً. ولما بلغ السلطان نزول التتر على البيرة أنفق في الجيش ستمائة ألف دينار، ثم ركب سريعاً وفي صحبته ولده السعيد، فلما كان في أثناء الطريق بلغه رحيل التتر عنها، فعاد إلى دمشق، ثم ركب في رجب إلى القاهرة، فدخلها في ثامن عشر، فوجد بها خمسة وعشرين رسولاً من جهة ملوك الأرض ينتظرونه، فتلقوه وحذثوه وقبلوا الأرض بين يديه،^(٤) ودخل القلعة في أبهة عظيمة.

ولما عاد البزواناه إلى بلاد الروم حلف الأمراء الكبار؛ منهم شرف الدين

(١) ذيل مرآة الزمان ١١١/٣ - ١٢٥، ونهاية الأرب ٢١٩/٣٠ - ٢٣١، وكنز الدرر ١٨٢/٨ - ١٨٧، وعقد الجمان ١٣٩/٢ - ١٥٠، والسلوك ٦١٩/١ - ٦٢٥ (القسم الثاني).

(٢) في م: «الأولى».

(٣) في الأصل: «فكسروا».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

مسعودٌ وضياءُ الدينِ محمودُ ابنا الخطيرِ، وأمينُ الدينِ ميكائيلُ، وحُسامُ الدينِ
بيجارٌ^(١)، وولدهُ بهاءُ الدينِ، على أن يكونوا من جهةِ السلطانِ الملكِ الظاهرِ،
وإنابذوا أبعًا، فحلّفوا له على ذلك، وكتب إلى الظاهرِ بذلك، وأن يُرسلَ إليه
جيشًا، ويحمِلَ له ما كان يَحْمِلُهُ إلى التَّارِ، ويكونَ غياثُ الدينِ كَيْخُسرو على
ما هو عليه، يَجْلِسُ على تَحْتِ تَمَلِكَةِ الرومِ.

وفى هذه السنةِ اسْتَشَقَى أهلُ بغدادَ ثلاثةَ أيامٍ ولأءٍ فلم يُشَقُّوا.

[٨١/١٠ ط] وفيها فى رمضانَ منها وُجِدَ رجلٌ وامرأةٌ فى نهارِ رمضانَ على
فاحشةِ الزنى، فأمرَ علاءُ الدينِ صاحبُ الدِّيوانِ برجمِهما فرجما، ولم يُرَجَمْ
ببغدادَ قبلَهما قطُّ أحدٌ منذُ بُيِّتَ. وهذا غريبٌ جدًّا.

وفىها اسْتَشَقَى أهلُ دمشقَ أيضًا مرتينِ؛ فى أواخرِ رجبٍ وأوائلِ شعبانَ -
وكان ذلك فى أواخرِ كانونِ الثانى - فلم يُشَقُّوا أيضًا.

وفىها أُرْسِلَ السلطانُ جيشًا إلى دُنُقَلَةَ، فكسَرَ جيشَ الشُودانِ، وقتلوا منهم
خلقًا، وأسرُوا شيئًا كثيرًا من الشُودانِ، بحيثُ أُبيعَ الرَّقيقُ الرأسُ بثلاثةِ دراهمٍ،
وهربَ ملكُهم داوُدُ إلى صاحبِ الثُّوبَةِ، فأرسله إلى الملكِ الظاهرِ مُحتاطًا عليه،
وقرَّرَ الملكُ الظاهرُ على أهلِ دُنُقَلَةَ جِزْيَةً تُحْمَلُ إليه فى كلِّ سنةٍ. كلُّ ذلك كان
فى شعبانَ من هذه السنةِ.

وفىها عُقِدَ عَقْدُ الملكِ السعيدِ بنِ الظاهرِ، على بنتِ الأميرِ سيفِ الدينِ

(١) فى الأصل: «منجار»، وفى م: «ميجار». والمثبت من ذيلِ مرآةِ الزمانِ. وانظر ترجمته فى الوافى
بالوفيات ٣٦٠/١٠.

قَلَاوُونَ الْأَلْفَى ، فِي الْإِيوَانِ بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ وَالدَّوْلَةِ عَلَى صَدَاقِ خَمْسَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، يُعَجَّلُ مِنْهَا أَلْفَا دِينَارٍ ، وَكَانَ الَّذِي كَتَبَهُ وَقَرَأَهُ مُخَيِّ الدِّينِ بَنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ ، فَأُعْطِيَ مِائَةُ دِينَارٍ ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ . ثُمَّ رَكِبَ السُّلْطَانُ مُسْرِعًا ، فَوَصَلَ إِلَى حَصَنِ الْكَرْكِ ، فَجَمَعَ الْقَيْمَرِيَّةَ الَّذِينَ بِهِ إِذَا هُمْ سِتْمَائَةَ نَفَرٍ ، فَأَمَرَ بِشَنْقِهِمْ ، فَشَفِعَ فِيهِمْ عِنْدَهُ ، فَأُطْلِقَهُمْ وَأَجْلَاهُمْ مِنْهُ إِلَى مِصْرَ ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ قَتْلَ مَنْ فِيهِ ، وَيَقِيمُوا مَلِكًا عَلَيْهِمْ ، وَسَلَّمُ الْحَصَنِ إِلَى الطَّوَّاشِيِّ شَمْسِ الدِّينِ رِضْوَانَ الشَّهْلِيِّ ، ثُمَّ عَادَ فِي بَقِيَّةِ الشَّهْرِ إِلَى دِمَشْقَ ، فَدَخَلَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثَامِنَ عَشَرَ الشَّهْرِ .

وَفِيهَا كَانَتْ زَلْزَلَةٌ بِأَخْلَاطَ^(١) ، وَاتَّصَلَتْ بِيَلَادِ بَكْرٍ .

وَمَنْ تُؤْفَى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَدِيبُ الْعَلَّامَةُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو النَّشَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ التَّمِيمِيِّ الصَّرْحَدِيُّ الْحَنْفِيُّ^(٢) ، كَانَ مَشْهُورًا بِالْفَقْهِ وَالْأَدَبِ ، وَالْعِفَّةِ وَالصَّلَاحِ ، وَنَزَاهَةِ النَّفْسِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ . وَوُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَى ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْهَا ، وَلَهُ سِتٌّ وَتِسْعُونَ سَنَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

الشَّيْخُ الْإِمَامُ عِمَادُ الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ

(١) قَالَ صَاحِبُ تَاجِ الْعُرُوسِ : خَلَاطُ : بَلَدٌ بِأَرْمِينِيَّةٍ مَشْهُورٌ . قَالَ : وَلَا تَقُلْ : أَخْلَاطُ ، بِالْأَلْفِ كَمَا هُوَ عَلَى لِسَانِ الْعَامَّةِ . تَاجُ الْعُرُوسِ (خ ل ط) .

(٢) ذَيْلُ مِرْآةِ الزَّمَانِ ٣/ ١٥٤ ، وَالْعَبْرُ ٥/ ٣٠٢ ، وَفَوَاتُ الْوَفَايَاتِ ٤/ ١٢١ ، وَالْجَوَاهِرُ الْمُضْيِئَةُ ٣/ ٤٤١ ، وَالسُّلُوكُ ١/ ٦٢٤ (الْقِسْمُ الثَّانِي) ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٢/ ١٥١ ، وَبَغِيَّةُ الرَّعَاةِ ٢/ ٢٧٨ .

«ابن عبد الخالق^(١) بن خليل بن مقلد الأنصاريّ الدمشقيّ، المعروف بابن الصائغ، كان مُدَرِّسًا بِالْعَدْرَاوِيَّةِ وشاهدًا بِالخَزَانَةِ بِالْقَلْعَةِ، يَعْرِفُ الْحِسَابَ جَيِّدًا، وله سَمَاعٌ وَرِوَايَةٌ، وَدُفِنَ بِقَاسِيَوْنَ.

ابن الساعي المؤرّخ^(٢) : تاج الدين بن الحُتْسِبِ المعروف بابن الساعي البَغْدَادِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَاعْتَنَى بِالتَّارِيخِ، وَجَمَعَ وَصَنَّفَ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْحَافِظِ وَلَا الضَّابِطِ الْمُتَّقِنِ. وَقَدْ أَوْصَى إِلَيْهِ ابْنُ النَّجَّارِ حِينَ تُوفِّيَ، وَلَهُ تَارِيخٌ كَبِيرٌ عِنْدِي أَكْثَرُهُ، وَمُصَنَّفَاتٌ أُخَرُ مُفِيدَةٌ، وَآخِرُ مَا صَنَّفَ كِتَابٌ فِي الزُّهَادِ، كَتَبَ فِي حَاشِيَتِهِ زَكِيُّ الدِّينِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبٍ الْكَاتِبُ :

ما زال تاج الدين طول المدى	من عمره يُعْنَقُ ^(٣) في السير
في طلب العلم وتدوينه	وفعله نفع بلا ضير
علا على بتصانيفه	وهذه خاتمة الخير

(١ - ١) في الأصل، م، ومصادر ترجمته : عقد الجمان ١٥١/٢، والمنهل الصافي ٣٠٢/٧، والدارس ٣٧٦/١ : « عبد الله ». والمثبت مما سيأتي في ترجمة أبيه في صفحة ٥٩٤ ضمن وفيات سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

(٢) ذيل مرآة الزمان ١٤٧/٣، وتذكرة الحفاظ ١٤٦٩/٤، وعقد الجمان ١٥٢/٢، والدليل الشافي ١/٤٥١، وشذرات الذهب ٣٤٣/٥، وتاريخ علماء المستنصرية ص ٣٣٧.

(٣) يعنق : يسرع. الوسيط (ع ن ق).

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ خَمْسٌ وَسَبْعِينَ وَسْتُمَائَةٍ^(١)

فِي «ثَلَاثَ عَشَرَ الْحَرَمِ»^(٢) مِنْهَا دَخَلَ السُّلْطَانُ إِلَى دِمَشْقَ ، وَسَبَقَ الْعَسَاكِرَ إِلَى بِلَادِ حَلَبَ ، فَلَمَّا تَوَافَتْ إِلَيْهِ أَرْسَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأَمِيرَ بَدْرَ الدِّينِ الْأَتَايَكِيَّ بِأَلْفِ فَارِسٍ إِلَى الْبُلْسْتَيْنِ^(٣) ، فَصَادَفَ بِهَا [٨٢/١٠] جَمَاعَةً مِنْ عَسَاكِرِ الرُّومِ ، فَرَكِبُوا إِلَيْهِ وَحَمَلُوا إِلَيْهِ الْإِقَامَاتِ ، وَطَلَبَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا بِلَادَ الْإِسْلَامِ ، فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَدَخَلَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بِيَجَارَ^(٤) وَابْنُ الْخَطِيرِ ، فَرَسَمَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا الْقَاهِرَةَ ، فَتَلَقَّاهُمُ الْمَلِكُ السَّعِيدُ ، ثُمَّ عَادَ السُّلْطَانُ مِنْ حَلَبَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَدَخَلَهَا فِي «ثَانِي عَشَرَ رَبِيعِ الْآخِرِ»^(٥) .

وَفِي خَامِسِ جُمَادَى الْأُولَى عَمِلَ السُّلْطَانُ عُزْسَ وَلَدِهِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ عَلَى بَنَاتِ قَلَاوُونَ ، وَاحْتَفَلَ السُّلْطَانُ بِهِ اخْتِفَالًا عَظِيمًا ، وَرَكِبَ الْجَيْشُ فِي الْمَيْدَانِ خَمْسَةَ أَيَّامٍ يَلْعَبُونَ وَيَتَطَارَدُونَ ، وَيَحْمِلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ خُلِعَ عَلَى

(١) ذيل مرآة الزمان ١٦٤/٣ - ١٨٧ ، ونهاية الأرب ٢٣٣/٣٠ - ٢٣٥ ، وكنز الدرر ١٨٧/٨ - ٢٠٧ ، والعبر ٣٠٤/٥ ، ٣٠٥ .

(٢ - ٢) فِي ذِيلِ مِرَاةِ الزَّمَانِ ١٦٥/٣ ، ١٦٦ : «أَوَاخِرُ الْحَرَمِ» ، وَفِي نِهَايَةِ الْأَرْبِ ٢٣٤/٣٠ : «رَابِعِ عَشْرِ الْحَرَمِ» .

(٣) فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ٩٣/١ : «بُلْسْتَيْنَ» ، وَهِيَ مَدِينَةُ بِلَادِ الرُّومِ قَرِيبَةٌ مِنْ أُبُسُ مَدِينَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : «نَبْجَارَ» ، وَفِي نِهَايَةِ الْأَرْبِ ٢٣٣/٣٠ : «بَيْنَجَارَ» . وَانْظُرْ ذِيلَ مِرَاةِ الزَّمَانِ ١٦٦/٣ .

(٥ - ٥) فِي نِهَايَةِ الْأَرْبِ ٢٣٥/٣٠ : «رَابِعِ عَشْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ» .

الأمراء وأرباب المناصب ، وكان مَبْلَغُ ما خُلِعَ ألفاً وثلاثمائة خِلْعَةٍ بمصرَ ، وجاءت مَراسِيمُهُ إلى الشامِ بالخُلْعِ على أهلِها ، ومدَّ السلطانُ سِمَاطاً عظيماً حَضَرَهُ الخاصُّ والعامُّ ، والشارِدُ والواردُ ، وجَلَسَ فيه رسلُ التَّارِ ورسلُ الفِرَجِ ، وعليهم كلُّهم الخِلْعُ الهائلةُ ، وكان وقتاً مشهوداً ، وحَمَلَ صاحبُ حِمَاةِ هدايا عظيمةً ، وركبَ إلى مصرَ للتهنئةِ .

وفى حادى عشرَ شوالٍ طيفَ بالمَحْمِلِ وبكُسوةِ الكعبةِ المُشْرِفةِ بالقاهرةِ ، وكان يوماً مشهوداً .

وَقْعَةُ البُلُسْتَيْنِ وَفَتْحُ قَيْسَارِيَّةَ

ركبَ السلطانُ من مصرَ فى العساكرِ ، فدخلَ دمشقَ فى سابعَ عشرَ شوالٍ ، فأقامَ بها ثلاثةَ أيامٍ ، ثم سارَ حتى دخلَ حلبَ فى مُسْتَهْلَ ذى القَعْدَةِ ، فأقامَ بها يوماً ، ورسمَ لِنائبِ حَلَبَ أن يُقيمَ بعسكرِ حَلَبَ على الفُراتِ لحفظِ المعابرِ ، وسارَ السلطانُ ففُطِعَ الدَّرْبُ بَنَدَ فى نصفِ يومٍ ، ووقَعَ سُنْقُرُ الأَشْقَرِ فى أثناءِ الطريقِ بثلاثةِ آلافِ مِنَ المَغُولِ ، فهزَمَهم يومَ الخميسِ تاسعِ ذى القَعْدَةِ ، وصعدَ العسكرُ الجبالَ ، فأشرفُوا على وَطْأَةِ البُلُسْتَيْنِ ، فأروا التَّارَ قد رَتَّبُوا عسكرَهُم وكانوا أحدَ عشرَ ألفَ مُقاتِلٍ ، وعزلوا عنهم عسكرَ الرومِ خوفاً من مُحامَرَتِهِم ، فلما تراءى الجمعانَ حَمَلَتِ مَيْسِرَةُ التَّارِ ، فصَدَمَتِ سَنَاجِقَ السلطانِ ، ودخلتْ طائفةٌ منهم بينهم فشقُّوها ، وساقَتِ إلى المَيْمَنَةِ ، فلما رأى السلطانُ ذلكَ أَرَدَفَ المسلمينَ بنفسِهِ وَمَن معه ، ثم لاحتَ منه التَّفِائَةُ ، فرأى المَيْسِرَةَ قد كادت أن تَنحَطَّمَ ، فأمرَ

جماعة من الأمراء بإزدافها، ثم حمل بالعسكر جميعه حملة واحدة على التتار، فترجلوا إلى الأرض عن آخرهم، وقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً، وصبر المسلمون صبراً عظيماً، فأنزل الله نصره على المسلمين، فأحاطت بالتتار العساكر من كل جانب، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وقُتل من المسلمين أيضاً جماعة، وكان في جملة من قُتل من سادات المسلمين الأمير الكبير ضياء الدين ابن الخطير، و«سيف الدين قيماز»، وسيف الدين قفجق^(٢) الجاشنكير، وعز الدين أئيك الشقيفي^(٣)، وأسير جماعة من أمراء المغول ومن أمراء الروم، وهرب البرواناه، فنجاً بنفسه، ودخل قيسارية في بكرة الأحد ثاني عشر ذي القعدة، وأعلم أمراء الروم ملكهم بكسرة التتار على البلستين، وأشار عليهم بالهزيمة، فأنهزموا منها وأخلوها، فدخلها الملك الظاهر، وصلى بها الجمعة سابع عشر ذي القعدة، وحُطب له بها، ثم كرّ راجعاً مؤيَّداً منصوراً. وسارت بذلك البشائر إلى البلدان، ففرح المؤمنون يومئذ بنصر الله تعالى. ولما بلغ خبر هذه الوقعة أبغاً جاء حتى وقف بنفسه وجيشه، وشاهد مكان المعركة [٨٢/١٠] ومَن فيها من قتل المغول، فغاضه ذلك وأعظمه، وحق على البرواناه إذ لم يُعلمه بجليّة الحال، وكان يظن أن أمر الملك الظاهر دون هذا كله، واشتد غضبه على أهل قيسارية وأهل تلك

(١ - ١) في ذيل مرآة الزمان ١٧٥/٢، ونهاية الأرب ٣٥٢/٣٠ وكنز الدرر ١٩٩/٨، والعبر ٥/٣٠٤، والنجوم الزاهرة ١٦٩/٧: «شرف الدين قيران العلاني».

(٢) في الأصل: «تنجو». وفي م: «بنجو». والمثبت من العبر. وانظر عقد الجمان ٥٨١/٢، والنجوم الزاهرة ١٦٩/٧، والسلوك ٦٢٩/١ (القسم الثاني). والجاشنكير: هو الذي يتحدث في أمر الطعام والمطابخ مع الأستاذار. انظر صبح الأعشى ٢١/٤.

(٣) في الأصل، م: «الثقفي». وفي ذيل مرآة الزمان: «الشقيقي». والمثبت من العبر، والنجوم الزاهرة.

الناحية ، فقتل منهم قريباً من مائتي ألف ، وقيل : قتل منهم خمسمائة ألف من قيسارية وأرزن الروم ، وكان في جملة من قتل القاضي جلال الدين حبيب ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

ومَن تُوفى فيها من الأعيان :

الشيخ أبو الفضل عيسى^(١) بن الشيخ عُبيد بن عبد الخالق الدمشقي ، ودُفن بالقرب من الشيخ رسلان . قال الشيخ علّم الدين : وكان يذكُر أن مولده كان سنة أربع وستين وخمسمائة .

الطواشي يُمنّ الحبشي^(٢) ، شيخ الخدام بالحرم الشريف النبوي ، كان دينا عاقلاً عدلاً ، صادق اللّهجة ، مات في عشر السبعين ، رحمه الله .

الشيخ المحدث شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر الموصلي ، ثم الدمشقي الصوفي^(٣) ، سَمِعَ الكثير ، وكتب الكتب الكبار بخط رفيع جيد واضح ، جاوز السبعين^(٤) ، ودُفن بباب الفرائيس .

الشاعرُ شهاب الدين أبو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة بن سالم بن عبد الله الشيباني التلعفري^(٥) ، صاحب ديوان الشعر ، جاوز الثمانين ،

(١) سقط من : م . وانظر ترجمته في عقد الجمان ١٦٩ / ٢ ، وفيه : « عيسى بن عبد الله » .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢٣١ / ٣ ، وعقد الجمان ١٧٣ / ٢ ، والدليل الشافي ٧٩٦ / ٢ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) عقد الجمان ١٦٩ / ٢ .

(٥) ذيل مرآة الزمان ٢١٨ / ٣ ، والعبر ٣٠٦ / ٥ ، والوافي بالوفيات ٢٥٥ / ٥ ، وفوات الوفيات ٦٢ / ٤ ، والسلوك ٦٣٤ / ١ (القسم الثاني) ، والنجوم الزاهرة ٢٥٥ / ٧ ، وشذرات الذهب ٣٤٩ / ٥ .

تُوْفِّي بِحَمَاةٍ، وَكَانَ الشُّعْرَاءُ مُتَعَرِّفِينَ لَهُ مُعْتَرِفِينَ بِفَضْلِهِ وَتَقَدُّمِهِ فِي هَذَا الْفَنِّ . وَمِنْ
شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

لِسَانِي طَرِئَ مِنْكَ يَا غَايَةَ الْمُنَى وَمِنْ وَلَهِي أَنِي خَطِيبٌ وَشَاعِرٌ
فَهَذَا الْمَعْنَى حُسْنٍ وَجْهِكَ نَاطِمٌ وَهَذَا لِدَمْعِي فِي تَجَنُّبِكَ نَائِثٌ

القاضي شمس الدين علي بن محمود بن علي بن عاصم الشهرزوري
الدمشقي^(١) ، مُدَرِّسُ الْقَيْمَرِيَّةِ بِشَرْطِ وَاقِفِهَا لَهُ وَلَذَرِيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ^(٢) التَّدْرِيسَ مَنْ
تَأَهَّلَ مِنْهُمْ ، فَدَرَّسَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَدَرَّسَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ صَلاَحُ
الدِّينِ ، ثُمَّ ابْنُ ابْنِهِ بَعْدَ ابْنِ جَمَاعَةٍ ، وَطَالَتْ مَدَّةُ حَفِيدِهِ . وَقَدْ وَلِيَ شَمْسُ الدِّينِ
عَلِيٌّ نِيَابَةَ ابْنِ خَلْكَانَ فِي الْوَلَايَةِ الْأُولَى ، وَكَانَ فَقِيهًا جَيِّدًا نَقَّالًا لِلْمَذْهَبِ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣) ، وَقَدْ سَافَرَ مَعَ ابْنِ الْعَدِيمِ إِلَى بَغْدَادَ ، فَسَمِعَ بِهَا ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ
الصُّوْفِيَّةِ بِالْقُرْبِ مِنْ ابْنِ الصَّلَاحِ .

الشيخ الصالح العالم الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الله بن جماعة
ابن علي بن جماعة بن حازم بن صخر^(٣) الكِنَانِيُّ الْحَمَوِيُّ ، لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْفَقْهِ
وَالْحَدِيثِ ، وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ^(٤) وَتَسْعِينَ بِحَمَاةٍ ، وَتُوْفِّيَ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، وَدُفِنَ

(١) ذيل مرآة الزمان ١٩٢/٣ ، والوفاء بالوفيات ١٨٥/٢٢ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣٠٠ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ١٢٠/٢ ، ٣٥٧ ، وعقد الجمان ١٧٠/٢ .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) في م : «سنجر» . وانظر ترجمته في : ذيل مرآة الزمان ١٨٧/٣ ، ونهاية الأرب ٢٣٦/٣٠ ،
والوفاء بالوفيات ٣٥٣/٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١١٥/٨ ، والنجوم الزاهرة ٧/٢٥١ .

(٤) في ذيل مرآة الزمان : «سبع» .

بمأملا ، وسَمِعَ مِنَ الْفَخْرِ بْنِ عَسَاكِرَ ، وَرَوَى عَنْهُ وَلَدُهُ قَاضِي الْقَضَاةِ بَدْرُ الدِّينِ ابْنُ جَمَاعَةَ .

الشيخ الصالح جُنْدُلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمِنِينِي^(١) ، كانت له عِبَادَةٌ وَزَهَادَةٌ وَأَعْمَالٌ صَالِحَةٌ ، وَكَانَ النَّاسُ يَتَرَدَّدُونَ إِلَى زِيَارَتِهِ ،^(٢) زَارَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ مَرَاتٍ وَكَذَلِكَ الْأُمَرَاءُ^(٣) بِمَنِينٍ ، وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ لَا يَفْهَمُهُ أَحَدٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ ، بِالْفَاطِ غَرِيبَةٍ ، وَحَكَى عَنْهُ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ^(٤) أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ : مَا تَقَرَّبَ أَحَدٌ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِ الذُّلِّ لَهُ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ . وَسَمِعَهُ يَقُولُ : الْمُؤَلَّةُ مَنَفِيٌّ مِنْ طَرِيقِ اللَّهِ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ وَاصِلٌ ، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنَفِيٌّ رَجَعَ عَمَّا هُوَ فِيهِ ؛ لِأَنَّ طَرِيقَ الْقَوْمِ مِنْ أَهْلِ السُّلُوكِ لَا يَثْبُتُ عَلَيْهَا إِلَّا ذَوُو الْعُقُولِ الثَّابِتَةِ . وَكَانَ يَقُولُ : السَّمَاعُ وَظِيفَةُ أَهْلِ الْبَطَالَةِ . قَالَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ : وَكَانَ الشَّيْخُ جُنْدُلٌ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقِ وَعِلْمَاءِ التَّحْقِيقِ . قَالَ : وَأَخْبَرَنِي فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِينَ وَسِتْمِائَةِ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْعَمْرِ خَمْسًا وَتِسْعِينَ سَنَةً . قُلْتُ : فَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَدْ جَاوَزَ الْمِائَةَ ؛ لِأَنَّهُ تُؤَفَّى فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَدُفِنَ فِي زَاوِيَةِ الْمَشْهُورَةِ بِقَرْيَةِ مَنِينٍ ، وَوَرَدَ النَّاسُ إِلَى قَبْرِهِ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ مِنْ دِمَشْقَ وَأَعْمَالِهَا ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

“مُحَمَّدُ بْنُ” عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ بَدْرُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) ذِيلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ١٩١/٣ ، وَالْوَفَائِيُّ بِالْوَفَايَاتِ ١٩٦/١١ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ١٧١/٢ ، وَالذَّلِيلُ الشَّافِي ٢٥١/١ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣٤٧/٥ .

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : م .

(٣) هُوَ تَاجُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْفَزَارِيُّ . انْظُرْ : ذِيلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ١٩١/٣ .

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنَ الْأَصْلِ ، وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : ذِيلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٢٠٣/٣ ، وَالْعَبْرُ ٣٠٦/٥ ، وَالْوَفَائِيُّ بِالْوَفَايَاتِ ٢٣٥/٣ ، وَالْجَوَاهِرُ الْمُضِيَّةُ ٢١٩/٣ ، وَالْمَقْفِيُّ الْكَبِيرُ ١٦١/٦ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ١٧١/٢ ، =

الفُوَيْرِهِ^(١) السَّلْمِيُّ الحَنْفِيُّ ، اسْتَعْلَى عَلَى الصَّدْرِ سَلِيمَانَ وَابْنِ عَطَاءٍ ، وَفِي النُّحُورِ عَلَى ابْنِ مَالِكٍ ، وَحَصَّلَ وَبَرَعَ وَنَظَّمَ وَنَثَرَ ، وَدَرَّسَ فِي الشُّبُلِيَّةِ وَالْقَصَّاعِينَ ، وَطَلَّبَ لِنِيَابَةِ الْقَضَاءِ فَاثْتَنَعَ ، وَكَتَبَ الْكِتَابَةَ الْمُنْسُوبَةَ . وَقَدْ رَأَى بَعْضُ أَصْحَابِهِ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

مَا كَانَ لِي مِنْ شَافِعٍ عِنْدَهُ غَيْرُ اعْتِقَادِي أَنَّهُ وَاحِدٌ

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جُمَادَى الْأُولَى^(٢) ، وَدُفِنَ بِظَاهِرِ دِمَشْقَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

مُحَمَّدٌ [٨٣/١٠ و] بَنُ عَبْدِ الرَّهَّابِ بْنِ مَنْصُورِ شَمْسِ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَوَّازِيُّ الْحَنْبَلِيُّ^(٣) ، تَلَمَّيذُ الشَّيْخِ مَجِيدِ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَكَّمَ بِالْأُيُودِ الْمَصْرِيَّةِ مِنَ الْحَنَابِلَةِ نِيَابَةً عَنِ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ ابْنِ بَنِي الْأَعَزِّ ، ثُمَّ وَلِيَ شَمْسُ الدِّينِ بَنُ الشَّيْخِ الْعِمَادِ الْقَضَاءَ مُسْتَقِلًّا ، فَاسْتَنَابَ بِهِ ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ ، وَرَجَعَ إِلَى الشَّامِ يَسْتَعِزُّ وَيُفْتِي إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ ، وَقَدْ نَيَّفَ عَلَى السِّتِينَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

= والنجوم الزاهرة ٢٥٣/٧ ، وشذرات الذهب ٣٤٧/٥ .

(١) فِي الْأَصْلِ ، م : « النُّوِيرَةُ » . وَالثَّبُوتُ مِنْ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ عِدَا الْجَوَاهِرِ الْمُضِيَّةِ .

(٢) فِي م : « الْآخِرَةُ » .

(٣) ذَيْلُ مِرْآةِ الزَّمَانِ ٢٠٦/٣ ، وَالْعَبَرُ ٣٠٦/٥ ، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٧٥/٤ ، وَفَوَاتُ الْوَفَايَاتِ ٤٢٨/٣ ، وَالذَّيْلُ عَلَى طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ ٢٨٧/٢ ، وَالذَّلِيلُ الشَّافِي ٦٥١/٢ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣٤٨/٥ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتٌّ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةً^(١)

فِيهَا كَانَتْ وَفَاةُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رُكْنِ الدِّينِ يَبْيِزَسَ ، صَاحِبِ الْبِلَادِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ وَالْحَلَبِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَأَقَامَ وَلَدَهُ نَاصِرَ الدِّينِ أَبَا الْمَعَالَى مُحَمَّدَ بَرَكَةَ خَانَ الْمُلَقَّبَ بِالْمَلِكِ السَّعِيدِ ، مِنْ بَعْدِهِ ، وَوَفَاةُ الشَّيْخِ مُحْيَى الدِّينِ النَّوَوِيِّ إِمَامِ الشَّافِعِيَّةِ فِيهَا فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنَ الْمَحْرَمِ مِنْهَا .

وَدَخَلَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ مِنَ بِلَادِ الرُّومِ ، وَقَدْ كَسَرَ التَّارَ عَلَى الْبُلْسُتَيْنِ ، وَرَجَعَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا ، فَدَخَلَ دِمَشْقَ ، وَكَانَ يَوْمُ دُخُولِهِ يَوْمًا مَشْهُودًا ، فَنَزَلَ بِالْقَصْرِ الْأَبْلَقِ الَّذِي بَنَاهُ غُرَبَاءُ دِمَشْقَ بَيْنَ الْمِيدَانَيْنِ الْأَخْضَرَيْنِ ، وَتَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ أُبْعِيَ إِلَى الْمَعْرَكَةِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا ، وَتَأَسَّفَ عَلَى مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمَغُولِ ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ الْبِزْوَانَةِ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ قَدْ عَزَمَ عَلَى قَصْدِ الشَّامِ ، فَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِجَمْعِ الْأُمَرَاءِ ، وَضَرْبِ مَشُورَةٍ ، فَاتَّفَقَ مَعَ الْأُمَرَاءِ عَلَى مُلَاقَاتِهِ حَيْثُ كَانَ ، وَتَقَدَّمَ بِضَرْبِ الدَّهْلِيَّزِ عَلَى الْقَصْرِ ، ثُمَّ جَاءَ الْخَبِيرُ بِأَنَّهُ أُبْعِيَ قَدْ رَجَعَ إِلَى بِلَادِهِ ، فَأَمَرَ بِرَدِّ الدَّهْلِيَّزِ ، وَأَقَامَ بِالْقَصْرِ الْأَبْلَقِ يَجْتَمِعُ عِنْدَهُ الْأَعْيَانُ وَالْأُمَرَاءُ وَالِدَوْلَةُ فِي أَسْرِّ حَالٍ ، وَأَنْعَمَ بِالِ . وَأَمَّا أُبْعِيَ فَإِنَّهُ أَمَرَ بِقَتْلِ الْبِزْوَانَةِ - وَكَانَ نَائِبَهُ عَلَى بِلَادِ الرُّومِ - وَكَانَ اسْمُهُ مُعِينُ الدِّينِ سَلِيمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ ، وَإِنَّمَا قَتَلَهُ لِأَنَّهُ اتَّهَمَهُ بِمُمَالَاةِ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي حَسَّنَ لَهُ دُخُولَ

(١) ذِيلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٢٣٢/٣ - ٢٩٢ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣٦٥/٣٠ - ٣٨٤ ، وَكَتَرُ الدَّرَرِ ٢٠٧/٨ - ٢٢٤ ، وَانْظُرِ الْعَبْرَ ٣٠٧/٥ - ٣١٣ .

بلاد الروم، وكان البزواناه شجاعاً حازماً كريماً جواداً، وله مِثْلٌ إلى الملك الظاهر، وكان قد جاوز الخمسين لما قُتِلَ.

ثم لما كان يوم السبت خامس عشر المحرم ثُوْفِيَ الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك بن السلطان المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب^(١)، عن أربع وستين سنة، وكان رجلاً جيداً، سليم الصدر، كريم الأخلاق، لِين الكلمة، كثير التواضع، يُعاني ملابس العرب ومراكبتهم، وكان مُعَظَماً في الدولة شجاعاً مقداماً، وقد رَوَى عن ابن اللثمي، وأجاز للبزالي. قال البزالي: ويقال: إنه سُم. وذكر غيره أن السلطان الملك الظاهر سَمَّه في كأسٍ ثم ناوَلَه إياه، فشربه وقام السلطان إلى المُرْتَفَعِ، ثم عاد وأخذ الساقى الكأس من يد القاهر، فمَلَأَه وناوَلَه السلطان الظاهر، والساقى لا يَشْعُرُ بشيء مما جرى، وأنسى الله السلطان ذلك الكأس، أو ظن أنه غيره لأمرٍ يُريدُه الله ويُقْضِيه، وكان قد بقى في الكأس بقية كثيرة من ذلك السُم، فشرب الظاهر ما في الكأس، ولم يَشْعُرْ حتى شربه، فاشتكى بطنه من ساعته، ووجد الوَهَجَ والحَرَّ والكَرْبَ الشديدَ من فوره، وأما القاهر فإنه حُمِلَ إلى منزله وهو مَغْلُوبٌ، [٨٣/١٠ ظ] فمات من ليلته، وتمَرَضَ الظاهر من ذلك أياماً حتى كانت وفاته يوم الخميس بعد الظهر في السابع والعشرين من المحرم بالقصر الأبلق، وكان ذلك يوماً عظيماً على الأمراء، وحضر نائب السلطنة عز الدين أيَّدُمُر وكبار الأمراء والدولة، فصلُّوا عليه سرّاً، وجعلوه في تابوت، ورفعوه إلى القلعة من السور، وجعلوه في بيت من بيوت البحرية إلى أن نُقِلَ إلى تربته التي بناها ولده له بعد موته، وهي دار العقيقى ثُجاة العادلية الكبيرة، ليلة الجمعة خامس رجب من هذه السنة، وكُتِبَ موته، فلم يَعْلَمَ جُمُهورُ

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٧٢/٣، ونهاية الأرب ٣٨١/٣٠، والنجوم الزاهرة ٢٧٨/٧، والدليل الشافى ١/

٤٣٠، وعقد الجمان ١٩٦/٢.

الناس به ، حتى إذا كان العَشرُ الأخيرُ من ربيعِ الأولِ ، وجاءت البيعةُ لولده السعيد من مصرَ ، حزن الناسُ عليه حُزنًا شديدًا ، وترَحَّموا عليه ترَحُّمًا كثيرًا ، وجُدِّدَت البيعةُ أيضًا بدمشقَ ، وجاء تَقْلِيدُ النِّيابةِ بالشامِ مُجَدِّدًا إلى عزِّ الدين أَيْدُمَر نائِبها .

وقد كان الملكُ الظاهرُ شَهِمًا شُجاعًا ، عالى الهِمَّةِ ، بعيدَ العَوَرِ ، مُقدِّمًا جسورًا ، مُعْتَنِيًا بأمرِ السلطنةِ ، يُشْفِقُ على الإسلامِ ، مُتَحَلِّيًا بالملكِ ، له قَصْدٌ صالحٌ فى نُصرةِ الإسلامِ وأهله ، وإقامةِ شِعارِ الملكِ ، واستَمَرَّت أيامه من يومِ الأحدِ سابعِ عَشرَ ذى القَعْدَةِ سنةَ ثمانٍ وخمسين إلى هذا الحينِ ، ففتَحَ فى هذه المدةِ فتوحاتٍ كثيرةً ؛ فَيْساريَّةَ وأرْشُوفَ ^(١) وَيَافَا والشَّقِيفَ وَأَنْطَاكِيَّةَ وبَغْرَاسَ ^(٢) وطَبْرِيَّةَ والقُصَيْرَ وحصنَ الأكرادِ وحصنَ عَكَارِ ^(٣) والقُرَيْنَ ^(٤) وصافيتا وغيرَ ذلك من الحصونِ المنيعةِ التى كانت بأيدى الفِرْنَجِ ، ولم يَدْعُ مع الإسماعيليةِ شيئًا من الحصونِ ، وناصفَ الفِرْنَجَ على المَرْقَبِ وبانياسَ وبلادِ أَنْطَرُطُوسَ ^(٥) ، وسائرِ ما بقى

(١) فى م : «أرسون» . وانظر ما تقدم صفحة ٤٥٩ .

(٢) فى م : «بغراض» . وانظر ما تقدم فى صفحة ٤٧٧ .

(٣) فى الأصل ، م : «عكا» . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٢٥٥/٣ ، ونهاية الأرب ٣٠/٣٢٩ . وعكار : حصن مبنى على جبل يسمى بنفس الاسم ، وموقعه شمالى طرابلس . السلوك ١/٥٩٢ (القسم الثانى) حاشية (١) .

(٤) فى الأصل : «القرين» ، وفى م : «القرين» . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٢٥٥/٣ ، ونهاية الأرب ٣٠/٣٣٢ .

والقرين : حصن من حصون الأرمن ، لطائفة منهم يقال لهم : الاسبتار وكان من أمنع الحصون وأضرها على صفد . انظر نهاية الأرب ٣٠/٣٣٢ .

(٥) فى الأصل ، م ، وذيل مرآة الزمان : «أنطرسوس» . والمثبت من نهاية الأرب ٣٠/٣٢٨ وما تقدم صفحة ٤٩٣ . وانظر معجم البلدان ١/٣٨٨ .

بأيديهم من البلاد والحصون ، وولّى فى نصيبه مما ناصفهم عليه الثواب والعَمَالَ ،
وفتح قيساريّة من بلاد الروم ، وأوقع بالروم والمغول على البلّستين بأساً لم يُسمَع
بمثله من دُهور مُتطاوِلة ، واستعاد من صاحب سبيس بلاداً كثيرة ، وجاس خلال
ديارهم وحصونهم ، واستردّ من أيدي المتعلّيين من المسلمين بعلبك وبُضمرى
وصَرْخَدَ وجَمَصَ وعَجْلُون والصَّلَت وتَدْمَر والرَّحْبَة وتَلّ بِاشِر وغيرها ، والكَرَكَ
والشُّوبَكَ ، وفتح بلادَ الثَّوبَة بكما لها من بلادِ السُّودانِ ، وانتزع بلاداً من التَّارِ
كثيرة ، منها شَيْزُر^(١) والبيرة ، واتَّسَعَت مَمْلَكَتُه مِنَ الْفَرَاتِ إِلَى أَقْصَى بِلَادِ الثَّوبَة ،
وعَمَّرَ شَيْئاً كَثِيراً مِنَ الْحُصُونِ وَالْمَعَاوِلِ وَالْجُسُورِ عَلَى الْأَنْهَارِ الْكُبَارِ ، وَبَنَى دَارَ
الذَّهَبِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ ، وَبَنَى قُبَّةً عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ عَمُوداً مُلَوَّنةً مُذَهَّبةً ، وَصَوَّرَ فِيهَا
صُورَ خَاصَّكِيتِه^(٢) وَأَشْكَالَهُمْ ، وَحَفَرَ أَنْهَاراً كَثِيراً وَخُلْجَانَاتٍ بِبِلَادِ مِصْرَ ، مِنْهَا
نَهْرُ السَّرْدُوسِ^(٣) ، وَبَنَى جَوَامِعَ كَثِيراً وَمَسَاجِدَ عَدِيدَةً ، وَجَدَّدَ بِنَاءَ مَسْجِدِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ اخْتَرَقَ ، وَوَضَعَ الدَّرَازِينَاتِ حَوْلَ الْحَجَرَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَعَمِلَ
فِيهِ مَنِيرًا ، وَسَقَفَهُ بِالذَّهَبِ ، وَجَدَّدَ الْمَارِسَتَانِ بِالْمَدِينَةِ ، وَجَدَّدَ قَبْرَ الْخَلِيلِ ، عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، وَزَادَ فِي زَاوِيَتِهِ وَمَا يُضَرَفُ إِلَى الْمُقِيمِينَ ، وَبَنَى عَلَى الْمَكَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى
قَبْرِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قُبَّةً قِبْلَى أَرِيحَا^(٤) ، وَجَدَّدَ بِالْقُدْسِ أَشْيَاءَ حَسَنَةً ، مِنْ
ذَلِكَ قُبَّةُ السَّلْسِلَةِ ، وَرَتَّمْ سَقْفَ الصَّخْرَةِ ، [١٠/٨٤] وَغَيْرَهَا ، وَبَنَى بِالْقُدْسِ خَانًا
هَائِلًا بِمَامِلَا ، وَنَقَلَ إِلَيْهِ بَابَ قَصْرِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ مِنْ مِصْرَ ، وَعَمِلَ فِيهِ طَاحُونًا

(١) فى الأصل : « شيزر » . وفى م : « شيرزور » . وانظر معجم البلدان ٣/ ٣٥٣ .

(٢) خاصكية : ندماء الملك والمقرين . انظر المعجم الذهبى ص ٢٣١ .

(٣) فى الأصل ، م : « السرداس » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٥٨ ، وانظر معجم البلدان ٣/ ٧٤ .

(٤) أريحا : مدينة الجبارين فى الغور من أرض الأردن بالشام . معجم البلدان ١/ ٢٢٧ .

وُقُونَا وَبُستَانًا، وجعل للواردين إليه أشياء تُصَرَفُ إليهم فى نفقة وإصلاح أمتعتهم، رحمه الله تعالى. وبنى على قبر أبى عُبيدة بالقرب من عَمْتَا^(١) مشهدًا، ووقف عليه أشياء للواردين إليه، وعمر جسرَ دامية، وجدّد قبرَ جعفر الطيّار بناحية الكرك، ووقف على الزائرين له شيئًا كثيرًا، وجدّد قلعة صَفَد^(٢) وجامعها، وجدّد جامع الرملة، وغيرها فى كثير من البلاد التى كانت الفِرْنَجُ قد أخذتها، وخرّبت جوامعها ومساجدها، وبنى بحلب دارًا هائلةً، وبدمشق القصر الأبلق والمدرسة الظاهرية وغيرها،^(٣) وضرب الدراهم والدنانير الجيدة الخالصة على النُصْح والمعاملة الجيدة الجارية بين الناس، فرحمه الله^(٤).

وله من الآثار الحسنة والأماكن ما لم يُبَيَّنْ فى زمن الخلفاء وملوك بنى أيوب، مع اشتغاله بالجهاد فى سبيل الله، واستخدم من الجيوش شيئًا كثيرًا، وردّ إليه نحو من ثلاثة آلاف من المغول فأقطعهم وأمر كثيرًا منهم، وكان مُقتصدًا فى ملبسه ومطعمه، وكذلك جيشه، وهو الذى أنشأ الدولة العباسية بعد دُورها وبقي الناس بلا خليفة نحوًا من ثلاث سنين، وهو الذى أقام من كل مذهب قاضيًا مُستقلًا قاضى قضاة.

وكان، رحمه الله، مُتَيَقِّظًا شهمًا شجاعًا، لا يفتُر عن الأعداء ليلاً ولا نهارًا، بل هو مُناجِرٌ لأعداء الإسلام وأهله، ولم شعثه واجتماع شمله.

وبالجملة أقامه الله تعالى فى هذا الوقت المتأخّر عَوْنًا ونَصْرًا للإسلام وأهله، وشجًا فى مخلوق المارقين من الفِرْنَج والتتار والمشرّكين. وأبطل الخُمور، ونفى

(١) فى م: «عمتا»، وفى ذيل مرآة الزمان ٢٥٩/٣: «بعثما». وانظر معجم البلدان ٧٢٢/٣.

(٢) فى الأصل، م: «صفت». والمثبت من نهاية الأرب ١٣٧/٣٠.

(٣ - ٣) زيادة من: م.

الفُسَّاقِ مِنَ الْبِلَادِ ، وَكَانَ لَا يَرَى شَيْئًا مِنَ الْفَسَادِ وَالْمَفَاسِدِ إِلَّا سَعَى فِي إِزَالَتِهِ
بُجْهِدِهِ وَطَاقَتِهِ . وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي سِيرَتِهِ مَا أَرْشَدَ إِلَى حُسْنِ طَوْبَتِهِ وَسَرِيرَتِهِ ، وَقَدْ
جَمَعَ لَهُ كَاتِبُهُ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ سِيرَةً مُطَوَّلَةً ، وَكَذَلِكَ ابْنُ شَدَّادٍ أَيْضًا .

وَقَدْ تَرَكَ مِنَ الْأَوْلَادِ عَشْرَةً ؛ ثَلَاثَةَ ذُكُورٍ وَسَبْعَ إِنَاثٍ ، وَمَاتَ وَعُمُرُهُ مَا بَيْنَ
الْخَمْسِينَ إِلَى السِّتِينَ ، وَلَهُ أَوْقَافٌ وَصِلَاتٌ وَصَدَقَاتٌ ، تَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ الْحَسَنَاتِ ،
وَتَجَاوِزُ لَهُ عَنِ السَّيِّئَاتِ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ .

وَقَامَ فِي الْمَلِكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ السَّعِيدُ بِمُبَايَعَةِ أَبِيهِ لَهُ فِي حَالِ حَيَاتِهِ ، وَكَانَ عُمُرُ
السَّعِيدِ يَوْمَئِذٍ دُونَ الْعَشْرِينَ سَنَةً ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَشْكَالِ وَأَتَمِّ الرِّجَالِ .

وَفِي صَفَرٍ وَصَلَتْ الْهَدَايَا مِنَ الْفُنْشِ^(١) مَعَ رَسِلِهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، فَوَجَدُوا
السُّلْطَانَ قَدْ مَاتَ ، وَقَدْ أُقِيمَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ وَلَدُهُ مَكَانَهُ ، وَالِدَوْلَةُ لَمْ تَتَغَيَّرْ ، وَالْمَعْرِفَةُ
بَعْدَهُ مَا تَنَكَّرَتْ ، وَلَكِنْ الْبِلَادُ قَدْ فَقَدَتْ أَسَدَهَا بَلَّ أَسَدَهَا وَأَسَدَهَا ، بَلَّ الَّذِي بَلَغَ
أَسَدَهَا ، وَإِذَا انْفَتَحَتْ ثَغْرَةٌ مِنْ سُورِ الْإِسْلَامِ سَدَّهَا ، وَكَلِمَا انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ مِنْ عُزَى
الْعَزَائِمِ سَدَّهَا ، وَكَلِمَا رَامَتْ فِرْقَةٌ مَارِقَةً مِنْ طَوَائِفِ الطَّغَامِ أَنْ تَلِجَ إِلَى حَوْمَةِ الْإِسْلَامِ
صَدَّهَا وَرَدَّهَا ، فَسَامَحَهُ اللَّهُ ، وَبَلَّ بِالرَّحْمَةِ ثَرَاهُ ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مُتَقَلَّبَةً وَمَثْوَاهُ .

وَكَانَتْ الْعَسَاكِرُ الشَّامِيَّةُ قَدْ سَارَتْ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَمَعَهُمْ مِخْفَةٌ
يُظْهِرُونَ أَنَّ السُّلْطَانَ فِيهَا مَرِيضٌ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَجَدَّدُوا الْبَيْعَةَ
لِلسَّعِيدِ بَعْدَ مَا أَظْهَرُوا مَوْتَ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الَّذِي هُوَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ شَهِيدٌ .

(١) ذَكَرَ الْقَلْقَشَنْدِيُّ أَنَّهَا تَطْلُقُ عَلَى مُلُوكِ الْجَلَالَةِ مِنَ الْفَرَنْجِ الَّذِينَ قَاعَدُوا مَلِكَهُمْ طَلِيلَةَ وَبَرْشَلُونَةَ مِنَ
الْأَنْدَلُسِ ، يُقَالُ لِكُلِّ مَلِكٍ مِنْهُمْ : «أَذْفُونَش» . وَأَنَّ هَذَا اللَّقْبَ جَارٍ عَلَى مُلُوكِهِمْ إِلَى زَمَانِنَا ، وَأَنَّهُ هُوَ
الَّذِي تَسْمِيهِ الْعَامَةُ «الْفُنْش» . صَبِيحُ الْأَعَشَى ٤٨٤/٥ .

وفى يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر خُطب فى جميع الجوامع بالديار المصرية للملك السعيد ، وصلى على والده الملك الظاهر ، واستهلَّت عَيْنَاه [٨٤ ظ] بالدموع .

وفى منتصف ربيع الأول ركب الملك السعيد بالعصائب على "عادة والده" ، وبين يديه الجيش بكماله المصرى والشامى ، حتى وصل إلى الجبل الأحمر ، وفرح الناس به فرحاً شديداً ، وعمره يومئذ تسع عشرة سنة ، وعليه أبهة الملك ورياسة السلطنة .

وفى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى فُتحت مدرسة الأمير شمس الدين آقشقر الفارقانى بالقاهرة ، بحارة الوزارة على مذهب أبى حنيفة ، وعمل فيها مشيخة حديث وقارئ . وبعده يوم عُقد عقد ابن الخليفة المُستَمْسِك بالله بن الحاكم بأمر الله على ابنة الخليفة المُستَنصِر^(٢) بن الظاهر ، وحضر والده والسلطان ووجوه الناس .

وفى يوم السبت تاسع جمادى الأولى شُرع فى بناء الدار التى تُعرَف بدار العقيقى ، نَجاة العادلية ، لثُجَل مدرسة وتربة للملك الظاهر ، ولم تُكُنْ قبل ذلك إلا داراً للعقيقى ، وهى المجاورة لحمام العقيقى ، وأُسِّس أساس التربة فى خامس جمادى الآخرة ، وأُسِّست المدرسة أيضاً .

وفى رمضان طلعت سحابة عظيمة بمدينة صفد^(٣) لمع منها برق شديد ،

(١ - ١) فى الأصل ، م : « عاده » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٢٣٤ / ٣ ، وعقد الجمان ١٨٥ / ٢ ، ١٨٦ .

(٢) فى ذيل مرآة الزمان ٢٣٥ / ٣ : « المنتصر » .

(٣) فى الأصل ، م : « صفت » . والمثبت من المصادر .

وسَطَعَ منها لسان نارٍ، وسمِعَ منها صوتٌ شديدٌ هائلٌ، ووقعَ منها على منارةٍ صَفَدٌ^(١) صاعقةٌ شَقَّتْها مِن أعلاها إلى أسفلها شَقًّا يَدْخُلُ الكَفُّ فيه .

وَمَنْ تُوفِّيَ فيها مِنَ الأَعْيَانِ :

البزواناه^(٢) في العَشْرِ الأولِ مِنَ المحرمِ .

والملك الظاهر^(٣) في العَشْرِ الأخيرِ منه .

وقد تقدَّم شيءٌ من ترجمتهما .

الأميرُ الكبيرُ بدرُ الدين بِيَلِك بنُ عبدِ اللّهِ الحَزَنَدَارُ^(٤)، نائبُ الديارِ المصريةِ للملكِ الظاهرِ، كان جَوَادًا مُمدِّحًا، له إلمامٌ ومعرفةٌ بأيامِ الناسِ والتواريخِ، وقد وقَّفَ درسًا بالجامعِ الأزهرِ على الشافعيةِ، ويقالُ : إنه سُمِّ فمات . فلما مات انتَقَضَ بعده حبلُ الملكِ السعيدِ، واضْطَرَبَتِ أمورهُ .

قاضي القضاةِ شمسُ الدينِ الحَبَلِيُّ محمدُ بنُ الشيخِ العمادِ أبي إسحاقِ إبراهيمَ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ عليٍّ بنِ سُروِرِ المقدسيِّ^(٥)، أولُ مَنْ وُلِّيَ قِضاةَ قضاةِ الحنابلةِ بالديارِ المصريةِ، سَمِعَ الحديثَ مُحضورًا^(٦) على ابنِ طَبَرَزَدَ وغيرِهِ، ورحل

(١) في الأصل، م : « صفت » .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢٦٨/٣، والعبر ٣١٠/٥، والوافي بالوفيات ٤٥٧/١٥، والسلوك ٦٤٧/١ (القسم الثاني)، والمنهل الصافي ٤٣/٦، وعقد الجمان ١٦٤/٢ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٢٣٩/٣، ونهاية الأرب ٣٦٥/٣٠، وكنز الدرر ٢٠٨/٨، والعبر ٣٠٨/٥، والوافي بالوفيات ٣٢٩/١٠، والسلوك ٤٣٦/١ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ١٧٥/٢، والمنهل الصافي ٤٤٧/٣ .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٢٦٢/٣، ونهاية الأرب ٣٧١/٣٠، والعبر ٣٠٩/٥، والوافي بالوفيات ١٠/٣٦٥، والسلوك ٦٤٣/١، (القسم الثاني)، وعقد الجمان ١٩٧/٢، والنجوم الزاهرة ٢٧٦/٧ .

(٥) ذيل مرآة الزمان ٢٧٩/٣، ونهاية الأرب ٣٧٦/٣٠، والعبر ٣١١/٥، والوافي بالوفيات ٩/٢، وعقد الجمان ١٩٣/٢، والسلوك ٦٤٨/١ (القسم الثاني)، والدليل الشافي ٥٧٩/٢ .

(٦) في م : « خصوصاً » .

إلى بغداد، واشتغل بالفقه، وتفنن^(١) في علوم كثيرة، وولى مشيخة سعيد السعداء، وكان شيخاً مهيباً، حسن الشئبة، كثير التواضع والبر والصدقة، وقد اشترط في قبول الولاية أن لا يكون له عليها جامة كيئة ليقوم في الناس بالحق في حكمه، وقد عزله الظاهر عن القضاء سنة سبعين، واعتقله بسبب الودائع التي كانت عنده، ثم أطلقه بعد سنتين، فلزم منزله، واشتقر بتدريس الصالحية إلى أن توفى في أواخر الحرم، وذفن عند عمه الحافظ عبد الغنى بسفح جبل المقطم، وقد أجاز لليزالي.

قال الحافظ اليزالي: وفي يوم السبت ثاني عشر ربيع الأول ورد الخبر بموت ستة أمراء من الديار المصرية؛ سُنقر البغدادي، وبسطا^(٢) البلدي التتري، وبدر الدين الوزيري، وسُنقر الرومي، وأفسنقر الفارقاني^(٣)، رجمهم الله.

الشيخ خضر الكزدئي شيخ الملك الظاهر: خضر بن أبي بكر بن موسى الكزدئي المهراني^(٤) العدوي، ويقال: إن أصله من قرية المحمدية من جزيرة [١٠/ ٨٥] ابن عمر. كان يُنسب إليه أحوال ومكاشفات، ولكنه لما خالط الناس افتتن ببعض بنات الأمراء، وكان يقول عن الملك الظاهر وهو أمير: إنه سيلى الملك. فلهذا كان الملك الظاهر يعتقده ويبالغ في إكرامه بعد أن ولى المملكة، ويُعظمه

(١) في الأصل: «تعين».

(٢) في الأصل: «بطا».

(٣) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٩٨، ضمن وفيات سنة سبع وسبعين وستمائة)، والعبر ٥/ ٣١٤، والوفى بالوفيات ٩/ ٣١، والسلوك ١/ ٦٤٤ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ٢/ ١٩٧، والمنهل الصافى ٢/ ٤٩٤.

(٤) في الأصل، م: «النهرواني». والمثبت من مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٦٤، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٧٦، وكنز الدرر ٨/ ٢٢٠، والعبر ٥/ ٣٠٩، والوفى بالوفيات ١٣/ ٣٣٣، والمنهل الصافى ٥/ ٢١٨، والمقنى الكبير ٣/ ٧٥٠.

تعظيمًا زائدًا، وَيُنْزَلُ إِلَى عِنْدِهِ إِلَى زَاوِيَّتِهِ فِي الْأُسْبُوعِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَيَسْتَضْحِيهِ
 مَعَهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَسْفَارِهِ، وَيُكْرِمُهُ وَيَحْتَرِمُهُ وَيَسْتَشِيرُهُ، فَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِرَأْيِهِ
 وَمُكَاشَفَاتٍ صَحِيحَةٍ مُطَابِقَةٍ؛ إِمَّا رَحْمَانِيَّةً أَوْ شَيْطَانِيَّةً، أَوْ حَالٍ أَوْ اسْتِفَادَةٍ^(١)،
 لَكِنَّهُ أَفْتَتَنَ لَمَّا خَالَطَ النَّاسَ بَعْضَ بَنَاتِ الْأُمَرَاءِ، وَكَانَ لَا يَحْتَاجُنَ مِنْهُ، فَوَقَعَ فِي
 الْفِتْنَةِ. وَهَذَا فِي الْغَالِبِ وَقَعَ فِي مُخَالَطَةِ النَّاسِ، فَلَا يَسْلُمُ الْمُخَالِطُ لَهُمْ مِنْ
 الْفِتْنَةِ، وَلَا سِيَّما مُخَالَطَةُ النِّسَاءِ مَعَ تَرْكِ الْإِحْتِجَابِ^(٢)، فَلَا يَسْلُمُ الْعَبْدُ الْبَيْتَةَ
 مِنْهُمْ. فَلَمَّا وَقَعَ فِيهَا وَقَعَ فِيهِ حُوقُوقٌ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَيَسْرَى وَقَلَاوُونَ وَالْفَارِسِ
 أَقْطَاىِ الْأَتَاكِ، فَأَعْتَرَفَ، فَهَمَّ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّامٌ قَلِيلٌ. فَأَمَرَ
 بِسَجْنِهِ، فَسُجِنَ سَنَيْنَ عَدِيدَةً مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ إِلَى سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ،
 وَقَدْ هَدَمَ بِالْقُدْسِ كَنِيسَةً، وَذَبَحَ قَسِيْسَهَا، وَعَمِلَهَا زَاوِيَّةً، وَقَدْ قَدَّمْنَا تَرْجَمَتَهُ قَبْلَ
 ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ^(٣)، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ مَسْجُونًا حَتَّى مَاتَ فِي يَوْمِ الْخَمِيْسِ سَادِسِ الْحَرَمِ
 مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَأُخْرِجَ مِنَ الْقَلْعَةِ، وَسُلِّمَ إِلَى قَرَاتِيَّتِهِ، فَدُفِنَ فِي تَرْبَةِ أَنْشَأُهَا فِي
 زَاوِيَّتِهِ. مَاتَ وَهُوَ فِي عَشْرِ السَّنِينَ، وَقَدْ كَانَ يُكَاشِفُ السُّلْطَانَ فِي أَشْيَاءَ، وَإِلَيْهِ
 تُنْسَبُ قُبَّةُ الشَّيْخِ خَضِرِ التِّي عَلَى الْجَبَلِ غَرْبِي الرَّبْوَةِ، وَلَهُ زَاوِيَّةٌ بِالْقُدْسِ
 الشَّرِيفِ.

الشَّيْخُ مُحَمَّدِيُّ الدِّينِ التَّوَوِيُّ، يَحْيَى بْنُ شَرْفٍ^(٤) بْنِ مَرَى^(٥) بْنِ حَسَنِ بْنِ

(١) فِي م: «سَعَادَةٌ».

(٢) فِي م: «الْأَصْحَاب».

(٣) انْظُرْ مَا تَقْدِمُ صَفْحَةُ ٥٠٨.

(٤ - ٥) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلِ، م: وَالتَّحْتِ مِنْ مَصَادِرِ تَرْجَمَتِهِ: ذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٢٨٣/٣، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ
 ٣٨٣/٣٠، وَالْعَبْرَ ٣١٢/٥، وَتَذَكُّرَةُ الْحِفَاظِ ١٤٧٠/٤، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسَّبْكِى =

حسين بن جُمعة بن حزام الحزامي^(١) العالم، مخبى الدين أبو زكريا النَوَوِي ثم
الدمشقي الشافعي العلّامة، شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه، وُلِدَ بنَوِي
سنة إحدى وثلاثين وستمائة، ونَوِي قرية من قُرى حوران، وقد قَدِمَ دمشق سنة
تسع وأربعين، وقد حفظ القرآن، فشرع في قراءة «التَّيْبِيَّة»، فيقال: إنه قرأه في
أربعة أشهر ونصف، وقرأ رُبْعَ العباداتِ من «المَهْدَبِ»^(٢) في بقية السنة، ثم لزم
المشايخ تَصْحيحًا وشرحًا، فكان يقرأ في كلِّ يومِ اثْنَيْ عَشَرَ درسًا على المشايخ،
ثم اعتنى بالتَّصنيفِ، فجمع شيئًا كثيرًا، منها ما أكمله، ومنها ما لم يُكْمَلْهُ،
فمما كَمَلَ «شرح مسلم» و«الرَّوضَةُ» و«الْمِنْهَاجُ» و«الرِّيَاضُ» و«الأذكارُ»
و«التَّيْبَانُ»، و«تَحْرِيرُ التَّيْبِيَّةِ وَتَصْحيحُهَا»، و«تَهْذِيبُ الأَسْمَاءِ واللُّغَاتِ»،
و«طَبَقَاتُ الفُقَهَاءِ» وغير ذلك. وما لم يُتَمِّمْهُ - ولو كَمَلَ لم يَكُنْ له نَظِيرٌ في
بابه - «شرح المَهْدَبِ» الذي سماه «المَجْمُوعُ»، وصل فيه إلى كتابِ الرُّبَا،
فأَبْدَعَ فيه وأجاد وأفاد، وأَحْسَنَ الانْتِقَادَ، وحرَّرَ الفقهَ فيه في المذهبِ وغيره،
وحرَّرَ فيه الحديثَ على ما يَنْبَغِي، والغريبَ واللغةَ وأشياءَ مهمةً لا تُوجَدُ إلا فيه،
وقد جعله نُخْبَةً^(٣) على ما عَنَّ له^(٣)، ولا أَعْرِفُ في كتبِ الفقهِ أَحْسَنَ منه، على
أنه مُحتَاجٌ إلى أشياء كثيرة تُزَادُ فيه وتُضَافُ إليه.

وقد كان من الزَّهَادَةِ والعِبَادَةِ وَالْوَرَعِ والتَّحَرِّيِ والانْجِمَاعِ عن النَّاسِ على
جانبٍ كبير، لا يَقْدِرُ عليه أَحَدٌ مِنَ الفُقَهَاءِ غَيْرُهُ، وكان يَصُومُ [٨٥/١٠] ط [الدهر

= ٣٩٥/٨، والسلوك ٦٤٨/١ (القسم الثاني)، وعقد الجمان ١٩٤/٢.

(١) في م: «الحازمي». وانظر مصادر ترجمته السابقة.

(٢) في م: «المذهب». وهو خطأ.

(٣ - ٣) في الأصل: «ما عضله».

ولا يَجْمَعُ بين إدامتين ، وكان غالبُ قُوته مِمَّا يَحْمِلُهُ إِلَيْهِ أَبُوهُ مِنْ نَوَى ، وقد باشَر تَدْرِيسَ الإِقْبَالِيَةِ نِيَابَةً عَنْ ابْنِ خَلْكَانَ ، وكذلك ناب في الفَلَكِيَةِ وَالرُّكْنِيَةِ ، وولى مَشِيخَةَ دارِالحديثِ الأَشْرَفِيَةِ ، وكان لا يُضَيِّعُ شَيْئًا مِنْ أَوْقَاتِهِ ، وَحَجَّ فِي مَدَّةِ إِقَامَتِهِ بِدَمَشَقَ ، وكان يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ لِلْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ . تُوفِّيَ فِي لَيْلَةِ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بَنَوَى ، وَدُفِنَ هُنَاكَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَعَفَا عَنْهُ وَعَنَهُ .

عَلِيُّ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَسْفَنْدِيَارِ نَجْمِ الدِّينِ ^(١) ، الواعظُ بِجَامِعِ دَمَشَقَ أَيَّامَ السُّبُوتِ فِي الْأَشْهُرِ الثَّلَاثَةِ ، وكان شَيْخَ الْخَانِقَاهِ الْمُجَاهِدِيَةِ ، وَبِهَا تُوفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وكان فَاضِلًا بَارِعًا ، وكان جَدُّهُ يَكْتُبُ الْإِنْشَاءَ لِلْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ ، وَأَصْلُهُمْ مِنْ بُوْشَنْجِ ^(٢) . وَمِنْ شَعْرِ نَجْمِ الدِّينِ هَذَا قَوْلُهُ :

إِذَا زَارَ بِالْجُثْمَانِ غَيْرِي فَإِنَّنِي أَزُورُ مَعَ السَّاعَاتِ رَبِّعَكَ بِالْقَلْبِ
وَمَا كُلُّ نَائٍ عَنْ دِيَارِ بِنَازِحٍ وَلَا كُلُّ دَائٍ فِي الْحَقِيقَةِ ذُو قُرْبِ

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٧٦/٣ ، والعبر ٣١١/٥ ، والدارس ١٦٩/٢ ، والسلوك ٦٤٨/١ (القسم الثاني) ، وعقد الجمان ١٩٥/٢ .

(٢) بوشنج : بليدة نزهة خصيبة في واد مشجر من نواحي هراة بينهما عشرة فراسخ . معجم البلدان ٧٥٨/١ .

ثم دَخَلَتْ سنة سَبْعٍ وسَبْعِينَ وستمائة^(١)

كان أولُها يومَ الأربعاء، وكان الخليفةُ الحاكمُ بأمرِ اللَّهِ العباسيُّ، وسلطانُ البلادِ شامًا ومصرًا وحلبًا الملكُ السعيدُ.

وفى أوائلِ المحرمِ اشْتَهَرَ بدمشقَ ولايةُ القاضي ابنِ خَلْكَانَ قَضَاءَ دمشقَ عَوْدًا على بَدْءٍ في أواخرِ ذِي الحِجَّةِ، بعدَ عَزَلِ سَبْعِ سنينَ، فامْتَنَعَ القاضي عِزُّ الدينِ ابنُ الصائغِ مِنَ الحكمِ في سادسِ المحرمِ، وخرَجَ الناسُ لَتَلَقَّى ابنِ خَلْكَانَ، فمنهم مَنْ وَصَلَ إلى الرُّمْلَةِ، وكان دخوله في يومِ الخميسِ الثالثِ والعشرينِ مِنَ المحرمِ، فخرَجَ نائبُ السُّلْطَنَةِ عِزُّ الدينِ أَيَّدُمُرُ بِجميعِ الأمراءِ والمَوَاكِبِ لَتَلْقِيهِ، وفرِحَ الناسُ بذلكَ، ومدَّحه الشُّعراءُ، وأنشدَ الفقيهُ شمسُ الدينِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَوَانَ^(٢):

لما تَوَلَّى قَضَاءَ الشامِ حاكمُهُ قاضي القضاةِ أبو العباسِ ذو الكرمِ
من بعدِ سَبْعِ شِدادٍ قال خادِمُهُ ذا العامُ فيه يُغاثُ الناسُ بالنَّعَمِ
وقال سعدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوانَ الفارِقِيُّ:

أدَقَّتْ الشامُ سَبْعَ سنينَ جَدْبًا غَدَاةَ هَجَرَتِهِ هَجَرًا جَمِيلًا

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٩٢/٣ - ٢٩٧، ونهاية الأرب ٣٨٥/٣٠ - ٣٩١، وكنز الدرر ٢٢٤/٨ - ٢٢٦، وعقد الجمان ١٩٨/٢ - ٢٠٤.

(٢) في الأصل، م: «جعفر». وفي عقد الجمان: «جعفران». والمثبت من ذيل مرآة الزمان. والبيتان والأبيات التالية في الوافي بالوفيات ٣١٠/٧ في ترجمة ابن خلكان.

فلما زُرْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرٍ مَدَدَتْ عَلَيْهِ مِنْ كَفِيكَ نِيلاً
وقال آخرُ :

رَأَيْتُ أَهْلَ الشَّامِ طُرّاً ما فِيهِمْ قَطُّ غَيْرُ رَاضِي
نَالَهُمُ الْخَيْرُ بَعْدَ شَرٍّ فالوقتُ بَسْطُ بلا انْقِبَاضِ
وَعُوْضُوا فَرْحَةً بِحُزْنٍ قد أَنْصَفَ الدهرُ فِي التَّقَاضِي
وَسَرَّهَمُ بَعْدَ طُولِ غَمٍّ بُدِئَ قَاضٍ وَعُزِّلَ قَاضِي
وَكُلُّهُمْ شَاكِرٌ وَشَاكٍ بحالِ مُسْتَقْبَلٍ وَمَاضِي

قال اليونيني^(١) : وفي يوم الأربعاء ثالث عشر صفرٍ ذكر الدرس بالظاهرية ، وحضر نائب السلطنة أيَّدُمَر الظاهري ، وكان درساً حافلاً حضره القضاة ، وكان مُدَرِّسَ الشافعية الشيخ رشيد الدين محمود بن إسماعيل الفارقي ، ومدرس الحنفية الشيخ صدر الدين سليمان الحنفی ، ولم يكن بناء المدرسة كمل .

وفي جمادى الأولى^(٢) باشر قضاء الحنفية صدر الدين سليمان المذكور عوضاً عن مجدي الدين بن العديم ، بحكم وفاته ، [٨٦/١٠ و] ثم تُوفِّي صدر الدين سليمان المذكور في رمضان ، وتولَّى بعده القضاء حسام الدين أبو الفضائل الحسن بن أنوشروان الرازي الحنفی ، الذي كان قاضياً بملطية قبل ذلك . وفي العشر الأول من ذي القعدة فُتِحَت المدرسة النجيبية ، وحضر تدريسها ابن خلكان بنفسه ، ثم نزل عنها لولده كمال الدين موسى ، وفُتِحَت الخانقاه النجيبية ، وقد كانتا

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٩٤/٣ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢٦٥/٣ ، وعقد الجمال ٢٠٠/٢ .

وأوقافهما تحت الحوطة إلى الآن .

وفى يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة^(١) دخل السلطان السعيد إلى دمشق ، وقد زينت له ، وعملت له قباب ظاهرة ، وخرج أهل البلد لتلقيه ، وفرحوا به فرحا عظيما لمحبتهم والده ، وصلى عيد النحر بالميدان ، وعمل العيد بالقلعة المنصورة ، واستوزر بدمشق صاحب فتح الدين عبد الله بن القيسراني ، وبالديار المصرية بعد موت بهاء الدين بن الحنا صاحب بوهان الدين بن الخضر بن الحسن السنجاري ، وفى العشر الآخر من ذى الحجة جهز السلطان العساكر إلى بلاد سيس ضجة الأمير سيف الدين قلاوون الصالحى ، وأقام السلطان بدمشق فى طائفة يسيرة من الأمراء والخاصكية والخواص ، وجعل يكثر التردد إلى الزنقية .

وفى يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ذى الحجة جلس السلطان بدار العدل داخل باب النصر ، وأسقط ما كان حدده والده على بساتين أهل دمشق ، فتضاعفت له منهم الأذعية ، وأحبوه لذلك حبًا شديدًا ، فإنه كان قد أجحف بكثير من أصحاب الأملاك ، وود كثير منهم لو تخلص من ملكه جملة بسبب ما عليه .

وفى^(٢) طلب من أهل دمشق خمسون ألف دينار ، ضربت أجرة على أملاكهم مدة شهرين ، وجبت منهم على القهر والعنف .

ومن توفي فيها من الأعيان :

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٩٦/٣ .

(٢) عقد الجمان ٢٠٤/٢ .

آقوش بن عبد الله الأمير الكبير جمال الدين النجيبى أبو سعيد الصالحى^(١)، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وجعله من أكابر الأمراء، وولاه أستاذداريته، وكان يتق إلىه ويعتمد عليه، وكان مولده فى سنة تسع أو عشر وستمائة، وولاه الملك الظاهر أيضًا أستاذداريته، ثم استنابه بالشام تسع سنين، فاتخذ فيها المدرسة النجيبية، ووقف عليها أوقافًا دائرة واسعة، لكن لم يُقرّر للمستحقين قدرًا يناسب ما وقفه عليهم، ثم عزله السلطان واشتدّ عاه لمصر، فأقام بها مدة بطّالًا، ثم مرض بالفالج أربع سنين، وقد عادته فى بعضها الملك الظاهر، ولم يزل به حتى كانت وفاته ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بالقاهرة بداره بدرب ملوحيّا، ودُفن يوم الجمعة قبل الصلاة بترتبه التى أنشأها بالقرافة الصغرى، وقد كان بنى لنفسه تربة بالنجيبية، وفتح لها شباكين إلى الطريق، فلم يُقدّر دفنه بها. وكان كثير الصدقة، مُحِبًّا للعلماء، مُحسِنًا إليهم، حسن الاعتقاد، شافعى المذهب، مُتغاليًا فى السنة ومحبّة الصحابة وبُغضِ الزوافض، ومن جملة أوقافه الحسان البستان والأراضى التى أوقفها على الجسورة التى قبلى جامع كريم الدين اليوم، وعلى ذلك أوقاف كثيرة، وجعل النظر فى أوقافه لابن خلكان.

أيدكين بن عبد الله الأمير الكبير علاء الدين الشهابى^(٢)، واقف الخائقه [٨٦/١٠ ظ] الشهابية داخل باب الفرّج، كان من كبار الأمراء بدمشق، وقد ولّاه الظاهر بحلب مدة، وكان من خيار الأمراء وشُجعانهم، وله حسن ظنّ بالفقراء

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/٣٠٠، والعبر ٥/٣١٤، والوفاء بالوفيات ٩/٣٢٣، ونهاية الأرب ٣٠/٣٨٧، وعقد الجمان ٢/٢١١.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/٣٠١، والوفاء بالوفيات ٩/٤٩١، وعقد الجمان ٢/٢١٢، والمنهل الصافى ٣/١٥٢.

والإحسان إليهم ، ودُفِنَ بترية الشيخ عثمان^(١) الرُّومِي بسفح قاسيون ، فى خامسَ عشرَ ربيع الأول ، وهو فى عشرِ الخمسين ، وخائفاته داخلُ بابِ الفرج ، وكان لها شُبَّاكٌ إلى الطريق . والشَّهائِي نسبةٌ إلى الطَّوَّاشِي شهابِ الدين رَشِيدِ الكبير الصالحِي .

قاضى القضاة صَدْرُ الدين سليمانُ بنُ أبى العزِّ وهَيْبُ أبو الربيع الحنفِي^(٢) ، شيخُ الحنفية فى زمانه ، وعالمهم شرقًا وغربًا ، أقام بدمشق مدةً يُفتَى ويُدرِّسُ ، ثم انتقل إلى الديارِ المصرية يُدرِّسُ بالصالحية ، ثم عاد إلى دمشق ، فدرِّسُ بالظاهرية ، وولى القضاء بعدَ مَجْدِ الدينِ بنِ العَدِيمِ ثلاثةَ أشهرٍ ، ثم كانت وفاته ليلةَ الجمعةِ سادسِ شعبانَ ، ودُفِنَ من الغدِ بعدَ الصلاةِ بدارِهِ بسفح قاسيونَ ، وله ثلاثُ وثمانون سنةً ، ومن لطيفِ شعرِهِ فى مملوكٍ تزوَّجَ جاريةً للملكِ المُعْظَمِ :

يا صاحبيِّ قفا لى وانظرا عجبًا أتى به الدهرُ فينا من عجائبه
البدْرُ أصبحَ فوقَ الشمسِ منزلةً وما العُلُوُّ عليها من مراتبه
أضحى يُمائِلُها حُسْنًا و^(٣) صار لها^(٤) كُفُوا وسار إليها فى مَوَاقِبِهِ
فأشكَلُ الفرقَ لولا وَشَى نَمْنَمَةً بضدِّغِهِ واخضرارًا فوقَ شارِبِهِ

طه بنُ إبراهيم بنِ أبى بكرٍ كمالُ الدينِ الهذبانِي^(٥) الإزبِلِي ، كان أديبا

(١) فى الأصل ، م : « عمار » . والمثبت من مصادر ترجمته .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/٣٠٢ ، والعبر ٥/٣١٥ ، والوافى بالوفيات ١٥/٤٠٤ ، والجواهر المضية ٢/٢٣٧ ، وعقد الجمان ٢/٢٠٥ .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « شاركها » . والمثبت من ذيل مرآة الزمان ، وعقد الجمان .

(٤) فى الأصل ، م ، وعقد الجمان : « الهمدانى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٣/٣٠٣ ، =

فاضلاً شاعراً ، له قُدرةٌ في تَصْنِيفِ دُويِّتٍ ، وقد أقام بالقاهرة حتى تُوفِّي بها في
جُمادى الأولى من هذه السنة ، وقد اجتمع مرةً بالملك الصالح أيوب ، فجعل
يَتَكَلَّمُ في علمِ النجوم ، فأنشدَه على البديهة هذين البيتين :

دَعِ النجومَ لَطُرُقِي يَعِيشُ بها وبالعزيمة فانهُضْ أيُّها الملكُ
إن النبيِّ وأصحابَ النبيِّ نَهَوْا عن النجومِ وقد أبصرتَ ما ملَكُوا
وكتبَ إلى صاحبٍ له اسمُه شمسُ الدينِ يستزيره ^(١) بعدَ رَمَدٍ أصابه فبرأ
منه :

يقولُ لى الكَحَالِ عَيْنُكَ قد هُدَّتْ فلا تَشْعَلَنَّ قَلْبًا عليها وطِبْ نَفْسًا
ولى مدَّةٌ يا شمسُ لم أَرُكُم بها وآيَةُ بُرْءِ العينِ أن تُبْصِرَ الشَّمْسُ
عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمدٍ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ بنِ
عثمان ^(٢) جمالُ الدينِ بنِ الشيخِ نجمِ الدينِ الباذرائيِّ البغدادى ثمَ الدمشقى ،
درَّسَ بمدرسة أبيه من بعده حتى حين وفاته يومَ الأربعاءِ سادسِ رجبٍ ، ودُفِنَ
بسفحِ قاسيونَ ، وكان رئيسًا حسنَ الأخلاقِ ، جاوزَ خمسينَ سنةً .

قاضي القضاة مجتهدُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ كمالٍ ^(٣) الدينِ عمرَ بنِ أحمدَ

= وطبقات الشافعية للإسنوى ١٥٣/١ ، والسلوك ٦٥١/١ (القسم الثاني) ، وشذرات الذهب ٣٥٧/٥ .

وجاء لقبه في مرآة الزمان والسلوك وعقد الجمان : « جمال الدين » .

(١) يستزيره : يطلب زيارته .

(٢) في م : « عفان » . وانظر ترجمته في : ذيل مرآة الزمان ٣/٣٠٦ ، والوافي بالوفيات ١٨/١٦٨ ،
وعقد الجمان ٢/٢٠٦ .

(٣) في الأصل ، م : « جمال » . والمثبت من ترجمة كمال الدين عمر التي تقدمت في صفحة ٤٤٢ .
وانظر ترجمة مجد الدين في : ذيل مرآة الزمان ٣/٣٠٦ ، ونهاية الأرب ٣٠/٣٩٠ ، والعبر ٥/٣١٥ ،
والوافي بالوفيات ١٨/٢٠١ ، والجواهر المضية ٢/٣٨٦ ، وعقد الجمان ٢/٢٠٦ ، والمقفى الكبير ٤/٨٩ .

ابن العديم الحلبي ثم الدمشقي الحنفي، ولي قضاء الحنفية بعد ابن عطاء بدمشق، وكان رئيساً ابن رئيس، له إحسان وكرم أخلاقي، وقد ولي الخطابة بجامع القاهرة الكبير، وهو أول حنفي وليه، تُوفّي بجوسقه بدمشق في ربيع الآخر من هذه السنة، ودُفن بالتربة التي أنشأها عند زاوية الحريري على الشرف القبلي غربي الزيتون.

الوزير ابن الحنا: علي بن محمد بن سليم^(١) بن عبد الله صاحب [٨٠/٨٧] بهاء الدين أبو الحسن بن الحنا الوزير المصري، وزير الملك الظاهر وولده السعيد إلى أن تُوفّي في سلخ ذى القعدة، وهو جد جد، وكان ذا رأي وعزم وتذير، ذا تمكن في الدولة الظاهرية، لا تمضي الأمور إلا عن رأيه وأمره، وله مكارم على الأمراء وغيرهم، وقد امتدحه الشعراء، وكان ابنه تاج الدين وزير الصُحبة، وقد صُودِر في الدولة السعيدية.

الشيخ محمد بن الظهير اللغوي: محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر مجد الدين أبو عبد الله الإزبلي الحنفي المعروف بابن الظهير^(٢)، وُلِدَ بإربل سنة ثنتين وستمائة، ثم أقام بدمشق، ودرّس بالقيمازية، وأقام بها حتى تُوفّي بها ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر^(٣)، ودُفن بمقابر الصوفية، وكان بارعاً في النحو واللغة، وكانت له يدٌ طولى في النظم، وله ديوان مشهور، وشعرٌ

(١) في الأصل: «سليمان». وانظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٣/٣٨٤، ونهاية الأرب ٣٠/٣٨٨، والعبر ٥/٣١٥، والوفاء بالوفيات ٢٢/٣٠، وعقد الجمان ٢/٢٠٧.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/٣٨٦، والعبر ٥/٣١٦، والوفاء بالوفيات ٢/١٢٣، وعقد الجمان ٢/٢٠٨، والجواهر المضية ٣/٥٢، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة ص ٤٨، والمقفى الكبير ٥/٢٣٧، وبغية الرواة ١/٣٧.

(٣) في عقد الجمان: «الأول».

رائق، فمن شعره قوله :

كلُّ حيٍّ إلى المماتِ مآبُهُ	ومدى عُمرِهِ سريعٌ ذهابُهُ
^(١) ثم من قبرِهِ سيُخَشَرُ فردًا	واقفًا وحده يُوقَى حسابُهُ
معه سائقٌ له وشهيدٌ	وعلى الحرصِ ونِحةٌ إكبابُهُ ^(١)
يُخَرِّبُ الدارَ وهى دارُ بقاءٍ	ثم يُبْنِى عما قريبٍ خرابُهُ
عجبًا وهو فى الترابِ غريقٌ	كيف يُلهيه طيبُهُ وعِلابُهُ
كلُّ يومٍ يَريْدُ نَقْصًا وإنْ عُمِدَ	ر حلت أوصالُهُ أوصابُهُ
والورَى فى مَراحِلِ الدهرِ رَكْبٌ	دائمُ السَّيرِ لا يُرَجَى إيابُهُ
فتزوَّدُ إنْ التَّقَى خيرٌ زادٍ	ونصيبُ اللبيبِ منه لُبابُهُ
وأخو العقلِ مَنْ يَقْضَى بصدقٍ	^(٢) شَيْئُهُ فى صلاحِهِ وشبابُهُ ^(٢)
وأخو الجهلِ يَسْتَلِدُّ هَوَى النَفِ	س فيغدو ^(٣) شهدًا لديه ^(٣) مصابُهُ

وهى طويلة جدًا قريةٌ من مائة وخمسين بيتًا ، وقد أورد الشيخ قطب الدين شيئًا كثيرًا من شعره الحسنِ الفائقِ الرائقِ .

ابن إسرائيل الحريرى ، محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل ابن الحسن بن على بن محمد بن الحسين نجم الدين أبو المعالى الشيبانى الدمشقى^(٤) ، وُلِدَ فى ضحى يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول سنة ثلاث

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى الأصل : « عمره فى مشيه وشبابه » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « سهلًا عليه » .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٤٠٥/٣ ، ونهاية الأرب ٣٩١/٣٠ ، والعبر ٣١٦/٥ ، والوفى بالوفيات ١٤٣/٣ ، وفوات الوفيات ٣٨٣/٣ ، وعقد الجمان ٢٠٩/٢ ، والمقفى الكبير ٧٠٨/٥ ، ولسان الميزان ١٩٥/٥ .

وسُمَّائَةٍ، وصَحِبَ الشَّيْخَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ مَنْصُورِ الْبُشَيْرِيِّ، فِي سَنَةِ ثَمَانٍ عَشْرَةَ، وَكَانَ قَدْ لَبَسَ الْخِزْفَةَ قَبْلَهُ مِنَ الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ الشُّهُرُورِيِّ، وَزَعَمَ أَنَّهُ أَجْلَسَهُ فِي ثَلَاثِ خَلَوَاتٍ، وَكَانَ ابْنُ إِسْرَائِيلَ يَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَهُ قَدِمُوا الشَّامَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَاسْتَوْطَنُوا دِمَشْقَ، وَكَانَ أَدِيثًا فَاضِلًا فِي صِنَاعَةِ الشَّعْرِ، بَارِعًا فِي النَّظْمِ، وَلَكِنْ فِي كَلَامِهِ وَنَظْمِهِ مَا يُشِيرُ بِهِ إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ عَلَى طَرِيقَةِ ابْنِ عَرَبِي وَابْنِ الْفَارِضِ وَشَيْخِهِ الْحَرِيرِيِّ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَالِهِ وَحَقِيقَةِ أَمْرِهِ. تُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، عَنْ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِتَرْبَةِ الشَّيْخِ رِشْلَانَ مَعَهُ دَاخِلَ الْقُبَّةِ، وَكَانَ الشَّيْخُ رِشْلَانُ شَيْخَ الشَّيْخِ عَلِيِّ الْمَغْرِبَلِيِّ الَّذِي تَخَرَّجَ عَلَى يَدَيْهِ الشَّيْخُ عَلِيُّ الْحَرِيرِيُّ شَيْخُ ابْنِ إِسْرَائِيلَ، فَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ^(١):

لَقَدْ عَادَنِي مِنْ لَاعِجِ الشُّوقِ عَائِدُ	فَهَلْ عَهْدُ ذَاتِ الْخَالِ بِالسَّفْحِ عَائِدُ
وَهَلْ نَارُهَا بِالْأَجْرِعِ الْفَرْدِ تَعْتَلِي	[٨٧/١٠] لِمَنْفَرِدِ شَابِ الدُّجَى وَهُوَ شَاهِدُ
نَدِيمِي مِنْ سُعْدَى أَدِيرَا حَدِيثَهَا	فَذِكْرِي هَوَاهَا وَالْمُدَامَةُ وَاحِدُ
مُنْعَمَةٌ الْأَطْرَافِ رَقَّتْ مَحَاسِنَا	^(٢) كَمَا جَلَّ فِي حُبِّي لَهَا مَا أَكَابِدُ ^(٢)
فَلِلْبَدْرِ مَا لَاثَتْ عَلَيْهِ خَمَارُهَا	وَلِلشَّمْسِ ^(٣) مَا جَالَتْ عَلَيْهِ الْقَلَائِدُ

(١) ذيل مرآة الزمان ٤٠٦/٣.

(٢ - ٢) فِي الْأَصْلِ: «حَلَى لِي فِي حُبِّي لَهَا مَا أَكَابِدُ»، وَفِي م: «حَلَى لِي فِي حُبِّي لَهَا مَا أَكَابِدُ».

وَالْمُثَبَّتُ مِنْ ذَيْلِ مِرْآةِ الزَّمَانِ.

(٣) فِي الْمَصْدَرِ: «لِلْفَصْنِ».

وله ^(١) :

أَيُّهَا الْمَعْتَاضُ بِالنَّوْمِ السَّهْوِ ذَاهِلًا يَسْبَحُ فِي بَحْرِ الْفِكْرِ
سَلِّمِ الْأَمْرَ إِلَى مَالِكِهِ وَاضْطَبِّرْ فَالْصَبْرُ عُقْبَاهُ الظُّفْرِ
لَا تَكُونَنَّ آيِسًا مِنْ فَرْجٍ إِنَّمَا الْأَيَّامُ تَأْتِي بِالْغَيْرِ ^(٢)
كَذَرْتُ يَحْدُثُ فِي وَقْتِ الصَّفَا وَصَفًا يَحْدُثُ فِي وَقْتِ الْكَذْرِ
وَإِذَا مَا سَاءَ ^(٣) دَهْرٌ مَرَّةً سَرَّ أَهْلِيهِ وَمَهْمَا سَاءَ ^(٣) سَرَّ
فَارَضَ عَنْ رَبِّكَ فِي أَقْدَارِهِ إِنَّمَا أَنْتَ أَسِيرٌ لِلْقَدَرِ

وله قصيدة في مدح النبي ﷺ طويلة حسنة سمعها الشيخ كمال الدين الزمלקاني وأصحابه على الشيخ أحمد الأغقف عنه ، وأورد له الشيخ قطب الدين اليونيني أشعارًا كثيرة ، فمنها قصيدته الدالية المطولة التي أولها ^(٤) :

وَفِي لِي مَنْ أَهْوَاهُ جَهْرًا لَمَوْعِدِي وَأَرْغَمَ غُدَّالِي عَلَيْهِ وَحُسْدِي
وَزَارَ عَلَى شَحْطِ ^(٥) الْمَزَارِ مُطَوَّلًا عَلَى مُغْرَمٍ بِالْوَصْلِ لَمْ يَتَعَوَّدِ
فِيا حُسْنَ مَا أَبْدَى ^(٦) لِعَيْنِي جَمَالَهُ وَيَا بَرْدَ مَا أَهْدَى إِلَى قَلْبِي الصَّدِي
وَيَا صِدْقَ أَحْلَامِي يُبْشِرِي وَصَالِهِ وَيَا نِيلَ آمَالِي وَيَا نُجْحَ مَقْصِدِي

(١) الذيل على مرآة الزمان ٤١٤/٣ .

(٢) في م : « بالعبر » .

(٣) في المصدر : « شاه » .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٤١٧/٣ ، وفوات الوفيات ٣٨٤/٣ .

(٥) في الأصل ، م : « شط » . والمثبت من مصدرى التخريج . والشحط : البعد . الوسيط (ش ح ط) .

(٦) في الأصل ، م : « أهدى » . والمثبت من مصدرى التخريج .

^(١) تجلّى وُجودى إذ تجلّى لباطنى
لقد حُقَّ لى عشقُ الوجودِ وأهله
بجدٌ سعيدٍ أو بسعيدٍ مُجدِّدٍ
وقد علقتُ كَفَّأى جمعًا بمُوجدى^(١)
^(٢) ثم تغزّل فأطال ، إلى أن قال :

فلما تجلّى لى على كلِّ شاهدٍ
تجنّبتُ تَقْيِيدَ الجِمالِ ترفُّعًا
وسامرنى بالرمزِ فى كلِّ مشهدٍ
وطالعتُ أسرارَ الجِمالِ المُبدِّدِ
وحاشى لثلى من سماعِ مُقَيِّدِ
وفى كلِّ مسموعٍ له لحنٌ مُعَبِّدِ^(٣)
أراه بأوصافِ الجِمالِ جميعها
ففى كلِّ هَيْفَاءِ المعاطِفِ غادةٍ
ورشفى رضابًا كالرحيقِ المُبرِّدِ
على كلِّ غُصْنِ مائسٍ العُطْفِ أُمْلِدِ^(٤)
وعندَ اغْتِنَاقى كلَّ قَدْ مُهْفَهَفِ
وفى الدُّرِّ والياقوتِ والطَّيِّبِ والحلى
وفى حُللِ الأَثوابِ رَاقَتِ لناظِرِى
وفى الراحِ والرَّيحانِ والسمعِ والغنا
وفى الدَّوْحِ والأنهارِ والزهرِ^(٥) والنَّدَى^(٦)

(١ - ١) ليس فى فوات الوفيات .

(٢ - ٢) زيادة من : م . والأبيات فى ذيل مرآة الزمان ٤١٩/٣ - ٤٢٢ . وفيها تلميح وتصريح بالحلول والاتحاد كما ذكر المصنف .

(٣) فى المصدر : « معبد » . ومعبد هذا هو : معبد بن وهب . نابغة الغناء العربى فى العصر الأموى . انظر الأعلام ١٧٧/٨ .

(٤) المائس : المختال المتبختر . والعطف : الإبط ، أو المنكب . والأملد : اللين . تاج العروس (م ي س) ، (ع ط ف) ، (م ل د) .

(٥) فى المصدر : « معمد » .

(٦) فى المصدر : « الروح » .

وفى الروضة الفَيْحاءِ تحتَ سَمَائِهَا
 وفى صَفْوِ رَقَاقِ الغديرِ إذا حكى
 وفى اللهُوِ والأفراحِ والعَفْلَةِ التى
 وعند انتِشاءِ الشربِ فى كُلِّ مجلسٍ
 وعند اجتماعِ الناسِ فى كُلِّ جُمُعَةٍ
 وفى لَمعانِ المَشْرِفِيَّاتِ بالوُغى
 وفى الأَعْوَجِيَّاتِ العِتاقِ إذا انْبرَتْ
 وفى الشمسِ نُجْلَى^(٣) وهى فى بُرْجِ نورِها
 وفى البدرِ بدرِ الأفقِ ليلَةَ تَعَمُّه
 وفى أنْجُمِ زانَتِ دُجَها كَأَنَّها
 [١٠/٨٨] وفى الغَيْثِ رَوَى الأَرْضَ بعدَ هُمُودِها
 وفى البرقِ يَغْدُو موهِنًا فى سَحابِهِ
 وفى حَسَنِ تَمَيُّقِ الخطابِ وسرعةِ الـ
 وفى رِقَةِ الأشعارِ راقَتِ لَسامِعِ
 وفى عَوْدِ عيدِ الوصلِ مِنْ بعدِ جَفْوَةٍ
 وفى رَحْمَةِ المَعْشُوقِ شَكْوَى مُحِبِّهِ
 وفى أَرْجِيَّاتِ الكَرِيمِ إلى النَّدَى

يُضاحِكُ نورَ الشمسِ نَوَّارُها النَّدَى
 وقد جَعَلَتْهُ^(١) الرِّيحُ صَفْحَةً مَبْرِدِ
 تُمَكِّنُ أَهْلَ الفَرَقِ مِنْ كُلِّ مَقْصِدِ
 بِهَيْجِ بِأَنْواعِ الثُّمارِ المنضَّدِ
 وعيدِ وإظهارِ الرِّياشِ المَجْدِّدِ
 وفى ميلِ أعْطافِ الفَناءِ^(٢) المتأوِّدِ
 تُسابقُ وَفَدَ الرِّيحِ فى كُلِّ مَطَرِدِ
 لَدَى الأفقِ الشَّرْقِيِّ مَرآةَ عَسْجِدِ
 جَلَّتْهُ سَماءٌ مِثْلُ صَرْحِ مُمَرِّدِ
 نِشَارِ لآلِ فى بِساطِ زَبَرْجَدِ
 قُبَالَ نَداهِ مُتَهَيِّمٍ بعدَ مُنْجِدِ
 كَباسِمِ ثَغِيرِ أو حُسامِ مُجَرِّدِ
 جِوابِ وفى الخطِّ الأَنِيقِ المَجُودِ
 بَدائِعُها مِنْ مُقْصَرٍ ومُقْصَدِ
 وفى أَمْنِ أَحْشاءِ الطَّريدِ المُشَرِّدِ
 وفى رِقَةِ الأَلْفاظِ عِنْدَ التَّوَدُّدِ
 وفى عَاطِفاتِ العَفْوِ مِنْ كُلِّ سَيِّدِ

(١) فى الأصل، م: «جعدته». والمثبت من المصدر.

(٢) كذا فى الأصل، م. وفى المصدر: «الفتى». والمتأود: المتثنى. تاج العروس (أ و د).

(٣) فى م: «تحكى».

وحالة بسط العارفين وأنسهم
 وفي لطف آيات الكتاب التي بها
 كذلك أوصاف الجلال مظاهِرُ
 ففي صولة^(٢) القاضي الجليل وسمته
 وفي حدة الغضبان حالة طيشه
 وفي صولة الصهباء حار مُديرها
 وفي الحرّ والبرد اللذين تقسما
 وفي سرّ تسليط النفوس بشرها^(٣)
 وفي عسر العادات يستعرفُ القضا^(٤)
 وعند اضطدام الخيل في كل موقف
 وفي شدة الليث الصئول وبأسه
 وفي جفوة المحبوب بعد وصاله
 وفي روعة البين المسمى وموقف الـ
 وفي فرقة الألف بعد اجتماعهم
 وفي كل دار أقفرت بعد أنسها
 وفي هول أمواج البحار ووحشة الـ

وتحريكهم عند السماع المقيد
 تنسم^(١) روح الوعد بعد التوعد
 أشاهده فيها بغير تردد
 وفي سطوة الملك الشديد الثمر
 وفي نخوة القزم المهيّب المسود
 وفي بؤس أخلاق التديم المعزبد
 الزمان وفي إيلام كل مجسد
 على وتحسين التعدى لمعتدى
 وتكحل عين الشمس منه بإثم
 يُعثر فيه بالوشيج المنضد
 وشدة عيش بالسقام مُنكد
 وفي غدره من بعد عهد مُؤكد
 وداع الحزان الجوانح مُكمد
 وفي كل تشتيت وشمل مُبدد
 وفي طلل بال دراس مُعهّد
 قفار وسيل بالمزاييب مُزبد

(١) في الأصل: «تقسم». وفي ذيل المرأة: «تبسم». وتنسم: تنسم.

(٢) في م: «سطوة».

(٣) في ذيل امرأة الزمان: «ونشرها».

(٤ - ٤) في م: «وفي عسر العادات يشعر بالقضاء»، وفي ذيل المرأة: «وفي عثر الغارات يستعرف القضا».

وعند قيامي بالفرائض كلها
وعند خشوعي في الصلاة لعزة ال
وحالة إهلال الحجيج بحجهم
وفي عسر تخليص الحلال وفترة ال
وفي ذكر آيات العذاب وظلمة ال
ويتدو بأوصاف الكمال فلا أرى
فكل ميسر لي إلى كمحسن
فلا فرق عندي بين أنس ووخشة
وسيان إفتارى وصومي وفترتي
أرى تارة في حانة الخمر خالعا
تجلى لسرى بالحقيقة مشرب
تعمرت الأوطان بي وتحققت
وقلبي مع الأشياء^(٣) أجمع قلب^(٢)
فهيكلك أوثان وديتر لراهب
و^(٥) مزج لغزلان^(٤) وحانة قهوة

وحالة تسليم لسر التعبد
مناجى وفي الإطراق عند التهجد
وإعمالهم للعيس في كل فدفد^(١)
ملال لقلب الناسك المتعبد
حجاب وقبض الناسك المتزهد
برؤيته شيئا قبيحا ولا ردى
وكل مضل لي إلى كمزهد
ونور وإظلام ومذن ومبعد
وجهدى ونومي وأدعاء تهجدى
عذارى وطورا في حنية معبد^(٢)
فوقتي ممزوج بكشف مسرمد
مظاهرها عندي بعينى ومشهدى
وسرى^(٤) مقسوم على كل مؤرد
وبيت لينيران وقبلت مسجدا
وروضة أزهار ومطلع أسعد

(١) فى الأصل : « فرقد » .

(٢) فى م : « مسجد » . وخلع فلان عذاره : انهمك فى الغى ولم يستح . والحنية : القوس . ويريد بها محراب القبلة لأنه مقوس . الوسيط (ع ذ ر) ، (ح ن و) .

(٣ - ٣) فى الأصل : « جمع مقلب » . وأجمع : أى الأشياء جميعها . وقُلب : يتقلب كيف يشاء . تاج العروس (ق ل ب) .

(٤) فى م : « شربى » .

(٥ - ٥) فى م ، وذيل المرأة : « مسرح غزلان » .

وأَسْرَارُ عِرْفَانٍ وَمِفْتَاحُ حِكْمَةٍ وَأَنْفَاسُ وَجْدَانٍ وَفَيْضُ تَبَلُّدٍ
وَجَيْشٌ لَضِرْغَامٍ وَخِذَرٌ لِكَاعِبٍ وَظَلَمَةٌ خَيْرَانٍ وَنُورٌ لِمُهْتَدِيٍّ
تَقَابَلَتِ الْأَضْدَادُ عِنْدِي [٨٨/١٠] جَمِيعُهَا كَمَحَنَةٍ مَجْهُودٍ وَمِنْحَةٍ مُجْتَدِيٍّ
وَأَحْكَمْتُ تَقْرِيرَ الْمَرَاتِبِ صُورَةً وَمَعْنَى وَمِنْ عَيْنِ التَّفَرُّدِ مُورِدِيٍّ
فَمَا مَوْطِنٌ إِلَّا وَلِيٌّ فِيهِ مَوْقِفٌ عَلَى قَدَمٍ قَامَتْ بِحَقِّ التَّفَرُّدِ
فَلَا غَرَوَ إِنْ فُتَّ الْأَنَامُ بِهَا وَقَدْ عَلِقْتُ بِحَبْلِ مِنْ حَبَالِ مُحَمَّدٍ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ تَشْفَعُ دَائِمًا بِرُوحِ تَحْيَاتِ السَّلَامِ الْمُرَدِّ

ابْنُ الْغُودِ الرَّافِضِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ^(١) الْحُسَيْنِ بْنِ الْغُودِ نَجِيبُ الدِّينِ
الْأَسَدِيُّ الْحَلِّيُّ ، شَيْخُ الشَّيْعَةِ وَإِمَامُهُمْ وَعَالِمُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ ، كَانَتْ لَهُ فَضِيلَةٌ
وَمُشَارَكَةٌ فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ ، وَكَانَ حَسَنَ الْمَحَاضِرَةِ وَالْمُعَاشِرَةِ ، لَطِيفَ النَّادِرَةِ ،
وَكَانَ كَثِيرَ التَّعَبُّدِ بِاللَّيْلِ ، وَلَهُ شَعْرٌ جَيِّدٌ . وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ،
وَتُوُفِّيَ فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ سِتٍّ وَتِسْعِينَ سَنَةً . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِ عِبَادِهِ
وَسِرَائِرِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ .

(١) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ٤٣٤/٣ ، والعبر ٣٢٥/٥ ،
ومرآة الجنان ١٩١/٤ . وجاءت وفاته في المصدرين الأخيرين في سنة تسع وسبعين وستمائة .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ^(١)

كان أولها يوم الأحد، والخليفة والسلطان هما المذكوران في التي قبلها . وقد اتَّفَقَ في هذه السنة أمورٌ عَجِيبَةٌ، وذلك أنه وَقَعَ الخَلْفُ بَيْنَ المَمَالِكِ كُلِّهَا، اخْتَلَفَتِ التُّنُوزُ فيما بَيْنَهُمْ، واقتتلوا فُقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، واخْتَلَفَتِ الفِرَاجُ فِي السَّوَاهِلِ، وصال بعضهم على بعضٍ، وقَتَلَ بعضهم بعضًا، وكذلك الفِرَاجُ الَّذِينَ فِي دَاخِلِ البُحُورِ وَجَزَائِرِهَا اخْتَلَفُوا واقتتلوا، واقتتلَ قبائلُ الأعرابِ بعضها في بعضٍ قِتَالًا شَدِيدًا، وكذلك وَقَعَ الخَلْفُ بَيْنَ العَشِيرِ مِنَ الحَوَارَةِ، وقامت الحربُ بَيْنَهُمْ على سَاقٍ، وكذلك وَقَعَ الخَلْفُ بَيْنَ الأَمْرَاءِ الظَاهِرِيَّةِ، بسببِ أن السلطانَ المَلِكَ السَّعِيدَ بَنَ الظَّاهِرِ لما بَعَثَ الجَيْشَ إِلَى سَيْسَ أَقَامَ بَعْدَهُ بِدَمَشَقَ، وَأَخَذَ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالْإِنْسَاطِ مَعَ الْخَاصِّكِيَّةِ، وَتَمَكَّنُوا مِنَ الْأُمُورِ، وَبَعُدَ عَنْهُ الْأَمْرَاءُ الْكِبَارُ، فَعَصَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ وَنَابَذُوهُ وَفَارَقُوهُ، وَأَقَامُوا بِطَرِيقِ الْعَسَاكِرِ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا إِلَى سَيْسَ وَغَيْرِهِمْ، فَجَجَّتِ الْعَسَاكِرُ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا شَعْنُوا قُلُوبَهُمْ عَلَى الْمَلِكِ السَّعِيدِ، وَوَحَّشُوا خَوَاطِرَ الْجَيْشِ عَلَيْهِ، وَقَالُوا: الْمَلِكُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْعَبَ وَلَا يَلْهُو، وَإِنَّمَا هِمَّةُ الْمُلُوكِ فِي الْعَدْلِ وَمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، وَالذَّبُّ عَنْ حُوزَتِهِمْ، كَمَا كَانَ أَبُوهُ^(٢). ثُمَّ رَاسَلَهُ الْجَيْشُ فِي إِبْعَادِ

(١) ذيل مرآة الزمان ١/٤ - ١٢، ونهاية الأرب ٣٠/٣٩٣ - ٤٠٠، ٧/٣١ - ٣٠، وكنز الدرر ٨/٢٢٦ -

٢٣٥، والعبر ٥/٣١٧ - ٣٢٢، وتذكرة النبي ١/٤٨ - ٥٢، وعقد الجمان ٢/٢١٥ - ٢٣٩.

(٢) بعده في م: «وصدقوا فيما قالوا فإن لعب الملوك والأمراء وغيرهم دليل على زوال النعم وخراب الملك وفساد الرعية».

الخاصّة عنه ودُنُو ذَوِي الأَحْلَامِ والنّهْي إليه كما كان أبوه يفعلُ، فلم يقبلُ، وذلك كان لا يُمكنه ذلك؛ لقوّة شوكة الخاصّة وكثرتهم، فركب الجيش وساروا قاصدين مَرَج الصُّفَرِ، ولم يُمكنهم العبورُ على دمشق، بل أخذوا من شرقها، فلما اجتمعوا كلّهم بمَرَج الصُّفَرِ أَرْسَلَ السلطانُ أمّه إليهم، فتلقّوها وقَبَلُوا الأرضَ بينَ يديها، فأخذت تتألّفهم^(١) وتُصلِحُ الأمورَ، فأجابوها واشترطوا شروطًا على ولدها السلطانِ، فلما رجعت إليه لم يلتزم بها، ولم تمكّنه الخاصّة من ذلك، فسارت العساكرُ إلى الديارِ المصرية، فساق السلطانُ خلفهم ليتلافى الأمورَ قبلَ تفاقمها، فلم يلحقهم [٨٩/١٠]، وسبقوه إلى القاهرة، وقد كان أرسلَ أهلَه وأولاده وثقلَه إلى الكركِ، فحصّنهم فيها، وركب في طائفةٍ من الجيش الذين بقوا معه والخاصّة قاصدَ الديارِ المصرية، فلما اقترب منها صدّوه عنها، وقاتلوه فقتل من الفريقين نفرٌ يسيرٌ، فأخذَه بعضُ الأمراءِ، فشقّ به الصُّفوفَ، وأدخله قلعةَ الجبلِ ليُسكَنَ الأمرُ، فما زادهم ذلك إلا نفورًا، فحاصروا حيثُ القلعةَ، وقطعوا عنها الماءَ، وجرت خُطوبٌ طويلةٌ وأحوالٌ صعبةٌ. ثم اتفق الحالُ بعدَ ذلك مع الأميرِ سيفِ الدينِ قلاوونَ الألفيّ الصالحيّ - وهو المشبّرُ إليه حيثُ - على أن يتركَ الملكُ السعيدُ الملكَ، ويتعوّضَ بالكركِ والشُّوبكِ، ويكونَ في ضُحْبته أخوه نجمُ الدينِ خَضِرٌ، وتكونَ المملَكَةُ إلى أخيهما الصّغيرِ بدرِ الدينِ سَلامش، ويكونَ الأميرُ سيفُ الدينِ قلاوونَ أتابكَه.

(١) في الأصل: «تتلافهم».

ذَكَرَ خَلَعَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ

وَتَوَلَّى أَخِيهِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ سَلَامُش

لَمَّا اتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا نَزَلَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ السَّعِيدُ مِنَ الْقَلْعَةِ إِلَى دَارِ الْعَدْلِ فِي سَابِعِ عَشَرَ الشَّهْرِ ، وَهُوَ رِيَّعُ الْآخِرِ ، وَحَضَرَ الْقَضَاءُ وَالِدَوْلَةُ مِنْ أَوْلَى الْحِلِّ وَالْعَقْدِ ، فَخَلَعَ السَّعِيدُ نَفْسَهُ مِنَ السُّلْطَنَةِ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ ، وَبَايَعُوا أَخَاهُ بَدَرَ الدِّينَ سَلَامُشَ ، وَلُقِّبَ بِالْمَلِكِ الْعَادِلِ ، وَعَمَرُهُ يَوْمَئِذٍ سَبْعُ سِنِينَ ، وَجَعَلُوا أَتَابَكَهُ الْأَمِيرُ سَيْفَ الدِّينِ قَلَاوُونَ الْأَلْفَيَّ الصَّالِحِيَّ ، وَخَطَبَ الْخُطَبَاءُ ، وَرُسِمَتِ الشَّكَّةُ بِاسْمِهِمَا ، وَجُعِلَ لِلْسَّعِيدِ الْكَرْكُ ، وَلَأَخِيهِ خَضِيرُ الشُّوْبَكُ ، وَكُتِبَتْ بِذَلِكَ مَكَاتِيبُ ، وَوَضَعَ الْقَضَاءُ وَالْمُقْتُونَ خُطُوطَهُمْ بِذَلِكَ ، وَجَاءَتِ الْبَرِيدِيَّةُ إِلَى الشَّامِ بِالتَّخْلِيفِ لَهُمْ عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ الْمِصْرِيُّونَ . وَمُسِكَ الْأَمِيرُ أَيَّدَمُرُ نَائِبُ الشَّامِ الظَّاهِرِيَّ ، وَاعْتَقَلَ بِالْقَلْعَةِ عِنْدَ نَائِبِهَا ، وَكَانَ نَائِبُهَا إِذْ ذَاكَ عَلَّمَ الدِّينَ سَنْجَرُ الدَّوَادَارِيَّ ، وَأُحِيطَ عَلَى أَمْوَالِ نَائِبِ الشَّامِ وَخَوَاصِلِهِ ، وَجَاءَ عَلَى نِيَابَةِ الشَّامِ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ سُتْقَرُ الْأَشْقَرُ فِي أُبْهَةِ عَظِيمَةٍ ، وَتَحَكَّمَ مَكِينٌ ، فَنَزَلَ بِدَارِ السَّعَادَةِ ، وَعَظَّمَهُ النَّاسُ وَعَامَلُوهُ مَعَامَلَةَ الْمُلُوكِ ، وَعَزَلَ السُّلْطَانُ قَضَاءَ مِصْرَ الثَّلَاثَةَ ؛ الشَّافِعِيَّ وَالْحَنْفِيَّ وَالْمَالِكِيَّ ، وَلَوَّاهُ الْقَضَاءُ صَدَرَ الدِّينِ عَمْرُ ابْنِ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ ابْنِ بَنِي الْأَعَزِّ عَوَضًا عَنِ الشَّافِعِيَّ ، وَهُوَ تَقِيُّ الدِّينِ بَنُ رَزِينٍ ، وَكَانَهُمْ إِنَّمَا عَزَلُوهُ لِكَوْنِهِ تَوَقَّفَ فِي خَلَعِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ذِكْرُ بَيْعَةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ الصَّالِحِيِّ

لما كان يومُ الثلاثاءِ الحادى والعشرين من رجبِ اجْتَمَعَ الأمراءُ بقلعةِ الجبلِ من مصرَ، وخلَعُوا الملكَ العادلَ سَلَامُشَ بَنَ الظاهرِ، وأخْرَجُوهُ مِنَ الْبَيْتِ، وإنما كانوا قد بايعوه صورةً لَيْسَ كَنَ الشَّرِّ عِنْدَ خَلْعِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ، ثم اتَّفَقُوا عَلَى بَيْعَةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ الصَّالِحِيِّ، ولَقَّبُوهُ بِالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ، وجاءَتِ الْبَيْعَةُ إِلَى دِمَشَقَ، فوافقَ الأمراءُ وحلفوا، وذُكِرَ أَنَّ الْأَمِيرَ شَمْسَ الدِّينِ سُنْقَرَ الْأَشْقَرَ لَمْ يَخْلِفْ مَعَ النَّاسِ وَلَمْ يَوْضَ بِمَا وَقَعَ، وكأنَّه داخِلُهُ حَسَدٌ مِنَ الْمَنْصُورِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْهُ عِنْدَ الظَّاهِرِ. وَخُطِبَ لِلْمَنْصُورِ عَلَى الْمَنَابِرِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ، وَضُرِبَتِ السَّكَّةُ بِاسْمِهِ، وَجَرَتِ الْأُمُورُ فِي الْبِلَادِ بِمُقْتَضَى رَأْيِهِ، [٨٩/١٠ ظ] فَعَزَلَ وَوَلَّى، وَنَفَذَتِ مَراسِيمُهُ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ بِذَلِكَ، فَعَزَلَ عَنِ الْوِزَارَةِ بُزْهَانَ الدِّينِ السَّنْجَارِيَّ، وَوَلَّى مَكَانَهُ فَخْرَ الدِّينِ بَنَ لُقْمَانَ كَاتِبَ السَّرِّ وَصاحبَ دِيوانِ الْإِنْشَاءِ بِالْديارِ الْمِصْرِيَّةِ.

وفى يومِ الْخَمِيسِ حادى عَشَرَ ذى الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ تُوفِّيَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ ابْنُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بِالْكَرْكِ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُ تَرْجَمَتِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وفيها حُمِلَ الْأَمِيرُ أَيَّدَمُرُ الَّذِي كَانَ نَائِبَ الشَّامِ، فِي مِحْفَةٍ - لِمَرْضِ لِحَقِهِ - إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَدَخَلَهَا فِي أَوَاخِرِ ذى الْقَعْدَةِ، وَاعْتَقِلَ بِقَلْعَةِ مِصْرَ.

ذِكْرُ سُلْطَنَةِ سُنْقَرَ الْأَشْقَرَ بِدِمَشَقَ

لما كان يومُ الْجُمُعَةِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرُونَ مِنْ ذى الْقَعْدَةِ رَكِبَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ

سَنَقُرُّ الْأَشَقَرُ مِنْ دَارِ السَّعَادَةِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَيَبْنَ يَدِيهِ جَمَاعَةً مِنَ الْأَمْرَاءِ
وَالجُنْدِ مُشَاةً، وَقَصَدَ بَابَ الْقَلْعَةِ الَّذِي يَلِي الْمَدِينَةَ، فَهَجَمَ مِنْهُ، وَدَخَلَ الْقَلْعَةَ،
وَاسْتَدْعَى الْأَمْرَاءَ، فَبَايَعُوهُ عَلَى السُّلْطَانَةِ، وَلُقِّبَ بِالْمَلِكِ الْكَامِلِ، وَأَقَامَ بِالْقَلْعَةِ،
وَنَادَتْ الْمُنَادِيَةُ بِدَمَشَقَ بِذَلِكَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمَ السَّبْتِ اسْتَدْعَى بِالْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ
وَالْأَعْيَانِ وَرُؤَسَاءِ الْبَلَدِ إِلَى مَسْجِدِ أَبِي الدَّرْدَاءِ بِالْقَلْعَةِ وَحَلَّفَهُمْ، وَحَلَفَ لَهُ بَقِيَّةُ
الْأَمْرَاءِ وَالْعَسَاكِرِ، وَأَرْسَلَ الْعَسَاكِرَ إِلَى غَزَّةَ لِحَفَظِ الْأَطْرَافِ وَأَخِذِ الْعَلَاتِ، وَأَرْسَلَ
الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ إِلَى الشُّوبُكِ، فَتَسَلَّمَهَا نُوَّابُهُ، وَلَمْ يُيَاغِعْهُمْ نَجْمُ الدِّينِ خَضِرٌ.

وَفِيهَا جُدِّدَتْ خَمْسَةٌ^(١) أَضْلَاعٌ فِي قَبَةِ النَّسْرِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ.

وَفِيهَا غُزِلَ فَتَحُ الدِّينِ بْنُ الْقَيْسَرَانِيِّ مِنَ الْوِزَارَةِ بِدَمَشَقَ، وَوَلِيَهَا تَقِيُّ الدِّينِ^(٢)
تَوْبَةُ التُّكْرَيْتِيُّ.

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ:

عَزُّ الدِّينِ بْنُ غَانِمٍ الْوَاعِظُ: عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ غَانِمِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَسَاكِرَ بْنِ حُسَيْنِ عَزِّ الدِّينِ^(٣) أَبُو مُحَمَّدٍ^(٣) الْأَنْصَارِيُّ الْمَقْدِسِيُّ،
الوَاعِظُ الْمُطَبِّقُ الْمُفَلِّقُ الشَّاعِرُ الْفَصِيحُ، الَّذِي نَشَجَ عَلَى مِثْوَالِ ابْنِ الْجَوَازِيِّ
وَأَمْثَالِهِ، وَقَدْ أَوْزَدَ لَهُ قُطْبُ الدِّينِ أَشْيَاءَ حَسَنَةً كَثِيرَةً مَلِيحَةً، وَكَانَ لَهُ قَبُولٌ عِنْدَ
النَّاسِ، تَكَلَّمَ مَرَّةً نَجْمَةَ الْكَعْبَةِ الْمُعْظَمَةِ، وَكَانَ فِي الْحَضْرَةِ الشَّيْخُ تَاخُجُ الدِّينِ
الْفَرَارِيُّ، وَالشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ، وَابْنُ الْعُجَيْلِ مِنَ الْيَمَنِ وَغَيْرُهُمْ مِنَ

(١) فِي م: «أَرْبَعَةٌ».

(٢) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ، م: «بْن». وَالمُثَبِّتُ مِنْ عَقْدِ الْجَمَانِ ٢/٢٣٦، وَالسَّلُوكُ ١/٦٦٥.

(٣ - ٣) فِي م: «أَحْمَد». وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: ذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٤/١٣، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١/٥٤، وَالْعَبَرُ

٥/٣٢١، وَالْوَفَايُ بِالْوَفَايَاتِ ١٨/٤١٤، وَمَرَاةُ الْجَنَانِ ٤/١٩٠، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٢/٢٣٨.

العلماء والعُباد ، فأجاد وأفاد ، وخطب فأبلغ وأحسن . نقل هذا المجلس الشيخ شرف^(١) الدين الفزارى ، وأنه كان فى سنة خمس وسبعين .

الملك السعيد بن الملك الظاهر بركة خان : ناصر الدين محمد بركة خان أبو المعالى ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى^(٢) ، بايع له أبوه الأمراء فى حياته ، فلما توفى أبوه بُويع له بالملك ، وله تسع عشرة سنة ، ومشت له الأمور فى أول الأمر على السعادة ، ثم إنه غلبت عليه الخاصكية ، فجعل يلعب معهم فى الميدان الأخضر فيما قيل أول هوى ، فربما جاءت النوبة عليه ، فيُنزل لهم ، فأنكرت الأمراء الكبار ذلك ، وأنفوا أن يكون ملكهم يلعب مع الغلمان ، ويجعل نفسه كأحدهم ، فراسلوه فى ذلك ليرجع عما هو عليه ، فلم يقبل ، فخلعوه كما ذكرنا ، وولوا السلطان الملك المنصور قلاوون فى أواخر رجب كما تقدم . ثم كانت وفاته فى هذه السنة بالكرك [١٠/ ٩٠] فى يوم الجمعة الحادى عشر من ذى القعدة ، يقال : إنه سَم . فالله أعلم^(٣) . وقد دُفن أولاً عند قبر جعفر وأصحابه الذين قُتلوا بموتة ، ثم نُقل إلى دمشق ، فدُفن فى تربة أبيه سنة ثمانين وستمائة ، وتملك الكرك بعده أخوه نجم الدين خضر ، ولُقّب بالملك المسعود ، فانتزعها المنصور من يده ، كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

(١) فى الأصل : « تقي » ، وفى م : « تاج » . والمثبت من مصادر الترجمة .
(٢) ذيل مرآة الزمان ٣٣/٤ ، والعبر ٣٢١/٥ ، والوافى بالوفيات ٢٧٤/٢ ، وتذكرة النبيه ٥٣/١ ، والسلوك ٦٦٩/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٢٣٢/٢ ، والنجوم الزاهرة ٢٥٩/٧ .
(٣) وذكرت أكثر المصادر أن مما قيل أيضًا فى سبب موته أنه تَقَطَّر من على فرسه - أى وقع من فوقه على جنبه - فحُم بسبب ذلك فمات بعد مدة .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستمائة^(١)

كان أولها يوم الخميس ثالث أيار، والخليفة الحاكم بأمر الله أحمد العباسي، ومليك مصر الملك المنصور قلاوون الصالحى، وبعض بلاد الشام أيضًا، وأما دمشق وأعمالها فقد ملكها سنقر الأشقر، وصاحب الكرك الملك المسعود^(٢) بن الظاهر، وصاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود، والعراق وبلاد الجزيرة وخراسان والموصل وإربل وأذربيجان وبلاد بكر وخلاط وما والاها وغير ذلك من البلاد بأيدي التتار، وكذلك بلاد الروم في أيديهم أيضًا، ولكن فيها غياث الدين بن^(٣) ركن الدين، ولا حكم له سوى الاسم، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف^(٤) بن عمر، وصاحب الحرم الشريف نجم الدين بن أبى نمى^(٥) الحسنى، وصاحب المدينة عز الدين جماز ابن شيعة الحسينى.

ففى مُشْتَهَلِ السَّنة المذكورة ركب السلطان الملك الكامل سنقر الأشقر من القلعة إلى الميدان، وبين يديه الأمراء ومقدمو الحلقة يَحْمِلُونَ^(٦) الغاشية، وعليهم الخلع، والقضاة والأعيان رُكَّابٌ معه، فيسير فى الميدان ساعة، ثم رجع إلى

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٥/٤ - ٥٤، ونهاية الأرب ٦٣/٣١ - ٧٢، والعبر ٣٢٢/٥ - ٣٢٥، وكنز

الدرر ٢٣٥/٨ - ٢٣٩، وتذكرة النبيه ٥٧/١ - ٦٠، وعقد الجمان ٢٤٠/٢ - ٢٥٨.

(٢) فى الأصل: «السعيد».

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى الأصل: «شمى». وانظر ترجمته فيما سيأتى ضمن وفيات سنة إحدى وسبعمئة.

(٥) سقط من: م.

القلعة ، وجاء إلى خدمته الأمير شرف الدين عيسى بن مُهتّا ملك العرب ، فقبل الأرض بين يديه ، وجلس إلى جانبه وهو على السّماط ، وقام له الملك الكامل ، وكذلك جاء إلى خدمته ملك الأعراب بالحِجاز ، وأمر الكامل سُتْقَرُ أن تُضاف البلاد الحليّة إلى ولاية القاضي شمس الدين بن خلّكان ، وولاه تدرّيس الأُمينية ، وانتزَعها من ابن سنّى الدولة .

ولما بلغ الملك المنصور بالديار المصرية ما كان من أمر سُتْقَرُ الأشقر بالشام أرسل إليه جيشًا كثيرًا ، فهزَموا عسكر سُتْقَرُ الأشقر الذى كان قد أرسله إلى غَزّة ، وساقوهم بين أيديهم حتى وصل جيشُ المِصريّين إلى قريب دمشق ، فأمر الملك الكامل أن يُضرب دِهْلِيْزُهُ بالجُشُورة ، وذلك فى يومِ الأربعاءِ ثانى عشرِ صفرٍ ، ونهَضَ بنفسه وبمَن معه ، فنزل هنالك ، واستخَدَمَ خلقًا كثيرًا ، وأنفق أموالًا جزيلةً ، وانضاف إليه عربُ الأميرِ شرفِ الدينِ عيسى بن مُهتّا ، وشهابِ الدينِ أحمدَ بنِ حُجّى ، ونَجْدَةُ حلبَ ونَجْدَةُ حماةَ ورجالٌ كثيرةٌ من جبال^(١) بَغْلَبَك ، فلما كان يومُ الأحدِ السادسِ عشرِ من صفرٍ أقبلَ الجيشُ المِصرىُّ صُحْبَةً الأميرِ عَلَمِ الدينِ سَنَجَرَ الحلبى ، فلما تراءى الجمعان وتقابل الفريقان تقاتلوا إلى الرابعة فى النهار ، فقتلَ نَفَرٌ كثيرٌ ، وثبت الملك الكامل سُتْقَرُ الأشقرُ ثباتًا جيدًا ، ولكن خامر عليه الجيشُ ، فمنهم من صار إلى المِصرى ، ومنهم من انهزم فى كلِّ وجهٍ ، وتفرّق عنه أصحابه ، فلم يَسْعُه إلا الانهزامُ على طريقِ المَوجِ فى طائفةٍ يَسيرةٍ ، فى صُحْبَةِ عيسى بن مُهتّا ، فسار بهم إلى بَرِّيَّةِ الرّحْبَةِ ، فَأَنْزَلَهُمْ فى بيوتٍ من شَعْرِ ، وأقام بهم ويَدَوِّبُهُمْ مدّةً مُقامِهِمْ عنده ، ثم بعث الأمراء الذين انهزموا

(١) فى م : « رجال » .

عنه ، فأخذوا لهم أماناً من الأمير سنجَر ، وقد نَزَلَ في ظاهرِ دمشق وهي مغلُوقَةٌ ، [٩٠/١٠ ط] فراسَل نائبَ القلعة ، ولم يَزَلْ به حتى فتَح بابَ الفَرَج من آخرِ النهار ، وفُتِحَت القلعةُ من داخلِ البلد ، فتسلَّمها المنصور ، وأُفْرِجَ عن الأمير ركنِ الدين يَبْرَسَ العجميِّ المعروف بالجالقي^(١) ، والأميرِ حسامِ الدين لاجين المنصوري ، وغيرهم من الأمراء الذين كان قد اغتقلهم سُتْقَرُ الأشقر ، وأرسل سَنَجَرُ البريديةَ إلى الملكِ المنصورِ يُعَلِّمونه بصورةِ الحال ، وأرسل سَنَجَرُ ثلاثةَ آلافٍ في طلبِ سُتْقَرِ الأشقر .

وفي هذا اليومِ جاء ابنُ خَلْكَانَ لِيُسَلِّمَ على الأميرِ سَنَجَرِ الحلبيِّ ، فاعْتَقَلَه في عُلُوِّ الخانقاهِ النَّجيبيةِ ، وعزَلَه في يومِ الخميسِ العشرين من صفر ، ورسم للقاضي نجمِ الدين بنِ سَنَيِّ الدولة بالقضاءِ فباشره ، ثم جاءت البريديةُ معهم كتابٌ من الملكِ المنصورِ بالعَنْبِ على طوائفِ الناسِ ، والعفوِ عنهم كلِّهم ، فتضاعفت له الأدعيةُ ، وجاء تَقْلِيدُ النِّبَايةِ بالشامِ للأميرِ حُسامِ الدين لاجين السِّلَحْدَارِ المنصوري ، فدخَلَ معه عِلْمُ الدينِ سَنَجَرِ الحلبيِّ ، فرتَّبَه بدارِ السَّعادةِ ، وأمرَ سَنَجَرُ القاضي ابنَ خَلْكَانَ أن يَتَحَوَّلَ مِنَ المدرسةِ العادليةِ الكبيرةِ ؛ لِيَشْكُنَهَا نجمُ الدينِ ابنُ سَنَيِّ الدولة ، وألَحَّ عليه في ذلك ، فاستدعى جِمالاً لِيُنْقَلَ أَهْلَهُ وَثَقْلَهُ عليها إلى الصالحيةِ ، فجاء البريدُ بكتابٍ من السلطانِ ، فيه تَقْرِيرُ ابنِ خَلْكَانَ على القضاءِ ، والعفوُ عنه وشُكْرُهُ والثَّناءُ عليه ، وذِكْرُ خدمتهِ المُتَقَدِّمةِ ، ومعه خِلعةٌ سنِيَّةٌ له ، فلبسها وصلَّى بها الجمعةَ ، وسلَّم على الأمراءِ ، فأكرَّموه وعظَّموه ، وفرح الناسُ به وبما وَقَعَ مِنَ الصَّفْحِ عنه .

(١) في م : « بالخالق » .

وأما سُنْقَرُ الْأَشْقَرِ فإنه لما خَرَجَتِ الْعَسَاكِرُ فِي طَلَبِهِ فَارَقَ الْأَمِيرُ عَيْسَى بْنُ مُهَنَّأٍ، وَسَارَ إِلَى السَّوَاوِلِ، فَاسْتَحْوَذَ مِنْهَا عَلَى حُصُونٍ كَثِيرَةٍ؛ مِنْهَا صِهْيُونُ، وَقَدْ كَانَ بِهَا أَوْلَادُهُ وَخَوَاصِلُهُ، وَحَصْنُ بَلَاطُسَ^(١) وَبَرْزِيَّةَ وَعَكَّارٍ وَجَبَلَةَ وَاللَّادِيقِيَّةَ، وَالشُّغْرَ وَبَكَاسَ^(٢) وَشَيْزَرَ، وَاسْتَنَابَ فِيهَا الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينِ أَرْذَمُرَ الْحَاجِّ، فَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ الْمَنْصُورُ لِحَصَارِ شَيْزَرَ طَائِفَةً مِنَ الْجَيْشِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَتِ التَّتَارُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ لَمَّا سَمِعُوا بِتَفْرِيقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَانْجَفَلَ النَّاسُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ إِلَى الشَّامِ، وَمِنَ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ، فَوَصَلَتِ التَّتَارُ إِلَى حَلَبَ، فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا، وَنَهَبُوا شَيْئًا كَثِيرًا، وَظَنُّوا أَنَّ جَيْشَ سُنْقَرِ الْأَشْقَرِ يَكُونُ مَعَهُمْ عَلَى الْمَنْصُورِ، فَوَجَدُوا الْأَمْرَ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ أَنَّ الْمَنْصُورَ^(٣) كَتَبَ إِلَى سُنْقَرِ الْأَشْقَرِ: إِنَّ التَّتَارَ قَدْ أَقْبَلُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالْمَصْلَحَةُ أَنْ تَتَفَقَّ عَلَيْهِمْ لئَلَّا يَهْلِكَ الْمُسْلِمُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، وَإِذَا مَلَكَوْا الْبِلَادَ لَمْ يَدْعُوا مِنَّا أَحَدًا. فَكَتَبَ إِلَيْهِ سُنْقَرُ بِالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالطَّاعَةِ، وَبَرَزَ مِنْ حَصْنِهِ، فَخَيَّمَ بِجَيْشِهِ لِيَكُونَ عَلَى أَهْبَةِ مَتْنِ طُلُبِ أَجَابَ، وَنَزَلَتْ نُوَابِهِ مِنْ حُصُونِهِمْ، وَبَقُوا مُسْتَعِدِّينَ لِقِتَالِ التَّتَارِ، وَخَرَجَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ مِنْ مِصْرَ فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَمَعَهُ الْعَسَاكِرُ.

(١) فِي م: «بَلَاطُس». وَبَلَاطُس: حَصْنٌ مَنِيعٌ بِسَوَاوِلِ الشَّامِ مُقَابِلَ اللَّادِيقِيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ حَلَبَ. مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٧١٠/١.

(٢) سَقَطَ مِنْ: م. وَالمُثَبَّتُ مِنْ مَرَاةِ الزَّمَانِ. وَالشُّغْرُ: قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ يُقَابِلُهَا قَلْعَةُ بَكَاسَ. وَانْظُرْ مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٧٠٤/١.

(٣) فِي ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٤٥٠/٤: «أَمْرَاءُ الْعَسْكَرِ الْمِصْرِيِّ».

وفى يوم الجمعة^(١) الثامن والعشرين^(٢) من جمادى الآخرة قُرى على منبر جامع دمشق كتاب من السلطان أنه قد عهد بالملك إلى ابنه على، ولُقّب بالملك الصالح، فلما فُرج من قراءة الكتاب جاءت البريديّة، فأخبروا برُجوع التّار من حلب إلى بلادهم، وذلك لما بلغهم من اتّفاق كلمة المسلمين، [٩١/١٠] ففرح المسلمون بذلك، ولله الحمد، وعاد المنصور إلى مصر، وكان قد وصل إلى غزّة، أراد بذلك تخفيف الوطأة عن الشام، فوصل إلى مصر فى نصف شعبان. وفى جمادى الآخرة أُعيد بُوهاً الدين السّجاريّ إلى وزارة مصر، ورجع فخر الدين بن لقمان إلى كتابة الإنشاء.

وفى أواخر رمضان أُعيد إلى القضاء ابن رزين، وعُزل ابن بنت الأعرّ، وأُعيد القاضى نفيس الدين بن شكر المالكى، ومُعِين الدين الحنفى، وتولّى قضاء الحنابلة عز الدين المقدسى.

وفى ذى الحجة جاء تقليد ابن خلّكان بإضافة المعاملة الحليّة إليه يستنيب فيها من يشاء من نوابه.

وفى مُستَهَلّ ذى الحجة خرج الملك المنصور من بلاد مصر بالعساكر قاصداً الشام، واستناب على مصر ولده الملك الصالح على بن المنصور إلى حين رُجوعه.

قال الشيخ قُطُب الدين^(٣): وفى يوم عرفة وقع ببلاد مصر برّد كبير أثلف شيئاً كثيراً من المغلات، ووقعت صاعقة بالإسكندرية وأخرى فى يومها تحت

(١ - ١) فى الأصل، م: «الثالث». والمثبت من ذيل مرآة الزمان ٤٦/٤.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٥٣/٤.

الجبل الأحمر على صخرة فأحرقتها ، فأخذ ذلك الحديد فسبك ، فخرج منه أواق بالرطل المصري .

وجاء السلطان فنزل بعساكره تُجاة مدينة عكا ، فخافت الفرنج منه خوفاً شديداً ، وراسلوه في طلب تجديد الهدنة ^(١) فإنه كان قد انتهى أمد ما كان قبلها ، فأقام بهذه المنزلة إلى أول سنة ثمانين ، فكانت فيها الهدنة ^(٢) ، وجاء الأمير عيسى ابن مُهنّا من بلاد العراق إلى خدمة المنصور وهو بهذه المنزلة ، فتلقاه السلطان بجيشه وأكرمه واحترمه ، وعامله بالصفح والعفو والإحسان .

ومُن توفى فيها من الأعيان :

الأمير الكبير جمال الدين آقوش الشمسي ^(٣) ، أحد أمراء الإسلام ، وهو الذي باشر قتل كتبخاويين أحد مُقدّمى التتار ، وهو المطاع فيهم يوم عين جالوت ، وهو الذي مسك عز الدين أيدمر الظاهري في حلب من السنة الماضية ، وكانت وفاته بها .

الشيخ الصالح داود بن حاتم بن عمر الحبال ^(٤) ، كان حنبلي المذهب ، له كرامات وأحوال صالحة ومكاشفات صادقة ، وأصل آبائه من حرّان ، وكانت إقامته ببغلبك ، وتوفى فيها ، رحمه الله تعالى ، عن ست وتسعين سنة ، وقد أثنى عليه الشيخ قطب الدين بن الشيخ الفقيه اليونيني .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٥٥ / ٤ ، والوافي بالوفيات ٣٢٥ / ٩ ، وعقد الجمان ٢ / ٢٦٠ ، والمنهل الصافي ٣ /

٢١ - وجاءت وفاته فيه في سنة ثمان وسبعين وستمائة - والنجوم الزاهرة ٧ / ٣٤٤ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ٥٥ / ٤ ، وعقد الجمان ٢ / ٢٥٩ ، والدليل الشافي ١ / ٢٩٥ .

الأمير الكبير نور الدين علي بن عمر، أبو الحسن الطورّي^(١)، كان من أكابر الأمراء،^(٢) وله السّعي المشكور في قتال الفرنج، وله عندهم ذكرٌ عظيم، وموقع كبير، مات^(٣) وقد نيف على تسعين سنة، وكانت وفاته بسبب أنه وقع يوم مضاف سنقر الأشقر تحت سنانك الخيل، فمكث بعد ذلك مُتمرّضا إلى أن مات بعد شهرين، ودُفن بسفح قاسيون.

الجزّار الشاعر، يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي، جمال الدين أبو الحسين^(٤) المصري، الشاعر الماجن، المعروف بالجزّار، مدح الملوك والوزراء والأمراء، وكان ماجنا ظريفاً حلواً المحاضرة^(٥)، وُلد في حدود ستمائة بعدها بسنة أو سنتين، وتوفي يوم الثلاثاء ثاني عشر شوال من هذه السنة. ومن شعره:

أذكر كوني فبي من البرد همّ ليس يُنسى وفي حشائي^(٥) الّتهاب
أُبشّي الأطماع [٩١/١٠] وهما فها جند سمى عارٍ ولي قرى وثياب
كلما ازرقّ لون جسمي من البر د تحيّلُ أنه سنجاب
وقال وقد تزوّج أبوه بعجوزة:

(١) في الأصل: «الطيوري». وانظر مصادر ترجمته؛ ذيل مرآة الزمان ٥٦/٤، ونهاية الأرب ٧١/٣١، والسلوك ٦٨٤/١ (القسم الثالث).

(٢) ٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) في الأصل: «الحسن». وانظر مصادر ترجمته؛ ذيل مرآة الزمان ٦١/٤، ونهاية الأرب ٧١/٣١، والعبر ٣٢٤/٥، وفوات الوفيات ٢٧٧/٤، والسلوك ٦٨٤/١ (القسم الثالث)، والنجوم الزاهرة ٧/٣٤٥.

(٤) في م: «المناظرة».

(٥) في الأصل: «حياتي»، وفي ذيل مرآة الزمان: «حشائي».

تَزَوَّجَ الشَّيْخُ أَبِي^(١) شَيْخَةً
كَأَنَّهَا فِي فَرْشِهَا رِمَّةٌ
«وَقَائِلٌ قَالَ لِي»^(٢) كَمْ سَنُهَا
لَوْ سَفَرْتَ غُرَّتُهَا فِي الدُّجَى
لَيْسَ لَهَا عَقْلٌ وَلَا ذَهْنٌ
وَشَعْرُهَا مِنْ حَوْلِهَا قُطُنٌ
فَقُلْتُ مَا فِي فَمِهَا سِنٌ
مَا جَسَرَتْ تُبْصِرُهَا الْجِنَّ

(١) فِي ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٦٤/٤: «إِلَى».

(٢ - ٢) فِي م: «وَقَالَ لِي»، وَفِي الْأَصْلِ: «قَائِلٌ لِي قَالَ». وَالْمَثْبُتُ مِنْ ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ.

ثم دخلت سنة ثمانين وستمائة^(١)

استهلت والخليفة الحاكم، وسلطان البلاد الملك المنصور قلاوون .
وفي عاشر المحرم انعقدت الهدنة بين أهل عكا والمزقب والسلطان،
وكان نازلاً على الرُّوحاء^(٢)، وقد قبض على جماعة من الأمراء ممن كان
معه، وهرب آخرون إلى قلعة صهيون إلى خدمة سُتْقَر الأشقر، ودخل
المنصور إلى دمشق في التاسع عشر من المحرم، فنزل القلعة وقد رُيِّت له
البلد، وفي يوم التاسع والعشرين من المحرم أعاد القضاء إلى عز الدين بن
الصائغ، وعزل ابن خلَّكان .

وفي أول صفر باشر قضاء الحنابلة نجم الدين بن الشيخ شمس الدين بن أبي
عمر، وقد كان المنصب شاغراً منذ عزل والده نفسه عن القضاء، وتولَّى قضاء
حلب في هذا الشهر تاج الدين يحيى بن محمد بن إسماعيل الكردي .
وجلس الملك المنصور بدار العدل في هذا الشهر، فحكم وأنصف المظلوم
من الظالم، وقدم عليه صاحب حماة، فتلَّقاه المنصور بنفسه في موكبه، ونزل
بداره بباب القرايس .

(١) ذيل مرآة الزمان ٨٦/٤ - ١٠٠، ونهاية الأرب ٧٣/٣١ - ٨٢، والعبر ٣٢٥/٥، ٣٢٦، وكنز
الدرر ٢٤٠/٨ - ٢٤٨، وتذكرة النبیه ٦٢/١ - ٦٥، وعقد الجمان ٢٦٣/٢ - ٢٨٨.
(٢) في ذيل مرآة الزمان: « اللجون » .

وفى ربيع الأول وقع الصلح بين الملك المنصور قلاوون وبين سُتْقَرِ الأشْقَرِ الملك الكامل على أن يُسَلِّمَ للسلطان شَيْزَرَ وَيُعَوِّضَهُ عنها بِأَنْطَاكِيَّةَ وَكَفَرَ طَابَ وَشُعْرٍ وَبَكَاسَ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وعلى أن يُقِيمَ على ما بيده سِتْمَائَةَ فَارِسَ ، وَتَحَالَفَا على ذلك ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ لَذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ صَالِحُ صَاحِبِ الْكَرْكِ الْمَلِكُ خَضِرَ بْنَ الظَّاهِرِ على تَقْرِيرِ مَا بِيده ، وَتُوْدَى بِذَلِكَ فى الْبِلَادِ .

وفى الْعَشْرِ الْأَوَّلِ ^(١) مِنْ هَذَا الشَّهْرِ ضَمِنَ الْخَمْرُ وَالزَّيْنَى بِدَمَشَقَ ، وَجُعِلَ عَلَيْهِ دِيوَانٌ وَمُشِيدٌ ، فَقَامَ فى إِبْطَالِ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ وَالْعَبَادِ ، فَأُبْطِلَ بَعْدَ عَشْرِينَ يَوْمًا ، وَأُرِيقَتْ الْخُمُورُ وَأُقِيمَتِ الْحُدُودُ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

وفى تَاسِعَ عَشَرَ ربيع الْآخِرِ ^(٢) وَصَلَتْ الْخَاتُونُ ابْنَةُ ^(٣) بَرَكَةِ خَانَ زَوْجَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، وَمَعَهَا وَلَدُهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ قَدْ نَقَلَتْهُ مِنْ قَرْيَةِ الْمَسَاجِدِ بِالْقَرْبِ مِنَ الْكَرْكِ لَتَدْفِنَهُ عِنْدَ أَبِيهِ بِالتَّرْبَةِ الظَّاهِرِيَّةِ ، فَرُفِعَ بِجِبَالٍ مِنَ الشُّورِ ، وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ الظَّاهِرِ ، وَنَزَلَتْ أُمُّهُ بِدَارِ صَاحِبِ حَمَصَ ، وَهُيَّيَتْ لَهَا الْإِقَامَاتُ ، وَعُمِلَ عَزَاءٌ وَلِذَا يَوْمَ الْحَادَى وَالْعَشْرِينَ مِنْ ربيع الْآخِرِ بِالتَّرْبَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَحَضَرَ السُّلْطَانُ الْمَنْصُورُ وَأَرْبَابُ الدَّوْلَةِ وَالْقُرَاءُ وَالْوُعَاظُ .

وفى أَوَاخِرِ ربيع الْآخِرِ عُزِلَ التَّقَى ^(٤) تَوْبَةُ التَّكْرِيتَى مِنَ الْوِزَارَةِ بِدَمَشَقَ ،

(١) فى ذيل مرآة الزمان ٨٩ / ٤ : « الأوسط » .

(٢) فى الأصل ، م : « الأول » . والمثبت من المصدر السابق .

(٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من المصدر السابق .

(٤) بعده فى م : « بن » . وانظر هذا الحدث فى عقد الجمان ٢٦٩ / ٢ .

وبأشرها بعده تاج الدين السَّنْهَوْرِيُّ^(١) .

وكتب السلطان المنصورُ إلى مصرَ وغيرها من البلادِ يَسْتَدْعِي الجيوشَ لأجلِ اقْتِرَابِ مَجِيءِ التَّارِ ، فدَخَلَ أَحْمَدُ بْنُ حَجَّيٍّ ومعه بشرٌ كثيرٌ من الأعرابِ ، وجاءَ [٩٢/١٠] صاحبُ الكَرَكِ الملكُ المسعودُ نَجْدَةً للسلطانِ يومَ السبتِ الثاني^(٢) عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ ، وقَدِمَ الناسُ عليه ، ووقَدُوا إليه مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وجاءتهِ التُّرُكُمَانُ والأعرابُ وغيرُهُمْ ، وكَثُرَتِ الأَرَاكِيفُ بدمشقَ ، وكَثُرَتِ العَسَاكِرُ بها ، وانجَفَلَ الناسُ مِنْ بِلَادِ حَلَبَ وتلكِ التَّوَاغِي ، وتَرَكَوا الغَلَّاتِ والأَمْوَالَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَدْهَمَهُمُ العَدُوُّ مِنَ التَّارِ ، ووصلَتِ التَّنَزُّ صُحْبَةً مَنكُوتَرُ بْنُ هُوَلَاكُو إلى^(٣) عَيْنِ تَابٍ^(٣) ، وسَارَتِ العَسَاكِرُ المنصورةُ إلى نَوَاحِي حَلَبَ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، ونازَلَتِ التَّنَزُّ بِالرَّحْبَةِ فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الآخِرَةِ طَائِفَةً مِنَ الأعرابِ ، وكانَ فِيهِمْ مَلِكُ التَّارِ أَبْعَا مُخْتَفِيًا يَنْظُرُ مَاذَا يَصْنَعُ أَصْحَابُهُ ، وكيفَ يُقَاتِلُونَ أَعْدَاءَهُ ، ثم خَرَجَ الملكُ المنصورُ مِنْ دِمَشقَ ، وكانَ خُرُوجُهُ مِنْهَا فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى ، وَقَتَ الخُطْبَاءِ والأئِمَّةِ بالجوامِعِ والمساجِدِ وغيرها فِي الصَّلَوَاتِ ، وجاءَ مَرْسُومُ السلطانِ بِاسْتِسْلَامِ أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنَ الدَّوَاوِينِ وَالْكَتَبَةِ ، وَمَنْ لَا يُسَلِّمُ يُصَلَّبُ ، فَأَسْلَمُوا كُرْهًا ، فَكَانُوا يَقُولُونَ : آمَنَّا وَحَكَمَ الْحَاكِمُ بِإِسْلَامِنَا . بَعْدَ أَنْ عَرَضَ مَنْ أَمْتَنَعَ مِنْهُمْ عَلَى الصَّلْبِ بِسُوقِ الْحَيْلِ ، وَجُعِلَتِ الْحِيَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، فَأَجَابُوا وَالْحَالَةَ هَذِهِ ، وَلَمَّا انْتَهَى السُّلْطَانُ الملكُ المنصورُ إِلَى حِمَصَ كَتَبَ إِلَى الملكِ الكاملِ سُنْقَرِ الْأَشْقَرِ يَطْلُبُهُ إِلَيْهِ نَجْدَةً ، فَجاءَ إِلَى خِدْمَتِهِ ، فَأَكْرَمَهُ السُّلْطَانُ ، وَاحْتَرَمَهُ وَرَتَّبَ لَهُ

(١) فِي عَقْدِ الْجَمَانِ : « الشَّهْرُزُورِي » .

(٢) فِي ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٩٠ / ٤ : « الثَّامِنُ » .

(٣ - ٣) فِي م : « عُنْتَاب » . وَانْظُرْ مَعْجَمَ الْبُلْدَانِ ٧٥٩ / ٣ .

الإقامات ، وتكاملت الجيوش كلها في صُحبة الملك المنصور عازمين على لقاء العدو لا محالة مُخلصين في ذلك ، واجتمع الناس بعد خروج السلطان في جامع دمشق ، ووضعوا المصحف العثماني بين أيديهم ، وجعلوا يَتَهَلَّون إلى الله تعالى في نُصرة الإسلام وأهله على الأعداء ، وخزجوا كذلك والمصحف على رؤوسهم إلى المصلّى يدعون ويتَهَلَّون ويتكئون ، وأقبلت التُّر قليلاً قليلاً ، فلما وصلوا حماة أخرجوا بُشتان الملك وقصره وما هنالك من المساكن ، والسلطان المنصور مُخيّم بحمص في عساكر من الأتراك والتُّركمان وغيرهم في جحفلي كثير جداً ، فأقبلت التُّر في مائة ألف مُقاتلٍ أو يزيدون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقعة حمص

لما كان يوم الخميس رابع عشر رجب الثقي الجمعان ، وتواجه الخصمان عند طلوع الشمس ، وعسكر التُّر في مائة ألف فارس ، وعسكر المسلمين على النصف من ذلك أو يزيد قليلاً ، والجميع فيما بين مشهد خالد بن الوليد إلى الرستن^(١) ، فاقتتلوا قتالاً عظيماً لم يُر مثله من أعصار مُتطاولة ، فاستظهر التُّر أول النهار ، وكسروا الميسرة ، واضطربت الميمنة أيضاً ، وبالله المستعان . وانكسر جناح القلب الأيسر ، وثبت السلطان ثباتاً عظيماً جداً في جماعة قليلة ، وقد أنهزم كثير من عسكر المسلمين ، والتُّر في آثارهم حتى وصلوا وراءهم إلى بُحيرة

(١) في ذيل مرآة الزمان ٩٣/٤ : « الرستن » . والرستن : بلدة قديمة بين حماة وحمص . انظر معجم البلدان ٧٧٨/٢ .

حمص، ووصلوا إلى حمص وهي مُغلقة الأبواب، فقتلوا خلقاً من العامة وغيرهم، وأشرف المسلمون على حُطّة^(١) عظيمة من الهلاك، ثم إن أعيان الأمراء من الشجعان والفرسان تذاَمروا فيما بينهم؛ مثل سُنُقَرِ الأشقرِ وَيَسْرِي وطَبِيرَسَ الوزيرِي وبَدْرِ الدين أمير سلاح وأَيْتُمُش [٩٢/١٠ ط] السَّعْدِيُّ وحُسام الدين لاجين وحُسام الدين طُرُنطاي^(٢) والدَّوَادِرِيُّ وأمثالهم، لما رأوا ثبات السلطان رَدُّوا إلى السلطان، وحملوا حمالات مُتَعَدِّدة صادقة، ولم يزلوا يُنابِعون الحَمَلَةَ بعد الحَمَلَةَ حتى كَسَرَ اللَّهُ بحوله وقوته التَّتْرَ، وجرح منْكَوُتْمَر، وجاءهم الأمير عيسى بن مُهَنَّأ من ناحية الغرض فصدم التَّتْرَ، فاضطربت الجيوش لصدمته، وتَمَّتْ الهزيمة، ولِلَّهِ الحمد، وقتلوا من التَّتْرِ مَقْتَلَةً عظيمةً جدًّا، ورجعت الطائفة من التَّتْرِ الذين اتَّبَعُوا الْمُتَهْزِمِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فوجدوا أصحابهم قد كُسِرُوا، والعساكر في آثارهم يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ، والسلطان ثابت في مكانه تحت السَّناجِقِ^(٣)، والكوسات تُضْرِبُ خَلْفَهُ، وما معه إلا نحو ألف فارس، فطمعوا فيه فقاتلوه، فثبت لهم ثباتاً عظيماً، فأنهزموا من بين يديه، فليحَقَّهم فقتل أكثرهم، وكان ذلك تمام النصر، وكان انهزام التَّتْرِ قبل الغروب، واقتَرَقُوا فَوْهَتَيْنِ؛ أَخَذَتْ فَوْهَةً مِنْهُنَّ إِلَى نَاحِيَةِ سَلَمِيَّةَ وَالْبَرِّيَّةِ، وَالْأُخْرَى إِلَى نَاحِيَةِ حَلَبَ وَالْفُرَاتِ، فَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ فِي آثَارِهِمْ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ، وجاءت البِطَاقَةُ بِالْبِشَارَةِ بِمَا وَقَعَ مِنَ النَّصْرِ إِلَى دِمَشْقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ خَامِسَ عَشَرَ رَجَبٍ، فَدَقَّتِ الْبِشَائِرُ، وَزَيَّنَتِ الْبُلْدُ، وَأَوْقَدَتِ الشُّمُوعُ، وَفَرِحَ النَّاسُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ يَوْمَ السَّبْتِ

(١) الخطة : الأمر ، والحالة . الوسيط (خ ط ط) .

(٢) في الأصل : « طرُقاي » .

(٣) السناجق : جمع سَنَجَقٍ وسُنْجَقٍ ، وهي الراية . انظر المعجم الذهبى ص ٣٥٢ .

أَقْبَلَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَهَزِّمِينَ؛ مِنْهُمْ بَيْلِيكٌ^(١) النَّاصِرِيُّ وَالْجَالِيُّ وَغَيْرُهُمْ، فَأَخْبَرُوا النَّاسَ بِمَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْهَزِيمَةِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَلَمْ يَكُونُوا شَاهِدُوا مَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَبَقِيَ النَّاسُ فِي قَلْقٍ عَظِيمٍ، وَخَوْفٍ شَدِيدٍ، وَتَهَيُّأٍ نَاسٍ كَثِيرٍ لِلْهَرَبِ، فَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَتْ الْبَرِيدِيَّةُ وَأَخْبَرُوا النَّاسَ بِصُورَةِ مَا وَقَعَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ وَآخِرِهِ، فَتَرَجَعَ النَّاسُ وَفَرِحُوا فَرَحًا شَدِيدًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

ثُمَّ دَخَلَ السُّلْطَانُ إِلَى دِمَشْقَ^(٢) «يَوْمَ الْجُمُعَةِ»^(٣) الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْأَسَازِي، بِأَيْدِيهِمُ الرِّمَاحُ عَلَيْهَا شَعْفُ^(٤) رُءُوسِ الْقَتْلَى مِنْهُمْ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَمَعَ السُّلْطَانِ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِ سُتْقَرِ الْأَشْقَرِ؛ مِنْهُمْ عَلَمُ الدِّينِ الدَّوَادَارِيُّ، فَنَزَلَ السُّلْطَانُ بِالْقَلْعَةِ مُؤَيَّدًا مَنُصُورًا، وَقَدْ كَثُرَتْ لَهُ الْحُبَّةُ وَالْأَذْعِيَّةُ، وَكَانَ سُتْقَرُ الْأَشْقَرِ قَدْ وُدَّعَ السُّلْطَانُ مِنْ حِمَصَ، وَرَجَعَ إِلَى صِهْيُونَ، وَأَمَّا التَّتَرُ فَإِنَّهُمْ انْهَزَمُوا فِي أَسْوَأِ حَالٍ وَأَتْعَسِيهِ؛ يُتَخَطَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَيُقْتَلُونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْفُرَاتِ، فَغَرِقَ أَكْثَرُهُمْ، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْبِيرَةِ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَسَرُوا آخَرِينَ، وَالْجِيُوشُ فِي آثَارِهِمْ يَطْرُدُونَهُمْ عَنِ الْبِلَادِ، حَتَّى أَرَاهُ اللَّهُ مِنْهُمْ النَّاسَ.

وَقَدْ اسْتُشْهِدَ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ سَادَاتِ الْأَمْرَاءِ؛ مِنْهُمْ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ الْحَاجُّ عَزَّ الدِّينُ أَرْذَمَرُ الْجَمْدَارُ^(٥)، وَهُوَ الَّذِي جَرَحَ مَلِكَ التَّتَارِ يَوْمَئِذٍ مَنُكُوتَمَرُ،

(١) فِي الْأَصْلِ: «يَمْلِكُ».

(٢ - ٣) سَقَطَ مِنْ: م.

(٣) فِي م: «شَقَفَ». وَالشَّعْفُ: جَمْعُ الشَّعْفَةِ، وَهِيَ الْخُصْلَةُ فِي أَعْلَى الرَّأْسِ. انْظُرْ تَاجَ الْعُرُوسِ (ش ع ف).

(٤) الْحَاجُّ: مَنْ أَلْقَابَ مَقْدُمِي الدَّوْلَةِ وَمُهْتَارِيهِ الْبُيُوتِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ حَجَّ. وَالْجَمْدَارُ:

هُوَ الَّذِي يَتَصَدَّى لِلْبِلَاسِ السُّلْطَانِ أَوْ الْأَمِيرِ ثِيَابَهُ، وَأَصْلُهُ جَامَا دَارَ فَحَذَفَتِ الْأَلْفَ بَعْدَ الْجِيمِ وَبَعْدَ الْمِيمِ

اسْتَقْلَالًا وَقِيلَ جَمْدَار. صَبَحَ الْأَعْمَشِيُّ ٤٥٩/٥، ١١/٦.

فإنه خاطر بنفسه ، وأوهم أنه مُقَفَّرٌ إليه ، وقلب رمحه حتى وصل إليه ، فطعنه فجرّحه ، فقتلوه ، رحمه الله تعالى ، ودُفِنَ بالقربِ من مشهدِ خالده .

وخرج السلطانُ من دمشق قاصداً الديارَ المصرية يومَ الأحدِ ثانى شعبانَ ، والناسُ يدْعُون له ، [٩٣/١٠] وخرج معه علّم الدين الدّوّاداريّ ، ثم عاد من غَزّة ، وقد ولّاه الشَّدَّ^(١) فى الشام والنظرَ فى المصالح ، ودخل السلطانُ إلى مصر فى^(٢) ثانى عشر^٢ شعبانَ .

وفى سلخِ شعبانَ وُلّى قضاءَ مصرَ والقاهرةَ للقاضى وَجِيه الدين البهنسِيّ الشافعيّ .

وفى يومِ الأحدِ سابعِ رمضانَ فُتِحَت المدرسةُ الجَوْهرِيّةُ بدمشقَ فى حياةِ مُنشيئِها وواقفِها الشيخِ نجمِ الدينِ محمدِ بنِ عباسِ بنِ أبى المكارمِ التّيميّ الجوهريّ ، ودُرِّس بها قاضى الحنفية حُسامُ الدينِ الرازى .

وفى بُكرةِ يومِ السبتِ التاسعِ والعشرينِ من شعبانَ وَقَعَت مِثْدَنَةُ مدرسةِ أبى عمرَ بقاسيونَ على المسجدِ العتيقِ ، فمات شخصٌ واحدٌ ، وسَلَّمَ اللهُ تعالى بقيةَ الجماعةِ .

وفى عاشرِ رمضانَ وَقَعَ بدمشقَ ثلجٌ عظيمٌ وبَرَدٌ كثيرٌ مع هَواءٍ شديدٍ ، بحيثُ إنه اِرْتَفَعَ عن الأرضِ نحوًا من ذراعٍ ، وفَسَدَت الخَصْراواتُ ، وتَعَطَّلت على الناسِ معاشُ كثيرةٌ .

(١) فى م : « المشد » .

(٢ - ٢) فى نهاية الأرب ٣٦/٣١ : « الثانى والعشرين » .

وفى شوالٍ وصل صاحب سنجارٍ إلى دمشق مُقْفِرًا مِنَ التَّارِ داخلاً فى طاعة السلطان بأهله وماله ، فتلقاه نائب البلد ، وأكرمه وسيّره إلى مصر مُعَزَّزًا مُكْرَّمًا .

وفى شوالٍ عُقِدَ مجلسٌ بسببِ أهلِ الذِّمَّةِ مِنَ الكُتَّابِ الَّذِينَ كانوا قد أسلموا كُرْهًا ، وقد كَتَبَ لَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفْتِينَ بأنهم كانوا مُكْرَهِينَ ، فلهم الرجوعُ إلى دينهم ، وأُثِّبَ الإِكْرَاهُ بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِي جَمَالِ الدِّينِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ الْمَالِكِيِّ ، فعاد أكثرُهم إلى دينهم ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْجَزْيَةُ كما كانوا ، سوَّدَ اللَّهُ وجوههم يَوْمَ تَبَيَّنَ وَجُوهٌ وَتَسَوَّدَ وَجُوهٌ . وقيل : إنهم غرِموا مالًا جزيلاً ، جملةً مُسْتَكْتَرَةً على ذلك ، قَبَّحَهُمُ اللَّهُ .

وفى ذى القَعْدَةِ قبض السلطانُ على أَيْتُمُش السَّعْدِيِّ ، وسجنه بقلعة الجبل ، وقبض نائبه بدمشق على سيف الدين بَلْبَانَ الهَارُونِيَّ وسجنه بقلعتها .

وفى بُكْرَةِ الْخَمِيسِ التَّاسِعِ^(١) والعشرين من ذى القَعْدَةِ ، وهو العاشر^(٢) من آذارَ ، اسْتَشْفَى النَّاسُ بِالْمُصَلَّى بدمشقَ ، فَشَقُّوا بَعْدَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ . وفى هذه السَّنَةِ أَخْرَجَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ جَمِيعَ آلِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ وَالْحُدَّامِ مِنَ الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى الْكَرْكِ لِيَكُونُوا فى كَنَفِ الْمَلِكِ الْمَسْعُودِ خَضِرِ بْنِ الظَّاهِرِ .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أَبْعَا مَلِكُ التَّتَرِ بْنِ هُولَاكُوكَانَ بْنِ تُولِي بْنِ جِنْكُزْخَانَ^(٣) ، كان عَالِي الْهِمَّةِ ،

(١) فى ذيل مرآة الزمان ٩٩/٤ : « الثامن » .

(٢) فى المصدر السابق : « الثانى عشر » .

(٣) تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور لابن عبد الظاهر ص ٢ ، وذيل مرآة الزمان ٤/١٠٠ ، والعبر ٣٢٨/٥ ، والوافى بالوفيات ١٨٧/٦ ، والسلوك ٧٠٤/١ (القسم الثالث) ، وشذرات الذهب ٣٦٦/٥ .

بعيد الغور، له رأي وتديير، وبلغ من العمر خمسين سنة، ومدة ملكه ثمانى عشرة سنة، ولم يكن بعد والده فى التدبير والحزم مثله، ولم تكن وقعة حمص هذه برأيه ولا عن مشورته، ولكن أخوه منكوتر أحب ذلك، فلم يخالفه.

ورأيت فى بعض تواريخ البغادة أن قدوم منكوتر إلى الشام إنما كان عن مكاتبة سنقر الأشقر إليه. فالله أعلم. وقد جاء أبنا هذا بنفسه فنزل قريبًا من الفرات لينظر ماذا يكون من الأمر، فلما جرى عليهم ما جرى ساء ذلك، ومات عمًا وحزنًا. توفى بين العيدين من هذه السنة، وقام فى الملك بعده ولده^(١) السلطان أحمد.

قاضى القضاة نجم الدين أبو بكر بن قاضى القضاة صدر الدين أحمد بن قاضى القضاة شمس الدين يحيى بن هبة الله بن الحسين بن يحيى بن محمد ابن [٩٣/١٠] على الشافعى، ابن سنى الدولة^(٢)، ولد سنة ست عشرة وستمائة، وسمع الحديث، وبرع فى المذهب، وناب عن أبيه وشكرت سيرته، واستقل بالقضاء فى الدولة المظفرية، فحمد أيضًا، وكان الشيخ شهاب الدين ينال منه ومن أبيه^(٣)، وقال البيهزالي: كان شديدًا فى الأحكام متحرًا، وقد أُرِم بالمقام بمصر، فدرس بجامع مصر، ثم عاد إلى دمشق، فدرس بالأمينية والركنية، وبأشر قضاء حلب، وعاد إلى دمشق، وولاه سنجر قضاء دمشق، ثم عزل بابن خلكان كما تقدم، ثم كانت وفاته يوم الثلاثاء ثامن المحرم، ودُفن من

(١) كذا فى الأصل، م. والصواب أنه أخوه. وانظر ترجمته فى ذيل مرآة الزمان ٢١١/٤، والوفى بالوفيات ٢٢٧/٨، والعبر ٣٤٢/٥.

(٢) ذيل مرآة الزمان ١٢٣/٤، ونهاية الأرب ٨٤/٣١، والعبر ٣٣٠/٥، والوفى بالوفيات ١٢٩/٢، وتذكرة النية ٦٦/١، والسلوك ٧٠٤/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢٩٠/٢، وشذرات الذهب ٣٦٧/٥.

(٣) انظر الذيل على الروضتين ص ٢١٤، ٢١٥.

الغدِ يومَ تاشوعاءَ بثرية جدّه بقاسيونَ .

وفى عاشرِ المحرمِ تُوفّي قاضى القضاة صدرُ الدينِ عمرُ بنُ القاضى تاج الدينِ عبد الوهابِ بنِ خلفِ بنِ أبى القاسمِ الغلاميّ^(١) ، ابنُ بنتِ الأعزِّ المصرى ، كان فاضلاً بارعاً عارفاً بالمذهبِ ، مُتَحَرِّياً فى الأحكامِ كأبيه ، ودُفِنَ بالقرافة .

الشيخُ إبراهيمُ بنُ سعيدِ الشاغورى المؤلِّهُ المعروفُ بالجيعانة^(٢) ، كان مشهوراً بدمشقَ ، ويُذكرُ له أحوالٌ ومُكاشفاتٌ على ألسنةِ العوامِّ ومَن لا يَعْقِلُ ، ولم يَكُنْ مَن يُحافظُ على الصَّلواتِ ، ولا يصومُ مع الناسِ ، ومع هذا كان كثيرٌ مِنَ العوامِّ وغيرهم يَعتَقِدونه ! تُوفّي يومَ الأحدِ سابعِ جمادى الأولى ، ودُفِنَ بتربةِ المؤلَّهين بسفحِ قاسيونَ عندَ الشيخِ يوسفَ القميينيّ^(٣) ، وقد تُوفّي الشيخُ يوسفُ قبلَه بمدة ، وكان الشيخُ يوسفُ يَشْكُنُ قَمِينَ حمامِ نورِ الدينِ الشهيدِ بالبزوريينَ ، وكان يَجْلِسُ على النّجاساتِ والقَدَرِ ، وكان يَلْبَسُ ثياباً بدائيةً تَجَحُّفُ على النّجاساتِ فى الأزقة ، وكان له قَبُولٌ مِنَ الناسِ ومحبةٌ وطاعةٌ ، وكان العوامُّ يُغالونَ فى محبتهِ واعتقادِهِ ، وكان لا يُصَلِّي ولا يَتَّقَى نَجاسةً ، ومَن جاءه زائراً جَلَسَ عندهُ بالقَمِينِ على النّجاسة ، وكان العوامُّ يَذْكُرُون له مُكاشفاتِ

(١) فى الأصل : « الغلامى » . ولعله تصحيف ، وفى م : « الغلامى » . والمثبت من مصادر ترجمته : ذيل مرآة الزمان ١١٩/٤ ، والعبر ٣٢٩/٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣١٠/٨ ، وتذكرة النبيه ١/٦٧ ، والسلوك ٦٨٧/١ ، ٧٠٤ (القسم الثالث) ، وشذرات الذهب ٣٦٧/٥ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ١٠٠/٤ - وفيه : « المولد المعروف بجيعانة » - والعبر ٣٢٨/٥ ، والنجوم الزاهرة ٧/٣٤٨ ، وشذرات الذهب ٣٦٦/٥ .

(٣) فى م : « القميينى » . وتقدمت ترجمته فى صفحة ٣٩٠ فى وفيات سنة سبع وخمسين وستمائة .

وكرامات ، وكل ذلك خرافات من خرافات العوام وأهل الهذيان ، كما يعتقدون ذلك في غيره من الجانين والمولَّهين . ولما مات الشيخ يوسف القميني خرج في جنازته خلق كثير من العوام وغيرهم ، وكانت جنازته حافلة بهم ، وحمل على أعناق الرجال إلى سفح قاسيون ، وبين يديه غوغاء وغوش كثير وتهليل وأمور لا تجوز من فعل العوام ، حتى جاءوا به إلى تربة المولَّهين بقاسيون فدفنوه بها ، وقد اعتنى بعض العوام بقبره ، فعمل عليه حجارة منقوشة ، وعمل على قبره سقفاً مقرونصاً^(١) بالدَّهَانِ وأنواعه ، وعمل عليه مقصورة وأبواباً ، وغالى فيه مغالاة زائدة ، ومكث هو وجماعة مجاورون عند قبره مدة في قراءة وتهليل ، ويطلب لهم الطيبخ فيأكلون ويشربون هناك . والمقصود أن الشيخ إبراهيم الجيعانة لما مات الشيخ يوسف القميني جاء من الشاغور إلى باب الصغير في جماعة من أتباعه ، وهم في ضراخ وضجة وغوش كثير ، وهم يقولون : أذن لنا في دخول البلد ، أذن لنا في دخول البلد . يكررون ذلك ، فقليل له في ذلك ، فقال : لى عشرون سنة ما دخلت داخل سور^(٢) دمشق ؛ لأننى كلما أتيتُ باباً [١٠/٩٤٠] من أبوابها أجد هذا السبع رابضاً بالباب ، فلا أستطيع الدخول خوفاً منه ، فلما مات أذن لنا في الدخول . وهذا كله تزويج على الطغام والعوام من الهَمَجِ الرَّعاع ، الذين هم أتباع كل ناعق ، وقيل : إن الشيخ يوسف كان يرسل إلى الجيعانة مما يأتيه من الفتوح . والله سبحانه أعلم بأحوال عباده ، وإليه المُنْقَلَبُ والمآبُ ، وعليه الحساب .

(١) سقف مقرنس - بالسين - عُمل على هيئة السُّلَم . تاج العروس (قرنس ، قرنس) .

(٢) فى الأصل : « صور » .

وقد ذكرنا أنه استشهد في وقعة حمص جماعة من الأمراء منهم الأمير عز الدين أزدمر السلحدار^(١) عن نحو من ستين سنة، وكان من خيار الأمراء، وله همّة عالية ينبغي أن ينال بها مكانًا عاليًا في الجنة.

قاضى القضاة تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى العامري الحموي الشافعي^(٢)، وُلد سنة ثلاث وستمائة، وقد سمع الحديث، وانتفع بالشيخ تقي الدين بن الصلاح، وأمّ بدار الحديث مدة، ودرّس بالشامية، وولى وكالة بيت المال بدمشق، ثم سار إلى مصر، فدرّس بها بعدة مدارس، وولى الحكم بها، وكان مشكورًا، تُوفّي ليلة الأحد ثالث رجب منها، ودُفن بالمقطم.

وفي يوم السبت الرابع والعشرين من ذى القعدة تُوفّي الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك الزاهر محيي الدين داود بن الملك المجاهد^(٣) أسد الدين شيركوه بن الناصر ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي بن صاحب حمص، ودُفن بترتيم بقايسون.

وفي ذى القعدة تُوفّي الشيخ جمال الدين الإسكندري الحاسب بدمشق، وكان له مكتب تحت منارة فيروز^(٤)، وقد انتفع به خلق كثير، وكان شيخ

(١) في م: «السلحداري». وتقدم في صفحة ٥٧٦ أنه جمدار. وانظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٤/١٠٥، ونهاية الأرب ٣١/٣٧، والعبر ٥/٣٢٨، والوافي بالوفيات ٨/٣٧٠، والنجوم الزاهرة ٧/٣٤٩، وشذرات الذهب ٥/٣٦٦.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/١٢٤، والعبر ٥/٣٣١، وتذكرة الحفاظ ٤/١٤٦٥، والوافي بالوفيات ٣/١٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٤٦، والسلوك ١/٧٠٤ (القسم الثالث)، والدليل الشافعي ٢/٦١٦.

(٣) بعده في م: «بن». وانظر مصادر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٤/١٢٨، وعقد الجمان ٢/٢٩١.

(٤) في م: «كيروز».

الحِسَابِ فِي وَقْتِهِ ، رَجِمَهُ اللَّهُ .

(١) الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْإِمَامِ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ عَتِيقِ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَشِيقِ الرَّبْعِيِّ الْمَالِكِيِّ الْمَصْرِيِّ ، وَدُفِنَ بِالْقَرَّافَةِ ، وَكَانَتْ لَهُ جِنَازَةٌ
حَافِلَةٌ ، وَقَدْ كَانَ فَقِيهًا مُفْتِيًّا ، سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَبَلَغَ خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً .

وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ تُوفِّيَ الصَّدْرُ الْكَبِيرُ
(٢) شَمْسُ الدِّينِ (٢) أَبُو الْغَنَائِمِ الْمُسْلِمُ بْنُ (٣) مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسْلِمِ بْنِ (٣) مَكِّيِّ بْنِ خَلْفِ
بْنِ عَلَّانٍ (٤) الْقَيْسِيُّ الدَّمَشَقِيُّ ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ ، وَكَانَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ
الْكِبَارِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ ، وَقَدْ وَلِيَ نَظَرَ الدَّوَاوِينِ بِدَمَشَقَ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ
كُلَّهُ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَكِتَابَةِ الْحَدِيثِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ سَرِيعًا ؛ يَكْتُبُ فِي الْيَوْمِ
الْوَاحِدِ ثَلَاثَ كَرَارِيْسَ ، وَقَدْ أَسْمَعَ « مَسْنَدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ » ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَحَدَّثَ
« بِصَحِيحِ مُسْلِمٍ » وَ « جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ » وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَسَمِعَ مِنْهُ الْبُزْزَالِيُّ وَالْمِزِّيُّ
وَابْنُ تَيْمِيَّةَ ، وَدُفِنَ مِنْ يَوْمِهِ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ عَنْ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، رَجِمَهُمُ اللَّهُ
جَمِيعًا .

الشَّيْخُ صَفِيُّ الدِّينِ (٥) أَبُو الْقَاسِمِ (٥) بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ التَّيْمِيِّ
الْحَنْفِيُّ ، شَيْخُ الْحَنْفِيَّةِ بَيْصَرَى ، وَمَدْرَسُ الْأَمِينِيَّةِ بِهَا مَدَّةَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ ، كَانَ

(١) فِي الْأَصْلِ ، م ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٢ / ٢٩١ : « عَيْسَى » . وَالمُثَبَّتُ مِنْ مَصَارِ تَرْجُمَتِهِ ؛ نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣١ / ٨٤ ، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٣ / ١٩ ، وَالدِّيَاجِ الْمَذْهَبِ ٢ / ٣٢٢ ، وَالدَّلِيلُ الشَّافِي ٢ / ٦١٦ .

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : م . وَانْظُرْ مَصَادِرَ تَرْجُمَتِهِ فِي : ذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٤ / ١٢٥ ، وَالْعَبَرُ ٥ / ٣٣٢ ، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١ / ٦٩ ، وَالسَّلُوكُ ١ / ٧٠٥ (الْقِسْمُ الثَّلَاثُ) ، وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٧ / ٣٥٣ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٥ / ٣٦٩ .

(٣) سَقَطَ مِنْ : م .

(٤) فِي م : « غِيلَان » .

(٥ - ٥) فِي ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٤ / ١٢٠ : « الْقَاسِمُ » . وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ أَيْضًا فِي الْجَوَاهِرِ الْمُضْيَةِ ٤ / ١١٣ .

بارعًا فاضلاً عالماً عابداً مُتَقَطِّعًا عن الناس، وهو والدُ قاضى القضاة صدر الدين
على، وقد عُمر دهرًا طويلًا، فإنه وُلِدَ فى سنة^(١) ثلاثٍ وثمانين وخمسمائة^(٢)،
وتُوفى ليلةَ نصفِ شعبانٍ من هذه السنةِ عن سبعٍ^(٣) وتسعين سنةً، رَحِمَهُ اللهُ
تعالى.

(١ - ١) فى ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٢٠: «ثمان وستمائة».
(٢) فى الأصل، م: «تسع». والمثبت من الجواهر المضية.

ثم دَخَلَتْ سنة إحدى وثمانين وستمائة^(١)

استَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ بأمرِ الله ، والسلطانُ الملكُ المنصورُ قلاوون .

[٩٤/١٠٠] وفيها أُرْسِلَ مَلِكُ التَّتَرِ أَحْمَدُ إِلَى الملكِ المنصورِ يَطْلُبُ منه المصالحةَ وَحَقْنَ الدماءِ فيما بَيْنَهُم ، وجاءَ في الرِّسَالَةِ الشَّيْخُ قُطُبُ الدِّينِ الشَّيرَازِيُّ أَحَدُ تَلَامِيذِ النَّصِيرِ الطُّوسِيِّ ، فَأَجابَ المنصورُ إِلَى ذلك ، وَكُتِبَتْ المَكاتِبُ إِلَى مَلِكِ التَّتَرِ بِذلك .

وفي مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ قبَضَ السلطانُ على الأميرِ الكبيرِ بدرِ الدينِ بَيْسَرِي السَّعْدِيِّ ، وعلى الأميرِ علاءِ الدينِ السَّعْدِيِّ الشَّمْسِيِّ أيضًا .

وفيها^(٢) دَرَسَ القاضِي بدرُ الدينِ بَنُ جماعةً بالقَيْمُورِيَّةِ ، والشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ الصَّفِيِّ الحَرِيرِيُّ بالفَرْخُشاهِيَّةِ^(٣) ، وَعَلَاءُ الدِّينِ بَنُ الرِّمْلَكَانِيِّ بِالْأَمِينِيَّةِ .

وفي يومِ الاثْنَيْنِ الحادِي عَشَرَ مِنْ رَمْضَانَ وَقَعَ حَرِيقٌ بِاللَّبَّادِينِ^(٤) عَظِيمٌ ، وَحَضَرَ نائِبُ السُّلْطَنَةِ إِذْ ذاكَ الأميرُ حُسَّامُ الدِّينِ لاجِنُ السَّلْحَدَارِ وَجماعةٌ كَثيرةٌ

(١) ذيل مرآة الزمان ١٤١/٤ - ١٤٩ ، ونهاية الأرب ٨٧/٣١ ، ٩٢ ، وكنز الدرر ٢٤٩/٨ - ٢٦٠ ، والعبر ٣٣٣/٥ ، وتذكرة النبيه ٧٢/١ - ٧٥ ، والسلوك ٧٠٦/١ - ٧١١ (القسم الثالث) .

(٢) الدارس ١٩١/١ ، ٥٦٤ .

(٣) في م : « بالسرحانية » .

(٤) اللبادين : موضع بدمشق مشرف على باب جَيُّون . معجم البلدان ٣٤٥/٤ .

من الأمراء، وكانت ليلة هائلة جدًا وقى الله تعالى شرّها، واستدرك بعد ذلك أمرها القاضي محيي^(١) الدين بن النّحاس ناظر الجامع، فأصلح الأمر، وسدّ وأعاد البناء أحسن مما كان، ولله الحمد والمنّة.

ومن تُوفّي فيها من الأعيان :

الشيخ الصالح بقيّة السلف بزهان الدين أبو إسحاق بن الشيخ صفّي الدين أبي الفدا إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوى بن الرّضّى الحنفى^(٢)، إمام العزّيّة^(٣) بالكُشك. وسمع من جماعة منهم الكندى وابن الحرّستاني، ولكن لم يظهروا سماعه منهما إلا بعد وفاته، وقد أجاز له أبو جعفر^(٤) الصّيدلانى وعفيفة الفارقانية وابن المنادى، وكان رجلاً صالحاً مُحِبّاً لإسماع الحديث، كثير البرّ بالطلبة له، وقد قرأ عليه الحافظ جمال الدين المزيّ «مُعْجَم الطَّبْرَانِيّ الكبير»، وسمعه منه بقراءة الحافظ البيهزاليّ وجماعة كثيرون. وكان مولده في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وتُوفّي يوم الأحد سابع صفر، وهو اليوم الذى قدّم فيه الحُجّاج إلى دمشق من الحجاز، وكان هو معهم، فمات بعد استقرّاره بدمشق.

القاضي أمين الدين الأُشترى^(٥) أبو العباس أحمد بن شمس الدين أبي

(١) فى م : « نجم ».

(٢) ذيل مرآة الزمان ١٤٨/٤، والعبر ٣٣٥/٥، والوافى بالوفيات ٣٢٧/٥، والجواهر المضية ٧٢/١، والمنهل الصافى ٣٧/١، والنجوم الزاهرة ٣٥٦/٧.

(٣) فى م : « المعزية ». والمراد بالعزية : المدرسة العزية الجوانية، نسبة إلى عز الدين أيلك المعظمى. انظر الدارس ٥٥٥/١.

(٤) فى م : « نصر ».

(٥) ذيل مرآة الزمان ١٦٥/٤، والعبر ٣٣٤/٥، والوافى بالوفيات ١٢٤/٧، وطبقات الشافعية للإسنوى ٤٥٤/١، والدليل الشافى ٥٥/١.

بكر عبد الله بن محمد بن عبد الجبار بن طلحة الحلبي، المعروف بالأشترى، الشافعي المحدث، سميع الكثير وحصل، ووقف أجزاء بدار الحديث الأشرفية. ^(١) توفى بالخائفة الأندلسية يوم الخميس الرابع والعشرين من ربيع الأول عن ست وستين سنة^(٢)، وكان الشيخ محب الدين التويثي ثني عليه، ويُرسل إليه الصبيان ليقرءوا عليه في بيته؛ لأمانته عنده وصيانيته وديانته.

الشيخ بزهان الدين أبو الشاء محمود بن عبد الله بن عبد الرحمن المرائي الشافعي^(٣)، مدرّس الفلكية، كان فاضلاً بارعاً، عُرض عليه القضاء فلم يقبل، توفى يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر عن ست وسبعين سنة، وسميع الحديث وأسمعه، ودرّس بعده بالفلكية القاضي بهاء الدين بن الزكي.

القاضي الإمام العلامة شيخ القراء زين الدين أبو محمد عبد السلام ابن علي بن عمر الزواوي المالكي^(٤)، قاضي قضاة المالكية بدمشق، وهو أول من باشر القضاء بها، وعزل نفسه عنه تورّعاً وزهاده، واستمرّ بلا ولاية ثمان سنين، ثم كانت وفاته ليلة الثلاثاء ثامن رجب منها عن ثلاث وثمانين سنة، وقد سميع الحديث، واشتغل [٩٥/١٠] على السخاوي وابن الحاجب.

الشيخ صلاح الدين محمد بن القاضي شمس الدين علي بن محمود بن

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) ذيل مرآة الزمان ١٧٧/٤، والعبر ٣٣٦/٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٦٩/٨، وتذكرة النبيه ٧٧/١، والسلوك ٧١١/١ (القسم الثالث)، والنجوم الزاهرة ٣٥٦/٧، والدارس ٢٢٢/١، ٤٣٢.

(٣) ذيل مرآة الزمان ١٧٣/٤، ونهاية الأرب ٩٢/٣١، والعبر ٣٣٥/٥، والوافي بالوفيات ٤٣١/١٨، ومرآة الجنان ١٩٧/٤، وتذكرة النبيه ٧٦/١، والدليل الشافعي ٤١٣/١، وغاية النهاية ٣٨٦/١، وشذرات الذهب ٣٧٤/٥.

علي^(١) الشَّهْرُزُورِيُّ، مدرِّسُ الْقَيْمُومِيَّةِ وابنُ مُدَرِّسِهَا، تُوفِّيَ فِي أَوَاخِرِ رَجَبٍ، وَتُوفِّيَ أَخُوهُ شَرْفُ الدِّينِ بَعْدَهُ بِشَهْرٍ، وَدَرَّسَ بِالْقَيْمُومِيَّةِ بَعْدَ الصَّلَاحِ الْمَذْكُورِ الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ.

ابْنُ خَلِّكَانَ قَاضِي الْقَضَاةِ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خَلِّكَانَ الْإِزْبِلِيِّ الشَّافِعِيِّ^(٢)، أَحَدُ الْأُئِمَّةِ الْفُضَّلَاءِ، وَالسَّادَةِ الْعُلَمَاءِ، وَالصُّدُورِ الرَّؤُوسَاءِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَدَّدَ فِي أَيَّامِهِ قَضَاةَ الْقَضَاةِ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ، فَاسْتَقْبَلُوا^(٣) بِالْأَحْكَامِ بَعْدَ مَا كَانُوا نُوَابِإًا لَهُ، وَقَدْ كَانَ الْمُنْصِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ الصَّبَائِغِ ذُوْلًا؛ يُعَزَّلُ هَذَا تَارَةً وَيُوَلَّى هَذَا، وَيُعَزَّلُ هَذَا وَيُوَلَّى هَذَا، وَقَدْ دَرَّسَ ابْنُ خَلِّكَانَ فِي عِدَّةِ مَدَارِسَ لَمْ تُجْمَعْ لغيرِهِ، وَلَمْ يَتَّقَ مَعَهُ فِي آخِرِ وَقْتِهِ سِوَى الْأَمِينِيَّةِ، وَبَيَّدَ ابْنَهُ كَمَالُ الدِّينِ مُوسَى النَّجِيبِيَّةُ. تُوفِّيَ ابْنُ خَلِّكَانَ بِالْمَدْرَسَةِ النَّجِيبِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ بِأَيَّانِهَا يَوْمَ السَّبْتِ آخِرَ النَّهَارِ، فِي السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِسَفْحِ قَاسِيُونٍ عَنْ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَقَدْ كَانَ يُنْظَمُ نَظْمًا حَسَنًا رَاقِيًا، وَقَدْ كَانَتْ مُحَاضَرَتُهُ فِي غَايَةِ الْحَسَنِ، وَلَهُ التَّارِيخُ الْمُفِيدُ الَّذِي رَسَمَهُ «بُوفَيَاتِ الْأَعْيَانِ» مِنْ أَبْدَعِ الْمُصَنَّفَاتِ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

(١) بعده في الأصل: «بن محمود بن» وانظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ١٧٥/٤، والوافي بالوفيات ١٩٠/٤، والدارس ٤٤٣/١.

(٢) ذيل مرآة الزمان ١٤٩/٤، ونهاية الأرب ٩٣/٣١، وكنز الدرر ٢٦٠/٨، والعبر ٣٣٤/٥، وفوات الوفيات ٤٢٠/٢، والوافي بالوفيات ٣٠٨/٧، ومرآة الجنان ١٩٣/٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٣/٨، والسلوك ٧١١/١ (القسم الثالث)، والدارس ١٩١/١.

(٣) في م: «فاشتغلوا».

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وستمائة

فيها^(١) قديم الملك المنصور إلى دمشق في يوم الجمعة سابع رجب في أُبْهَةِ عظيمة، وكان يومًا مشهودًا.

وفيها ولي الخطابة بدمشق الشيخ عبد الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي، عوضًا عن محيي الدين بن الحرستاني الذي توفى فيها كما سيأتي، وخطب يوم الجمعة الحادى والعشرين من رجب من هذه السنة. وفي هذا اليوم قبل الصلاة احتيط على القاضي عز الدين بن الصائغ بالقلعة، وأثبت ابن الحضري نائب الحنفى مخضراً يتضمّن أن عنده وديعة بمقدار ثمانية آلاف دينار من جهة ابن الإشكاف، وكان الذى أثار ذلك شخص قديم من حلب يقال له: تاج الدين بن السنجاري. وولى القضاء بعده بهاء الدين يوسف بن محيي الدين بن الزكي، وحكم يوم الأحد ثالث وعشرين رجب، ومنع الناس من زيارة ابن الصائغ، وسعى فى إثبات مخضري آخر أن عنده وديعة بقيمة خمسة وعشرين ألف دينار للصالح إسماعيل بن أسد الدين، وقام فى ذلك ابن الشاكري والجمال بن الحموي وآخرون، وتكلموا فى قضية ثالثة، ثم عقد له مجلس ناله فيه شدة شديدة، وتعصبوا عليه، ثم أعيد إلى اعتقاله، وقام فى صفه نائب السلطنة حسام

(١) ذيل مرآة الزمان ١٧٩/٤ - ١٨٢، ونهاية الأرب ٩٥/٣١ - ١١٣، وكثر الدرر ٨/٢٦١، ودول الإسلام ١٨٥/٢، وتذكرة النبيه ٨٠/١، ٨١، والسلوك ٧١٢/١ (القسم الثالث).

الدين لاجين وجماعة من الأمراء، فكلموا فيه السلطان، فأطلقه وخرج إلى منزله، وجاء الناس إلى تهنئته يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان، وانتقل من العادلية إلى داره بدرج النقاشية، وكان عامته جلوسه في المسجد تجاه داره.

وفي رجب باشر حسبة دمشق جمال الدين بن صصري.

وفي شعبان درس الخطيب جمال الدين بن عبد الكافي بالغزالية عوضاً عن الخطيب بن الحرستاني، وأخذ منه [٩٥/١٠] الدوالية لكمال الدين بن التجار، الذي كان وكيل بيت المال، ثم أخذ شمس الدين الإربلي تدريس الغزالية من ابن عبد الكافي المذكور.

وفي آخر شعبان باشر نيابة الحكم عن ابن الزكي شرف الدين أحمد بن نعمة المقدسي أحد أئمة الفضلاء وسادات العلماء المصنفين، ولما توفى أخوه شمس الدين محمد في شوال ولي مكانه تدريس الشامية البرانية، وأخذت منه العادلية الصغيرة، فدرس فيها القاضي نجم الدين أحمد بن صصري التعلي في ذي القعدة، وأخذت من شرف الدين أيضاً الرواحية، فدرس فيها نجم الدين البياني نائب الحكم، رحمهم الله أجمعين.

ومن توفى فيها من الأعيان:

الصدر الكبير عماد الدين أبو الفضل^(١) محمد بن القاضي شمس الدين

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/١٩٨، ونهاية الأرب ٣١/١١٣، ودول الإسلام ٢/١٨٥، والوفى بالوفيات ١/٢٠١، وتذكرة النبيه ١/٨٢، والسلوك ١/٧١٨ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/٣١١، والنجوم الزاهرة ٧/٣٥٩، وشذرات الذهب ٥/٣٨٠.

أبى نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي، صاحب الطريقة المنسوبة في
الكتابة، سَمِعَ الحديث، وكان من رؤساء دمشق وأعيانها، تُوفِّي في صَفَرٍ منها.

شيخ الجبل الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام شمس الدين أبو محمد
عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة
الحنبلي^(١)، أول من ولي قضاء الحنابلة بدمشق - ثم تركه وتولاه ابنه نجم الدين -
وتدريس الأشرفية بالجبل، وقد سَمِعَ الحديث الكثير، وكان من علماء الناس
وأكثرهم ديانة في عصره وأمانه، مع هُذِي صالح وسميت حسن، وخشوع
ووقار. تُوفِّي ليلة الثلاثاء سَلَخَ ربيع الآخر من هذه السنة، عن خمس وثمانين
سنة، ودُفِن في مقبرة والده، رَحِمَهُمُ اللهُ.

ابن جفوان^(٢) العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عباس
ابن جفوان الأنصاري الدمشقي، المُحَدِّثُ الفقيه الشافعي البارُع في النحو
واللغة، سَمِعْتُ شيخنا تقي الدين ابن تيمية وشيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي
يقول كلُّ منهما للآخر: إن هذا الرجل قرأ «مسند الإمام أحمد» - وهما
يَسْمَعَان - فلم نَضْبِطْ عليه لَحْنَةً مُتَّفَقًا عليها. وناهيك بهذين ثناء على هذا،
وهما هما.

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/١٨٦، ونهاية الأرب ٣١/١١٦، والوفاء بالوفيات ١٨/٢٤١، وتذكرة النبيه
١/٨١، وذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٠٤، والسلوك ١/٧٢٠ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/٣١١،
والنجوم الزاهرة ٧/٣٥٨، والدارس ١/٤٩، وشذرات الذهب ٥/٣٧٦.

(٢) في م: «ابن أبي جفوان». وانظر مصادر ترجمته؛ ذيل مرآة الزمان ٤/١٩٧، والوفاء بالوفيات ١/
٢٠٣، وتذكرة النبيه ١/٨٤، وعقد الجمان ٢/٣١٢، والنجوم الزاهرة ٧/٣٦٠، وبغية الوعاة ١/
٢٢٤، وشذرات الذهب ٥/٣٨١.

الخطيبُ مُخَيِّ الدينِ محمدٌ^(١) بنُ الخطيبِ قاضي القضاةِ عمادِ الدينِ عبدِ الكريمِ بنِ قاضي القضاةِ جمالِ الدينِ بنِ الحرَّستاني الشافعي، خطيبُ دمشق ومدرسُ الغزالية، كان فاضلاً بارعاً، أفتى ودرَّس وولى الخطابة والغزالية بعد أبيه، وحضر جنازته نائبُ السلطنة وخلق كثير، تُوفِّي في جمادى الآخرة عن ثمان وستين سنة، ودُفِن بقاسيون.

وفي خامسِ رجبٍ تُوفِّي الأميرُ الكبيرُ ملكُ عربِ آلِ مِرَى^(٢) أحمدُ بنُ حَجَّي بمدينة بُصْرَى، وصُلِّي عليه بدمشق صلاةُ الغائب.

الشيخُ الإمامُ العالمُ شهابُ الدينِ عبدُ الحلِيمِ بنُ الشيخِ الإمامِ العلّامةِ مجدِّ الدينِ^(٣) «عبد السلام» بنِ عبدِ الله بنِ أبي القاسمِ بنِ تَيْمِيَّةَ الحرَّاني، والدُ شيخنا العلّامةِ العلّمِ تَقْيِ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ، مُفتي الفِرَقِ، الفارقُ بينَ الفِرَقِ، كانت له فضيلةٌ حسنةٌ، ولديه فوائدٌ كثيرةٌ، وكان له كُرْسِيٌّ بجامعِ دمشق يَتَكَلَّمُ عليه عن ظهرِ قلبه، ولى مَشِيخَةَ دارِ الحديثِ الشَّكْرِيَّةِ بالقَصَّاعين، وبها كان مسكنه، ثم درَّس ولدهُ الشيخُ تَقْيِ الدينِ بها بعده في السنةِ الآتية، كما سيأتى، ودُفِن بمقابرِ [٩٦/١٠] الصُّوفِيَّةِ، رَحِمَهُ اللهُ.

(١) فى الأصل، م: «يحيى». والمثبت من مصادر ترجمته؛ ذيل مرآة الزمان ١٩٦/٤، والعبر ٣٤٠، الوافى بالوفيات ٢٨٢/٣، وطبقات الشافعية للإسنوى ٤٤٧/١، وتذكرة النبيه ٨٦/١، والنجوم الزاهرة ٣٦٠/٧، والدليل الشافى ٧٧٦/٢، ومذنرات الذهب ٣٨٠/٥.

(٢) فى م: «مثرى»، وانظر مصادر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان ١٨٣/٤، ونهاية الأرب ١١٧/٣١، والوافى بالوفيات ٣٠٤/٦، والسلوك ٧٢١/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣١٤/٢ - وفيه: «ميرين» - والنجوم الزاهرة ٣٥٧/٧، والمنهل الصافى ٢٦٢/١، ومذنرات الذهب ٣٧٦/٥.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «عبد الله». والمثبت من مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ١٨٥/٤، والعبر ٣٣٨/٥، وتذكرة النبيه ٨٥/١، وذيل طبقات الحنابلة ٣١٠/٢، وعقد الجمان ٣١٣/٢، والنجوم الزاهرة ٣٦٠/٧، والدارس ٧٤/١، ومذنرات الذهب ٣٧٦/٥.

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وثمانين وستمئة^(١)

فى يوم الاثنين ثانى المحرم منها درّس الشيخ الإمام العالم العلامة العَلَمُ تَقَى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرّاني بدار الحديث الشكرية التى بالقصّاعين ، وحضر عنده قاضى القضاة بهاء الدين بن الزكّى الشافعى ، والشيخ تاج الدين الفزارى شيخ الشافعية ، والشيخ زين الدين ابن المرحّل ، وزين الدين بن المنجّ الحنبلى ، وكان درسًا هائلًا حافلًا ، وقد كتبه الشيخ تاج الدين الفزارى بخطّه لكثرة قوائده ، وكثرة ما استحسنه الحاضرون ، وقد أطنب الحاضرون فى شكره على حداثة سنّه وصغره ، فإنه كان عمره إذ ذاك عشرين سنة وستين . ثم جلس الشيخ تَقَى الدين المذكور أيضًا يوم الجمعة عاشر صفر بالجامع الأموى بعد صلاة الجمعة على منبرٍ قد هُبئى له لتفسير القرآن العزيز ، فابتدأ من أوله فى تفسيره ، وكان يجتمع عنده الخلق الكثير والجُم الغفير ، ومن كثرة ما كان يُورد من العلوم المتنوّعة المحرّرة مع الديانة والزّهادة والعبادة ، سارت بذكره الرُكبان فى سائر الأقاليم والبلدان ، واستمرّ على ذلك مدة سنين متطاولة .

وفىها قديم السلطان إلى دمشق من مصر يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة ، فجاء صاحب حمّة الملك المنصور إلى خدمته ، فتلّقه السلطان فى موكبِهِ وأكرّمه . فلما كان ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان وقع مطرٌ عظيمٌ

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٠١/٤ - ٢٠٦ ، ونهاية الأرب ١١٩/٣١ - ١٢٤ ، وكتر الدرر ٢٦٢/٨ - ٢٦٧ ، وتذكرة النبى ٨٨/١ - ٩٠ ، وعقد الجمان ٣٢٣/٢ - ٣٣١ .

بدمشق، ورَعْدٌ وَبَرْقٌ، وجاء سيلٌ عظيمٌ جدًا حتى كسرَ أَقْفَالَ بابِ الفَرَادِيسِ،
وازْتَفَعَ الماءُ ارتفاعًا كثيرًا، بحيث أَغْرَقَ خلقًا كثيرًا، وأخذَ جِمالُ الجِيشِ المِصرِيِّ
وأثقالُهم، فخرجَ السلطانُ إلى الدِيارِ المِصرِيَّةِ بعدَ ثلاثةِ أيامٍ، وتولَّى شَدَّ الدَّوَابِّ
الأميرُ شمسُ الدينِ سُنْقُرُ عَوْضًا عن الدَّوَادِرِيِّ عَلمِ الدينِ سَنَجَرٍ.

وفيها اِخْتَلَفَ التَّزُّرُ فيما بينَهم على ملكِهم السلطانِ أحمدَ، فعزَلوه عنهم
وقتلوه، وملَّكوا عليهم السلطانَ أرغونَ بنَ أَبْغَا، ونادَوْا بذلكَ في جيشِهم،
وتأطَّلتِ أحوالُهم، ومشتِ أمورُهم على ذلكَ، وبادتِ دولَةُ السلطانِ أحمدَ،
وقامتِ دولَةُ أرغونَ بنِ أَبْغَا.

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

الشيخُ طَالِبُ الرَّفَاعِيِّ^(١)، بقصرِ حَجَّاجٍ، وله زاويةٌ مشهورةٌ به، وكان
يُزُورُ بعضَ المريدِينَ فماتَ.

القاضي الإمامُ عَزُّ الدينِ أَبُو المَفَاخِرِ مُحَمَّدُ بْنُ شَرَفِ الدينِ عَبْدِ القَادِرِ بْنِ
عَفِيفِ الدينِ عَبْدِ الخَالِقِ بْنِ خَلِيلِ الأنصاريِّ الدمشقيِّ^(٢)، ولي قضاءَ القضاةِ
بدمشقَ مرتينِ، عُزِلَ به ابنُ خَلْكَانَ،^(٣) ثم عُزِلَ بابنِ خَلْكَانَ^(٤)، ثم عُزِلَ ابنُ
خَلْكَانَ به ثانيةً، ثم عُزِلَ وشُجِنَ ووُلِّيَ بعدهُ بهاءُ الدينِ بْنُ الرُّكِّيِّ، وبقيَ مَعْرُولًا
إلى أن تُوفِّيَ بِبُيُوتَانِهِ فِي تاسعِ ربيعِ الأولِ، وصُلِّيَ عليه بِسوقِ الخيلِ، ودُفِنَ
بِسَفْحِ قَاسِيُونِ، وكان مولدُهُ سنةَ ثمانٍ وعشرينِ وسِتِّمِائَةٍ، وكان مَشْكُورَ

(١) ذيل مرآة الزمان ٢١٤/٤، وعقد الجمان ٣٣٥/٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢٣٢/٤، والعبر ٣٤٤/٥، والوفاء بالوفيات ٢٧٠/٣، وطبقات الشافعية الكبرى

للسبكي ٧٤/٨، وتذكرة النبيه ٩١/١، وعقد الجمان ٣٣٣/٢.

(٣ - ٣) سقط من : م.

السيرة، له عقلٌ وتَدبِيرٌ واعتقادٌ كثيرٌ في الصالحين، وقد سَمِعَ الحديثَ،
 (١) وخرَجَ له ابنُ بَلْبَانَ مَشِيخَةً قَرَأَهَا ابنُ جَعْوَانَ (٢) عليه، ودرَّسَ بعَدَه بالعذراوية
 الشيخُ زَيْنُ الدينِ عمرُ بنُ مَكِّي بنِ المَرْحَلِ، وكيَلُ بيتِ المالِ، ودرَّسَ ابنُه مُحْيِي
 الدينِ أحمدُ بالعمادية وزاوية الكَلَّاسِيَةِ مِن جامعِ دمشق، ثم تُوفِّيَ ابنُه أحمدُ هذا
 بعَدَه في يومِ الأربعاءِ ثامنِ رَجَبٍ، فدرَّسَ بالدماغية والعمادية [٩٦/١٠ ظ] الشيخُ
 زَيْنُ الدينِ ابنُ الفَارِقِيِّ شيخُ دارِ الحديثِ، نيابةً عن أولادِ القاضي عزِّ الدينِ بنِ
 الصائغِ بدرِ الدينِ وعلاءِ الدينِ.

وفيهَا تُوفِّيَ: الملكُ السعيدُ فتحُ الدينِ عبدُ الملكِ بنُ الملكِ الصالحِ أبي
 الحسنِ إسماعيلَ ابنِ الملكِ العادلِ (٣) - وهو والدُ الملكِ الكاملِ ناصِرِ الدينِ
 محمدٍ - في ليلةِ الاثنينِ ثالثِ رمضانَ، ودُفِنَ مِنَ الغَدِ بتريةِ أمِّ الصالحِ، وكان
 مِن خِيَارِ الأُمَرَاءِ مُحْتَرَمًا كَبِيرًا رَئِيسًا، رَوَى «المَوْطَأُ» عن يحيى بنِ بُكَيْرٍ، عن
 مُكْرَمِ بنِ أَبِي الصَّقْرِ، وَسَمِعَ ابنُ اللَّيْثِ (٤) وغيره.

القاضي نجمُ الدينِ عمرُ بنُ نصرِ بنِ منصورِ البَيْهَقِيِّ (٥) الشافعيُّ، تُوفِّيَ في
 شَوَالٍ مِنْهَا، وكانَ فاضلاً، وَلِيَ قَضَاءَ زُرْعَ، ثم قَضَاءَ حَلَبَ، ثم نابَ في
 دمشقَ، ودرَّسَ بِالرَّوَاحِيَةِ، وبأشْرَها بعَدَه شمسُ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ نوحٍ

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) في م: «جفوان».

(٣) ذيلُ مَرَاةِ الزَّمانِ ٢٢٤/٤، ونهايةُ الأرب ١٢٢/٣١، وتذكرةُ النبيه ٩٤/١، وعقدُ الجمان ٢/٣٣٥، والدليلُ الشافِي ٤٢٩/١.

(٤) في م، وعقدُ الجمان: «الليثي».

(٥) في الأصل، م: «البهائي». والمثبت من مصادر ترجمته؛ تذكرةُ النبيه ٩٤/١، والسلوك ٧٢٧/١ (القسم الثالث)، وعقدُ الجمان ٣٣٤/٢، والدارس ٢٦٨/١.

المقدسى ، يومَ عاشرِ شوالٍ .

وفى هذا اليومِ تُوفِّي بحمّة ملكها الملكُ المنصورُ ناصرُ الدين محمدُ بنُ محمودِ بنِ عمرِ بنِ شاهنشاه^(١) بنِ أيوبَ ، وُلد سنة^(٢) ثنتين و^(٣) ثلاثين وستّمائة ، وتملك حمّة سنة ثنتين وأربعين وله عشرُ سنينَ ، فمكث فى الملكِ أزيدَ من أربعين سنةً ، وكان له بڑ وصدقاتُ ، وقد أعتق فى مرضِ موته خلقًا من الأرقاءِ ، وقام فى الملكِ بعده ولده الملكُ المظفرُ بتقليدِ الملكِ المنصورِ له بذلك .

القاضى جمالُ الدينِ أبو يعقوبَ يوسفُ بنُ عبدِ الله بنِ عمرِ الزواوى^(٣) ، قاضى قضاةِ المالكية ، ومدرّسُهم بعدَ القاضى زَيْنِ الدينِ الزّواوى الذى عزّل نفسه ، وقد كان يثوبُ عنه ، فاستقلَّ بعده بالحكم ، تُوفِّي فى الخامسِ من ذى القعدةِ وهو فى طريقِ الحجازِ ، وكان عالماً فاضلاً ، قليلَ التّكليفِ والتّكليفِ ، وقد شغّر المنصبَ بعده ثلاثَ سنينَ ، ودرّس بعده للمالكية الشيخُ جمالُ الدينِ الشّريشى ، وبعده أبو إسحاق اللّورى^(٤) ، وبعده بدرُ الدينِ أبو بكرِ التونسى^(٥) ، ثم لما وصل القاضى جمالُ الدينِ بنُ سليمانَ حاكماً درّس بالمدارسِ . والله سبحانه أعلم .

(١) فى الأصل ، م : « ملكشاه » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٢٣٦/٤ ، والعبر ٥/٣٤٥ ، والوافى بالوفيات ١١/٥ ، وتذكرة النبيه ٨٨/١ ، والسلوك ٧٢٦/١ (القسم الثالث) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى الأصل ، م : « الرازى » . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ ذيل مرآة الزمان ٢٣٩/٤ ، ونهاية الأرب ١٢٣/٣١ ، وعقد الجمان ٣٣٤/٢ ، والدليل الشافى ٨٠٢/٢ ، والدارس ٥/٢ .

(٤) فى الأصل ، وإحدى نسخ الدارس : « الكورى » . وانظر المشتبه ٥٦٠/٢ .

(٥) فى م : « البريسى » .

ثم دَخَلَتْ سنةٌ أربعٍ وثمانين وستَّماتية^(١)

فى أواخرِ المحرمِ قديمِ الملكِ المنصورِ إلى دمشقَ ومعه الجيوشُ، وجاء إلى خدمته صاحبُ حماة الملكُ المظفرُ بنُ المنصورِ، فتلَقَّاه بجميعِ الجيوشِ، وخلَعَ عليه خِلعةَ الملوكِ، ثم سافرَ السلطانُ بالعساكرِ المصريةِ والشاميةِ، فنزلَ المَرْقَبَ، ففتَحَ اللهُ عليهم فى يومِ الجمعةِ ثامنَ عشرَ صفرٍ، وجاءتِ البشارةُ بذلكِ إلى دمشقَ، فدَقَّتِ البشائرُ، وزُيِّنَتِ البلدُ، وفرحَ المسلمونَ بذلكِ؛ لأنَّ هذا الحصنَ كان مَضْرُوعاً على المسلمين، ولم يَتَّفِقْ فتحُه لأحدٍ من الملوكِ لا لصلاحِ الدين، ولا للظاهرِ، وفتحَ حوله بُلُنْيَاسَ ومَرْقِيَةَ^(٢)، وهى بلدةٌ صغيرةٌ إلى جانبِ البحرِ عندَ حصنٍ منيعٍ جدًّا، لا يَصِلُ إليه سَهْمٌ ولا حَجَرٌ مُنْجَنِيقٍ، فأرْسَلَ إلى صاحبِ طرابلسَ، فهَدَمَهُ تَقَرُّبًا إلى السلطانِ الملكِ المنصورِ، واستنقَذَ المنصورُ خلقًا كثيرًا من أسارى المسلمين الذين كانوا عندَ الفِرْنَجِ، ولِلَّهِ الحمدُ، ثم عادَ المنصورُ إلى دمشقَ، ثم سافرَ بالعساكرِ المصريةِ إلى القاهرةِ.

وفى أواخرِ جمادى الآخرةِ وُلِدَ للمنصورِ ولَدُهُ الملكُ الناصرُ مُحَمَّدُ بنُ قلاوونَ.

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٣٩/٤ - ٢٥٩، ونهاية الأرب ١٢٥/٣١ - ١٢٨، وكنز الدرر ٢٦٨/٨ - ٢٧٦،

وتذكرة النبيه ٩٦/١، ٩٧، وعقد الجمان ٣٣٧ - ٣٤٢.

(٢) فى م: «مرقب». وانظر معجم البلدان ٥٠١/٤.

وفيهَا غَزَلَ مُحْيَى الدِّينِ بَنُ النَّحَّاسِ عَنِ نَظَرِ الْجَامِعِ ، وَوَلِيَهُ عَزُّ الدِّينِ بَنُ مُحْيَى الدِّينِ بِنِ الزُّكَّيِّ ، [٩٧/١٠] وَبَاشَرَ ابْنُ النَّحَّاسِ الْوِزَارَةَ عَوَضًا عَنِ التَّقَى تَوْبَةَ التَّكْرِيْتِ ، وَطَلِبَ التَّقَى تَوْبَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَأَحِيطَ عَلَى أَمْوَالِهِ وَأَمْلَاكِه .

وَعَزَلَ سَيْفُ الدِّينِ طَوْغَانُ عَنْ وِلَايَةِ الْمَدِينَةِ ، وَبَاشَرَهَا عَزُّ الدِّينِ بَنُ أَبِي الْهَيْجَاءِ .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الشَّيْخُ عَزُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَدَّادٍ ^(١) ، تُوفِّيَ فِي صَفَرٍ ، وَكَانَ فَاضِلًا مَشْهُورًا ، لَهُ كِتَابُ « سِيرَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ » ، وَكَانَ مُعْتَنِيًا بِالتَّارِيخِ .

^(٢) الْبُنْدُقْدَارُ ^(٣) ، أَسْتَاذُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْتَرَسَ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ أَيْدِكِينَ ^(٢) الْبُنْدُقْدَارُ الصَّالِحِي ، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْأَمْرَاءِ ، سَامَحَهُ اللَّهُ ، تُوفِّيَ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْهَا ، وَقَدْ كَانَ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ صَادِرَ الْبُنْدُقْدَارِ هَذَا ، وَأَخَذَ مِنْهُ مَمْلُوكُهُ بَيْتَرَسَ ، فَأَضَافَهُ إِلَيْهِ لَشَهَامَتِهِ وَنَهَضَتِهِ ، فَتَقَدَّمَ عِنْدَهُ عَلَى أَسْتَاذِهِ وَغَيْرِهِ .

الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَابِدُ الزَّاهِدُ شَرْفُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْإِخْمِيمِيِّ ^(٤) ، كَانَتْ لَهُ جِنَازَةٌ هَائِلَةٌ ، وَدُفِنَ بِقَاسِيَوْنَ ، رَجِمَهُ اللَّهُ .

(١) ذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٢٧٠/٤ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٢٨/٣١ ، وَالْعَبْرُ ٣٤٩/٥ ، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ١٨٩/٤ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٣٤٣/٢ ، وَاسْمُهُ فِي ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ وَالْعَبْرِ : « مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ » .
(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ .

(٣) ذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٢٦٢/٤ ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٢٨/٣١ ، وَالْعَبْرُ ٣٤٨/٥ ، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٤٩١/٩ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٣٤٦/٢ ، وَالنَّهْلُ الصَّافِي ١٥٥/٣ .

(٤) ذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٢٧١/٤ ، وَالْعَبْرُ ٣٥٠/٥ - وَفِيهِ : « مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ حَسَنِ » - وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٣٥٣/٢ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٣٤٣/٢ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣٨٩/٥ .

ابن عامر المقرئ^(١)، الذى يُنسب إليه الميعاد الكبير، الشيخ الصالح المقرئ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عامر بن أبى بكر الغسولى الحنبلى، سَمِعَ الحديثَ مِنَ الشيخِ مُوقِّعِ الدينِ بنِ قُدامةَ وغيره، وكان يَعْمَلُ الميعادَ ليلةَ الأحد، فإذا فرغوا من ذلك دعا بهم ثم وعظهم. تُوفى يومَ الأربعاءِ حادى عَشَرَ جُمادى الآخرة، ودُفِنَ بالقربِ من تربةِ الشيخِ عبدِ الله الأزمَنِى.

القاضى عماد الدين داود بن يحيى بن كامل القرشى البُصروى^(٢) الحنفى، مدرسُ العِزَّةِ بالكُشْك، وناب فى الحكيم عن مَجْدِ الدينِ بنِ العَدِيم، وسمِعَ الحديثَ، وتُوفى ليلةَ النصفِ من شعبان، وهو والدُ الشيخِ نجمِ الدينِ القُحْفَارِى^(٣)، شيخِ الحنفية، وخطيبِ جامعِ تَنْكِر.

الشيخُ حسنُ الرومى^(٤)، شيخُ سعيدِ السُّعداءِ بالقاهرة^(٥)، وقد وليها بعده شمسُ الدينِ الأيْكُى^(٦).

الرَّشيدُ سعيدُ بنُ على بنِ سعيد، الشيخُ رَشيدُ الدينِ الحنفى^(٧)، مدرسُ

(١) العبر ٣٥٠/٥، وعقد الجمان ٣٤٣/٢، وشذرات الذهب ٣٨٩/٥.

(٢) فى م: «النصروى». وانظر ترجمته فى: الوافى بالوفيات ٤٩٨/١٣، والجواهر المضنية ١٩٧/٢،

وعقد الجمان ٣٤٤/٢، والدليل الشافى ٢٩٧/١، والدارس ٥٥٦/١.

(٣) فى م، والدليل الشافى: «القجقارى».

(٤) عقد الجمان ٣٤٤/٢.

(٥) سعيد السعداء: هو خاتناه للصوفية، كان أولا دارًا لأستاذ من خدام قصر المستنصر العبيدى الفاطمى، كان يلقب بسعيد السعداء، وقد قتل سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وقد وقفها الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب - بعد أن تملك مصر وأزال الدولة العبيدية - على الصوفية. انظر خطط المقرئى ٤٠١/٣ - ٤٠٤.

(٦) فى الأصل، م: «الأتابكى». والمثبت من عقد الجمان. وستأتى ترجمته فى صفحة ٧٠٦ ضمن وفيات سنة سبع وتسعين وستمائة.

(٧) ذيل مرآة الزمان ٢٦٥/٤، والعبر ٣٤٧/٥، والوافى بالوفيات ٢٤٦/١٥، وتذكرة النبى ٩٩/١، وعقد الجمان ٣٤٤/٢، والمنهل الصافى ٣٩٦/٥، والنجوم الزاهرة ٣٦٦/٧، وبغية الوعاة ٥٨٥/١، =

الشَّيْبِلِيَّةُ ، وله تصانيفٌ مُفيدةٌ كثيرةٌ ، ونظَّم حسنٌ ، فمن ذلك قوله ^(١) :

قُلْ لِمَنْ يَحْذَرُ أَنْ تُدْرِكَهُ نَكَبَاتُ الدَّهْرِ لَا يُغْنِي الْحَذَرُ
أَذْهَبَ الْحُزْنَ اغْتِقَادِي أَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرُ
وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ ^(٢) :

إِلَهِي لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَى نِعَمٍ مِنْهَا الْهِدَايَةُ لِلْحَمْدِ
صَحِيحًا خَلَقْتَ الْجِسْمَ مِنِّي مُسَلِّمًا وَلُطْفُكَ بِي مَا زَالَ مَذْكَرْتُ فِي الْمَهْدِ
وَكُنْتُ يَتِيمًا قَدْ أَحَاطَ بِي الرَّدَى فَأَوَيْتَ وَاسْتَنْقَذْتَ مِنِّي كُلَّ مَا يُزْدِي
وَهَبْتَ لِي الْعَقْلَ الَّذِي بِضِيَائِهِ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ يَهْتَدِي طَالِبُ الرُّشْدِ
وَوَفَّقْتَ لِلْإِسْلَامِ قَلْبِي وَمَنْطِقِي فَيَا نِعْمَةً قَدْ جَلَّ مَوْقِعُهَا عِنْدِي
وَلَوْ زُمْتُ جَهْدِي أَنْ أُجَازِيَ فَضِيلَةَ فَضْلِكَ بِهَا لَمْ يَجْزِ أَطْرَافُهَا جِدِّي ^(٣)
أَلَسْتُ الَّذِي أَرْجُو جَنَابَكَ ^(٤) عِنْدَمَا يُخَلِّفُنِي الْأَهْلُونَ وَخَدَى فِي لَحْدِي
فَجُدْ لِي بِلُطْفٍ مِنْكَ يَهْدِي سَرِيرَتِي وَقَلْبِي وَيُذِنِنِي إِلَيْكَ ^(٥) مِنَ الْبُعْدِ
تُوَفِّي يَوْمَ السَّبْتِ ثَلَاثَ رَمَضَانَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ بَعْدَ ^(٦) الْعَصْرِ بِالْجَامِعِ الْمُظَفَّرِيِّ ،
وَدُفِنَ بِالسَّفْحِ .

= والطبقات السنية ٣٧/٤ .

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٦٧/٤ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢٦٦/٤ .

(٣) في م : « جهدي » .

(٤) في الأصل : « جنانك » ، وفي م : « حنانك » . والمثبت من المصدر السابق .

(٥ - ٥) في م : « بلا بعد » .

(٦) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من ذيل المرأة ٢٦٥/٤ ، وعقد الجمان .

أبو القاسم علي بن بلبان بن عبد الله الناصري^(١)، المحدثُ المفيدُ الماهرُ،
تُوفى يومَ الخميسِ مُستَهَلَّ رَمَضانَ .

الأميرُ مُجِيرُ الدينِ محمدُ بنُ يعقوبَ بنِ علي^(٢)، المعروفُ بابنِ تميمِ
الحَمَوِيُّ الشاعِرُ، صاحبُ الدِّيوانِ في الشعرِ، فَمِنَ شعرِهِ قولُهُ :

عَايَنْتُ وَرَدَ الرُّوضِ يَلْطِمُ خَدَّهُ ويقولُ قولاً في البَنْفَسِجِ يُخَنِّقُ
لَا تَقْرِبُوهُ وَإِنْ تَضَوَّعَ نَشْرُهُ ما بينكم فهو العدوُّ الأزرقُ

الشيخُ العارفُ شرفُ الدينِ أبو عبد الله محمدُ بنُ الشيخِ عثمانَ بنِ علي
الرومِيِّ^(٣)، [٩٧/١٠ ظ] ودُفِنَ بترابهم بسفحِ قاسيونَ، ومنَ عندهم خَرَجَ الشيخُ
جَمالُ الدينِ محمدُ السَّواحِي^(٤)، وحلَّقَ ودخلَ في زِيِّ الجواليقيةِ، وصارَ
شيخَهُم ومُقَدِّمَهُم .

(١) ذيل مرآة الزمان ٢٦٩/٤، والعبر ٣٤٨/٥، وتذكرة النبيه ١٠١/١، والسلوك ٧٣٠/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣٤٥/٢.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢٧٧/٤، والعبر ٣٥٠/٥، والوافي بالوفيات ٢٢٨/٥، وتذكرة النبيه ١٠٠/٤، وعقد الجمان ٣٤٥/٢، والدليل الشافي ٧١٢/٢.

(٣) ذيل مرآة الزمان ٢٧٤/٤، والعبر ٣٥٠/٥، والوافي بالوفيات ٨٦/٤، وتذكرة النبيه ٩٨/١، وعقد الجمان ٣٤٥/٢.

(٤) في م: «السواحى».

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وستمائة^(١)

استهلت والخليفة الحاكم أبو العباس أحمد، والسلطان الملك المنصور قلاوون، ونائبه بالشام الأمير حسام الدين لاجين السلخدار المنصورى، والأمير بدر الدين الصوابى مُحاصِرَ مدينة الكرك فى أواخر السنة الماضية، وقدم عليه من مصر عسكر صُحبة الأمير حسام الدين طرُنطاي، فاجتمعوا على حصار الكرك حتى أنزلوا منها صاحبها الملك المسعود خضر بن الملك الظاهر، فى مُستَهْل صفر، وجاءت الإشارة بذلك إلى دمشق، فدقت البشائر ثلاثة أيام، وعاد طرُنطاي بالملك خضر وأهل بيته إلى الديار المصرية، كما فعل الملك الظاهر أبوه بأهل الملك المغيث عمر بن العادل، كما تقدّم ذلك. واستتاب فى الكرك نائباً عن أمر المنصور، ورثب أمورهما، وأجلّوا منها خلقاً من الكركيين، واستخدموا بقلعة دمشق. ولما اقترب دخول آل الظاهر إلى القاهرة تلقّاهم المنصور، فأكرم لقياهم، وأحسن إلى الأخوين نجم الدين خضر وبدر الدين سلامش، وجعلهما يزكبان مع ابنه على والأشرف خليل، وجعل عليهما عُيوناً يزُصدون ما يَفْعَلان^(٢)، وأنزلا الدور بالقلعة، وأجرى عليهم من الرّواتب والثّقات ما يكفيهم وزيادة كثيرة.

وكتب الأمير بدر الدين بكتوث الغلائى، وهو مُجرّد بحمص إلى نائب دمشق لاجين، أنه قد انعقدت زوّعة فى يوم الخميس سابع صفر بأرض حمص،

(١) ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٨١، ٢٨٢، ونهاية الأرب ٣١/ ١٢٩ - ١٣٣، وكثر الدرر ٨/ ٢٧٦ -

٢٧٩، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٢، ١٠٣، وعقد الجمان ٢/ ٣٤٨ - ٣٥٤.

(٢) فى الأصل: «يقولان».

ثم اِزْتَفَعَتْ فِي السَّمَاءِ كَهَيْئَةِ الْعُمُودِ وَالْحَيَّةِ الْعَظِيمَةِ ، وَجَعَلَتْ تَحْتَطِفُ الْحِجَارَةَ الْكِبَارَ ، فَتَضَعُ بِهَا فِي الْجَوِّ كَأَنَّهَا سَهَامُ النَّشَابِ ، وَحَمَلَتْ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْجِمَالِ بِأَحْمَالِهَا ، وَالْأَنَاثِ وَالْحِيَامِ وَالذَّوَابِّ ، فَفَقَدَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الرِّحَالِ وَالْأَمْتَعَةِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

وفى هذا اليوم وَقَعَ مَطَرٌ عَظِيمٌ بِدَمَشَقَ ، وَجَاءَ سَيْلٌ كَثِيرٌ وَلَا سَيْمًا بِالصَّالِحِيَّةِ .

وفىهَا أُعِيدَ عِلْمُ الدِّينِ الدَّوَادَارِيُّ إِلَى شَدِّ الدَّوَابِّ بِدَمَشَقَ ، وَالصَّاحِبُ تَقَى الدِّينِ تَوْبَةَ إِلَى الْوِزَارَةِ بِدَمَشَقَ .

وفىهَا تَوَلَّى قَضَاءَ الْمَالِكِيَّةِ بِمَصْرَ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ أَبِي مَخْلُوفٍ التَّوِيرِيُّ ^(١) عَوْضًا عَنْ الْقَاضِي تَقَى الدِّينِ ^(٢) بِنِ شَاسٍ ^(٣) الَّذِي تُوفِّيَ بِهَا .

وفىهَا دَرَسَ بِالْعَزَالِيَّةِ بِدُرِّ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ ، انْتَزَعَهَا مِنْ يَدِ شَمْسِ الدِّينِ إِمَامِ الْكَلَّاسَةِ الَّذِي كَانَ يَنْتُوبُ عَنْ شَمْسِ الدِّينِ الْأَيْكِيَّ ، وَالْأَيْكِيَّ شَيْخُ سَعِيدِ السُّعْدَاءِ ، بَاشَرَهَا شَهْرًا ، ثُمَّ جَاءَ مَرْسُومٌ بِإِعَادَتِهَا إِلَى الْأَيْكِيَّ ، وَقَدْ اسْتَنَابَ عَنْهُ جَمَالُ الدِّينِ الْبَاجُزْبَقِيِّ ، فَبَاشَرَهَا الْبَاجُزْبَقِيُّ فِي ثَالِثِ رَجَبٍ .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

أَحْمَدُ بْنُ شَيْبَانَ بْنِ تَغْلِبِ الشَّيْبَانِيِّ ^(٤) ، أَحَدُ مَشَايِخِ الْحَدِيثِ الْمُسْنَدِينَ

(١) فِي الْأَصْلِ : «البربري» ، وَفِي م : «البريدي» ، وَفِي عَقْدِ الْجَمَانِ : «التبريزي» . وَالثَّبْتُ مِنْ نَهَايَةِ الْأَرْبِ ١٣٤/٣١ . وَسَتَأْتِي تَرْجُمَتُهُ فِي وَفَيَاتِ سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ .

(٢ - ٢) فِي الْأَصْلِ ، م : «برساس» . وَالثَّبْتُ مِنْ نَهَايَةِ الْأَرْبِ ١٣٣/٣١ ، وَالسُّلُوكُ ٧٣٢/١ (الْقِسْمُ الثَّالِثُ) .

(٣) ذَيْلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٢٨٢/٤ ، وَالْعَبْرُ ٣٥١/٥ ، وَالْوَفَا بِالْوَفَيَاتِ ٤١٧/٦ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٣٥٥/٢ .

المُعَمَّرِينَ بدمشق، تُوفِّيَ فِي صَفَرٍ عَنْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ.

الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْبَارِعُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُحْمَانَ الْبَكْرِيِّ الشَّرِيشِيِّ الْمَالِكِيِّ^(١)، وَلَدَ بِشَرِيشَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتْمِائَةٍ، وَرَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ، فَسَمِعَ بِهَا الْحَدِيثَ مِنَ الْمَشَائِخِ؛ الْقَطِيعِيِّ وَابْنِ زُورْبَةَ وَابْنِ اللَّثَمِيِّ وَغَيْرِهِمْ، وَاسْتَتَلَّ وَحَصَّلَ، وَسَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى [١٠/٩٨] مَصْرَ، فَدَرَّسَ بِالْفَاضِلِيَّةِ، ثُمَّ أَقَامَ بِالْقُدْسِ شَيْخَ الْحَرَمِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى دِمَشْقَ، فَوَلَّى مَشَيْخَةَ الْحَدِيثِ بِثُرَيَّةِ أُمِّ الصَّالِحِ، وَمَشَيْخَةَ الرِّبَاطِ النَّاصِرِيِّ بِالسَّفْحِ، وَمَشَيْخَةَ الْمَالِكِيَّةِ، وَغَرَضَ عَلَيْهِ الْقَضَاءَ فَلَمْ يَقْبَلْ. تُوفِّيَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ بِالرِّبَاطِ النَّاصِرِيِّ بِقَاسِيُونَ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ تَجَاهَ النَّاصِرِيَّةِ، وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ حَافِلَةً جَدًّا.

قَاضِي الْقَضَاةِ أَبُو الْفَضْلِ يَوْسُفُ بْنُ قَاضِي الْقَضَاةِ مُخْيِي الدِّينِ أَبِي الْفَضْلِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٢) بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٣) بْنِ أَبَانَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ الْقُرَشِيِّ الدِّمَشْقِيِّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الزَّكِيِّ الشَّافِعِيِّ، كَانَ فَاضِلًا مُبْتَزًّا، وَهُوَ آخِرُ مَنْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ مِنْ بَنِي الزَّكِيِّ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَوُلِدَ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، تُوفِّيَ لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ حَادِيَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ، وَدُفِنَ بِقَاسِيُونَ، وَتَوَلَّى بَعْدَهُ ابْنُ الْخُوَيْتِيِّ شَهَابُ الدِّينِ.

(١) ذِيلُ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٢٩٢/٤، وَالْعَبَرُ ٣٥٤/٥، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١٠٧/١، وَالدِّيَاغُ الْمَذْهَبِ ٣١٩/٢، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٣٥٥/٢.

(٢ - ٣) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلِ، م. وَالْمُثَبِّتُ مِنْ ذِيلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ ٣٠٧/٤. انْظُرْ مَصَادِرَ تَرْجَمَتِهِ: وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٣٤/٣١، وَالْعَبَرُ ٣٥٦/٥، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١٠٣/١، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسَّيْكِ ٣٦٥/٨، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٣٥٦/٢.

وَتَقَدَّمَ تَرْجَمَةُ أَبِيهِ فِي وَفَيَاتِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَسِتْمِائَةٍ، وَفِي نَسَبِهِ بَعْضُ الْاِخْتِلَافِ.

الشيخ مجد الدين يوسف بن محمد بن محمد بن عبد الله المصري ثم
الدمشقي الشافعي الكاتب المعروف بابن المهتار^(١)، كان فاضلاً في الحديث
والأدب، يكتُبُ كتابةً حسنةً جداً، وتولّى مشيخة دار الحديث الثورية، وقد
سمع الكثير، وانتفع الناس به وبكتابه، تُوفّي عاشراً ذى الحجة، ودُفن بباب
الفرايس .

الشاعر الأديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد
المعروف بابن الحيمي^(٢)، كانت له مشاركة في علوم كثيرة، ويدّ طوّل في
النظم الرائي الفائق، جاوز الثمانين، وقد تنازع هو ونجم الدين بن إسرائيل في
قصيدة بائية^(٣)، فتحاكما إلى ابن الفارض، فأمرهما بنظم أبيات على وزنها،
فنظم كل منهما فأحسن، ولكن لابن الحيمي يدّ طوّل عليه، وكذلك فعل ابن
خلكان، وامتنحه على وزنها بأبيات حسنة، وقد أطلال ترجمته الجزري في
كتابه .

وفيها كانت وفاة الحاج شرف بن مري^(٤)، والد الشيخ محيي الدين
النووي، رحمه الله تعالى .

(١) ذيل مرآة الزمان ٣٠٧/٤، والعبر ٣٥٦/٥، وعقد الجمان ٣٥٦/٢، وشذرات الذهب ٣٩٤/٥.
(٢) ذيل مرآة الزمان ٣٠٠/٤، ونهاية الأرب ١٣٥/٣١، والعبر ٣٥٤/٥، والوافي بالوفيات ٥٠/٤،
وتذكرة النبیه ١٠٦/١، وفوات الوفيات ٤٥٨/٢، وعقد الجمان ٣٥٦/٢.
(٣) في الأصل: «تائية». وأورد القصيدة اليوناني في مرآة الزمان والصفدي في الوافي بالوفيات،
ومطلعها:

يا مطلباً ليس لي في غيره أرب إليك آل التقصى وانتهى الطلب

(٤) ذيل مرآة الزمان ١٨٤/٤ - وفيه أنه توفي سنة ثنتين وثمانين وستمئة - والدليل الشافعي ٣٤٣/١.

يعقوبُ بنُ عبدِ الحقِّ، أبو يوسفَ المَرِينِيُّ^(١)، سلطانُ بلادِ المغربِ، خرَجَ على الواثقِ باللهِ^(٢) أبي دَبُوسٍ^(٣)، فسلبه الملكُ بظاهرِ مَرَاكُشَ، واستَحُوذَ على بلادِ الأَنْدَلُسِ والجزيرةِ الخَضْرَاءِ في سنةِ ثمانٍ وستينَ وستمائةٍ، واستَمَرَّتْ أيامُه إلى مُحَرَّمِ هذهِ السنةِ، وزالتْ على يديه دولةُ المُوَحِّدِينَ بها.

البَيْضاوِيُّ صاحبُ التَّصَانِيفِ : هو القاضي الإمامُ العَلَّامَةُ ناصرُ الدينِ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ الشَّيرازيَّ^(٤)، قاضِيها وعالمُها وعالمُ أَذْرَبِيجَانَ وتلكِ النُّواحِي، ماتَ بِتَبْرِيزَ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وستمائةٍ، ومنَ مُصَنَّفَاتِهِ «المنهاجُ في أصولِ الفقه»، وهو مشهورٌ، وقد شرحه غيرُ واحدٍ، وله «شرحُ التَّنْبِيهِ» في أربعِ مُجَلَّدَاتٍ، وله «الغايةُ القُصْوَى في دِرَايَةِ الفُتُوَى»، و «شرحُ المُتَنَحَّبِ» و «الكافيةُ في المُنَظِّقِ»، وله «الطَّوَالِغُ» و «شرحُ المَحْصُولِ» أيضًا، وله غيرُ ذلكِ منَ التَّصَانِيفِ المُفِيدَةِ، وقد أَوْصَى إلى القُطْبِ الشَّيرازيَّ أنْ يُدْفَنَ بِجَانِبِهِ بِتَبْرِيزَ. واللَّهُ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

(١) في الأصل، م: «المديني». والمثبت من مصادر ترجمته؛ دول الإسلام ١٨٧/٢، والسلوك ١/ ٧٣٣ (القسم الثالث)، والدليل الشافعي ٧٩٠/٢، وتذكرة النبيه ١٠٤/١.

(٢ - ٢) في الأصل: «إلى ربوس».

(٣) الوافي بالوفيات ٣٧٩/١٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٥٧/٨، وتذكرة النبيه ١/ ١٠٤، والسلوك ٧٣٣/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣٥٧/٢، والدليل الشافعي ٣٨٨/١، وبغية الوعاة ٥٠/٢ وطبقات المفسرين للداوودي ٢٤٢/١.

ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمائة^(١)

فى أول المحرم ركبت العساكرُ صُحبةً نائبِ الشامِ حُسامِ الدينِ لاجين إلى مُحاصرةِ صِهْيُونَ وحصنِ بَرْزِيَه ، فمانعهم الأميرُ سيفُ الدينِ سُتْقَرُ الأشْقَرُ ، فلم يَزَالوا به [٩٨/١٠ ظ] حتى اسْتَنْزَلُوهُ ، وَسَلَّمَهُم البلادَ ، وسار إلى خدمةِ السلطانِ الملكِ المنصورِ ، فتلَقَّاه بالإكرامِ والاختِرامِ ، وأعطاه تَقْدِمةً ألفَ فارسٍ ، ولم يَزَلْ مُعْظَمًا فى الدولةِ المنصوريةِ إلى آخرِها ، وانْقَضَتْ تلكَ الأحوالُ .

وفى النصفِ من المحرمِ حَكَمَ القاضى جلالُ الدينِ الحَنْفِىُّ نيابةً عن أبيه حُسامِ الدينِ الرازى .

وفى الثالثِ عشرَ من ربيعِ الأولِ قَدِمَ القاضى شهابُ الدينِ محمدُ بنُ القاضى شمسِ الدينِ بنِ الخَلِيلِ الخُوَيْمِىُّ مِنَ القاهرةِ على قَضائِ قُضاةِ دِمَشقَ ، وقُرئَ تَقْلِيدُهُ يومَ الجمعةِ مُسْتَهْلَ ربيعِ الآخرِ ، واستَمَرَ بِنِيايةِ شرفِ الدينِ المُقَدِّسى .

وفى يومِ الأحدِ ثالثِ شوالٍ دَرَسَ بِالرَّوَاحيةِ الشَّيْخُ صَفِىُّ الدينِ الهِنْدِىُّ ، وحَضَرَ عِنْدَهُ الْقُضاةُ والشَّيْخُ تاجُ الدينِ الفَزَارِىُّ ، وَعَلَّمَ الدينِ الدُّوَادَارِىُّ ، وتَوَلَّى قَضائِ قُضاةِ القاهرةِ تَقِىُّ الدينِ عبدُ الرحمنِ بنُ بنتِ الأَعَزِّ ، عَوَضًا عن بُرْهانِ

(١) ذيل مرآة الزمان ٣١٤/٤ - ٣١٦ ، ونهاية الأرب ١٤٥/٣١ - ١٥١ ، وكتر الدرر ٢٨٠/٨ ،
وتذكرة النبيه ١٠٨/١ - ١١٠ ، وعقد الجمان ٣٥٨/٢ - ٣٦٣ .

الدين الخَضِرِ بنِ الحسنِ السُّنْجَارِيِّ ، وقد كان وَلِيَّهَا شهرًا بعدَ ابنِ الخُوَئِيِّ ،
فاجْتَمَعَ حينئذٍ لابنِ بَنَتِ الْأَعَزِّ بَيْنَ الْقَضَاءِ كُلِّهِ بِالْديَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وذلك في أوائلِ
صفرٍ منها .

وفيها اسْتُدْعِيَ سيفُ الدينِ السَّامَرِيُّ مِنْ دِمَشقَ إِلَى الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ لِيُشْتَرَى
منه رِيعٌ حَزْرَمًا^(١) الذي اشْتَرَاهُ مِنْ بَنَتِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ مُوسَى ، فذَكَرَ لَهُمْ أَنَّهُ
وَقَفَهُ ، وَكَانَ الْمُتَكَلِّمُ فِي ذَلِكَ عَلَّمَ الدِّينَ الشُّجَاعِيَّ^(٢) ، وَكَانَ قَدْ اسْتَنَابَهُ الْمَلِكُ
الْمِنْصُورُ بِدِيَارِ مِصْرَ ، وَجَعَلَ يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِتَحْصِيلِ الْأَمْوَالِ ، فَفَتَّقَ لَهُمْ نَاصِرُ الدِّينِ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقَدِّسِيِّ أَنَّ السَّامَرِيَّ اشْتَرَى هَذَا مِنْ بَنَتِ الْأَشْرَفِ وَهِيَ
غَيْرُ رَشِيدَةٍ ، وَأَثْبَتَ سَفَهَهَا عَلَى زَيْنِ الدِّينِ بْنِ مَخْلُوفٍ^(٣) ، وَأَبْطَلَ الْبَيْعَ مِنْ
أَصْلِهِ ، وَاسْتَرْجَعَ عَلَى السَّامَرِيَّ بِمَغْلٍّ مَدَّةَ عَشْرِينَ سَنَةً مَائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ ،
وَأَخَذُوا مِنْهُ حِصَّةً مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ قِيمَتُهَا سَبْعُونَ أَلْفًا ، وَعَشْرَةُ أَلْفِ مُكْمَلَةٍ ، وَتَرَكَوهُ
فَقِيرًا عَلَى بَرْدِ الدِّيارِ ، ثُمَّ أَثْبَتُوا رُشْدَهَا ، وَاشْتَرَوْا مِنْهَا تِلْكَ الْحِصَصَ بِمَا أَرَادُوهُ ،
ثُمَّ أَرَادُوا أَنْ يَشْتَدُّوا بِالْذَّمَّاشِقَةِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَيُصَادِرُونَهُمْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُمْ
أَنَّ مَنْ ظَلَمَ بِالشَّامِ لَا يُفْلِحُ ، وَمَنْ ظَلَمَ بِمِصْرَ أَفْلَحَ وَطَالَتْ مَدَّتُهُ ، فَكَانُوا يَطْلُبُونَهُمْ
إِلَى مِصْرَ أَرْضِ الْفَرَاغَةِ وَالظُّلَمِ ، فَيَفْعَلُونَ مَعَهُمْ مَا أَرَادُوا .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

الشيخُ الإمامُ الْعَلَّامَةُ قُطُبُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ الإمامِ أَبِي

(١) فِي م : « جَزْرَمَاء » . وَحَرْزَم : اسْمُ بَلَدَةٍ فِي وَادِ ذَاتِ نَهْرٍ جَارٍ وَبَسَاتِينَ بَيْنَ مَارْدِينَ وَدَنبَسَر . مَعْجَمُ
الْبُلْدَانِ ٢/ ٢٣٩ .

(٢) بَعْدَهُ فِي م : « وَكَانَ ظَالِمًا » .

(٣) بَعْدَهُ فِي م : « الْجَائِرُ الْجَاهِلُ » .

العباس أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد الميمون
 القيسي التوزري^(١) المصري ثم المكي^(٢)، الشافعي المعروف بالقسطلاني، شيخ
 دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وُلد سنة أربع عشرة وستمائة، ورحل إلى بغداد
 فسمع الكثير، وحصل علومًا، وكان يُفتي على مذهب الشافعي، وأقام بمكة
 مدة طويلة، ثم صار إلى مصر، فولى مَشِيخَةَ الحديث، وكان حسن الأخلاق،
 مُحَبِّبًا إلى الناس، تُؤْفَى في آخر الحرم، ودُفِن بالقرافة الكبرى، وله شعر حسن،
 أورد منه ابن الجزري قطعةً صالحةً.

عماد الدين محمد بن عباس الدنيسري^(٣)، الطبيب الماهر، والحاظق
 الشاعر، خدَم الأكابر والوزراء، وعُمِّر ثمانين سنة، تُؤْفَى في صفر من هذه السنة
 بدمشق.

قاضي القضاة بُرهان الدين الخضر بن الحسن^(٤) بن علي السنجاري، تولى
 الحكم بالديار المصرية [٩٩٩/١٠] غير مرة، وولى الوزارة أيضًا، وكان رئيسًا وقورًا
 مهيبًا، وقد باشر القضاء بعده تقي الدين ابن بنت الأعز.

(١) في الأصل، م: «النوري». وفي ذيل مرآة الزمان: «النوريزي». والمثبت من مصادر ترجمته؛ ذيل
 مرآة الزمان ٤/٣٣٠، ونهاية الأرب ٣١/١٥٠، ودول الإسلام ٢/١٨٧، والوفاء بالوفيات ٢/١٣٢،
 وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٤٣، وتذكرة النبيه ١/١١٠، والسلوك ١/٧٣٨ (القسم الثالث)،
 وعقد الجمان ٥/٣٩٧، والنجوم الزاهرة ٧/٣٧٣.

والتوزري: نسبة إلى تورز مدينة بأقصى إفريقية. معجم البلدان ١/٨٩٢.

(٢) في الأصل، م، والسلوك: «المالكي». والمثبت من مصادر ترجمته.

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٧٦١، وذيل مرآة الزمان ٤/٣٢٨، والوفاء بالوفيات ٣/٢٠٠،
 وتذكرة النبيه ١/١١٢، وعقد الجمان ٢/٣٦٥.

(٤) في م: «الحسين». وانظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٤/٣١٩، والوفاء بالوفيات ١٣/٣٣٥، وطبقات
 الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٤٣، والسلوك ١/٧٣٨ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢/٣٦٥، والدليل
 الشافي ١/٢٨٨.

شرف الدين سليمان بن بُيُمان^(١)، الشاعرُ المشهورُ، له ديوانٌ، مات في صفرٍ منها.

الشيخُ الصالحُ عزُّ الدين عبد العزيز بن عبد المُنعِم بن الصَّيقلِ الحَرَائِي^(٢)، وُلِدَ سنةً أربع وتسعين وخمسمائة، وسمع الكثيرَ، ثم استوطنَ مصرَ حتى تُوفِّي بها في رابعَ عَشَرَ رجبٍ، وقد جاوزَ التَّسعينَ، وقد سَمِعَ منه الحافظُ عَلَمُ الدينِ البرزاليُّ لما رحلَ إلى مصرَ في سنةٍ أربع وثمانين، وحكى عنه أنه شهدَ جنازةَ يبعدادَ فتبعهم نَباشٌ، فلما كان الليلُ جاء إلى ذلك القبرِ ففتحَ عن الميتِ، وكان الميتُ شابًا قد أصابته سَكَنَةٌ، فلما فتحَ القبرَ نهضَ ذلك الشابُ الميتُ جالسًا، فسقطَ النَّباشُ ميتًا في القبرِ، وخرجَ الشابُ من قبرِهِ^(٣) إلى أهله^(٣).

وحكى له قال: كنتُ مرةً بقلْيُوبَ، وبينَ يديَّ صُبْرَةٌ قمحٍ، فجاء زُنْبُورٌ فأخذَ واحدةً ثم ذهبَ بها، ثم جاء فأخذَ أخرى ثم ذهبَ بها، ثم جاء فأخذَ واحدةً أخرى أربعَ مراتٍ. قال: فاتَّبَعْتُهُ، فإذا هو يَضَعُ الحَبَّةَ في فَمِ عُصْفُورٍ أَعْمَى يَبِينُ تلكَ الأشجارِ التي هناك.

قال: وحكى لِي الشيخُ عبدُ الكافي أنه شهدَ مرةً جنازةً، فإذا عبدٌ أسودٌ معنا، فلما صَلَّى الناسُ عليها لم يُصَلِّ، فلما حَضَرْنَا الدفنَ نظرَ إليَّ وقال: أنا

(١) في الأصل، م: «عثمان». والمثبت من مصادر ترجمته: الوافي بالوفيات ٣٥٦/١٥، وفوات الوفيات ٥٧/٢، والسلوك ٧٣٨/١ (القسم الثالث)، والمنهل الصافي ٢٤/٦. وجاء اسمه في ذيل مرآة الزمان ٣٢١/٤، وتذكرة النبيه ١١١/١، والنجوم الزاهرة ٣٧٢/٧، وشذرات الذهب ٣٩٥/٥: «سليمان بن بليمان».

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣٢٨/٤، ودول الإسلام ١٨٧/٢، والوافي بالوفيات ٥٢٣/١٨، وتذكرة النبيه ١١٣/١، وعقد الجمان ٣٦٦/٢، والمنهل الصافي ٢٨١/٧، والدليل الشافي ٤١٥/١، والنجوم الزاهرة ٣٧٣/٧، وشذرات الذهب ٣٩٦/٥.

(٣ - ٣) في م: «ودفن فيه النباش».

عمله . ثم ألقى نفسه في قبر ذلك الميت . قال : فنظرت فلم أر شيئاً .

الحافظ أبو اليمن أمين الدين عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عساكر الدمشقي^(١) ، ترك الرياسة والأملك ، وجاور بمكة ثلاثين سنة ، مُقبلاً على العبادة والزَّهادة ، وقد حصل له قبولٌ من الناس شامئهم ومصريهم وغيرهم ، تُوفّي بالمدينة النبوية في ثاني رجب منها .

(١) الوافي بالوفيات ٤٤٧/١٨ ، وفوات الوفيات ٣٢٨/٢ ، والسلوك ٧٤٦/١ (القسم الثالث) - وفيهم أنه توفي سنة سبع وثمانين وستمائة - وعقد الجمان ٣٦٧/٢ ، والعقد الثمين ٤٣٢/٥ ، والمنهل الصافي ٢٦٦/٧ ، والدليل الشافي ٤١٣/١ ، وشذرات الذهب ٣٩٥/٥ .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمائة

فيها^(١) قديم الشُّجاعى من مصر إلى الشام بِنَيَّْةِ المَصَادِرَةِ لأَرْبابِ الأموال من أهل الشام .

وفى أواخر ربيع الآخر قديم الشيخ ناصر الدين عبد الرحمن المقدسى من القاهرة على وكالة بيت المال ونظر الأوقاف ونظر الخاص ، ومعه تقاليد وخلق ، فتردد الناس إلى بابه ، وتكلم فى الأمور ، وأذى كثيرا من الناس ، وكانت ولايته بسفارة الأمير علم الدين الشُّجاعى المثلّم فى الديار المصرية ، توسّل إليه بالشيخ شمس الدين الأيكى وبارئ الوجيه^(٢) الكاتب ، وكانا عنده لهما صورة ، وقد طلب جماعة من أعيان الدماشقة فى أول هذه السنة إلى الديار المصرية ، فطُلبوا بأموال كثيرة ، فدافع بعضهم بعضا ، وهذا مما يُخَفِّفُ عُقوبته من ظلمهم ، وإلا فلو صبروا لُوجِلَ الظالم بالعقوبة ، ولزال عنهم ما يكرهون سريعا . ولما قديم ابن المقدسى إلى دمشق كان يحكم بترية أمّ الصالح ، والناس يترددون إليه ويخافون شرّه ، وقد استجّد باشورة^(٣) بباب الفراديس ومساطب باب الساعات للشهود ، وجدد باب الجاية الشمالى ورفعهُ وكان متواطئا ، وأصلح الجسر الذى تحته ،

(١) نهاية الأرب ١٥٣/٣١ - ١٦٥ ، وكتر الدرر ٢٨١/٨ ، ٢٨٢ ، وتذكرة النبيه ١١٥/١ ، وعقد الجمان ٣٦٩/٢ ، والسلوك ٧٣٩/١ - ٧٤٦ (القسم الثالث) .

(٢) فى م : « الوحيد » .

(٣) الباشورة : سد من التراب يمنع وصول الخيالة والرجال والسهم إلى مواضع المحاربين . السلوك ١٥٠/١ (القسم الأول) حاشية (٤) .

وكذلك أُلصَح جسر باب الفَراديس تحت الشَّوْيقَة التي جَدَّها عليه من الجانيَيْن . وهذا من أحسن ما عملَه ابنُ المَقْدِسِيّ ، وقد كان مع ذلك كثيرَ الأذية للناسِ ظَلُومًا غَشُومًا ، وَيَفْتَح على الناسِ أبوابًا من الظلم لا حاجةَ إليها .

وفي عاشر [٩٩٠/١٠ ظ] جُمادى الأولى قَدِم من الديارِ المصرية أيضًا قاضى القضاة حُسام الدين الحَنَفِيّ ، والصاحبُ تَقِي الدين تَوْبَةُ التَّكْرِيتِيّ ، وقاضى القضاة جمال الدين محمد بن سليمان الزَّواوِي المالكِي على قضاة المالكية بعد شُغوره عن حاكم بدمشق ثلاث سنين ونصف ، فأقام شِعار المنصب ، ودَرَس ونَشَر المذهب ، وكان له سُؤدَدُ ورياسة .

وفي ليلة الجمعة رابع شعبان تُوفِّي الملك الصالح علاء الدين بن الملك المنصور قلاوون بالدُّوسَنْطاريَّة^(١) فَوَجَدَ عليه أبوه وَجْدًا شديدًا ، وقد كان عهد إليه بالأمر من بعده ، وخطب له معه على المنابر من مدة سنين ، فدَفَنه في تربته ، وجعل ولاية العهد من بعده إلى ابنه الأشرف خليل^(٢) ، وكتب بذلك إلى الآفاق ، ولما جاءت البريديَّة في شوال بولاية الأشرف خليل^(٣) من بعد أبيه ، خطب له على المنابر من بعد ذِكْرِ أبيه يوم الجمعة ، ودَقَّت البشائرُ ، ورُيِّت البلدُ سبعة أيام ، وليس الجيشُ الخَلَع وركبوا ، وأظْهَر الناسُ سُروَرًا لشهامته^(٤) .

وفي رمضان باشر حشبة دمشق شمس الدين بن السَّلْعوسِ عِوَضًا عن شرف الدين بن الشَّيْرَجِيّ^(٥) .

(١) فى الأصل : « بالبيطارية » ، وفى م : « بالسنتارية » . والمثبت من نهاية الأرب وعقد الجمان . (٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى م : « مع ما فى قلوبهم على أبيه لأجل ظلم الشجاعى » .

(٤) فى الأصل : « الشيرازى » ، وفى م : « الشيزرى » ، وفى نهاية الأرب : « الشيرجى » ، وفى السلوك : « السيرجى » . والمثبت من ترجمته فى السلوك ٢٧٨/٢ (القسم الأول) ، والنجوم الزاهرة ٢٦٧/٨ . وابن الشيرجى هو أبو الفتح أحمد بن عيسى بن مظفر بن محمد ، توفى سنة ست وعشرين وسبعمائة .

وفيه تَوَجَّهَ الشَّيْخُ بَدْرُ الدِّينِ بَنُ جَمَاعَةَ إِلَى خُطَابَةِ الْقُدْسِ بَعْدَ مَوْتِ خَطِيبِهِ
قُطْبِ الدِّينِ، فَبَاشَرَ بَعْدَهُ تَدْرِيسَ الْقَيْثُورِيَّةِ عَلَاءُ الدِّينِ أَحْمَدُ بَنُ الْقَاضِي تَاجِ
الدِّينِ ابْنِ بِنْتِ الْأَعْرَ^(١) أَخُو قَاضِي مِصْرَ، ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثِ سَنِينَ أَخَذَ ابْنُ جَمَاعَةَ
قَضَاءَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عِوَضًا عَنْ ابْنِ بِنْتِ الْأَعْرَ^(٢).

وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ كَبِسَ نَضْرَانِي وَعِنْدَهُ مُسْلِمَةٌ، وَهُمَا يَشْرَبَانِ الْخَمْرَ فِي
نَهَارِ رَمَضَانَ، فَأَمَرَ نَائِبُ السُّلْطَانَةِ حُسَامُ الدِّينِ لَاجِينَ بِتَحْرِيقِ النَّضْرَانِي، فَبَذَلَ
فِي نَفْسِهِ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، فَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وَأُحْرِقَ بِسُوقِ الْخَيْلِ، وَعَمِلَ الشُّهَابُ
مَحْمُودٌ فِي ذَلِكَ أَيْبَاتًا فِي قَصِيدَةٍ مَلِيحَةٍ^(٣).

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

الْخَطِيبُ الْإِمَامُ قُطْبُ الدِّينِ أَبُو الزَّكَاةِ عَبْدُ الْمُتَّعِمِ بَنُ يَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
عَلِيٍّ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
عُوفٍ الْقُرَشِيُّ الزُّهْرِيُّ^(٤)، خَطِيبُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَ مِنْ
الصُّلَحَاءِ الْكِبَارِ، مَجْمُوعًا عَنِ النَّاسِ، حَسَنَ الْهَيْئَةِ مَهِيئًا، غَزِيرَ النَّفْسِ، يُفْتَنَى
النَّاسَ، وَيَذْكُرُ التَّفْسِيرَ مِنْ حَفِظِهِ فِي الْمِخْرَابِ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَقَدْ سَمِعَ
الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنَ الْأَخْيَارِ، وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّمِائَةٍ، وَتُوفِّيَ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ سَابِعِ
رَمَضَانَ عَنْ أَرْبَعِ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَابِدُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مِغْضَادِ بْنِ شَدَّادِ بْنِ مَاجِدِ الْجَعْفَرِيِّ،

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) بعده في م : « وأما المرأة فجلدت الحد » .

(٣) تذكرة النبيه ١١٩/١، والسلوك ٧٤٦/١ (القسم الثالث) - وفيهما : « أبو الذكاء » - وعقد

الجمان ٣٧٣/٢ - وفيه : « أبو الوفا » - والمنهل الصافي ٣٦٦/٧، والدليل الشافعي ٤٣٠/١ - وفيهما :

« أبو البركات » - والنجوم الزاهرة ٣٧٨/٧، والأنس الجليل ١٣٦/٢ - وفيه : « أبو الذكاء » .

تَقَى الدين أبو إسحاق^(١)، أصله من قلعة جَعْبَرٍ، ثم أقام بالقاهرة، فكان يَعِظُ الناسَ، وكان الناسُ يَنْتَفِعُونَ بكلامه كثيرًا، تُوفِّيَ بالقاهرة يوم السبت الرابع والعشرين من المحرم، ودُفِنَ في تربيته بالحُسَيْنِيَّةِ، وله نَظْمٌ حسنٌ، وكان من الصُّلَحَاءِ المشهورين، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

الشيخ الصالح ياسين بن عبد الله المقرئ الحَجَّامُ^(٢)، شيخُ الشيخِ مُحْيِي الدين التَّوَاوِيُّ، وقد حجَّ عشرين حَجَّةً، وكانت له أحوالٌ وكراماتٌ.

الخُونَدَه غازیة خاتون بنتُ الملك المنصورِ قَلاوُون^(٣)، زوجةُ الملك السعيد.

الحكيم الرئيس علاء الدين علي بن أبي الحزم بن نفيس^(٤)، شرح «القانون» لابن سينا، [١٠٠/١٠] وصنَّفَ «الموجز» وغيره من الفوائد، وكان يَكْتُبُ من حفظه، وكان اشتغاله على ابن الدُّخَوَارِيِّ، وتُوفِّيَ بمصر في ذى القعدة.

الشيخ بدر الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ جمال الدين بن مالك النَّحْوِيُّ^(٥)، شارحُ «الألفية» التي عملها أبوه، وهو من أحسن الشُّروح وأكثرها فوائدَ، وكان لطيفًا ظريفًا فاضلاً، تُوفِّيَ يوم الأحد الثامن من المحرم، ودُفِنَ من الغدِ بباب الصغير. واللَّهُ أعلم.

(١) دول الإسلام ١٨٨/٢، والوفاء بالوفيات ١٤٧/٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٢٣/٨، وتذكرة النبيه ١١٦/١، والدليل الشافعي ٢٩/١، والسلوك ٧٤٦/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣٧٣/٢.

(٢) مرآة الجنان ٢٠٦/٤، وعقد الجمان ٣٧٥/٢، والدليل الشافعي ٧٧١/٢، وشذرات الذهب ٤٠٣/٥.

(٣) نهاية الأرب ١٥٩/٣١، وعقد الجمان ٣٧٨/٢.

(٤) دول الإسلام ١٨٨/٢، ومسالك الأبصار ٣٤٩/٩، ومرآة الجنان ٢٠٧/٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٠٥/٨، وتذكرة النبيه ١١٥/١، والسلوك ٧٤٦/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣٧٤/٢، والنجوم الزاهرة ٣٧٧/٧، ومعجم الأطباء ص ٢٩٢. وهو المعروف بابن النفيس.

(٥) الوفاء بالوفيات ٢٠٤/١، وتذكرة النبيه ١١٠/١، والسلوك ٧٣٨/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣٦٥/٢، وبغية الوعاة ٢٢٥/١، وشذرات الذهب ٣٩٨/٥. وفيهم أنه توفي سنة ست وثمانين وستمائة.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة

فيها^(١) كان فتح مدينة طرابلس، وذلك أن السلطان قلاوون قديم بالجيوش المنصورة المصرية في ضحيتته إلى دمشق فدخلها في الثالث عشر من صفر، ثم صار بهم وبجيش دمشق وضحبتة خلق كثير من المطوعة، منهم القاضي نجم الدين الحنبلي قاضي الحنابلة، وخلق من المقدسة وغيرهم، فآزل طرابلس يوم الجمعة مُستَهْل ربيع الأول، وحاصرها بالمجانين حصارًا شديدًا، وضيقوا على أهلها تضيقًا عظيمًا، ونصب عليها تسعة عشر منجنيقًا، فلما كان يوم الثلاثاء^(٢) رابع ربيع الآخر^(٣) فتحت طرابلس في الساعة الرابعة من النهار عنوة، وشمل القتل والأسر جميع من فيها، وغرق كثير من أهل الميناء ونهب الأموال، وشييت النساء والأطفال، وأخذت الذخائر والحواصل، وقد كان لها في أيدي الفرينج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى هذا التاريخ^(٤) كان الملك صنجيل^(٤) الفرينج حاصرها سبع سنين حتى ظفر بها كما ذكرنا^(٣)، وقد كانت قبل ذلك في أيدي

(١) نهاية الأرب ١٦٣/٣١ - ١٦٥، وكنز الدرر ٢٨٢/٨ - ٣٠٠، والعبر ٣٥٦/٥ - ٣٦٠، وتذكرة النبيه ١٩٢/١ - ١٩٤، وعقد الجمان ٢٧٩/٢ - ٢٨٩.

(٢ - ٢) في الأصل، م، عقد الجمان: «رابع جمادى الآخرة». وفي كنز الدرر: «رابع عشر ربيع الآخر». والمثبت من نهاية الأرب والعبر. وجاء في تذكرة النبيه أن الحصار دام ثلاثة وثلاثين يوما.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) في الأصل: «صحيل». والمثبت من الكامل ٤١١/١٠، ٤٧٥، وكنز الدرر، وعقد الجمان.

المسلمين من زمان معاوية، فقد فتحها سفيان بن مجيب^(١) لمعاوية، فأسكنها معاوية اليهود، ثم كان عبد الملك بن مروان جدد عمارتها، وحصنها وأسكنها المسلمين، وصارت آمنة عامرة مطمئنة، وبها ثمار الشام ومصر، فإن بها الجوز والموز والتلج والقصب، والمياه جارية فيها تصعد إلى أمكنة عالية، وقد كانت قبل ذلك ثلاث مدن متقاربة، ثم صارت بلداً واحداً، ثم حوّلت من موضعها كما سيأتي الآن. ولما وصلت البشارة إلى دمشق دقت البشائر، وزينت البلاد، وفرح الناس فرحاً شديداً، ولله الحمد والمنة.

ثم أمر السلطان الملك المنصور قلاوون أن تهدم البلد بما فيها من العمار والدور والأسوار الحصينة التي كانت عليها، وأن يُبنى على ميل منها بلدةً غيرها أمكن منها وأحسن، ففعل ذلك، فهي هذه البلدة التي يقال لها: طرابلس^(٢) التي جعلها الله تعالى دار أمان وإيمان.

ولما فرغ السلطان [من]^(٣) فتح طرابلس عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً مسروراً مخبوراً، فدخلها يوم النصف من جمادى الآخرة، ولكنه فوّض الأمور والكلام في الأموال إلى علم الدين الشجاعى، فصادر جماعة وجمع أموالاً كثيرة، وحصل بسبب ذلك أذى الخلق، وبئس هذا الصنيع؛ لأن ذلك تعجيل لدمار الظالم وهلاكه، فلم يُغن عن المنصور ما جمع له الشجاعى من الأموال شيئاً، فإنه لم يعيش بعد ذلك إلا اليسير حتى أخذه الله، كما سيأتى. ثم سافر السلطان في ثاني شعبان بجيشه إلى الديار المصرية، فدخلها في أواخر شعبان.

(١) فى الأصل، م، عقد الجمان: «نجيب». والمثبت من أسد الغابة ٢/٤٠٧. وانظر الإكمال ١/٢١٠، ٢١١.

(٢) ٢ - سقط من: م.

(٣) سقط من: الأصل. وأضفناها لتستقيم العبارة.

وفيهما فُتِحَتْ قِلاَعٌ كَثِيرَةٌ [١٠٠/١٠] بِنَاحِيَةِ حَلَبَ؛ كَزَكَرَى^(١) وَتِلْكَ
النَّوَاحِي، وَكُسِرَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الشَّرِّ هُنَاكَ، وَقُتِلَ مَلِكُهُمْ خَزْبَنْدَا نَائِبُ الشَّرِّ عَلَى
مَلْطِيَّةَ.

وفيهما تَوَلَّى الْحِسْبَةَ بِدَمَشَقَ جَمَالُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ التَّقِيِّ تَوْبَةَ التَّكْرِيتِيِّ، ثُمَّ
أَخَذَهَا بَعْدَ شَهْوَرٍ تَاجُ الدِّينِ الشُّيرَازِيُّ.

وفيهما وُضِعَ مَنْبَرٌ عِنْدَ مَخْرَابِ الصَّحَابَةِ بِسَبَبِ عِمَارَةٍ كَانَتْ فِي الْمَقْصُورَةِ،
فَصَلَّى بُرْهَانُ الدِّينِ الْإِسْكََنْدَرِيُّ نَائِبُ الْخَطِيبِ بِالنَّاسِ هُنَاكَ مَدَّةَ شَهْرِ الْجُمُعَاتِ
وَالْجُمُعَاتِ، ابْتَدَءُوا ذَلِكَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ.

وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ:

الْشَيْخَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ^(٢) بِنْتُ الرُّعَيْنِيِّ^(٣)، زَوْجَةُ النَّجْمِ بْنِ
إِسْرَائِيلَ، كَانَتْ مِنْ بَيْتِ الْفَقْرِ، لَهَا سُلْطَنَةٌ وَإِقْدَامٌ وَتَرْجُمَةٌ وَكَلَامٌ فِي طَرِيقَةِ
الْحَرِيرَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَدُفِنَتْ عِنْدَ الشَّيْخِ رَسْلَانَ.

الْعَلَمُ ابْنُ الصَّاحِبِ الْمَاجِنِ، هُوَ الشَّيْخُ الْفَاضِلُ عَلَّمُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ
يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شُكْرِ^(٤)، كَانَ مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ وَرِيَاةٍ، وَقَدْ دُرِّسَ فِي
بَعْضِ الْمَدَارِسِ، وَكَانَتْ لَهُ وَجَاهَةٌ وَرِيَاةٌ، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى
الْحَرْفِشَةِ وَصُحْبَةِ الْحَرَاغِيشِ^(٥) وَالتَّشْبِيهِ بِهِمْ فِي اللَّبَاسِ وَالطَّرِيقَةِ، وَأَكَلَ الْحَشِيشَ

(١) كَزَكَرَى: حَصَنَ قَرَبَ مَلْطِيَّةَ. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٤/٢٦٢.

(٢) (٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ: م. انْظُرْ تَرْجُمَتَهَا فِي عَقْدِ الْجَمَانِ ٢/٣٩١، وَفِيهِ: «الرُّعَيْنِيُّ».

(٣) (٣) الْعَبَرِ ٥/٣٥٧، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٨/٢٩٢، وَامْرَأَةُ الْجَنَانِ ٤/٢٠٧، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١/١٢٧، وَعَقْدُ
الْجَمَانِ ٢/٣٨٩، وَالْمَنْهَلُ الصَّافِي ٢/٢٧٤، وَالنَّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٧/٣٧٨، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٥/٤٠٣.

(٤) (٤) الْحَرَاغِيشُ مَفْرَدُهَا حَرَفُوشٌ وَهِيَ الرِّعَاعُ.

(١) «وَأَسْتَعْمَلُ مَا» كَانَ مِنْ إِنْفِهِمْ فِي الْخَلَاعَةِ وَالْمَجُونِ وَالزَّوَائِدِ الرَّائِقَةِ الْفَائِقَةِ الَّتِي لَا يُلْحَقُ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا ، وَقَدْ كَانَ لَهُ أَوْلَادٌ فَضْلَاءُ يَنْهَوْنَهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ ذَائِبَهُ حَتَّى تُؤْفَى لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ .

وَمَا وَلَّى الْقَضَاءُ الْأَرْبَعَةَ كَانَ ابْنُ خَالَتِهِ تَاجُ الدِّينِ ابْنُ بَنَاتِ الْأَعَزِّ مُسْتَقِيلًا فِي الْقَضَاءِ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الصَّاحِبِ الْمَذْكُورُ : مَا مِثُّ حَتَّى رَأَيْتُكَ صَاحِبَ رَنْجٍ^(٢) . فَقَالَ لَهُ : تَشْكُتُ وَإِلَّا خَلَّيْتُهُمْ يَسْقُونَكَ الشَّمَّ . فَقَالَ لَهُ : فِي قَلَةِ دِينِكَ تَفْعَلُ ، وَفِي قَلَةِ عَقُولِهِمْ يَسْمَعُوا مِنْكَ .

وَقَالَ يَمْدَحُ الْحَشِيشَةَ الْحَسِيسَةَ :

فِي تُحْمَارِ الْحَشِيشِ مَعْنَى مَرَامِي	يَا أَهْيَلِ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ
حَرَمُوهَا عَنْ غَيْرِ عَقْلِ وَنَقْلِ	وَحَرَامٌ تَحْرِيمٌ غَيْرِ الْحَرَامِ
وَلَهُ أَيْضًا :	

يَا نَفْسُ مِيلِي إِلَى التَّصَابِي	فَاللَّهُوُ مِنْهُ الْفَتَى يَعِيشُ
وَلَا تَمْلِي مِنْ سُكْرِ يَوْمِ	إِنْ أَعْوَزَ الْخَمْرُ فَالْحَشِيشُ
وَلَهُ أَيْضًا :	

جَمَعْتُ بَيْنَ الْحَشِيشِ وَالْخَمْرِ	فَوَحْتُ لَا أَهْتَدِي مِنَ الشُّكْرِ
يَا مَنْ يُرِنِي لِبَابِ مَدْرَسَتِي	يَرْبَحُ وَاللَّهُ غَايَةَ الْأَجْرِ

(١ - ١) فِي م : «وَأَسْتَعْمَلُهُ» .

(٢) الرَّبِيعُ : الْحَكْمُ . انْظُرِ الْوَسِيطُ (ر ب ع) .

وقال يَهْجُو الصَّاحِبَ بِهَاءِ الدِّينِ بْنِ الْحِثِّيِّ^(١) :

اقْعُدْ بِهَا وَتَهْنَأْ لَا بَدَّ أَنْ تَتَعَنَّى
تَكْتُبْ عَلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ^(٢) مِنْ أَيْنَ لَكَ يَا بَنَ حِثِّيَّ

فاستدعاه فضربه ، ثم أمر به إلى المارستان ، فمكث فيه سنة ، ثم أطلق .
شمس الدين الأصبهاني شارح « المحصول » محمد بن محمود بن محمد
ابن عبَّاد السُّلَمَانِيُّ الْعَلَّامَةُ^(٣) ، قديم دمشق بعد الخمسين وستمائة ، وناظر
الفقهاء ، واشتهرت فضائله ، وسمع الحديث ، وشرح « المحصول » للرازي ،
وصنّف القواعد في أربعة فنون ؛ أصول الفقه ، وأصول الدين ، والمنطق ،
والخلاف ، وله معرفة جيدة بالمنطق والنحو والأدب ، وقد رحل إلى مصر ، فدرّس
بمشهد الحسين والشافعي وغيرهما ، ورحل إليه الطلبة ، تُوفِّي في العشرين من
رجب في القاهرة ، عن ثنتين وسبعين سنة .

الشمس^(٤) محمد بن العفيف سليمان بن علي بن عبد الله بن علي
السُّلَمَسَانِيُّ ، الشاعر المطبق ، كانت وفاته في حياة أبيه ، فتألم له ، ووجد عليه
وَجْدًا شديدًا ، [١٠١/١٠] ورثاه بأشعار كثيرة ، تُوفِّي يوم الأربعاء الرابع عشر من

(١) لم نقف على هذه الأبيات .

(٢) في الأصل : « بحر » .

(٣) العبر ٣٥٩/٥ ، والوافي بالوفيات ١٢/٥ ، ومرآة الجنان ٢٠٨/٤ ، وتذكرة النبيه ١٢٥/١ ، والسلوك ٧٥٠/١ (القسم الثالث) ، وشذرات الذهب ٤٠٦/٥ .

(٤) بعده في الأصل : « بن » . وانظر مصادر ترجمته في : العبر ٣٥٩/٥ ، والوافي بالوفيات ١٢٩/٣ ، وفوات الوفيات ٣٧٢/٣ ، وتذكرة النبيه ١٢٦/١ ، والسلوك ٧٥٠/١ (القسم الثالث) ، والنجوم الزاهرة ٣٨١/٧ ، وشذرات الذهب ٤٠٥/٥ .

رجب، وصُلِّيَ عليه بالجامع، ودُفِن بالصُّوفِيَّة. فَمِنْ رَائِقِ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

وَأَنَّ ثَنَائِيهِ نَجْمٌ لَبْدَرِهِ وَهَنْ لِعَقْدِ الْحُسْنِ فِيهِ فَرَائِدُ
وَكَمْ يَتَجَافَى خَضْرَاهُ وَهُوَ نَاجِلٌ وَكَمْ يَتَحَلَّى ثَغْرَهُ وَهُوَ بَارِدُ
وَلَهُ يَذُمُّ الْحَشِيشَةَ :

مَا لِلْحَشِيشَةِ فَضْلٌ عِنْدَ آكِلِهَا لَكِنَّهُ غَيْرُ مَضْرُوفٍ إِلَى رَشْدِهِ
صَفَرَاءُ فِي وَجْهِهِ خَضْرَاءُ فِي فَمِهِ حَمْرَاءُ فِي عَيْنِهِ سَوْدَاءُ فِي كَبِدِهِ^(١)
وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضًا :

بَدَا وَجْهُهُ مِنْ فَوْقِ ذَابِلِ قَدِّهِ^(٢) وَقَدْ لَاحَ مِنْ سُودِ الذَّوَائِبِ فِي جُنْحِ
فَقُلْتُ عَجِيبٌ كَيْفَ لَمْ يَذْهَبِ الدُّجَى وَقَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ عَلَى رُوحِ
وَلَهُ مِنْ جُمْلَةِ آيَاتِ^(٣) :

مَا أَنْتَ عِنْدِي وَالْقَضِي بُ اللَّذْنُ فِي حَدِّ سَوَا
هَذَاكَ حَرَّكَهُ الْهَوَا وَأَنْتَ حَرَّكَتَ الْهَوَى
الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ شِهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ
الْعَادِلِ^(٤)، تُؤَفِّي يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَامَنَ عَشَرَ شَعْبَانَ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِالْجَامِعِ، وَدُفِنَ
مِنْ يَوْمِهِ بِتَرْبَةِ جَدِّهِ، وَكَانَ نَاطِرَهَا، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ يُحِبُّ
أَهْلَهُ، وَكَانَ فِيهِ لُطْفٌ وَتَوَاضُعٌ.

(١) فِي الْأَصْلِ : « جَسَدِهِ ».

(٢) فِي الْأَصْلِ، م : « خَدِهِ ». وَالْمُثَبَّتُ مِنْ فَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ ٣/ ٣٧٨.

(٣) انْظُرْ عَقْدَ الْجَمَانِ ٢/ ٣٨٩.

(٤) نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣١/ ١٦٥، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١/ ١٢٤، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٢/ ٣٩٠.

الشيخ فخر الدين أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف البغلبكي الحنبلي^(١)،
شيخ دار الحديث الثورية ومشهد ابن عروة، وشيخ الصدرية، كان يُفتى ويُفيدُ
الناس مع ديانة وصلاح وزهادة وعبادة، وُلد سنة إحدى عشرة^(٢) وستمائية،
وتُوفى في رجب منها.

(١) المعبر ٥/٣٥٨، ومرآة الجنان ٤/٢٠٨، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣١٩، وعقد الجمان ٢/٣٨٩،
والنجوم الزاهرة ٧/٣٨٢، وشذرات الذهب ٥/٤٠٤.
(٢) في الأصل: «وعشرين».

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعٌ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةً

فيها^(١) كانت وفاةُ الملكِ المنصورِ قَلاوُون ، وكان الخليفةُ الحاكمَ العباسيَّ ، ونائبُ مصرَ حُسَامَ الدينِ طُورُنطَاي^(٢) ، ونائبُ الشامِ حُسَامَ الدينِ لاجينَ ، وقُضَاةُ الشامِ شِهَابُ الدينِ بنَ الخوئيِّ الشافعيِّ ، وحُسَامَ الدينِ الحنَفيِّ ، ونجمُ الدينِ بنَ شيخِ الجبلِ الحنبليِّ^(٣) ، وجمالُ الدينِ الزَّراوئيِّ المالكيِّ .

وجاءَ البريدُ بِطَلَبِ شمسِ الدينِ سُنُقَرَ الأعسرِ^(٤) إلى الديارِ المصريةِ ، فأكرمه السلطانُ وقوّاه ، وشدَّ يدهُ ، وأمره باستِخلاصِ الأموالِ ، وزاده شدُّ الجيوشِ ، والكلامُ على الحصونِ إلى البيرةِ وكختا وغيرِ ذلك ، فقويَت نفسه ، وزادَ تجبُّزهُ ، ولكن كان يَزْجَعُ إلى مُروعةٍ وسَترٍ ، ويَنفَعُ مَنْ يَنْتَمِي إليه ، وذلك مودةٌ في الدنيا في أيامِ قلائِلَ .

وفي جُمادَى الآخِرَةِ جاءَ البريدُ بالكشفِ على ناصرِ الدينِ بنِ المقدسيِّ وكيلِ بيتِ المالِ وناظرِ الخاصِّ^(٥) «الأوقافِ» ، فظَهَرَت عليه مَخَايِرُ مِنْ أَكْلِ الأَوْقَافِ وغيرها ، فزَسِمَ عليه بالعَدْرَاوِيَّةِ ، وطُولِبَ بتلكِ الأموالِ ، وَضَيِّقَ عليه ،

(١) نهاية الأرب ١٦٧/٣١ - ١٨٤ ، وكتر الدرر ٣٠٠/٨ - ٣٠٥ ، وتذكرة النبيه ١٣٦/١ ، وعقد الجمان ١٠/٣ - ٤٠ ، والسلوك ٧٥٩ - ٧٥١/١ (القسم الثالث) .

(٢) في م : «طوقاي» . وانظر المصادر السابقة .

(٣) سقط من : م . وانظر المصادر السابقة .

(٤) في م : «الأشقر» .

(٥ - ٥) سقط من : م .

وعَمِلَ فِيهِ سَيْفُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّامُرِيُّ قَصِيدَةً يَتَشَفَّى فِيهَا لِمَا كَانَ أَسَدَى إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْإِذَاءِ ، مَعَ أَنَّهُ رَاحَ إِلَيْهِ ، وَتَعَمَّمَ لَهُ وَتَمَارَحَا هُنَاكَ ، ثُمَّ جَاءَ الْبَرِيدُ بِطَلْبِهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، فَخَافَ الثَّوَابُ مِنْ ذَهَابِهِ ، "إِلَيْهَا وَفُضُولِهِ وَشَرِّهِ" ، فَأَصْبَحَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ "ثَالِثَ شَعْبَانَ" وَهُوَ مَشْنُوقٌ بِالْمَدْرَسَةِ الْعَذْرَاوِيَّةِ ، فَطُلِبَتْ الْقَضَاةُ وَالشُّهُودُ ، فَشَاهَدُوهُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ جُهِزَ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ عِنْدَ أَبِيهِ ، وَكَانَ مَدْرَسًا بِالرَّوَاحِيَّةِ وَتُرْبَةً أُمُّ الصَّالِحِ ، مَعَ الْوِكَالَتَيْنِ وَالنَّظَرِ .

وَجَاءَ الْبَرِيدُ بِعَمَلٍ مَجَانِيقٍ لِحِصَارِ عَكَّا ، فَرَكِبَ الْأَعْمَسُ إِلَى أَرَاضِي بَغْلَبَكْ لِمَا هُنَاكَ مِنَ الْأَخْشَابِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَا يُوجَدُ مِثْلُهَا بِدِمَشْقَ ، وَهِيَ تَصْلُحُ لَذَلِكَ ، فَكَثُرَتِ الْجِنَايَاتُ وَالْجِيَايَاتُ وَالشُّخْرُ ، وَكَلَّفُوا النَّاسَ تَكْلِيفًا كَثِيرًا ، وَأَخَذُوا أَخْشَابَ النَّاسِ ، وَحَمَلَتْ إِلَى دِمَشْقَ بِكُلْفَةٍ عَظِيمَةٍ وَشَدَّةٍ كَثِيرَةٍ ، فَإِنَّا لِلَّهِ [١٠١/١٠٠ ظ] وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

وَفَاةُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ ، بَيْنَمَا النَّاسُ فِي هَذَا الْهَمِّ وَالْمُصَادَرَاتِ وَأُمَثَالِ ذَلِكَ إِذْ وَرَدَتْ بَرِيدِيَّةٌ ، فَأَخْبَرُوا بِوَفَاةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ يَوْمَ السَّبْتِ سَادِسَ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، بِالْحَيِّمِ ظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ ، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ لَيْلًا ، وَجَلَسَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلٌ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ لَهُ ، وَحَلَفَ لَهُ جَمِيعُ الْأُمَرَاءِ ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ ، وَرَكِبَ فِي أُنْبُهِهِ الْمُلِكِ ، وَالْعَسْكَرُ كُلُّهُمْ فِي خِدْمَتِهِ مُشَاهَةً مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ إِلَى الْمَيْدَانِ الْأَسْوَدِ الَّذِي هُوَ سَوْقُ الْخَيْلِ ، وَعَلَى الْأُمَرَاءِ وَالْمُقَدَّمِينَ الْخَلِيعَ وَعَلَى الْقَضَاةِ وَالْأَعْيَانِ ، وَلَمَّا جَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِذَلِكَ حَلَفَ

له الأمراء بالشام ، وقبض على حُسام الدين طُرنطاي نائب أبيه ، وأخذ منه أموالاً جزيلةً جداً ، فأنتَق منها على العسكر .

وفيهما ولي خطابة دمشق زَيْنُ الدين عمرُ بنُ مَكِّي بنِ المُرَحَّلِ عَوْضًا عن جمال الدين بن عبد الكافي ، وكان ذلك بمُساعدة الأَعسر ، وتولَّى نظَرَ الجامع الرئيس وَجِيهُ الدين بنُ المُتَجَّ الحنْبلِي ، عَوْضًا عن ناصر الدين بنِ المُقدِّسِي ، وثَمَر وَقَفَه وعَمَّرَه ، وزاد مائة وخمسين ألفًا .

وفيهما اختَرَت دارُ صاحبِ حماة ، وذلك أنه وَقَعَ فيها نارٌ في غَيْبَتِهِ ، فلم يَتَجاسَرَ أَحَدٌ يَدْخُلُها ، فَعَمِلَت النارُ فيها يومين ، فاخترَت واختَرَقَ كُلُّ ما فيها . وفي شَوَّالِ دَرَسَ بترية أُمُّ الصالحِ بعدَ ابنِ المُقدِّسِي القاضي إمامُ الدين القونَوِي .

وفيهما باشر الشَّرَفُ حَسَنُ^(١) بنُ أحمدَ بنِ الشيخِ أبي عمرَ قُضاءِ الحنابلة عَوْضًا عن ابنِ عمِّه نجمِ الدينِ بنِ شيخِ الجبلِ ، عن مَرْسومِ الملكِ المنصورِ قبلَ وفاته .

وحجَّ بالناسِ في هذه السنة من الشام الأميرُ بدرُ الدين^(٢) بَكْتُوتُ الزوباسِي^(٣) ، وحجَّ قاضي القُضاة شهابُ الدين بنُ الحَوَّثِي ، وشمسُ الدين بنُ السَّلْغُوسِ ، ومُقَدَّمُ الرُّكْبِ الأميرُ عُثْبَةُ ، فتَوَهَّم منه أبو نُعْمَى ، وكان بينهما عداوةٌ ، فأغلق أبوابَ مكة ، ومنَعَ الناسَ من دخولها ، فأحرق البابُ ، وقُتِلَ جماعةٌ ، ونُهِبَتْ بعضُ الأماكنِ ، وجرت خُطوبٌ فظيعةٌ ، ثم أُرْسِلوا القاضي ابنُ

(١) في الأصل ، م : « حسين » . والمثبت من نهاية الأرب ١٧٢/٣١ ، وعقد الجمان ٤٦/٣ ، والسلوك ٧٥١/١ (القسم الثالث) . وستأتي ترجمته في صفحة ٦٨٩ ضمن وفيات سنة خمس وتسعين وستمائة .
(٢ - ٣) في م : « بكتوت الدوباسي » ، وفي عقد الجمان ٤٠/٣ : « بكتاش الزومانتي » .

الخوئي ليُصلِحَ بينَ الفريقين ، ولما استقرَّ عند أبي نُحَيْ رَحيلُ الرُّكوبِ ^(١) ، وبقي هو في الحَرَمِ وحده ، أُرْسِلَ معه أبو نُحَيْ مَنْ أَلْحَقَهُ بِهِمْ سَالِمًا مُعَظَّمًا . وجاء الخبرُ بموتِ المنصورِ إلى الناسِ وهم بعَرَقاتٍ ، وهذا شيءٌ عَجِيبٌ ، وجاء كتابُ يَسْتَحِثُّ الوزيرَ ابنَ السَّلْعوسِ في المَسِيرِ إلى الديارِ المصرية ، وبينَ الأُسْطُرِ بخطَّ الملكِ الأشرفِ : يا شقير ، يا وجهَ الخير ، احضُرْ لتَسَلِّمَ الوِزَارَةَ . فساق إلى القاهرة ، فوصلها يومَ الثلاثاءِ عاشرَ المحرمِ ، فتَسَلَّمَ الوِزَارَةَ كما قال السلطانُ .

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

السلطانُ الملكُ المنصورُ قَلاوُون بنُ عبدِ اللَّهِ التُّركِيُّ الصالحِيُّ الأُلْفِيُّ ^(٢) ، اشْتَرَاهُ الملكُ الصالحُ نجمُ الدينِ أيوبُ بنُ الملكِ الكاملِ محمد بنِ العادلِ أبي بكرِ ابنِ أيوبَ بِأُلْفٍ ^(٣) دينارٍ ، وكان مِنْ أَكابرِ الأُمراءِ عِنْدَهُ وَبعْدَهُ ، ولما تَزَوَّجَ الملكُ السعيدُ بنُ الظاهرِ بابنتِهِ غازِيَةَ خاتونَ ، عَظُمَ شأنُهُ جَدًّا عِنْدَ الظاهرِ ، وما زالَ يَتَوَفَّقُ في الدُولَةِ حَتَّى صارَ أَتابِكُ سَلامُش بنِ الظاهرِ ، ثم رَفَعَهُ مِنَ البَيْتِ ، واشتَقَلَ بِالْمَلِكِ في ^(٤) سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ ، وكَسَرَ التَّارَ على حِمَصَ في سَنَةِ ثَمَانِينَ ، فَأَحْبَبَهُ النَّاسُ ، وَفَتَحَ المَرْقَبَ في ^(٥) سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ، وَفَتَحَ طَرابُلُسَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ ، وَعَزَمَ على فَتْحِ [١٠٢/١٠] عَكَا وَهَزَّ لَهَا ، فَعَاجَلَتْهُ المَنِيَّةُ في السَّادِسِ والعَشْرِينَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ ، وَدُفِنَ بِتَرْبِيَةِ بِمَدْرَسَتِهِ الهائلةِ الَّتِي أَنشأَهَا بَيْنَ

(١) الرُّكوب : جمع الرُّكْب .

(٢) نهاية الأرب ١٧٣/٣١ ، وكنز الدرر ٣٠١/٨ ، والعبر ٣٦٣/٥ ، وفوات الوفيات ٢٠٣/٣ ، وتذكرة النبيه ١٣٥/١ ، والسلوك ٧٥٤/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ١٢/٣ ، والدليل الشافى ٥٤٨/٢ .

(٣) في م : « بألفى » .

(٤ - ٥) سقط من : م .

القَصْرَيْنِ ، التى ليس بديارِ مصرَ ولا بالشامِ مثلُها ، وفيها دارُ حديثٍ ومارِستانٌ ،
وعليها أوقافٌ دائرةٌ كثيرةٌ عظيمةٌ ، مات عن قريبٍ من ستين سنة^(١) ، وكانت مدةُ
ملكه اثنتى عشرة سنةً ، وكان حسنَ الصورة مهيِّبًا ، عليه أُبَّهةُ السلطنة ومهابةُ
الملِكِ ، تامُّ القامة ، حسنُ اللحية ، عالى الهمة ، شجاعًا وقورًا ، سامحه الله .

الأميرُ حسامُ الدين طُرُنْطَاي^(٢) ، نائبُ السلطنة المنصورية بمصرَ ، أخذه
الأشرفُ فسجنه بقلعةِ الجبلِ ثم قتله ، وبقي ثمانية أيامٍ لا يُدْرَى به ، ثم لُفَّ فى
حصيرٍ وأُلْقِيَ على مَزْبَلَةٍ ، وحنَّ^(٣) عليه بعضُ الناسِ ، فكفَّن كآحادِ الفقراءِ
بعدَ التَّعْمِيمِ الكثيرِ ، والدنيا المتَّسِّعة ، والكلمةُ النافذة ، وقد أخذَ السلطانُ من
خِوَصِلِهِ ستمائة ألفِ دينارٍ وسبعين قِنْطَارًا بالمصرى فِضَّةً ، ومن الجواهرِ شيئًا
كثيرًا ، سوى الخيلِ والبغالِ والجمالِ والأمتعة والبُشُطِ الجيادِ ، والأسلحةِ المثمَّنة ،
وغير ذلك من الخِوَصِلِ والأُمْلَاقِ بمصرَ والشامِ ، وتركَ ولَدَيْنِ أحدهما أَعْمَى ،
وقد دَخَلَ هذا الأعمى على الأشرفِ ، فوضعَ المِنْدِيلَ على وجهه وقال : شىءٌ
لِلَّهِ . وذكرَ له أن لهم أيامًا لا يَجِدُونَ شيئًا يَأْكُلُونَهُ ، فرقَ لهم وأطلقَ لهم الأُمْلَاقَ
يَأْكُلُونَ مِنْ رِيعِهَا ، فسبحانَ اللَّهِ الْمُتَصَرِّفِ فى خَلْقِهِ بما يَشَاءُ ، يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ
مَنْ يَشَاءُ .

الشيخُ الإمامُ العَلَّامةُ رَشِيدُ الدينِ عَمْرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مسعودِ الفارَقِى
الشافِعِى^(٤) ، مدرِّسُ الظاهرية ، تُوفِّى بها وقد جاوزَ التسعين ، وُجِدَ مَخْنُوقًا فى

(١) بعده فى الأصل : « وقيل ثمانين سنة » .

(٢) فى م : « طُرْقَاي » . وانظر ترجمته فى : نهاية الأرب ٣١ / ١٨٠ ، والعبر ٥ / ٣٦١ ، المنهل الصافى
٦ / ٣٨٦ ، وعقد الجمان ٣ / ٢٦ ، والنجوم الزاهرة ٧ / ٣٨٣ .

(٣) فى م : « حزن » .

(٤) نهاية الأرب ٣١ / ١٧٢ ، والعبر ٥ / ٣٦٣ ، والوفى بالوفيات ٢٢ / ٤٣١ ، وفوات الوفيات =

الحَرَمِ، ودُفِنَ بالصوفيّة، وقد سَمِعَ الحديثَ، وكان منفردًا في فنونٍ من العلومِ كثيرة، منها النحو والأدب وحلُّ المتزجِمِ والكتابةُ والإنشاءُ وعلمُ الفلكِ والتَّجْوِمِ وضربُ الرَّمْلِ والحسابُ وغيرُ ذلك، وله نَظْمٌ حسنٌ.

الخطيبُ جمالُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الكافي بنُ عبدِ الملكِ بنِ عبدِ الكافي الرُّبَيعِيُّ^(١)، تُوفِّيَ بدارِ الخطّابةِ، وحضَرَ الناسُ الصلاةَ عليه يومَ السبتِ سَلَخَ جمادى الأولى، وحُمِلَ إلى السفحِ، فدُفِنَ إلى جانبِ الشيخِ يوسفَ القُفَاعِيِّ.

فخرُ الدينِ^(٢) أبو الطاهرِ^(٣) إسماعيلُ بنُ عِزِّ القُضاةِ أبي الحسنِ عليّ بنِ محمدٍ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ أبي اليُمَنِ، الشيخُ الزاهدُ المُتَقَلِّلُ من متاعِ الدنيا، تُوفِّيَ في العشرين من رمضان، وصُلِّيَ عليه في الجامعِ، ودُفِنَ بترابِ بني الرُّكَيِّ بقاسيونَ مَحَبَّةً في مَحْبِيّ الدينِ بنِ عَرَبِيِّ؛ فإنه كان يَكْتُبُ من كلامِهِ كلَّ يومٍ ورقتين، ومن الحديثِ ورقَتين، وكان مع هذا يَحْسُنُ الظَّنَّ به، وكان يُصَلِّي مع الأئمةِ كلَّهم بالجامعِ، وقد أَخْبَرَ عنه بعضُ العلماءِ أَنَّهُ رَأَى بِخَطِّهِ:

وفى كلُّ شَيْءٍ له آيَةٌ تَدُلُّ على أَنَّهُ عَيْنُهُ

وقد صَحَّحَ على «عينه»، وإنما الصحيحُ المَرْوِيُّ عمن أنشدَ هذا الشعرَ أولاً:

* تَدُلُّ على أَنَّهُ واحدٌ^(٤) *

= ٢٠٣/٢ - وفيه أَنَّهُ توفى سنة سبع وثمانين وستمائة - وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٠٨/٨،

وتذكرة النبيه ١٣١/١، وعقد الجمان ٤١/٣، والدارس ٣٥١/١، وبغية الرعاة ٢١٦/٢.

(١) العبر ٣٦٣/٥، ومראה الجنان ٢٠٨/٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٨٠/٨، وتذكرة النبيه

١٣١/١، وعقد الجمان ٤٣/٣، والنجوم الزاهرة ٣٨٦/٧.

(٢ - ٢) في م: «أبو الطاهر». وانظر ترجمته في: العبر ٣٦١/٥، وفوات الوفيات ١٧٩/١، والوافي

بالوفيات ١٦٦/٩، وتذكرة النبيه ١٣٠/١، وعقد الجمان ٤٤/٣، والمنهل الصافي ٤٠٨/٢.

(٣) وهو لأبي العتاهية. انظر التمثيل والمحاضرة ص ١١.

وله شعراً فمناه :

والنهر قد^(١) جُنَّ بالغصون هوى
فغار منه النسيم عاشقها
فراح فى قلبه يمثّلها^(٢)
فجاء عن وصله يمثّلها

وله أيضاً :

لما تحقّق بالإمكان فوقكم
فلاخ فوقكم^(٣) فى عالم الصور
لما تحقّق بالإمكان فوقكم
فلاخ فوقكم^(٤) فى عالم الصور

وله :

لى سادة لا أرى سواهم
لقد أحاطوا بكلّ جزء
هم نظروا فى عموم فقرى
فعاملونى ببخات جود
فلا تلم إن جرّزت ذيلى
هم عين مغناى عين^(٥) جوفى
منى وعزّوا عن ذلك طرفى
وطول ذلى وفرط ضغفى
وصرف برّ ومحض لطف
فخرّا بهم أو ثنيت عطفى

وله :

مواهب ذى الجلال لدى تثرى
فقد أحرشتنى ونطقن شكرا

(١ - ١) فى الأصل :

« وللدهر منذ حسر بالغصون هوى فصار برانا قبلته يمثّلها »

(٢) فى م : « مذ ». والمثبت من مصادر ترجمته .

(٣) فى م : « فميز » .

(٤) فى م : « فرقكم » .

(٥) فى الأصل : « غير » .

فَنُغْمِي إِثْرَ نُغْمِي إِثْرَ نُغْمِي «وَبُشْرَى بَعْدَ بُشْرَى بَعْدَ بُشْرَى»^(١)
لَهَا بَدْءٌ وَلَيْسَ لَهَا أَنْتِهَاءٌ يَغْنَمُ مَزِيدُهَا دُنْيَا وَآخِرَى
الْحَاجُّ طَبِيزُسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَلَاءُ الدِّينِ الْوَزِيرِيُّ^(٢)، صِهْرُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ،
كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْأُمَرَاءِ ذَوِي الْحُلِّ وَالْعَقْدِ، وَكَانَ دَيِّتًا، كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ، لَهُ خَانٌ
بِدِمَشْقَ أَوْقَفَهُ، وَلَهُ فِي فِكَالِكِ الْأَشْرَى وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِثَلَاثِمِائَةِ
أَلْفٍ تُصَرَّفُ عَلَى الْجُنْدِ بِالشَّامِ وَمِصْرَ، فَحَصَلَ لِكُلِّ جُنْدِيٍّ خَمْسُونَ دِرْهَمًا،
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَدُفِنَ بِتَرْبِيتِهِ بِسَفْحِ الْمُقَطَّمِ.

قَاضِي الْقَضَاةِ نَجْمُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ^(٣) بْنُ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ
أَبِي عَمْرِو الْمُقَدَّسِيِّ، تُوُفِّي ثَانِي عَشَرَ^(٤) جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْهَا، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ خَلْقٌ
كَثِيرٌ وَنَائِبُ السُّلْطَانَةِ، وَدُفِنَ بِقَاسِيَوْنَ، وَلَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً سَوَاءً^(٥)، وَكَانَ فَاضِلًا
بَارِعًا خَطِيبًا مُدَرِّسًا، دَرَسَ بِأَكْثَرِ الْمَدَارِسِ، وَهُوَ شَيْخُ الْحَنَابِلَةِ وَابْنُ شَيْخِهِمْ،
وَتَوَلَّى بَعْدَهُ الْقَضَاةَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ حَسَنُ^(٦) بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَمْرٍ. وَاللَّهُ
أَعْلَمُ.

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ: «وَيَسْرَا بَعْدَ يَسْرَا بَعْدَ يَسْرَا».

(٢) نَهَايَةُ الْأَرْبِ ١٨٥/٣١، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٤٩/٣، وَالذَّلِيلُ الشَّافِي ٣٧٥/١، وَالنَّجْمُ الزَّاهِرَةُ ٣٨٥/٧.

(٣) سَقَطَ مِنْ: م. وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: الْعَبْرَ ٣٦٠/٥، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٤٦/٧، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١٢٩/١،
وَالذَّلِيلُ عَلَى طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ ٣٢٢/٢، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٤٥/٣، وَالْمَنْهَلُ الصَّافِي ٣٣٠/١.

(٤ - ٤) فِي م: «رَجَبٌ بِسَوَاءٍ».

(٥) فِي الْأَصْلِ، م: «حَسِينٌ». وَانْظُرْ مَا تَقْدُمُ فِي صَفْحَةِ ٦٢٥.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ تَسْعِينَ وَسِتْمَائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ^(١)

فِيهَا فُتِحَتْ عَكَا وَبَقِيَّةُ السَّوَاجِلِ الَّتِي كَانَتْ بِأَيْدِي الْفِرَنجِ مِنْ مُدَدٍ مُتَطَاوِلَةٍ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ فِيهَا حَجَرٌ وَاحِدٌ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

اسْتَهْلَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَالْخَلِيفَةُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ الْعَبَّاسِيُّ ، وَسُلْطَانُ الْبِلَادِ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ ، وَنَائِبُهُ بِمَصْرَ وَأَعْمَالِهَا بِدُرِّ الدِّينِ يَتَدْرَا ، وَوَزِيرُهُ ابْنُ السَّلْمُوسِ الصَّاحِبُ شَمْسُ الدِّينِ ، وَنَائِبُهُ بِالشَّامِ حُسَامُ الدِّينِ لَاجِينِ السَّلْعُدَارِ الْمَنْصُورِيُّ ، وَقُضَاةُ الشَّامِ هُمْ الْمَذْكُورُونَ فِي الَّتِي قَبْلَهَا ، وَصَاحِبُ الْيَمَنِ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ شَمْسُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ الْمَنْصُورِ نَوْرِ الدِّينِ عَمَرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ رَسُولٍ ، وَصَاحِبُ مَكَّةَ نَجْمُ الدِّينِ أَبُو نُعْمَى مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ قَتَادَةَ الْحَسَنِيِّ ، وَصَاحِبُ الْمَدِينَةِ عَزُّ الدِّينِ جَمَّازُ بْنُ شَيْخَةَ الْحُسَيْنِيِّ ، وَصَاحِبُ الرُّومِ غِيَاثُ الدِّينِ كَيْخُسَرُو بْنُ رُكْنِ الدِّينِ قَلِيحِ أَرْسَلَانَ السَّلْجُوقِيِّ^(٢) ، وَصَاحِبُ حِمَاةِ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ تَقِيُّ الدِّينِ^(٣) مُحَمَّدُ بْنُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ تَقِيُّ الدِّينِ مُحَمَّدٍ ، وَسُلْطَانُ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَتِلْكَ

(١) نِهَاجَةُ الْأَرْبِ ١٨٧/٣١ - ٢٢٣ ، وَكَنْزُ الدَّرَرِ ٣٠٥/٨ - ٣٢١ ، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١٣٧/١ - ١٤٣ ، وَالسَّلُوكُ ٧٦٠/١ - ٧٧٥ (الْقِسْمُ الثَّلَاثُ) ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٥٠/٣ - ٨٩ .

(٢) جَاءَ فِي أَحْدَاثِ سَنَةِ ثَنَيْنِ وَثَمَانِينَ وَسِتْمَائَةٍ فِي مَخْتَصَرِ أَخْبَارِ الْبِشْرِ ١٧/٢ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٣١٩/٢ ، وَالسَّلُوكُ ٧١٨/١ (الْقِسْمُ الثَّلَاثُ) أَنَّ غِيَاثَ الدِّينِ قَتْلَهُ أَرْغُونَ مَلِكَ التُّرْ ، وَتَوَلَّى بَعْدَهُ مَسْعُودُ بْنُ عَزِّ الدِّينِ كَيْكَائُوسُ بْنُ كَيْخُسَرٍ وَبْنَ كَيْقَبَازُ بْنُ كَيْخُسَرُو بْنِ قَلِيحِ أَرْسَلَانَ ، وَأَنَّ مَسْعُودًا هَذَا كَانَ آخِرَ مَنْ سَمِيَ بِالسَّلْطَانِ مِنَ السَّلْجُوقِيَّةِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةٍ وَسِتْمَائَةٍ .

(٣) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ : « مُحَمَّدُ بْنُ » .

التَّوَّاحِي أَرْغُونَ بَنُ أَبْنَعَا بِنِ هَوْلَاكُو بِنِ ثُولِي بِنِ جِنْكَزْخَانَ .

وكان أول هذه السنة يوم الخميس ، وفيه تُصَدَّق عن الملك المنصور بأموال كثيرة جدًا من الذهب والفضة ، وأنزل السلطان إلى تربيته في ليلة الجمعة ، فدُفِن بها تحت القبة ، ونزل في قبره بدر الدين بيكدرًا وعلم الدين الشجاعى ، وفُزِّقَت صدقات كثيرة حينئذ ، ولما قديم الصاحب شمس الدين بن السلغوس من الحجاز [١٠٣/١٠] خُلع عليه للوزارة ، وكتب تقليده بها القاضى مُحْيَى الدين بن عبد الظاهر كاتب الإنشاء بيده ، وركب الوزير فى أُبْهَةِ الوزارة إلى داره وحكم .

ولما كان يوم الجمعة قبض على شمس الدين شَنْقَرِ الْأَشْقَرِ وسيف الدين جرمك الناصرى ، وأُفْرِج عن الأمير زَيْنِ الدين كَثْبَعَا ، وكان قد قبض عليه مع طُرُنْطَاي^(١) ، ورُدَّ عليه إقطاعه ، وأعيد التقي تَوْبَةُ إلى وزارة دمشق مرة أخرى . وفيها^(٢) أثبت ابن الخوئى مَحْضَرًا يَتَضَمَّنُ أن يكون تدريس الناصرية للقاضى الشافعى ، وانتزعها من زين الدين الفارقى .

ذكر فتح عكا وبقيّة السّواحل^(٣)

وفيها جاء البريد إلى دمشق فى مُسْتَهْل ربيع الأول لتجهيز آلات الحصار

(١) فى م : « طرقتاى » .

(٢) الدارس ١ / ٤٦٠ .

(٣) نهاية الأرب ٣١ / ١٩٥ - ٢٠٠ ، وكنز الدرر ٨ / ٣٠٨ - ٣١١ ، وتذكرة النبيه ١ / ١٣٧ ، وعقد

الجمان ٣ / ٥٤ ، ٥٧ - ٦٥ .

لَعَكَا ، وَنُودَى فِي دِمَشَقَ : الْغَزَاةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَى عَكَا . وَقَدْ كَانَ أَهْلُ عَكَا فِي هَذَا الْحِينِ عَدَوْا عَلَى مَنْ عِنْدَهُمْ مِنْ تُجَّارِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ ، فَأُتْبِرَتْ الْمَجَانِقُ إِلَى نَاحِيَةِ الْجُسُورَةِ ، وَخَرَجَتِ الْعَامَّةُ وَالْمُطَوَّعَةُ يَجْرُونَ فِي الْعَجَلِ ، حَتَّى الْفُقَهَاءُ وَالْمُدْرَسُونَ وَالصُّلَحَاءُ ، وَتَوَلَّى سِيَاqَتَهَا الْأَمِيرُ عَلَّمُ الدِّينِ الدَّوَادَارِيُّ ، وَخَرَجَتْ الْعَسَاكِرُ بَيْنَ يَدَيِ نَائِبِ الشَّامِ ، وَخَرَجَ هُوَ فِي آخِرِهِمْ ، وَلَحِقَهُ صَاحِبُ حِمَاةِ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرُ ، وَخَرَجَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ، وَاتَّصَلَ بِهِمْ عَشَكُرُ طَرَابُلُسَ ، وَرَكِبَ الْأَشْرَفُ مِنَ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَةِ بِعَسَاكِرِهِ قَاصِدًا عَكَا ، فَتَوَافَتِ الْجِيُوشُ هُنَاكَ ، فَنَازَلَهُمْ يَوْمَ الْخَمِيسِ رَابِعَ^(١) رِيْعِ الْآخِرِ ، وَنُصِبَتْ عَلَيْهَا الْمَجَانِقُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ يُمَكِّنُ نَصْبُهَا عَلَيْهَا ، وَاجْتَهَدُوا غَايَةَ الْجَهْدِ فِي مُحَارَبَتِهَا وَالتَّضْيِيقِ عَلَى أَهْلِهَا ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ بِالْجَامِعِ لِقَرَاءَةِ « صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ » ، فَقَرَأَهُ الشَّيْخُ شَرْفُ الدِّينِ الْفَزَارِيُّ ، وَحَضَرَ الْقَضَاةُ وَالْفُقَهَاءُ وَالْأَعْيَانُ ، وَفِي أَثْنَاءِ مُحَاصَرَةِ عَكَا وَقَعَ تَخْبِيْطٌ مِنْ نَائِبِ الشَّامِ حُسَامِ الدِّينِ لَاجِنٍ ، فَتَوَهَّمُ أَنْ السُّلْطَانُ يُرِيدُ مَسْكَهُ ، وَكَانَ قَدْ أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ الْأَمِيرُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ : أَبُو خُرْصَ^(٢) . فَرَكِبَ هَارِبًا ، فَرَدَّهُ عَلَّمُ الدِّينِ الدَّوَادَارِيُّ بِالمَسَابِهِ ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَطَيَّبَ قَلْبَهُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَبَعَثَهُ إِلَى قَلْعَةِ صَفَدَ ، وَاحْتَاطَ عَلَى حَوَاصِلِهِ ، وَرَسَمَ عَلَى أَسْتَدَارِهِ بَدْرَ الدِّينِ بِكَدَاشَ ، وَجَزَى مَا لَا يَلِيْقُ وَقُوعُهُ هُنَاكَ ، إِذِ الْوَقْتُ وَقْتُ غُشْرِ وَضِيقِ وَحْصَارٍ ، وَصَمَّمَ السُّلْطَانُ عَلَى الْحِصَارِ ، فَتَرَبَّ الْكُوسَاتُ ثَلَاثِمِائَةَ جَمَلٍ ، ثُمَّ زَحَفَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَابِعَ عَشَرَ

(١) فِي الْمَصَادِرِ : « ثَالِثٌ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « خَوْصٌ » .

جُمَادَى الْأُولَى ، وَدَقَّتِ الْكُوسَاتُ جُمْلَةً وَاحِدَةً عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَطَلَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْأَسْوَارِ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَنُصِبَتِ السَّنَاقُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَوْقَ أَسْوَارِ الْبَلَدِ ، فَوَلَّتِ الْفِرْنَجُ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَذْبَارَ ، وَرَكِبُوا هَارِيِينَ فِي مَرَاكِبِ الثَّجَارِ ، وَقَتِلَ مِنْهُمْ عِدَّةٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَغَنِمُوا مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالرَّقِيقِ وَالْبَضَائِعِ شَيْئًا كَثِيرًا جَدًّا ، وَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِهَذْمِهَا وَتَخْرِيبِهَا ، بِحَيْثُ لَا يُسْتَفْعَ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَيَسَّرَ اللَّهُ فَتَحَهَا نَهَارَ جُمُعَةٍ ، كَمَا أَخَذَتْهَا الْفِرْنَجُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَسَلَّمَتْ صُورَ وَصَيْدَا قِيَادَهُمَا إِلَى الْأَشْرَفِ ، فَاسْتَوْسَقَ السَّاحِلُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَتَنَظَّفَ مِنَ الْكَافِرِينَ ، وَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَجَاءَتِ الْبِطَاقَةُ إِلَى دِمَشْقَ بِذَلِكَ ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ فِي جَمِيعِ الْخُصُوفِ ، وَزُيِّنَتِ الْبِلَادُ لِيَتَنَزَّهُ [١٠٣/١٠ ط] فِيهَا النَّاضِرُونَ وَالْمُتَفَرِّجُونَ ، وَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ إِلَى صُورَ أَمِيرًا ، فَهَدَمَ أَسْوَارَهَا ، وَعَفَا آثَارَهَا ، وَقَدْ كَانَ لَهَا فِي أَيْدِي الْفِرْنَجِ مِنْ سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَأَمَّا عَكَّا فَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ يَوْسُفُ بْنُ أَيُوبَ أَخَذَهَا مِنْ أَيْدِي الْفِرْنَجِ ، ثُمَّ إِنَّ الْفِرْنَجَ جَاءُوا فَأَحَاطُوا بِهَا بِجِيُوشٍ كَثِيرَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ صِلَاحُ الدِّينِ بِالْجِيُوشِ لِيَمَانَعَهُمْ عَنْهَا مَدَّةَ سَبْعَةِ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا ، ثُمَّ فِي آخِرِ ذَلِكَ اسْتَمْلَكُوهَا ، وَقَتَلُوا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، كَمَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ .

ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ خَلِيلَ بْنِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ سَارَ مِنْ عَكَّا قَاصِدًا دِمَشْقَ فِي أُتْبَةٍ الْمَلِكِ وَخُزْمَةٍ وَافِرَةٍ ، وَفِي صُحْبَتِهِ وَزِيرُهُ ابْنُ السَّلْعُوسِ وَالْجِيُوشُ الْمَنْصُورَةُ ، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ اسْتَنَابَ بِالشَّامِ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سَنَجَرُ الشُّجَاعِي ، وَسَكَنَ بَدَارِ السَّعَادَةِ ، وَزِيدَ فِي إِقْطَاعِهِ حَرَسَتًا ، وَلَمْ تُقَطَّعْ لغيرِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ

لمصالح حواصل القلعة ، وجعل له فى كل يوم ثلاثمائة على دار الطعم^(١) ، وفوض إليه أن يطلق من الخزانة ما يريد من غير مشاورة ولا مراجعة ، وأرسله السلطان إلى صيدا ؛ لأنه كان قد بقى بها بُرُج عاص ، ففتحه ودقت البشائر بسببه ، ثم عاد سريعا إلى السلطان فودّعه ، وسار السلطان نحو الديار المصرية فى أواخر رجب ، وبعثه إلى بيروت ليفتحها ، فسار إليها ففتحها فى أقرب وقت ، وسلمت عثليث^(٢) وأنطوطوس وجبيل . ولم يبق بالسواحل - ولله الحمد - معقل للفرنج إلا بأيدي المسلمين ، وأراح الله منهم البلاد والعباد ، ودخل السلطان إلى القاهرة فى تاسع شعبان فى أبهة عظيمة جدا ، وكان يوما مشهودا ، وأفرج عن بدر الدين يتسرى بعد سجن تسع^(٣) سنين ، وردّ عليه إقطاعه ، ورجع علم الدين سنجر الشجاعى نائب دمشق إلى دمشق فى سابع عشرين الشهر المذكور ، وقد نظف السواحل من الفرنج بالكلية ، ولم يبق لهم بها حجز .

وفى رابع رمضان أفرج عن حسام الدين لاجين من قلعة صفد ، ومعه جماعة أمراء ، وردّ إقطاعاتهم إليهم ، وأحسن إليهم وأكرمهم .

وفى أوائل رمضان طلب القاضى بدر الدين بن جماعة من القدس الشريف - وهو حاكم به وخطيب فيه - على البريد إلى الديار المصرية ، فدخلها فى رابع عشرة ، وأفطر ليلته عند الوزير ابن السلّوس ، وأكرمهم جدا واخترمه ،

(١) فى م : « الطعام » . ودار الطعم : دار بدمشق بمخانة الوكالة بالديار المصرية . انظر صبح الأعشى ١٨٧/٤ .

(٢) فى م : « عثلية » . وعثليث : اسم حصن بسواحل الشام ويعرف بالحصن الأحمر . معجم البلدان ٦١٦/٣ .

(٣) فى الأصل ، م : « سبع » . والمثبت من نهاية الأرب ٨٨/٣١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، وكنت الدرر ٣١٢/٨ . وتقدم فى حوادث سنة إحدى وثمانين وستمئة أن السلطان المنصور قلاوون قبض عليه .

وكانت ليلة الجمعة، فصرَّح الوزير بعزل تقي الدين ابن بنت الأعز وتولية ابن جماعة بالديار المصرية قضاء القضاة، وجاء القضاء إلى تهنئته، وأصبح الشهود في خدمته، ومع القضاء خطابة الجامع الأزهر، وتدرّس الصالحية، وركب في الخلعة والطَّرْحَة، ورسم لبقية القضاء أن يستمروا بلبس الطَّرَحَات، وذهب فخطب بالجامع الأزهر، وانتقل إلى المدرسة الصالحية، ودرّس بها في الجمعة الأخرى، وكان درسًا حافلًا، ولما كان يوم الجمعة رسم السلطان للحاكم بأمر الله أن يخطب هو بنفسه الناس يومئذ، وأن يذكّر في خطبته أنه قد ولّى السلطنة للأشرف خليل بن المنصور، فليس خلعة سوداء، وخطب الناس بالخطبة التي كان خطب بها في الدولة الظاهرية، وكانت من إنشاء الشيخ شرف الدين المقدسي في سنة ستين وستمائة، [١٠٤/١٠] فيكون بين الخطبتين أزيد من ثلاثين سنة، وذلك بجامع قلعة الجبل، ثم استمر ابن جماعة يخطب بالقلعة عند السلطان، وكان يستنيب في الجامع الأزهر.

وأما ابن بنت الأعز فناله من الوزير إخراج ومصادرة وإهانة بالغة، ولم يترك له من مناصبه شيئًا، وكان بيده سبعة عشر منصبًا؛ منها القضاء، والخطابة، ونظر الأخباس، ومشخة الشيوخ، ونظر الخزانة، وتداريس كبار، وصادره بنحو من أربعين ألفًا، غير مراكبه وأشياء كثيرة، ولم يظهر منه استكانة له ولا خضوع، ثم عاد فرضى عنه، وولاه تدرّس الشافعي.

وعملت ختمة عند قبر الملك المنصور في ليلة الاثنين رابع ذى القعدة، وحضرها القضاء والأمراء، ونزل السلطان ومعه الخليفة إليهم وقت السحر، وخطب الخليفة بعد الختمة خطبة بليغة، حرّض الناس فيها على غزو بلاد العراق، واستنقاذها من أيدي التتر، وقد كان الخليفة قبل ذلك محتجبًا، فرآه

الناس جَهْرَةً، وركب في الأسواق بعد ذلك .

وعمل أهل دمشق خَتْمَةً عظيمةً بالميدان الأخضر إلى جانب القصر الأبلق ،
فَقُرِئَتْ خَتَمَاتٌ كثيرةٌ ، ثم خطب الناس بعدها الشيخ عز الدين الفاروئي ^(١) ، ثم
ابن البزوري ، ثم تكلم من له عادةٌ بالكلام ، وجاءت البريدية بالتهيو لغزو
العراق ، وتوذى في الناس بذلك ، وعملت سلاسل عظام بسبب الجسورة على
دجلة بغداد ، وحصلت الأجور على المقصود ، وإن لم يقع المقصود ، وحصل
لبعض الناس أذى بسبب ذلك .

وفيهما نادى نائب الشام الشجاعى أن لا تلبس امرأة عمامة كبيرة ، وخرب
الأبنية التى على نهري بانياس والجداول كلها والمسالح والسقايات التى على
الأنهار كلها ، وأخرب جسر الزلاية وما عليه من الدكاكين ، ونادى أن لا يمشى
أحد بعد العشاء الآخرة ، ثم أطلق لهم هذه فقط ، وأخرب الحمام الذى كان بناه
الملك السعيد ظاهر باب النصر ، ولم يكن بدمشق أحسن منه ، ووسع الميدان
الأخضر من ناحية الشمال مقدار سديه ، ولم يترك بينه وبين النهر إلا مقداراً
يسيراً ، وعمل هو بنفسه والأمراء فى جيطانه .

وفيهما حبس الأمير جمال الدين آقوش الأفزم المنصورى وأمير ^(٢) آخر معه فى
القلعة .

وفيهما حبل الأمير علّم الدين الدوادارى إلى الديار المصرية مقيداً .

وقد نظم الشيخ شهاب الدين محمود قصيدة فى فتح عكا ^(٣) :

(١) فى م : « الفارونى » .

(٢) هو الأمير سيف الدين قرار سلان المنصورى ، انظر السلوك ٧٧٤/١ (القسم الثالث) .

(٣) نهاية الأرب ٢٠٣/٣١ - ٢٠٨ .

الحمدُ لله زالت دولة الصُّلبِ
هذا الذى كانت الآمالُ لو طَلَبَتْ
ما بعدَ عَكَا وقد هُدَّت قواعدها
لم يَتَّقِ من بعدها للكفرِ إذ خَرِبَتْ
أُمُ الحروبِ فكم قد أنشأت فتناً
يا يومَ عَكَا لقد أنسيَتْ ما سَبَقَتْ
لم يَتَلُغِ النُّطْقُ حدَّ الشكرِ فيكَ فما
أَغْضَبَتْ عُبادَ عيسى إذ أَبَدَتْهُمْ
وأشرف المصطفى الهادى البشيرُ على
فقرَ عَيْنًا لهذا الفتحِ وابْتَهَجَتْ
وسار فى الأرض سيرا قد سَمِعَتْ به
وعَزَّ بالثُّركِ دينُ المُصْطَفَى العَرَبِ
رؤياه فى النومِ لاسْتَحْيَتْ مِنَ الطَّلَبِ
فى البحرِ للشركِ^(١) عندَ البَرِّ من أَرَبِ
فى البرِّ والبحرِ ما يُنْجِى سِوَى الهَرَبِ
شَابَ الوليدُ بها هولاً ولم تَشِبْ
به الفتوحُ وما قد خُطَّ فى الكُتُبِ
عسى يَقُومَ به ذو الشَّعرِ والأدبِ
«للهُ أُمَّ»^(٢) رَضَى فى [١٠/٤١٠] ذلك الغَضَبِ
ما أسْلَفَ الأشرفُ السلطانُ من قُرْبِ
يُبْشِرُهُ الكعبةُ العَرَاءُ فى الحُجْبِ
فالْبَرُّ فى طَرَبِ والبحرُ فى حَرَبِ^(٣)

وهى طويلةٌ جداً، وله ولغيره فى فتحِ عكا أشعارٌ كثيرةٌ .

ولما رجع البريدُ أَخْبَرَ بأن السلطانَ لما عاد إلى مصرَ خَلَعَ على وزيره ابنِ
السُّلُوسِ جميعَ ملاسيه التى كانت عليه ، ومزكوته الذى كان تحته ، فركبه ورسَمَ
له بثمانية وسبعين ألفاً من خزانة دمشق ، لِيَشْتَرِيَ له بها قريةَ قَرَحْتَا^(٤) من بيتِ المالِ .
وفى هذه السنةِ انْتَهَتْ عِمارةُ قلعةِ حَلَبَ بعدَ الخرابِ الذى أصابها من
هُولاً كُو وأصحابه عامَ ثمانٍ وخمسين .

(١) فى م : « للترك » .

(٢ - ٣) فى الأصل : « فرب راي » .

(٣) فى كنز الدرر ٣١٧/٨ : فالْبَرُّ فى طَلَبِ والبحرُ فى هَرَبِ .

(٤) قرحتا : من قرى دمشق . معجم البلدان ٥٣/٤ .

وفى شوالٍ منها شُرِعَ فى عِمارةِ قلعةِ دمشقَ وبناءِ الدُّورِ السُّلْطانيةِ والطَّارمةِ
والقُبَّةِ الزُّرقاءِ، حَسَبَ ما رَسَمَ بهِ السُّلطانُ الأَشرفُ خَليلُ بنُ قَلاوونَ لِنائِبِهِ عَلمُ
الدينِ سَنجَرِ الشُّجاعى .

وفىها فى رَمضانَ أُعيدَ إلى نِيايةِ القلعةِ الأميرُ أَرْجواشُ ، وأُعْطى إقْطاعاتِ
سَنِيَّةٍ .

وفىها أُرْسِلَ الشَّيْخُ الرِّجِيحى مِنْ ذريةِ الشَّيْخِ يُونُسَ مُضَيِّقًا عليه ، مَحْصُورًا
إلى القَاهِرَةِ .

وفىها دَرَسَ عَزُّ الدينِ الفارُوثى^(١) بالمدرسةِ النَّجَّيبِيَّةِ عِوَضًا عن كَمالِ الدينِ
ابنِ خَلْكانَ ، وفى ذلكَ اليومِ دَرَسَ نَجْمُ الدينِ مَكِّيُّ بالرَّواحِيَّةِ عِوَضًا عن ناصِرِ
الدينِ بنِ المَقْدَسى ، وفىهِ دَرَسَ كَمالُ الدينِ الطَّيِّبُ بالمدرسةِ الدَّخْوارِيَّةِ
الطَّيِّبِيَّةِ .

وفى هذا الشَّهِرِ دَرَسَ الشَّيْخُ جَلالُ الدينِ الحَبَّازى^(٢) بالخاتُونِيَّةِ البَرَّانيَّةِ ،
وَجَمالُ الدينِ بنُ الباجُزْبَقى بالقَلِيجَةِ^(٣) ، وبُزْهانُ الدينِ الإسْكَندَرى بالقُوصِيَّةِ
التي بالجامعِ ، والشَّيْخُ نَجْمُ الدينِ الدَّمشَقى بالشَّرِيفِيَّةِ عِنْدَ حارَةِ الغُرباءِ .

وفىها أُعيدَتِ الناصِرِيَّةُ إلى الفارِقى ، وفىهِ دَرَسَ بالأَمِينِيَّةِ القاضى نَجْمُ الدينِ
ابنُ صَضرى بَعَدَ ابنِ الزَّمْلكانِ ، وأُخِذَتِ مِنْهُ العادِلِيَّةُ الصَّغِيرَةُ لَكَمالِ الدينِ بنِ
الزَّمْلكانِ .

(١) فى م : « القارونى » .

(٢) فى الأصل : « الحناوى » . وانظر ترجمته فى صفحة ٦٥٥ فى وفيات السنة الآتية .

(٣) فى الأصل ، م : « بالفتحية » . والمثبت من عقد الجمان ٨٧/٣ ، والدارس ٥٠٤/١ .

وَمَنْ تُوِّفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

أَرْغُونُ بْنُ أَبَا مَلِكٍ التَّسْرِي (١) ، كَانَ شَهْمًا شَجَاعًا سَفَاكًا لِلدَّمَاءِ ، قَتَلَ عَمَّهُ السُّلْطَانَ أَحْمَدَ بْنَ هَوَلَاكُو ، فَعَظُمَ فِي أَغْيَانِ الْمَغُولِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ مِنْ شَرَابٍ شَرِبَهُ فِيهِ سُمٌّ ، فَأَتَتْهُمْ الْمَغُولُ الْيَهُودَ بِهِ - وَكَانَ وَزِيرُهُ سَعْدُ الدَّوْلَةِ بْنُ الصَّيْفِيِّ (٢) يَهُودِيًّا - فَقَتَلُوا مِنَ الْيَهُودِ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَنَهَبُوا مِنْهُمْ أَمْوَالًا عَظِيمَةً جَدًّا فِي جَمِيعِ مَدَائِنِ الْعِرَاقِ ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيمَنْ يُقِيمُونَهُ بَعْدَهُ ، فَمَالَتْ طَائِفَةٌ إِلَى كَيْخْتُو ، فَأَجْلَسُوهُ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ ، فَبَقِيَ مَدَّةً ، قِيلَ : سَنَةٌ . وَقِيلَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَتَلُوهُ وَمَلَكُوا بَعْدَهُ يَتَدَرًا (٣) ، وَجَاءَ الْخَبْرُ بِوَفَاةِ أَرْغُونِ إِلَى الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ وَهُوَ مُحَاصِرٌ عَكَّا ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ كَثِيرًا ، وَكَانَتْ مَدَّةُ مُلْكِ أَرْغُونِ ثَمَانِ سِنِينَ ، وَقَدْ وَصَفَهُ بَعْضُ مُؤَرِّخِي الْعِرَاقِ بِالْعَدْلِ وَالسِّيَاسَةِ الْجَيِّدَةِ .

الْمَسْنَدُ الْمُعَمَّرُ الرَّحْلَةُ [١٠٥/١٠] فَخْرُ الدِّينِ بْنُ الْبُخَارِيِّ (٤) ، وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُقَدَّسِيِّ الْخَنْبَلِيِّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبُخَارِيِّ ، وُلِدَ فِي سَلَخٍ (٥) سَنَةِ خَمْسٍ (٦) أَوْ مَسْتَهْلُ سَنَةِ سِتٍّ وَتَسْعِينَ (٧) وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ ، وَرَحَلَ مَعَ أَهْلِهِ ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا عَابِدًا زَاهِدًا وَرِعًا نَاسِكًا ، تَفَرَّدَ

(١) نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٢٧/٤٠٤ ، وَكَتَرُ الدَّرَرِ ٨/٣٢٢ ، وَالْعَبَرُ ٥/٣٦٦ ، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٨/٣٥٠ ، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١/١٤١ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٣/١٠٤ ، وَالْمَنْهَلُ الصَّافِي ٢/٣١٠ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٥/٤١١ .

(٢) فِي م : « الصَّيْفِي » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « بَنْدَر » .

(٤) فِي م : « النَّجَّار » . وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : الْعَبَرُ ٥/٣٦٨ ، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١/١٤٤ ، وَالذَّيْلُ عَلَى طَبَقَاتِ الْخَنْبَلَةِ ٢/٣٢٥ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٣/٩٠ ، وَالنَّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٨/٣٢ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٥/٤١٤ .

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ ، م . وَالمُثَبِّتُ مِنْ مَصَادِرِ التَّرْجُمَةِ .

(٦) فِي م : « وَسَبْعِينَ » .

بروايات كثيرة لطول عمره، وخُرِجَتْ له مَشِيخَاتٌ، وسمِع منه الخلق الكثير والجَمُّ الغَفِيرُ، وكان منصوبًا لذلك حتى كبر وأسنَّ وضعف عن الحركة، وله شعرٌ حسنٌ، منه قوله^(١) :

تَكَرَّرَتِ السَّنُونُ عَلَيَّ حَتَّى بَلَيْتُ وَصِرْتُ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
وَقُلُّ النَّفْعِ عِنْدِي^(٢) غَيْرُ أَتَى أَعْلَلُ بِالرَّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ
فَإِنْ يَكُ خَالِصًا فَلَهُ جَزَاءٌ وَإِنْ يَكُ مَالِقًا^(٣) فِإِلَى ضِيَاعِ
وله أيضًا :

إِلَيْكَ اعْتَذَرِي مِنْ صَلَاتِي قَاعِدًا وَعَجَزِي عَنْ سَعْيِي إِلَى الْجُمُعَاتِ
وَتَزَكِي صَلَاةَ الْفَرَضِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ تَجَمُّعَ فِيهِ النَّاسُ لِلصَّلَوَاتِ
فِيَا رَبِّ لَا تَمُتْ صَلَاتِي وَنَجِّنِي مِنَ النَّارِ وَاصْفَخْ لِي عَنْ الْهَفَوَاتِ
تُوُفِّي ضُحَى نَهَارِ الْأَرْبَعَاءِ ثَانِي ربيعِ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ خَمْسٍ وَتَسْعِينَ
سَنَةً، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ
عَبْدِ الْوَاحِدِ بِسَفْحِ قَاسِيُونِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ الْفَرَارِيُّ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ^(٤) إِبْرَاهِيمَ بْنِ^(٥) سَبَّاحِ بْنِ ضِيَاءِ
تَاجِ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْفَرَارِيُّ، الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْعَلَمُ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ فِي زَمَانِهِ،
حَازَ قَصَبَ السَّبْقِ دُونَ أَقْرَانِهِ، وَهُوَ وَالِدُ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ بُؤْهَانَ الدِّينِ . كَانَ مَوْلَدُ

(١) الأبيات في ذيل طبقات الحنابلة، وعقد الجمان، وشذرات الذهب .

(٢) في الأصل : « منى » .

(٣) في الأصل : « مايقا »، وفي ذيل طبقات الحنابلة وشذرات الذهب : « مانعا » .

(٤ - ٥) سقط من : الأصل، م . والمثبت من مصدر ترجمته ؛ العبر ٣٦٧/٥، والوافي بالوفيات ٩٦/١٨، وفوات الوفيات ٢٦٣/٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٦٣/٨، وتذكرة النبيه ١٤٣/١، والنجوم الزاهرة ٣٣/٨ .

الشيخ تاج الدين في سنة ثلاثين وستمائة^(١)، وتوفي ضحى يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة بالمدرسة الباذرائية، وصلى عليه بعد الظهر بالأموى، تقدم للصلاة عليه قاضى القضاة شهاب الدين بن الخوئى، ثم صلى عليه عند جامع جراح الشيخ زين الدين الفارقى، ودفن عند والده بباب الصغير، وكان يوماً شديداً للرحام، وقد كان ممن اجتمعت فيه فنون كثيرة من العلوم النافعة، والأخلاق اللطيفة، وفصاحة المنطق، وحسن التصنيف، وعلو الهمة، وفقه النفس، وكتابه «الإقليد» الذى جمعه على أبواب «التنبية» وصل فيه إلى باب الغضب، دليل على فقه نفسه وعلو قدره، وقوة همته، ونفوذ نظره، واتصافه بالاجتهاد الصحيح فى غالب ما سطره، وقد انتفع به الناس، وهو شيخ أكابر مشايخنا هو والشيخ محبى الدين النووى، وله «اختصار الموضوعات» لابن الجوزى، وهو عندى بخطه، وقد سمع الحديث الكثير، وحضر عند ابن الزبيدى «صحيح البخارى»، وسمع من ابن اللتى وابن الصلاح، واشتغل عليه وعلى ابن عبد السلام، وانتفع بهما، وخرج له الحافظ علم الدين البوزالى أحد تلاميذه مشيخة فى عشرة أجزاء عن مائة شيخ، فسمعها عليه الأعيان، وكان له شعر جيد، فمنه قوله:

لله أيام جمع الشمل ما برحت بها الحوادث حتى أصبحت سمرًا
ومبتدا الحزن من تاريخ مسألتى عنكم فلم ألق لا عينًا ولا أثرًا
يا راحلين قدزتم فالتجاة لكم ونحن للعجز لا نستعجز القدرا

(١) فى مصادر الترجمة أنه ولد سنة أربع وعشرين وستمائة.

(٢) سقط من: الأصل.

وقد ولى الدرس بعده بالبادرائية والحلقة والفنيا بالجامع ولده شيخنا بزهان الدين، فمضى على طريقة والده وهديه ودله وسمته، رحمه الله.

وفى ثالث شعبان توفى الطيب الماهر عز الدين إبراهيم بن محمد بن طرخان [١٠/١٠٥] الشويدي الأنصاري^(١)، ودُفن بالسفح عن تسعين سنة، وروى شيخاً من الحديث، وفاق أهل زمانه فى صناعة الطب، وصنّف كتباً^(٢) فى ذلك، وكان يُزَمّى بقلّة الدين، وتزك الصلوات، وأنجلال فى العقيدة، وإنكار أمور كثيرة مما يتعلّق باليوم الآخر، واللّه يحكم فيه وفى أمثاله بأمره العدل الذى لا يُجور ولا يظلم. وفى شعره ما يدلّ على قلة عقله ودينه وعدم إيمانه، واغتراضه على تحريم الخمر، وأنه قد طال رمضان عليه فى تركها، وغير ذلك.

الشيخ الإمام العلامة علاء الدين أبو الحسن على بن^(٣) الإمام العلامة كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري الزمלקاني،^(٤) مدرّس الأمينية، وهو والد شيخنا الإمام العلامة كمال الدين بن أبى المعالى محمد بن على الزمלקاني^(٥)، وقد درّس بعد أبيه المذكور بالأمينية، وكانت وفاة والده هذا ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الآخر^(٥) بالأمينية، ودُفن بمقابر الصوفية عند والده.

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٧٥٩، والوفى بالوفيات ١٢٣/٦، وفوات الوفيات ٤٨/١، والمنهل الصافى ١٤٢/١.

(٢) فى الأصل: «كتابا».

(٣) بعده فى الأصل: «الحسن». وانظر ترجمته فى: العبر ٣٦٩/٥، والوفى بالوفيات ٢٩١/٢١، ومرآة الجنان ٢١٩/٤، وطبقات الشافعية للإسنوى ١٣/٢، وتذكرة النبى ١٤٦/١، وشذرات الذهب ١٧/٥.

(٤ - ٤) سقط من: م.

(٥) فى طبقات الشافعية للإسنوى: «الأول».

الأمير الكبير بدر الدين يَمَكُ^(١) بن عبد الله الناصري، ناظر الرباط
بالصالحية عن وصية أستاذه، وهو الذي ولي الشيخ شرف الدين الفزاري مَشِيخَةً
الرباط بعد ابن الشريشي جمال الدين، وقد دُفِنَ بالتربة الكبيرة داخل الرباط
المذكور.

الشيخ الإمام أبو حفص عمر بن يحيى بن عمر الكرجي^(٢)، صهر الشيخ
تقي الدين بن الصلاح، وأحد تلاميذه، وُلِدَ سنة تسع وتسعين وخمسمائة، ومات
يوم الأربعاء ثاني ربيع الآخر من هذه السنة، ودُفِنَ إلى جانب ابن الصلاح.

الملك العادل^(٣) بدر الدين^(٤) سلامش بن الظاهر، الذي كان قد بُرِعَ
بالمُلك بعد أخيه الملك السعيد، وجُعِلَ الملك المنصور قلاوون أتابكته، ثم استقلَّ
قلاوون بالمُلك، وأرسلهم إلى الكرك، ثم أعادهم إلى القاهرة، ثم سَفَرهم
الأشرف خليل في أول دولته إلى بلاد الأشكرى من ناحية إصطنبول، فمات
سلامش هناك، وبقي أخوه نجم الدين خَصِرٌ وأهلُهم بتلك الناحية، وقد كان
سلامش من أحسن الشباب شكلاً وأبهاهم منظرًا، وقد افْتَنَ به خلق كثير^(٥) من
الناس^(٦)، وشبَّب به الشعراء، وكان عاقلًا رئيسًا مهيبًا وقورًا.

(١) في م: «على». وانظر ترجمته في: نهاية الأرب ٢٢٣/٣١، وعقد الجمان ١٠٣/٣ والمنهل
الصافي ١٥٥/٤ - وفيهما: «تكر» - وورد ذكر اسمه في كنز الدرر ٢٤٥/٨ في حوادث سنة ثمانين
وستمائة، وفي السلوك ٦٧٥/١ (القسم الثالث) حوادث سنة تسع وسبعين وستمائة.
(٢) في م: «الكرخي». والكرجي: نسبة إلى الكرج، وهي مدينة بين همدان وأصبهان. معجم البلدان
٢٥٠/٤، ٢٥١. وانظر ترجمته في: العبر ٣٦٩/٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٤٤/٨،
وعقد الجمان ٩٥/٣ والنجوم الزاهرة ٣٣/٨ - وفيهما أيضًا: «الكرخي» - وشذرات الذهب ٤١٧/٥.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل. وانظر ترجمته في: العبر ٣٦٧/٥، والوافي بالوفيات ٣٢٦/١٥، ومراة
الجنان ٢١٦/٤، وتذكرة النبيه ١٤٢/١، والمنهل الصافي ١٣/٦، وشذرات الذهب ٤١١/٥.
(٤ - ٤) في م: «واللوطية الذين يحبون المردان».

العَفِيفُ التَّلْمِيسَانِيُّ ، أبو الربيعِ سليمانُ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ بنِ ياسينَ العابدِيُّ الكوفيُّ^(١) ثم التَّلْمِيسَانِيُّ ، الشاعرُ الْمُتَّقِنُ في علومٍ ؛ منها النحوُ والأدبُ والفقهُ والأصولُ ، وله في ذلك مُصَنَّفَاتٌ ، وله شرحُ «مَوَاقِفِ النَّفَرِيِّ» ، و«شرحُ أسماءِ اللَّهِ الحُسْنَى» ، وله ديوانٌ مشهورٌ ، ولوليدُه محمدٌ ديوانٌ آخرٌ ، وقد نُسِبَ هذا الرجلُ إلى عَظَائِمَ في الأقوالِ والاعتقادِ في الحُلُولِ والاتحادِ والزُّنْدَقَةِ والكُفْرِ المحضِ ، وشهرتهُ تُغْنِي عن الإطنابِ في ترجمتهُ ، تُؤَفِّي يومَ الأربعاءِ خامسَ رجبٍ ، ودُفِنَ بالصوفيَّةِ ، ويُذَكَّرُ عنه أنه عَمِلَ أربعينَ خَلْوَةً ، كُلُّ خَلْوَةٍ أربعينَ يوماً مُتَتَابِعَةً . فاللَّهُ أعلمُ .

(١) في الأصل : «الكركي» ، وفي م : «الكومي» . والمثبت من مصادر ترجمته : العبر ٣٦٧/٥ ، والوافي بالوفيات ٤٠٨/١٥ ، وفوات الوفيات ٧٢/٢ ، ومراة الجنون ٢١٦/٤ ، وتذكرة النبيه ١٤٧/١ ، وعقد الجمان ٩٥/٣ ، والمنهل الصافي ٣٨/٦ ، والنجوم الزاهرة ٢٩/٨ ، وشذرات الذهب ٤١٢/٥ .

ثم دَخَلَتْ سنة إحدى وتسعين وستمائة

فيها^(١) فُتِحَتْ قلعة الروم، وسلطان البلاد من دُنُقْلَة إلى مصر إلى أَقْصَى بلاد الشام بِكَمَالِهِ وسَوَاحِلِهِ [١٠٦/١٠] وبلاد حلب وغير ذلك الملك الأشرف خَلِيلٌ، ووزيره شمس الدين بن السَّلْعُوسِ، وقضائه بالشام ومصر هم المذكورون في التي قبلها، ونائب مصر بدر الدين يَيدَارُ، ونائب الشام عَلَمُ الدين سَنَجَرُ الشُّجَاعِي، وسلطان التَّتَرِ يَيدُو^(٢) بن أَرْغُون بن أَبْغَا، والعمارة^(٣) في الطَّارِمَةِ، وفي الدور السلطانية بالقلعة.

وفي رابع عشرين المحرم وقع حريق عظيم بقلعة الجبل ببعض^(٤) الخرائن، أُلْفَ شيئاً كثيراً من الذخائر والتفائس والكتب.

وفي التاسع والعشرين من ربيع الأول خطب الخليفة الحاكم، وحث في خطبته على الجهاد والتفكير، وصلى بهم الجمعة، وجهر بالبشملة.

وفي ليلة السبت ثالث عشر صفر جىء بهذا الجزر^(٥) الأحمر الذي يباب البرادة من عكا، فوُضِعَ في مكانه.

(١) نهاية الأرب ٢٢٥/٣١ - ٢٤٦، ودول الإسلام ١٩٣/٢، ١٩٤، وتذكرة النبيه ١٤٩/١ - ١٥٩، والسلوك ٧٧٧/٣ - ٧٨٢ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ١١٠/٣ - ١٣٥.

(٢) في م: «ييدار».

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) في الأصل: «الجرن». والجزر والجزر: العمود من الحديد. والجزن: حجر منقور يصب فيه الماء فيتوضأ به. اللسان (ج ر ز)، (ج ر ن).

وفى ربيع الأول كَمَل بناء الطارمة وما عندها من الآذر^(١) والقبة الزرقاء،
وجاءت فى غاية الحسن والكمال والارتفاع.

وفى يوم الاثنين ثانى جمادى الأولى^(٢) ذكر الدرس بالظاهرة الشيخ صفى
الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموى، عوضاً عن علاء الدين ابن بنت الأعز،
وفى هذا اليوم درس بالدولة كمال الدين بن الزكى.

وفى يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة درس بالتجيبية الشيخ ضياء الدين عبد
العزير الطوسى، بمقتضى نزول الفاروق له عنها.

فتح قلعة الروم

وفى ربيع الآخر^(٣) توجه السلطان الأشرف بالعساكر نحو الشام، فقدم
دمشق، ومعه وزيره ابن السلعوس، فاستعرض الجيوش، وأنفق فيهم أموالاً
جزيلة، ثم سار بهم نحو بلاد حلب، ثم سار إلى قلعة الروم، فافتتحها
بالسيف قهراً فى يوم السبت حادى عشر رجب، وجاءت البشارة بذلك إلى
دمشق، وزُيّنت البلد سبعة أيام، وبارك الله^(٤) لخميس المسلمين فى سبتهم،
وكان يوم السبت ألباً على أهل يوم الأحد، وكان الفتح بعد حصار عظيم
جداً، مدة ثلاثة وثلاثين يوماً، وكانت المنجنيقات تزيد على ثلاثين منجنيقاً،

(١) فى م: « الدور ». والآذر: جمع الدار. اللسان (دور).

(٢) انظر الدارس ١/٢٤٤، ٣٥٢.

(٣) فى م: « الأول منها ».

(٤ - ٤) فى م: « لخميس المسلمين فى سبتهم ». والخميس: الجيش الجوار.

واشْتَشْهَدَ مِنَ الْأُمَرَاءِ شَرَفُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيرِ، وَقَدْ قُتِلَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا شَيْئًا كَثِيرًا، ثُمَّ عَادَ السُّلْطَانُ إِلَى دِمَشْقَ، وَتَرَكَ الشُّجَاعِيَّ بِقَلْعَةِ الرُّومِ يُعَمِّرُونَ مَا وَهَى مِنْ قَلْعَتِهَا؛ بِسَبَبِ رَفِي الْمُنَجْنِيقَاتِ عَلَيْهَا وَقَتِ الْحِصَارِ، وَكَانَ دُخُولُهُ إِلَى دِمَشْقَ بُكْرَةً يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ تَاسِعَ عَشَرَ شَعْبَانَ، فَاخْتَفَلَ النَّاسُ لِدُخُولِهِ، وَدَعَوْا لَهُ وَأَحْبَبُوهُ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، يُسَيِّطُ لَهُ كَمَا يُسَيِّطُ لَهُ إِذَا قَدِمَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ بِإِشَارَةِ ابْنِ السَّلُوسِ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَسَطَ لَهُ، وَقَدْ كَسَرَ أَبُوهُ التَّتَرَّ عَلَى حِمَصَ، وَلَمْ يُنْسَطْ لَهُ، وَكَذَلِكَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ كَسَرَ التَّتَرَّ وَالرُّومَ عَلَى الْبُلُسْتَيْنِ وَفِي غَيْرِ مَوْطِنٍ وَلَمْ يُنْسَطْ لَهُ، وَهَذِهِ بِدْعَةٌ شَنْعَاءُ قَدْ أَخَذَتْهَا هَذَا الْوَزِيرُ لِلْمُلُوكِ، وَفِيهَا إِسْرَافٌ وَضِيَاعٌ مَالٍ وَأَشْرٌ وَبَطَرٌ وَرِيَاءٌ وَتَكْلِيفٌ لِلنَّاسِ، وَأَخَذَ أَمْوَالٍ وَوَضَعُهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ سَائِلُهُ عَنْهَا، وَقَدْ ذَهَبَ وَتَرَكَهَا يَتَوَارَثُهَا الْمُلُوكُ وَالنَّاسُ عَنْهُ، وَقَدْ حَصَلَ لِلنَّاسِ بِسَبَبِ ذَلِكَ ظَلَمٌ عَظِيمٌ، فَلْيَتَّقِ الْعَبْدُ رَبَّهُ، وَلَا يُخَدِّثْ فِي الْإِسْلَامِ بِسَبَبِ هَوَاهُ وَمُرَادِ نَفْسِهِ مَا يَكُونُ [١٠٦/١٠٠] سَبَبٌ مَقْتٍ لِلَّهِ لَهُ، وَلِمَعْرَاضِهِ عَنْهُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَا تَدُومُ لِأَحَدٍ، وَلَا يَدُومُ أَحَدٌ فِيهَا. وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

وَكَانَ مَلِكُ قَلْعَةِ الرُّومِ مَعَ السُّلْطَانِ أُسَيْرًا، وَكَذَلِكَ رُءُوسُ أَصْحَابِهِ، فَدَخَلَ بِهِمْ دِمَشْقَ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ رُءُوسَ أَصْحَابِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الرِّمَاحِ، وَجَهَّزَ السُّلْطَانُ طَائِفَةً مِنَ الْجَيْشِ نَحْوَ جَبَلِ كَسْرَوَانَ وَالْجَرْدِ^(١) بِسَبَبِ ثُمَالَاتِهِمْ لِلْفِرْنَجِ قَدِيمًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مُقَدَّمُ الْعَسَاكِرِ يَتَدَرَأُ^(٢)، وَفِي صَحْبَتِهِ سُنُقَرُ الْأَشْقَرُ، وَقَرَأْتُ

(١) فِي م : «الجزر».

(٢) هُنَا وَفِيمَا يَأْتِي فِي م : «بندار».

المنصوري الذي كان نائب حَلَبَ ، فعزله عنها السلطان ، وولّى مكانه سيف الدين بلبان الطباخي^(١) المنصوري ، وجماعة آخرون من الأمراء الكبار ، فلما أحاطوا بالجبل ، ولم يَتَقَ إلا دَمَارُ أهله ، حملوا في الليل إلى بيدرا جملاً كثيراً ، ففتر في قضيتهم ، ثم انصرفت بالجيوش عنهم ، وعادوا إلى السلطان ، فتلقاهم السلطان ، وترجّل السلطان للأمير بيدرا ، وهو نائبه على مصر ، ثم إن ابن السلّوس نبّه السلطان على ما فعل بيدرا ، فلامه وعثقه ، فمرض من خوفه من ذلك مَرَضًا شديدًا أشفى به على الموت ، حتى قيل : إنه مات . ثم عُوفِيَ ، فعَمِلَ حَتْمَةً عظيمةً بجامع دمشق حضرها القضاة والأعيان ، وأشعل الجامع نظير ليلة النصف من شعبان ، وكان ذلك ليلة العشر الأول من رمضان ، وأطلق السلطان أهل الحبوس ، وترك بقية الضمان عن أرباب الجهات السلطانية ، وتصدّق عنه بشيء كثير ، ونزل هو عن ضمانات كثيرة ، وكان قد حاف فيها على أربابها ، وقد امتدح الشهاب محمودُ الملك الأشرف خليلاً على فتحه قلعة الروم بقصيدة هائلة فاضلة ، أولها^(٢) :

لك الراية الصفراء يقدّمها النصر	فمن كَيْفُباذ إن رآها وكيفُخسرو
إذا خفقت في الأرض ^(٣) هدّت بنودها	هوى الشرك واشتغلى الهدى وانجلي الثغر
وإن نُشِرت مثل الأصائل في وغي	جلا النَّقْع من لألاء طلعتها البدر
وإن يَمُمّت زُرُق العدى سار تحتها	كتائب خُصُر دَوْحها البيض والشمر

(١) في الأصل ، م : « البطاحي » . والمثبت من المصادر ، وانظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٢٨٢ / ١٠ .

(٢) القصيدة بتمامها في كنز الدرر ٣٣٤ / ٨ . ومختصرة في فوات الوفيات ٤١٤ / ١ ، ٤١٥ .

(٣) في م ، وكنز الدرر : « الأفق » .

كأن مَثَارَ النَّقْعِ لَيْلٌ وَخَفَقَهَا
 وَفَتَحَ أَتَى فِي إِثْرِ فَتَحٍ كَأَنَّمَا
 فَكَمْ قَطَمْتُ ^(١) طَوْعًا وَكَرْهًا مَعَاقِلًا
 بِذَلِكَ لَهَا عَزْمًا فَلَوْلَا مَهَابَةٌ
 قَصَدَتْ حَمَى مِنْ قَلْعَةِ الرُّومِ لَمْ يُبَحِّ
 وَوَالْوَهْمُ سِرًّا لِيُخَفُوا أَذَاهُمْ
 صَرَفَتْ إِلَيْهِمْ هِمَّةً لَوْ صَرَفْتُهَا
 وَمَا قَلْعَةُ الرُّومِ الَّتِي حُزِنَتْ فَتَحَهَا
 طَلِيعَةٌ مَا يَأْتِي مِنَ الْفَتْحِ بَعْدَهَا
 فَصَبَّحَتْهَا بِالْجَيْشِ كَالرُّوضِ بَهْجَةً
 وَأَبْعَدَتْ بِلْ كَالْبَحْرِ وَالْبَيْضِ مَوْجَهُ
 وَأَغْرَبَتْ بِلْ كَاللَّيْلِ غَوْجُ سَيُوفِهِ
 وَأَخْطَأَتْ لَا بِلْ كَالنَّهَارِ شَمُوسُهُ
 [١٠٧/١٠] لِيُوثَّ مِنَ الْأَتْرَاكِ أَجَانُهَا الْقَنَا
 فَلَا الرِّيحُ تَجْرِي بَيْنَهُمْ لَا شَتِيَاكِهَا
 عِيُونَ ^(٥) إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ ^(٦) تَعَرَّضَتْ

بُرُوقٌ وَأَنْتَ الْبَدْرُ وَالْفَلَكَ الْجَزْرُ ^(١)
 سَمَاءٌ بَدَتْ تَنْزِي كَوَاكِبُهَا الزُّهْرُ
 مَضَى الدَّهْرُ عَنْهَا وَهِيَ عَانِسَةٌ بِكْرُ
 كَسَاهَا الْحَيَا جَاءَتْكَ تَسْعَى وَلَا مَهْرُ
 لَغَيْرِكَ إِذْ غَرَّتْهُمْ الْمُغْلُ فَاغْتَرَّوْا
 وَفِي آخِرِ الْأَمْرِ اسْتَوَى السُّرُّ وَالْجَهْرُ
 إِلَى الْبَحْرِ لَا اسْتَوَى عَلَى مَدَّةِ الْجَزْرِ ^(٢)
 وَإِنْ عَظُمَتْ إِلَّا إِلَى غَيْرِهَا جِسْرُ
 كَمَا لَاحَ قَبْلَ الشَّمْسِ فِي الْأَفْقِ الْفَجْرُ
 صَوَارُمُهُ أَنْهَارُهُ وَالْقَنَا الزُّهْرُ
 وَجُزْدُ الْمَذَاكِي السَّفْنُ وَالْخَوْذُ الدَّرُ
 أَهْلَتُهُ وَالنَّبْلُ أَنْجَمُهُ الزَّهْرُ
 مُحِيتَاكَ وَالْأَصَالُ رَايَاتُكَ الصَّفْرُ
 لَهَا كُلُّ يَوْمٍ فِي ذَوِي ^(٤) ظُفْرِ ظُفْرُ
 عَلَيْهِمْ وَلَا يَنْهَلُ مِنْ فَوْقِهِمْ قَطْرُ
 لِحْطَابِهَا بِالنَّفْسِ لَمْ يَغْلُهَا مَهْرُ

(١) فِي الْأَصْلِ: «الْحَبِير». وَفِي م: «الْحَتْر». وَفِي كَنْزِ الدَّرَرِ وَاحِدِي نَسْخِ الْفَوَاتِ: «الْحَتْر». وَفِي
 الْفَوَاتِ: «الْبَحْرِ». وَالْجَهْرُ: الْوَاسِعُ. تَاجُ الْعُرُوسِ (ج ث ر).
 (٢) فِي م: «قَطَمْتُ». وَفِي الْمَصْدَرَيْنِ: «وَطَطْتُ».
 (٣) فِي الْأَصْلِ: «الزَّجْر».
 (٤) فِي م، وَالْمَصْدَرَيْنِ: «ذَرَى».
 (٥) يُقَالُ: حَرَبْتُ عَوَانَ: قَتَلْتُ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. الْوَسِيطُ (ع وَ ن).
 (٦) فِي الْأَصْلِ: «غِيُوثُ».

ترى الموتَ معقودًا بهُدبٍ نبالهم
ففى كلِّ سرجٍ عُصْنٌ بآنٍ مُّهْفَهَفٌ
إذا صَدَمُوا شُمْ^(١) الجبالِ تَزَلْزَلَتْ
ولو وَرَدَتْ ماءُ الفراتِ خيولهم
أداروا بها سُورًا فَأُضْضِحَتْ^(٢) كَخِصْرِ
وَأَزْخَوْا إِلَيْهَا مِنْ^(٣) «بحارٍ أَكْفُهُمْ»^(٤)
كَأَنَّ الْمَجَانِيقَ الَّتِي قُمْنَ حَوْلَهَا
أَقَامَتْ صَلَاةَ الْحَرْبِ لَيْلًا صَخُورُهَا
وَدَارَتْ بِهَا تِلْكَ النُّقُوبُ فَأُشْرِفَتْ^(٥)
فَأُضْضِحَتْ بِهَا كَالصَّبِّ يُخْفِي غَرَامَهُ
وَشَبَّتْ بِهَا النَّيْرَانُ حَتَّى تَمَزَّقَتْ
فَلَاذُوا بِذِيلِ الْعَفْوِ مِنْكَ فَلَمْ يَخْبِ
وَمَا كَرِهَ الْمُغْلُ اشْتِغَالَكَ عَنْهُمْ
فَأُخْرِزَتْهَا بِالسَّيْفِ قَسْرًا وَهَكَذَا
وَأُضْضِحَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ تُغَرَّأُ مُتَمَعًا
فِيَا أَشْرَفَ الْأَمْلَاقِ فُزْتُ بِغَزْوَةٍ

إذا ما رماها القوسُ والنظرُ الشَّرُّ
وفى كلِّ قوسٍ مَدَّةٌ سَاعِدٌ بَدْرُ
وأصبح سهلًا تحتَ خيلهم الوعرُ
لقليل هنا قد كان فيما مضى نهْرُ
لَدَى خَاتَمٍ^(٢) أَوْ تَحْتَ مِنْطَقَةٍ خَصُرُ
سَحَابٍ رَدَى لَمْ يَخُلْ مِنْ قَطْرِهِ قُطْرُ
رواعِدُ سُحُطٍ وَبُلْهًا النَّارُ وَالصَّخْرُ
فَأَكْثَرُهَا شَفَعٌ وَأَكْثَرُهَا^(٤) وَتَرُ
وَلَيْسَ عَلَيْهَا فِي الذِّى فَعَلَتْ حَجَرُ^(٦)
حَذَارٍ أَعَادِيهِ وَفِي قَلْبِهِ جَمْرُ
وَبَاحَتْ بِمَا أَخْفَتْهُ وَانْهَتْكَ الشَّرُّ
رَجَاهُمْ وَلَوْلَمْ يَشُبْ^(٧) قَصْدَهُمْ مَكْرُ
بِهَا عِنْدَمَا فَرَّوْا وَلَكِنْهُمْ سُرَّوْا
فُتَوَّحُّكَ فِيمَا قَدْ مَضَى كُلُّهُ قَسْرُ
تَبِيدُ اللَّيَالَى وَالْعِدَى وَهُوَ مُفْتَرُ
تَحْصُلُ مِنْهَا الْفَتْحُ وَالذِّكْرُ وَالْأَجْرُ

(١) فى كثر الدرر والفوات : « صم » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « كخاتم لذى خنصر » . وفى م « كخاتم لذى خنصر » . والمثبت من المصدرين السابقين .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « أكف بحارهم » . والمثبت من المصدرين السابقين .

(٤) فى م : « أكبرها » . وفى كثر الدرر : « أقتلها » .

(٥) فى م : « فأُسْرِفَتْ » .

(٦) فى الأصل : « هجر » .

لِيَهْنِكَ عِنْدَ الْمُضْطَفَى أَنَّ دِينَهُ تَوَالَى لَهُ فِي يُمَيْنِ دَوْلَتِكَ النَصْرُ
وَبُشْرَاكَ أَرْضِيَتْ الْمَسِيحَ وَأَحْمَدًا وَإِنْ غَضِبَ النَّفْقُورُ^(١) مِنْ ذَاكَ وَالْكَفْرُ
فَسِرْ حَيْثَ مَا تَخْتَارُ فَلِلْأَرْضِ كُلِّهَا بِحُكْمِكَ وَالْأَمْصَارُ أَجْمَعُهَا مِصْرُ
وَدُمُ وَابَقَ لِلدُّنْيَا لِيَحْيَى بِكَ الْهُدَى وَيُرْزَى عَلَى مَاضِي الْعَصُورِ بِكَ الْعَصْرُ
حَذَفْتُ مِنْهَا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً .

وفيهما تَوَلَّى خُطَابَةَ دِمَشْقَ الشَّيْخُ عَزُّ الدِّينِ أَحْمَدُ الْفَارُوْثِيُّ الْوَاسِطِيُّ بَعْدَ وَفَاةِ
زَيْنِ الدِّينِ بْنِ الْمُرْجَلِ ، وَخَطَبَ وَاسْتَشَقَّى بِالنَّاسِ فَلَمْ يُشَقُّوا ، ثُمَّ خَطَبَ مَرَّةً
ثَانِيَةً بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ عِنْدَ مَسْجِدِ الْقَدِيمِ^(٢) فَلَمْ يُشَقُّوا ، ثُمَّ ابْتَهَلَ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ
دُعَائِهِ وَاسْتَسْقَاهُ فَشَقُّوا ، ثُمَّ عُزِّلَ الْفَارُوْثِيُّ بَعْدَ أَيَّامٍ بِالْخَطِيبِ مُوَفَّقِ الدِّينِ
أَبِي^(٣) الْمَعَالِي مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمُتَعَمِّمِ بْنِ حَسَنِ الْمُهْرَانِيِّ
الْحَمَوِيِّ ، كَانَ خَطِيبَ حِمَاةَ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى دِمَشْقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فَقَامَ
وَخَطَبَ ، وَتَأَلَّمَ الْفَارُوْثِيُّ لَذَلِكَ ، وَدَخَلَ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَاعْتَقَدَ أَنَّ الْوَزِيرَ عَزَلَهُ
مِنْ غَيْرِ عِلْمِهِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ شَعَرَ بِذَلِكَ ، وَاعْتَذَرَ بِأَنَّهُ إِذَا عَزَلَهُ لَضَعْفِهِ ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ
يُصَلِّي لَيْلَةَ النِّصْفِ مِائَةَ رَكْعَةٍ بِمِائَةِ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » ، فَلَمْ يَقْبَلُوا ذَلِكَ مِنْهُ
وَاسْتَمَرُّوا بِالْحَمَوِيِّ . وَهَذِهِ ذِنَاءَةٌ بِشِيعَةِ وَقَلَّةِ عَقْلِ وَعَدَمِ إِخْلَاصٍ مِنَ الْفَارُوْثِيِّ ،
[١٠٧ / ١٠ ظ] وَأَصَابَ السُّلْطَانُ فِي عَزْلِهِ .

وفى هذا اليوم قبض السلطان على الأمير سُتْقَرِ الْأَشْقَرِ وَغَيْرِهِ ، فَهَرَبَ هُوَ

(١) فى الأصل، م : « البغفور » ، وفى كنز الدرر : « التكفور » . والنفقور : لقب ملك الأرمن .

(٢) فى الأصل : « بن » .

والأميرُ حُسامُ الدينِ لاجِنِ السِّلَحْدَارِ، فنادت عليه المُنَادِيَةُ بدمشقَ : مَنْ أَخْضَرَهُ
فله ألفُ دينارٍ، ومَنْ أَخْضَاهُ شُنِق. وركبَ السلطانُ وماليكُه في طلبِه، وصلَّى
الخطيبُ بالناسِ في الميْدانِ الأخضرِ، وعلى الناسِ كاتِبَةٌ بسببِ تَفَرُّقِ الكلمةِ
واضطرابِ الجيشِ، واختبَطَ الناسُ، فلما كان سادسُ شوالٍ أُمْسَكَتِ العربُ
سُنُقَرُ الأَشْقَرِ، فردَّوه على السلطانِ، فأرسله مُقَيَّدًا إلى مصرَ.

وفى هذا اليومِ ولَّى السلطانُ نيابةَ دمشقَ لعزِّ الدينِ أَيْتِكِ الحَمَوِيِّ، عِوَضًا
عن الشُّجاعِيِّ، وقَدِمَ الشُّجاعِيُّ مِنَ الرُّومِ في هذا اليومِ الثاني من عزله، فتلقَّاه
الفاروئي وقال: قد عُزِلْنَا مِنَ الخطابةِ. فقال: ونحن مِنَ النِّبَاةِ. فقال
الفاروئي: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ
كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]. فلما بَلَغَ ابنُ السَّلْعوسِ تَغَضُّبَ عليه،
وكان قد عيَّنَ له القَيْمُورِيَّةَ فتركَ ذلكَ، وسافرَ السلطانُ عاشَرَ شوالٍ إلى مصرَ،
فدخلَها في أُبْهةِ المَلِكِ، وفي يومِ دُخُولِهِ أَقْطَعَ قَراسنُقَرُ مائةِ فارسٍ بمصرَ عِوَضًا
عن نيابةِ حلبَ.

وفى هذه السَّنَةِ اشْتَرَى الأميرُ سيفُ الدينِ طغايَ الأَشْرَفِيَّ^(١) قَيْسَارِيَّةَ
القَطَنِ المعروفةَ بِإِنْشاءِ المَلِكِ المُعْظَمِ بنِ العادلِ مِنَ بَيْتِ المالِ، بِمَزْسُومٍ مِنَ
السلطانِ، وكان حَظِيًّا عِنْدَهُ، ونَقَلَ سِوقَ الحَرِيرَيْنِ تلكَ المَدَّةَ، وكان السلطانُ
قد أَفْرَجَ عن عِلْمِ الدينِ الدَّوَادَرِيِّ بَعْدَ رَجوعِهِ مِنَ قَلْعَةِ الرُّومِ، واسْتَحْضَرَهُ إلى
دمشقَ، وخَلَعَ عليه، واسْتَضَجَبَهُ مَعَهُ إلى القَاهِرَةِ، وأَقْطَعَهُ مائةَ فارسٍ، وولَّاهُ
مُشَيِّدَ الدَّوَاوِينِ مُكْرَهًا.

(١) في م: «الأشقرى».

وفى ذى القعدة استخضر السلطان سُتْقَرُ الأشْقَرُ وطُقُصُوا، فعاقبهما فاعترفا
بأنهما أرادا قتله، فسألهما عن لاجين فقالا: لم يَكُنْ معنا ولا عِلْمٌ له بهذا.
فَحَنَقَهُمَا، وأطلقه بعدما جعل الوترَ فى حلقه، وكان قد بقى له مدة لا بد أن
يَبْلُغَهَا، وقد ملك بعد ذلك كما سنذكره، إن شاء الله تعالى.

وفى ذى الحجة عقد الشيخ بُزْهَانُ الدين بن الشيخ تاج الدين عقده على بنت
قاضى القضاة شهاب الدين ابن الخوَّيِّ بالباذرائية، وكان حافلاً.

وفىها دخل الأمير سُتْقَرُ الأَغَسَرُ على بنت الوزير شمس الدين بن السلغوس
على صداق ألف دينار، وعجل لها خمسمائة.

وفىها قفز جماعة من التتر نحو من ثلاثمائة إلى الديار المصرية، فأكرموا.
ومن تُوفى فيها من الأغيان:

الخطيب زين الدين أبو حفص عمر بن مكِّي بن عبد الصمد الشافعى
المعروف بابن المرحل^(١)، وهو والد الشيخ صدر الدين بن الوكيل، سمع
الحديث، وبرع فى الفقه وفى علوم شتى، منها علم الهيئة، وله فيه مصنف،
تولَّى خطابة دمشق، ودرّس وأفتى، تُوفى ليلة السبت الثالث والعشرين من ربيع
الأول، وصلى عليه من الغد بباب الخطابة.

الشيخ عز الدين الفاروئى^(٢)، ولى الخطابة قليلاً، ثم عُزل، ثم مات، ودُفِنَ

(١) العبر ٣٧٣/٥، ومراة الجنان ٢١٩/٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٤٢/٨، وتذكرة النبيه
١٥٥/١، وعقد الجمان ١٣٦/٣، والنجوم الزاهرة ٣٦/٨.

(٢) العبر ٣٨١/٥، والوافى بالوفيات ٢١٩/٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦/٨، وتذكرة النبيه
١٨٣/١، وغاية النهاية ٣٤/١، والسلوك ٨١١/١ (القسم الثالث)، والذى فى هذه المصادر أن وفاته
كانت سنة أربع وتسعين وستمئة.

بياب الصَّغِيرِ ، عفا اللهُ عنا وعنه .

الصاحب فتح الدين أبو عبد الله [١٠٨/١٠] محمد بن مُحيى الدين
عبد الله بن عبد الظاهر^(١) ، كاتب الأشرار في الدولة المنصورية بعد ابن لُقمان ،
وكان ماهراً في هذه الصناعة ، وحظي عند المنصور ، وكذا عند ابنه الأشرف ،
وقد طلب منه ابن السلَّعوس أن يقرأ عليه كل ما يكتُبُه ، فقال : هذا لا يُمكن ، فإن
أشراز الملوك لا يطلِّع عليها غيرهم ، وأبصروا لكم غيري يَكُونُ معكم بهذه
المثابة . فلما بلغ ذلك الأشرف أعجبه منه ، وازدادت عنده منزلته . تُوفِّي يوم
السبت نصفَ رمضان ، وأُخرجت في تَرِكَتِه قَصيدةٌ قد رَتَّى^(٢) بها تاج الدين بن
الأثير ، وكان قد تَشَوَّشَ فاعتقد أنه يموت ، فعوفى فبقيت عنده ، وتولَّى ابن الأثير
بعده ، ورثاه تاج الدين كما رثاه ، وتُوفِّي ابن الأثير بعده بشهر وأربعة أيام .

يونس بن علي بن رضوان بن بَرْقش^(٣) الأميرُ عمادُ الدين ، كان أحدَ
الأمراءِ الطُّبْلَخانية في الدولة الناصرية ، ثم خَمَلَ ، وبطلَ الجُنْدية بالكلية في الدولة
المُظفَّرية ، وهَلَمَّ جَرًّا إلى هذه السنة ، وكان الظاهرُ يُكرِّمُه ، تُوفِّي في شوال ،
ودُفِن عندَ والدِه بترية الخزيمين .

جلال الدين الحَبَّازي^(٤) عمر بن محمد بن عمر ، أبو محمد الحَبَّندى ،

(١) نهاية الأرب ٣١/٢٤٥ ، والعبر ٥/٣٧٣ ، والوافي بالوفيات ٣/٣٦٦ ، وتذكرة النبيه ١/١٥٦ ،

والسلوك ١/٧٨١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣/١٤٤ ، والنجوم الزاهرة ٨/٣٥ .

(٢) في الأصل ، م : « رثاه » . والمثبت موافق لما في الوافي بالوفيات .

(٣) عقد الجمان ٣/١٤٦ . وفيه : « قرقس » .

(٤) في الأصل : « الحناوى » . وانظر ترجمته في : الجواهر المضية ٢/٦٦٨ ، وعقد الجمان ٣/١٣٦ ،

والدليل الشافى ١/٥٠٥ ، وشذرات الذهب ٥/٤١٩ .

أحدُ مشايخ الحنَفيَّة الكِبارِ، أصلُهُ مِن بلادِ ما وراءَ النهرِ، مِن بِلَدٍ يُقالُ لها :
خُجَنْدَةُ . واشتَغَلَ هناكَ ودَرَسَ بِخُوارزَمَ ، وأعادَ بِيغدادَ ، ثم قَدِمَ دِمَشقَ فدَرَسَ
بالعِزِّيَّة والخاتُونيَّة البِزْانيَّة ، وكانَ فاضلاً بارِعاً مُنصِفاً ، مُصنِّفاً في فُنُونٍ كَثيرةٍ ،
تُوفِّيَ لخميسٍ يَقيَن مِن ذِي الحِجَّةِ مِنها ، وله ثِنْتانِ وستونَ سَنَةً ، ودُفِنَ بالصُوفيَّة .
الملكُ المُظفَّرُ قَرَأَ أَرْسلانَ الأَرْتَقِيَّ^(١) ، صاحِبُ مارِدِينِ ، تُوفِّيَ وله ثمانونَ
سَنَةً ، وقامَ مِن بَعْدِهِ ولَدُهُ شَمسُ الدِّينِ داوُدُ ، ولُقِّبَ بالملكِ السَّعيدِ . واللَّهُ
سَبْحانَهُ أَعْلَمُ .

(١) في م : « الأفرقي » . وانظر ترجمته في : دول الإسلام ١٩٤ / ٢ ، وتذكرة النبيه ١٥٩ / ١ ، والدليل
الشافعي ٥٣٦ / ٢ ، والسلوك ٧٨١ / ١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ١٤٨ / ٣ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ وَسْتُمَائَةٍ^(١)

فى تاريخِ ظَهيرِ الدينِ الكازرونى^(٢) : ظَهَرَتْ نَارٌ بِأَرْضِ المَدِينَةِ النَبَوِيَّةِ فى هذه السَّنَةِ ، نَظِيرُ ما كان فى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ عَلَى صِفَتِهَا ، إِلا أَنَّ هَذِهِ النَّارَ كان يَغْلُو لَهْيُهَا كَثِيرًا ، وَكانت تُحْرِقُ الصَّخَرَ ، وَلا تُحْرِقُ السَّعْفَ ، وَاسْتَمَرَّتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .

اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ^(٣) وَالدَّوْلَةُ المَذْكُورُونَ هُمَ الَّذِينَ كانُوا فى التَّيِّ قَبْلَها^(٤) . وَفى جُمادى الآخِرَةِ قَدِيمِ الأَشْرَفِ دَمَشَقَ ، فَتَزَلَّ فى القَصْرِ الأَبْلَقِ وَالمَيْدَانِ الأَخْضَرِ ، وَجَهَّزَ الحَيُوشَ ، وَتَهَيَّأَ لَغَزْوِ بِلادِ سِيسَ ، وَقَدِيمِ فى عُبُونِ ذَلِكَ رُسُلُ صَاحِبِ بِلادِ سِيسَ يَطْلُبُونَ الصُّلْحَ ، فَشَفَعَ الأَمْرَاءَ فِيهِمْ ، فَسَلَّمُوا بَهْشِنًا^(٥) وَتَلَّ حَمْدُونَ وَمَزْعَشَ ، وَهى أَكْبَرُ بِلادِهِمْ وَأَحْسَنُها وَأَحْصَنُها ، وَهى فى فَمِ الدَّرْبِئِدِ . ثُمَّ رَكِبَ السُّلْطَانُ فى ثانى رَجَبٍ نَحْوَ سَلَمِيَّةَ بِأَكْثَرِ الجَيْشِ ، صُورَةً أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُصِيبَ الأَمِيرَ حُسَّامَ الدِّينِ لاجينَ ، فَأَضَافَهُ الأَمِيرُ مُهَنَّا بَنُ عيسى ، فَلَمَّا

(١) نَهايةُ الأَرَبِ ٢٤٧/٣١ - ٢٥٧ ، وَكَتَبَ الدَّرَجُ ٣٤٠/٨ - ٣٤٤ ، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١٦٠/١ - ١٦٦ ، وَالسُّلُوكُ ٧٨٢/١ - ٧٨٧ (القِسْمُ الثَّالِثُ) .

(٢) انْظُرْ عَقْدَ الجَمَّانِ ١٤٩/٣ .

(٣ - ٣) فى م : « وَالخَلِيفَةُ الحَاكِمُ العِباسى وَسُلْطانُ البِلادِ المَلِكُ الأَشْرَفُ بنِ المَنْصُورِ وَنائبُهُ بِمِصْرَ بِدَرِ الدِّينِ بِيدْرَا وَبِالشَّامِ عَزِ الدِّينِ أَيْلِكَ الحَمَوى وَقَضَاةُ مِصْرَ وَالشَّامِ هُمَ الَّذِينَ كانُوا فى التَّيِّ قَبْلَها وَالْوَزِيرُ شَمْسُ الدِّينِ بنِ السُّلُوعِ » .

(٤) بَهْشِنًا : قَلْعَةُ حَصِينَةٍ بِقَرَبِ مَرْعَشَ وَسَمِيساطَ ، وَهى اليَوْمَ مِنْ أَعْمالِ حَلَبَ . انْظُرْ مَعْجَمَ البِلدانِ ١/ ٧٧٠ .

انْقَضَتِ الضِّيَافَةُ أَمْسِكَ لَهُ حُسَامُ الدِّينِ لَاجِينَ ، وَكَانَ عِنْدَهُ ، فَجَاءَ بِهِ ، فَسَجَنَهُ فِي قَلْعَةٍ دِمَشْقَ ، وَأَمْسَكَ مُهْتًا بَنَ عَيْسَى ^(١) ، وَوَلَّى مَكَانَهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ حُذَيْفَةَ ^(٢) ، ثُمَّ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ جُمْهُورَ الْجَيْشِ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ صُحْبَةً نَائِبِهِ يَدْرَا ، وَوَزِيرَهُ ابْنَ السَّلْعُوسِ ، وَتَأَخَّرَ هُوَ فِي خَاصَّكِيَّتِهِ ، ثُمَّ لَحِقَهُمْ .

وَفِي الْحَرَمِ مِنْهَا حَكَمَ الْقَاضِي حُسَامُ الدِّينِ الرَّازِيُّ الْحَنْفِيُّ بِالتَّشْرِيكِ بَيْنَ الْعَلَوِيِّينَ وَالْجَعْفَرِيِّينَ [١٠٨ / ١٠ ظ] فِي الدَّبَاغَةِ الَّتِي كَانُوا يَتَنَازَعُونَهَا مِنْ مَدَّةِ مَائَتِي سَنَةٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ سَادِسَ عَشْرِينَ الْحَرَمِ ، بِدَارِ الْعَدْلِ ، وَلَمْ يُوَافِقْهُ ابْنُ الْحَوْثِيِّ وَلَا غَيْرُهُ ، وَحَكَمَ لِلْعَنَاكِيِّينَ بِصَحَّةِ نَسَبِهِمْ إِلَى جَعْفَرِ الطَّيَّارِ .

وَفِيهَا رَسَمَ الْأَشْرَفُ بِتَخْرِيْبِ قَلْعَةِ الشُّؤْبِكِ فَهْدِمَتْ ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْصَنِ الْقِلَاعِ وَأَمْنَعِهَا وَأَنْفَعِهَا ، وَإِنَّمَا خَرِبَهَا عَنْ رَأْيِ عُثْبَةَ الْعَقَبِيِّ ، وَلَمْ يَنْصَحْ لِلْسُّلْطَانِ فِيهَا وَلَا لِلْمُسْلِمِينَ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ سَجَا فِي حُلُوقِ الْأَغْرَابِ الَّذِينَ هُنَاكَ .

وَفِيهَا أَرْسَلَ السُّلْطَانُ الْأَمِيرَ عَلَمَ الدِّينِ الدَّوَادَارِيَّ إِلَى صَاحِبِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَإِلَى أَوْلَادِ بَرَكَةَ ، وَمَعَ الرِّسُولِ تَحَفٌّ كَثِيرَةٌ جَدًّا ، فَلَمْ يَتَّفِقْ خُرُوجُهُ حَتَّى قُتِلَ السُّلْطَانُ ، فَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ .

وَفِي عَاشِرِ جُمَادَى الْأُولَى دَرَسَ الْقَاضِي إِمَامُ الدِّينِ الْقَزْوِينِيُّ بِالظَّاهِرِيَّةِ الْبِرَّانِيَّةِ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْقَضَاءُ وَالْأَعْيَانُ .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، م . وَفِي الْمَصَادِرِ أَنَّ السُّلْطَانَ قَبَضَ عَلَى الْأَمِيرِ حُسَامِ الدِّينِ مَهْنًا بَنَ عَيْسَى وَأَرْسَلَهُ إِلَى دِمَشْقَ صَحْبَةً حُسَامِ الدِّينِ لَاجِينَ .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، م ، وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ . وَفِي كَنْزِ الدَّرِّ وَتَذَكُّرَةِ النَّبِيَّةِ وَالسُّلُوكِ : « حُذَيْفَةُ » .

وفى الثانى والعشرين من ذى الحِجَّةِ يومَ الاثنين^(١) طَهَّرَ الملكُ الأشرفُ أخاه الملكَ الناصرَ محمدًا وابنَ أخيه الملكَ المُعَظَّمِ مُظَفَّرَ الدينِ موسى بنَ الصالحِ على ابنِ المنصورِ، وعَمِلَ مُهِمَّ عَظِيمًا، وَلَعِبَ الأشرفُ بِالْقَبْجِ^(٢)، وَتَمَّتْ لَهُمْ فَرَحَةٌ هائلةٌ، كانت كالوداعِ لسلطنتِهِ مِنَ الدُّنْيَا.

وفى أولِ المحرمِ دَرَّسَ الشَّيْخُ شمسُ الدينِ بَنُ غانِمٍ بالعَصْرُونيةِ، وفى مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ دَرَّسَ الشَّيْخُ كمالُ الدينِ بَنُ الرُّمْلَكَانِيَّ بِالرَّوَاحِيَةِ عِوَضًا عَنْ نَجْمِ الدينِ بنِ مَكِّيٍّ؛ بِحَكَمِ انْتِقَالِهِ إِلَى حَلَبٍ وَإِعْرَاضِهِ عَنِ الْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ.

وَدَخَلَ الرُّكْبُ الشَّامِيَّ فى خَامِسٍ^(٣) صَفَرٍ، وَكَانَ مَمَّنْ حَجَّ فى هَذِهِ السَّنَةِ الشَّيْخُ تَقَى الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ أَمِيرَهُمُ الْبَاسِطِيَّ، وَنَالَهُمْ فى مَعَانَ^(٤) رِيحٌ شَدِيدَةٌ جَدًّا مَاتَ بِسَبَبِهَا بِجَمَاعَةٍ، وَحَمَلَتْ الرِّيحُ جِمالًا عَنْ أَمَاكِينِهَا، وَطَارَتْ الْعَمَائِمُ عَنِ الرُّعُوسِ، وَاشْتَغَلَ كُلُّ أَحَدٍ بِنَفْسِهِ.

وفى صَفَرٍ مِنْهَا وَقَعَ بِدَمَشَقَ بَرْدٌ عَظِيمٌ أَفْسَدَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْمَغَلَّاتِ، بِحَيْثُ أُبْيِعَ الْقَمْحُ كُلُّ عَشْرِ أَوَاقٍ بِدَرَاهِمَ، وَمَاتَ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الدَّوَابِّ، وَفِيهِ زُلْزَلَتٌ نَاحِيَةُ الْكَرْكِ، وَسَقَطَ مِنْ قَلْعَتِهَا^(٥) أَمَاكُنُ كَثِيرَةٌ.

(١) عقد الجمان ١٧٠/٣.

(٢) القبق: عبارة عن خشبة عالية جدا تنصب فى بَرَّاحٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَيَعْمَلُ بِأَعْلَاهَا دَائِرَةٌ مِنْ خَشَبٍ، وَتَقِفُ الرِّعَاةُ بِقَسِيهَا وَتَرْمِي بِالسَّهَامِ جُوفَ الدَّائِرَةِ، لِكَيْ تَمْرَ دَاخِلُهَا إِلَى غَرَضٍ هُنَاكَ؛ تَمْرِينًا لَهُمْ عَلَى إِحْكَامِ الرَّمَى، وَيَعْبَرُ عَنْ هَذَا بِالْقَبْجِ فى لُغَةِ التُّرْكِ. السُّلُوكُ ٥١٨/١ (القسم الثانى) حَاشِيَةُ (٦).

(٣) فى م: «آخر». والخبر فى عقد الجمان ١٩٠/٣ بدون ذكر التاريخ.

(٤) فى عقد الجمان ١٩٠/٣: «مكة». ومعان: مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. معجم البلدان ٥٧١/٤.

(٥) فى الأصل: «تلقيتا»، وتُلْفِيتَا مِنْ قُرَى سَنِيٍّ مِنْ أَعْمَالِ دَمَشَقَ. معجم البلدان ٨٩٨/١.

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الشيخ الأزموي، الشيخ الصالح القدوة العارف، أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله بن يوسف بن يونس بن إبراهيم بن سلمان^(١) بن البنكو^(٢) الأزموي، المقيم بزاويته بسفح قاسيون، كان فيه عبادة وانقطاع، وله أوراؤ وأذكار، وكان محبوباً إلى الناس، تُوفِّي بالحرم، ودُفن عند والده بالسفح.

ابن الأعمى صاحب «المقامة»^(٣) كمال الدين علي بن^(٤) الشيخ ظهير الدين محمد بن المبارك بن سالم بن أبي الغنائم الدمشقي، المعروف بابن الأعمى، وُلد سنة عشر وستمائة، وسمع الحديث، وكان فاضلاً بارعاً، له قصائد يمتدح بها رسول الله ﷺ، سَمَّاهَا الشفعية، عدد كل قصيدة اثنان وعشرون بيتاً. قال البرزالي: سمعته، وله «المقامة البحرية» المشهورة. تُوفِّي في الحرم، ودُفن بالصوفية.

الملك الزاهر مُجِير الدين، أبو سليمان داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيزكوه صاحب حمص ابن ناصر الدين [١٠٩/١٠] محمد بن الملك المعظم^(٥)، تُوفِّي ببستانه عن ثمانين سنة، وصُلِّي عليه بالجامع المظفرى، ودُفن بترابته بالسفح، وكان دَيِّناً، كثير الصلاة في الجامع، وله إجازة من المؤيد

(١ - ١) سقط من: م. وفي الأصل: «السكن». والمثبت من: الوافي بالوفيات ٣٦/٦، والمقفى الكبير ٢٣٨/١. وانظر بقية مصادر ترجمته: العبر ٣٧٥/٥، ومرآة الجنان ٤/٢٢٠، وتذكرة النبيه ١/١٦٣، والسلوك ٧٨٧/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/١٩١.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م. والمثبت من مصادر ترجمته: العبر ٣٧٦/٥، وفوات الوفيات ٣/٨٧، والوافي بالوفيات ١٢٩/٢٢، وتذكرة النبيه ١/١٦٥، والسلوك ٧٨٨/١ (القسم الثالث) - وفيه: «على بن علي بن محمد...» - وعقد الجمان ٣/١٩٢.

(٣) نهاية الأرب ٣١/٢٥٥، والوافي بالوفيات ١٣/٤٧١، وتذكرة النبيه ١/١٦٣، وعقد الجمان ٣/١٩٨.

الطُّوسِيَّ وَزَيْنَبَ الشَّعْرِيَّةَ وَأَبَى رَوْحٍ وَغَيْرِهِمْ، تُوفِّيَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ.

الشيخ تقي الدين الواسطي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي ثم الدمشقي الحنبلي، تقي الدين^(١)، شيخ الحديث بالظاهرية بدمشق، تُوفِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ النَّهَارِ رَابِعَ عَشْرِينَ جُمَادَى الْآخِرَةِ عَنْ تِسْعِينَ سَنَةً، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا عَابِدًا، تَفَرَّدَ بِعُلُوِّ الرِّوَايَةِ، وَلَمْ يَخْلُفْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَقَدْ تَفَقَّهَ بِيغْدَادَ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ، وَدَرَّسَ بِالصَّاحِبِيَّةِ^(٢) مَدَّةَ عَشْرِينَ سَنَةً، وَبِمَدْرَسَةِ أَبِي عَمْرٍ، وَوَلَّى فِي آخِرِ عَمْرِهِ مَشْيَخَةَ الْحَدِيثِ بِالظَّاهِرِيَّةِ بَعْدَ سَفَرِ الْفَارُوقِيِّ، وَكَانَ دَاعِيَةً إِلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ وَالصِّدْقِ الْأَوَّلِ، وَكَانَ يَعُودُ الْمَرْضَى، وَيَشْهَدُ الْجَنَائِزَ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ دَرَّسَ بَعْدَهُ بِالصَّاحِبِيَّةِ^(٣) الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَوِيِّ الْمَزْدَاوِيُّ، وَبِدَارِ الْحَدِيثِ الظَّاهِرِيَّةِ شَرَفُ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ خَوَاجَا، إِمَامُ الْجَامِعِ الْمَعْرُوفُ بِالنَّاصِحِ.

ابن صاحب حمّة، الملك الأفضل نور الدين علي بن الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب^(٣)، تُوفِّيَ بدمشق، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِهَا، وَخُرِجَ بِهِ مِنْ بَابِ الْفَرَادِيسِ مَحْمُولًا إِلَى مَدِينَةِ أَبِيهِ وَتَرْتِبُهُمْ بِهَا، وَهُوَ وَالِدُ الْأَمِيرَيْنِ الْكَبِيرَيْنِ بِدِرِ الدِّينِ حَسَنِ وَعَمَادِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي تَمَلَّكَ حَمَاةَ بَعْدَ جَدِّهِ^(٤).

(١) العبر ٣٧٥/٥، والوافي بالوفيات ٦٦/٦، وتذكرة النبيه ١٦٢/١، والمنهل الصافي ٢٢/١، وعقد الجمان ١٩٤/٣.

(٢) في م: «بالصاحبية». وهي المدرسة الصاحبية والصاحبية. انظر الدارس ٧٩/٢.

(٣) نهاية الأرب ٢٥٧/٣١، والوافي بالوفيات ١٨٦/٢٢، وتذكرة النبيه ١٦٢/١، والسلوك ٧٨٧/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ١٩٩/٣.

(٤) في م: «مدة».

ابن عبد الظاهر مُخَيِّ الدين^(١) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَشِيدِ الدينِ عبدِ الظاهرِ بنِ
نَشْوَانَ بنِ عبدِ الظاهرِ بنِ عَلِيِّ بنِ نَجْدَةَ السَّعْدِيِّ، كاتبُ الإنشاءِ بالديارِ
المصرية، وأَخِرُ مَنْ بَرَزَ فِي هَذَا القرنِ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ، وَسَبَقَ سَائِرَ أَقرَانِهِ، وَهُوَ وَالِدُ
الصَّاحِبِ فَتَحِ الدينِ النَّديمِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ وَفَاتِهِ قَبْلَ وَالِدِهِ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ
مُصَنَّفَاتٌ، مِنْهَا «سِيرَةُ المَلِكِ الظَّاهِرِ»، وَكَانَ ذَا مُرُوءَةٍ، وَلَهُ التَّنْظِيمُ الْفَائِقُ وَالتَّنَثُّرُ
الرَّائِقُ، تُؤَفَّى يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ رَابِعَ رَجَبٍ، وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ، وَدُفِنَ بِتَرْبَتِهِ الَّتِي
أَنْشَأَهَا بِالْقَرَّافَةِ.

الْأَمِيرُ عَلَمُ الدينِ سَنَجَرُ الحَلَبِيِّ^(٢)، الَّذِي كَانَ نَائِبَ قُطْرٍ عَلَى دِمَشْقَ، فَلَمَّا
جَاءَتْهُ بَيْعَةُ الظَّاهِرِ دَعَا إِلَى نَفْسِهِ، فَبُيْعَ وَتَسَمَّى بِالمَلِكِ المَجَاهِدِ، ثُمَّ حُوصِرَ
وَهَرَبَ إِلَى بَغْلَبَكْ، فَحُوصِرَ فَأَجَابَ إِلَى خِدْمَةِ الظَّاهِرِ، فَسَجَنَهُ مَدَّةً وَأَطْلَقَهُ،
وَسَجَنَهُ المَنْصُورُ مَدَّةً، وَأَطْلَقَهُ الْأَشْرَفُ، وَاحْتَرَمَهُ وَأَكْرَمَهُ، بَلَغَ الثَّمَانِينَ سَنَةً،
وَتُؤَفَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

(١) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ، م: «بَن». وَالمُثَبِّتُ كَمَا فِي مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ؛ نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣١/٢٥٦، وَالْعَبَرُ ٥/٣٧٦،
وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ١٧/٢٥٧، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١/١٦٤، وَالْمَنْهَلُ الصَّافِي ٧/٩٨، وَالنَّجْمُ الزَّاهِرَةُ ٨/٣٨.
(٢) الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ١٥/٤٧٣، وَكَنْزُ الدَّرَرِ ٨/٣٤٤، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١/١٦١، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٣/١٩٩،
وَالْمَنْهَلُ الصَّافِي ٦/٧٦.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَتَسْعِينَ وَسِتَّمِائَةً^(١)

فِي أَوَّلِهَا كَانَ مَقْتُلُ الْأَشْرَفِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ فِي ثَالِثِ الْحَرَمِ ، فَلَمَّا كَانَ بِأَرْضِ تَرْوُجَةَ^(٢) بِالْقَرَبِ مِنَ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ثَانِي عَشَرَ الْحَرَمِ ، حَمَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ اتَّفَقُوا عَلَى قَتْلِهِ حِينَ انْفَرَدَ عَنْ جُمْهُورِ الْجَيْشِ ، فَأَوَّلُ مَنْ ضَرَبَهُ نَائِبُهُ يَتَدَرَا ، وَتَمَّمَّ عَلَيْهِ لِاجِيئِ الْمَنْصُورِيِّ ، ثُمَّ اخْتَفَى إِلَى رَمْضَانَ ، وَظَهَرَ يَوْمَ الْعِيدِ ، وَكَانَ مِمَّنْ شَارَكَ فِي قَتْلِ الْأَشْرَفِ بَدْرُ الدِّينِ يَتَسَرِي وَشَمْسُ الدِّينِ قَرَأْسَنْقَرُ الْمَنْصُورِيِّ ، فَلَمَّا قُتِلَ الْأَشْرَفُ اتَّفَقَ الْأَمْرَاءُ عَلَى تَمْلِيكِ يَتَدَرَا ، وَسَمَّوْهُ الْمَلِكَ الْقَاهِرَ [١٠٩/١٠٩ ظ] أَوْ الْأَوْحَدَ ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُ ذَلِكَ ، فَقُتِلَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي بِأَمْرِ كَثْبَغَا ، ثُمَّ اتَّفَقَ زَيْنُ الدِّينِ كَثْبَغَا ، وَعَلَّمَ الدِّينِ سَنْجَرُ الشُّجَاعِيِّ عَلَى أَنْ يُمْلِكُوا أَخَاهُ مُحَمَّدًا الْمَلِكَ النَّاصِرَ بْنِ قَلَاوُونَ ، وَكَانَ عَمْرُهُ إِذْ ذَاكَ ثَمَانِ سِنِينَ وَشَهْرًا ، فَأَجْلَسُوهُ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ يَوْمَ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنَ الْحَرَمِ ، وَكَانَ الْوَزِيرُ ابْنُ السَّلْغُوسِ بِالْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ فِي صُحْبَةِ السُّلْطَانِ ، وَتَقَدَّمَ هُوَ إِلَى الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الْبَلَاءُ ، وَجَاءَهُ الْعَذَابُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُعَامِلُ الْأَمْرَاءَ الْكِبَارَ مُعَامَلَةَ الصَّغَارِ ، فَأَخَذُوهُ ، وَتَوَلَّى عُقُوبَتَهُ مِنْ

(١) نهاية الأرب ٢٥٩/٣١ - ٢٧٩ ، وكنز الدرر ٣٤٥/٨ - ٣٥٦ ، وتذكرة النبيه ١٦٧/١ - ١٦٩ ،
والسلوك ٧٨٨/١ - ٨٠٤ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٢٠١/٣ - ٢٤٦ .
(٢) في م : « بروجته » . وتروجة : قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية . معجم البلدان ٨٤٥/١ .

بينهم الشُّجاعِيّ ، فَضْرِبَ ضَرْبًا عَظِيمًا ، وَقُرِّرَ عَلَى الْأَمْوَالِ ، وَلَمْ يَزَالُوا يُعَاقِبُونَهُ حَتَّى كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي عَاشِرِ صَفَرٍ بَعْدَ أَنْ اخْتِيطَ عَلَى خَوَاصِلِهِ كُلِّهَا . وَأُخْضِرَ جَسَدُ الْأَشْرَفِ ، فَذُفِنَ بِتَرْبَتِهِ ، وَتَأَلَّمَ النَّاسُ لِفَقْدِهِ ، وَأَعْظَمُوا قَتْلَهُ ، وَقَدْ كَانَ شَهْمًا شُجَاعًا ، عَالِي الْهَمَةِ ، حَسَنَ النَّظَرِ ^(١) ، كَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى غَزْوِ الْعِرَاقِ وَاسْتِزْجَاعِ تِلْكَ الْبِلَادِ مِنْ أَيْدِي التُّتَارِ ، وَاسْتَعَدَّ لِذَلِكَ ، وَنَادَى بِهِ فِي بِلَادِهِ ، وَقَدْ فَتَحَ فِي مَدَّةٍ مَلِكِهِ - وَكَانَتْ ثَلَاثَ سِنِينَ - عَكًّا وَسَائِرَ السَّوَاخِلِ ، وَلَمْ يَتْرُكْ لِلْفَرَنْجِ فِيهَا مَعْلَمًا وَلَا حَجَرًا ، وَفَتَحَ قَلْعَةَ الرُّومِ وَبَهَشْنَا وَغَيْرَهَا .

فَلَمَّا جَاءَتْ بَيْعَةُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ إِلَى دِمَشْقَ خُطِبَ لَهُ بِهَا عَلَى الْمَنَابِرِ ، وَاسْتَقَرَّ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ ، وَجُعِلَ الْأَمِيرُ كَثْبُغَا أَتَابَكُهُ ، وَالشُّجَاعِيّ مُشَاوِرًا كَبِيرًا ، ثُمَّ قُتِلَ ^(٢) بَعْدَ أَيَّامٍ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى كَثْبُغَا ، فَأَمَرَ أَنْ يُطَافَ بِهِ فِي الْبَلَدِ ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا ، وَأَعْطَوْا الَّذِينَ حَمَلُوا رَأْسَهُ مَالًا ، وَلَمْ يَتَّقَ لَكَثْبُغَا مُنَازَعَةً ، وَمَعَ هَذَا كَانَ يُشَاوِرُ كِبَارَ الْأَمْرَاءِ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ .

وَفِي صَفَرٍ ، بَعْدَ مَوْتِ ابْنِ السَّلْعُوسِ ، غُزِلَ بَدْرُ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ عَنْ الْقَضَاءِ ، وَأُعِيدَ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ بَنْتِ الْأَعَزِّ ، وَاسْتَمَرَ ابْنُ جَمَاعَةَ مُدْرِّسًا بِمِصْرَ فِي كِفَايَةِ وَرِيَاثَةِ ، وَتَوَلَّى الْوِزَارَةَ بِمِصْرَ الصَّاحِبُ تَاجُ الدِّينِ بْنُ الْحَيَّاتِ ، وَفِي ظَهْرِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ الْخَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ رُتِّبَ إِمَامًا بِمِخْرَابِ الصُّحَابَةِ ، وَهُوَ كَمَالُ الدِّينِ ^(٣) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاضِي مُخَيِّ الدِّينِ بْنِ الزَّكِيِّ ، وَصَلَّى يَوْمَئِذٍ بَعْدَ الْخُطْبِ ، وَرُتِّبَ بِالْمَكْتَبِ الَّذِي بِيَابِ النَّاطِفَانِيِّينَ إِمَامًا أَيْضًا ، وَهُوَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنُ

(١) فِي م : « الْمَنْظَر » .

(٢) أَيْ عِلْمُ الدِّينِ سَنَجَرِ الشُّجَاعِي كَمَا سَيَأْتِي .

(٣) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ : « بَن » . لَمْ نَجِدْ تَرْجُمَةَ كَمَالِ الدِّينِ هَذَا .

بُوهان الدين الإسكندري، وبأشر نظر الجامع الشريف زين الدين حسين بن محمد بن عدنان، وعاد سوق الحريريين إلى سوقه، وأخلوا قيسارية القطن الذي كان نواب طنجي^(١) ألزمهم بسكنها، وولى خطابة دمشق الشيخ العلامة شرف الدين أحمد بن جمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد المقدسي، بعد عزل موفق الدين الحموي، دعوه إلى حماة، فخطب المقدسي يوم الجمعة نصف رجب، وقُرئ تقييده، وكانت ولايته بإشارة تاج الدين بن الحنا الوزير بمصر، وكان فصيحاً بليغاً عالماً بارعاً.

وفي أواخر رجب حلف الأمراء للأمير زين الدين كئبغا مع الملك الناصر محمد بن قلاوون، وسارت البيعة بذلك في سائر المدن والمعاقل.

واقعة عساف النصراني

كان هذا الرجل من أهل السويداء قد شهد عليه جماعة أنه سب النبي ﷺ، وقد اشتجار عساف [١١٠/١٠] هذا بابن أحمد بن حجى أمير آل علي، فاجتمع الشيخ تقي الدين ابن تيمية، والشيخ زين الدين الفارقي شيخ دار الحديث، فدخلا على الأمير عز الدين أيك الحموي نائب السلطنة، فكلماه في أمره، فأجابهما إلى ذلك، وأرسل ليخضره، فخرجا من عنده ومعهما خلق كثير من الناس، فرأى الناس عسافاً حين قديم ومعه رجل من العرب، فسبوه وشتموه، فقال ذلك الرجل البدوي: هو خير منكم. يغني النصراني، فرجمهما الناس بالحجارة، وأصابت عسافاً، ووقعت خبطة قوية، فأرسل النائب، فطلب

(١) في م: «طنجي».

الشيخين ابن تيمية والفارقي ، فضربهما بين يديه ، ورسم عليهما في العذراوية ،
وقدم النصراني ، فأسلم وعقد مجلس بسببه ، وأثبت بينه وبين الشهود عداوة ،
فحقن دمه ، ثم استدعى بالشيخين ، فأرضاهما وأطلقهما ، ولحق النصراني بعد
ذلك ببلاد الحجاز ، فاتفق قتله قريتا من مدينة رسول الله ﷺ ، قتله ابن أخيه
هنالك ، وصنف الشيخ تقي الدين ابن تيمية في هذه الواقعة كتابه « الصارم
المسلول على ساب الرسول » .

وفي شعبان^(١) منها ركب الملك الناصر في أبهة الملك ، وشق القاهرة ، وكان
يوما مشهودا ، وكان هذا أول ركوبه ، ودقت البشائر بالشام ، وجاء المرسوم من
جهته ، فقرئ على المنبر بالجامع فيه الأمر بنشر العدل وطى الظلم ، وإبطال ضمان
الأوقاف والأموال إلا برضا أصحابها .

وفي اليوم الثاني والعشرين من شعبان^(٢) درس بالمشروعية القاضي جمال
الدين القزويني ، أخو إمام الدين ، وحضر أخوه وقاضى القضاة شهاب الدين بن
الخوئي ، والشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وكان درسا حافلا .

قال البرزالي^(٣) : وفي شعبان اشتهر أن في الغيطة بجسر ين تينا عظيمًا ابتلع
رأسًا من المغر كبيرًا صحيحًا .

وفي أواخر رمضان ظهر الأمير حسام الدين لاجين ، وكان مختفيًا منذ قتل
الأشرف ، فاعتذر له عند السلطان ، فقبله وخلع عليه وأكرمه ، ولم يكن قتله باختياره .

(١) السلوك ٨٠٣/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٢٤٥/٣ .

(٢) الدارس ٤٥٦/١ .

(٣) انظر عقد الجمان ٢٤٥/٣ .

وفى شوالٍ منها^(١) اشتهر أن مُهَنَّأ بنَ عيسى خرج عن طاعة السلطانِ الناصر،
وانحاز إلى التَّترِ.

وفى يومِ الأربعاءِ ثامنَ ذى القعدةِ^(٢) درَّس بالغزالية الخطيبُ شرفُ الدينِ
المقدسى عَوْضًا عن قاضى القضاةِ شهابِ الدينِ بنِ الخُوَيْمِيِّ - لما^(٣) تُوفِّي - وترك
الشاميةَ البَرَّانيةَ، وقَدِمَ على قضاةِ الشامِ القاضى بدرُ الدينِ بنِ جماعةَ يومَ الخميسِ
الرابعِ عشرٍ من ذى الحِجَّةِ، ونَزَلَ العادليةَ، وخرج نائبُ السُّلْطَنَةِ والجيشُ بكَمالِهِ
لِتَلْقِيهِ، وامتدَّحه الشُّعراءُ، واستناب تاجُ الدينِ الجعبريُّ نائبُ الخطابةِ، وباشر
تدريسَ الشاميةِ البَرَّانيةِ - عَوْضًا عن شرفِ الدينِ المقدسى - الشيخُ زَيْنُ الدينِ
الفارِقِي^(٤) وانتزعت من يده الناصريةُ، فدرَّس بها ابنُ جماعةَ، وبالعادليةِ فى
العشرين من ذى الحِجَّةِ.

وفى هذا الشهرِ أخرجوا الكلابَ من دمشقَ إلى ظاهرِ الفَلاةِ بأمرٍ واليها
جمالِ الدينِ أقبای، وشُدِّدَ على الناسِ والبُوابينِ فى ذلك.
ومَن تُوفِّي فيها من الأعيانِ:

الملكُ الأشرفُ خَلِيلُ بنِ قَلاوُونِ المنصورِ^(٥)، ويَنَدَرا^(٦) [١١٠/١٠ ظ]

(١) عقد الجمان ٣/ ٢٤٥.

(٢) الدارس ١/ ٣٦٣، ٣٦٤.

(٣) سقط من: الأصل، م. والمثبت من الدارس.

(٤) فى م: «الفاروقى».

(٥) نهاية الأرب ٣١/ ٣٥٩، والمختصر فى أخبار البشر ٤/ ٢٩، وكنز الدرر ٨/ ٣٤٥، والعبر ٥/ ٣٧٨،
والوافى بالوفيات ١٣/ ٣٣٩، وتذكرة النبیه ١/ ١٦٧، وعقد الجمان ٣/ ٢٠١، والنجوم الزاهرة ٨/ ٤٠،
والمنهل الصافى ٥/ ٢٧٠، والمقفى الكبير ٣/ ٧٩٣.

(٦) نهاية الأرب ٣١/ ٢٦٣، والمختصر فى أخبار البشر ٤/ ٣٠، والوافى بالوفيات ١٠/ ٣٦٦، وعقد
الجمان ٣/ ٢١٦، والمنهل الصافى ٣/ ٤٩٣، والمقفى الكبير ٢/ ٥٦٢.

والشجاعى^(١)، وشمس الدين بن السلغوس^(٢).

الشيخ الإمام العلامة تاج الدين موسى بن محمد بن مسعود المراعى^(٣)، المعروف^(٤) بأبى الجواب^(٥) الشافعى، درس بالإقبالية وغيرها، وكان من فضلاء الشافعية، له يد في الفقه والأصول والنحو، وفهم جيد، تُوفى فجأة يوم السبت، ودُفن بمقابر باب الصغير، وقد جاوز السبعين.

الحاتون مؤنسة بنت السلطان العادل أبى بكر بن أيوب^(٦)، وتُعرف بالدار القطبية، ودار إقبال^(٧)، ولدت سنة ثلاث وستمائة، وروت بالإجازة عن عفيفة الفارانية^(٨)، وعن عين الشمس بنت أحمد بن أبى الفرج الثقفية، تُوفيت في ربيع الآخر بالقاهرة، ودُفنت بباب زويلة.

الصاحب الوزير فخر الدين، أبو إسحاق إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيبانى^(٩) المصرى، رأس الموقعين، وأستاذ الوزراء المشهورين، وُلد

(١) نهاية الأرب ٢٧٣/٣١، وكتر الدرر ٣٥٣/٨، والوفى بالوفيات ٤٧٥/١٥، وتذكرة النبى ١٧٢/١، وعقد الجمان ٢٣٤/٣، والمنهل الصافى ٨٠/٦.

(٢) ستأتى ترجمته آخر وفيات هذه السنة.

(٣) عقد الجمان ٢٤٧/٣، والدليل الشافى ٧٥٢/٢، والدارس ١٦١/١.

(٤ - ٥) كذا فى الأصل، م. وفى عقد الجمان والدليل الشافى: «باب الحيوان»، وفى الدارس: «باب الجواب».

(٦) عقد الجمان ٢٥٦/٣، والدليل الشافى ٧٥٥/٢.

(٧ - ٨) فى الأصل: «الدار القطبية بدار إقبال».

(٩) فى الأصل، م، والعقد: «الفارقانية» وفى الدليل الشافى: «الفارقة». والمثبت من ترجمتها فى العبر ١٧/٥. وهى عفيفة بنت أحمد بن عبد الله بن محمد أم هانىء الفارقانية نسبة إلى فارغان: قرية من قرى أصبهان. وانظر معجم البلدان ٨٣٩/٣.

(١٠) فى الأصل، م: «البنانى». والمثبت من مصادر الترجمة: نهاية الأرب ٢٧٩/٣١، والوفى =

سنة ثنتي عشرة وستمائة، وروى الحديث، تُوفّي في آخر جمادى الآخرة في القاهرة.

الملك الحافظ غياث الدين^(١) محمد بن الملك السعيد معين الدين شاهنشاه بن الملك الأمجد بهرام شاه بن المعز عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، وكان فاضلاً بارعاً، سَمِعَ الحديث، وروى «البخارى»، وكان يُحِبُّ العلماء والفقراء، تُوفّي يوم الجمعة سادس شعبان، ودُفِنَ عند جدّه لأُمّه ابن المقدّم، ظاهر باب الفَراديس.

قاضي القضاة شهاب الدين بن الخُوئي، أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة شمس الدين أبي العباس أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى ابن محمد الشافعي^(٢)، أصلهم من خُوئي، اشْتَغَلَ وحَصَلَ علومًا كثيرةً، وصنَّفَ كتبًا كثيرةً، منها كتاب فيه عشرون فَنًّا، وله «نظم علوم الحديث» و«كفاية المتحفِّظ» وغير ذلك، وقد سَمِعَ الحديث الكثير، وكان مُحِبًّا له ولأهله، وقد درَّس وهو صغيرٌ بالدماغية، ثم ولى قضاء القدس ثم المحلة، ثم بهسنا، ثم ولى قضاء حلب، ثم عاد إلى المحلة، ثم ولى قضاء القاهرة، ثم قديم على قضاء الشام

= بالوفيات ٩٧/٦، وفوات الوفيات ٤٣/١، والسلوك ٨٠٤/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٢٥٤/٣، والنجوم الزاهرة ٥٠/٨، والمنهل الصافي ١٣٦/١، والمقفى الكبير ٢٦٠/١.

(١) بعده في م: «بن». وانظر ترجمته في: نهاية الأرب ٢٨٠/٣١، والوفاء بالوفيات ١٤٧/٣ - وفيه أن وفاته كانت سنة ثلاث وثمانين وستمائة - ومرآة الجنان ٢٢٢/٤، وتذكرة النبي ١٧٢/١، وعقد الجمان ٢٥٤/٣، والمقفى الكبير ٧١٦/٥.

(٢) العبر ٣٧٩/٥، والوفاء بالوفيات ١٣٧/٢، وفوات الوفيات ٣١٣/٣، وطبقات الشافعية للإسنوي ٥٠١/١، وتذكرة النبي ١٧٠/١، والدليل الشافي ٥٩١/٢، والمقفى الكبير ١٦٦/٥، وبغية الوعاة ٢٣/١.

مع تدرّيسِ العادليةِ والعزّاليةِ وغيرهما ، وكان من حسناتِ الزمانِ وأكابرِ العلماءِ الأعلامِ ، عَفِيقًا نَزَهاً بارِعًا مُجَبِّلاً للحديثِ وعَلِمِهِ وعِلْمائِهِ ، وقد خَرَّجَ له شيخُنا الحافظُ المزيُّ أربعينَ حديثًا مُتَبَايِنَةً الإسنادِ ، وخَرَّجَ له تَقِيُّ الدينِ بَنُ عُبَيْةَ الإسعِدِيُّ مَشِيخَةً على حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ، اشْتَمَلَتْ على مائتينِ وستِةٍ وثلاثينَ شيخًا . قالَ البِرْزَالِيُّ : وله نحوُ ثلاثِمائةٍ شيخٍ لم يُذْكَرُوا في هذا المُعْجَمِ . تُؤَفِّي يومَ الخُميسِ الخامسِ والعشرينِ مِن رَمَضانَ ، عن سَبْعِ وستينَ سَنَةً ، وَصَلَّى عليه وَدُفِنَ مِن يَومِهِ بِتَربةٍ والِدِهِ بِسَفْحِ قَاسِيَوْنَ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

الأميرُ علاءُ الدينِ الأَعْمَى^(١) ، ناظرُ القُدسِ ، وباني كثيرٍ مِن معالمِهِ اليومَ ، وهو الأميرُ الكبيرُ علاءُ الدينِ أَيْدِيكِيُّ بَنُ عَبْدِ اللهِ الصالحِ النُّجُمِيِّ ، كان مِن أَكابرِ الأُمراءِ ، فلما أَضَرَ أَقامَ بالقُدسِ الشريفِ وولى نَظَرَهُ ، فَعَمَّرَهُ وَثَمَّرَهُ ، وكان مَهِيئًا لا تُخَالَفُ مَراسِيْمُهُ ، وهو الذي بَنى المَظْهَرَةَ قَريبًا مِن مَسجِدِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَانْتَفَعَ النَّاسُ بِها في الوُضوءِ وغيرِهِ ، وَوَجَدَ النَّاسُ بِها تَيْسِيرًا ، وَأَنشَأَ بالقُدسِ رُبطًا كَثِيرَةً ، وَأَثارًا حَسَنَةً ، وكان يُنَاسِرُ [١١١ / ١٠] الأُمُورَ بِنَفْسِهِ ، وله حُرْمَةٌ وَافِرَةٌ ، تُؤَفِّي في شَوالٍ مِنْها .

الوزيرُ شَمْسُ الدينِ مُحَمَّدُ بَنُ عِثْمانَ بَنِ أَبِي الرِجالِ التَّوْخِيُّ^(٢) ، المعروفُ بابنِ السَّلْعوسِ ، وزيرُ المَلِكِ الأَشْرَفِ ، ماتَ تَحْتَ الصُّرْبِ الذي جاوزَ أَلْفَ

(١) الوافي بالوفيات ٩/ ٤٨٥ ، ونكت الهميان ص ١٢٣ ، وعقد الجمان ٣/ ٢٥٣ ، والمنهل الصافي ٣/ ١٦٣ ، والأنس الجليل ٢/ ٢٧٠ .

(٢) نهاية الأرب ٣١/ ٢٧٠ ، والمختصر في أخبار البشر ٤/ ٣١ ، والعبر ٥/ ٣٨٠ ، والوافي بالوفيات ٤/ ٨٦ ، وتذكرة النبيه ١/ ١٧٣ ، وعقد الجمان ٣/ ٢٢٧ ، والمقفى الكبير ٦/ ٢٠٤ ، والمقفى الكبير ٦/ ٢٠٤ ، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٤ .

مِصرَعةً، في عَاشِرِ صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَدُفِنَ بِالْقَرَّافَةِ^(١)، وَقِيلَ : إِنَّهُ نُقِلَ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ ذَلِكَ . وَكَانَ ائْتِدَاءُ أَمْرِهِ تَاجِرًا، ثُمَّ وَلِيَ الْحِسْبَةَ بِدَمَشَقَ بِسِفَارَةِ تَقِيٍّ الدِّينِ تَوْبَةَ، ثُمَّ كَانَ يُعَامِلُ الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ قَبْلَ السُّلْطَانَةِ، فَظَهَرَ مِنْهُ عَلَى عَدْلِ وَصَدْقٍ، فَلَمَّا مَلَكَ بَعْدَ أَبِيهِ الْمَنْصُورِ اسْتَدْعَاهُ مِنَ الْحَجِّ فَوَلَّاهُ الْوِزَارَةَ، وَكَانَ يَتَعَاطَلُ عَلَى أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ، وَيُسَمِّيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ، وَلَا يَقُومُ لَهُمْ، فَلَمَّا قُتِلَ أَسْتَاذُهُ الْأَشْرَفُ تَسَلَّمُوهُ بِالضَّرْبِ وَالْإِهَانَةِ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُ، حَتَّى أَغْدَمُوهُ حَيَاتِهِ وَصَبَرُوهُ، وَأَسْكَنُوهُ الثَّرَى بَعْدَ أَنْ كَانَ عِنْدَ نَفْسِهِ قَدْ بَلَغَ الثَّرِيًّا، وَلَكِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ مَا رَفَعَ شَيْئًا إِلَّا وَضَعَهُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « بِالْقَاهِرَةِ » .

ثم دَخَلَتْ سنة أربع وتسعين وستمائة^(١)

استَهَلَّت والخليفةُ الحاكمُ بأمرِ الله، وسلطانُ البلادِ الملكُ الناصرُ محمدُ بنُ قلاوون، وعمرُه إذ ذاك اثنتا عشرةَ سنةً وأشهرًا، ومُدبِّرُ الممالكِ وأتابِكُ العساكرِ الأميرُ زَيْنُ الدينِ كَثْبَغَا، ونائبُ الشامِ الأميرُ عَزُّ الدينِ أَيْتِكُ الحَمَوِيُّ، والوزيرُ بدمشقَ تَقِيُّ الدينِ تَوْبَةُ التُّكْرَيْتِيُّ، وشاذُّ الدواوينِ شمسُ الدينِ الأَعْمَرُ، وقاضى الشافعيةِ ابنُ جماعةَ، والحنَفِيَّةِ حُسَّامُ الدينِ الرازِيُّ، والمالكيةِ جمالُ الدينِ الزَّوَاوِيُّ، والحنابلةِ شرفُ الدينِ حسنٌ، والمُحْتَسِبُ شهابُ الدينِ الحنفِيُّ، ونقيبُ الأشرافِ زَيْنُ الدينِ بنُ عَدْنَانَ، ووكيلُ بيتِ المالِ وناظرُ الجامعِ تاجُ الدينِ الشَّيرازِيُّ، وخطيبُ البلدِ شرفُ الدينِ المقدسى.

فلما كان يومُ عاشوراءَ نهَضَ جماعةٌ من مَماليكِ الأشرافِ، وخرقوا حرمةَ السلطانِ، وأرادوا الخروجَ عليه، وجاءوا إلى سوقِ السلاحِ، فأخذوا ما فيه، ثم احتيطَ عليهم، فمنهم مَنْ صُلبَ، ومنهم مَنْ شُنِقَ، وقُطِعَ أيدي آخَرِينَ منهم وألستهم، وجرت خَبِيطَةٌ عظيمةٌ جدًّا، وكانوا قريبًا من ثلاثمائةٍ أو يَزِيدُونَ.

(١) نهاية الأرب ٢٨١/٣١ - ٢٨٨، وكنز الدرر ٣٥٦/٨ - ٣٦٢، والعبر ٣٨٠/٥.

ذكر سلطنة الملك العادل كتبغا

وأصبح الأمير كتبغا في اليوم^(١) الحادى عشر^(٢) من المحرم، فجلس على سرير المملكة، وخلع الملك الناصر محمد بن المنصور، وألزمه بيت أهله، وأن لا يخرج منه، وبأيعه الأمراء على ذلك وهنأوه، ومد سباطا حافلا، وسارت البريدية بذلك إلى الأقاليم، فبوع وخطب له مشتقلا، وضربت السكة باسمه، وتم الأمر، وزينت البلاد، ودقت البشائر، ولقب بالملك العادل، وكان عمره إذ ذاك نحوًا من خمسين سنة، فإنه من سبني وقعة حمص الأولى التي كانت في أيام الملك الظاهر بعد وقعة عين جالوت، وكان من الغورياتية^(٣)، وهم طائفة من التتر، واستتاب في مصر الأمير حسام الدين لاجين السلحدار المنصورى، وكان بين يديه مذبذب الممالك. وقد ذكر ابن الجزرى في «تاريخه»^(٤) عن بعض الأمراء أنه شهد هولاكو أن قد سأل منجمه أن يستخرج له من هؤلاء المقدمين فى عسكره الذى يملك الديار المصرية، فضرب وحسب، وقال له: أجده رجلاً يملكها اسمه كتبغا. فظنه كتبغانوين، وكان صهر هولاكو، فقدّمه على العساكر، فلم يكن هو، فقتل فى عين جالوت كما ذكرنا، وإنما الذى [١١١/٨٠] ملك مصر هذا الرجل، وكان من خيار الأمراء وأجودهم سيرة ومعدلة وقصدا فى نضرة الإسلام.

وفى يوم الأربعاء^(٥) ربيع الأول ركب كتبغا فى أبهة الملك، وشق القاهرة، ودعا له الناس، وعزل صاحب تاج الدين بن الحنا عن الوزارة، وولى

(١ - ١) فى كنز الدرر ٣٥٧/٨: «يوم الخميس ثالث عشر».

(٢) فى م: «الغوريانية». وانظر السلوك ٧٠٨/١ (القسم الثالث) حاشية (٣).

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٥٥/٨.

فخر الدين بن الخليلي ، واستشقى الناس بدمشق عند مسجد القدم ، وخطب بهم تاج الدين صالح الجعبري نيابة عن مستخلفه الشيخ شرف الدين المقدسي ، وكان مريضاً ، فعزل نفسه عن القضاء ، وخطب الناس بعد ذلك ، وذلك يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى ، فلم يُسَقَوْا ، ثم استسَقَوْا مرة أخرى يوم السبت سابع جمادى الآخرة بالمكان المذكور ، وخطب بهم شرف الدين المقدسي ، وكان الجمع أكثر من الأول ، فلم يُسَقَوْا .

وفي رجب حكم كمال^(١) الدين بن الشريشي نيابة عن القاضي بدر الدين ابن جماعة .

وفيه درس بالمُعظمية القاضي شمس الدين بن العز ، انتزعها من علاء الدين بن الدقاق .

وفيه ولي القدس والخليل الملك الأوحْدُ ابن الملك الناصر داود ابن المعظم . وفي رمضان رُسم للحنابلة أن يُصلُّوا قبل الإمام الكبير ، وذلك أنهم كانوا يُصلُّون بعده ، فلما أُحْدِث^(٢) «محراب الصحابة» كانوا يُصلُّون جميعاً في وقت واحد ، فكان يحصل تشويش بسبب ذلك ، فاستقرت القاعدة على أن يُصلُّوا قبل الإمام الكبير ، في وقت صلاة مشهد على بالصُّحن عند محرابهم في الرواق الثالث الغربي .

قلت : وقد تغيّرت هذه القاعدة بعد العشرين وسبعماية كما سيأتي .

وفي أواخر رمضان قديم القاضي نجم الدين بن صُصْرَى من الديار المصرية

(١) في م : « جمال » . وانظر الدارس ٢٧/١ .

(٢ - ٢) في م : « لمحراب الصحابة لإمام » .

على قضاء العساكر بالشام .

وفى ظهر يوم الخميس خامس شوال صلى القاضي بدر الدين بن جماعة بمخراّب الجامع إماماً وخطيباً عوضاً عن الخطيب المدرّس شرف الدين المقدسيّ ، ثم خطب من الغد ، وشكرت خطبته وقراءته ، وذلك مُضاف إلى ما بيده من القضاء وغيره .

وفى أواخر^(١) شوال قِدمت من الديار المصرية تَواقيعُ شَتَّى ؛ منها تدريس الغزّالية لابن صضرى عوضاً عن الخطيب المقدسيّ ، وتوقيع بتدريس الأمينية لإمام الدين القزوينيّ عوضاً عن نجم الدين بن صضرى ، ورسم لأخيه جلال الدين بتدريس الظاهرية البرّانية عوضاً عنه .

وفى شوال كملت عمارة الحمام الذى أنشأه عزّ الدين الحموى بمسجد القصب ، وهو من أحسن الحمامات ، وبأشر مشيخة دار الحديث النورية الشيخ علاء الدين بن العطّار عوضاً عن شرف الدين المقدسيّ .

وحجّ فيها الملك المجاهد أنس بن الملك العادل كُتبغا ، وتصدّقوا بصدقات كثيرة فى الحرمين وغيرهما .

ونُودى بدمشق يوم عرفة أن لا يؤكّب أحدٌ من أهل الذمّة خيلاً ولا بغلاً ، ومن رأى من المسلمين أحداً من أهل الذمّة قد خالف ذلك فله سلّبه .

وفى أواخر هذه السنة والتى تليها حصل بديار مصر غلاء شديد ، هلك

(١) فى م : « أوائل » .

بسببه خلق كثير، هلك في شهر ذى الحجة نحو من عشرين ألفاً .

وفيها ملك التتر قازان بن أرغون بن أبغا بن تولى بن جنكزخان ، فأسلم وأظهر الإسلام على يد الأمير نوروز^(١) ، رحمه الله تعالى ، ودخلت التتر أو أكثرهم في الإسلام ، ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رعوس الناس يوم إسلامه ، وتسمى بمحمود ، وشهد الجمعة والخطبة ، وخرب كنائس كثيرة ، وضرب عليهم [١١٢ / ١٠] الجزية ، ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد ، وظهرت الشيخ والهاكل مع التتر ، والحمد لله وحده .

وفيها توفي من الأعيان :

الشيخ أبو الرجال الميني : الشيخ الصالح الزاهد العابد أبو الرجال بن مري^(٢) بن بحتري الميني ، كانت له أحوال ومكاشفات ، وكان أهل دمشق والبلاد يزورونه في قرية ميين ، وربما قدم هو بنفسه إلى دمشق فيكرم ويضاف ، وكانت له زاوية ببلده ، وكان بريئاً من هذه السماعات الشيطانية ، وكان تلميذ الشيخ جندل ، وكان شيخه الشيخ جندل من كبار الصالحين ، سالكاً طريق السلف أيضاً ، وقد بلغ الشيخ أبو الرجال ثمانين سنة ، وتوفي بميين في منزله في عاشر المحرم ، وخرج الناس من دمشق إلى جنازته ، فمنهم من أدركها ، ومن الناس من لم يدرك فصلّى على القبر ، ودُفن بزاويته ، رحمه الله تعالى .

(١) في م : «توزون» . وانظر كنز الدرر ٣٦١ / ٨ .

(٢) في م : «مرعي» . وانظر ترجمته في : العبر ٣٨٥ / ٥ ، ومسالك الأبصار ١٧٥ / ٨٠ ، ومرآة الجنان ٢٢٧ / ٤ ، وتذكرة النبيه ١٨٠ / ١ ، وعقد الجمان ٢٨٣ / ٣ ، وشذرات الذهب ٤٢٨ / ٥ .

وفيهما فى أواخر ربيع الأول جاء الخبر بأن عَسَافَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ حَجَّيٍّ^(١) الذى كان قد أجاز ذلك التَّصْرَافِيَّ الذى سبَّ الرسولَ عليه السلام قُتِلَ ، ففرح الناس بذلك .

الشيخ الصالح العابد الزاهد الورع بقية السلف ، جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن الحرستاني بن قاضي القضاة وخطيب الخطباء عماد الدين عبد الكريم بن جمال الدين عبد الصمد^(٢) ، سَمِعَ الحديثَ وناب عن أبيه فى الإمامة وتدريس الغزالية ، ثم ترك المناصب والدنيا ، وأقبل على العبادة ، وكان للناس فيه اعتقاد حسن صالح ، يُقبَلون يده ويسألونه الدعاء ، وقد جاوز الثمانين ، ودُفِنَ بالسفح عند أهله فى أواخر ربيع الآخر .

الشيخ مُحِبُّ الدين الطبري المكي الشافعي^(٣) ، سَمِعَ الكثير وصنّف فى فنون كثيرة ، من ذلك كتاب « الأحكام » فى مجلدات كثيرة مفيدة ، وله كتاب على ترتيب « جامع المسانيد » أسمعه لصاحب اليمن ، وكان مولده يوم الخميس السابع والعشرين من جمادى الآخرة^(٤) من سنة خمس عشرة وستمائة^(٥) ، ودُفِنَ بمكة ، وله شعر جيد ، فمنه قصيدته فى المنازل التى بين مكة والمدينة تزيد على ثلاثمائة بيت ، كتبها عنه الحافظ شرف الدين الدُمياطي فى « مُعْجَمِهِ » .

الملك المظفر صاحب اليمن ، يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن علي

(١) عقد الجمان ٣/٣٩٦ ، والنجوم الزاهرة ٨/٧٤ .

(٢) العبر ٥/٣٨٣ ، والوفاء بالوفيات ١٨/٤٤٦ ، وعقد الجمان ٣/٢٨٣ ، وشذرات الذهب ٥/٤٢٦ .

(٣) العبر ٥/٣٨٢ ، والوفاء بالوفيات ٧/١٣٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٨ ، وتذكرة

النبية ١/١٧٦ ، وعقد الجمان ٣/٢٨٤ ، والمقفى الكبير ١/٥١٦ ، والمنهل الصافي ١/٣٤٢ ، وشذرات

الذهب ٥/٤٢٥ .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « منها » . والمثبت من مصادر ترجمته عدا عقد الجمان وفيه : « عشر وستمائة » .

ابن رَسُولٍ^(١) ، أقام في مملكة اليمن بعد أبيه سبعا وأربعين سنة ، وعُمِّرَ ثمانين سنة ، وكان أبوه قد ولى أزيد من مدة عشرين سنة بعد الملك أَقْسِيسَ بن الكامل محمد ، وكان عمرُ بَنِ رَسُولٍ مُقَدَّم عَسَاكِرِ أَقْسِيسَ ، فلما مات أَقْسِيسَ وثب على الملك ، فتمَّ له الأمرُ ، وتسمَّى بالملك المنصور ، واستمرَّ أزيد من عشرين سنة ، ثم ابنته المظفرُ سبعا وأربعين سنة ، ثم قام من بعده في الملك ولده الملك الأشرفُ مُمَهَّدُ الدِّينِ ، فلم يَمُكُثْ سنة حتى مات ، ثم قام أخوه المؤيَّدُ هَزَبُورُ^(٢) الدين داودُ بَنِ المظفرِ ، فاستمرَّ في الملك مدة ، وكانت وفاة الملك المظفرِ المذكور في رجب من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وكان يُحِبُّ الحديثَ ويسمعه ، وجمع لنفسه أربعين حديثًا .

شرفُ الدِّينِ المقدسي ، الشيخُ الإمامُ الخطيبُ المدرسُ المفتي : شرفُ الدين أبو العباسِ أحمدُ بَنِ الشيخِ كمالِ الدينِ أحمدَ بنِ نِعْمَةَ بنِ أحمدَ بنِ جعفرِ بنِ حسينِ بنِ حمادِ المقدسي الشافعي^(٣) ، [١١٢/١٠ ط] وُلِدَ سنة ثنتين وعشرين وستمائة ، وسمع الكثير ، وكتب حسنًا ، وصنَّفَ فأجاد وأفاد ، وولى القضاء نيابةً بدمشق والتدريس والخطابة بدمشق ، وكان مدرسَ الغزالية ودار الحديث الثورية مع الخطابة ، ودرَّس في وقتٍ بالشامية البرّانية ، وأذن في الإفتاء لجماعة من الفضلاء ؛ منهم الشيخُ الإمامُ العلامةُ شيخُ الإسلامِ أبو العباسِ ابنُ تَيْمِيَّةَ ، وكان يَفْتَحُرُ بذلك ويُفَرِّحُ به ، ويقول : أنا أذِنْتُ لابنِ تَيْمِيَّةَ بالإفتاء . وكان يُتَقَنُّ فنونا

(١) نهاية الأرب ٣١/٢٨٩ ، والعبر ٥/٣٨٤ ، وتذكرة النبيه ١/١٧٦ ، وعقد الجمان ٣/٢٩٣ ، والنجوم الزاهرة ٨/٧١ ، وشذرات الذهب ٥/٤٢٧ .

(٢) في الأصل ، م : « عز » . والمثبت من نهاية الأرب وعقد الجمان . وانظر ترجمته في : المختصر في أخبار البشر ٤/٩١ ، وكنز الدرر ٩/٣٠٧ ، والوفاء بالوفيات ١٣/٥٠١ ، وفوات الوفيات ١/٤٢٨ .

(٣) العبر ٥/٣٨٠ ، والوفاء بالوفيات ٦/٢٣١ ، وفوات الوفيات ١/٥٧ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٥ ، وتذكرة النبيه ١/١٧٨ ، وعقد الجمان ٣/٢٨٥ ، والمقفى الكبير ١/٣٦١ ، والمنهل الصافي ١/٢٢٩ ، وشذرات الذهب ٥/٤٢٤ .

كثيرة من العلوم ، وله شعر حسن ، وصنّف كتابًا في أصول الفقه جمع فيه شيئًا كثيرًا ، وهو عندى بخطه الحسن ، تُوفّي يوم الأحد سابع عشر رمضان ، وقد جاوز السبعين ، ودُفن بمقابر باب كيسان عند والده ، رحمه الله تعالى ، ورحم أباه . وقد خطب بعده يوم العيد الشيخ شرف الدين الفزارى خطيب جامع جراح ، ثم جاء المرسوم لابن جماعة بالخطابة . ومن شعر الخطيب شرف الدين ابن نعمة المقدسى :

احجج إلى الزهر لتسعى به وارم جمار الهَم مُستنفِرا^(١)
 من لم يطف بالزهر في وقته من قبل أن يخلق قد قصرا
 واقف الجوهريّة الصدر نجم الدين أبو بكر محمد بن عيَّاش^(٢) بن أبي
 المكارم التميمي الجوهري ، واقف الجوهريّة على الحنفية بدمشق ، تُوفّي ليلة
 الثلاثاء تاسع عشر شوال ، ودُفن بمدرسته ، وقد جاوز الثمانين ، وكانت له خدم
 على الملوك فمن دونهم .

الشيخ الإمام العالم المفتي الخطيب الطيب ، مجدّد الدين أبو محمد عبد
 الوهاب بن أحمد بن أبي الفتح بن سُخْنُونِ التُّوْخِي الحنفى^(٣) ، خطيب النّيزب
 ومدرّس الدماغيّة للحنفيّة ، وكان طبيبًا ماهرًا حاذقًا ، تُوفّي بالنّيزب ، وصُلّي عليه
 بجامع الصالحية ، وكان فاضلاً ، وله شعر حسن ، وروى شيئًا من الحديث ، تُوفّي

(١) في فوات الوفيات ، والمنهل الصافي : « مستهترا » .

(٢) في العبر ٣٨٥/٥ ، وشذرات الذهب ٤٢٨/٥ : « عباس » . وانظر عقد الجمان ٢٩٢/٣ ، والدارس ٤٩٨/١ .

(٣) العبر ٣٨٣/٥ ، وفوات الوفيات ٤١٧/٢ ، وتذكرة النبيه ١٨١/١ ، والدليل الشافي ٤٣٢/١ ، والطبقات السنية في تراجم الحنفية ٤٠٤/٤ ، وشذرات الذهب ٤٢٦/٥ ، ومعجم الأطباء ص ٢٨١ .

ليلة السبت خامس ذى القعدة عن خمس وسبعين سنة.

الفاروئي الشيخ الإمام العابد الزاهد الخطيب عز الدين أبو العباس أحمد
ابن الشيخ مخي الدين إبراهيم بن عمر بن الفرّج بن سائبور بن علي بن غنيمّة
الفاروئي الواسطي^(١)، وُلِدَ سنة أربع عشرة وستمائة، وسمع الحديث، ورُحِلَ
فيه، وكانت له فيه يدٌ جيدة، وفي التفسير والفقه والوعظ والبلاغة، وكان دَيِّناً
وَرِعاً زاهداً، قَدِمَ إلى دمشق في دولة الظاهر، فأُعْطِيَ تَدْرِيسَ الجاروخيّة^(٢) وإمامة
مسجد ابن هشام، ورُتِّبَ له فيه^(٣) شَيْءٌ على المصالح، وكان فيه إِيثَارٌ، وله
أحوالٌ صالحة، ومُكَاشَفَاتٌ كثيرة؛ تَقَدَّمَ يوماً في مِخْرَابِ مسجد ابن هشام
ليُصَلِّيَ بالناس، فقال قبل أن يُكَبِّرَ للإحرام - والتَفَتَ عن يمينه - فقال: اُخْرُجْ
فاغْتَسِلْ. فلم يَخْرُجْ أحدٌ، ثم كرّر ذلك ثانية وثالثة، فلم يَخْرُجْ أحدٌ، فقال: يا
عثمان، اُخْرُجْ فاغْتَسِلْ. فخرج رجلٌ من الصفِّ، فاغْتَسَلَ ثم عاد، وجاء إلى
الشيخ يَعْتَذِرُ إليه، وكان الرجلُ صالحاً في نفسه، ذَكَرَ أنه أصابه فَيْضٌ من غير أن
يَرَى شخصاً، فاعتقد أنه لا يَلْزَمُهُ غُسْلٌ، فلما قال الشيخ ما قال اعتقد أنه
يُخَاطَبُ غيره، فلما عَيَّنَه باسمه عَلِمَ أنه المراد.

ثم قَدِمَ الفاروئي مرةً أخرى في أواخر أيام المنصورِ قلاوون، [١١٣/١٠] و
فخطبَ بجامع دمشق مدةً شهويرةً، ثم عُزِلَ بمُوقِفِ الدين بن الحموي، وتقدّم ذكرُ

(١) معرفة القراء الكبار ٥٥٢/٢، والعبر ٣٨١/٥، والوافي بالوفيات ٢١٩/٦، وطبقات الشافعية
الكبرى للسبكي ٦/٨، وتذكرة النبيه ١٨٣/١، وغاية النهاية ٣٤/١، وعقد الجمان ٢٩٠/٣، والمقفي
الكبير ٣٥٠/١، وشذرات الذهب ٤٢٥/٥.

(٢) في م: «الجاروضية». وانظر الدارس ٢٢٥/١.

(٣) في الأصل: «فيها».

ذلك ، وكان قد درّس بالنَّجِيبَةِ وبتدارِ الحديثِ الظاهرية ، فترك ذلك كلّهُ ، وسافر إلى وطنه ، فمات به بُكْرَةً يومِ الأربعاءِ مُسْتَهْلَ ذِي الْحِجَّةِ ، وكان يومُ موته يومًا مشهودًا بواسِطِ ، وصُلِّيَ عليه بدمشقَ وغيرها ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وكان قد لِسَ خِزْفَةِ التَّصَوُّفِ مِنَ الشُّهُرُوزْدِيِّ ، وقرأَ القِراءاتِ العِشرَةَ ، وخَلَّفَ أَلْفَي مَجْلِدٍ ومائَتَي مَجْلِدٍ ، وحدثَ بالكثيرِ ، وسمعَ منه البِزْالِيُّ كثيرًا «صحيح البخاري» ، و«جامع الترمذی» ، و«سنن ابن ماجه» ، و«مُسْنَدُ الشافعي» ، و«مُسْنَدُ عَبْدِ ابْنِ حُمَيْدٍ» ، و«مُعْجَمُ الطَّبْرَانِيِّ الصَّغِيرِ» ، و«مُسْنَدُ الدَّارِمِيِّ» ، و«فَضَائِلُ الْقُرْآنِ» لأبي عُبَيْدٍ ، وثمانين جزءًا وغير ذلك .

الجمالُ الحَقُّقُ أحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحُسَيْنِ الدَّمَشْقِيِّ ^(١) ، اشْتَغَلَ بالفقه على مذهبِ الشافعيّ ، وبرعَ فيه ، وأفتى وأعاد ، وكان فاضلاً في الطبِّ ، وقد ولى مَشِيخَةَ الدُّخُورِيَةِ لِتَقْدِيمِهِ فِي صِنَاعَةِ الطَّبِّ عَلَى غَيْرِهِ ، وعادَ المَرْضَى بِالْمَارِسْتَانِ الثَّوْرِيِّ عَلَى قَاعَةِ الْأَطْبَاءِ ، وكان مدرسًا للشافعية بِالْفَرْخُشَايَةِ ^(٢) ، ومُعِيدًا بَعْدَهُ مَدَارِسَ ، وكان جَيِّدَ الذَّهْنِ ، مُشَارِكًا فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ ، سَامَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

السُّتْ خاتون بنتُ المَلِكِ الْأَشْرَفِ مُوسَى بْنِ الْعَادِلِ ^(٣) ، زَوْجَةُ ابْنِ عَمِّهَا الْمَنْصُورِ بْنِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْعَادِلِ ، وَهِيَ الَّتِي أُثْبِتَ سَقْفُهَا زَمَنُ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ حَتَّى اشْتَرَى مِنْهَا حَزْرَمًا ، وَأَخَذَتْ الزُّنْبَيْقِيَّةَ مِنْ زَيْنِ الدِّينِ السَّامَرِيِّ ^(٤) .

(١) العبر ٣٨٢/٥ ، والوافي بالوفيات ١٣٦/٧ ، وعقد الجمان ٢٩١/٣ ، وشذرات الذهب ٤٢٦/٥ ، ومعجم الأطباء ص ١٠٩ .

(٢) في الأصل ، م : «بالفرخشائية» . والمثبت من الوافي بالوفيات . وانظر الدارس ٥٦١/١ .

(٣) نهاية الأرب ٢٩١/٣١ ، والوافي بالوفيات ٢٣٧/١٣ .

(٤) انظر ما تقدم في صفحة ٦٠٨ .

الصدرُ جمالُ الدينِ يوسفُ بنُ عليّ بنِ مُهاجرِ الشُّكريّ، أخو الصاحبِ
تقيّ الدينِ توبة^(١)، ولي حِشبة دمشق في وقتٍ، ودُفِن بتربة أخيه بالسفح،
وكانت جنازته حافلةً، وكان له عقلٌ وافِرٌ وتواضعٌ وثروةٌ ومروءةٌ، وخلف ثلاثَ
بنينَ؛ شمسُ الدينِ محمدٌ، وعلاءُ الدينِ عليٌّ، وبدرُ الدينِ حسنٌ.

(١) عقد الجمان ٣/ ٢٩١.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ خَمْسٍ وَتَسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ^(١)

اسْتَهَلَّتْ وَخَلِيفَةُ الْوَقْتِ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْعَبَّاسِيُّ ، وَسُلْطَانُ الْبِلَادِ الْمَلِكُ الْعَادِلُ زَيْنُ الدِّينِ كَثْبَغَا ، وَنَائِبُهُ بِمَصْرَ الْأَمِيرُ حُسَامُ الدِّينِ لَاجِينَ السَّلَاحِدَارِ الْمَنْصُورِيُّ ، وَوَزِيرُهُ فَخْرُ الدِّينِ بْنُ الْخَلِيلِيِّ ، وَقُضَاةُ مِصْرَ وَالشَّامِ هُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي التِّي قَبْلَهَا ، وَنَائِبُ الشَّامِ عَزُّ الدِّينِ الْحَمَوِيُّ ، وَوَزِيرُهُ تَقِيُّ الدِّينِ تَوْبَةُ ، وَشَاذُ الدَّوَابِينَ الْأَعْسَرُ ، وَخَطِيبُ الْبَلَدِ وَقَاضِيهَا ابْنُ جَمَاعَةَ .

وَفِي الْمَحْرَمِ وَلِي نَظَرَ الْأَيْتَامِ نَجْمٌ^(٢) الدِّينِ بْنُ هَلَالٍ عَوَضًا عَنْ شَرَفِ الدِّينِ بْنِ الشَّيْرِجِيِّ .

وَفِي مُسْتَهَلِّ هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ الْغَلَاءُ وَالْفَنَاءُ بِدِيَارِ مِصْرَ شَدِيدًا جَدًّا ، وَقَدْ تَفَانَى النَّاسُ إِلَّا الْقَلِيلَ ، وَكَانُوا يَخْفِرُونَ الْحَفِيرَةَ ، فَيَذْفِنُونَ فِيهَا الْقَتَامَ مِنَ النَّاسِ ، وَالْأَشْعَارُ فِي غَايَةِ الْغَلَاءِ ، وَالْأَقْوَاتُ فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ وَالْغَلَاءِ ، وَالْمَوْتُ عَمَالًا ، فَمَاتَ بِهَا فِي شَهْرِ صَفَرٍ مِائَةُ أَلْفٍ وَنَحْوُ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَوَقَعَ غَلَاءٌ بِالشَّامِ ، فَبَلَغَتْ الْغِرَارَةُ إِلَى مِائَتَيْنِ ، وَقَدِمَتْ طَائِفَةٌ مِنَ التَّيَّارِ الْعَوْرِيَّةِ لَمَّا بَلَغَهُمْ سُلْطَنَةُ كَثْبَغَا إِلَى الشَّامِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْهُمْ ، فَتَلَقَّاهُمُ الْجَيْشُ بِالرُّحْبِ وَالسَّعَةِ ، ثُمَّ سَافَرُوا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ مَعَ الْأَمِيرِ قَرَّاسَنْقَرِ الْمَنْصُورِيِّ .

(١) نِهَايَةُ الْأَرْبِ ٢٩٣/٣١ - ٣٠٩ ، وَالمَخْتَصَرُ فِي أَخْبَارِ الْبَشَرِ ٤/٣٣ ، وَكَنْزُ الدَّرَرِ ٨/٣٦٢ - ٣٦٦ ، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١٨٤/١ - ١٩٢ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٣/٢٩٩ - ٣٢٢ .

(٢) فِي م : « بَرَهَان » .

وجاء الخبرُ بِأَشَدِّدِ الْغَلَاءِ وَالْفَنَاءِ بِمَصْرَ، حتَّى قيل: إنه يَبِيعُ الْفَرُوجُ
[١١٣/١٠] بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ بَسْتَةً وَثَلَاثِينَ دِرْهَمًا، وَبِالْقَاهِرَةِ بِتِسْعَةِ عَشَرَ،
وَالْبَيْضُ كُلُّ ثَلَاثَةِ بَدْرَهَمٍ، وَأُفْنِيَتِ الْحُمُرُ وَالْخَيْلُ وَالْبِغَالُ وَالْكِلَابُ مِنْ أَكْلِ
النَّاسِ لَهَا، وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ يَلُوحُ إِلَّا أَكْلُوه.

وفى يومِ السَّبْتِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى وَلِىَ قَضَاءُ الْقَضَاةِ بِمَصْرَ الشَّيْخُ
الْعَلَّامَةُ تَقِيُّ الدِّينِ بَنُ دَقِيقِ الْعِيدِ عَوْضًا عَنْ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ بَنَتِ الْأَعَزِّ، ثُمَّ وَقَعَ
الرُّخْصُ بِالْأُيُودِ الْمَصْرِيَّةِ، وَزَالَ الضَّرُّ وَالْجُوعُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وفى يومِ الْأَرْبَعَاءِ ثَانِي شَهْرِ رَجَبٍ دَرَّسَ الْقَاضِي إِمَامُ الدِّينِ بِالْقَيْمُورِيَّةِ عَوْضًا
عَنْ صَدْرِ الدِّينِ بْنِ رَزِينِ الذِّى تُوفِّيَ.

قال الْبِرْزَالِيُّ: وَفِيهَا وَقَعَتْ صَاعِقَةٌ عَلَى قُبَّةِ زَمْرَمَ، فَقَتَلَتْ الشَّيْخَ عَلِيَّ بْنَ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ مُؤَذِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، كَانَ يُؤَذِّنُ عَلَى سَطْحِ الْقُبَّةِ
الْمَذْكُورَةِ، وَكَانَ قَدْ رَوَى شَيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ.

وفِيهَا قَدِمَتْ امْرَأَةُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ أُمُّ سَلَامُش مِنْ بِلَادِ الْأَشْكَرِيِّ إِلَى دِمَشْقَ فِي
أَوَاخِرِ رَمَضَانَ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا نَائِبُ الْبَلَدِ بِالْهَدَايَا وَالْثَّحْفِ، وَرَتَّبَ لَهَا الرُّوَاتِبَ
وَالْإِقَامَاتِ، وَكَانَ قَدْ نَفَاهُمْ خَلِيلُ بْنُ الْمَنْصُورِ لِمَا وَلَّى السُّلْطَنَةَ.

قال ابْنُ الْجَزَرِيِّ: وَفَى رَجَبٍ دَرَّسَ كَمَالُ الدِّينِ بْنُ الْقَلَانِسِيِّ^(١) بِالظَّاهِرِيَّةِ
الْبِرَّانِيَّةِ^(٢) عَوْضًا عَنْ جَلَالِ الدِّينِ الْقَزْوِينِيِّ.

وفى يومِ الْأَرْبَعَاءِ سَابِعِ عَشَرَ شَعْبَانَ دَرَّسَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ

(١ - ١) سقط من: م. وانظر الدارس ١/٣٤٥.

تَقِيُّ الدِّينِ بَنُ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِي بِالْمَدْرَسَةِ الْحَنْبَلِيَّةِ عَوْضًا عَنِ الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ بْنِ
الْمُنْجَا، تُوفِّيَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَنَزَلَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَنْ حَلَقَةِ الْعِبَادِ بْنِ الْمُنْجَا لَشَمْسِ
الدِّينِ بْنِ الْفَخْرِ الْبَغْلَبَكِيِّ.

وَفِي أَوَاخِرِ شَوَالٍ نَابَ الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ الزَّرْعِيُّ الَّذِي كَانَ حَاكِمًا
بِزُرْعَ - وَهُوَ سَلِيمَانُ بْنُ عَمَرَ بْنِ سَالِمِ الْأَذْرَعِيِّ - عَنْ ابْنِ جَمَاعَةَ بِدَمَشَقَ،
فَشُكِرَتْ سِيرَتُهُ.

وَفِيهَا خَرَجَ السُّلْطَانُ كَتَبْنَا مِنْ مِصْرَ قَاصِدًا الشَّامَ فِي أَوَاخِرِ شَوَالٍ، وَلَمَّا جَاءَ
الْبَرِيدُ بِذَلِكَ ضَرَبَتْ الْبَشَائِرُ بِالْقَلْعَةِ، وَنَزَلُوا بِالْقَلْعَةِ؛ السُّلْطَانُ وَنَائِبُهُ لَاجِينَ
وَوَزِيرُهُ ابْنُ الْخَلِيلِيِّ.

وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ سَادِسَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ^(*) وَلَّى قَضَاءَ الْحَنَابِلَةِ الشَّيْخُ تَقِيُّ
الدِّينِ سَلِيمَانُ بْنُ حَمْزَةَ الْمُقَدَّسِي عَوْضًا عَنْ شَرَفِ الدِّينِ، مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ،
وُخْلِيعَ عَلَيْهِ وَعَلَى بَقِيَّةِ الْحُكَّامِ وَأَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ الْكِبَارِ وَأَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ، وَوَلَّى نَجْمُ
الدِّينِ بْنُ أَبِي الطَّيِّبِ وَكَالَةَ بَيْتِ الْمَالِ عَوْضًا عَنْ ابْنِ الشُّيرَازِيِّ، وَخْلِيعَ عَلَيْهِ مَعَ
الْجَمَاعَةِ. وَرُسِمَ عَلَى الْأَعْسَرِ وَجَمَاعَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَخَلَقَ مِنَ الْكُتُبَةِ وَالْوُلَاةِ،
وَصُودِرُوا بِمَالٍ كَثِيرٍ، وَاحْتِيطَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَخَوَاصِلِهِمْ، وَعَلَى بَيْتِ ابْنِ
السَّلْعُوسِ وَابْنِ عَدْنَانَ وَخَلَقَ، وَجَرَتْ خَبْطَةٌ عَظِيمَةٌ. وَقَدِمَ ابْنَا الشَّيْخِ عَلِيُّ
الْحَرِيرِيُّ؛ حَسَنٌ وَشَيْثٌ^(١) مِنْ بُشْرَ لَزِيَارَةِ السُّلْطَانِ، فَحَصَلَ لِهَمَا مِنْهُ رِفْدٌ

(*) مِنْ هُنَا يَبْدَأُ الْقِسْمَ الثَّانِي مِنَ الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ النُّسخَةِ الْمِصْرِيَّةِ الَّتِي يَرْمِزُ لَهَا بِ (ص).
(١) فِي الْأَصْلِ: «سَبْت»، وَفِي ص: «شَيْب»، وَسَتَأْتِي تَرْجُمَتُهُ فِي صَفْحَةِ ٦٩٩.

وإسعاف، وعادا إلى بلديهما^(١). وضيقت القلندرية^(٢) السلطان بسفح جبل المزة^(٣)، فأعطاهم نحوًا من عشرة آلاف. وقدم صاحب حماة إلى خدمة السلطان، ولعب معه الكرة بالميدان. واشتكت الأشراف من تقييهم زين الدين ابن عذنان، فرفع صاحب يده عنهم، وجعل أمرهم إلى القاضي الشافعي. [١١٤/١٠] فلما كان يوم الجمعة الثامن^(٤) والعشرين من ذي القعدة صلى السلطان الملك العادل كتبًا بمقصورة الخطابة، وعن يمينه صاحب حماة، وتحتة بدر الدين أمير سلاح، وعن يساره أولاد الحريري حسن وأخوه، وتحتهم نائب المملكة حسام الدين لاجين، وإلى جانبه نائب الشام عز الدين الحموي، وتحتة بدر الدين تيسري، وتحتة قراسنقر، وإلى جانبه الحاج بهادر، وخلفهم أمراء كبار، وخلع على الخطيب بدر الدين بن جماعة خلعًا سنينة، ولما قضيت الصلاة سلم على السلطان، وزار السلطان المصحف العثماني، ثم أصبح يوم السبت، فلبى الكرة بالميدان على العادة.

وفي يوم الاثنين ثاني ذي الحجة غزل الأمير عز الدين الحموي عن النيابة، وعاتبه السلطان عتابًا كثيرًا على أشياء صدرت منه، ثم عفا عنه، وأمره بالمسير معه إلى مصر، واشتتاب بالشام الأمير سيف الدين غرلو^(٥) العادلي، وخلع على

(١) بعده في ص: «بحوران».

(٢) القلندرية: طائفة تنتمي إلى الصوفية، نشأت بإيران وامتد أثرها إلى الشام ومصر منذ زمن الأيوبيين، فكان أربابها من الأعاجم على أنهم لم يتيقّدوا بأداب المجالسات ولم يحفلوا بالصوم والصلاة والتزمو ألا يدخروا شيئًا ولم يتقشفوا ولا زهدوا ولا تعبدوا، وزعموا أنهم تقموا بطيب قلوبهم مع الله تعالى ولم يتطلعوا إلى طلب مزيد ويعتبرون طيب القلب رأس مالهم. نهاية الأرب ٣١/٣٠٨ حاشية (٣)

(٣) في ص: «قاسيون».

(٤) في الأصل، م: «الثاني». وانظر عقد الجمان ٣/٣١٠.

(٥) في نهاية الأرب ٣١/٣٠٦، وعقد الجمان ٣/٣١٠: «أغرلوا». وانظر تذكرة النبيه ١/١٨٥.

المؤلى وعلى المغزول أيضًا، وحضر السلطان دار العدل، وحضر عنده الوزير والقضاة والأمراء، وكان عادلاً كما سُمي.

^(١) وفيه تولّى الوزارة شهاب الدين الحنفى عوضاً عن التقيّ ابن البيّج التكريتيّ، وولى تقيّ الدين بن شهاب الدين الحشبة عوضاً عن أبيه وخلع عليهما^(٢).

ثم سافر السلطان فى ثمانى عشر ذى الحجة واجتاز على جوسية^(٣)، ثم أقام بالبرية أياماً، ثم عاد فنزل حمص، وجاء إليه ثواب البلاد. وجلس الأمير سيف الدين غرلو بدار العدل، فحكم وعدل، وكان محمود السيرة، شديد الحكم، رحمه الله تعالى.

ومن تُوفى فيها من الأعيان :

الشيخ زين الدين بن مُنجا: هو الإمام العالم العلامة مُفتى المسلمين الصدر الكامل زين الدين أبو البركات^(٤) المتجّ بن الصدر عزّ الدين أبى عمرو^(٥) عثمان بن أسعد بن المتجّ بن بركات بن المؤمل الشوخيّ، شيخ الحنابلة وعالمهم، وُلد سنة إحدى وثلاثين وستّائة، وسمع الحديث وتفقه، فبرع فى فنون كثيرة من الأصول والفروع والعربية والتفسير وغير ذلك، وانتهت إليه رئاسة

(١ - ١) سقط من: الأصل، م.

(٢) فى الأصل، م: «حرسا». وفى ص: «حرسه». والمثبت من نهاية الأرب ٣١/٣٠٨، المختصر فى أخبار البشر ٤/٣٣، وعقد الجمان ٣/٣١٠. وجوسية: قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق بين جبل لبنان وجبل سنير. معجم البلدان ٢/١٥٤.

(٣) بعده فى الأصل، م: «بن». وانظر مصادر ترجمته؛ تذكرة النبى ١/١٩٠، وذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٣٢، وعقد الجمان ٣/٣٢٣، والدليل الشافى ٢/٧٤٣، والدارس ٢/٧٣، وشنرات الذهب ٥/٤٣٣.

(٤) فى م، ص: «عمر».

المذهب، وصنّف في الأصول، وشرح «المُقْنِع»، وله تعليقات في التفسير، وكان قد جُمِع له بين حُسن الشكل والسَّمتِ والدِّيانة والعلم والوَجاهة وصحّة الذهن والعقيدة والمناظرة وكثرة الصدقة، ولم يَزَلْ يُواظِبُ الجامع للاشتغال مُتَبَرِّعًا حتى تُوفِّي في يومِ الخميسِ رابع شعبان، وتُوفِّيَتْ معه زوجته أم محمد ستُّ البهاء بنتُ صدر الدين الحُجَنْدِيّ، وصُلِّيَ عليهما بعد الجمعة بجامع دمشق، وحُمِلَا جميعًا إلى سفحِ قاسيُون شماليّ الجامع المُظَفَّرِيّ تحت الرّوضة، فدُفِنَا في تربةٍ واحدة، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تعالى. وهو والدُ قاضي القضاة علاء الدين، وكان شيخَ المسمارية، ثم وليها بعده ولداه شرف الدين وعلاء الدين، وكان شيخَ الحنبلية، فدرّس بها بعده الشيخُ تَقِيّ الدين بنُ تيمية، كما ذكرنا في الحوادث.

المسعودي صاحب الحَمَامِ بِالْمِزَّة: هو الأمير الكبير بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله المسعودي^(١)، أحد كبار الأمراء المشهورين بخدمة الملوك، تُوفِّيَ ببيستانه بِالْمِزَّة يوم السبت سابع عشرين من شعبان، ودُفِنَ صَبَحَ يوم الأحد بتربيته بِالْمِزَّة، وحضر نائب السلطنة جنازته، وعُمِلَ عزاءُه تحت النُسرِ بجامع دمشق، [١٠/١١٤ ط]. رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

الشيخ الخالدي: الشيخ الصالح إسرائيل بن علي بن حسين الخالدي^(٢)، له زاوية خارج باب السّلامية، يُقَصَّدُ فيها للزيارة، وكان مُشْتَمِلًا على عبادة وزهادة، لا يَقُومُ لأحدٍ من الناس، ولو كان مَنْ كان، وعنده سُكُونٌ ومعرفة، لا يَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ إِلَّا لِلْجُمُعَةِ، حتى كانت وفاته في النصف من رمضان، ودُفِنَ بقاسيُون، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

(١) عقد الجمان ٣/٣٣٧، والدليل الشافى ٢/٥٦٨.

(٢) عقد الجمان ٣/٣٢٣، والمنهل الصافى ٢/٣٦٧، والدليل الشافى ١/١١٨.

الشرف حسن^(١) المقدسي: هو قاضي القضاة شرف الدين أبو الفضل الحسن بن الشيخ الإمام الخطيب شرف الدين أبي بكر عبد الله بن الشيخ أبي عمر المقدسي، سَمِعَ الحديثَ وتَفَقَّه، وبرزَ في الفروع والنحو واللغة، وفيه أدبٌ وحسنٌ مُحَاضَرَةٌ، مَلِيحُ الشَّكْلِ، تَوَلَّى الْقَضَاءَ بَعْدَ نَجْمِ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ^(٢) وَثَمَانِينَ، وَدَرَّسَ بَدَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَةِ بِالسَّفْحِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَالٍ، وَقَدْ قَارَبَ السِّتِينَ، وَدُفِنَ مِنَ الْغَدِ بِمَقْبَرَةِ جَدِّهِ بِالسَّفْحِ، وَحَضَرَ نَائِبُ السُّلْطَانَةِ وَالْقَضَاءُ وَالْأَعْيَانُ جِنَازَتَهُ، وَعُمِلَ مِنَ الْغَدِ عَزَاؤُهُ بِالْجَامِعِ الْمُظَفَّرِيِّ، وَبَاشَرَ الْقَضَاءَ بَعْدَهُ تَقِيُّ الدِّينِ سَلِيمَانُ بْنُ حَمْزَةَ، وَكَذَا مَشِيخَةُ دَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَةِ بِالسَّفْحِ، وَقَدْ وَلِيَهَا شَهَابُ الدِّينِ الْعَابِرُ^(٣) الْحَنْبَلِيُّ النَّابُلُسِيُّ مَدَّةَ شَهْوَرٍ، ثُمَّ صُرِفَ عَنْهَا، وَاسْتَقَرَّتْ بِيَدِ قَاضِي الْقَضَاءِ تَقِيِّ الدِّينِ الْمَقْدِسِيِّ.

الشيخ الصالح الإمام العالم البارغ الناسك أبو محمد بن أبي حمزة^(٤) المغربي المالكي، تُوفِّيَ بِالْبَيْتِ الْمَصْرِيِّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَكَانَ قَوَّالًا بِالْحَقِّ، أَمَّارًا بِالْمَعْرُوفِ نَهَاءً عَنِ الْمُنْكَرِ، رَجَمَهُ اللَّهُ.

الصاحب مخيي الدين بن الثَّحَاسِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ بَدْرِ الدِّينِ

(١) فِي الْأَصْلِ، م: «حسين». وَاُنْظُرْ مَصَادِرَ تَرْجَمَتِهِ: الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٩٣/١٢، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١٨٩/١، وَذَيْلُ طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ ٣٣٤/٢، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٣٢٤/٣، وَالْدَّلِيلُ الشَّافِي ٢٦٤/١، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٤٣٠/٥، وَالدَّارِسُ ٥١/١.

(٢) فِي النُّسخِ: «سبع». وَالْمَثْبُوتُ مِنْ عَقْدِ الْجَمَانِ. وَاُنْظُرْ مَا تَقَدَّمَ فِي صَفْحَةِ ٦٢٥.

(٣) سَقَطَ مِنْ: ص. وَاُنْظُرْ مَصْدَرِي تَرْجَمَتِهِ؛ عَقْدُ الْجَمَانِ ٣٢٤/٣ - وَفِيهِ: «جمرة» - وَبَدَائِعُ الزُّهْرِ ٣٩٠/١ (الْقِسْمُ الْأَوَّلُ).

(٤) فِي م، ص: «الغابر». وَاسْتَأْتَى تَرْجَمَتُهُ فِي صَفْحَةِ ٧٠٧.

يعقوب بن إبراهيم بن ^(١) هبة الله بن طارق بن سالم بن النحاس الأسدي الحلبي الحنفي، وُلد سنة أربع عشرة وستمائة بحلب، واشتغل وبرع وسمع الحديث، وأقام بدمشق مدة، ودرّس بها بمدارس كبار؛ منها الظاهرية والزنجارية ^(٢)، وولى القضاء بحلب، والوزارة بدمشق، ونظر الخزانة، ونظر الدواوين والأوقاف، ولم يزل مكرّماً معظّماً معروفاً بالفضيلة والإنصاف في المناظرة، مُجيباً للحديث وأهله على طريقة السلف، وكان يُحبّ الشيخ عبد القادر وطائفته وطريقته، وكانت وفاته بيّستانه بالمزة عشية الاثنين سلخ ذى الحجة، وقد جاوز الثمانين، ودُفن يوم الثلاثاء مُستَهلاً المحرم سنة ست وتسعين بمقبرة له بالمزة، وحضر جنازته نائب السلطنة والقضاة.

قاضي القضاة تقي الدين، أبو القاسم عبد الرحمن بن قاضي القضاة تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب ابن بنت القاضي الأعزّ أبي القاسم خلف بن بدر، العلاني الشافعي ^(٣)، تُوفّي في جمادى الأولى، ودُفن بالقرافة بترتيبهم، رحمه الله تعالى.

(١ - ١) في النسخ: «عبد الله». والمثبت من مصادر ترجمته؛ الوافي بالوفيات ٥/٢٢٤، وتذكرة النبيه ١/١٩٠، والجواهر المضية ٣/٤٠١، وعقد الجمان ٣/٣٢٥، والدليل الشافي ٢/٧١٢، والدارس ١/٥٢٤، وشذرات الذهب ٥/٤٣٢.

(٢) في م: «الزنجانية».

(٣) فوات الوفيات ٢/٢٧٩، والوافي بالوفيات ١٨/١٧٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/١٧٢، وتذكرة النبيه ١/١٩٢، وعقد الجمان ٣/٣٢٦، والنجوم الزاهرة ٨/٨٢، وشذرات الذهب ٥/٤٣١.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتٌّ وَتَسْعِينَ وَسْتَمَائَةٍ^(١)

اسْتَهَلَّتْ والخليفةُ الحاكمُ العباسيُّ ، وسلطانُ البلادِ الملكُ العادلُ زَيْنُ الدينِ كَثْبُغا وهو في نواحي حِمَصَ يَتَصَيَّدُ ، ومعه نائبُ الديارِ المصريةِ حسامُ الدينِ لاجين السِّلْخداريُّ المنصوريُّ ، وأكابرُ الأمراءِ ، ونائبُ الشامِ بدمشقَ الأميرُ سيفُ الدينِ غرلو العادلِيُّ ،^(٢) وقضاةُ الشامِ هم المذكورون في التي قبلها غيرَ الحنبليِّ فإنه تقيُّ الدينِ سليمانُ بنُ حمزةَ ، والوزيرُ شهابُ الدينِ الحنفِيُّ وابنه المحتسبُ وخطيبُ البلدِ قاضيُ القضاةِ بدرُ الدينِ بنُ جماعةَ الشافعيُّ^(٣) ، فلما كان يومُ الأربعاءِ [١١٥/١٠] ثانی الحرمِ دَخَلَ السلطانُ الملكُ العادلُ كَثْبُغا ضُحًى إلى دمشقَ من نواحي حِمَصَ ، وصَلَّى الجمعةَ بالمقصورةِ ، وزارَ قبرَ هُودٍ ، وصَلَّى عنده ، وأخذَ مِنَ الناسِ قُصَصَهم بيده ، وجلسَ بدارِ العدلِ يومَ السبتِ ، ووقعَ على القُصَصِ هو ووزيرُه فخرُ الدينِ الخليليُّ .

وفي هذا الشهرِ حَضَرَ شهابُ الدينِ ابنُ مُحيى الدينِ بنِ التَّحَّاسِ في مدرستَي أبيه^(٣) ؛ الریحانية^(٤) والظاهرية ، وحَضَرَ الناسُ عنده ، ثم حَضَرَ السلطانُ دارَ العدلِ يومَ الثلاثاءِ ، وجاءَ إلى صلاةِ الجمعةِ ، فصَلَّى بالمقصورةِ ثم صعدَ في

(١) نهاية الأرب ٣١١/٣١ - ٣٢٧ ، وكنز الدرر ٣٦٦ - ٣٦٩ ، وتذكرة النبيه ١٩٣/١ - ٢٠١ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) في ص : « ابنه » .

(٤) في الأصل : « الریحانية » .

هذا اليوم إلى مغارة الدم وزارها ، ودعا^(١) هنالك ، وتصدَّق بجملةٍ من المال ، وحضر الوزيرُ فخرُ الدين بنُ الخليلي ليلةَ الأحدِ ثالثَ عشرَ المحرمِ إلى الجامع بعدَ العشاءِ ، فجلسَ عندَ شُبَّاكِ الكامليّةِ ، وقرأَ القُرْآنَ بينَ يديه ، ورسمَ بأنْ يُكَمِّلَ داخلَ الجامعِ بالفُرُشِ ، ففعلوا ذلك ، واشتَمَرَ ذلك نحوًا من شهرين ، ثم عاد إلى ما كان عليه .

وفى صَبِيحَةِ هذا اليومِ دَرَسَ القاضي شمسُ الدين بنُ الحريريّ بالقيَمَازِيَةِ عوضًا عن ابنِ النَّحَّاسِ باتِّفَاقٍ منهم ، وحضرَ عنده جماعةٌ ، ثم صَلَّى السلطانُ الجمعةَ بالمقصورة ، ومعه وزيرُه ابنُ الخليلي ، وهو ضعيفٌ من مرضٍ أصابه ، وفى سابعَ^(٢) "عشرَ المحرمِ" أُمِرَ للملكِ الكاملِ بنِ الملكِ السعيدِ بنِ الصالحِ إسماعيلِ بنِ العادلِ بطلبخانةٍ ولُبِسَ الشَّرْبُوشُ ، ودخلَ القلعةَ ، وضربتِ الكُوساتُ على بابِه ، وخرجَ السلطانُ الملكُ العادلُ كَتِّبغا بالعساكرِ المنصورةَ من دمشق بُكْرَةَ يومِ الثلاثاءِ^(٣) "ثانيَ عشرينَ"^(٤) المحرمِ ، وخرجَ بعده الوزيرُ^(٥) ، فاجتازَ بدارِ الحديثِ ، وزارَ الأثرَ النبويَّ ، وخرجَ إليه الشيخُ زينُ الدينِ الفارقيُّ ، وشافهه بتدريسِ الناصريةِ ، وتركَ زينُ الدينِ تَدْرِيسَ الشاميةِ البرّانيةِ ، فولّوها القاضي كمالُ الدين بنُ الشَّريشيِّ ، وذَكَرَ أنَ الوزيرَ أعطى الشيخَ "زينَ الدينِ"^(٦) شيئًا من حُطامِ الدنيا فقبِلَه ، وكذلك أعطى خادِمَ الأثرِ "وهو المَعِينُ"^(٧) حَظًّا . وخرجَ الأعيانُ والقضاةُ معَ الوزيرِ لتوديعه . ووقعَ فى هذا اليومِ مطرٌ جيّدٌ اسْتَشْفَى الناسُ به ،

(١) فى الأصل : « عاد » .

(٢ - ٢) فى ص : « عاشر » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) فى الأصل : « عشر » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦ - ٦) فى ص : « والعين » .

وَعَسَلَ آثَارَ الْعَسَاكِرِ مِنَ الْأَوْسَاخِ وَغَيْرِهَا ، وَعَادَ التَّقَى تَوْبَةً مِنْ تَوْدِيْعِ الْوَزِيرِ ، وَقَدْ فَوَّضَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْخِزَانَةِ ، وَعَزَلَ عَنْهَا شِهَابُ الدِّينِ بَنَ النَّحَّاسِ ، وَدَرَسَ الشَّيْخُ زَيْنُ^(١) الدِّينِ بِالنَّاصِرِيَةِ الْجَوَانِيَةِ عَوْضًا عَنْ الْقَاضِي بَدْرِ الدِّينِ بَنِ جَمَاعَةَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الْحَرَمِ .

وَفِي هَذَا الْيَوْمِ تَحَدَّثَ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِوُقُوعِ تَخْبِيْطِ بَيْنِ الْعَسْكَرِ وَخُلْفِ وَتَشْوِيْشِ ، فَعُلِقَ بَابُ الْقَلْعَةِ الَّذِي يَلِي الْمَدِيْنَةَ ، وَدَخَلَ الصَّاحِبُ شِهَابُ الدِّينِ إِلَيْهَا مِنْ بَابِ الْخَوْخَةِ ، وَتَهَيَّأَ النَّائِبُ وَالْأَمْرَاءُ ، وَرَكِبَ طَائِفَةٌ مِنَ الْجَيْشِ عَلَى بَابِ النَّصْرِ وَقُوْفًا هُنَاكَ ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ وَصَلَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ كَتِّبَعًا إِلَى الْقَلْعَةِ فِي خَمْسَةِ أَنْفُسٍ أَوْ سِتَةٍ مِنْ مَمَالِيكِهِ ، فَدَخَلَ الْقَلْعَةَ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ الْأَمْرَاءُ ، وَأَحْضَرَ ابْنَ جَمَاعَةَ وَحُسَامَ الدِّينِ الْحَنْفَى ، وَتَجَدَّدَ تَحْلِيْفُ الْأَمْرَاءِ ثَانِيَةً فَحَلَفُوا لَهُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ ، وَأَمَرَ بِالْاِخْتِيَاْطِ عَلَى نُوَابِ الْأَمِيرِ حُسَامِ الدِّينِ لِاجِبِينَ وَخَوَاصِلِهِ ، وَأَقَامَ الْعَادِلُ بِالْقَلْعَةِ هَذِهِ الْأَيَّامَ ، وَكَانَ الْخُلْفُ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَهُمْ بِوَادِي فَحْمَةِ^(٢) يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الثَّامِنِ^(٣) وَالْعَشْرِينَ مِنَ الْحَرَمِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمِيرَ حُسَامَ الدِّينِ لِاجِبِينَ كَانَ قَدْ وَاطَأَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَمْرَاءِ فِي الْبَاطِنِ عَلَى الْعَادِلِ ، وَتَوَثَّقَ مِنْهُمْ ، وَأَشَارَ عَلَى الْعَادِلِ حِينَ [١١٥/١٠ ظ] خَرَجُوا مِنْ دِمَشْقَ أَنْ يَشْتَصْحِبَ مَعَهُ الْخِزَانَةَ ؛ وَذَلِكَ لِثَلَا يَتَقَى بِدِمَشْقَ شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ يَتَقَوَّى بِهِ الْعَادِلُ إِنْ فَاتَهُمْ وَرَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ ، وَيَكُونُ قُوَّةً لَهُ هُوَ فِي الطَّرِيقِ عَلَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدْرِ ، فَلَمَّا كَانُوا

(١) فِي الْأَصْلِ ، م : « نَاصِر » . وَانْظُرِ الدَّارِسَ ٤٦١/١ .

(٢) فَحْمَةٌ : مَرْكَزٌ مِنْ مَرَاكِزِ الْبَرِيدِ بَيْنَ قَاقُونٍ وَجِينِينَ . انْظُرِ صَبِيْحَ الْأَعْمَشِيِّ ٣٧٩/١٤ .

(٣) فِي م : « الثَّاسِعُ » . وَانْظُرِ النُّجُومَ الزَّاهِرَةَ ٦٣/٨ .

بالمكان المذكور قتل لاجئين الأمير سيف الدين بتخاص وبكثوت الأزرق العادليين، وأخذ الخزانة من بين يديه والعسكر، وقصد الديار المصرية، فلما سمع العادل بذلك خرج من الدهليز، وساق جريدة إلى دمشق، فدخلها كما ذكرنا، وتراجع بعض مماليكه كزَيْن الدين غلبك وغيره، ولزم شهاب الدين الحنفى القلعة لتدبير المملكة، ودرس كمال الدين بن الشريشي بالشامية البرانية بكرة يوم الخميس مشتهل صفر، وتقلب أمور كثيرة في هذه الأيام، ولزم السلطان القلعة لا يخرج منها، وأطلق كثيرا من المكوس، وكتب بذلك توقيع، وقرئت على الناس، وغلا السعر جدا، فبلغت الغرارة مائتين، واشتد الحال وتفاقم الأمر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

سَلْطَنَةُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ لَاجِئِ السَّلْخَدَارِ^(١)

وذلك أنه لما اشتاق الخزانة، وذهب بالجيش إلى الديار المصرية دخلها في أبهة عظيمة، وقد اتفق معه جمهور الأمراء الكبار، وبايعوه وملكوه عليهم، وجلس على سرير الملك يوم الجمعة عاشر صفر، ودقت بمصر البشائر، ورُيِّنت البلد، وخطب له على المنابر وبالقدس والخليل، ولقب بالملك المنصور، وكذلك بالكرك و نابلس وصفد، وذهبت إليه طائفة من أمراء دمشق، وقدمت الجريدة^(٢) من جهة الرحبة ضعبة الأمير سيف الدين كجككن، فلم يدخلوا البلد بل نزلوا

(١) نهاية الأرب ٣١٣/٣١ - ٣١٦، والسلوك ٨٢٠/١ - ٨٢٧ (القسم الثالث)، وتذكرة النبيه ١/١٩٤، وعقد الجمان ٣/٣٤٥.

(٢) في الأصل، م: «التجريدة».

بَيْدَانِ الْحَصَى^(١)، وَأَظْهَرُوا^(٢) مُخَالَفَةَ الْعَادِلِ وَطَاعَةَ^(٣) الْمَنْصُورِ لَاجِينَ بِمَصْرَ،
وَرَكِبَ إِلَيْهِ الْأُمَرَاءُ طَائِفَةً بَعْدَ طَائِفَةٍ، وَفَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ، فَضَعُفَ أَمْرُ الْعَادِلِ جَدًّا.
فَلَمَّا رَأَى انْجِلَالَ أَمْرِهِ قَالَ لِلْأُمَرَاءِ: هُوَ خُشْدَاشِي، وَأَنَا وَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَأَنَا لَهُ
سَامِعٌ مُطِيعٌ، وَأَنَا أَجْلِسُ فِي أَىِّ مَكَانٍ مِنَ الْقَلْعَةِ أَرَادَ، حَتَّى تُكَاتِبُوهُ وَتَنْظُرُوا مَا
يَقُولُ. وَجَاءَتِ الْبَرِيدِيَّةُ بِالْمَكَاتِبَاتِ بِأَمْرِ الْإِخْتِيَاطِ عَلَى الْقَلْعَةِ وَعَلَى الْمَلِكِ
الْعَادِلِ، وَبَقِيَ النَّاسُ فِي هَرْجٍ وَأَقْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَبْوَابُ الْقَلْعَةِ مُغْلَقَةٌ، وَأَبْوَابُ
الْمَدِينَةِ سِوَى بَابِ النَّصْرِ إِلَّا الْخَوْخَةَ، وَالْعَامَّةُ حَوْلَ الْقَلْعَةِ قَدْ أَرْدَحَمُوا حَتَّى
سَقَطَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فِي الْخَنْدَقِ، فَمَاتَ بَعْضُهُمْ، وَأَمْسَى النَّاسُ عَشِيَّةَ السَّبْتِ
وَقَدْ أُغْلِنَ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ لَاجِينَ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ بِذَلِكَ بَعْدَ الْعَصْرِ،
وَدَعَا لَهُ الْمُؤَذِّنُونَ فِي سَحَرٍ لَيْلَةِ الْأَحَدِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَتَلَّوْا قَوْلَهُ تَعَالَى:
﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلُوكِ تُؤْتِي الْمُلُوكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّن تَشَاءُ
وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وَأَصْبَحَ النَّاسُ يَوْمَ الْأَحَدِ، فَاجْتَمَعَ الْقُضَاةُ وَالْأُمَرَاءُ، وَفِيهِمْ غَرَلُو الْعَادِلِي
بِدَارِ السَّعَادَةِ، فَحَلَفُوا لِلْمَنْصُورِ لَاجِينَ، وَتَوَدَّى بِذَلِكَ فِي الْبَلَدِ، وَأَنْ يَفْتَحَ النَّاسُ
ذَكَائِنَهُمْ، وَاخْتَفَى الصَّاحِبُ شِهَابُ الدِّينِ وَأَخُوهُ زَيْنُ الدِّينِ الْمُحْتَسِبُ، فَعَمِلَ
الْوَالِي ابْنُ النِّشَابِيِّ^(٣) حِشْبَةَ الْبَلَدِ، ثُمَّ ظَهَرَ زَيْنُ الدِّينِ، فَبَاسَرَهَا عَلَى عَادَتِهِ.
وَكَذَلِكَ ظَهَرَ أَخُوهُ شِهَابُ الدِّينِ، وَسَافَرَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ غَرَلُو وَسَيْفُ الدِّينِ
جَاغَانَ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ يُعْلِمَانِ السُّلْطَانَ بِوُقُوعِ التَّخْلِيفِ عَلَى مَا رَسَمَ بِهِ،

(١) فِي م، ص: «الْحَصَن».

(٢ - ٢) فِي ص: «مَمْلَكَةٌ».

(٣) فِي عَقْدِ الْجَمَانِ: «الشَّهَابِيُّ».

وجاء كتاب السلطان أنه جلس على الشَّريِّ يومَ الجمعةِ عاشَرَ صفرٍ، وشقَّ القاهرةَ في سادسَ عشره في أُبْهةِ المُلكِ وعليه الخِلعةُ الخَلِيفِيَّةُ، [١١٦/١٠] والأمرءُ بينَ يديه مُشاةً، وأنه قد استناب بالديارِ المصريَّةِ الأميرَ شمس^(١) الدينِ قراستُقَرَّ المنصوريَّ، وخطبَ للمنصورِ لاجينَ بدمشقَ أولَ يومٍ من ربيعِ الأولِ، وحضَرَ المَقصورةَ القضاةَ وشمسُ الدينِ الأعسرُ وكُجُكُن، وأسندَمر^(٢) وجماعةٌ من أمراءِ دمشق، وتوجَّهَ القاضي إمامُ الدينِ القزوينيُّ وحُسامُ الدينِ الحنفِيَّ وجمالُ الدينِ المالكيُّ إلى الديارِ المصريَّةِ مَطْلُوبينَ، وقَدِمَ الأميرُ حُسامُ الدينِ أستاذُدارِ السلطانِ، وسيفُ الدينِ جاغانُ مِن جِهَةِ السلطانِ، فحلَّفَ الأمرءُ ثانيةً، ودخلوا على العادلِ إلى القلعةِ، ومعهم القاضي بدرُ الدينِ ابنُ جماعةٍ وكُجُكُن، فحلَّفوه أيمانًا مُؤكَّدةً بعدَ ما طال بينَهم الكلامُ بالثُرَكِيِّ، وذكرَ في حَلِيفِهِ أَنَّهُ راضٍ بما يُعِيْنُهُ لَهُ مِنَ البُلدانِ أَى بَلَدٍ كانَ، فوَقَعَ التَّغْيِينُ بعدَ اليمينِ على قلعةٍ صَرَحَ خَدَ، وجاءتِ المراسيمُ بالوزارةِ لَتَقِيَّ الدينِ تَوْبةً، وعزَّلَ شهابُ الدينِ الحنفِيَّ، وبالحِشْبَةِ لأَمِينِ الدينِ يوسُفَ الأَرَمَنِيَّ الرومِيَّ صاحبَ شمسِ الدينِ الأيْكِيَّ، عوضًا عن زينِ الدينِ الحنفِيَّ، ^(٣)أَخِي شهابِ الدينِ الَّذِي كانَ وزيرًا^(٤) ودخلَ الأميرُ سيفُ الدينِ قُبُجقُ المنصوريُّ على نيايةِ الشَّامِ إلى دمشقَ بُكْرَةَ السَّبْتِ السادسَ عشرَ مِن ربيعِ الأولِ^(٥)، ونزَلَ دارَ السَّعادةِ عوضًا عن غرلو العادلِيَّ، وقد خرَجَ الجيشُ بِكمالِهِ لَتَلْقِيهِ، وحضَرَ يومَ الجمعةِ إلى المَقصورةِ، فصلَّى بها، وقُرِئَ بعدَ الجمعةِ

(١) في الأصل، م: «سيف».

(٢) في م، ص: «استدمر»، وفي عقد الجمان: «أزدمر»، وانظر النجوم الزاهرة ٦٢/٨.

(٣ - ٣) زيادة من: ص.

(٤) في ص: «الآخر».

كتاب السلطان بإبطال الضمانات من الأوقاف والأموال بغير رضا أصحابها ،
قرأه القاضي محيي الدين بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء ، ونودي في البلد :
من له مظلمة فليأت يوم الثلاثاء إلى دار العدل . وخلع على الأمراء والمقدمين
وأرباب المناصب من القضاة والكتبة وغيرهم ، وخلع على ابن جماعة خلعتين ؛
واحدة للقضاء والأخرى للخطابة .

ولما كان في شهر جمادى الآخرة وصل البريد فأخبر بتولية القاضي إمام
الدين القزويني قضاء القضاة بالشام عوضا عن بدر الدين بن جماعة ، وإبقاء ابن
جماعة على الخطابة ، وأضيف إليه تدريس القيمرية التي كانت بيد إمام الدين ،
وجاء كتاب السلطان بذلك ، وفيه احترام وإكرام له ، فدرس بالقيصرية يوم
الخميس ثاني رجب ، ودخل إمام الدين إلى دمشق عقيب صلاة الظهر يوم
الأربعاء الثامن من رجب ، فجلس بالعدلية ، وحكم بين الخصوم وامتدحه
الشعراء بقصائد ، منها قصيدة لبعضهم ^(١) يقول في أولها :

تبدلت الأيام من عشرها يسرا فأضحى ثغور الشام تفتّر بالبشرى

وكان حال دخوله عليه خلعة السلطان ، ومعه القاضي جمال الدين الزواوي
قاضي قضاة المالكية وعليه خلعة أيضا ، وقد شكر سيرة إمام الدين في السفر ،
وذكر من أحسن أخلاقه ورياضته ما هو حسن جميل ، ودرس بالعدلية بكرة
الأربعاء منتصف رجب ، وأشهد عليه بعد الدرس بتولية أخيه جلال الدين نيابة

(١) يعنى كمال الدين بن الزمكاني . انظر نهاية الأرب ٣١/٣٢٣ ، ٣٢٤ .

الحكم، وجلس في الإيوان^(١) الصغير وحكم، وألبسه أخوه خلعة وجاء الناس يُهنئونه، وقُرئ تَقْلِيدُهُ يومَ الجمعة بالشُّبَّاك الكَمَالِي بعد الصلاة بحضرة نائب السلطنة وبقية القضاة، قرأه شرف الدين الفزاري.

وفي شعبان وصل الخبر بأن شمس الدين الأعسر تولى بالديار المصرية شدَّ الدواوين والوزارة، وبأشر المنصيين جميعاً، وبأشر نظر الدواوين بدمشق فخر الدين بن الشيرجى عوضاً عن^(٢) نجم^(٣) الدين بن صصرى، ثم غزل بعد قليل بشهر أو أقل بأمين الدين^(٤) بن هلال، وأعيدت الشامية البرّانية إلى الشيخ زين الدين الفارقي مع الناصرية بسبب غيبة كمال الدين بن الشريشي بالقاهرة [١٠/ ١١٦ظ^(٥) ودرس فيها في شهر رمضان يوم اثنين بعد العصر^(٦).

وفي الرابع عشر من ذى القعدة مُسِكَ الأمير شمس الدين قَرَأْتُقُر المنصوري نائب الديار المصرية للاجيين هو وجماعة من الأمراء معه، واختيط على خواصليهم وأموالهم بمصر والشام، وولّى السلطان نيابة مصر الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي، وهؤلاء الأمراء الذين مسكهم هم الذين كانوا قد أعانوه وبأيعوه على العادل كَتَبْنَا، وقدم الشيخ كمال الدين بن الشريشي من الديار المصرية ومعه تَوَقُّع بتدريس الناصرية عوضاً عن الشامية البرّانية^(٧) ودرس فيها يوم السبت يوم عرفة^(٨)، وأمسيك الأمير شمس الدين سُتُقَر الأعسر وزير مصر وشاد الدواوين يوم السبت الثالث والعشرين من ذى الحجة، واختيط على أمواله وخواصليه بمصر والشام أيضاً، ونُودِيَ بمصر في ذى الحجة أن لا يَزَكَب أحدٌ من أهل الدِّمَّة فرساً

(١) في م: «الديوان».

(٢ - ٣) في ص: «أمين الدين».

(٣) في الأصل، م: «زين»، وفي ص: «أمين». والمثبت من النجوم الزاهرة ١٢٣/٨، والدارس ٣٦٥/١.

(٤ - ٥) زيادة من: ص.

ولا بغلاً، ومَنْ وُجِدَ منهم راکباً ذلك أُخِذَ منه .

وفیها مَلَكُ الیَمَنَ السلطانُ المَلِكُ المؤیدُ هِزْبُ الدینِ داوُدُ بنُ المَلِكِ المظفَرِ
المتقدِّمِ ذِکْرُه فی التی قبلها .

ومَنْ تُوفِّيَ فیها مِنَ الأعیانِ :

قاضی قضاةِ الحنابلةِ بمصرَ عزُّ الدینِ عمرُ بنُ عبدِ اللّهِ بنِ "عمر بن"
عَوِضِ المَقْدَسِی الحنبلی^(١)، سَمِعَ الحدیثَ، وبرعَ فی المذهبِ، وحکمَ بالديارِ
المصرية، وكان مَشْكُورًا فی سیرتِه وحُکْمِه، تُوفِّيَ فی صفرٍ، ودُفِنَ بالمَقْطَمِ،
وتولَّى بعده شرفُ الدینِ عبدُ الغنی بنُ یحیی بنِ محمد بنِ عبدِ اللّهِ بنِ نصرِ
الحرَّانی بدیارِ مصرَ .

الشیخُ الإمامُ الحافظُ القُدوةُ، عَفِيفُ الدینِ أبو محمدِ عبدُ السلامِ بنُ
محمد بنِ مَزْرُوع بنِ أحمدَ بنِ عَزَّازِ المصری الحنبلی^(٢)، تُوفِّيَ بالمدينةِ النبویةِ فی
أواخرِ صفرٍ، وُلِدَ سنةَ خمسٍ وعشرينِ وسَتمائةَ، وسمعَ^(٣) الكثيرَ، وجاورَ
بالمدينةِ النبویةِ خمسینَ سنةً، وحجَّ فیها أربعینَ حَجةً مُتَوَالِیةً، وصُلِّيَ علیه بدمشقَ
صلاةَ الغائبِ، رَحِمَهُ اللّهُ .

الشیخُ شَيْثُ^(٥) بنُ الشیخِ عَلِی الحَرِیرِی، تُوفِّيَ بقریةِ بُسْرَ من حَوْرانَ یومَ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) ذیل طبقات الحنابلة ٢/٣٣٥، والسلوك ١/٨٣٠ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/٣٦٩،
والدلیل الشافی ١/٤٩٨، والتجوم الزاهرة ٨/١١١ .

(٣) تذکرة النبیة ١/١٩٨، والذیل علی طبقات الحنابلة ٢/٣٣٤، والسلوك ١/٨٣١ (القسم الثالث)،
وعقد الجمان ٣/٣٧٣، وشذرات الذهب ٥/٤٣٥ .

(٤) فی ص : « صنف »، وبعده فی م : « الحدیث » .

(٥) فی الأصل : « سبت »، وفی ص : « شنبث » . ولم نقف له علی ترجمة فیما بین أیدینا من مصادر .

الجمعة ثالثَ عشرَ ربيعِ الآخِرِ ، وتوجَّهَ أخوه حسنٌ والفُقراءُ مِن دمشقَ إلى هناك لتغزية أخيهم حسنِ الأكبرِ فيه .

الشيخُ الصالحُ المقرئُ جمالُ الدينِ عبدُ الواحدِ بنُ كثيرٍ بنِ ^(١) ضرغامِ المِصرِيِّ ، ثم الدمشقيُّ ، نقيبُ الشُّبُعِ الكبيرِ والغزاليَّةِ ، كان قد قرأ على السخاويِّ وسمعَ الحديثَ ، توفى في أواخرِ رجبٍ وصُلِّيَ عليه بالجامعِ الأمويِّ ، ودُفِنَ بالقربِ مِن قُبَّةِ الشيخِ رسلانَ .

واقفُ السامريَّةِ الصُّدُرُ الكبيرُ سيفُ الدينِ ، أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ بنِ جعفرِ البُغدادِيِّ السامريِّ ^(٢) ، واقفُ السامريَّةِ التي إلى جانبِ الكَرْوَسِيَّةِ بدمشقَ ، وكانت داره التي يَسْكُنُ بها ، ودُفِنَ بها ، ووقفها دارُ حديثٍ وخائفاه ، وكان قد انتقلَ إلى دمشقَ ، وأقام بها بهذه الدارِ مدةً ، وكانت قديمًا تُعرَفُ بدارِ ابنِ قوامٍ ، بناها مِن حجارةٍ مَنْحوتةٍ كُلِّها ، وكان السامريُّ كثيرَ الأموالِ ، حسنَ الأخلاقِ ، مُعَظَّمًا عندَ الدولةِ ، جميلَ المُعاشرةِ ، له أشعارٌ رائقةٌ ومُبْتَكِرَاتٌ فائقةٌ ، تُوفِّيَ يومَ الاثنينِ ثامنَ عَشَرَ شعبانَ ^(٣) . وقد كان يبغدادَ له حُظوةٌ عندَ الوزيرِ ابنِ العَلْقَمِيِّ ، وامْتَدَحَ المُشْتَعَصِمَ ، وخلَعَ عليه خِلعةً سوداءَ سَنِيَّةَ ، ثم قَدِمَ دمشقَ في أيامِ الناصرِ صاحبِ حلبَ ، فحظيَ عنده أيضًا ، فسعى فيه أهلُ الدولةِ ، فصنَّفَ فيهم أَرْجوزةً فَتَحَ عليهم بسببِها بابًا فصادَهم الملكُ بعشرين ألفَ دينارٍ ، فعظَّموه جدًّا ، وتوسَّلوا به [١١٧/١٠] إلى أغراضِهِم ، وله قصيدةٌ في مدحِ النبيِّ ﷺ ، وقد كَتَبَ عنه الحافظُ الدُّمياطِيُّ شيئًا مِن شعرِهِ .

(١) سقط من : ص . وانظر ترجمته في : عقد الجمان ٣/ ٣٦٩ .

(٢) نهاية الأرب ٣١/ ٣٢٧ ، والوفاء بالوفيات ٨/ ٦٦ ، وفوات الوفيات ١/ ١٣٤ ، وتذكرة النبيه ١/ ١٩٩ ، وعقد الجمان ٣/ ٣٧٠ ، والمنهل الصافي ٢/ ١٤٨ .

(٣) بعده في ص : « بداره وصلى عليه بالجامع الأموي ثم أعيد إلى داره فدفن بها رحمه تعالى » .

واقف النقيسية التي بالرصيف : الرئيس نفيس الدين أبو الفداء إسماعيل
ابن محمد بن عبد الواحد بن إسماعيل بن سلامة^(١) بن علي بن صدقة
الحراني، كان أحد^(٢) عدول القسمة^(٣) بدمشق، وولى نظر الأيتام في وقت،
وكان ذا ثروة من المال، وُلد سنة ثمان وعشرين وستمائة، وسمع الحديث،
ووقف داره دار حديث، تُؤفى يوم السبت بعد الظهر الرابع من ذى القعدة،
ودُفن بسفح قاسيون بكرة يوم الأحد بعد ما صُلّي عليه بالأموى.

الشيخ أبو الحسن المعروف بالشاروب^(٤) الدمشقي، يُلقب بنجم الدين،
ترجمه الحريري فاطن، وذكر له كرامات وأشياء من علم الحروف وغيرها.
والله أعلم بحاله.

وفيها^(٥) قتل قازان الأمير نوروز الذي كان إسلامه على يديه، كان نوروز
هذا هو الذي استسلمه، ودعاه للإسلام، فأسلم وأسلم معه أكثر التتر، فإن التتر
شوشوا خاطر قازان عليه، واستمالوه منه وعنه، فلم يزل به حتى قتله وقتل جميع
من يُنسب إليه، وكان نوروز هذا من خيار أمراء التتر عند قازان، وكان ذا عبادة
وصديق في إسلامه وأذكاره وتطوعاته، وقصده الجيد، رحمه الله وعفا عنه،
ولقد أسلم على يديه منهم خلق كثير لا يعلمهم إلا الله، واتخذوا الشبح
والهياكل، وحضروا الجمع والجماعات، وقرءوا القرآن. والله أعلم.

(١) في م: «سلام»، وفي ص: «سلامش». وانظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١٢/٩، وعقد
الجمان ٣٧٢/٣، والمنهل الصافي ٤٢٨/٢، والدارس ١١٤/١، وشذرات الذهب ٤٣٥/٥.

(٢ - ٣) في الأصل، م: «شهود القيمة».

(٣) في الأصل، م: «الشاروب»، وفي ص: «الشاروت». والمثبت من مصدر ترجمته: عقد الجمان ٣٨٠/٣.

(٤) انظر السلوك ٨٣٧/١، ٨٧٤ (القسم الثالث)، والنجوم الزاهرة ٧١/٨.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ وَسِتَّمِائَةٍ^(١)

اسْتَهَلَّتْ وَالْخَلِيفَةُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْعَبَّاسِيُّ ، وَسُلْطَانُ الْبِلَادِ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حَسَامُ الدِّينِ لِأَجِينِ السَّلْحَدَارِ الْمَنْصُورِيِّ ، وَنَائِبُهُ بِمَصْرَ مِنْكَوْتُمْرَ ، وَبَدَمَشَقَ سَيْفُ الدِّينِ قَبْجَقُ^(٢) ، وَقَاضِي الشَّافِعِيَّةِ إِمَامُ الدِّينِ الْقَزْوِينِيُّ ، وَقَاضِي الْحَنْفِيَّةِ حَسَامُ الدِّينِ الرَّازِيُّ ، ثُمَّ وَلِيَ ابْنُهُ جَلَالُ الدِّينِ مَكَانَهُ بِدَمَشَقَ فِي عَاشِرِ صَفَرٍ ، وَرَكِبَ بِالْخَلْعَةِ وَالطَّرْحَةِ ، وَهَنَاءُ النَّاسِ ، وَكُتِبَ فِي الْإِسْجَالِ قَاضِي الْقَضَا . وَقَاضِي الْمَالِكِيَّةِ جَمَالُ الدِّينِ الزَّوَاوِيُّ ، وَقَاضِي الْحَنَابِلَةِ تَقِيُّ الدِّينِ سَلِيمَانُ بْنُ حَمَزَةَ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي عَمَرَ ، وَخَطِيبُ الْبَلَدِ بَدْرُ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ ، وَطُلِبَ قَاضِي الْقَضَا حَسَامُ الدِّينِ الرَّازِيُّ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، فَأَقَامَ عِنْدَ السُّلْطَانِ لِأَجِينِ ، وَوَلَّاهُ قَضَاءَ الْقَضَا الْحَنْفِيَّةِ بِمَصْرَ عَوْضًا عَنْ شَمْسِ الدِّينِ^(٣) الشَّرُوجِيِّ ، وَاسْتَقَرَّ وَلَدُهُ جَلَالُ الدِّينِ بِالْقَضَا فِي الشَّامِ بِدَمَشَقَ قَاضِي قُضَاةِ الْحَنْفِيَّةِ ، وَدَرَسَ بِمَدْرَسَتِي أَبِيهِ الْخَاتُونِيَّةِ وَالْمُقَدَّمِيَّةِ ، وَتَرَكَ مَدْرَسَةَ الْقَضَايِينِ وَالشُّبْلِيَّةِ .

وَجَاءَ الْخَبْرُ عَلَى يَدِي الْبَرِيدِ بِعَافِيَةِ السُّلْطَانِ مِنَ الْوَقْعَةِ الَّتِي كَانَ وَقَعَهَا ، فَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ وَزُيِّنَتْ الْبَلَدُ ، فَإِنَّهُ سَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ وَهُوَ يَلْعَبُ بِالْكُرَةِ ، فَكَانَ كَمَا

(١) نهاية الأرب ٣٢٩/٣١ - ٣٥٠ ، وكنز الدرر ٣٦٩/٨ - ٣٧٢ ، وتذكرة النبيه ٢٠٢/١ - ٢١١ ، وانظر عقد الجمان ٣٨٣/٣ - ٤٢٠ .

(٢) في ص : « قفجاق » .

(٣) بعده في ص : « بن » .

قال الشاعر^(١) :

حَوَيْتَ بَطْشًا وَإِحْسَانًا وَمَعْرِفَةً وَلَيْسَ يَحْمِلُ هَذَا كُلَّهُ الْفَرَسُ
وَجَاءَ التَّقْلِيدُ وَالْخِلْعَةُ لِنَائِبِ السُّلْطَانَةِ ، فَقَرِئَ التَّقْلِيدُ ، وَبِاسِ الْعَتَبَةِ ، وَكَانَ
يَوْمًا مَشْهُودًا .

وفى ربيع الأول^(٢) دُرُسُ بِالْجَوَازِيَةِ عَزُّ الدِّينِ بْنِ قَاضِي الْقَضَاةِ تَقَى الدِّينِ
سَلِيمَانَ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ إِمَامُ الدِّينِ الشَّافِعِيُّ وَأَخُوهُ جَلَالُ الدِّينِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ
الْفُضَلَاءِ ، وَبَعْدَ التَّدْرِيسِ جَلَسَ وَحَكَمَ عَنْ أَبِيهِ بِإِذْنِهِ لَهُ فِي ذَلِكَ .

وفى ربيع الأول^(٣) غَضِبَ قَاضِي الْقَضَاةِ تَقَى الدِّينِ بْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ ،
وَتَرَكَ الْحَكَمَ بِمَصْرَ أَيْمًا ، ثُمَّ اسْتَوْضَى وَعَادَ ، وَشَرِطَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَسْتَتِيبَ وَلَدَهُ
الْحَبِيبَ .

وفى يومِ الْجُمُعَةِ عَاشِرِ رَبِيعِ الْآخِرِ^(٤) أُقِيمَتِ الْجُمُعَةُ بِالمَدْرَسَةِ الْمُعْظَمِيَّةِ ،
وَخَطَبَ فِيهَا مَدْرُسُهَا الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ بْنِ الْعِزِّ الْحَنْفِيُّ . وَاسْتَهْرَ فِي هَذَا الْحِينِ
الْقَبْضُ عَلَى بَدْرِ الدِّينِ يَتْسَرَى بِالدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَاحْتِيطَ عَلَى أَمْوَالِهِ بِدِيَارِ
مَصْرَ^(٥) . وَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ بِجَزِيدَةِ صُحْبَةٍ عَلَّمَ الدِّينِ الدَّوَادَارِيَّ إِلَى تَلِّ حَمْدُونَ ،
فَقُتِلَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَتَّهَ ، وَجَاءَ الْخَبَرُ بِذَلِكَ إِلَى دِمَشْقَ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ

(١) كنز الدرر ٨ / ٣٧١ .

(٢) انظر الدارس ٢ / ٣٧ .

(٣) السلوك ١ / ٨٤٨ ، ٨٤٩ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٣ / ٣٨٤ - ٣٨٦ .

(٤) نهاية الأرب ٣١ / ٣٣٦ ، والسلوك ١ / ٨٣٦ (القسم الثالث) ، والدارس ١ / ٥٨٦ .

(٥) بعده فى ص : « والشام » .

رمضان [١٧/١٠١٧]، وَضُرِبَتْ^(١) به الخَلِيلِيَّةُ، وَأُذِّنَ بها الظُّهْرُ، وَكَانَ أَخْذُهَا يَوْمَ
الأربعاءِ سابعَ رمضانَ، ثُمَّ فُتِحَتْ مَرْعَشُ بَعْدَهَا، فَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ، ثُمَّ انْتَقَلَ
الجيشُ إلى قلعةِ حموصَ^(٢)، فَأُصِيبَ جماعةٌ مِنَ الجيشِ، مِنْهُمُ الأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ
سَنْجَرُ طُقُصْبَا، أَصَابَهُ زَيَّازٌ^(٣) فِي فِخْذِهِ، وَأَصَابَ الأَمِيرَ عَلَمُ الدِّينِ الدَّوَادَارِيُّ
حَجَرٌ فِي رِجْلِهِ.

وَمَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ سَابِعَ^(٤) عَشَرَ شَوَّالٍ عَمِلَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ
مِيعَادًا فِي الْجِهَادِ، وَحَرَّضَ فِيهِ، بِالْغَى فِي أَجُورِ^(٥) الْمُجَاهِدِينَ، وَكَانَ وَقْتُاً مَشْهُودًا
وَمِيعَادًا جَلِيلًا.

وَفِي هَذَا الشَّهْرِ^(٦) عَادَ الْمَلِكُ الْمَسْعُودُ نَجْمُ الدِّينِ خَضِرُ بْنُ الظَّاهِرِ، مِنْ بِلَادِ
الأَشْكَرِيِّ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ بَعْدَ أَنْ مَكَثَ هُنَاكَ مِنْ زَمَنِ الْأَشْرَفِ بْنِ الْمَنْصُورِ،
وَتَلَقَّاهُ السُّلْطَانُ بِالْمُوكَبِ، وَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ، وَحَجَّ الأَمِيرُ خَضِرُ بْنُ الظَّاهِرِ فِي
هَذِهِ السَّنَةِ مَعَ الْمَصْرِيِّينَ، وَكَانَ فِيهِمُ الْخَلِيفَةُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ الْعَبَّاسِيُّ.

وَفِي شَهْرِ شَوَّالٍ جَلَسَ الْمُدْرَسُونَ بِالْمَدْرَسَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا نَائِبُ السُّلْطَانَةِ بِمِصْرَ،
وَهِيَ الْمَنْكُوتُمَرِيَّةُ دَاخِلَ بَابِ الْقَنْطَرَةِ.

(١) فِي م: «خربت».

(٢) فِي دَوْلِ الْإِسْلَامِ: «حَمِص». وَانْظُرْ نَهَايَةَ الْأَرْبِ ٣١/٣٤٠، وَالسُّلُوكُ ١/٨٤٠ (الْقِسْمُ
الثَّالِثُ).

(٣) الزَّيَّارُ أَوْ الزَّيَّارَةُ: جَمْعُهُ زَيَارَاتٌ، آلَةُ حُرِّيَّةٍ كَالْقَوْسِ الَّتِي يَرْمِي بِهَا الْبَنْدُوقُ. السُّلُوكُ ١/٥٣٦
(الْقِسْمُ الثَّانِي) حَاشِيَةٌ (٢) نَقْلًا عَنْ مَعْجَمِ DOZY. وَانْظُرْ كَشَافَ شَرْحِ أَهَمِّ الْمَصْطَلَحَاتِ الْوَارِدَةِ فِي
مَرَاجِعِ الْعَصْرِ الْمَمَالِكِيِّ الْمُلْحَقِ بِكِتَابِ الْعَصْرِ الْمَمَالِكِيِّ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ.

(٤) فِي الْأَصْلِ، ص: «ثَامِن». وَانْظُرِ الذَّيْلَ عَلَى طَبَقَاتِ الْخَنَابِلَةِ ٢/٣٩٥، ٣٩٦.

(٥) فِي ص: «إِمْدَاد».

(٦) نَهَايَةَ الْأَرْبِ ٣١/٣٢٩، وَكَنْزُ الدَّرَرِ ٨/٣٧١، وَالسُّلُوكُ ١/٨٣١ (الْقِسْمُ الثَّالِثُ).

وفيه^(١) دَقَّتْ البَشَائِرُ لِأَجْلِ أَخَذِ قَلْعَتَيْ حُمَيْصَ وَنُجَيْمَةَ مِنْ بِلَادِ سَيْسَ .
 وفيها وَصَلَتْ الجَرِيدَةُ^(٢) مِنْ بِلَادِ مَصَرَ قَاصِدِينَ بِلَادَ سَيْسَ مَدَدًا
 لِأَصْحَابِهِمْ ، وَهُمْ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ مُقَاتِلٍ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .
 وَفِي مُنْتَصَفِ ذِي الْحِجَّةِ^(٣) أُمْسِكَ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَيْتُكَ الْحَمَوِيُّ الَّذِي كَانَ
 نَائِبَ الشَّامِ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ .
 وَفِيهَا قَلَّتِ الْمِيَاهُ بِدَمَشَقَ جَدًّا حَتَّى بَقِيَ ثَوْرًا فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ لَا يَصِلُ إِلَى رُكْبَةِ
 الْإِنْسَانِ ، وَأَمَّا بَرَدَى فَإِنَّهُ لَمْ يَتَقَ فِيهِ مُسْكَةُ مَاءٍ ، وَلَا يَصِلُ إِلَى جَسَرِ جَسْرَيْنَ^(٤) ،
 وَغَلَا سَعْرُ الثَّلَجِ بِالْبَلَدِ ، وَأَمَّا نَيْلُ مَصَرَ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَايَةِ الزَّيَادَةِ وَالكَثْرَةِ .
 وَمَنْ تُوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

الشيخُ حَسَنُ بْنُ الشَّيْخِ عَلِيِّ الْحَرِيرِيِّ^(٥) ، تُوَفِّي فِي ربيعِ الْآخِرِ^(٦) بَقْرِيَّةَ
 بُشَرَ^(٧) ، وَكَانَ أَكْبَرَ الطَّائِفَةِ ، وَلِلنَّاسِ إِلَيْهِ مِثْلُ الْحُسْنِ أَخْلَاقِهِ وَجَوْدَةِ مُعَاشَرَتِهِ ،
 وَوُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَسِتَّمِائَةَ .

الصدرُ الْكَبِيرُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي الرَّجَاءِ بْنِ
 أَبِي الزُّهْرِ الشُّوْخِيِّ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّلْعُوسِ^(٨) ، أَخُو الْوَزِيرِ شَمْسِ الدِّينِ ، قَرَأَ

(١) دول الإسلام ٢/٢٠٠ .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، ص : « التَّجْرِيدَةُ » ، وَانْظُرْ نَهَايَةَ الْأَرْبِ ٣١/٣٢٧ ، وَكُنْزُ الدَّرَرِ ٨/٣٦٩ ، وَدُولُ
 الْإِسْلَامِ ٢/٢٠٠ .

(٣) دول الإسلام ٢/٢٠٠ .

(٤) جَسْرَيْنَ : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى غُوطَةِ دَمَشَقَ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢/٨٢ .

(٥) الْوَاقِي بِالْوَفَايَاتِ ١٢/١٦٢ ، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١/٢٠٧ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ ٣/٢١٥ ، وَالنَّجْمُ الزَّاهِرَةُ ٨/١١٣ .

(٦) فِي الْأَصْلِ ، م : « الْأَوَّلُ » .

(٧) بَسْرَ : قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ حُورَانَ مِنْ أَرَاضِي دَمَشَقَ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١/٦٢١ .

(٨) الْوَاقِي بِالْوَفَايَاتِ ٧/١٧٩ ، وَالْمَنْهَلُ الصَّافِي ١/٣٨٧ ، وَالدَّبْلِيلُ الشَّافِي ١/٥٩ ، وَالدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ١/٢١٢ .

الحديث، وسمع الكثير، وكان من خيار عباد الله، كثير الصدقة والبر، تُوفّي بداره في جمادى الأولى، وصُلّي عليه بالجامع، ودُفن بباب الصغير، وعُمِلَ عزّاه بمسجد ابن هشام، وقد ولى في وقت نظَر الجامع، وشُكرت سيرته، وحصل له وجاهة "عظيمة عريضة" أيام وزارة أخيه، ثم عاد إلى ما كان عليه قبل ذلك حتى تُوفّي، رحمه الله تعالى، وشهد جنازته خلق كثير من الناس.

الشيخ شمس الدين الأيكي: محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي^(٢)، المعروف بالأيكي، أحد الفضلاء الحلالين للمشكلات، المفسرين^(٣) المغضلات، لاسيما في علم الأصولين و^(٤) المنطق وعلم الأوائل، باشر في وقت مشيخة الشيوخ بمصر، وأقام مدرّس الغزالية قبل ذلك^(٥)، تُوفّي بقرية المزّة يوم جمعة، ودُفن يوم السبت "بعدهما صُلّي عليه بجامع المزّة"، ومشى الناس في جنازته، منهم قاضى القضاة إمام الدين القزويني، [١١٨/١٠] وذلك في الرابع من رمضان، ودُفن بمقابر الصوفية إلى جانب الشيخ شملة، وعُمِلَ عزّاه بخانقاه السُمَيْسَاطِيَّة، وحضر جنازته خلق كثير، وكان مُعظّمًا في نفوس كثير من العلماء وغيرهم.

الصدر ابن عُقبة: إبراهيم بن أحمد بن عُقبة بن هبة الله بن عطاء البضراوي

(١ - ١) زيادة من: م، ص.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١١٤/٨، وطبقات الشافعية للإسنوي ١٥٨/١، وتذكرة النبيه ١/

٢٠٩، والسلوك ٨٥١/١ (القسم الثالث)، وحسن المحاضرة ٥٤٣/١، وشذرات الذهب ٤٣٩/٥.

(٣) في ص: «وميسرين»، وفي م: «الميسرين».

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) بعده في ص: «وبعده».

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، م.

الحنفي^(١)، دَرَسَ وأعاد، وولى فى وقتِ قَضَاءِ حلب، ثم سافرَ قبلَ وفاتِهِ إلى مصرَ، فجاءَ بِتَوْقيعٍ فيه قَضَاءُ حلب، فلما اجتازَ بدمشقَ تُوفِّي بها فى رمضانَ من هذه السنَةِ، وله سبعٌ وثمانون سنَةً.

«يَشِيبُ الْمَرْءُ وَيَشِيبُ مَعَهُ خَصْلَتَانِ ؛ الْحِرْصُ ، وَطُولُ الْأَمَلِ»^(٢).

الشَّهَابُ الْعَابِرُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْمُنْعِمِ بْنِ نِعْمَةَ الْمُقَدَّسِيِّ الْحَنْبَلِيِّ^(٣)، الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ عَابِرُ الرُّؤْيَا، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَرَوَى الْحَدِيثَ، وَكَانَ عَجَبًا فى تَفْسِيرِ الْمَنَامَاتِ، وَلَهُ فىهِ الْيَدُ الطُّوْلَى، وَلَهُ تَصْنِيفٌ فىهِ، لَيْسَ كَالَّذِى يُؤَثَّرُ عَنْهُ مِنَ الْفَرَائِبِ وَالْعَجَائِبِ، وَوُلِدَ سنَةً ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسِتَّمِائَةٍ، وَتُوفِّيَ فى ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السنَةِ، وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ، وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ حَافِلَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : الوافى بالوفيات ٣١١ / ٥ ، والجواهر المضية ٦٧ / ١ ، وتذكرة النبيه ٢٠٥ / ١ ، وعقد الجمان ٤١٥ / ٣ ، والمنهل الصافى ٣١ / ١ ، وشذرات الذهب ٤٣٨ / ٥ .
(٢) ورد بلفظ « يهرم ابن آدم ... » فى صحيح مسلم (١٠٤٧) ، والترمذى (٢٣٣٩) ، وابن ماجه (٤٢٣٤) كلهم من حديث أنس ، وانظر كشف كشف الحفا (٣٢٥٤) .
(٣) الوافى بالوفيات ٤٨ / ٧ ، وتذكرة النبيه ٢١٠ / ١ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٣٣٦ / ٢ ، والسلوك ٨٥٠ / ١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ٤١٦ / ٣ ، وشذرات الذهب ٤٣٧ / ٥ .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمائة^(١)

^(٢) استهلت والخليفة الحاكم العباسي، وسلطان البلاد المنصور لاجين، ونائبه بمصر مملوكه سيف الدين منكوتر، وقاضي الشافعية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والحنفي^(٣) محسام الدين الرازي، والمالك والحنبلي كما تقدم، ونائب الشام^(٤) سيف الدين قبيق المنصوري، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها، والوزير تقي الدين توبة، والخطيب بدر الدين بن جماعة^(٥).

ولما كان في أثناء الحرم رجعت طائفة من الجيش من بلاد سيس بسبب المرض الذي أصاب بعضهم، فجاء كتاب السلطان بالعتب الأكيد والوعيد الشديد لهم، وأن الجيش يخرج جميعه ضجة نائب السلطنة قبيق إلى هناك، ونصب مشايق لمن تأخر بغدير أو غيره، فخرج نائب السلطنة الأمير سيف الدين قبيق^(٦)، وضعبته الجيوش، وخرج أهل البلد للفرجة على الأطلاب على ما جرت به العادة، فبرز نائب السلطنة في أبهة عظيمة وتجميل هائل، فدعت له العامة، وكانوا يجيئون، واشتمر الجيش سائر قاصدين بلاد سيس، فلما وصلوا إلى حمص بلغ الأمير سيف الدين قبيق وجماعة من الأمراء معه أن السلطان متقلب الخاطر عليهم بسبب سعي منكوتر فيهم، وعلموا أن السلطان لا يخالفه لمحبيه

(١) نهاية الأرب ٣١/٣٨١ - ٣٨١، وكنز الدرر ٨/٣٠٠ - ٣٠٥، وتذكرة النبيه ١/٢١٢ - ٢١٩ وانظر العبر ٥/٣٨٦.

(٢) (٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) (٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) (٤) في ص: « قفجق ».

له ، فَاتَّفَقَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عَلَى الدَّخُولِ إِلَى بِلَادِ التُّنَّاجِ وَالنَّجَاجَةِ بِأَنْفُسِهِمْ ، فَسَاقُوا مِنْ حَمَصَ فَيَمَنْ أَطَاعَهُمْ ، وَهُمْ قَبَّحُ وَبَزْلَى ^(١) وَبَكَتُمُ السَّلْخَدَارُ الْبَكَّى ^(٢) ، وَاسْتَمَرُّوا ذَاهِبِينَ ، فَرَجَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْجَيْشِ إِلَى دِمَشْقَ ، وَتَخَبَّطَ الْأُمُورُ ، وَتَأَسَّفَتِ الْعَوَامُّ عَلَى قَبَّحُ لِحْسَنِ سِيرَتِهِ فِيهِمْ ، وَذَلِكَ فِي رَيْعِ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

ذِكْرُ مَقْتَلِ الْمَنْصُورِ لَاجِينَ وَعَوْدِ

الْمَلِكِ إِلَى النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ

لَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ التَّاسِعِ عَشَرَ رَيْعِ الْآخِرِ وَصَلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبَرِيدِيَّةِ ، وَأَخْبَرُوا بِمَقْتَلِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ لَاجِينَ وَنَائِبِهِ سَيْفِ الدِّينِ مَنكُوتَمُرَ ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ حَادِي عَشْرَهُ ، عَلَى يَدِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ كُوجِي الْأَشْرَفِيِّ وَمَنْ وَافَقَهُ ، وَذَلِكَ بِحُضُورِ الْقَاضِي حُسَامِ الدِّينِ الْحَنْفِيِّ وَهُوَ جَالِسٌ فِي خِدْمَتِهِ يَتَحَدَّثَانِ ، وَقِيلَ : كَانَا يَلْعَبَانِ بِالشُّطْرَنْجِ . فَلَمْ يَشْعُرَا إِلَّا وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِمَا ، فَبَادَرُوا إِلَى السُّلْطَانِ [١١٨ / ١٠ ظ] بِسُرْعَةٍ جَهْرَةً لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، فَقَتَلُوهُ وَقَتَلَ نَائِبَهُ صَبْرًا صَبِيحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَأُلْقِيَ عَلَى مَرْبَلَةٍ ، وَاتَّفَقَ الْأُمَرَاءُ عَلَى إِعَادَةِ ابْنِ أَسْتَاذِهِمُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، فَأَرْسَلُوا وَرَاءَهُ ، وَكَانَ بِالكَرْكِ ، وَنَادَوْا لَهُ بِالْقَاهِرَةِ ، وَخُطِبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ قَبْلَ قُدُومِهِ ، وَجَاءَتِ الْكُتُبُ إِلَى نَائِبِ الشَّامِ سَيْفِ الدِّينِ قَبَّحُ ، فَوَجَدُوهُ قَدْ فَرَّ خَوْفًا مِنْ غَائِلَةِ لَاجِينَ ، فَسَارَتِ الْبَرِيدِيَّةُ

(١) فِي ص : « بَرَلَا » .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، ص : « الْأَيْكِي » ، وَفِي م : « الْأَيْلَى » . وَالمثبت من مصادر ترجمته : الوافي بالوفيات

٣٥٢ / ٩ ، والمقفى الكبير ٢ / ٢٧٥ ، والمنهل الصافي ٣ / ٣٧ ، والنجوم الزاهرة ٨ / ٢٠٤ .

وراءه ، فلم يُذركوه إلا وقد لحق بالمعول عند رأس العين ، من أعمال ماريدين ،
وتفازط الحال ، ولا قوة إلا بالله .

وكان الذى شمر الغزَم وراءهم ، وساق ليُردهم الأمير سيف الدين بلبان ،
وقام بأعباء البلد نائب القلعة عَلم الدين أَرْجُوش والأمير سيف الدين جاغان ،
واختلطوا على كلِّ مَنْ كان له اختصاص بتلك الدولة ، فكان منهم جمال الدين
يوسف الرومى مُحْتَسِبُ البلد وناظر المارِشتان ، ثم أُطلق بعدَ مدة ، وأُعيد إلى
وظائفه ، واختيط أيضًا على سيف الدين جاغان وحسام الدين لاجين والى البر ،
وأُذخِلَ القلعة ، وقُتِلَ بمصرَ الأميران ^(١) سيف الدين طُغْجى - وكان قد ناب عن
الناصر أربعة أيام - وكُرِجى الذى تولى قتلَ لاجين ، فقتلًا وألقيا على المزابل ، وجعل
الناس من العامة وغيرهم يتأملون صورة طُغْجى ، وكان جميل الصورة جدًا ، ^(٢) ثم
بعدَ الدلال والمال والملك وارتهم هناك قبور ^(٣) ، فدفن السلطان لاجين ، وعند رجله
نائبه ومملوكه سيف الدين منكوثر ، ودفن الباقون فى مضاجعهم هنالك .

وجاءت البشائرُ بدُخُولِ الملك السلطان الناصر إلى مصرَ يومَ السبتِ رابع
جمادى الأولى ، وكان يومًا مشهودًا ، وضربت البشائرُ ، ودخل القضاةُ وأكابرُ
الدولة إلى القلعة ، وبُوع بحضرة عَلم الدين أَرْجُوش ، وخطب له على المنابر
بدمشق وغيرها بحضرة أكابر العلماء والقضاة والأمراء ، ثم جاء الخبرُ بأنه قد
ركب وشقَّ القاهرة ، وعليه خِلعةُ الخليفة ، والجيشُ معه مُشاة ^(٤) بين يديه ، وكان
يومًا مشهودًا ^(٥) ، وضربت البشائرُ أيضًا . وجاءت مراسيمُه ، فقرئت على الشدة ،

(١) فى م ، ص : « الأمير » .

(٢ - ٣) هذا كلام مأخوذ من قول الشاعر عدى بن زيد العبادى :

ثم بعد الفلاح والملك والإمّة وارتهم هناك القبور

والفلاح : البقاء . الإمّة : النعمة . أمالى ابن الشجرى ١٣٧/١ ، ١٥٥ .

(٣ - ٤) زيادة من : ص .

وفيهما الرِّفْقُ بالرعايا والأمرُ بالإحسانِ إليهم ، فدَعَوْا له ، وقَدِمَ الأميرُ جمالُ الدين آقوش الأفرَمُ نائبًا على دمشق ، فدخلها يومَ الأربعاءِ قبلَ العصرِ ثانى عشرين من جمادى الأولى ، فنَزَلَ بدارِ السَّعادةِ على العادةِ ، وفرِحَ الناسُ بِقُدومِهِ ، وأشْعَلُوا له الشُّموعَ ، وكذلك يومَ الجمعةِ أَشْعَلُوا له لما جاء إلى صلاةِ الجمعةِ بالمقصورة ، وبعدَ أيامٍ أُفْرِجَ عن جاغان ولاجین والى البرِّ مِنَ القلعةِ ، وعادا إلى ما كانا عليه ، واستَقَرَّ الأميرُ مُحسَّامُ الدينُ الأستادارُ أتابِكاَ للعساكرِ المِصرِيةِ ، والأميرُ سيفُ الدينِ سَلارُ نائبًا بمِصرَ ، وأُخْرِجَ الأَعسَرُ فى رمضانَ مِنَ الحبسِ ، وولى الوِزارَةَ بمِصرَ ، وأُخْرِجَ قَراسُتُقُرُ المنصوريُّ مِنَ الحبسِ أيضًا ، وأُعْطِيَ نيابةَ الصُّبَيْيَةِ ، ثم لما مات صاحبُ حماة الملكُ المظفَّرُ نُقِلَ قَراسُتُقُرُ إليها .

وكان قد وَقَعَ فى أواخرِ دولةِ لاجين بعدَ خُرُوجِ قَبْجَقٍ مِنَ البلدِ مِحنةً للشيخِ تَقِيَّ الدينِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ؛ قامَ عليه جماعةٌ مِنَ الفُقهاءِ ، وأرادوا إخضارَه إلى مجلسِ القاضى جلالِ الدينِ الحنفى ، فلم يَخْضُرْ ، فتَوَدَّى فى البلدِ فى العقيدةِ التى كان قد سألَه عنها [١١٩/١٠] أَهْلُ حِمَاةِ المُسَمَّاةِ « الحَمَوِيَّةِ » ، فانتَصَرَ له الأميرُ سيفُ الدينِ جاغان ، وأرْسَلَ يَطْلُبُ الدينَ قاموا عليه ^(١) ، فاخْتَفَى كثيرٌ منهم ، وضُرِبَ جماعةٌ مِّنْ نادَى على العقيدةِ ، فسَكَتَ الباقون ، فلما كان يومُ الجمعةِ عَمِلَ الشيخُ تَقِيَّ الدينِ الميعادَ بالجامعِ على عادَتِهِ ، وفسَّرَ فى قولهِ تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، ثم اجْتَمَعَ بالقاضى إمامُ الدينِ ^(٢) القَزوينى صَبِيحَةً يومِ السبتِ ، واجْتَمَعَ عنده جماعةٌ مِنَ الفُضلاءِ ، وبحثوا فى « الحَمَوِيَّةِ » وناقشوه

(١) فى م : « عنده » .

(٢ - ٢) زيادة من : ص .

فى أماكن منها ، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير ، ثم قام الشيخ تقي الدين ، وقد تمهّدت الأمور ، وسكنت الأحوال ، وكان القاضى إمام الدين معتقده حسن ومقصده صالح .

وفىها وقف علم الدين سنجر الدّوّادار رواقه داخل باب الفرج مدرسة ودار حديث ، وولى مشيخته الشيخ علاء الدين بن العطّار ، وحضر عنده القضاء والأعيان ، وعمل لهم ضيافة ، " وأفرج عن قراسنقر " .

وفى يوم السبت حادى عشر شوال فُتِح مشهد عثمان الذى جدّده ناصر الدين بن عبد السلام ناظر الجامع ، وأضاف إليه مقصورة الخدام من شماليه ، وجعل له إماماً راتباً ، وحاكياً به مشهد على بن الحسين زين العابدين .

وفى العشر الأول من ذى الحجة عاد القاضى حسام الدين الرازى الحنفى^(٢) إلى قضاء الشام ، وغزل عن قضاء مصر ، وغزل ولده عن قضاء الشام . وكثرت الأراجيف فى ذى الحجة بقصد التتار بلاد الشام ، وبالله المشتعان .

ومن توفى فيها من الأعيان :

الشيخ نظام الدين أحمد بن الشيخ جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السلام الحصري^(٣) الحنفى ، مدرس الثورية ، توفى ثامن المحرم ، ودُفن فى تاسيعه يوم الجمعة فى مقابر الصوفية ، كان مفتياً فاضلاً ، ناب فى الحكم فى وقت ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) فى النسخ : « الحصرى » . والمثبت من مصادر ترجمته : العبر ٣٨٧/٥ ، والوافى بالوفيات ١٦٥/٨ ، والجواهر المضية ١/٣٢٥ ، وعقد الجمان ٣/٤٧٣ ، والمنهل الصافى ٢/٢١٠ ، وشذرات الذهب ٥/٤٤١ .

ودرّس بالتَّوْرِيَّةَ بعدَ أبيه، ودرّس بعده بها الشيخُ شمسُ الدينِ بنُ الصِّدْرِ
سليمانَ^(١) في يومِ الأربعاءِ رابعَ عشرَ الحَرَمِ.

ابنُ التَّقِيْبِ المُفَسِّرُ، الشيخُ الإمامُ الزاهدُ جمالُ الدينِ^(٢) أبو عبدِ
الله^(٣) محمدُ بنُ سليمانَ بنِ الحَسَنِ بنِ الحَسَنِ البُلْخِيّ، ثم المقدسيُّ الحنفيُّ،
وُلِدَ في النصفِ مِن شعبانَ سنةَ إحدى عشرةَ وستمائةَ بالقدسِ، واشتغلَ
بالقاهرةَ، وأقامَ مدةً بالجامعِ الأزهرِ، ودرّسَ في بعضِ المدارسِ هناك، ثم انتقلَ
إلى القدسِ، فاستوطنه إلى أن مات في الحَرَمِ منها، وكان شيخًا فاضلاً في
التفسيرِ، وله فيه مُصَنَّفٌ حافلٌ كبيرٌ، جَمَعَ فيه خمسينَ مُصَنَّفًا مِنَ التَّفاسيرِ، وكان
الناسُ يَقْصِدُونَ زيارَتَه بالقدسِ الشريفِ، وَيَتَبَرَّكُونَ بِهِ.

الشيخُ أبو يعقوبَ المَغْرِبِيُّ المَقِيمُ بالقدسِ^(٤)، كان الناسُ يَجْتَمِعُونَ بِهِ وهو
مُنْقَطِعٌ بالمسجدِ الأقصى، وكان الشيخُ تَقِيّ الدينِ ابنُ تَيْمِيَّةَ يقولُ فيه: هو على
طريقةِ ابنِ عَرَبِيٍّ وابنِ سَبْعِينَ. تُؤْفَى في الحَرَمِ مِنْ هذهِ السَّنةِ.

التَّقِيّ تَوْبَةُ الوَزِيرِ^(٥)،^(٦) الصَّاحِبُ الكَبِيرُ الصِّدْرُ الوَزِيرُ^(٧) تَقِيّ الدينِ تَوْبَةُ بنُ
عليّ بنِ مُهاجِرِ بنِ شُجاعِ بنِ تَوْبَةَ الرَّبْعِيِّ التُّكْرَيْتِيِّ، وُلِدَ سنةَ عشرينَ وستمائةَ يومَ

(١ - ١) زيادة من: ص.

(٢ - ٢) في الأصل، م: «عبد الله بن». وانظر ترجمته في: العبر ٣٨٩/٥، والوافي بالوفيات ١٣٦/٣،
والجواهر المضية ١٦٥/٣، وتذكرة النبيه ٢١٥/١، والسلوك ٨٨١/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان
٤٧٤/٣، وطبقات المفسرين للداودي ١٤٤/٢، وشذرات الذهب ٤٤٢/٥.

(٣) عقد الجمان ٤٧٤/٣.

(٤) نهاية الأرب ٣١/٣٨٠، والعبر ٥/٣٨٧، والوافي بالوفيات ١٠/٤٣٨، وتذكرة النبيه ١/٢١٧، والمقفى
الكبير ٢/٦٢٢، والسلوك ٨٨١/١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/٤٧٥، والمنهل الصافي ٤/١٧٩.

عَرَفَةً بِعَرَفَةٍ، وَتَنْتَقِلُ فِي الْخَدَمِ إِلَى أَنْ صَارَ وَزِيرًا بِدَمَشَقَ مَرَاتٍ عَدِيدَةً، حَتَّى تُؤْفَى لَيْلَةَ الْخَمِيسِ ثَانِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ غُدُوَّةً بِالْجَامِعِ وَسُوقِ الْخَيْلِ، وَدُفِنَ بِتَرْبَتِهِ ثُجَاءَ دَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَّةِ بِالسَّفْحِ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ الْقَضَاةُ وَالْأَعْيَانُ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَبَاشَرَ بَعْدَهُ نَظَرَ الدَّوَاوِينِ فَخَرُّ الدِّينِ بَنُ الشَّيْزُجِيِّ، [١١٩/١٠] وَأَخَذَ أَمِيرُ الدِّينِ بَنُ الْهَلَالِ نَظَرَ الْخِزَانَةِ.

الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ شَمْسُ الدِّينِ يَنْسَرِي^(١)، كَانَ مِنْ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ الْمُقَدِّمِينَ فِي خِدْمَةِ الْمُلُوكِ مِنْ زَمَنِ قَلَاوُونَ وَهَلَمَّ جَزًّا، تُؤْفَى فِي السَّجْنِ بِقَلْعَةِ مِصْرَ^(٢)، وَغُمِلَ لَهُ عَزَاءٌ بِالْجَامِعِ الْأُمُوِّيِّ، وَحَضَرَهُ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ الْأَقْرَمُ وَالْقَضَاةُ وَالْأَعْيَانُ.

السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ تَقِيُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ تَقِيٍّ الدِّينِ عَمَرِ بْنِ شَاهِنْشَاهِ بْنِ أَيُوبَ^(٣)، صَاحِبُ حِمَاةٍ، وَابْنُ مُلُوكِهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، تُؤْفَى يَوْمَ الْخَمِيسِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، وَدُفِنَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ. الْمَلِكُ الْأَوْحَدُ نَجْمُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ دَاوُدَ بْنِ الْمُعْظَمِ^(٤)، نَازِلُ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، تُؤْفَى بِهِ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ^(٥) الرَّابِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ^(٥) وَدُفِنَ بِرِبَاطِهِ عِنْدَ

(١) نهاية الأرب ٣١/٣٧٧، والعبر ٥/٣٨٧، والوافي بالوفيات ١٠/٣٦٤، وتذكرة النبيه ١/٢١٤، والمقفى الكبير ٢/٥٧٦، والسلوك ١/٨٨٠ (القسم الثالث)، والمنهل الصافي ٣/٥٠٠.
(٢) في ص: «القاهرة».

(٣) نهاية الأرب ٣١/٣٧٩، والعبر ٥/٣٨٩، وتذكرة النبيه ١/٢١٤، والسلوك ١/٨٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/٤٧٥، وشذرات الذهب ٥/٤٤٢.

(٤) نهاية الأرب ٣١/٣٧٩، والعبر ٥/٣٩٠، وتذكرة النبيه ١/٢١٨، والسلوك ١/٨٨١ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/٤٨٣، والأنس الجليل ٢/٢٧١، وشذرات الذهب ٥/٤٤٣.
(٥ - ٥) في الأصل، م: «رابع ذى القعدة».

باب حِطَّة^(١) عن سبعين سنة، وحضر جنازته خلق كثير، وكان من خيار أبناء الملوك دينًا وفضيلة وإحسانًا إلى الضعفاء، رحمه الله.

القاضي شهاب الدين يوسف بن^(٢) (الصاحب مغيي^(٣) الدين بن التّحّاس، أحد رؤساء الحنفية، ومدرّس الرّيحانية^(٤) والظاهرية^(٥)، وقد ولى نظر الخزانة ونظر الجامع في وقت، وكان صدرًا كبيرًا كافيًا^(٦)، تُوفّي ببُيُوتانه بالمزّة ثالث عشر ذى الحِجّة، ودرّس بعده بالرّيحانية^(٧) القاضي جلال الدين بن حسام الدين.

الصدر الكبير الرئيس صاحب أمين^(٨) الدين أبو الغنائم، سالم بن محمد ابن سالم^(٩) بن الحسن^(١٠) بن هبة الله بن محفوظ بن صضرى التّغليبي، كان أسن^(١١) من أخيه القاضي نجم الدين بن صضرى، وقد سَمِعَ الحديثَ وأسمعه، وكان صدرًا مُعَظَّمًا، ولى نظر الدّواوين ونظر الخزانة، ثم ترك المناصب وحج وجاور بمكة، ثم قديم دمشق، فأقام بها دون السنة ومات، تُوفّي يوم الجمعة الثامن والعشرين من ذى الحِجّة، وصُلّي عليه بعد الجمعة بالجامع، ودُفِنَ بِتُرْبَتِهِمْ بسفح قاسيون، وعُمِلَ عَزَاؤُهُ بالصاحبية.

-
- (١) فى ص: «خطه». وانظر مسالك الأبصار ١/١١٦، والأنس الجليل ٢/٢٧١.
(٢ - ٣) فى م: «الصالح محب» وانظر ترجمته فى الجواهر المضية ٣/٦٣٩، والسلوك ١/٨٨٢ (القسم الثالث)، وعقد الجمان ٣/٤٧٤، والدليل الشافى ٢/٨٠٦.
(٣) فى الأصل، م: «الزنجابية». وانظر الدارس ١/٥٢٥.
(٤ - ٥) زيادة من: ص.
(٥) فى الأصل: «نصير»، وفى م: «نصر». وانظر مصادر ترجمته: الوافى بالوفيات ١٥/٩٠، وعقد الجمان ٣/٤٧٦، والمنهل الصافى ٥/٣٨٠، والسلوك ١/٨٨٢ (القسم الثالث).
(٦ - ٧) سقط من: الأصل، م.
(٧) فى الأصل، م: «أحسن»، وبعدة فى م: «حالا».

ياقوت بن عبد الله، أبو الدرّ المستعصمي الكاتب^(١)، لقّبه جمال الدين، وأصله رومي، كان فاضلاً، مليح الخطّ، مشهوراً بذلك، كتب ختماً حسناً، وكتب الناس عليه ببغداد، وتوفي بها في هذه السنة، وله شعر رائق، فمنه ما أوردّه البرزالي في «تاريخه» عنه :

تجدد الشمس شوقي كلما طلعت	إلى محياك يا سمعي ويا بصري
وأشهر الليل في أنس بلا ونس	إذ طيب ذكراك في ظلماته يشرى
وكل يوم مضى لا أراك به	فلسن محتسباً ماضيه من عمري
ليلي نهار إذا ما دُرّت في خلدي	لأن ذكرك نور القلب والبصر

(١) العبر ٣٩٠/٥، وتذكرة النبيه ٢١٩/١، وعقد الجمان ٤٧٩/٣، والنجوم الزاهرة ١٨٧/٨، وشذرات الذهب ٤٤٣/٥.

ثم دَخَلت سنة تسع وتسعين وستمئة^(١)

وفيهما كانت وَقْعَةُ قازان ، وذلك أن هذه السنة اسْتَهَلَّت والخليفة الحاكم العباسي ، وسلطان البلاد الشامية والمصرية وما يَتَّبِعُهَا من الممالك الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ونائب مصر سَلَّار ، وبالشام جمال الدين آقوش الأفرم ، والقضاة بالديار المصرية والبلاد الشامية هم المذْكُورون في التي قبلها ، وقد تَوَاتَرَت الأخبارُ بقصد التَّثَرِّ إلى بلاد الشام ، وقد خاف الناس من ذلك خوفاً شديداً ، وجفَلَ الناس من بلاد حَلَب وحمَاة ، وبلغ كِرَاءُ الجملي من حمَاة إلى دمشق نحو المائتي درهم ، فلما كان يوم الثلاثاء ثاني المحرم ضَرَبَت البَشَائِرُ بسبب خُروج السلطان من الديار المصرية قاصداً الشام ، فلما كان يوم الجمعة ثامن ربيع الأول دَخَلَ السلطان [١٢٠/١٠] إلى دمشق ، وقد أقام بغَزَّةَ قَرِيباً من شهرين ، وذلك لما بلغه قُدُومُ التَّثَرِّ إلى الشام ، تَهَيَّأَ لذلك ، وجاء فدَخَلَ دمشق في اليوم الذي ذكرنا في مطرٍ شديدٍ ووحلٍ كثيرٍ ، ومع هذا خَرَجَ الناس لتلقيه والدعاء له ، فنَزَلَ بالطارمة ، ورُيِّنَتْ له البلدُ ، وكثُرَتْ له الأذعيةُ ، وكان وقتاً شديداً ، وحالاً صعباً ، وامْتَلَأَ البلدُ مِنَ الجافلين النازحين عن بلادهم ، وجلس الأعسر وزير الدولة ، وطالب العمال ، واقترضوا أموال الأيتام وأموال الأسرى لأجل تقوية الجيش ، وخرج السلطان بالجيش من دمشق يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول ، ولم يَخْلُفْ أحدٌ من الجيوش ، وخرج معهم خلقٌ كثيرٌ من المُطَوَّعة ، وأخذ الناس في الدعاء والقنوت في الصلوات بالجامع وغيره ، وتضرَّعوا واستغاثوا واثَّهَلُوا إلى الله بالأذعية .

(١) نهاية الأرب ٣٨٣/٣١ - ٤٠٨ ، وكنز الدرر ١٣/٩ - ٤٠ ، وتذكرة النبيه ٢٢٠/١ - ٢٢٤ ، وعقد الجمان ٧/٤ - ٨٧ .

وقعة قازان

لما وصل السلطان إلى وادي الخزندار عند وادي سلمية، التقى التتار هنالك يوم الأربعاء السابع^(١) والعشرين من ربيع الأول، فالتقوا معهم، فكسروا المسلمين، وولى السلطان هارباً، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وقُتل جماعة من الأمراء وغيرهم ومن العوام خلق كثير، وفُقد في المعركة قاضي الحنفية^(٢) حسام الرازي^(٣)، وقد صبروا، وأبلوا بلاء حسناً، ولكن كان أمر الله قَدَرًا مقدوراً، فولى المسلمون لا يلوى أحد على أحد، ثم كانت العاقبة بعد ذلك للمتقين، غير أنه رجعت العساكر على أعقابها إلى الديار المصرية، واجتاز كثير منهم على دمشق، وأهلها في خوف شديد على أنفسهم وأهاليهم وأموالهم^(٤)، ثم إنهم استكانوا واستسلموا للقضاء والقدر، وماذا يُجدي الحذر إذا نزل القدر، ورجع السلطان في طائفة من الجيش على ناحية بعلبك^(٥)، وأبواب دمشق مغلقة، والقلعة مُحَصَّنة، والغلاء شديد، والحال ضيق، وفرج الله قريب، وقد هرب جماعة من أعيان البلد وغيرهم إلى الديار المصرية، كالقاضي إمام الدين الشافعي، وقاضي المالكية^(٦) جمال الدين الزواوي، وتاج الدين بن^(٧) الشيرازي، وعلم الدين الصوائبي والي البر، وجمال الدين بن النحاس والي المدينة، والمحتسب وغيرهم من التجار والعوام، وبقي البلد شاغراً ليس فيه

(١) في نهاية الأرب ٣١/٣٨٤: «الثامن».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) بعده في ص: «فما شاء الله كان وما لم يشأ ربنا لم يكن».

(٤) بعده في الأصل، م: «والبقاع».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م وفي ص: «جمال الدين بن» والمثبت من نهاية الأرب ٣١/٣٨٧.

(٦) سقط من: الأصل، م.

حاكم ولا زاجر ولا رادع سوى نائب القلعة^(١) علم الدين أرجواش ، وهو مشغول عن البلد بالقلعة^(٢) .

وفي ليلة الأحد ثاني ربيع الآخر^(٣) كسر المحبسون بحبس باب الصغير باب السجين وخرجوا منه قريتا من مائتي رجل ، فنهبوا ما قدرُوا عليه ، وجاءوا إلى باب الجابية ، فكسروا أقفال الباب^(٤) الجواني وأخذوا من الباشورة ما شاءوا ، ثم كسروا أقفال الباب^(٥) البراني ، وخرجوا منه على حمية ، فتفرقوا حيث شاءوا لا يقدر أحد على ردهم ولا صدّهم ، وعانت الحرافشة في ظاهر البلد ، فكسروا أبواب البساتين ، وقلعوا من الأبواب والشبابيك وغير ذلك شيئا كثيرا ، وباعوه بأرخص الأثمان .

هذا وسلطان التار قد قصّد دمشق بعد الوقعة ، فاجتمع أعيان البلد والشيخ تقي الدين ابن تيمية في مشهد على ، واتفقوا [١٢٠ / ١٠ ظ] على المسير إلى قازان لتلقيه ، وأخذ الأمان منه لأهل دمشق ، فتوجهوا يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر ، فاجتمعوا به عند النبك^(٦) ، وكلّمه الشيخ تقي الدين ابن تيمية كلاما قويا شديدا ، فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين ، ولله الحمد . ودخل المسلمون ليلئذ من جهة قازان ، فنزلوا الباذرائية ، وغلقت أبواب البلد سوى باب ثوما ، وخطب الخطيب يوم الجمعة بالجامع ، ولم يذكُر سلطانا في خطبته ، وبعد الصلاة قدّم الأمير إسماعيل ومعه جماعة من الرسل ، فنزلوا ببستان الظاهر عند

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) في الأصل ، م : « الأول » .

(٣) النبك : قرية بذات الذخائر بين حمص ودمشق . معجم البلدان ٧٣٩ / ٤ .

الطرين . وحضر الفَرَمَانُ بالأمانِ ، وطِيفَ به في البلدِ ، وقُرِئَ يومَ السبتِ ثامن الشهرِ بمقصورة الخطابة ، ونُثِرَ شيءٌ من الذهبِ والفضة . وفي «اليوم الثالث»^(١) من المُناداة بالأمانِ طُلِبَتِ الحِيُولُ والسُّلَاحُ والأموالُ المُخْبَأةُ عندَ الناسِ من جهة الدولة ، وجلسَ ديوانُ الاستِخلاصِ إذ ذاك بالمدرسة القَيْمُرية ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ، وفي يومِ الاثنينِ عاشر الشهرِ قَدِمَ الأميرُ سيفُ الدينِ قُبُجَقُ المنصوريُّ ، فنزلَ بالمِيدَانِ ، واقتَرَبَ جيشُ التتارِ ، وكثُرَ العَيْثُ في ظاهرِ البلدِ ، وقُتِلَ جَمَاعَةٌ ، وغَلَّتِ الأسعارُ بالبلدِ جدًّا ، وضاق الحالُ عليهم ، وأرسلَ قُبُجَقُ إلى نائبِ القلعةِ لِيَسْلَمَها إلى التتارِ ، فامْتَنَعَ أَرْجُوحاشُ من ذلك أشدَّ الامْتِناعِ ، فجمَعَ له قُبُجَقُ أعيانَ البلدِ ، فكَلَّمُوهُ أيضًا ، فلم يُجِبْهُمْ إلى ذلك ، وصمَّ على تَرْكِ تَسْلِيمِها إليهم وفيها عَيْنٌ تَطْرِفُ ، فإن الشيخَ تَقَى الدينِ ابنَ تَيْمِيَّةَ أَرْسَلَ إلى نائبِ القلعةِ يَقُولُ له ذلك ، «فَاشْتَدَّ عَزْمُهُ على ذلك ، وقال له :^(٢) لو لم يَتَّقَ فيها إلا حجرًا واحدًا ، فلا تُسَلِّمُهم ذلك إن اشْتَطَعَتْ . وكان في ذلك مَصْلَحَةٌ عظيمةٌ لأهل الشامِ ، فإن اللهَ تعالى حَفِظَ لهم هذا الحصنَ والمَغْفَلَ الذي جعله اللهُ جِزًّا لأهل الشامِ التي لا تَزَالُ دَارَ أَمَانٍ وَسُكْنَى ، حتى يَنْزِلَ بها عيسى ابنُ مَرْيَمَ ، عليه السلامُ .

وفي يومِ دُخُولِ قُبُجَقِ إلى دمشقَ دَخَلَ السلطانُ ونائبُه سَلَّارٌ إلى مصرَ كما جاءتِ البطائقُ بذلك إلى القلعةِ ، ودَقَّتْ بها البَشَائِرُ ، فقَوِيَ جَأشُ الناسِ بعضَ الشيءِ ، ولكن الأمرُ كما يقالُ :

(١ - ١) في الأصل ، م : « ثاني يوم » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

كيف السبيل إلى سعاد ودونها قُلِّلَ الجبال ودونهن حُتُوفُ
الرجُل حافية وما لى مَرَكَبٌ والكف صِفْرٌ والطريق مَحُوفٌ

وفى يوم الجمعة رابعَ عشرَ ربيعِ الآخرِ حُطِبَ لقازانَ على مِنبرِ دمشق بحضورِ المَغُولِ بالمَقْصُورة ، ودُعِيَ له على السُّدَّةِ بعدَ الصلاة ، وقُرئَ عليها مَرْسُومٌ بِنِياةِ قَبْجَقٍ على الشام ، وذهبَ إليه الأَغْيانُ فهِتَّوه بذلك ، فأظْهَرَ الكرامة ، وأنه فى تعبٍ عظيمٍ مع التَّارِ ،^(١) ثم شرعَ فى طَلَبِ الخيولِ التى عندَ الناسِ والأموالِ لأجلِ النَّفَقَةِ على التَّارِ^(٢) ، ونَزَلَ شيخُ المَشايخِ نظامُ الدينِ محمودُ بنُ عليٍّ الشَّيْبانى بالمدرسةِ العادليةِ الكبيرة .

وفى يومِ السبتِ النصفِ من ربيعِ الآخرِ شرَعَتِ التَّارُ وصاحبُ سببِ فى نَهَبِ الصَّالِحَةِ^(٣) فوجدوا فيها شيئًا كثيرًا مِنَ الغَلَّاتِ ، وقَلَّعُوا الأبوابَ والشبائِكَ وخَرَّبُوا أَمَاكِنَ كثيرةً ؛ كالرِّباطِ الناصِرِيِّ وغيره مِنَ الأَمَاكِنِ الحسنةِ ، والمَارِستانِ بالصَّالِحَةِ^(٤) ومسجدِ الأَسَدِيَّةِ ومسجدِ خاتونِ ودارِ الحديثِ الأَشْرَفِيَّةِ بها ، واخْتَرَقَ جامعُ^(٥) التَّوبَةِ بالعَقِيَّةِ^(٦) ، وكان [١٠ / ٢١١ و] هذا من جهةِ الكُوجِ^(٧) والأَزْمَنِ مِنَ النَّصارَى الذين هم مع التَّارِ ، قَبَّحَهُمُ اللَّهُ تعالى ، وسَبَّوْا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا كثيرًا وَجَمًّا غَفِيرًا ، ولجأَ أَكْثَرُ النَّاسِ إلى رِباطِ الحَنابِلَةِ ، فاخْتَطَطَ به التَّارُ ، فحماه منهم شيخُ الشيوخِ المذكورُ ، وأُعْطِيَ فى الساكِنِ مالٌ له صورةً ، ثم قَحَمُوا عليه ، فسَبَّوْا مِنْهُ خَلْقًا كثيرًا مِنْ بناتِ المَشايخِ وأولادِهِمْ ، فَإِنا لِلَّهِ وإِنا إِلَيْهِ راجِعُونَ .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى ص : « العقبة » . وانظر الدارس ٤٢٦/٢ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

«لَمَّا نُكِبَ دَيْرُ الْحَنَابِلَةِ فِي ثَانِي جُمَادَى الْأُولَى قَتَلُوا خَلْقًا مِنَ الرِّجَالِ، وَسَبَّوْا مِنَ النِّسَاءِ كَثِيرًا، وَنَالَ قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ مِنْهُمْ أَدَى كَثِيرٌ، يُقَالُ: إِنَّهُمْ قَتَلُوا مِنْ أَهْلِ الصَّالِحِيَةِ قَرِيبًا مِنْ أَرْبَعِمِائَةٍ، وَأَسْرَوْا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ أَسِيرٍ، وَنُهَبَتْ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الرِّبَاطِ النَّاصِرِيِّ وَالضَّيَّائِيَةِ، وَخِزَانَةُ ابْنِ الْبُزْورِيِّ، فَكَانَتْ تُبَاعُ وَهِيَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا الْوَقْفِيَّةُ^(١)، وَفَعَلُوا بِالْمِزَّةِ مِثْلَ مَا فَعَلُوا بِالصَّالِحِيَةِ، وَكَذَلِكَ بِدَارِيَا وَغَيْرِهَا، وَتَحَصَّنَ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي الْجَامِعِ بِدَارِيَا، فَفَتَحَهُ قَسْرًا، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا، وَسَبَّوْا نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(٢)».

وَخَرَجَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ إِلَى مَلِكِ التَّنَّارِ، وَعَادَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ، وَلَمْ يَتَّفِقِ اجْتِمَاعُهُ بِقَارَازَانَ، حَجَّجَهُ عَنْهُ الْوَزِيرُ سَعْدُ الدِّينِ وَالرَّشِيدُ مُشِيرُ^(٣) الدَّوْلَةِ الْمُسْلِمَانِي بْنِ يَهُودَى، وَالتَّرَمَّا لَهُ بِقَضَاءِ الشَّغْلِ، وَذَكَرَا لَهُ أَنَّ التَّنَّارَ لَمْ يَحْصُلْ لكَثِيرٍ مِنْهُمْ شَيْءٌ إِلَى الْآنَ، وَلَا بَدَأَ لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ.

وَاشْتَهَرَ بِالْبَلَدِ أَنَّ التَّنَّارَ يُرِيدُونَ دُخُولَ دِمَشْقَ، فَانْتَرَعَجَ النَّاسُ لَذَلِكَ، وَخَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا، وَأَرَادُوا الْخَوْجَ مِنْهَا وَالْهَرَبَ، وَأَيْنَ؟ وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ! وَقَدْ أُخِذَ مِنَ الْبَلَدِ فَوْقَ الْعَشْرَةِ آلَافٍ فَتْ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ عَلَى الْبَلَدِ مُوزَّعَةً عَلَى أَهْلِ الْأَسْوَاقِ، كُلُّ سَوْقٍ بِحَسَبِهِ مِنَ الْمَالِ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) بعده في ص: «ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن».

(٣) في ص: «سيد».

بِاللَّهِ . وَشَرَعَ التَّزُّ فِي عَمَلٍ مَجَانِيْقٍ بِالْجَامِعِ لِيَزْمُوا بِهَا الْقَلْعَةَ مِنَ الصَّخْنِ ،
وَعُلِّقَتْ أَبْوَابُهُ ، وَنَزَلَ التَّزُّ فِي مَشَاهِدِهِ يَخْرُسُونَ أَحْشَابَ الْمَجَانِيْقِ ، وَيَنْهَبُونَ مَا
حَوْلَهُ مِنَ الْأَسْوَاقِ ، وَأَحْرَقَ أَرْجَواشَ مَا حَوْلَ الْقَلْعَةِ مِنَ الْأُبْنِيَةِ ؛ كَدَارِ الْحَدِيثِ
الْأَشْرَفِيَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، إِلَى حَدِّ الْعَادِلِيَةِ الْكَبِيرَةِ وَدَارِ السَّعَادَةِ ؛ لِثَلَا يَتِمَّكَنُوا مِنَ
مُحَاصَرَةِ الْقَلْعَةِ مِنْ أَعَالِيهَا ، وَلَزِمَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ لِثَلَا يُسَخَّرُوا فِي طَمِّ الْحَنْدَقِ ،
وَكَانَتِ الطَّرَقَاتُ لَا يُرَى بِهَا أَحَدٌ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَالْجَامِعُ لَا يُصَلِّي فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا
الْيَسِيرُ ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ لَا يَتَّكَمَلُ فِيهِ الصَّفُّ الْأَوَّلُ وَمَا بَعْدَهُ إِلَّا بِجَهْدٍ جَهْدٍ ،
وَمَنْ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ فِي ضَرُورَتِهِ يَخْرُجُ «بِثِيَابٍ زِيْهِمٍ»^(١) ، ثُمَّ يَعُودُ سَرِيعًا ،
وَيَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَعُودُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَأَهْلُ الْبَلَدِ قَدْ أَذَاقَهُمُ اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا
كَانُوا يَصْنَعُونَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

وَالْمُصَادَرَاتُ وَالتَّرَاسِيمُ وَالْعُقُوبَاتُ عَمَّالَةٌ فِي أَكَابِرِ أَهْلِ الْبَلَدِ لَيْلًا وَنَهَارًا ،
حَتَّى أُخِذَ مِنْهُمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْقَافِ ، كَالْجَامِعِ وَغَيْرِهِ ، ثُمَّ جَاءَ
مَرْسُومٌ بِصِيَانَةِ الْجَامِعِ وَتَوْفِيرِ أَوْقَافِهِ وَصَرْفِ مَا كَانَ يُؤْخَذُ [١٠ / ١٢١ ظ] لِحَزَائِنِ
السَّلَاحِ إِلَى الْحِجَازِ ، وَقُرِئَ ذَلِكَ الْمَرْسُومُ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِالْجَامِعِ فِي «تَاسِعِ»^(٢)
عَشْرِ جُمَادَى الْأُولَى . وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَوَجَّهَ السُّلْطَانُ قَازَانَ إِلَى بِلَادِهِ ، وَتَرَكَ
نُؤَابَتَهُ بِالشَّامِ فِي سِتِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، نَحْوَ بِلَادِ الْعِرَاقِ ، وَجَاءَ كِتَابُهُ : إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا
نُؤَابَتَنَا بِالشَّامِ فِي سِتِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، وَمِنْ عَزْمِنَا الْعَوْدَ إِلَيْهَا فِي زَمَنِ الْخَرِيفِ ،
وَالدَّخُولَ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَةِ وَفَتْحَهَا . وَقَدْ أَعْجَزَتْهُمْ الْقَلْعَةُ أَنْ يَصِلُوا إِلَى حَجَرٍ
مِنْهَا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ، وَخَرَجَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قَبْجَقُ لَتَوْدِيعِ قُطْلُوشَاهِ نَائِبِ

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ : «بِثِيَابِ زِيْهِمٍ» ، وَفِي ص : «بِثِيَابِ رَثَةٍ» .
(٢ - ٢) فِي ص : «تَاسِعِ عَشْرِينَ» . وَانْظُرْ نِهَايَةَ الْأَرْبِ ٣١ / ٣٩٨ .

قازان ، وسار وراءه ، وضربت البشائر بالقلعة فرحاً لرحيلهم ، ولم تُفتح القلعة ، وأرسل أرنجواش ثانياً^(١) يوم من خروج قَبْجَق لتوديع قُطْلُوشاه - القلعية إلى الجامع ، فكسروا أخشاب المنجنيقات المنصوبة به ، وعادوا إلى القلعة سريعاً سالمين آمنين ، واستصحبوا معهم جماعة ممن كانوا يلوذون بالتأثر قهراً إلى القلعة ، منهم الشريف القمّي ، وهو شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد ابن أبي القاسم المرتضى العلوي ، وجاءت الرسل من قَبْجَق إلى دمشق ، فنادوا بها : طيّبوا قلوبكم ، وافتحوا ذكابينكم ، وتهيئوا غداً لتلقى سلطان الشام سيف الدين قَبْجَق . فخرج الناس إلى أمانيهم ، فأشرفوا عليها ، فرأوا ما بها من الفساد والدمار ، وانقل رؤساء البلد من التراسيم بعدما وُزنوا شيئاً كثيراً .

وقال الشيخ علّم الدين البرزالي^(٢) : ذكر لي الشيخ وجيه الدين بن المنجّج أنه حمل إلى خزانة قازان ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم ، سوى ما تمحق^(٣) من التراسيم والبراطيل^(٤) ، وما أخذ غيره من الأمراء والوزراء ، وأن شيخ المشايخ حصل له نحو من ستمائة ألف درهم ، والأصيل بن النصير الطوسي مائتا^(٥) ألف ، والصفى السنجاري ثمانون ألفاً ، وعاد الأمير سيف الدين قَبْجَق إلى دمشق يوم الخميس بعد الظهر الخامس والعشرين من جمادى

(١) في ص : « في ثامن » . وانظر نهاية الأرب ٣١ / ٣٩٩ .

(٢) انظر كنز الدرر ٩ / ٣٣ .

(٣) في ص : « يمحق » . وفي كنز الدرر : « لحق » .

(٤) البراطيل : جمع برطيل ، وهو الرشوة . الوسيط (برطل) .

(٥) في النسخ : « مائة » . والمثبت من مصادر التخرّيج .

الأولى، ومعه الألبكى^(١) وجماعة، وبين يديه السيوف مُسلَّلة، وعلى رأسه عصابة، فنزل بالقصر، ونودى بالبلد: إن نائبكم سيف الدين قُبُجق قد جاء فافتحوا دكاكينكم، واعملوا معاشكم، ولا يُعزَّز أحدٌ بنفسه. هذا والأسعارُ في غاية الغلاء والقلة، قد بلغت الغرارةُ إلى أربعمئة، واللحم الرطُل بنحو العشرة، والخبز كل رطلٍ بدرهمين ونصف، والعشرة الدقيق بنحو الأربعين، والجنُّ الأوقية بدرهم، والبيض كل خمسة بدرهم، ثم فُرج عنهم في أواخر الشهر، ولما كان في أواخر الشهر نادى قُبُجق بالبلد أن يخرج الناس إلى قُراهم، وأمر جماعة، وأنضاف إليه خلق من الأجناد، وكثرت الأراجيف على بابِه، وعظم شأنه، ودقت البشائر بالقلعة وعلى باب قُبُجق يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة، وركب قُبُجق بالعصائب في البلد، والشاويشيَّة بين يديه، وجهَّز نحوًا من ألف فارس نحو خربة اللصوص، ومشى مشى الملوك في الولايات وتأمير الأمراء والمراسيم العالية النافذة، وصار كما قال الشاعر^(٢):

يا لك من قُنْبَرَةٍ بِمَعْمَرٍ

خلا لك الجوُّ فيبضى واضفيري

ونقري ما شئت أن تُنْقري

ثم إنه ضمن الخُمَّارات [١٢٢/١٠] ومواضع الزنى من الحانات وغيرها، وجعلت دار ابن جرادة خارج باب ثوما خُمارة وحانة أيضًا، وصار له على ذلك في كل يوم ألف درهم. وهى التى دُمِّرت، ومحقت آثاره، وأخذ أموالاً

(١) فى الأصل: «الأيكى»، وفى م: «الأيكى».

(٢) تقدم فى ٤٩٦/١١.

أُخْرِجَ مِنْ أَوْقَافِ الْمَدَارِسِ وَغَيْرِهَا، وَرَجَعَ بُولَايَ مِنْ جِهَةِ الْأَغْوَارِ، وَقَدْ عَاشَ فِي الْأَرْضِ فُسَادًا، وَنَهَبَ الْبِلَادَ وَسَبَى وَخَرَّبَ، وَمَعَهُ طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ التُّرِكِ، وَقَدْ خَرَّبُوا قُرَى كَثِيرَةً، وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا، وَأَسْرَوْا مِنْ أَطْفَالِهَا جَمَاعَاتٍ، وَجَبَى لِبُولَايَ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ أَيْضًا جَبَايَةً أُخْرَى، وَخَرَجَ طَائِفَةٌ مِنَ الْقَلْعَةِ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنَ التُّرِكِ وَنَهَبُوهُمْ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غُبُونِ ذَلِكَ، وَأَخَذُوا طَائِفَةً مِمَّنْ كَانَ يَلُودُ بِالتُّرِكِ، وَرَسَمَ قَبْجَقُ لِحَطِيبِ الْبَلَدِ وَجَمَاعَةٍ مَعَهُ مِنَ الْأَعْيَانِ أَنْ يَدْخُلُوا الْقَلْعَةَ، فَيَتَكَلَّمُوا مَعَ نَائِبِهَا فِي الْمُصَالِحَةِ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ثَانِي عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ، فَكَلَّمُوهُ وَبَالَغُوا مَعَهُ، فَلَمْ يُجِبْ إِلَى ذَلِكَ، وَقَدْ أَجَادَ وَأَحْسَنَ^(١).

وَفِي ثَانِي^(٢) رَجَبٍ طَلَبَ قَبْجَقُ الْقُضَاةَ وَالْأَعْيَانِ، فَحَلَفَهُمْ عَلَى الْمُنَاصَحَةِ لِلدَّوْلَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ - يَعْنِي قَازَانَ - فَحَلَفُوا لَهُ. وَفِي هَذَا الْيَوْمِ خَرَجَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ إِلَى مُحَيِّمِ بُولَايَ، فَاجْتَمَعَ بِهِ فِي فِكَالِكٍ مَعَهُ مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَنْقَذَ كَثِيرًا مِنْهُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ عَادَ، ثُمَّ رَاحَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ أَعْيَانِ دِمَشْقَ، ثُمَّ عَادُوا مِنْ عِنْدِهِ، فَشَلُّحُوا عِنْدَ بَابِ شَرْقِيٍّ، وَأُخِذَتْ ثِيَابُهُمْ وَعَمَائِمُهُمْ، وَرَجَعُوا فِي شَرِّ حَالَةٍ، ثُمَّ بَعَثَ فِي طَلِبِهِمْ، فَاخْتَفَى أَكْثَرُهُمْ، وَتَغَيَّبُوا عَنْهُ، وَتَوَدَّى بِالْجَامِعِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ثَالِثَ رَجَبٍ مِنْ جِهَةِ نَائِبِ الْقَلْعَةِ بِأَنَّ الْعَسَاكِرَ الْمَصْرِيَّةَ قَادِمَةٌ إِلَى الشَّامِ، وَفِي عَشِيَةِ يَوْمِ السَّبْتِ رَحَلَ بُولَايَ وَأَصْحَابُهُ مِنَ التُّرِكِ، وَانْشَمَرُوا عَنْ دِمَشْقَ، وَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ مِنْهُمْ، وَسَارُوا مِنْ عَلَى

(١) بَعْدَهُ فِي م، ص: «وَأَرْجَلَ فِي ذَلِكَ، بِيَضِ اللَّهِ وَجْهَهُ».

(٢) فِي م، ص: «ثَامِنٌ». وَانْظُرْ كَنْزَ الدَّرَرِ ٣٥/٩.

عَقَبَةُ دُمَرْ^(١) ، فعاثوا فى تلك التَّوَاخى فسادًا ، ولم يَأْتِ سَابِعُ الشَّهْرِ وفى حَوَاشِي
الْبَلَدِ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَقَدْ أَزَاحَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَ شَرِّهِمْ عَنِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ، وَنَادَى قَبْجَقُ
فِي النَّاسِ : قَدْ أَمِنَتِ الطَّرِيقَاتُ ، وَلَمْ يَبْقَ بِالشَّامِ مِنَ التَّرِّ أَحَدٌ . وَصَلَّى قَبْجَقُ يَوْمَ
الْجُمُعَةِ عَاشَرَ رَجَبٍ بِالْمَقْصُورَةِ ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، عَلَيْهِمْ لَأْمَةُ الْحَرْبِ
مِنَ السِّيُوفِ وَالْقِسِيِّ وَالتَّرَاكِيشِ فِيهَا الثُّشَابُ ، وَأَمِنَتِ الْبَلَدُ وَنَوَاحِيهَا ، وَخَرَجَ
النَّاسُ لِلْفُرْجَةِ فِي غِيَاضِ السَّفَرَجَلِ عَلَى عَادَتِهِمْ ، فَعَاثَتْ عَلَيْهِمْ طَائِفَةٌ مِنَ التَّنَارِ ،
فَلَمَّا رَأَوْهُمْ رَجَعُوا إِلَى الْبَلَدِ هَارِبِينَ مُشْرِعِينَ ، وَنَهَبَ بَعْضُ النَّاسِ بَعْضًا ، وَمِنْهُمْ
مَنْ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي النَّهْرِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تِلْكَ الطَّائِفَةُ مُجْتَازِينَ لَيْسَ لَهُمْ قَرَارٌ ، وَتَقَلَّقُ
قَبْجَقُ مِنَ الْبَلَدِ ، ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ رُؤُسَائِهَا - مِنْهُمْ عِزُّ الدِّينِ بْنُ
الْقَلَانِسِيِّ - لَتَلْقَى الْجَيْشَ الْمَصْرِيَّ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا إِلَى الشَّامِ فِي تَاسِعِ
رَجَبٍ ، وَجَاءَتِ الْبَرِيدِيَّةُ بِذَلِكَ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ ، وَبَقِيَ الْبَلَدُ لَيْسَ بِهِ أَحَدٌ ،
وَنَادَى أَرْجُوشُ فِي الْبَلَدِ أَنْ احْفَظُوا الْأَسْوَارَ ، وَأَخْرِجُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنَ
الْأَسْلِحَةِ ، وَلَا تُهْمِلُوا الْأَسْوَارَ وَالْأَبْوَابَ ، وَلَا يَبْيِتَنَّ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى السَّوْرِ ، وَمَنْ
بَاتَ فِي دَارِهِ شَيْقَ . فَاجْتَمَعَ النَّاسُ [١٠ / ٢٢٢ ط] عَلَى الْأَسْوَارِ لِحَفَظِ الْبَلَدِ ، وَكَانَ
الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ يَدُورُ كُلَّ لَيْلَةٍ فَوْقَ الْأَسْوَارِ يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى الصَّبْرِ
وَالْقِتَالِ ، وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ الْجِهَادِ وَالرِّبَاطِ .

وفى يوم الجمعة سابعَ عشرَ رجبٍ أُعيدتْ الخطبةُ بجامعِ دمشقٍ لصاحبِ
مصرَ السلطانِ الناصرِ محمدِ بنِ قلاوونَ ، ففرحَ الناسُ بذلكَ ، وكان يُخطبُ
لقازانَ بدمشقَ وغيرها من بلادِ الشامِ مائةَ يومٍ سَوَاءً . وفى بُكْرَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ

(١) دمر: عتبة تطل على غوطة دمشق. معجم البلدان ٥٨٧/٢.

المذكور دار الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، رحمه الله ، وأصحابه على الخمارات والحنات ، فكسروا آنية الخمر ، وشقوا الظروف ، وأراقوا الخمر ، وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش ، ففرح الناس بذلك ، ونودي يوم السبت ثامن عشر رجب بأن تُزيّن البلدُ لقدم العساكر المصرية ، وفتح باب الفرج مضافاً إلى باب النصر يوم الأحد تاسع عشر رجب ، ففرح الناس بذلك وانفرجوا ؛ لأنهم لم يكونوا يدخلون إلا من باب النصر ، وقدم الجيش الشامى ضعبة نائب دمشق جمال الدين آقوش الأفرم إلى دمشق يوم السبت عاشر شعبان ، وثاني يوم دخل بقية العساكر ، وفيهم الأميران شمس الدين قراستقور المنصورى وسيف الدين قطلبك فى تجمل .

وفى هذا اليوم فتح باب الفراديس . وفيه ^(١) درس القاضى جلال الدين القزوينى بالمدرسة الأمينية عوضاً عن أخيه قاضى القضاة إمام الدين ، تُوفى بالديار المصرية ، كما سيأتى بيانه .

وفى يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء تكامل دخول العساكر المصرية ضعبة نائب مصر سيف الدين سلار ، وفى خدمته الملك العادل كتيبة ، وسيف الدين الطباخى ^(٢) فى تجمل باهر ، ونزلوا بالمروج ، وكان السلطان قد خرج عازماً على الحجى ، فوصل إلى الصالحية ، ثم عاد إلى مصر .

وفى يوم الخميس النصف من شعبان أعيد القاضى بدر الدين بن جماعة إلى

(١) الدارس ١/ ١٩٦ .

(٢) فى الأصل ، م : « الطراخى » .

قضاء القضاة بدمشق مع الخطابة بعد إمام الدين وليس الخلعة ، وليس معه في هذا اليوم أمين الدين العجمي خلعة الحسبة ، وفي يوم السبت سابع عشره ليس خلعة نظير الدواوين الصدر تاج الدين بن الشيرازي عوضا عن فخر الدين بن الشيرجني ، وليس «أقجبا خلعة»^(١) شد الدواوين في باب الوزير شمس الدين سنقر الأغسر^(٢) ، وباشر الأمير عز الدين أيتك الدوادار التجيبي ولاية البر ، بعد ما جعل من أمراء الطبلخاناه .

ودرس الشيخ كمال الدين بن الزملكاني بأمر الصالح عوضا عن جلال الدين القزويني يوم الأحد الحادي والعشرين من شعبان ، وفي هذا اليوم ولي قضاء الحنفية شمس الدين بن الصفّي الحريري ، عوضا عن حسام الدين الرازي ، فقد يوم المعركة ،^(٣) وجاءه بعد ذلك تدريس الخاتونية عوضا عن حسام الدين الرازي^(٤) في ثاني رمضان ، ورُفعت الستائر عن القلعة في ثالث رمضان .

وفي مُستَهَلَّ رمضان جلس الأمير سيف الدين سلار بدار العدل في الميدان الأخضر ، وعنده القضاة والأمراء يوم السبت ، وفي السبت الآخر خلع على عز الدين بن القلايسي خلعة سنية ، وجعل ولده عماد الدين عبد العزيز شاهدا في الخزانة . وفي هذا اليوم رجع سلار بالعساكر إلى مصر ، وانصرفت العساكر الشامية إلى مواضعها وبُلدانها .

وفي يوم الاثنين عاشر رمضان درس صدر الدين علي بن [١٢٣/١٠] الصفّي ابن أبي القاسم البصراوي الحنفّي بالمدرسة المقدّمية .

(١ - ١) في م : «أقجبا» . وانظر نهاية الأرب ٤٠٦/٣١ ، والسلوك ٩٠١/١ (القسم الثالث) .

(٢) في ص : «الأشقر» .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

وفى شوالٍ منها عُرِفَتْ جماعةٌ مَن كان يُلَوِّذُ بالشُّرِّ ويُوذِي المسلمين ، فشُنِقَ منهم طائفةٌ ، وسُيِّرَ آخرون ، وكُجِلَ بعضهم ، وقُطِعَتْ أَلْسُنُ ، وجُرَتْ أُمُورٌ كثيرةٌ .

وفى منتصفِ شوالٍ دَرَسَ بالدَّوْلَعِيَةِ قاضى القضاةِ جمالُ الدين الزُّرْعِيُّ نائبُ الحُكْمِ عوضاً عن جمالِ الدين بن الباجِرِ بَقِيٍّ .

وفى يومِ الجمعةِ العشرين من شوالٍ ركب نائبُ السُّلْطَنَةِ جمالُ الدين آقوش الأفرمُ فى جيشٍ دمشقَ إلى جبالِ الجَرَدِ وكسروانَ ، وخرَجَ الشيخُ تَقِيُّ الدين ابنُ تَيْمِيَّةَ ، ومعه خلقٌ كثيرٌ مِنَ المُطَوَّعَةِ والحوارِنَةِ لِقَتالِ أهلِ تلكِ الناحيةِ ، بسببِ فسادِ دينهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم ، وما كانوا عاملوا به العساكرَ لما كسَرهم الشُّرُّ وهزبوا ؛ حينَ اجتازوا ببلادهم وثبوا عليهم ونهبوهم ، وأخذوا أسلحتهم وحيولهم ، وقتلوا كثيراً منهم ، فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخِ تَقِيِّ الدين بن تَيْمِيَّةَ ، فاستتابهم ، وبينَ لكثيرٍ منهم الصوابَ ، وحصلَ بذلك خيرٌ كثيرٌ ، وانتصارٌ كبيرٌ على أولئك المُفْسِدِينَ ، والتزموا برَدِّ ما كانوا أخذوه من أموالِ الجيشِ ، وقَرَّرَ عليهم أموالاً كثيرةً يَحْمِلونها إلى بيتِ المالِ ، وأقْطَعَتْ أراضِيهم وضياعهم ، ولم يَكُونوا قَبْلَ ذلك يَدْخُلون فى طاعةِ الجندِ ولا يَلْتَزِمون أحكامَ المِلَّةِ ، ولا يَدِينون دينَ الحقِّ ، ولا يُحَرِّمون ما حَرَّمَ اللَّهُ ورسولُهُ . وعاد نائبُ السُّلْطَنَةِ يومَ الأحدِ ثالثَ عَشَرَ ذى القَعْدَةِ ، وتلقاه الناسُ بالشُّموعِ إلى طريقِ بَغْلَبَك وَسَطَ النهارِ .

وفى يومِ الأربعاءِ سادسَ عَشْرِهِ نُودِيَ بالبلدِ أن يُعَلِّقَ الناسُ الأسلحةَ بالدُّكاكينِ ، وأن يَتَعَلَّمَ الناسُ الرَّفْيَ ، فَعُمِلَتِ الأماجاثُ ^(١) فى أماكن كثيرةٍ من

(١) الأماجات : جمع أماج ، وهو الهدف . انظر المعجم الذهبى ص ٤٧ .

البلد ، وعُلِّقَت الأسلحةُ بالأسواقِ ، ورسم قاضى القضاة بدرُ الدين بن جماعةً بعملِ الآماجَاتِ فى المدارسِ ، وأن يتعلَّم الفقهاءُ الرِّمى ، ويشتَعِدُوا لِقِتَالِ العدوِّ إن حضرَ ، وباللهِ المستعان .

وفى الحادى والعشرين من ذى القعدة استعرض نائب السلطنة أهل الأسواق بين يديه ، وجعل على كل شوقٍ مُقدِّمًا ، وحوله أهل سوقه ، وفى يوم الخميس الرابع والعشرين عرِضَت الأشرافُ مع تقييهم نظام الملك الحسينى بالعدد والتَّجْمُلِ الحسنِ ، وكان يومًا مشهودًا .

ومما كان من الحوادثِ فى هذه السنة أنه جدد إمام راتب عند رأس قبر زكريا ، وهو الفقيه شرف الدين أبو بكر الحموى ، وحضر عنده ظهر^(١) يوم عاشوراء القاضى إمام الدين الشافعى ، وحسام الدين الحنفى وجماعة ، ولم تطل مدته إلا شهورًا ، ثم عاد الحموى إلى بلده ، وبطلت^(٢) هذه الوظيفة إلى الآن ، ولله الحمد .

ومن تُوفى فيها من الأغنياء :

القاضى حسام الدين أبو الفضائل الحسن بن القاضى تاج الدين أبى المفاخر أحمد بن الحسن بن^(٣) أنوشيزوان الرازى الحنفى ، ولى قضاء مَلَطِيَّةَ مدة عشرين سنة ، ثم قديم دمشق ، فوليهام مدة ، ثم انتقل إلى مصر ، فوليهام مدة ،

(١) سقط من : م .

(٢) فى ص : « شغرت » .

(٣) سقط من : م . وانظر ترجمته فى : العبر ٣٩٧/٥ ، ومعجم شيوخ الذهبى ص ١٦٨ ، والوفى بالوفيات ٣٩٧/١١ ، والجواهر المضية ١٥٦/١ ، وتذكرة النبى ٢٢٧/١ ، وعقد الجمان ٨٩/٤ ، والمقفى الكبير ٣٠٣/٣ ، والمتهل الصافى ٦٣/٥ ، وشذرات الذهب ٤٤٦/٥ .

وولده جلال الدين بالشام، ثم صار إلى الشام، فعاد إلى الحكم بدمشق، ثم لما خرج الجيش إلى لقاء قازان بوادي الخزندار [١٠/٢٣١ظ] عند وادي سلقية خرج معهم، ففقد من الصف، ولم يُدر ما خبره، وقد قارب السبعين، وكان فاضلاً بارعاً رئيساً، له نظم حسن، ومولده بأقسرا^(١) من بلاد الروم في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، فُقد يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ربيع الأول منها، وقد قُتل يومئذٍ عدّة من مشاهير الأمراء، ثم ولى بعده القضاء شمس الدين الحريري.

القاضي الإمام العالي إمام الدين أبو المعالي عمر بن القاضي سعد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن الشيخ إمام الدين أبي حفص عمر بن أحمد بن محمد القزويني الشافعي^(٢)، قديم دمشق هو وأخوه جلال الدين، فقرّرا في تداريس، ثم انتزع إمام الدين قضاء القضاء بدمشق من بدر الدين بن جماعة كما تقدّم في^(٣) سنة ست وتسعين^(٤)، وناب عنه أخوه، وكان جميل الأخلاق، كثير الإحسان، قليل الأذى، ولما أرف قدوم التتار سافر إلى مصر، فلما وصل إليها لم يُقَم بها سوى أسبوعٍ وثوفاً، ودُفن بالقرب من قبّة الشافعي عن ست وأربعين سنة، وصار المنصب إلى بدر الدين بن جماعة كما كان، مضافاً إلى ما بيده من الخطابة وغيرها، ودرّس أخوه بعده بالأمينية.

المُشيدُ المعمرُ الرّحلة، شرف الدين أبو الفضل أحمد بن هبة الله

(١) في الأصل، م: «بأقسيس».

(٢) العبر ٥/٤٠٢، والوافي بالوفيات ٢٢/٥٠٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/٣١٠، وتذكرة النبيه ١/٢٢٦، وعقد الجمان ٤/٩٠، والدارس ١/١٩٥.

(٣ - ٣) في الأصل، م: «سنة سبع وسبعين»، وفي ص، وعقد الجمان ٣/٣٥٣: السنة السابعة والتسعين. والمثبت من الوافي بالوفيات. وانظر ما تقدم صفحة ٦٩٧.

«ابن أحمد بن محمد^(١) بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين^(٢) بن عساكر الدمشقي، وُلد سنة أربع عشرة وستمائة، وسمع الكثير وروى، توفى خامس عشر جمادى الأولى عن خمس وثمانين سنة.

الخطيب الإمام العالم موفق الدين أبو المعالي، محمد بن محمد بن المفضل^(٣) البهراني^(٤) القضاعي الحموي، خطيب حماة، ثم خطب بدمشق عوضاً عن الفاروئي كما ذكرنا، ودرس بالغرالية، ثم عُزل بابن جماعة، وعاد إلى بلده، ثم قديم دمشق عام قازان، فمات بها.

الصدر شمس الدين محمد بن سلمان^(٥) بن حمائل بن علي المقدسي المعروف بابن غانم، وكان من أعيان الناس وأكثرهم مروءة، ودرس بالعضرونية، توفى وقد جاوز الثمانين، كان من الكتاب المشهورين المشكورين، وهو والد الصدر علاء الدين بن غانم.

(١ - ١) سقط من: الأصل، م. وانظر ترجمته في: العبر ٣٩٥/٥، ومعجم شيوخ الذهبي ص ٨٣، وعقد الجمان ٩١/٤، وغاية النهاية ١٤٦/١، والمنهل الصافي ٢٥٤/٢، والنجوم الزاهرة ١٩٠/٨، وشذرات الذهب ٤٤٥/٥.

(٢) في الأصل، م: «الحسن».

(٣) في الأصل، م: «الفضل». وانظر ترجمته في: معجم شيوخ الذهبي ص ٥٦٩، والعبر ٤٠٤/٥، وتذكرة الحفاظ ١٤٨٨/٤، وعقد الجمان ٩٢/٤، وشذرات الذهب ٤٥٣/٥، وفي المصادر الثلاثة الأخيرة: «الفضل».

(٤) في الأصل، م، وشذرات الذهب: «النهراني»، وفي ص: «المهراني»، وفي تذكرة الحفاظ: «النهراني». والمثبت من معجم شيوخ الذهبي، العبر، وعقد الجمان. والبهراني نسبة إلى بهراء وهي قبيلة من قضاة كما ذكر ذلك السمعاني في الأنساب ٤٢٠/١.

(٥) في النسخ والدارس ٤٠٣/١: «سليمان». والمثبت من مصادر ترجمته: معجم شيوخ الذهبي ص ٤٩٨، والعبر ٤٠٢/٥، وعقد الجمان ٩٢/٤، والمقفى الكبير ٦٨٥/٥، والنجوم الزاهرة ١٩٣/١، وشذرات الذهب ٤٥١/٥.

الشيخ جمال الدين أبو محمد ، عبد الرحيم بن عمر بن عثمان الباجزني الشافعي^(١) ، أقام مدة بالموصل يشتغل ويفتي ، ثم قدم دمشق عام قازان ، فمات بها ، وكان قد أقام بها مدة كذلك ، ودرس بالفتحية^(٢) والدولعية ، وناب في الخطابة ، ودرس بالغزالية نيابة عن الشمس الأيكى ، وكان قليل الكلام ، مجموعا عن الناس ، وهو والد الشمس محمد المنسوب إلى الزندقة والانحلال ، وله أتباع ينسبون إلى ما ينسب إليه ، ويعكفون على ما كان يعكف عليه ، وقد حدث جمال الدين المذكور بـ « جامع الأصول » عن بعض أصحاب مصنفه ابن الأثير ، وله نظم ونثر حسن . والله سبحانه أعلم .

(١) العبر ٥/ ٤٤٩ ، والوافى بالوفيات ١٨/ ٣٣٠ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ١٩٠ ، وتذكرة النبيه ٩/ ٢٢٨ ، وعقد الجمان ٤/ ٩٣ ، والمقفى الكبير ٦/ ٦٦ ، وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٩ .
(٢) فى م : « القليجية » . وانظر الدارس ١/ ٤٢٩ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعِمِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ^(١)

اسْتَهَلَّتْ وَالْخَلِيفَةُ^(٢) وَالسُّلْطَانُ وَنَوَابُ الْبِلَادِ وَالْحُكَّامُ بِهَا هُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي
الَّتِي قَبْلَهَا، غَيْرِ الشَّافِعِيِّ وَالْحَنْفِيِّ^(٣). وَلَمَّا كَانَ ثَالِثُ الْمَحْرَمِ جَلَسَ الْمُسْتَخْرِجُ
لَا سِتِّخْلَاصِ أَجْرَةٍ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ جَمِيعِ أَمْلَاقِ النَّاسِ وَأَوْقَافِهِمْ بِدَمَشَقَ، فَهَرَبَ
أَكْثَرُ النَّاسِ مِنَ الْبَلَدِ، وَجَزَتْ [١٢٤/١٠] خَبْطَةٌ قَوِيَّةٌ وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ
مَشَقَّةٌ عَظِيمَةٌ جَدًّا.

وَفِي مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ بِقَصْدِ التَّارِ بِلَادَ الشَّامِ، وَأَنَّهُمْ عَازِمُونَ
عَلَى دُخُولِ مِصْرَ، فَأَنْزَعَجَ النَّاسُ لَذَلِكَ وَازْدَادُوا ضَعْفًا عَلَى ضَعْفِهِمْ،
وَطَاسَّتْ عَقُولُهُمْ وَأَلْبَائِهِمْ، وَشَرَعَ النَّاسُ فِي الْهَرَبِ إِلَى بِلَادِ مِصْرَ وَالكَرْكِ
وَالشُّوْبَكِ وَالْحَصُونِ الْمُنِيعَةِ، فَبَلَغَتِ الْمَحَارَّةُ^(٤) إِلَى مِصْرَ خَمْسِمِائَةٍ، وَبِيعَ الْجَمَلُ
بِأَلْفٍ، وَالْحِمَارُ بِخَمْسِمِائَةٍ، وَبِيعَتِ الْأُمْتَعَةُ وَالثِّيَابُ وَالْغُلَاثُ بِأَرْخَصِ
الْأَثْمَانِ، وَجَلَسَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي ثَانِي صَفَرٍ بِمَجْلِسِهِ فِي

(١) نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٤١١/٣١ - ٤٤٣، وَكَنْزُ الدَّرَرِ ٤١/٩ - ٦٤، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ٢٣٣/١ - ٢٣٨.
(٢ - ٢) فِي ص: «الْحَاكِمُ الْعَبَّاسِيُّ وَسُلْطَانُ الْبِلَادِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ وَنَائِبُ مِصْرَ
الْأَمِيرِ سَيْفُ الدِّينِ رِسْلَانُ، وَقَضَاءُ مِصْرَ الْقَاضِي تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ الشَّافِعِيُّ وَالْحَنْفِيُّ [] وَنَائِبُ
الشَّامِ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ أَقْرَشُ الْأَقْرَمُ. وَقَاضِي الشَّافِعِيَّةِ بِهَا بَدْرُ الدِّينِ بْنُ جَمَاعَةَ وَالْوَزِيرُ شَمْسُ الدِّينِ
سَنْقَرُ الْأَعْسَرِ».

(٣) فِي م: «الْحِمَارَةُ»، وَالْمَحَارَّةُ: الْمَرْجِعُ. انْظُرِ الْوَسِيطُ (م ح ر). وَيَعْنِي بِالْمَحَارَّةِ هُنَا تَكْلِفَةُ الرَّجُوعِ
إِلَى مِصْرَ.

الجامع، وحرّض الناس على القتال، وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، ونهى عن الإسراع في الفرار، ورغب في إنفاق الأموال في الذبّ عن المسلمين وبلادهم وأموالهم، وأن ما يُنفق في أجره الهرب إذا أنفق في سبيل الله تعالى كان خيرًا، وأوجب جهاد التتر حثًا في هذه الكثرة، وتابع المجالس في ذلك، ونوّد في البلدان: لا يُسافر أحدٌ إلا بمرسوم وورقة. فتوقّف الناس عن السير، وسكن جأشهم، وتحدّث الناس بخروج السلطان من القاهرة بالعساكر المنصورة ودقّت البشائر لخروجه^(١)، لكن كان قد خرج جماعة من ثيوتات دمشق كبيت ابن صبرى وبيت ابن فضل الله وابن مُنْجَا وابن سُويْد وابن الزمْلَكَاني وابن جماعة.

وفي أول ربيع الآخر قوى الإرجاف بأمر التتار، وجاء الخبر بأنهم قد وصلوا إلى البيرة، ونوّد في البلد أن تخرج العامة مع العسكر، وجاء مرسوم النائب من المَرْج بذلك، فاستعرضوا في أثناء الشهر، فعرض نحو من خمسة آلاف من العامة بالعدة والأسلحة على قدر طاقتهم، وقنت الخطيب ابن جماعة في الصلوات كلها، وأتبعه أئمة المساجد، وأشاع المُرْجفون بأن التتار قد وصلوا إلى حلب، وأن نائب حلب تفهّر إلى حماة، ونوّد في البلد بتطبيب قلوب الناس وإقبالهم على معاشهم، وأن السلطان والعساكر واصله، وأبطل ديوان المُستخرج وأقيموا، ولكن كانوا قد استخرجوا أكثر مما أمروا به، وبقيت بواقي الناس الذين قد اختفوا، فغفى عما بقي، ولم يُردّ ما سلف، لا جرّم أن عواقب هذه الأفعال خُسِرَ ونكّر، وأن أصحابها لا يفليحون، ثم جاءت الأخبار بأن سلطان

(١) في ص: «لخروج السلطان من ديار مصر إلى الشام».

مَصْرَ رَجَعَ عَائِدًا إِلَى مَصْرَ "بَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْهَا قَاصِدًا الشَّامَ"، فَكَثُرَ الْخَوْفُ، وَاشْتَدَّ الْحَالُ، وَكَثُرَتِ الْأَمْطَارُ جَدًّا، وَصَارَ بِالطَّرِيقَاتِ مِنَ الْأَوْحَالِ وَالشَّيُولِ مَا يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُهُ مِنَ الْإِنْتِشَارِ فِي الْأَرْضِ وَالذَّهَابِ فِيهَا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَخَرَجَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ خِيفًا وَثِقَالًا يَتَحَمَّلُونَ بِأَهَالِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَجَعَلُوا يَحْمِلُونَ الصُّغَارَ فِي الْوَحْلِ الشَّدِيدِ وَالْمَشَقَّةِ عَلَى الدَّوَابِّ وَالرِّقَابِ، وَقَدْ ضَعُفَتِ الدَّوَابُّ مِنْ قَلَةِ الْعَلْفِ مَعَ كَثْرَةِ الْأَمْطَارِ وَالزَّلْزَلِ وَالْبَرْدِ الشَّدِيدِ وَالْجُوعِ وَقَلَةِ الشَّيْءِ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَاشْتَهِلَ جُمَادَى الْأُولَى، وَالنَّاسُ عَلَى خُطَّةٍ صَعِبَةٍ مِنَ الْخَوْفِ، وَتَأَخَّرَ السُّلْطَانُ وَاقْتَرَبَ الْعَدُوُّ، وَشَدَّةُ الْأَمْرِ وَالْحَالِ، وَخَرَجَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي مُسْتَهْلِ هَذَا الشَّهْرِ، وَكَانَ [١٠/١٢٤ظ] يَوْمَ السَّبْتِ، إِلَى نَائِبِ الشَّامِ وَعَسَاكِرِهِ بِالْمَرْجِ، فَجَبَّيْتَهُمْ وَقَوَّى جَأْسَهُمْ، وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ، وَوَعَدَهُمُ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠]. وَبَاتَ عِنْدَ الْعَسْكَرِ لَيْلَةَ الْأَحَدِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ، وَقَدْ سَأَلَهُ النَّائِبُ وَالْأَمْرَاءُ أَنْ يَرْكَبَ عَلَى الْبَرِيدِ إِلَى مَصْرَ يَسْتَحِثُّ السُّلْطَانَ عَلَى الْحِجْيَةِ، فَسَاقَ وَرَاءَ السُّلْطَانِ، وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ وَصَلَ إِلَى السَّاحِلِ، فَلَمْ يُدْرِكْهُ إِلَّا وَقَدْ رَجَعَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَتَفَارَطَ الْحَالُ، وَلَكِنَّهُ اسْتَحَثَّهُمْ عَلَى تَجْهِيزِ الْعَسَاكِرِ إِلَى الشَّامِ

(١ - ١) فِي ص: «مِنَ الزَّلْزَلَةِ الَّتِي كَانَ بِهَا فِي نَوَاحِي السَّاحِلِ».

^(١) إن كان لهم به حاجة، وقال لهم فيما قال: إن كنتم أعرضتُم عن الشام وحمايتِه، أقفنا له سلطانًا يَحُوطُه وَيَحْمِيه، وَيَسْتَعْلُه في زمنِ الأَمَنِ. ولم يَزَلْ بهم حتى جُرِّدَتِ العساكرُ إلى الشام، ثم قال: لو قُدِّر أنكم لستم حُكَّامَ الشام ولا مُلوَكه واستنصركم أهلُه وجب عليكم النصرُ، فكيف وأنتم حُكَّامُه وسلاطينُه، وهم رعاياكم وأنتم مسئولون عنهم. وقوى جأشهم، وضمن لهم النصرَ هذه الكثرة، فخرجوا إلى الشام^(١)، فلما تواصلتِ العساكرُ إلى الشام فرح الناسُ فرحًا شديدًا، بعد أن كانوا قد يَمْسُوا مِن أنفُسِهِم وأهْلِيهِم وأموالِهِم، ثم قويتِ الأراجيفُ بوصولِ التَّارِ وتحقيقِ أهلِ الشامِ عَوْدَ السلطانِ إلى مصرَ، ونادى ابنُ النُّحاسِ مُتَوَلِّى دِمَشقَ في الناسِ: مَنْ قَدَّرَ على السَفرِ فلا يَقْعُدْ بدمشقَ. فتصايحُ النِّساءِ والولدانُ، ورهقُ الناسِ ذِلَّةً عظيمةً وخَمْدَةً، وزُلْزَلوا زُلْزالًا شديدًا، وغُلِقَتِ الأسواقُ، وتيقَّنَ الناسُ أن لا ناصرَ لهم إلا اللهُ عز وجل، وأن نائبَ الشامِ لما كان فيه قوةٌ مع السلطانِ عامَ أولَ لم يَقوَ على التِّقَاءِ جيشِ التَّارِ فكيف به الآن وقد عزمَ على الهربِ؟ ويقولون: ما بَقِيَ أهلُ دِمَشقَ إلا طُعْمَةُ العدوِّ.^(٢) ودخل كثيرٌ من الناسِ القلعةَ، وامتنعَ الناسُ من النومِ والقرارِ، وخرج^(٣) كثيرٌ من الناسِ إلى البراريِّ والقفارِ بأهاليهم مِنَ الكِبَارِ والصغارِ، ونوْدَى في الناسِ: مَنْ كانت نيتهُ الجهادَ فَلْيَلْحَقْ بالجيشِ؛ فقد اقْتَرَبَ وُصولُ التَّارِ. ولم يَبْقَ بدمشقَ مِن أكابِرِها إلا القليلُ، وسافَرَ القاضي ابنُ جماعةَ وشمسُ الدين بنُ الحَريرِيِّ ونجمُ الدين ابنُ صَصْرَى ووجيهُ الدين ابنُ مُنْعَجا، وقد سبقتهم بيوتهم إلى الديارِ المصريةِ، وجاءت الأخبارُ بوصولِ

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

التَّارِ إِلَى سَرْمِين^(١)، وَخَرَجَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْفَارُقِيُّ وَالشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ الرَّقِّيُّ وَابْنُ قِيَامٍ^(٢) وَشَرَفُ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَابْنُ خُبَارَةَ^(٣) إِلَى نَائِبِ السُّلْطَنَةِ الْأَقْرَمِ، فَقَوَّوْا عِزَّمَهُ عَلَى مُلَاقَاةِ الْعَدُوِّ، وَاجْتَمَعُوا بِمُهَنَّا أَمِيرِ الْعَرَبِ، فَحَرَّضُوهُ عَلَى قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأَجَابَهُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَقَوَّيَتْ نِيَّاتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَخَرَجَ طُلُبُ سَلَّارٍ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى نَاحِيَةِ الْجَيْشِ بِالْمَرْجِ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْحَرْبِ وَالْقِتَالِ بَنِيَاتٍ صَادِقَةً.

وَرَجَعَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ مِنَ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى عَلَى الْبَرِيدِ، وَقَدْ أَقَامَ بِقَلْعَةِ مِصْرَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ وَاجْتَمَعَ بِالسُّلْطَانِ وَالْوَزِيرِ وَأَعْيَانِ الدَّوْلَةِ، وَحَثَّهُمْ وَحَرَّضَهُمْ، فَأَجَابُوهُ . وَقَدْ غَلَّتِ الْأَسْعَارُ بِدِمَشْقَ جَدًّا، حَتَّى أَنَّهُ أُبِيعَ خُرُوفَانٍ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَاشْتَدَّ الْحَالُ جَدًّا، [١٢٥/١٠] ثَمَ جَاءَتْ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ مَلِكَ التَّارِ قَدْ خَاضَ الْفُرَاتَ رَاجِعًا عَامَهُ ذَلِكَ ؛ لَضَعْفِ جَيْشِهِ وَقِلَّةِ مَدِيدِهِ، فَطَابَتْ النُّفُوسُ بِذَلِكَ، وَسَكَنَ النَّاسُ، وَعَادُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ مُنْشَرِّحِينَ آمِنِينَ مُسْتَبْشِرِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَلَمَّا جَاءَتْ الْأَخْبَارُ بِعَدَمِ وَصُولِ التَّارِ إِلَى الشَّامِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ تَرَاجَعَتْ أَنْفُسُ النَّاسِ إِلَيْهِمْ، وَعَادَ نَائِبُ السُّلْطَنَةِ إِلَى دِمَشْقَ، وَكَانَ مُخَيَّمًا فِي الْمَرْجِ مِنْ مَدَّةٍ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مُتَتَابِعَةٍ، وَكَانَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الرُّبَاطِ، وَتَرَاجَعَ النَّاسُ إِلَى أَوْطَانِهِمْ.

وَكَانَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْفَارُقِيُّ قَدْ دَرَّسَ بِالنَّاصِرِيَّةِ لَغِيْبِيَّةَ مَدْرِسِهَا كِمَالِ الدِّينِ بْنِ الشَّرِيشِيِّ بِالْكَرْكِ هَارِبًا، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا فِي رَمَضَانَ، وَفِي أَوَاخِرِ الشَّهْرِ

(١) فِي الْأَصْلِ، م: «سَرْمِين». وَسَرْمِين: بَلَدَةٌ مَشْهُورَةٌ مِنْ أَعْمَالِ حَلَب. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٨٣/٣.

(٢) فِي ص: «قِيَام».

(٣) فِي ص: «حِيَاة» وَفِي عَقْدِ الْجَمَانِ: «حَبَان».

دَرَسَ ابْنُ الرُّكَيِّ بالدَوْلَعِيَّةِ عَوْضًا عن القاضي جمال الدين الزُّرْعِيِّ لَغَيْبَتِهِ ، وفي يوم الاثنين قُرِئَتْ شُرُوطُ الذِّمَّةِ عليهم ، وأُلْزِمُوا بها ، وَاتَّفَقَتْ الكلمةُ على عزْلِهِم عن الجهاتِ ، وأُخِذُوا بالصَّغَارِ ، وَنُودِيَ بذلك في البلدِ ، وأُلْزِمَ النَّصَارَى بالعمائمِ الزُّرْزَقِ ، واليهودُ بالصُّفْرِ ، والسَّامِرَةُ بالحُمْرِ ، فَحَصَلَ بسببِ ذلك خيرٌ كثيرٌ ، وَتَمَيَّزُوا عن المسلمين . وفي عاشرِ رمضانَ جاءَ المُرْسُومُ بالمُشَارَكَةِ بينَ أَرْجُوشَ والأميرِ سيفِ الدينِ أَقْبَجَا في نِيَابَةِ القلعةِ ، وأن يَوْكَبَ كُلُّ واحدٍ منهما يومًا ، وَيَكُونُ الآخَرُ بالقلعةِ يومًا ، فامتنعَ أَرْجُوشَ من ذلك .

وفي شوالٍ دَرَسَ بالإقباليةِ الشيخُ شهابُ الدينِ بَنُ المجدِّ عَوْضًا عن علاءِ الدينِ القُونُوِيِّ^(١) بحكمِ إقامتهِ بالقاهرةِ ، وفي يومِ الجمعةِ الثالثِ والعشرينِ من ذِي القَعْدَةِ عُزِّلَ شمسُ الدينِ بَنُ الحَرِيرِيِّ عن قَضَائِ الحنفيةِ بالقاضي جلالِ الدينِ ابنِ حُسَامِ الدينِ على قاعدتهِ وقاعدَةِ أبيه ، وذلك باتِّفَاقٍ مِنَ الوزيرِ الأميرِ شمسِ الدينِ سُنُقُرِ الأعسرِ ، ونائبِ السلطنةِ جمالِ الدينِ آقوشِ الأفرَمِ .

وفيها وصَلَتْ رسلُ ملكِ التَّتَارِ إلى دمشقَ في أواخرِ الشهرِ ، فَأُنْزِلُوا بالقلعةِ ، ثم ساروا إلى مصرَ .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

الشيخُ الصالحُ حسنُ الكُرْدِيُّ^(٢) ، المقيمُ بالشاغورِ في بُشْتَانٍ لَهُ ، يَأْكُلُ مِنْ غَلَّتِهِ ، وَيُطْعِمُ مَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ يُزَارُّ ، ولما اخْتُصِرَ اغْتَسَلَ ، وَأَخَذَ مِنْ شَعْرِهِ ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، وَرَكَعَ رَكَعَاتٍ ، ثُمَّ تُوفِّيَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، يومَ الاثنينِ الرابعِ مِنْ

(١) في الأصل : « القزويني » .

(٢) الوافي بالوفيات ٣١٣/١٢ ، وعقد الجمان ١٤٧/٤ ، والنهل الصافي ١٤٦/٥ ، والدليل الشافي ٢٧٢/١ .

جُمَادَى الْأُولَى ، وقد جَاوَزَ المائَةَ سَنَةٍ .

الطَّوَّاشِي صَفِيُّ الدِّينِ جَوْهَرُ التَّنْفِيلِسيُّ المَحْدَثُ^(١) ، اعْتَنَى بِسَمَاعِ الحديثِ وَتَحْصِيلِ الْأَجْزَاءِ ، وَكَانَ حَسَنَ الْخُلُقِ ، لَيْسَ الْجَانِبِ ، وَكَانَ رَجُلًا جَيِّدًا مَبَارَكًا صَالِحًا ، وَأَوْقَفَ أَجْزَاءَهُ الَّتِي مَلَكَهَا عَلَى الْمُحَدِّثِينَ .

الْأَمِيرُ عَزُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْهَيْجَاءِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَذْبَانِيُّ الْإِزْبِلِيُّ^(٢) ، مُتَوَلَّى دِمَشْقَ ، كَانَ لَدَيْهِ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ فِي التَّارِيخِ وَالشَّعْرِ ، وَرَبَّمَا جَمَعَ شَيْئًا فِي ذَلِكَ ، وَكَانَ يَسْكُنُ بِدَرْبِ سَقُونِ^(٣) فَغَرِفَ بِهِ ، فَيَقَالُ : دَرْبُ ابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ نَزَلْنَاهُ حِينَ قَدِمْنَا دِمَشْقَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِمِائَةٍ ، خَتَمَ اللَّهُ لَنَا بِخَيْرٍ فِي عَافِيَةِ آمِينَ ، وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ فِي طَرِيقِ مِصْرَ ، وَلَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً ، وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيْرِ ، حَسَنَ الْمُحَاضَرَةِ .

الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ آقُوشُ الشَّرِيفِيُّ^(٤) ، وَالْيَ الْوَلَاةِ بِالْبِلَادِ الْقِبْلِيَّةِ ، تُوفِّيَ فِي شَوَالٍ ، وَكَانَتْ لَهُ هَيْئَةٌ وَسَطُورَةٌ [١٢٥/١٠ ظ] وَحُرْمَةٌ .

(١) عقد الجمان ١٥٦/٤ ، والمنهل الصافي ٤٥/٥ ، والدليل الشافي ٢٥٥/١ وفيه : « النفيسي » .
(٢) الوافي بالوفيات ١٧٠/٥ ، والسلوك ٩١٨/١ (القسم الثالث) ، وعقد الجمان ١٥٥/٤ ، والدرر الكامنة ٤٩/٥ ، والدليل الشافي ٧١٠/٢ .
(٣) في الأصل : « سقور » ، وفي م : « سحور » ، وفي عقد الجمان : « سعود » .
(٤) كنز الدرر ٦٣/٩ ، وعقد الجمان ١٥٥/٤ ، والسلوك ٩١٧/١ (القسم الثالث) .

فهرست

الجزء السابع عشر من « البداية والنهاية »

الموضوع	الصفحة
ثم دخلت سنة ست وستمائة	٥
ومن توفى فيها من المشاهير والأعيان	٦
ثم دخلت سنة سبع وستمائة	١٥
ذكر وفاة صاحب الموصل نور الدين	١٦
ومن توفى فيها من الأعيان	٢٠
ثم دخلت سنة ثمان وستمائة	٢٧
ومن توفى فيها من الأعيان	٢٨
ثم دخلت سنة تسع وستمائة	٣٢
وفيها توفى	٣٣
ثم دخلت سنة عشر وستمائة	٣٥
وفيها توفى	٣٦
ثم دخلت سنة إحدى عشرة وستمائة	٤١
ومن توفى فيها من الأعيان وغيرهم	٤٣
ثم دخلت سنة ثنتي عشرة وستمائة	٤٥
ومن توفى فيها من الأعيان	٤٦

- ٥١ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمائة
- ٥٢ ومن توفى فيها من الأعيان والمشاهير
- ٦١ ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمائة
- ٦٤ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٧٠ ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة
- ٧٣ صفة أخذ الفرنج دمياط
- ٧٦ ومن توفى فيها من المشاهير والأعيان
- ٧٩ ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة
- ٨٣ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٨٨ ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة
- ١٠٠ ومن توفى فيها من الأعيان
- ١٠٦ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة
- ١٠٨ ومن توفى فيها من الأعيان
- ١١٢ ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة
- ١١٤ ومن توفى فيها من الأعيان
- ١١٦ ثم دخلت سنة عشرين وستمائة
- ١١٦ ومن توفى فيها من الأعيان
- ١٢٧ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمائة
- ١٢٩ ومن توفى فيها من الأعيان
- ١٣٢ ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وستمائة
- ١٣٣ وفاة الخليفة الناصر لدين الله وخلافة ابنه الظاهر
- ١٣٦ خلافة الظاهر بن الناصر

- ومن توفى فيها من الأعيان ١٣٨
- ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة ١٤٧
- وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله وخلافة ابنه المستنصر ١٤٨
- خلافة المستنصر بالله العباسي أمير المؤمنين أبي جعفر منصور بن
الظاهر محمد بن الناصر أحمد ١٥٠
- ومن توفى فيها من الأعيان ١٥٢
- ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة ١٥٨
- ومن توفى فيها من الأعيان ١٥٩
- ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستمائة ١٧١
- ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة ١٧٣
- ومن توفى فيها من الأعيان ١٧٤
- ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة ١٨٠
- ومن توفى فيها من الأعيان ١٨٢
- ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة ١٨٣
- ومن توفى فيها من الأعيان ١٨٦
- ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة ١٩٣
- ومن توفى فيها من الأعيان ١٩٤
- سنة ثلاثين وستمائة ٢٠٠
- ومن توفى فيها من المشاهير ٢٠٢
- ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستمائة ٢١٢
- ومن توفى في هذه السنة من الأعيان ٢١٤
- ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وستمائة ٢٢٠

- وفيها توفي ٢٢٠
- ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ٢٢٣
- ومن توفي فيها من المشاهير والأعيان ٢٢٣
- ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستمائة ٢٢٨
- ومن توفي فيها من الأعيان ٢٢٩
- ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستمائة ٢٣١
- ذكر وفاة الملك الكامل محمد بن العادل ٢٣٥
- ذكر ما جرى بعده ٢٣٧
- ومن توفي فيها من الأعيان ٢٣٩
- ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة ٢٤٢
- ومن توفي فيها من الأعيان ٢٤٣
- ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة ٢٤٦
- ومن توفي فيها من الأعيان ٢٤٩
- ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستمائة ٢٥١
- ومن توفي فيها من الأعيان والمشاهير ٢٥٢
- ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمائة ٢٥٥
- وفيها توفي ٢٥٦
- ثم دخلت سنة أربعين وستمائة ٢٦٠
- خلافة المستعصم بالله أمير المؤمنين ٢٦٣
- ومن توفي فيها من الأعيان ٢٦٦
- ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستمائة ٢٦٧
- ومن توفي فيها من الأعيان ٢٦٩

- ٢٧٣..... ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وستمائة
- ٢٧٤..... وممن توفى فيها من الأعيان
- ٢٧٧..... ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة
- ٢٨١..... وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان
- ٢٨٨..... ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمائة
- ٢٩٠..... وفيها توفى
- ٢٩٢..... ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة
- ٢٩٣..... وممن توفى فيها من المشاهير
- ٢٩٧..... ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة
- ٢٩٩..... وممن توفى فيها
- ٣٠٣..... ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستمائة
- ٣٠٥..... وممن قتل فى هذه السنة
- ٣٠٧..... ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة
- تملك الملك المعز عز الدين أيك التركمانى مصر بعد بنى أيوب ،
- ٣٠٨..... وتداول دولة الأتراك
- ذكر ملك الناصر بن العزيز بن الظاهر بن الناصر فاتح القدس صاحب
- ٣٠٨..... حلب لدمشق حرسها الله تعالى
- ذكر شىء من ترجمة الصالح أبى الخيش إسماعيل واقف تربة
- ٣١٠..... أم الصالح
- ٣١٠..... وممن توفى فى هذه السنة من الأعيان والمشاهير
- ٣١٣..... ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمائة
- ٣١٥..... وممن توفى فيها من الأعيان

- سنة خمسين وستمائة ٣١٦
- وفيهما توفي ٣١٧
- ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وستمائة ٣٢١
- ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وستمائة ٣٢٣
- ومن توفي فيها من المشاهير ٣٢٤
- ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستمائة ٣٢٦
- ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستمائة ٣٢٨
- ومن توفي في هذه السنة من الأعيان ٣٤٢
- ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستمائة ٣٤٧
- ومن توفي في هذه السنة من الأعيان ٣٥٠
- ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة ٣٥٦
- ذكر من توفي في هذه السنة من المشاهير والأعيان ٣٦٤
- أرجوزة لبعض الفضلاء انتظم فيها ذكر جميع الخلفاء ٣٦٨
- فصل ٣٧٤
- فصل ٣٧٥
- ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة ٣٨٦
- ولاية الملك المظفر قطز ٣٨٨
- وفيهما توفي من الأعيان ٣٨٩
- ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة ٣٩٥
- أخذ التتار حلب ودمشق ٣٩٥
- صفة أخذهم لدمشق وزوال ملكهم عنها سريعاً ٣٩٧
- وقعة عين جالوت ٣٩٩

- ٤٠٥ ذكر سلطنة الملك الظاهر وهو الأسد الضاري ببيرس البندقدارى
- ٤٠٨ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٢١ ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستمائة
- ٤٢٥ ذكر البيعة بالخلافة للمستنصر بالله أبى القاسم
- ٤٢٨ تولية الخليفة المستنصر بالله الملك الظاهر السلطنة
- ٤٢٩ ذكر تجهيز الخليفة قاصداً إلى بغداد
- ٤٣٥ ثم دخلت سنة ستين وستمائة
- ٤٣٦ ذكر بيعة الحاكم بأمر الله العباسى
- ٤٤٠ وفيها توفى من الأعيان
- ٤٤٥ ثم دخلت سنة إحدى وستين وستمائة
- ٤٤٥ ذكر خلافة الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن الأمير أبى على القبى
- ٤٤٨ ذكر أخذ الظاهر الكرك وإعدام صاحبها
- ٤٤٩ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٥٣ ثم دخلت سنة ثنتين وستين وستمائة
- ٤٥٤ وفيها كانت وفاة
- ٤٥٩ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وستمائة
- ٤٦٢ وممن توفى فيها
- ٤٦٤ ثم دخلت سنة أربع وستين وستمائة
- ٤٦٧ وممن توفى فيها
- ٤٦٩ ثم دخلت سنة خمس وستين وستمائة
- ٤٧١ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٧٥ ثم دخلت سنة ست وستين وستمائة

- فتح أنطاكية على يد السلطان الملك الظاهر ٤٧٦
- ومن توفى فيها من الأعيان ٤٨٠
- ثم دخلت سنة سبع وستين وستمائة ٤٨١
- ومن توفى فيها من الأعيان ٤٨٤
- ثم دخلت سنة ثمان وستين وستمائة ٤٨٦
- ومن توفى فيها من الأعيان ٤٨٨
- ثم دخلت سنة تسع وستين وستمائة ٤٩٢
- ومن توفى فيها من الأعيان ٤٩٦
- ثم دخلت سنة سبعين وستمائة من الهجرة ٤٩٩
- وفيه توفى ٥٠١
- ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وستمائة ٥٠٤
- ومن توفى فيها من الأعيان ٥٠٧
- ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وستمائة ٥١٠
- ومن توفى فيها من الأعيان ٥١١
- ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وستمائة ٥١٦
- ومن توفى فيها من الأعيان ٥١٧
- ثم دخلت سنة أربع وسبعين وستمائة ٥١٩
- ومن توفى فيها من الأعيان ٥٢١
- ثم دخلت سنة خمس وسبعين وستمائة ٥٢٣
- وقعة البليستين وفتح قيسارية ٥٢٤
- ومن توفى فيها من الأعيان ٥٢٦
- ثم دخلت سنة ست وسبعين وستمائة ٥٣٠

- ٥٣٧ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٥٤٢ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وستمائة
 ٥٤٤ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٥٥٧ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وستمائة
 ٥٥٩ ذكر خلع الملك السعيد وتولية أخيه الملك العادل سلامس
 ٥٦٠ ذكر بيعة الملك المنصور قلاوون الصالحى
 ٥٦٠ ذكر سلطنة سنقر الأشقر بدمشق
 ٥٦١ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٥٦٣ ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستمائة
 ٥٦٨ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٥٧١ ثم دخلت سنة ثمانين وستمائة
 ٥٧٤ وقعة حمص
 ٥٧٨ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٥٨٥ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وستمائة
 ٥٨٦ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٥٨٩ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وستمائة
 ٥٩٠ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٥٩٣ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وستمائة
 ٥٩٤ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٥٩٧ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وستمائة
 ٥٩٨ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٦٠٢ ثم دخلت سنة خمس وثمانين وستمائة

- ٦٠٣ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٠٧ ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمائة
- ٦٠٨ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦١٢ ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمائة
- ٦١٤ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦١٦ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة
- ٦١٨ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٢٣ ثم دخلت سنة تسع وثمانين وستمائة
- ٦٢٦ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٣١ ثم دخلت سنة تسعين وستمائة من الهجرة
- ٦٣٢ ذكر فتح عكا وبقية السواحل
- ٦٤٠ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٤٦ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وستمائة
- ٦٤٧ فتح قلعة الروم
- ٦٥٤ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٥٧ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وستمائة
- ٦٦٠ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٦٣ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وستمائة
- ٦٦٥ واقعة عساف النصراني
- ٦٦٧ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٧٢ ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة
- ٦٧٣ ذكر سلطنة الملك العادل كَثِيفًا

- وفيهما توفى من الأعيان ٦٧٦
- ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستمائة ٦٨٣
- ومن توفى فيها من الأعيان ٦٨٧
- ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة ٦٩١
- سلطنة الملك المنصور لاجين السلحدار ٦٩٤
- ومن توفى فيها من الأعيان ٦٩٩
- ثم دخلت سنة سبع وتسعين وستمائة ٧٠٢
- ومن توفى فيها من الأعيان ٧٠٥
- ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمائة ٧٠٨
- ذكر مقتل المنصور لاجين وعود الملك إلى الناصر محمد بن قلاوون . ٧٠٩
- ومن توفى فيها من الأعيان ٧١٢
- ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمائة ٧١٧
- وقعة قازان ٧١٨
- ومن توفى فيها من الأعيان ٧٣١
- ثم دخلت سنة سبعمائة من الهجرة النبوية ٧٣٥
- ومن توفى فيها من الأعيان ٧٤٠

تم بحمد الله وتوفيقه

الجزء السابع عشر ويليه الجزء

الثامن عشر ، وأوله : ثم دخلت سنة إحدى وسبعمائة

I . S . B . N : 977 - 256 - 187 - 5

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

۳۲۵۱۷۵۶ فاکس - ۳۲۵۲۵۷۹ ☎

أرض اللواء - ٣٢٥٢٩٦٣

ص. ب. ٦٣ إمبابة